آياصوفيه
١٢٩

جلد سابع سورهٔ صدن آخر
قرآنه دكين

المجلد السابع من تفسير البحر المحيط لابي حيان

عدد ٢٥
٢

١٢٩

ملك محمد ... الحلبي ... [illegible]

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الحمد لله

وهب ... العبد الفقير إلى الله تعالى أبو بكر بن ... الأنصاري الشافعي ... غفر له ولوالديه

وأصوله وفروعه ... هذا الجزء ... على طلبة العلم الذين ...

... بتاريخ ... عشرين

... [illegible]

علي الواثق بالله ... محمد ...   شهد بذلك محمد ... الشافعي   شهد بذلك محمد ...

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع ... حرره الفقير أحمد شيخ زاده المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين غفر لهما

Mikro Film Arşivi 4744

بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون والقوة

ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كم أهلكنا
من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون
هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب وانطلق الملأ منهم
أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن
هذا إلا اختلاق أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما
يذوقوا عذاب أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب أم لهم ملك السموات والأرض
وما بينهما فليرتقوا في الأسباب جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب كذبت قبلهم
قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب
إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب ن هذه السورة مكية ومناسبتها
لآخر ما قبلها أنه لما ذكر عن الكفار أنهم كانوا يقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين
لكنا عباد الله المخلصين وأخبر أنهم أتاهم الذكر فكفروا به بدأ في هذه السورة بالقسم
بالقرآن ذي الذكر الذي جاءهم ثم ذكر من أهلك من القرون التي شاقت الرسل
ليتعظوا وروي أنه لما مرض أبو طالب جاءت قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنده
وعند أبي طالب مجلس رجل فقام أبو جهل كي يمنعه وشكوه إلى أبي طالب فقال يا ابن
أخي ما تريد من قومك فقال يا عم إنما أريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب وتؤدي إليهم
بها الجزية العجم قال وما الكلمة قال كلمة واحدة قال وما هي قال لا إله إلا الله قال
فقاموا وقالوا أجعل الآلهة إلها واحدا قال فنزل فيهم القرآن ص والقرآن ذي الذكر
حتى بلغ إن هذا إلا اختلاق قرأ الجمهور صاد بسكون الدال وقرأ أبي والحسن وابن
أبي إسحاق وأبو السمال وابن أبي عبلة ونصر بن عاصم صاد بكسر الدال والظاهر
أنه كسر لالتقاء الساكنين وهو حرف من حروف المعجم نحو قاف ونون وقال الحسن
هو أمر من صادى أي عارض ومنه الصدى وهو ما يعارض الصوت في الأماكن
الصلبة الخالية من الأجسام أي عارض بعملك القرآن وعنه أيضا صاديت حادثت
أي حادث وهو قريب من القول الأول وقرأ عيسى ومحبوب عن أبي عمرو وفرقة
صاد بفتح الدال كما قرأوا قاف ونون بفتح الفاء والنون فعل الفتح لالتقاء

الساكنين

الساكنين طلبا للتخفيف وقيل نصب على أنه مقسم به حذف منه حرف القسم
نحو قولهم الله لأفعلن وهو اسم للسورة وامتنع من الصرف للعلمية والتأنيث وقد
صرفها من قرأ بالجر والتنوين على تأويل الكتاب والتنزيل وهو ابن أبي إسحاق في
رواية وقرأ الحسن أيضا صاد بضم الدال فإن كان اسما للسورة فخبر مبتدأ
محذوف أي هذه صاد وهي قراءة ابن السميفع وهارون الأعور وقرأ أيضا قاف ونون
بضم الفاء والنون وقيل هو حرف دال على معنى من فعل أو من اسم فقال
الضحاك معناه صدق الله وقال محمد بن كعب مفتاح أسماء الله صمد صادق الوعد
صانع المصنوعات وقيل معناه صدق محمد قال ابن عباس وابن جبير والسدي ذي
الذكر ذي الشرف أي الشرف لما في الحلم وقال مقاتل والضحاك ذي البيان للناس
والقرآن لهم وقيل ذي الذكر للأمم والقصص والغيوب والشرائع وجواب القسم
قيل هو مذكور فقال الكوفيون والزجاج هو قوله إن ذلك لحق تخاصم أهل النار وقال
الفراء لا نجده مستقيما في العربية لتأخره جدا عن قوله والقرآن وقال الأخفش هو إن
كل إلا كذب الرسل وقال قوم كم أهلكنا وحذف اللام أي لكم لما طال الكلام
كما حذفت في والشمس ثم قال قد أفلح حكاه الفراء وثعلب وهذه الأقوال يجب
اطراحها وقيل هو صاد إذ معناه صدق محمد وصدق الله وكون صاد جواب
القسم قاله الفراء وثعلب وهذا مبني على أنه يقدم جواب القسم ~~قاله الفراء وثعلب~~
واعتقاد أن الصاد يدل على ما ذكروه وقيل الجواب محذوف تقديره والقرآن
لقد جاءكم الحق ونحو وقال الزمخشري إنه لمعجز وقال ابن عطية ما الأمر كما يزعمون ونحو
هذا من التقدير وقال ابن سهل والطبري ما لأمر محذوف قيل بل قال وهو
الصحيح وتقديره ما ذكرنا عنه ونسعى ليعتبر بها ما استخفوا بالقرآن حتى أقسم
به وذلك في قوله تعالى يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين فيكون التقدير هنا صاد
والقرآن ذي الذكر إنك لمن المرسلين ويقوي هذا التقدير ذكر النذارة هنا في
قوله وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال هناك لتنذر قوما فالرسالة تتضمن النذارة
والبشارة وبل للانتقال من هذا القسم والمقسم عليه إلى حال تعزز الكفار
ومشاقتهم في قبول رسالتك وامتثال ما جئت به والاعتراف بالحق وقراءة ابن

الوردان وسورة عن الكسائي وميمونة عن أبي جعفر والجحدري طريق العقيلي في عين
بالصاد المعجمة والزاي في فعله ومشاقه من قبلهم أي من قبل هؤلاء ذوي المنعة والتشرف
والشقاق وهذا وعيد لهم فنادوا أي استغاثوا ونادوا بالتوبة قاله الحسن أو رفعوا
أصواتهم فقال فلانة أندى صوتا أي أرفع وذلك بعد معاينة العذاب فلم يك وقت نفع
وقرأ الجمهور ولات حين بفتح التاء ونصب النون فعلى قول سيبويه عملت عمل ليس واسمها محذوف
تقديره ولات الحين حين فوت وعلى قول الأخفش يكون حين اسم لات عملت
عمل إن نصب الاسم ورفعت الخبر والخبر محذوف تقديره ولات أرى حين مناص
وقرأ أبو السمال ولات حين بضم التاء ورفع النون فعلى قول سيبويه حين مناص اسم لات
والخبر محذوف وعلى قول الأخفش مبتدأ والخبر محذوف وقرأ عيسى بن عمر ولات حين
بكسر التاء وجر النون وهي خبر بعد لات وتخريجه مشكل وقد تمحل الزمخشري في تخريج الجر
في قوله

طلبوا صلحنا ولات أوان فأجبنا أن ليس حين بقاء

قال سيبويه أوان نادر في قوله وأنت إذ صحيح في أنه زمان قطع منه المضاف
إليه وعوض التنوين لأن الأصل ولات أوان صلح فإن قلت فما تقول في حين مناص والمضاف
إليه قائم قلت نزل قطع المضاف إليه من مناص وجعل تنوينه عوضا من المضاف
المحذوف ثم بني الحين لكونه مضافا إلى غير متمكن انتهى هذا التمحل والذي ظهر لي في
تخريج هذه القراءة الشاذة والبيت النادر جرها بعد لات أن الجر هو على إضمار من كأنه
قال لات من حين مناص ولات من أوان صلح كما جروا بكم في قولهم على كم جذع
بيتك أي من جذع في أصح القولين وكما قالوا ألا رجل جزاه الله خيرا يريدون ألا من رجل
ويكون موضع من حين مناص رفع على أنه اسم لات بمعنى ليس كما تقول ليس من رجل
قائما والخبر محذوف وهذا على قول سيبويه أو على أنه مبتدأ والخبر محذوف على قول الأخفش
وقال بعضهم ومن العرب من يخفض بلات وأنشد الفرا

ولتندمن ولات ساعة مندم

وخرج الأخفش ولات أوان على إضمار حين أي ولات حين أوان فحذف وأبقى أوان
على جره وقال أبو إسحاق ولات أوان محذوف المضاف إليه فوجب أن يعرب وكسر

لالتقاء

الساكنين وهذا الوجه الذي ذكره الزمخشري أخذه من أبي إسحاق الزجاج وأنشد المبرد
ولات أوان بالرفع وروي عن عيسى ولات حين بالرفع مناص بالفتح قال صاحب
اللوامح فإن صح ذلك فلعله بنى حين على الضم مثل قبل في الكلام بعدهم وتأخيره أجراه مجرى
قبل وبعد في الغاية وبنى مناص على الفتح مع لات على تقدير لات مناص حين لكن لا بما
بعد في المركبات في اتصالها بهن دون أن ينفصل بينهما ظرف أو غيره ويجوز
أن يكون لذلك بغير لا أعرفه انتهى والوقف عليها بالتاء قول سيبويه والفراء وابن كيسان
قال الزجاج ووقف الكسائي والمبرد بالهاء وقوم على لا وزعموا أن التاء زيدت في حين
وأجاز أبو عبيد وذكر أنه رآه في الإمام مخلوطا بحين وكيف يصنع بقوله
ولات ساعة مندم بلات أوان وقال الكلبي إذا قاتلوا فاضطروا
قال بعضهم لبعض مناص أي عليكم بالفرار فلما أتاهم العذاب قالوا مناص فقال الله
تعالى ولات حين مناص قال القشيري فعلى هذا يكون التقدير فنادوا مناص
محذوف لدلالة ما بعده عليه أي ليس الوقت وقت ما تنادون به وفيه نوع تحكم إذ أن
كل من هلك من القرون يقول مناص وقال الجرجاني أي
فنادوا حين لا مناص أي ساعة لا منجا ولا فوت فلما قدم لا وأخر حين اقتضى ذلك
الواو كما يقتضي الحال إذا جعل ابتداء وخبرا مثل جاء زيد راكبا ثم تقول جاء زيد
وهو راكب فحين ظرف لقوله فنادوا انتهى وكون أصل هذه الجملة فنادوا
حين لا مناص وأن حين ظرف لقوله فنادوا دعوى أعجمية مخالفة لنظم القرآن
والمعنى على نظمه في غاية الوضوح والجملة في موضع الحال أي فنادوا وهم لات حين
مناص لهم ولما أخبر تعالى عن الكفار أنهم في عزة وشقاق أردفه بما صدر عنهم
من كلماتهم الفاسدة من نسبتهم إليه السحر والكذب ووضع الظاهر موضع المضمر
في قوله وقال الكافرون أي وقالوا تنبيها على الصفة التي أوجبت لهم العجب حتى نسبوا
من جاء بالهدى والتوحيد إلى السحر والكذب أجعل الآلهة إلها واحدا قالوا كيف يكون
الإله واحدا يسع حاجات الجميع وينظر في كل أمورهم وجعل بمعنى صير في القول والدعوى
والزعم وذكر تعجبهم مما لا يتعجب منه والصحيح يعجبوا إلى أي استغربوا مجيء الرسول
من أنفسهم وقرأ الجمهور عجاب وهو بناء مبالغة كرجل طوال وسراع في طويل

وسراع وقرأ علي والسلمي وعيسى وابن مقسم ليشد اللحم وقالوا رجل كرام وطعام
طياب وهو ابلغ من فعال المخفف وقال مقاتل عجاب لغة ازد شنوءة والذي قالوا
اجعل الالهة الها واحدا قال ابن عباس صناديد قريش وهم ستة وعشرون وانطلق
الملأ منهم الظاهر انطلاقهم عن مجلس ابي طالب حين اجتمعوا هم والرسول عنده وشكوه
على ما تقدم في سبب النزول ويكون ثم محذوف تقديره يتحاورون ان امشوا
ويكون ان مفسرة لذلك المحذوف وامشوا امر بالمشي وهو نقل الاقدام عن ذلك
المجلس وقال الزمخشري وان بمعنى اي لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من
ان يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول انتهى والامر
بالمشي اي بعضهم امر بعضا ويحتمل ان يكون امرا للاتباع اي اشياعهم وعوامهم وجوزوا ان تكون ان
مصدرية اي وانطلقوا بقولهم امشوا وقيل الانطلاق هنا الاندفاع
في القول وان مفسرة على هذا والامر بالمشي لا يراد به نقل الخطا انما معناه سيروا
على طريقتكم ودوموا على سيرتكم وقيل امشوا دعاء بكسب الماشية قيل وهو ضعيف
لانه كان يلزم ان تكون الالف مقطوعة لانه انما يقال امشى الرجل اذا صار صاحب
ماشية وايضا فهذا المعنى غير متمكن في الاية وقال الزمخشري وجوزوا انهم قالوا امشوا
اي اكثروا واجتمعوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادها ومنه الماشية للتفاؤل
انتهى وامروا بالصبر على الالهة اي على عبادتها والتمسك بها والاشارة بقوله
ان هذا اي ظهور محمد صلى الله عليه وسلم وعلوه بالنبوة لشيء يراد اي يراد منا
الانقياد اليه او يريده الله ويحكم بامضائه وليس فيه الا الصبر او ان هذا الامر
لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك عنه وان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ
منكم وتغلبوا عليه احتمالات اربعة وقال القفال هذه كلمة تذكر للتهديد والتخويف
المعنى انه ليس غرضه من هذا القول تقرير الدين وانما غرضه ان يستولي
علينا فيحكم في اموالنا واولادنا بما يريد ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة قال ابن عباس
ومجاهد ومحمد بن كعب ومقاتل ملة النصارى لان فيها التثليث ولا توحيد وقال
مجاهد وما ملة العرب قريش ودينها وقال الفراء والزجاج ملة اليهودية والنصرانية
اشركت اليهود بعزير وثلثت النصارى وقيل في الملة الاخرة التي كنا نسمع

انها تكون في آخر الزمان وذلك انه قبل المبعث كان الناس يستشعرون خروج نبي
وحدوث ملة ودين ويدل على ذلك صحة ما روي من اقوال الاحبار وفي الصوامع وما
روي عن الكهان شق وسطيح وغيرهما وما جاءت بنو اسرائيل يعتقدون انه يكون
منهم وفي الملة في موضع الحال من هذا اي ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة اي لم نسمع
من اهل الكتاب ولا الكهان انه يحدث في الملة توحيد الله ما هذا الا اختلاق اي افتعال
وكذب أأنزل عليه الذكر من بيننا انكروا ان يختص بالشرف من بين اشرافهم وينزل
عليه الكتاب من بينهم وهذا الانكار عن حسد عظيم انطوت عليه صدورهم فنطقت به
السنتهم بل هم في شك من ذكري اي القرآن الذي انزلته على رسولي مرتابون فيه والاضراب
بانهم في شك يقتضي كذبهم في قولهم ان هذا الا اختلاق بل لما يذوقوا عذاب اي
لم يذوقوه اذ لو ذاقوه عرفوا ان ما جاء به حق وزال عنهم الشك ام عندهم خزائن رحمة
ربك اي ليسوا متصرفين في خزائن الرحمة فيعطون ما شاؤوا ويمنعون من شاؤوا
ويصطفون للرسالة من ارادوا وانما يملكها ويتصرف فيها العزيز الذي لا يغالب
الوهاب ما شاء لمن يشاء لما استفهم استفهام انكار في قوله ام عندهم خزائن رحمة ربك
وكان ذلك دليلا على انتفاء تصرفهم في خزائن رحمة الله اتى بالانكار والتوبيخ بانتفاء
ما هو اعم فقال ام لهم ملك السموات والارض اي ليس لهم شيء من ذلك فليرتقوا اي
ان لهم شيء من ذلك فليصعدوا في الاسباب الموصلة الى السماء والمعارج التي يتوصل
بها الى تدبير العالم فيضعون الرسالة فيمن اختاروا ثم صغرهم وحقرهم فاخبر بما
يؤول اليه امرهم من الهزيمة والخيبة فقال جند ما هنالك ويجوز ان يكون صفة اريد به
التعظيم على سبيل الهزء بهم والتحقير لان ما الصفة تستعمل على هذين المعنيين وهنا لك
ظرف مكان يشار به للبعيد والظاهر انه يشار به للمكان الذي تفاوضوا فيه
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الكلمات السابقة وهو مكة فيكون ذلك اخبارا
بالغيب عن هزيمتهم بمكة يوم الفتح فالمعنى انهم يصيرون مهزومين بمكة يوم الفتح
وقيل هنالك اشارة الى الارتقاء في الاسباب اي هؤلاء القوم ان راموا ذلك جند مهزوم
في هذه السبيل وقال مجاهد وقتادة الاشارة الى يوم بدر وكان غيبا اعلم الله به
على لسان رسوله وقيل الاشارة الى حفر الخندق بالمدينة وقال الزمخشري

وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم
من قولهم لمن ينتدب لامر ليس من اهله لست هنالك ويحتمل ان يكون متعلقا بمهزوم وجند
خبر مبتدا محذوف اي هم جند ومهزوم خبر ثان قال ابو البقا جند مبتدا وما زايدة وهنالك
نعته ومهزوم الخبر انتهى وفيه بعد لفصله عن الكلام الذي قبله ومعنى من الاحزاب من جملة
احزاب الذين تعصبوا في الباطل وكذبوا الرسل ولما ذكر الله تعالى انه اهلك قبلهم وباد
قريش قرونا كثيرة لما كذبوا رسلهم سرد منهم هنا من لهم تعلق بعرفانه وذو الا
اي صاحب الاوتاد واصله من ثبات البيت المطنب بالاوتاد قال الافوه الاودي

والبيت لا يبتنى الا له عمد ولا عماد اذا لم ترس اوتاد

فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الامر كما قال الاسود في ظل ملك ثابت الاوتاد
قاله الزمخشري واخذه من كلام غيره وقال ابن عباس وقتادة وعطا كانت له اوتاد
وحبال يلعب له عليها وقال السدي كان يقتل الناس بالاوتاد ويسمرهم في الارض بها وقال
الضحاك اراد المباني العظيمة الثابتة وقيل عبارة عن كثرة اخبيته وعظم عساكره وقيل
كانت تسع المعرب بين اربع سوار كل طرف من اطرافه الى سارية مضروب فيه وتد
من حديد ويتركه حتى يموت وروى معناه عن الحسن ومجاهد وقيل كان يمد من يعذبه
اوتادا في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل يشده باربعة اوتاد ثم يرفع
صخرة يلقي عليه فيشدخه وقاله ابن مسعود وابن عباس وقال ابن عباس ايضا
عظمه الاوتاد الجنود يشدون مملكته كما يقوي الوتد الشي وقيل بنى منارا يذبح عليه
الناس قاله ابن جبير اولئك الاحزاب الذين تحزبوا على انبيائهم كما تحزبت قريش على
رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر ان الاشارة باولئك الى اقرب مذكور وهم
قوم نوح ومن عطف عليهم وفيه تفخيم لشانهم واعلام على من تحزب على رسول الله اي
هؤلاء العظماء لما كذبوا عوقبوا فكذلك انتم ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب
موجب عقابهم كذبت قوم نوح نوحا فاغرقوا وقوم هود فاهلكوا بالريح وفرعون
فاغرق وثمود بالصيحة وقوم لوط بالخسف والايكة بعذاب الظلة ومعنى ان كل
ما كل من قوم نوح فمن بعدهم فحق عقاب اي وجب عقابهم فكذلك يحق عليكم ايها المكذبون
بالرسول وقال الزمخشري اولئك الاحزاب قصد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب

الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم اولا
في الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جا بالجملة الاستثنائية فاوضحه فيها بان كل واحد
من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعا وفي تكرير التكذيب
وايضاحه بعد ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية اولا وبالاستثنائية ثانيا وما
في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص انواع من المبالغة المسجلة عليهم
باستحقاق اشد العذاب وابلغه ثم قال فحق عقاب اي فوجب لذلك ان اعاقبهم حق
عقابهم انتهى فواق بضم الفاء وفتحها الزمان الذي ما بين حلبتي الحالب ورضعتي
الراضع وفي الحديث العيادة قدر فواق ناقة واقامة الناقة اوانة اجتمعت الفيقة
في ضرعها فهو مفتوح عن ابي عمرو والسفه اللبن الذي يجتمع بين الحلبتين ويجمع على افواق
وافاويق جمع الجمع وقال ابو عبيدة والفراء من فتح الفواق بالفتح الافا (قه)
والاستراحة القط قال الفرا الحظ والنصيب ومنه قيل للصك القط وقال
ابو عبيدة والكسائي القط الكتاب بالجوائز قال الاعشى

ولا الملك النعمان يوم لقيته بغبطته يعطي القطوط ويافق

ويروى بامته يعطي ويافق يصلح وهو في الكتاب اكثر استعمالا قال امية بن ابي الصلت
ويروى بنعمته   قوم لهم ساحة ارض العراق وما يجبى اليهم بها والقطط والقلم
ويجمع ايضا على قططة وفي القليل اقط واقطاط تسور الحائط والسور ونسمه
والتعم كل اعلاه والسور حائط المدينة وهو غير مهموز الشطط مجاوزة الحد
وتخطي الحق وقال ابو عبيدة شططت علي فلان واشططت جرت في الحكم النسع
وبه معروفه وكسر التا اشهر من الفتح النعجة الانثى من بقر الوحش
ومن الضان ويكنى بها عن المراة قال

هما نعجتان من نعاج تبالة لدى جوذرين او كبعض دمى هكر

وقال ابن عون

انا ابوهن ثلاث هنه رابعة البيت صغراهنه
ونعجتي خمسا توفيهنه الا فتى سمح يغذيهنه

عزه يعزه عزا وفي المثل من عز بز اي من غلب سلب وقال الشاعر

فطأه عزها سوك فبانت حادثه وقد على الجناح

الصافن من الخيل الذي يرفع احدى يديه ويقف على طرف سنبكه وقد يفعل
ذلك برجله وهي علامة الفراهة وانشد الزجاج

الف الصفون فلا يزال كانه مما يقوم على الثلاث كسيرا

وقال ابو عبيدة الصافن الذي يجمع يديه ويسويها واما الذي يقف على طرف السنبك
فهو المتخيم وقال القتبي الصافن الواقف في الخيل وغيرها وفي الحديث من سره ان
يقوم له الناس صفونا فليتبوأ مقعده من النار اي يديمون له القيام حكاه قطرب وانشد
النابغة

لنا قبة مضروبة بفنائها عتاق المهاري والجياد الصوافن

وقيل الخفراء على هذا رايت العرب واشعارهم تدل على انه القيام خاصة جاد الفرس
صار رائع الجري جودة بالضم فهو جواد للذكر والانثى من خيل جياد واجواد واجاويد
وقيل الطوال الاعناق من الجيد وهو العنق اثنى بصفات مراعيها وقيل الجياد جمع جود
كثوب وثياب الرخاء اللينة مشتقة من الرخاوة وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة
ما لها من فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا
داود ذا الايد انه اواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة
كل له اواب وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب وهل اتاك نبأ الخصم اذ
تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا
على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا اخي له تسع
وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك
بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا
واناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وما ينظر اي ينتظر هؤلاء
اشارة الى كفار قريش والاشارة بهؤلاء تهوين لشانهم او الى الذين
ملوها من قوم نوح وما عطف عليه وقال الزمخشري ويجوز ان يكون اشارة الى جميع
الاحزاب لاستحضارهم بالذكر ولانهم كالحضور عند الله انتهى وفيه بعد وهذا اخبار

منه

منه تعالى بصوته الوجود والصيحة ما لهم من فواق واشرف عليه كما يقول صاح فيهم الدهر
وقال قتادة توعدهم بصيحة القيامة والنفخ في الصور وقيل صيحة يهلكون بها في الدنيا
فالقول الاول منه الانتظار من الرسول لشي يعذبهم وعلى هذين القولين ثم يدرج عقوبة
وبحثنا مر خطرها ما ينتظرون منه الا الهلكة وقرا الجمهور من فواق بفتح الفا والسلمي
وابن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي وطلحة بضمها فقيل هما بمعنى واحد كقصاص
الشعر وقصاصه وقال ابن زيد والسدي بالفتح افاقة من افاق واستراح كجواب
من اجاب قال ابن عباس من فواق من ترداد وقال مجاهد من رجوع عجل لنا قطنا
نصيبنا من الجنة لنتمتع به في الدنيا قاله الحسن وقتادة وابن جبير وقال قتادة ومجاهد
نصيبنا من العذاب وقال ابو العالية والكلبي صحفنا باعمالنا وقال السدي المعنى ارنا
منازلنا من الجنة حتى نتبعك وعلى كل قول فانما قالوا ذلك على سبيل الاستخفاف
والاستهزاء ومعنى قبل يوم الحساب اي الذي توعدنا به واقع في العالم اذ هم كانوا لا
يؤمنون بالبعث ولما كانت مقالتهم تقتضي الاستخفاف امر تعالى نبيه بالصبر
على اذاهم ذكر قصصا للانبياء داود وسليمان وايوب وغيرهم وما عرض لهم فصبر واجرى
فرج الله عنهم وصارت عاقبتهم احسن عاقبة فكذلك انت تصبر ويؤول امرك الى
احسن مال وتبلغ ما تريد من اقامة دينك واماتة الضلال وقيل اصبر على ما يقولون
وعظم امر مخالفتهم لك في اعينهم واذكر لهم قصة داود وما عرض له وهو قد اوتي
النبوة والملك فما الظن بكم مع كفركم وعصيانكم انتهى وهو ملتقط من كلام الزمخشري
مع تغيير بعض الالفاظ لما لا يناسب منصب النبوة وقيل امره بالصبر ذكر قصص
الانبياء ليكون برهانا على صحة نبوته وقيل اصبر على ما يقولون وحافظ على ما كلفت
به من مصابرتهم وتحمل اذاهم واذكر داود وكرامته على الله وما عرض له وما لقي
من عتب الله ذا الايد اي ذا القوة في الدين والشرع والصدع بامر الله والطاعة
لله وكان مع ذلك قويا في بدنه والاواب الرجاع الى طاعة الله قاله مجاهد وابن
زيد وقال السدي المسبح ووصفه بانه اواب يدل على ان ذا الايد معناه القوة
في الدين وتقال رجل ايد وذو ايد وذو اداد كل شيء ما يتقوى به والاشراق
وقت الاشراق وقال ثعلب شرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت

وَصوت وفي الحديث انه عليه السلام صلى صلوة الضحى وقال يا ام هانى هذه صلوة الضحى وقال يا ام هانى هذه صلوة الاشراق وفي تفسير الوسيط كانت صلوة بني اسرائيل وتقدم الكلام في تسبيح الجبال في قصة داود في سورة الانبياء واتى بالمضارع لا باسم الفاعل ولالة على حدوث التسبيح شيئا بعد شيء وحالا بعد حال وكان السامع محاضر تلك الجبال يسمعها تسبح ومثله قول الاعشى

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار في يفاع تحرق

اي تحرق شيئا فشيئا ولو قال محرقة لم يدل على هذا المعنى وقرا الجمهور والطير محشورة بنصبها عطفا على الجبال يسبحن عطف مفعول على مفعول وحال على حال كقولك ضربت هندا مجردة ودعدا لابسة وقرا ابن ابي عبلة والجحدري والطير محشورة برفعهما مبتدا وخبرا وجاء محشورة باسم المفعول لانه لم يرد بها تحشر شيئا فشيئا اذ حاشرها هو الله فحشرها جملة واحدة لدل على القدرة والظاهر عود الضمير في له على داود اي كل واحد من الجبال والطير لاجل داود اي لاجل تسبيحه سبح لانها كانت ترجع تسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح وقيل الضمير عائد على الله اي كل من داود والجبال والطير لله اواب اي مسبح مرجع التسبيح وقرا الجمهور او شددنا مخففا اي قوينا كقوله سنشد عضدك باخيك والحسن وابن ابي عبلة بشد الدال وهي عبارة شاملة لما وهبه الله تعالى من قوة وجند ونعمة فالتخصيص ببعض الاشيا لا يظهر وقال السدي قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم يحرسونه وهو انا بعده في الغار وقيل هيبة قذفها الله له في قلوب قومه والحكمة هنا النبوة او الزبور او الفهم في الدين وكل كلام وافق الحق اقوال وفصل الخطاب قال علي والشعبي ايجاب اليمين على المدعى عليه والبينة على المدعي وقال ابن عباس ومجاهد والسدي القضاء بين الناس بالحق واصابته وفهمه وقال الشعبي كلمة اما بعد لانه اول من تكلم بها وفصل بين كلامين قال الزمخشري لانه يفتتح اذا تكلم في الامر الذي له شان بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله اما بعد ويجوز ان يراد الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل ومنه ما جا في صفة كلام رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر ومنه اسمي ولما كان تعالى قد كمل نفسه نبيه داود بالحكمة اردف ذلك بكمال خلقه بالنطق والعيان وفصل الخطاب وهل اتاك نبؤا الخصم لما اثنى تعالى على داود عليه السلام بما اثنى ذكر قصة هذه لعلا ان مثل قصة لا يقدح في الثناء عليه والتعظيم لقدره وان تضمنت استغفاره ربه وليس في الاستغفار ما يشعر بارتكاب امر يستغفر منه وما زال الاستغفار شعار الانبياء المشهود لهم ومجي مثل هذا الاستفهام انما يكون لغرابة ما يجي معه من القصص كقوله وهل اتاك حديث موسى فيهيئ المخاطب بهذا الاستفهام لما ياتي بعده وتعجب لذلك وذكر المفسرون في هذه القصة اشيا لا تناسب مناصب الانبياء ضربنا عن ذكرها صفحا وتكلمنا على الفاظ الاية والنبا الخبر والخصم اصله مصدر فيصلح للمفرد والمذكر وفروعهما وهنا جا للجمع ولذلك قال اذ تسوروا اذ دخلوا كما قال

وهم يعدون الدخول كانهم قوم عبارى كان بهم مصعب

والظاهر انهم كانوا جماعة فلذلك اتى بضمير الجمع فان كان المتحاكمان اثنين فيكون قد معهم غيرهم على جهة المعاضدة او المؤانسة ولا خلاف انهم كانوا ملائكة كذا قال بعضهم وقيل كانا اخوين من بني اسرائيل لاب وام والاول اشهر وقيل الخصم هنا اثنان وتجوز في العبارة فاخبر عنهما اخبار ما زاد على اثنين لان معنى الجمع في التثنية وقيل معنى خصمان فريقان فيكون تسوروا ودخلوا عايدا على الخصم الذي هو جمع الفريقين ويدل على ان خصمان بمعنى فريقان قراءة من قرا بغى بعضهم وقال ________ تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم اي فريقان فاما ان هذا احق ما روي انه بعث اليه ملكان والمعنى ان التحاكم كان بين شخصين ولا يمنع ان يصحبهما غيرهما واطلق على الجميع خصم وعلى الفريقين خصمان لان من جاء متحاكما للمعاضدة فهو في صورة خصم ولا يبعد ان يطلق عليه التسمية والعامل في الظرف وهو اذ اتاك قاله الحوفي ورد بان اتيان النبا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقع الا في عهد داود وقال ابن عطية وابو البقا العامل فيه ما يرد به من قبله اذ النبا الواقع في عهد داود عليه السلام ولا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اردت بالنبا القصة في نفسها لم يكن ناصبا وقيل العامل فيه محذوف تقديره وهل اتاك نبؤ تحاكم الخصم قاله الزمخشري وجوز ان ينتصب

عس
السا

بالخصم لما فيه من معنى الفعل وإذ دخلوا بدل من إذ الأول وقيل منتصب بتسوروا وروي
أن الله تعالى بعث إليه ملكين في صورة انسانين يطلبان أن يدخلا عليه فوجداه في
يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان
قال ابن عباس جزأ زمانه أربعة أجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال
بخواص أموره ويوما يجمع بني إسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاءوه في غير يوم القضاء ففزع
منهم لأنهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه
فخاف أن يؤذوه وقيل كان ذلك ليلا ويحتمل أن يكون فزعه من أجل أن أهل مملكته قد
استهانوا حتى ترك بعضهم الاستئذان فيكون فزعه على فساد السيرة لا من الداخلين
وقال أبو الأحوص فزع منهم لأنهما دخلا عليه وكل منهما آخذ برأس صاحبه وقيل فزع لما
رآهم يتسورون عليه موضعا مرتفعا جدا لا يمكن أن يرتقى إليه إلا بعد أشهر مع أعوان وكثرة
عدد وقيل إنهما قالا إنا لم نتوصل إليك إلا بالتسور لمنع الحجاب وجئنا في أمر مما نفعل
داود عدوهم ولا أرادوا منه الفزع قالوا لا تخف أي لسنا ممن جاء إلا لأجل التحاكم خصمان
يحتمل أن يكون هذا موصولا بقولهم لا تخف بادروا بإخباره ما جاءا إليه ويحتمل أن يكون جواب
سؤالهم ما أمركم فقالوا خصمان أي نحن خصمان بغى أي جار بعضنا على بعض كما قال الشاعر

ولكن الفتى حمل بن بدر بغى والبغي مرتعه وخيم

وقرأ ابن يزيد الجراح عن الكسائي خصمان بكسر الخاء في أمرهم به وسببهم
بعض فطاطه عمل الحكام حمل على ذلك ما هم من التخاصم والتشاجر فلما سمعوا أعدله
من غير ارتياب بأنه يحكم بالحق وقرأ الجمهور ولا تشطط مفكوكا من أشطط رباعيا
وأبو رجاء وابن أبي عبلة وقتادة والحسن وأبو حيوة تشطط من شطط ثلاثيا وقرأ
قتادة أيضا تشطط مدغما من أشط وقرأ زر تشاطط بضم التاء وبالألف على وزن تفاعل
مفكوكا وعن قتادة تشطط من شطط وسواء الصراط وسط طريق الحق لا مثل فيه
من بعيد ولا من هنا إن هذا أخي هو قول المدعي فيها وأخي عطف بيان عند ابن عطية
وبدل أو خبر لإن عند الزمخشري والأخوة هنا مستعارة إذ هما ملكان لكنهما
لما ظهرا في صورة انسانين تكلما بالأخوة ومجازها أنها أخوة في الدين والإيمان وعلى
معنى الصحبة والمرافقة أو على معنى الشركة والخلطة لقوله وإن كثيرا من الخلطاء وكل

واحد

واحد من هذه الأخوات يقتضي منع الاعتداء ويندب إلى العدل وقرأ الجمهور
تسع وتسعون بكسر التاء فيهما وقرأ الحسن وزيد بن علي بفتحها فيهما وقرأ الجمهور
نعجة بفتح النون وهي لغة لبعض بني تميم وقيل وكنى بالنعجة عن المرأة فقال
أكفلنيها أي ردها في كفالتي وقال ابن كيسان اجعلها كفلي أي نصيبي
وقال ابن عطية أعطنيها وعنه وعن ابن مسعود تحول لي عنها وعن أبي العالية
ضمها إلي حتى أكفلها وعزني في الخطاب قال الضحاك إن تكلم كان أفصح مني
وإن حارب كان أبطش مني وقال ابن عطية كان أوجه مني وأقوى فإذا
خاطبته كان كلامه أقوى من كلامي وقوته أقوى من قوتي وقال الزمخشري
جاءني بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أرده به أراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل
أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا أي غالبني في الخطبة فغلبني
حين زوجها دوني وقيل غلبني بسلطانه لأنه لما سأله لم أستطع خلافه قال
الحافظ أبو بكر بن العربي كان ببلادنا أمير فقال له سيري من أبي بكر وكلمته في
أن يسأل لي رجلا حاجة فقال لي أما علمت أن طلب السلطان للحاجة غصب
لها فقلت أما إذا كان عدلا فلا وقرأ أبو حيوة وطلحة وعزني بتخفيف الزاي
قال أبو الفتح حذف الزاي الواحدة تخفيفا كما قال أبو زبيد

أحسن به فهن إليه شوس

وروي كذلك عن عاصم وقرأ عبد الله وأبو وائل ومسروق والضحاك والحسن
وعبيد بن عمير وعازني بألف وتشديد الزاي أي غالبني والظاهر إبقاء لفظ النعجة
على حقيقتها من كونها أنثى الضأن ولا يكنى بها عن المرأة ولا ضرورة تدعو إلى ذلك
لأن ذلك الإخبار كان صادرا من الملائكة على سبيل التصوير للمسألة والفرض لها
من غير تلبس بشيء منها فمثلوا بقصة رجل له نعجة ولخليطه تسعة وتسعون فأراد
صاحب تسع وتسعين أن يطمع في نعجة خليطه فأراد انتزاعها منه وحاجه في ذلك محاجة
حريص على بلوغ مراده ويدل على ذلك قوله وإن كثيرا من الخلطاء وهذا التصوير
أبلغ في المقصود وأدل على المراد قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه
ليس في هذا إشارة إلى أن داود عليه السلام أمر مراع لفظ المدعي ولا فيما نظاهر

كلامه مثل ظلمه وبما تقدم فقيل ذلك على تقدير اي لئن كان ما تقول لقد ظلمك
وقيل ثم محذوف اي فاقر المدعى عليه فقال لقد ظلمك ولكنه لم يحك في القرآن اعتراف
المدعى عليه لانه معلوم من الشرائع كلها انه لا يحكم الحاكم الا بعد اجابة المدعى عليه
فاما ما قاله الحليمي من انه راى في المدعي مخائل الضعفة والهضمة فحمل امره
على انه مظلوم كما يقول فدعاه ذلك الى ان لا يسأل المدعى عليه فاستعجل بقوله
لقد ظلمك فقول ضعيف لا يعول عليه وروي ان داود عليه السلام لما سمع
كلام الشاكي قال للآخر ما تقول فاقر فقال له ليس لك ان ترجع الى الحق الا كسر
الذي فيه عينك وقال الثاني لقد ظلمك متبسما عند ذلك وذهبا ولم يرهما الحفظة
وروي انهما ذهبا نحو السماء اي منه واضاف المصدر الى المفعول وضمن السؤال
معنى الاضافة اي باضافة نعجتك على سبيل السؤال والطلب ولذلك عداه بالى
وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض هو من كلام داود وسلى بذلك اهل
زمانه كان فيه الظلم والاعتداء اكثر من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم
الواحد خليط فقص داود بهذا الكلام الموعظة الحسنة والترغيب في اجتناب
حال الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وان حمل لهم الظلم وان يعطى المظلوم حق
ما جرى عليه من خليطه وان له في اكثر الخلطاء اسوة وقرئ ليبغي بفتح الياء على تقدير
حذف النون الخفيفة واصله ليبغين كما قال

اضرب عنك الهموم طارقها

[illegible] يكون على تقدير قسم محذوف ذلك القسم وجوابه جملتان وعلى قراءة
الجمهور يكون ليبغي جوابا وقرئ ليبغ بحذف الياء كقوله

محمد تفد نفسك كل نفس

يريد لتفد على احد القولين وقليل خبر مقدم وما زائدة تفيد معنى التعظيم والتعجب
وهو مبتدأ وظن داود لما كان الظن الغالب يقارب العلم استعير له ومعناه وعلم
داود وايقن انما فتناه قاله الجمهور واكثر ابن عطية مجيء الظن بمعنى اليقين
وقال لسنا نجده في كلام العرب وانما هو توقيف بمعنى علم احدهما
على الآخر وتوقعه العرب على العلم الذي ليس على الحواس ولا له اليقين التام ولكن

يخلط

يخلط الناس في هذا ويقولون ظن بمعنى ايقن ولو دون ابن عطية في ذلك توقف عليه
في كتابه وقرأ الجمهور فتناه وعمر بن الخطاب وابو رجاء والحسن بخلاف عنه بتشديد
التاء والنون مبالغة والضحاك افتناه كقوله

لئن فتنتني لهي بالامس افتنت

وقتادة وابو عمرو في رواية بخف التاء والنون والالف ضمير الخصمين فاستغفر ربه
وخر راكعا اي ساجدا حال والخرور الهوي الى الارض واما انه عبر بالركوع عن
السجود واما انه ذكر اول احوال الخرور اي راكعا ليسجد وقال الحسين لانه
لا يكون ساجدا حتى يركع وقال الحسين بن الفضل خر من ركوعه اي سجد بعد ان
كان راكعا وقال مقاتل خر لمن ركع وان لم يبلغ الى الارض والذي يذهب
اليه ما دل عليه ظاهر الآية من ان المتسورين المحراب كانوا من الانس دخلوا
عليه من غير المدخل وفي غير وقت جلوسه للحكم وانه فزع منهم ظانا انهم يغتالونه اذ كان
منفردا في محرابه لعبادة ربه فلما اتضح له انهم جاؤوا في حكومة وبرز منهم اثنان للتحاكم
كما قص الله تعالى وان داود عليه السلام ظن دخولهم عليه في ذلك الوقت ومن
تلك الجهة ابتلاء من الله له ان يغتالوه فلم يقع ما كان ظنه فاستغفر من ذلك الظن
حيث اخلف ولم يقع مظنونه وخر ساجدا ورجع الى الله وانه تعالى غفر له ذلك
الظن ولذلك اشار بقوله فغفرنا له ذلك ولم يتقدم سوى قوله وظن داود انما فتناه
ونعلم قطعا ان الانبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا لا يمكن وقوعهم في شيء منها
ضرورة انا لو جوزنا عليهم شيئا من ذلك بطلت الشرائع ولم نثق بشيء مما يذكرون
انه اوحى الله اليهم فما حكى الله تعالى في كتابه يمر على ما اراده تعالى وما حكى القصاص
مما فيه غض من منصب النبوة طرحناه ونحن كما قال الشاعر

ونؤثر حكم العقل في كل شبهة اذا آثر الاخبار جلاس قصاص

يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا
يوم الحساب وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا
فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في

لباب

الارض ام نجعل المتقين كالفجار كتاب انزلناه مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الا
ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد
فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق
مسحا بالسوق والاعناق ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب
قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب فسخرنا
له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب والشياطين كل بناء وغواص واخرين مقرنين
في الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن
ماب   قوله تعالى [illegible] خليفة في الارض يدل على مكانته عليه السلام عنده
واصطفائه ويدفع في صدور من نسب اليه شيئا لا يليق بمنصب النبوة واحتمل
لفظ خليفة ان يكون معناه تخلف من تقدمك من الانبيا في الدعا الى الله تعالى
والرياسة واحتمل ان يكون معناه ان نعل يدرك محعلك ملكا نافذ الحكم ومنه قيل
خلفا الله في ارضه واستدل بعض هذه الاية على احتياج الارض الى خليفة من الله ولا
يلزم ذلك في الاية لزومه من جهة الشرع والاجماع قال ابن عطية ولا يقال خليفة
الله الا لرسوله واما الخلفا فكل واحد خليفة الذي قبله وما يجي في الشعر من تسميته
احدهم خليفة الله فذلك تجوز كما قال قيس الرقيات

خليفة الله في رعيته جفت بذلك الاقلام والكتب

وقالت الصحابة لابي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلك كان يدعى
مدة خلافته فلما ولي عمر قالوا خليفة خليفة رسول الله وطال الامر ورأوا انه في المستقبل
يدعو امير المومنين وقصر هذا الاسم على الخلفا انتهى فاحكم بين الناس بالحق امر بالديمومة
وتنبيه لغيره ممن في امور الناس وان لا تتبع الهوى هو معصوم من اتباعه ودل
نهيه اتباعه وهو اضلاله عن سبيل الله فيضلك جواب للنهي والفاعل في فيضلك
ضمير الهوى او ضمير المصدر المفهوم من ولا تتبع اي فيضلك اتباع الهوى ولما ذكر
ما يترتب على اتباع الهوى وهو الاضلال عن سبيل الله ذكر عقاب الضال وقرا
الجمهور يضلون بفتح اليا لانهم لما اضلهم اتباع الهوى صاروا ضالين وقرا ابن عباس
والحسن بخلاف عنهما وابو حيوة بضم اليا وهذه القراءة اعم لانه لا يضل الا ضال في

نفسه

في نفسه وقرا الجمهور اوضح وبما نسوا متعلق بما يتعلق به لهم وقيل نسوا تركوا ويوم يجوز ان
يكون منصوبا بنسوا او بما تعلق به لهم ويكون النسيان بمعنى عن ضلالهم
عن سبيل الله وانتصب باطلا على انه نعت لمصدر محذوف اي خلقا باطلا او على
الحال اي مبطلين او ذوي باطل او على انه مفعول من اجله ومعنى باطلا عبثا ذلك
اي كون خلقها باطلا ظن الذين كفروا اي مظنونهم وهولا وان كانوا مقرين بان
خالق السموات والارض هو الله تعالى لكنهم من حيث انكروا المعاد والثواب والعقاب
ظانون ان خلق ذلك ليس لحكمة وان خلق ذلك انما هو عبث ولذلك قال تعالى افحسبتم
انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فنبه على المعاد والرجوع الى الجزاء ثم ذكر
ما بين المومن عامل الصالحات والمفسد من التباين وانهما ليسا سواء وما بين
الصالح بالفساد والتقوى بالفجور قال ابن عباس هي عامة في جميع المسلمين والكافرين
وقيل نزلت في قوم من مشركي قريش قالوا لو اخرنا في الاخرة اعظم مما لنا في الدنيا فانزل
الله هذه الاية وقيل في خاصة المومنين والكافرين معينين بارزوا يوم بدر علي وحمزة
وعبيدة بن الحرث رضي الله عنهم وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة وصلته كل
اما منقطعة والاستفهام الذي في الموضعين استفهام انكار والمعنى انه لا يستوي عند
الله من اصلح ومن افسد ولا من اتقى ومن فجر وكيف يكون التسوية بين من
اطاع ومن عصى اذ كان يبطل الجزاء والجزاء لا محالة واقع فالتسوية منتفية ولما
انتفت التسوية بين ما يصلح به لمتبعه السعادة الابدية وهو كتاب الله تعالى
كتاب انزلناه وارتفاعه على اضمار مبتدا اي هذا كتاب وقرا الجمهور مبارك
على الصفة وقرئ مباركا على الحال اللازمة لان البركة لا تفارقه وقرا الجمهور ليدبروا
بالغيبة وشد الدال واصله ليتدبروا وقرا علي بهذا الاصل وقرا ابو جعفر
بتا الخطاب وتخفيف الدال وجا كذلك عن عاصم والكسائي بخلاف عنهما
والاصل لتتدبروا بتاين فحذفت احداهما على الخلاف الذي فيها اهي تا المضارعة
ام التا التي تليها واللام في ليدبروا لام كي واسند التدبر الى الجميع وهو التفكر
في الايات والتامل الذي يفضي بصاحبه الى النظر في عواقب الاشيا واسند
التذكر الى اولي العقول لانه ما يهديه الى الحق وهو عقله فلا يحتاج الا الى ما

يذكره

بمذكور والمخصوص بالمدح محذوف لمعد ونعم العبد هو اي سليمان وقرئ نعم العبد على
الاصل كما قال ه‍ نعم الساعون في القوم الشطر ه‍

اني عليه لكثير رجوعه اليه او لتسبيحه اذ عرض الصافنات بلا اذ قيل اواب وقيل اذكر
على الاصلاح في تاويل هذه الاية قال الجمهور عرضت عليه الالاف من الخيل تركها ابوه له
وقيل الف واحد فاخرجت من بين يديه عشاء فتشاغل بحسنها وجريها ومحبتها عن ذكره
فقال ردوها فطفق يضرب اعناقها وعراقيبها بالسيف لما كانت سبب الذهول
عن ذلك فابدله الله اسرع منها الريح قال قوم منهم الثعلبي كان بالناس مجاعة ولحوم
الخيل لهم حلال فعقرها ليؤكل على سبيل القربة ونحو الهدي عندنا انتهى وفي هذه القصة
الفاظ فيها غض من منصب النبوة كما عنه في الحزبية قوله حب الخير في هذا القول
مراد به الخيل والعرب تسمي الخيل الخير قاله قتادة والسدي وقال الضحاك وابن جبير
الخير هنا المال وانتصب حب الخير قيل على المفعول به لتضمن احببت معنى آثرت قاله
الفراء وقيل منصوب على المصدر التشبيهي اي احببت الخيل حب الخير اي حبا مثل
حب الخير وقيل عدي بعن لتضمنها معنى فعل يتعدى بها اي انبت حب الخير عن
ذكر ربي وجعلت حب الخير مغنيا عن ذكر ربي وذكر ابو الفتح الهمداني في
كتاب التبيان ان احببت معنى لزمت من قوله

ه‍ مثل بعير السوء اذ احبا ه‍

وقالت فرقة احببت سقطت الى الارض ماخوذ من احب البعير اذا اعيا وسقط
قال بعضهم الحب البعير بركه وفلان طال احبابه وقال ابو زيد بعير محب وقد
احب احبابا اذا اصابه مرض او كسر فلا يبرح مكانه حتى يبرا او يموت قال ثعلب
يقال للبعير الحسير محب فالمعنى قعدت بي عن ذكر ربي وحب الخير على هذا مفعول له
من اجله والظاهر ان الضمير في توارت عائد على الصافنات اي دخلت اصطبلها
فهي في الحجاب وقيل حتى توارت في المسابقة بما يحجبها عن النظر وقيل الضمير
للشمس وان لم يجر لها ذكر لدلالة العشي عليها وقالت طائفة عرض على سليمان
الخيل وهو في الصلاة فاشار اليهم اي اني في صلاة فازالوها عنه حتى دخلت في
الاصطبلات فقال هو لما فرغ من صلاته اي احببت حب الخير الذي عند الله

في الآخرة بسبب ذكر ربي كأنه يقول فشغلني ذلك عن رؤية الخيل حتى ادخلت
الاصطبلات ردوها علي فطفق يمسح اعرافها وسوقها محبة لها وقال ابن عباس والزهري وابن كيسان
مسحه بالسوق والاعناق لم يكن بالسيف بل على سبيل التكريم لها ومحبة ورجحه الطبري وقيل
بل غسلها بالماء وقال الثعلبي ان هذا المسح كان وسما في السوق والاعناق بوسم
حبس في سبيل الله وهذا القول هو الذي يناسب مناصب الانبياء لا القول
المنسوب للجمهور فان في قصته ما لا يليق ذكره بالنسبة للانبياء حتى توارت
فانه في العقل يكون مثلها متسلطا ولا يصح [illegible] فاحببت معناه داومت
المحبة وقال الزمخشري فان قلت بم اتصل الضمير في قوله ردوها علي قلت
بمحذوف تقديره قال ردوها علي فاضمر واضمر ما هو جواب له كأن قائلا قال فماذا قال
قال سليمان لانه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا ثم ذكر الزمخشري الفاظا تغض
من النبوة تركته وما ذهب اليه من معنى الاضمار لا احتاج اليه اذ الجملة مندرجة
تحت حكاية القول وهو فقال اني احببت فهو من الجملة وجملة ردوها على محكيات
فقال وطفق من افعال المقاربة للشروع في الفعل وحذف خبرها لدلالة المصدر
عليه اي فطفق يمسح مسحا وقرأ الجمهور مسحا وزيد بن علي مساحا على وزن فعال
والباء في بالسوق زائدة كهي في قوله فامسحوا برؤوسكم وايديكم ومسحت رأسه وبرأسه
بمعنى واحد ومعلم الكلام وعلى ذلك بالماء وقرأ الجمهور بالسوق
بغير همز على وزن فعل وهو جمع ساق على وزن فعل بفتح العين كاسد واسد
وابن كثير بالهمز قال ابو علي وهي ضعيفة لكن وجهها في القياس ان الضمة لما كانت
تلي الواو قدرت انها عليها فهمزت كما يهمزون الواو المضمومة ووجه همز السوق
من السماع ان ابا حية النميري كان يهمز كل واو ساكنة قبلها ضمة وكان ينشد

ه‍ احب المؤقدين الي موسى ه‍

انتهى وليست ضعيفة لان الساق فيه الهمز لغة ووزنه فعل بسكون العين فجاءت
هذه القراءة على هذه اللغة وقرأ ابن محيصن بهمزة بعدها الواو ورواها بكار عن
قنبل وقرأ زيد بن علي بالساق مفردا اكتفى به عن الجمع لامن اللبس ومن غريب
القول ان الضمير في ردوها عائد على الشمس وقد اصطلحوا في هذا الحمل على اقوال

مكانه ذيله سودوا الورق بذكرها ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا نقل
المفسرون في هذه الفتنة والقاء الجسد اقوالا يجب براءة الانبياء منها يوقف عليها في كتبهم
وهي مما لا يحل نقلها واما هي من اوضاع اليهود والزنادقة ولم يبين الله الفتنة ما هي
ولا الجسد الذي القاه على كرسي سليمان واقرب ما قيل فيه ان المراد بالفتنة كونه لم
يستثن في الحديث الذي قال فيه لاطوفن الليلة على سبعين امراة كل واحدة تاتي
بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة
واحدة وجاءت بشق رجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال
ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون والمراد بقوله ولقد فتنا سليمن
والقينا على كرسيه جسدا هو هذا والجسد الملقى هو المولود شق رجل وقال قوم
مرض سليمان مرضا كالاغماء حتى صار على كرسيه جسدا كانه بلا روح ولما
امر تعالى نبيه عليه السلام بالصبر على ما يقول كفار قريش وغيرهم امره بان يذكر
ما ابتلي به ثم تصبر فذكر قصة داود وقصة سليمان وقصة ايوب ليتاسى بهم
وذكر ما لهم عنده تعالى من الزلفى والمكانة فلم يكن ليذكر من يتاسى به ممن نسب
المفسرون اليه ما يعظم ان يتفوه به ويستحيل عقلا وجود بعض ما ذكروه كتمثل
الشيطان بصورة نبي حتى يلتبس امره عند الناس ويعتقدون ان ذلك المتصور
هو النبي ولو امكن وجود هذا لم يوثق بارسال نبي وانما هذه مقالة مسترقة من
زنادقة السوفسطائية نسال الله سلامة ادياننا وعقولنا ثم اناب اي بعد امتحاننا
اياه دوام الانابة والرجوع قال رب اغفر لي هذا اداب الانبياء والصالحين من
طلب المغفرة من الله هضما للنفس واظهارا للذلة والخشوع وطلب الترقي في
المقامات وفي الحديث اني لاستغفر في اليوم والليلة سبعين مرة والاستغفار
مقدمة بين يدي ما يطلب المستغفر بطلب الامر في دينه ويترتب عليه امر
دنياه لقول نوح فيما حكى الله عنه فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا
يرسل السماء عليكم مدرارا الاية والظاهر ان طلب الملك كان بعد هذه المحنة
وذكر المفسرون انه اقام في ملكه عشرين سنة قبل هذا الابتلاء واقام بعدها عشرين
سنة فيمكن انه كان في ملك قبل المحنة ثم سال بعدها ملكا بالوصف الذي بعده

وهو

وهو كونه لا ينبغي لاحد من بعده واختلفوا في هذا القيد فقال عطاء بن ابي رباح
وسال اي من حاجتي لا اسلبه ويصير الى غيري وقال ابن عطية انما قصد بذلك قصدا
جائزا لان للانسان ان يرغب من فضل الله فيما لا يناله احد لا سيما بحسب المكانة
والنبوة وانظر الى قوله لا ينبغي انما هي لفظة محتملة ليست بقطع في انه لا يعطي الله نحو
ذلك الملك لاحد انتهى وقال الزمخشري كان سليمان عليه السلام ناشئا في بيت
الملك والنبوة ووارثا لهما فاراد ان يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب الفه
ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته
قاهرا للمبعوث اليهم وان يكون معجزة حتى يخرق العادات فذلك معنى قوله لا ينبغي
لاحد من بعدي وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله
فلا يحافظ على حدود الله فيه كما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك وقيل ملكا لا اسلبه ولا يقوم فيه غيري مقامي ويجوز ان
يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين وعلم انه لا يضطلع
باعبائه غيره واوجبت الحكمة استيهابه فامره ان يستوهبه اياه فاستوهبه بامر
من الله على الصفة التي علم الله انه لا يضطلع عليها الا هو وحده دون سائر عباده
او اراد ان يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغي لاحد من بعدي ولم يقصد بذلك
الا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال وربما
كان للناس امثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده انتهى ولما بالغ في صفة هذا
الملك الذي طلبه اتى في صفته تعالى باللفظ الدال على المبالغة فقال انك انت
الوهاب اي الكثير الهبات لا يتعاظم عنده هبة ولما طلب الهبة التي اختص بطلبها
وهبه واعطاه ما ذكر تعالى في قوله فسخرنا له الريح وقرا الجمهور بالافراد والحسن
وابو رجاء وابو جعفر الرياح بالجمع ويقوي لفظ ملك سليمان وان كان المفرد يعني
الجمع لكونه اسم جنس تجري يحتمل ان يكون جملة حالية اي جارية وان يكون جملة تفسيرية
لقوله فسخرنا له الريح تجري بامره اي لا يمتنع عليه اذا اراد جريها رخاء قال ابن عباس
والحسن والضحاك مطيعة وقال مجاهد طيبة حيث اصاب اي حيث قصد
واراد حكى الزجاج عن العرب اصاب الصواب فاخطا الجواب اي قصد وعن رؤبة

ان يطلبن من اهل اللغه فصداه ليستا لاه عن هذه الكلمه يخرج اليها فقال ابن حسان
فقال هذه طلبنا ونقال اصاب الله بك خيرا وانشد الثعلبي

اصاب الكلام فلم يستطع فاخطا الجواب لدى المفصل

وقال وهب حيث اصاب اي اراد فيل وحكي ان تكون اصاب ذهبت فنيه هي
المعربه من صاب يصوب اي حيث وجه جنوده وجعلهم يصوبون صوب السحاب
والمطر وقيل اصاب اراد بلغة حمير وقال ابن الا بالعقه هجر والشياطين عطوف
على الريح وكل بنا وغواص بدل واي فيه المبالغه كما قال يعملون له ما يشا من
محاريب وتماثيل الايه وقال النابغه

الا سليمان اذ قال الاله له قم في البريه فاحددها عن الفند

وخيس الجن اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد

والمعطوف على العام ما بعده وكل غواص اي في البحر يستخرجون له الحليه وهو اول
من استخرج الدر واخرين عطف على كل فهو داخل في البدل اذ هو بدل الكل من الكل
بدل التفصيل اي من الجن وهو المردة سخرهم له حتى قرنهم في الاصفاد لكفرهم
وقال النابغه في ذلك

فمن اطاعك فانفعه بطاعته كما اطاعك وادلله على الرشد

ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد

وتقدم تفسير مقرنين في الاصفاد في اواخر سورة ابراهيم عليه السلام واوصاف
ابن ملك سليمان في سورة النمل هذا عطاونا لما اعطاه الله تعالى من الملك الضخم
وتسخير الريح والانس والجن امره بان يمن على من يشاء ويمسك عمن يشاء وكله
على قدر النعم ثم اباح له التصرف فيها بمشيته وهو تعالى قد علم انه لا يصرف الا
بطاعة الله قاله الحسن وغيره وقال قتاده اشار الى ما فعله الجن اي فامنن على من
شئت منهم واطلقه من وثاقه وسرحه من خدمته او امسك امره كما تريد وقال
ابن عباس اشار الى ما وهبه الله من النساء واقدره على ذلك وبغير حساب
في موضع الحال من عطاونا اي هذا عطاونا جاما كثيرا لا يكاد يقدر على حصره او بغير حساب
تكون بغير حساب من تمام فامنن او امسك اي لا حساب عليك في اعطا من شيت

او حرمانا وفي الطلاق لمن شيت من النسا طلق وامسك معه وحكم تعالى بصدقه ما ذكر
في قصة داود وهو قوله وان له عندنا لزلفى وحسن ماب وقرا الجمهور وحسن بالنصب
عطفا على لزلفى وقرا الحسن وابن ابي عبله بالرفع وهو مقال على لزلفى وتبدا بما
وحسن ماب وهو مبتدا الخبر محذوف تقديره وحسن ماب له الضغث
حزمة صغيرة من حشيش او ريحان او قضبان وقيل القبضة الكبيرة من القضبان
ومنه قولهم ضغث على ابالة والابالة الحزمة من الحطب والضغث القبضة عليها من
الحطب اضطرارا ومنه قول الشاعر

واسفل مني نهدة قد ربطتها والقيت ضغثا من خلا متطيب

الحنث فعل ما حلف على تركه او ترك ما حلف على فعله العشا قيل ما سال
تعالى العشا العين والحرج وهي انقضاء البارد المنس البرد وقال
الازهري العاشي البارد والعذاب الاول من النهار الا في صيام
ركوب السفن والدخول فيها والنجم المشرق واذكر عبدنا ايوب اذ نادى
ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا
له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا
تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب
اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين
الاخيار واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار لما امر نبيه بالصبر
وذكر ابتلا داود وسليمان واثنى عليهما ذكر من كان اشد ابتلا منهما واثنى
عليه بالصبر حتى اثنى الله عليه بذلك وايوب عطف بيان او بدل قال الزمخشري
واذ بدل اشتمال منه وقرا الجمهور اني بفتح الهمزة وعيسى بكسرها وجا بضمير المتكلم
حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال انه مسه لانه غايب واسند
المس الى الشيطان قال الزمخشري لما كانت وسوسته اليه وطاعته له فيما وسوس
سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه اليه وقد راعى الادب في
ذلك حيث لم ينسبه الى الله في دعائه مع انه فاعله ولا يقدر عليه الا هو وقيل اراد
ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلا فالتجا الى الله في

ان يكشف ذلك بكشف البلا او بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وذكر في سبب
ما مسه ان رجلا استعانه على ظالم فلم يعنه وقيل كانت مواشيه في ناحية ملك
كافر داهنه ولم يغزه وقيل اعجب بكثرة ماله انتهى ولا يناسب مناصب الانبيا ما ذكر
الزمخشري من ان ايوب كانت منه طاعة للشيطان فيما وسوس به وان ذلك كان
سببا لما مسه الله به من النصب والعذاب ولا ان رجلا استعانه على ظالم فلم يعنه
ولا انه داهن كافرا ولا انه اعجب بكثرة ماله وكذلك ما جوزوا من ان الشيطان
سلطه الله عليه حتى اذهب اهله وماله لا يمكن ان يصح ولا يقدر له على المؤمنين الا
بالقا الوسواس العاشين لغير المعصوم والذي نقول انه تعالى ابتلى ايوب عليه
السلام في جسده واهله وماله على ما روي في الاخبار وروى انس عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان ايوب بقي في محنته ثماني عشرة سنة يتساقط لحمه حتى مله العالم ولم
يصبر عليه الا امراته ولم يبين لنا تعالى السبب المقتضي لمحنته واما نسبة المس
الى الشيطان فسبب ذلك انه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد احدهم فسال
عنه فقيل القى اليه الشيطان ان الله لا يبتلي الانبيا والصالحين فحينئذ قال مسني الشيطان
نزل لشفقته على المؤمنين مس الشيطان ذلك المؤمن حتى ارتد مسيسا لنفسه
لا في الحزن بسبب رجوع ذلك المومن الى الكفر وكان آخر بعد اركض برجلك حتى يغتسل
وتذهب عنه البلا فلا يرتد احد من المؤمنين بسبب طول بلائه وتسويل الشيطان
انه تعالى لا يبتلي الانبيا وقيل اشار بقوله مسني الشيطان الى تعرضه
لامراته وطلبه ان تشرك بالله وكانه تشكى هذا الامر وكان عليه اشد
من مرضه وقرا الجمهور بنصب بضم النون وسكون الصاد وقرا بنصب بضمهما ابن
وثاب وابو جعفر وشيبة وابو عمارة عن حفص والجعفي عن ابي بكر وابو معاذ عن نافع
بفتحتين يعقوب بن علي والحسن والسدي وابن ابي عبلة ويعقوب والجحدري بفتحتين
وابو حيوة ويعقوب في رواية وهبيرة عن حفص بفتح النون وسكون الصاد وقال
الزمخشري النصب والنصب كالرشد والرشد والنصب على اصل المصدر والنصب
تثقيل والمعنى واحد وهو التعب والمشقة والعذاب الالم يريد مرضه وما كان
يقاسي فيه من انواع الوصب وقال ابن عطية ويحتمل ان يشير الى الآفات وذلك كله بمعنى

واحد

واحد معناه المشقة وكثيرا ما يستعمل النصب في مشقة الاعيا وفرق بعض الناس
بين هذه الالفاظ والصواب انها لغات بمعنى من قولهم انصبني الامر ونصبني اذا شق
علي انتهى وقال السدي نصب في الجسد وعذاب في المال وفي الكلام حذف تقديره
فاستجبنا له وقلنا اركض برجلك فركض فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل بارد وشراب
فيه شفاؤك فاغتسل فبرا وهنا ما يدل على هذه المحذوفات معنى الكلام وسياقه
وتقدم الكلام في الركض في سورة الانبيا وعن قتادة والحسن ومقاتل كان ذلك بارض
الجابية من الشام ومعنى هذا مغتسل اي ما يغتسل به وشراب اي ما يشرب منه فباغتساله
برا ظاهره وشربه برا باطنه والظاهر ان المشار اليه كان واحدا وهو العين
الذي نبعت بضربه اغتسل فيها وشرب وقيل نبعت له عينان شرب من احداهما
واغتسل من الاخرى وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل
فيها وباليسرى فنبعت عين باردة فشرب منها وهذا مخالف لظاهر قوله هذا مغتسل بارد
فانه يدل على ماء واحد وعلى امرنا الركض لينبع فنبعت عن ذلك الحجر وقال القتبي المغتسل
الما الذي يغتسل به وقال مقاتل هو الموضع الذي يغتسل فيه وقال الحسن ركض
برجله فنبعت له عين ماء فاغتسل فيها ثم مشى نحوا من اربعين ذراعا ثم ركض برجله
فنبعت له عين فشرب منها وقيل والجمهور على انه ركض ركضتين فنبعت له عينان
اغتسل من واحدة وشرب من الاخرى والجمهور على انه تعالى احيا له من مات من
اهله وعافاه في المرض وجمع عليه من شتت وقيل ورد عليه اولادا [illegible]
الذين هلكوا ولم يرد الذين هلكوا باعيانهم والظاهر ان هذه الهبة كانت في
الدنيا وقيل ذلك وعد ويكون تلك الهبة في الاخرة وقيل وهبه من كان نخاهم وعافاه
من الاسقام وارغد لهم العيش فتناسلوا حتى تضاعف عددهم وصار مثلهم ورحمة وذكرى
مفعولان لهما اي ان الهبة كانت لرحمتنا اياه وليتذكر اولوا الالباب العقول ما يحصل
للصابرين من الخير وما يؤول اليه من الاجر وفي الكلام حذف تقديره وكان حلف
ليضربن امراته مائة ضربة لسبب جرى منها وكانت محسنة له فجعل الله حلها
من يمينه بقوله وخذ بيدك ضغثا قال ابن عباس الضغث عثكال النخل وقال
مجاهد الابل وهو نبت له سوق وقال الضحاك حزمة من الحشيش مختلفة وقال الاخفش

الشجر الرطب واختلفوا في السبب الذي اوجب حلفه ومحصول اقوالهم هو تمثل الشيطان لها
في صورة ناصح او مداو دواء وعرض لها شفاء ايوب على يديه على شرط لا يمكن وقوعه من مؤمن
فذكرت ذلك له فعلم ان الذي عرض لها الشيطان وغضب لعرضها ذلك عليه فحلف
وقيل غير ذلك من الاسباب وهي معارضة فحلل الله يمينه باهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها
اياه ورضاه عنها وقد وقع مثل هذه الرخصة في الاسلام اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمخدج قد خبث بامة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه وقال بذلك بعض اهل
العلم في الايمان وقال ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما اطرافها قائمة
واما اعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب والجمهور على ترك القول به في الحدود وان
الاصل في الايمان لا تقع الا بتمام عدد الضربات ووصف الله تعالى نبيه ايوب بالصبر
وقد قال مسني الضر فدل على ان الشكوى الى الله لا تنافي الوصف بالصبر وقد قال
يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله على ان ايوب عليه السلام طلب الشفاء خيفة على
قومه ان يوسوس اليهم الشيطان انه لو كان نبيا لم يبتل وتالفا لقومه على الطاعة
وبلغ امره في البلاء الى انه لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه قال في مناجاته
الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت
يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان فكشف
الله عنه وقرا ابن عباس وابن كثير واهل مكة عبدنا على الافراد وابراهيم بدل منه
او عطف بيان والجمهور على الجمع وما بعده من الثلاثة بدل او عطف بيان وقرا الجمهور
اولي الايدي بالياء قال ابن عباس ومجاهد اي القوة في طاعة الله وبصر احسانهم في الدين
وبعدهم عند الله على عمل صدق ويعني كالايدي وهو مرتب ما قبله وقيل
النعم التي اسداها الله اليهم من النبوة والمكانة وقيل الايدي الجوارح المتصرفة في الخير والابصار
الثاقبة وقال الزمخشري لما كانت اكثر الاعمال تباشر بالايدي او كان العمال
جزؤها لا ايدي لهم وعلى ذلك ورد قوله عز وعلا اولي الايدي والابصار يريد اولي
الايدي والابصار يريد اولي الاعمال والفكر كان الذين لا يعملون اعمال الآخرة ولا يجاهدون
في الله ولا يفكرون افكار ذوي الديانات ولا يستبصرون في حكم الزمنى الذين لا يقدرون
على اعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من

عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتامل مع كونهم
متمكنين منه انتهى وبنحوه قال ابو عبد الله الرازي اليد آلة لاكثر الاعمال والبصر
آلة لاقوى الادراكات فحسن التعبير عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر والنفس
الناطقة لها قوتان عاملة وعالمة فاولي الايدي والابصار اشارة الى هاتين الحالتين
وقرا عبد الله والحسن وعيسى والاعمش الايد بغير ياء فقيل يراد الايدي وحذفت اليا
اجتزاء بالكسرة عنها ولما كانت ال تعاقب التنوين حذفت الياء معها كما حذفت
مع التنوين وهذا تخريج لا يسوغ لان حذف هذه الياء مع وجود ال ذكره سيبويه
في الضرائر وقيل الايد القوة في طاعة الله والابصار عبارة عن
البصائر الذين يبصرون بها الحقائق وينظرون بنور الله تعالى وقال الزمخشري
وتفسيره بالايد من التأييد قلق غير متمكن انتهى وكانه استقلق لعطف
الابصار عليه ولا يقلق لانه تفسير اولي الايدي والابصار بقوله
يريد اولي الاعمال والفكر وقرئ اولي الايادي جمع الجمع كاوطب واواطب وقرا
ابو جعفر وشيبة والاعرج ونافع وهشام بخالصة بغير تنوين اضيفت الى
ذكرى وقرا باقي السبعة بالتنوين وذكرى بدل من خالصة وقرا الاعمش
وطلحة بخالصتهم واخلصناهم جعلناهم لنا خالصين وخالصة يحتمل وهو الاظهر
ان يكون مصدرا كالعافية فيكون قد حذف منه الفاعل اي اخلصناهم بان
اخلصوا ذكرى الدار ويكون ذكرى مفعولا او بان اخلصنا لهم ذكرى الدار
او يكون الفاعل ذكرى اي بان خلصت لهم ذكرى الدار والدار في كل وجه في
موضع نصب بذكرى وذكرى مصدر والدار دار الاخرة قال بيان المعنى بان
خلصت لهم التذكير بالدار الاخرة ودعاء الناس اليها وحضهم عليها وقال
مجاهد خلصناهم بذكر الدار الاخرة وخوفهم لها والعمل بحسب ذلك وقال ابن زيد
وهبنا لهم افضل ما في الدار الاخرة واخلصناهم به واعطيناهم اياه وقال ابن عطية
ويحتمل ان يريد بالدار دار الدنيا على معنى ذكر الثناء والتعظيم من الناس والحمد الباقي
الذي هو الخلد المجازي فتجيء الاية في معنى قوله لسان صدق وقوله وتركنا عليه
في الآخرين انتهى وقال الزمخشري هذا الاحتمال ولا يفعل وقيل ذكر الدار الثنا الجميل

في الدنيا ولسان الصدق انتهى والباقي بخالصة بالاضافة اي بسبب هذه الخصلة
وناهيك بها من خصلة وبعضهم قراه بخالصتهم وانهم عندنا لمن المصطفين اي المختارين
من بين ابنا جنسهم الاخيار جمع خير وخير كميت وميت واموات وتقدم الكلام
في اليسع في سورة الانعام وذا الكفل في سورة الانبيا وعندنا ظرف معمول لمحذوف
دل عليه المصطفين وان كان بالالف واللام لانهم يتسمحون في الظرف والمجرور ما لا
يتسمحون في غيرهما او على التبيين اعني عندنا ولا يجوز ان تكون عندنا في موضع
الخبر وعني بالعندية المكانة ولمن المصطفين في موضع خبر ان لوجود اللام لا يجوز ان
زيدا امام لمنطلق هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب
متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب
هذا ما توعدون ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد هذا وان للطاغين
لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من
شكله ازواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار قالوا بل انتم لا مرحبا
بكم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا
في النار وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخريا ام زاغت
عنهم الابصار ان ذلك لحق تخاصم اهل النار قل انما انا منذر وما من اله الا الله الواحد
القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار لما امر تعالى بالصبر على
سفاهة قومه وذكر جملة من الانبيا اخبر انه ذكر ما يؤول اليه حال المؤمنين
والكافرين من الجزا ومقر كل الحزبين العزيمين ولما كان ما يذكر نوعا من
انواع التنزيل قال هذا ذكر كانه فصل بين ما قبله وما بعده الا ترى
انه لما ذكر اهل الجنة واعقبه بذكر اهل النار وقال هذا وان للطاغين وقال ابن
عباس هذا ذكر من مضى من الانبيا وقيل هذا ذكر اي شرف تذكرون به
ابد الدهر وقرا الجمهور جنات عدن بالنصب وهو بدل فان كانت عدن علما فبدل
معرفة من نكرة وان كان نكرة فبدل نكرة وقال الزمخشري جنات
عدن معرفة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن وانتصابها على انها عطف
بيان لحسن مآب ومفتحة حال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وفي مفتحة

ضمير

ضمير الجنات والابواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الابواب كقولهم ضرب
زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال انتهى ولا يتعين ان تكون جنات عدن
معرفة بالدليل الذي استدل به وهو قوله جنات عدن التي لاحتمال ان التي
صفة لجنات عدن ولا يتعين ما ذكر اذ يجوز ان تكون التي بدلا من جنات
عدن الا ترى ان الذي والتي وجموعهما تستعمل استعمال الاسما فتلي العوامل ولا
يلزم ان تكون صفة واما انتصابها على انها عطف بيان فلا يجوز لان النحويين
في ذلك على مذهبين احدهما ان ذلك لا يكون الا في المعارف فلا يكون عطف البيان
الا تابعا لمعرفة وهو مذهب البصريين والثاني انه يجوز ان يكون في النكرات
فيكون عطف البيان تابعا لنكرة كما يكون المعرفة منه تابعا لمعرفة وهذا مذهب
الكوفيين وتبعهم الفارسي واما تخالفهما في التنكير والتعريف فلم يذهب اليه احد
سوى هذا المصنف وفيما اجاز ذلك في قوله مقام ابراهيم فاعربه عطف بيان تابعا
لنكرة وهو آيات بينات مقام ابراهيم وقد رددنا عليه ذلك في موضعه في آل عمران
واما قوله وفي مفتحة ضمير الجنات فجمهور النحويين اعربوا الابواب مفعولا لم يسم فاعله
مرفوعا بمفتحة وقال ابو علي مفتحة اذا كان كذلك لم يكن فيه ذكر يعود
على جنات عدن من الحال ان اعربت مفتحة حالا او من النعت ان اعربت نعتا
لجنات عدن فقال في مفتحة ضمير يعود على الجنات حتى يرتبط الحال بصاحبها او
النعت بمنعوته والابواب بدل وقال من اعرب الابواب مفعولا لم يسم فاعله
العائد على الجنات محذوف تقديره الابواب منها والزم ابو علي ان البدل في مثل
هذا لا بد فيه من الضمير اما ملفوظا به او مقدرا واذا كان الكلام محتاجا الى
مقدر واحد كان اولى مما يحتاج الى مقدرين واما الكوفيون فالرابط عندهم
هو ال لقيامه مقام الضمير وكانه قال مفتحة لهم ابوابها واما قوله وهو من بدل
الاشتمال فان عني بقوله وهو قوله اليد والرجل فهو وهم وانما هو بدل بعض
من كل وان عني الابواب فقد يصح لان ابواب الجنة ليست بعضا من الجنات
وانما تشبيه ما قدره من قوله مفتحة هي الابواب بقولهم ضرب زيد اليد والرجل
فوجهه ان الابواب بدل من ذلك الضمير المستكن كما ان اليد والرجل بدل من

من الطاغين الذين تقدم ذكرهم وقال ابو اسحق وتبعه ابن عطية مفتحة نعت لجنات عدن
وقال الحوفي مفتحة حال والعامل فيها محذوف يدل عليه المعنى تقديره يدخلونها
وقرأ زيد بن علي وعبد الله بن رفيع وابو حيوة جنات عدن مفتحة برفع التاء
مبتدأ وخبرا او كلاهما خبر مبتدأ محذوف اي هي جنات عدن هي مفتحة والاتكا
من صفات اهل السعادة يدعون فيها يدل على ان عندهم من يستخدمونه فيما
يستدعونه كقوله ويطوف عليهم ولدان مخلدون ولما كانت الفاكهة تتنوع
وصفها بالكثرة وكثيرها باختلاف انواعها وكثرة كل نوع منها ولما كان
الشراب نوعا واحدا وهو الخمر افرده وعندهم قاصرات الطرف قال قتادة
معناه على ازواجهن اتراب اي اسنانهن على سن واحدة في بني ادم لكونهن
سنا واحدا ذكرهن التراب في وقت واحد والاتراب اسنة في الحجاب والظاهر وقال
ان هذا الوصف بينهن وقيل بين ازواجهن اي اسنانهن كاسنانهم
ابن عباس يريد الادميات وقال صاحب الغنيات وقرأ ابن كثير وابو
عمرو هذا ما يوعدون بيا الغيبة اذ قبله وعندهم وباقي السبعة بالخطاب
على الالتفات والمعنى هذا ما وقع به الوعد ليوم الجزاء ان هذا ما ذكر
للمتقين ما تقدم لرزقنا ما له من نفاد هذا وان للطاغين لشر مآب
قال الزجاج اي الامر هذا وقال ابو علي هذا للمؤمنين قال ابو البقاء هذا مبتدأ
محذوف الخبر او خبر محذوف مبتدأ والطاغين هنا الكفار وقال
الجبائي اصحاب الكبائر كفارا كانوا او لم يكونوا وقال ابن عباس المعنى
الذين طغوا علي وكذبوا رسلي لهم شر مآب اي مرجع ومصير فبئس المهاد
اي هي هذا في موضع رفع مبتدأ خبره حميم وغساق او خبر مبتدأ اي
العذاب هذا وحميم خبر مبتدأ او في موضع نصب على الاشتغال اي ليذوقوا
هذا فليذوقوه وحميم خبر مبتدأ اي هو حميم او مبتدأ محذوف اي منه حميم ومنه
غساق كما قال الشاعر

حتى اذا ما اضاء الصبح في غلس وغودر البقل ملوي ومحصود

اي منه ملوي ومنه محصود وهذا الاعراب معمول لمقوله وقيل هذا

يقول الشاعر

وقيل فليذوقوه الخبر وعلى هذا مذهب الاخفش في اجازته زيدا فاضربه مستدلا

وقائلة خولان فانكح فتاتهم

والغساق عن ابن عباس الزمهرير ايضا وعن عطاء وقتادة وابن زيد ما
يجري من صديد اهل النار وعن كعب عين في جهنم تسيل اليها حمة كل ذي حمة
من حية او عقرب او غيرها فيغمس فيها فيتساقط الجلد واللحم عن العظم وعن السدي
ما يسيل من دموعهم وعن عبد الله القيح يسيل منهم يجمع فيسقونه وقرأ ابن ابي اسحق
وقتادة وابن وثاب وطلحة وحمزة والكسائي وحفص والمفضل وابن سعدان
وهارون عن ابي عمرو بتشديد السين فان كان صفة فيكون مما
حذف موصوفها وان كان اسما فعال قليل في الاسماء جاء منه الجبار والحداد
والعماد ذكر القوم والعقار والجبار وقرأ باقي السبعة بتخفيف السين
وقرأ الجمهور واخر على الافراد فقيل مبتدأ خبره محذوف تقديره ولهم عذاب
اخر وقيل الخبر في الجملة لان قوله ازواج مبتدأ ومن شكله والجملة خبر
واخر وقيل خبره ازواج ومن شكله في موضع الصفة وجاز ان يخبر بالجمع على الواحد
من حيث هو درجات ورتب من العذاب او سمى كل جزء من ذلك الاخر وقال
الزمخشري واخر اي عذاب اخر ومذوق اخر وازواج صفة لاخر لانه يجوز
ان يكون ضروبا او صفة للثلاثة وهي حميم وغساق واخر من شكله اهـ وهو
اعراب اخذه من الفراء وقرأ الحسن ومجاهد والجحدري وابن جبير وعيسى وابو
عمرو واخر على الجمع وهو مبتدأ ومن شكله في موضع الصفة وازواج خبر اي
ومذوقات اخر من شكل هذا المذوق من مثله في الشدة والفظاعة ازواج
اجناس وقرأ مجاهد من شكله بكسر الشين والجمهور بفتحها وهما لغتان بمعنى
المثل والضرب واما بكسر الشين فبمعنى الغنج واما بفتح الشين فعن وقرأ ابن عباس واخر
من شكله فهو الزمهرير ولما قرر للطاغين قوله هذا فوج مقتحم معكم من قول رؤسائهم
بعضهم لبعض والفوج الجمع الكثير مقتحم معكم اي النار وهم الاتباع ثم دعوا عليهم
بقولهم لا مرحبا بهم لان الرئيس اذا راى الخسيس قد قرن معه في العذاب
ساءه ذلك حيث وقع التساوي في العذاب ولم يكن هو السالم من العذاب واتباعه

حو

في العذاب ومرحبا معناه اتيت رحبا وسعة لا ضيقا وهو منصوب بفعل محذوف
يفعل بحب اضماره ولا دعاء لهم بيان للمدعو عليهم وقيل هذا فوج من كلام
الملائكة لخزنة النار وان الدعاء على الفوج والتعليل بقوله انهم صالوا النار
من كلامهم وقيل هذا فوج مقتحم معكم من كلام الملائكة والدعا على الفوج والاتباع
بانهم صالوا النار من كلام الرؤسا المتبوعين قالوا اي الفوج لا مرحبا بكم
رد على الرؤسا ما دعوا به عليهم ثم ذكروا ان ما وقعوا فيه من العذاب
وصلى النار انما هو بالقسم لنا ويسمونه من الكفر فكانكم قدمتم لنا العذاب او
الصلى واذا كان لا مرحبا بهم من كلام الخزنة فلم يجيء الترتيب قالوا بل هو
لا مرحبا بهم بل خطاب الاتباع والرؤسا لتكون المواجهة لمن كانوا لا
يقدرون على مواجهتهم بعنف اشفى لصدورهم حيث تسببوا في كفرهم والمل
للرؤسا فبئس القرار اي النار وهذه المراد والدعا كقوله كلما دخلت امة
لعنت اختها واختلف الاتباع برد الدعا على رؤسائهم ولا مواجهتهم فقولهم انتم
قدمتموه لنا حتى سالوا من الله ان يزيد رؤساهم ضعفا من النار والمعنى من حملنا
على عمل السوء حتى صار جزانا النار فزده عذابا ضعفا كما جاء في قول الاتباع ربنا
آتهم اي اتنا الهم ضعفين من العذاب ربنا هؤلا اضلونا فاتهم عذابا ضعفا
من النار ولما كان الرؤسا ضلالا في انفسهم واضلوا اتباعهم ناسب ان
يدعوا عليهم بان يزدهم ضعفا كما جا فعليه وزره ووزر من عمل بها الى يوم القيامة
فقيل هذا الضعف قالوا للاتباع ومن قدم لنا هو الرؤسا وقال ابن السائب
قالوا ربنا الى اخره قول لجميع اهل النار وقال الضحاك من قدم هو
المتبوع وقيل وقال ابن عباس ابن مسعود الضعف حيات وعقارب وقالوا اي
اشراف الكفار ما لنا لا نرى رجالا وهم مستضعفوا المومنين الذين لا يريدهم
كنا نعدهم في الدنيا من الاشرار اي الاراذل الذين لا خير فيهم ولا يبتغوا على
ديننا كما قالوا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا وروي ان القائلين من كفار
عصر الرسول صلى الله عليه وسلم هم ابو جهل وامية بن خلف واصحاب القليب
والرجال الذين لم يروهم عمار وصهيب وسلمان ومن جرى مجراهم قال مجاهد وغيره قيل

بسالوب

بسالوب بن عمار بن صهيب بن فلان يعدون ضعفا المسلمين فقال لهم اولئك
في الفردوس وقرا النحويون وحمزة اتخذناهم وصلا فقال ابو حاتم والزمخشري وابن
عطية صفة لرجال قال الزمخشري مثل قوله كنا نعدهم من الاشرار وقال ابن الانباري
حال اي قد اتخذناهم وقرا ابو جعفر والاعرج والحسن وقتادة وباقي السبعة بهمزة الاستفهام
لتقرير انفسهم على هذا على جهة التوبيخ لها والاسف اي اتخذناهم سخريا ولم يكونوا كذلك
وقرا عبد الله ومجاهد واصحابه ومجاهد والضحاك وابو جعفر وشيبة والاعرج ونافع
وحمزة والكسائي سخريا بضم السين ومعناها من السخرة والاستخدام وقرا
الحسن وابو رجا وعيسى وابن محيصن وباقي السبعة بكسر السين ومعناها المشهور
من السخر وهو الهزو والسخرية

لو ابا را مسا سالف الاسي بها من علوه لا كذب مها والسحر

وقيل بكسر السين من التسخير ام زاغت عنهم ام اما استفهاما اما مصرحا
مصرح به كقراءة من قرا كذلك او مقدرا لانه لا استفهام وحذفت الهمزة للدلالة عليها لانهم
انما متصلة لمفتتح الهمزة والمعنى اي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام ازدرائهم
وتحقيرهم وان ابصارنا كانت تعلو عنهم وتكون استفهاما على معنى الانكار على
انفسهم للاستسخار والزيغ جميعا وقال الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا
وزاغت عنهم ابصارهم محقرة لهم وان كان اتخذناهم ليس استفهاما فام منقطعة
ويجوز ان تكون منقطعة ايضا مع تقدم الاستفهام مع عدم الاستفهام تكون
كقولك انها لابل ام شاء اي بل اهي شاء وعلى الاستفهام تكون كقولك ازيد
عندك ام عندك عمرو استفهمت عن زيد ثم اضربت عن ذلك واستفهمت عن عمرو
فالتقدير بل ازاغت عنهم الابصار ويجوز ان تكون ام في قوله ام زاغت عنهم الابصار
له معادل بقوله ما لنا لا نرى رجالا لان الاستفهام اولا دل على فقدهم
اياهم وذلك دليل على انهم ليسوا معهم في النار ثم اضربوا عن هذا واستفهموا فقالوا
بل ازاغت عنهم الابصار فهم فيها معنا ولا نراهم او لا على كونهم ليسوا
معهم بحضرة ان يكونوا معهم ولكن ابصارهم لم ترهم ان ذلك اي التخاصم الذي حكيناه
عنهم لحق اي ثابت واقع لا بد ان يجري بينهم وقرا الجمهور تخاصم بالرفع مضافا

الى اهل وقال ابن عطية بدل من الحق وقال الزمخشري بين ما هو فقال هو تخاصم
واجاز هو الحوفي وان يكون خبرا بعد خبر وقرا ابن محيصن تخاصم منونا اهل رفعا بالمصدر
المنون ولا يجوز ذلك الفراء وعن ابن سيرين والسمرقندي وقرا ابن ابي عبلة تخاصم اهل بنصب
الميم وجر اهل قال الزمخشري على انه صفة لذلك لان اسماء الاشارة توصف باسماء
الاجناس وفي كتاب اللوامح ولو نصب تخاصم اهل النار لجاز على البدل من ذلك وقرا
ابن السميفع تخاصم فعلا ماضيا اهل وسمى تعالى تلك المقاولة المخاصمة تخاصما من روسا
الكفار واتباعهم تخاصما لان قولهم لا مرحبا بهم وقول الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم هو من
باب الخصومة فسمى التقاول كله تخاصما لاشتماله عليه قل يا محمد انما انا منذر اي
منذر المشركين عذاب وانه لا اله الا الله لا ند له ولا شريك وهو الواحد القهار لكل
شي وانه مالك العالم علوه وسفله العزيز الذي لا يغالب الغفار لذنوب من امن
واتبع لدينه **قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون** ما كان لي من علم بالملا الاعلى
اذ يختصمون ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا
ابليس استكبر وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
استكبرت ام كنت من العالين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال
فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون
قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك
منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين قل
ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن
نباه بعد حين الضمير في قوله هو نبا يعود على ما اخبر به صلى الله عليه وسلم
من كونه رسولا منذرا داعيا الى الله وانه تعالى هو المتفرد بالالوهية المتصف
بتلك الاوصاف من الوحدانية والقهر وملك العالم وعزته وغفرانه وهو خبر
عظيم لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة وقال ابن عباس النبا العظيم
القران وقال الحسن يوم القيامة وقيل قصص ادم والانباء به من
غير سماع من احد وقال صاحب التحرير سياق الاية وظاهرها انه يريد بقوله قل

هو

هو نبا عظيم ما قصه الله تعالى من تخاصم اهل النار وتقاولهم الاتباع مع السادات لانه
من احوال البعث وقريش كانت تنكر البعث والحساب والعقاب وهم عنه
معرضون وقوله ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون احتجاج على قريش
بان ما جاء به من عند الله لا من قبل نفسه فان من في الارض ما له علم بمن في السما الا
باعلام الله تعالى وعلم المغيبات لا يوصل اليه الا باعلام الله تعالى وعلمه باحوال
اهل النار وانبا خلق ادم لم يكن عن علم بذلك فاخباره بذلك هو باعلام الله
والاستدلال بقصة ادم لانه اول البشر خلقا وبينه وبين الرسول عليه السلام
ازمان متقادمة وقرون سالفة انتهى وفي اخر بعض اختصار احتج لصحة نبوته
بان ما ينبي به عن الملا الاعلى واختصامهم امر لم يكن له به من علم ثم علمه من غير الطريق
الذي يسلكه المتعلمون مثل ذلك مستفادا من الوحي بالملا متعلق بعلم واذ منصوب
به وقال الزمخشري بمحذوف لان المعنى ما كان لي من علم بكلام الملا الاعلى على
وقت اختصامهم واذ قال بدل من اذ يختصمون انتهى والظاهر عود الضمير في يختصمون
على الملا الاعلى وهم الملائكة وابعد من قال انهم قريش واختصام الملائكة في امر ادم
وذريته في جعلهم في الارض وقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها قاله ابن عباس وقال
الحسن قالوا ان يخلق الله خلقا اكرم منه واعلم وقيل في الكفارات وغفر
الذنوب فان العبد اذا عمل حسنة اختلفت الملائكة في قدر ثوابه في ذلك حتى يقضي
الله وانشا الحديث قال له ربه في نومه عليه السلام فيم يختصمون فقلت لا ادري
فقال في الكفارات وفي اسباغ الوضوء في السبرات ونقل الخطا الى الجماعات
وقال الزمخشري كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك وكان المقاول
في الحقيقة هو الملك المتوسط فصح ان التقاول كان بين الملائكة وادم وابليس
وهم الملا الاعلى والمراد بالاختصام التقاول وقيل الملا الاعلى الملائكة واذ يختصمون
الضمير فيه للعرب الكافرين فبعضهم يقول هي بنات الله وبعضهم هي الهة تعبد وغير
ذلك من اقوالهم ان يوحى الي اي ما يوحى الي الا انما انا نذير مبين الا انا انذر اي
لا نذار فحذف اللام ووصل الفعل المفعول الذي لم يسم فاعله ويجوز ان يكون
ضميرا يدل عليه المعنى اي ان يوحى الي هو ما يوحى الي الا الانذار اقيم مقامه

ويجوز ان يكون انما هو المفعول الذي لم يسم فاعله اي ما يوحى الي الا الانذار وقرا
ابو جعفر الا انما بكسر الهمزة اما على الحكاية اي ما يوحى الي الا هذه الجملة كانت
قيل له انت نذير مبين فحكى هو المعنى وهذا كما تقول للانسان انا عالم فيقال
له قلت انك عالم فيحكي المعنى وقال الزمخشري وقرئ انما بالكسر على الحكاية اي الا
هذا القول ان اقول لكم انما انا نذير مبين ولا ادعي شيئا اخر انتهى وفي تخريجه
لعارض ملائمة قال اي الا هذا القول وهو الجملة التي فيها انما انا نذير مبين
ثم قال وهو ان اقول لكم اي نذير المقام مقام الفاعل وهو ان اقول لكم واي وما بعد
في موضع نصب وعلى قوله الا هذا القول يكون في موضع رفع فتعارضا ويعلم ان
تقول يمكن من ان يخصص بهذا اذا كانت الخصومة في سار من يستخلف
في الارض وعلى غير شرح الاقوال يكون مقصودا ما ذكروه لما كانت قريش
خالفوا الرسول عليه السلام بسبب الحسد والكبر ذكر حال ابليس حيث خالف
امر الله بسبب الحسد والكبر وما آل اليه من اللعنة والطرد من رحمة الله ليزدجروا
عن ذلك من فيه شيء منهما وقال الزمخشري فان قلت كيف صح ان يقول
لهم اني خالق بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل قلت وجهه ان
يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر
على الاسم انتهى والبشر هو ادم عليه السلام وذكر هنا انه خلقه من طين وفي
ال عمران خلقه من تراب وفي الحجر من صلصال من حما مسنون وفي الانسان من عجل
ولا منافاة ذكر الاول العنصر وهو التراب ثم ما تلاه وهو الطين ثم ما تلاه
وهو الحما المسنون ثم الاحسن وهو الحما وهو الصلصال واما من عجل ومعنى
فسويته فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة
كلهم اجمعون تقدم الكلام على هذا في الحجر فما استكبر وكان من الكافرين
وفي البقرة ابى واستكبر وكان من الكافرين وفي الاعراف لم يكن من الساجدين
وفي الحجر ابى ان يكون مع الساجدين وفي الاسرا قال ءاسجد لمن خلقت طينا
وفي الكهف كان من الجن ففسق عن امر ربه والاستثناء في جميع هذه الآيات
يدل على انه لم يسجد وتارة اقتصر بالنفي المحض وتارة ذكر اباءه عن السجود وهو

الانفة

الانفة من ذلك تارة نص على ان ذلك الامتناع كان سببه الاستكبار والظاهر
انه وكان من الكافرين اريد به كفر ذلك الوقت وان لم يكن قبله كما قرا وطوعه
على استكبر يقوي ذلك لان الاستكبار عن السجود انما حصل له وقت الامر ويحتمل
ان يكون اخبارا عنه بسبق كفره في الازمنة الماضية في علم الله قال يا ابليس ما
منعك ان تسجد وفي الاعراف ما منعك الا تسجد وذلك ان تسجد هنا على ان لا
تسجد زائدة والمعنى ايضا يدل على ذلك لانه لا يستفهم الا عن المانع من السجود وهو
استفهام تقرير وتوبيخ وما في لما خلقت الظاهر انها بمعنى الذي وهي على احاد
من يعقل واول بان ما مصدرية والمصدر يراد به المخلوق لا حقيقة المصدر
وقرا الجحدري لما بفتح اللام وشد الميم خلقت بيدي على الافراد والجمهور على التثنية
وقرئ بيدي بكسر الياء كقراءة حمزة وقال تعالى مما عملت ايدينا بالجمع وكلها
عبارة عن القدرة والقوة وعبر باليد اذ كان عند البشر معلوما ان البطش
والقوة باليد وذهب القاضي ابو بكر بن الطيب الى ان اليد صفة ذات قال ابن
عطية وهو قول مرغوب عنه وقرا الجمهور استكبرت بهمزة الاستفهام وام متصلة
عادلت الهمزة قال ابن عطية وذهب كثير من النحويين الى ان ام لا تكون معادلة
للالف مع اختلاف الفعلين وانما تكون معادلة اذا دخلتا على فعل واحد كقولك
ازيد قام ام عمرو وقولك ازيدا ضربت ام عمرا فاذا اختلف الفعلان كهذه الاية فليست
معادلة ومعنى الاية احدث لك الاستكبار الان ام كنت قديما ممن لا يليق ان تكلف
مثل هذا لعلو مكانك وهذا على جهة التوبيخ انتهى وهذا الذي ذكر عن كثير
من النحويين مذهب غير صحيح قال سيبويه وتقول اضربت زيدا
ام قتلته فالبدء هاهنا بالفعل احسن لانك انما تسال عن احدهما لا تدري ايهما
كان ولا تسال عن موضع احدهما كانك قلت اي ذلك كان انتهى فعادل بام
الالف مع اختلاف الفعلين وقال الزمخشري من العالين ممن علوت وفقت فاجاب
بانه من العالين حيث قال انا خير منه وقيل استكبرت الان ام لم تزل منذ كنت
من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير انتهى وقرات فرقة منهم ابن كثير وغيره استكبرت
بصلة الالف وهي قراءة اهل مكة وليست في مشهور ابن كثير فاحتمل ان يكون

دله [illegible]

همزة الاستفهام حذفت لدلالة أم عليها كقوله ٦٠ بسبع رمين الجمر أم بثمان ١٠
واحتمل أن تكون إخبارًا جاء به على سبيل التقريع وأم تكون منقطعة والمعنى بل أنت
من العالين عندي فتستكبر استحقاقًا قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين تقدم
الكلام على ذلك في الأعراف قال فاخرج منها إلى قوله إلى يوم الوقت المعلوم تقدم الكلام على
مثل ذلك في الحجر إلا أن هنا لعنتي وهناك اللعنة واللعنة أعم ألا ترى إلى قوله أولئك يلعنهم الله
ويلعنهم اللاعنون وأما بالإضافة فالعموم في اللعنات إنما حصل من جهة أن من عليه لعنة الله
كانت عليه لعنة كل لاعن هذا من جهة المعنى وأما اللفظ فيقتضي التخصيص قال فبعزتك
لأغوينهم أقسم هنا بعزة الله وقال في الأعراف فبما أغويتني لأقعدن وفي الحجر بما أغويتني
لأزينن وتقدم الكلام عليها في موضعها وأن من المفسرين من قال إن الباء في بما أغويتني
وفي بما أغويتني ليست باء القسم فإن كانت باء القسم فيكون ذلك في موطنين أو قسمين
ويدل على أنها أقسام اختلاف متعلق القسم فهنا لأغوينهم وفي الأعراف لأقعدن وفي الحجر
لأزينن وقرأ الجمهور قال فالحق والحق بنصبهما أما الأول فمقسم به حذف منه الحرف كقولك
أمانة الله لأقومن والقسم عليه لأملأن والحق أقول اعتراض بين القسم وجوابه قال الزمخشري
ومعناه ولا أقول إلا الحق انتهى يعني أنه قدم المفعول ليفيد الحصر والحق المقسم
به إما اسمه تعالى الذي في قوله أن الله هو الحق المبين أو الذي نقيض الباطل وقيل فالحق
منصوب على الإغراء أي فالزموا الحق ولأملأن جواب قسم محذوف وقال الفراء هو على معنى
قولك حقًا لا شك ووجود الألف واللام وطرحهما سواء أي لأملأن جهنم حقًا انتهى وهذا
المصدر الجائي مؤكدًا لمضمون الجملة لا يجوز تقدمه عند جمهور النحاة وذلك مخصوص
بالجملة التي جزآها معرفتان جامدان جمودًا محضًا وقال صاحب البسيط وقد
يجوز أن يكون الخبر نكرة قال والمبتدأ يكون ضميرًا نحو هو زيد معروفًا وهو الحق بينًا وأنا الأمير
مفتخرًا ويكون ظاهرًا كقولك زيد أبوك عطوفًا وأخوك زيد معروفًا انتهى وقال صاحب
العرب زيد قائم غير ذي شك فجاءت الحال بعد جملة الخبر نكرة وهي حال مؤكدة لمضمون
الجملة وكان الفراء يشترط هذا الذي ذكر أصحابنا من كون المبتدأ والخبر معرفتين
جامدين لأنه لا فرق بين تأكيد مضمون الجملة الاسمية الإسنادية وبين تأكيد الجملة الفعلية
وقيل التقدير فالحق أي أعلن وقرأ ابن عباس ومجاهد والأعمش بالرفع فالأول

مبتدأ

الحق

مبتدأ خبره محذوف تقديره فالحق أنا وقيل فالحق مني وقيل تقديره فالحق
قسمي وحذف كما حذف في لعمرك لأقومن وفي يمين الله أبرح قاعدًا أي لعمرك قسمي ويمين
الله قسمي وهذه الجملة هي جملة القسم وجوابه لأملأن وأما والحق أقول فمبتدأ أيضًا خبره الجملة
وحذف العائد كقراءة ابن عامر وكل وعد الله الحسنى قاله ابن عطية وأما الأول
مرفوع على الابتداء وخبره في قوله لأملأن لأن المعنى أن أملأ انتهى وهذا ليس بشيء
لأن لأملأن جواب قسم ويجب أن تكون جملة فلا تتقدر بمفرد وأيضًا ليس مصدرًا مقدرًا
بحرف مصدري والفعل حتى ينحل إليهما ولكنه لما صح له إسناد ما جروا إلى المبتدأ
حكم أنه خبر وقرأ الحسن وعيسى وعبد الرحمن بن أبي حماد عن أبي بكر بجرهما وخرج على
أن الأول مجرور بواو القسم محذوفة تقديره فوالحق والحق معطوف عليه كما تقول
والله والله لأقومن وأقول اعتراض بين القسم وجوابه وقال الزمخشري
والحق أقول أي ولا أقول إلا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد
وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع وهو وجه دقيق حسن انتهى وملخصه أنه أعمل القول
في لفظ المقسم على سبيل الحكاية إن نصبًا أو رفعًا أو جرًا وقرأ مجاهد والأعمش بخلاف
عنهما وأبان بن تغلب وطلحة في رواية وحمزة وعاصم بخلاف عن المفضل وخلف والعبسي
برفع فالحق ونصب والحق وتقدم إعرابهما والظاهر أن قوله أجمعين تأكيد للمحدث
عنه والمعطوف عليه وهو ضمير إبليس ومن عطف عليه أي منك وممن تبعك
أجمعين وأجاز الزمخشري أن يكون أجمعين تأكيدًا للضمير الذي في منهم مقدرًا لأملأن
جهنم من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس
بعد وجود الأتباع منهم من أولاد الأنبياء وغيرهم انتهى والضمير في عليه عائد على القرآن
قاله ابن عباس وقيل على الوحي وقيل على الدعاء إلى الله وما أنا من المتكلفين أي المتصنعين
المتحلين بما ليسوا من أهله فانتحل النبوة وأتقول على الله إن هو أي القرآن إلا ذكر
أي من الله للعالمين المكلفين الإنس والجن ولتعلمن نبأه أي عاقبة خبره وما يترتب
عليه لمن آمن به ومن أعرض عنه بعد حين قال ابن عباس وعكرمة وابن زيد يعني يوم
القيامة وقال قتادة والفراء والزجاج بعد الموت وكان الحسن يقول يا ابن آدم عند الموت
يأتيك الخبر اليقين وقيل المعنى ليظهر لكم حقيقة ما أقول بعد حين أي في المستأنف

اذا اذوبكم سيوف المسلمين وذلك يوم بدر اشار الى ذلك المستدرك التستري لكون
الكلف والكي فقال كان العمامة على راسه وتكور ها حولها الغه اعطاه
استدامت عن مجازاه ولا تقال في الجرا حول قال زهير

هنالك ان يستحولوا المال يخولوا

ويروى يستخلوا المال يخلوا وقال ابو النجم

اعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول

هاج الزرع ومن سانه وقيل من الحطام البيان بعد سه
القشعريرة بعض الجلد يقال اقشعر جلده من الخوف ووقف شعره وهو
مثل في شدة الخوف السكاسة سو الخلق وعسر

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب
من الله العزيز الحكيم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله
الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان
الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار لو اراد الله
ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار خلق السموات
والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري
لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانزل
لكم من الانعام ثمانية ازواج يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات
ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون ان تكفروا فان الله غني
عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى
ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور ٥ هـ
السورة مكية وعن ابن عباس الا الله نزل احسن الحديث وقل يا عبادي الذين اسرفوا
وعن مقاتل الا يا عبادي الذين اسرفوا وقوله يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم
للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وعن بعض السلف الا يا عبادي الذين اسرفوا
الى اخر السبع نزلت في وحشي واصحابه ومما يشبهها لاخر السورة قبلها واصح
وعنوان نحو ان هو الا ذكر للعالمين مع اولها تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم قال

الفراء والزجاج تنزيل مبتدا ومن الله الخبر او خبر محذوف اي هذا تنزيل ومن الله
متعلق بتنزيل واقول انه خبر والمبتدا هو ليعود على قوله ان هو الا ذكر
للعالمين كانه قيل وهذا الذكر ما هو فقيل هو تنزيل الكتاب وقال الزمخشري
او غير صلة تعني من الله كقولك هذا الكتاب من فلان الى فلان وهو على
هذا اخص بعد خبر او خبر مبتدا محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله او حال
من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة انتهى ولا يجوز ان يكون حالا عمل فيها معنى
الاشارة لان معاني الافعال لا تعمل اذا كان ما هي فيه محذوفا ولذلك
ردوا على ابي العباس قوله في بيت الفرزدق ٥ واذ ما مثلهم بشر ٥
ان مثلهم منصوب بالخبر المحذوف وهو مقدر واذ ما في الوجود في حال ما ثلهم
بشر والكتاب هنا يظهر انه القران وكرر في قوله انا انزلنا اليك الكتاب على جهة
التفخيم والتعظيم وكونه من جملة الحكمة السابقة ملحوظا فيه استنان الرحمن العظمه
وكرر نفي من انزل اليه بالخطاب وتخصيصه بالحق وقرا ابن ابي عبلة وزيد بن
علي وعيسى تنزيل بالنصب اي اقرا والزم وقال ابن عطية قال المفسرون في
تنزيل الكتاب هو القران ويظهر لي انه اسم عام لجميع ما نزل من عند الله من الكتب
فكانه اخبر اخبارا مجردا ان الكتب الهادية الشارعة انما هي من الله وجعل
هذا الاخبار مقدمة وتوطية لقوله انا انزلنا اليك الكتاب والعزيز في قدرته
الحكيم في ابداعه والكتاب الثاني هو القران لا يحتمل غير ذلك وقال الزمخشري
فان قلت ما المراد بالكتاب قلت الظاهر على الوجه الاول انه القران وعلى
الثاني انه السورة انتهى وبالحق في موضع الحال اي ملتبسا بالحق وهو الصدق
الثابت فيما اودعناه من اثبات التوحيد والنبوة والمعاد والتكاليف فهو اصل
حق ومصدوق تحت امتثاله والعمل به او يكون بالحق بالدليل على انه من عند الله
وهو عجز الفصحاء عن معارضته وقال ابن عطية اي متضمنا الحق فيه وفي احكامه
وفي اخباره او بمعنى الاستحقاق وشمول المنفعة للعالم في هدايتهم ودعوتهم الى الله
انتهى ملخصا ولما امتن الله تعالى على رسوله بانزال الكتاب عليه بالحق كان من الحق
اخلاص العبادة لله امره تعالى بعبادته فقال فاعبد الله وكان هذا الامر يقتضي

عن اقوال الكتاب فالفاء فيه للربط كما تقول احسن المحكم به فاشكره مخلصا له الدين من
الشرك والرياء وسائر ما يفسده وقرأ الجمهور الدين بالنصب وقرأ ابن ابي عبلة بالرفع فاعله
مخلصا والراجع لذي الحال محذوف على راي البصريين اي الدين منك او يكون ال عوضا من الضمير
اي دينك وقال الزمخشري وحقه من رفعه ان يقرأ مخلصا بفتح اللام كقوله تعالى واخلصوا
دينهم لله حتى يطابق قوله الا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد الا ان يصف
الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازي كقولهم شعر شاعر واما من جعل مخلصا حالا
من العابد وله الدين مبتدأ وخبر فقد جاء باعراب رجع به الكلام الى قولك لله الدين الا
لله الدين الخالص انتهى وقد تقدم ما تخرج عليه قراءة مخلصا وقد ربما ان ربط الحال بصاحبها
ومن ذهب الى ان له الدين مستانف فسيأ وحسر القرأ الا لله الدين الخالص اي من كل
شائبة وكدر فهو الذي يجب ان يخلص له الطاعة لاطلاعه على الغيوب والاسرار وخلوص
نعمه على عباده من غير استجرار منفعة منهم قال الحسن الدين الخالص الاسلام وقال
قتادة شهادة ان لا اله الا الله والذين اتخذوا مبتدا والظاهر انهم المشركون واحتمل ان
يكون الخبر قالوا المحذوف المحكي به قولهم ما نعبدهم اي والمشركون المتخذون من دون
الله اولياء قالوا ما نعبد تلك الاولياء الا ليقربونا الى الله زلفى واحتمل ان يكون الخبر ان الله
يحكم بينهم وذلك القول المحذوف في موضع الحال اي قائلين ما نعبدهم واجاز الزمخشري
ان يكون الخبر ان الله يحكم وقالوا المحذوف بدل من الصلة اذ لا يكون له موضع
من الاعراب وكانه من بدل الاشتمال وفي مصحف عبد الله قالوا ما نعبدهم وبه قرأ هو وابن
عباس ومجاهد وابن جبير واجاز الزمخشري ان يكون والذين اتخذوا يعني المتخذين وهم
الملائكة وعيسى واللات والعزى ونحوهم والضمير في اتخذوا عائد على المشركين وان لم يتقدم
لهم ذكر لدلالة سياق الكلام عليهم والعائد على الموصول محذوف تقديره والذين اتخذهم
المشركون اولياء واولياء مفعول وهذا الذي اجاز خلاف الظاهر وهذه المقالة شائعة
في العرب يقال ذلك ناس منهم في الملائكة وناس في الاصنام والاوثان وقال مجاهد وقد
قال ذلك قوم من اليهود في عزير وقوم من النصارى في المسيح ويرى ما تقدم من الثبوت
اسما اعاد هنا ان الله يحكم بينهم اقتصر الزمخشري على مجرد التهديد والظاهر
ان الضمير بينهم عائد على المتخذين والمتخذين والحكم بينهم هو بادخال الملائكة وعيسى عليهم السلام

الجنة

الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة والخشب الذي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها
حيث يجعلهم واياها حطب جهنم واختلافهم ان من عبد كالملائكة وعيسى كانوا
مقرين منهم لا يعبد لهم موحدين لله وقيل الضمير في بينهم عائد على المشركين والمؤمنين
اذ كان المؤمنون ينهونهم عن عبادة الاصنام ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
والحكم اذ ذاك هو في يوم القيامة من الفريقين ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار
في دعواه ان لله شريكا لعبادته مع الله حيث جعل مكان الشكر الكفر والمعنى لا يهدي
من حتم عليه بالموافاة على الكفر فهو عام والمعنى على الخصوص فكم قد هدى من سبق منه
الكذب والكفر قال ابن عطية لا يهديهم الكاذب الكفار في حال كذبه وكفره وقال
الزمخشري المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بان لا لطف لهم وانهم في علم الله
من الهالكين انتهى وهو على طريقة الاعتزال وقرأ انس بن مالك والجحدري والحسن والاعرج
وابن يعمر كذاب كفار وقرأ زيد بن علي كذوب كفور ولما كان من بعضهم دعوى
بعضهم ان الملائكة بنات الله وعبدوها عقبه بقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا اي ولدا
يتبناه ومستحيل ان يكون ذلك في حقه تعالى بالتوالد المعروف لاصطفى اي لاختار
من مخلوقاته ما يشاء وكل على سبيل التبني ولكنه تعالى لم يشاء ذلك لقوله اي لاختار من
مخلوقاته ما يشاء وما سبق ان يتخذ ولدا وهو عام في اتخاذ النسل واتخاذ
الاصطفاء ويدل على ان الاتخاذ هو التبني والاصطفاء قوله مما يخلق اي من التي انشاها
واخترعها ثم نزه تعالى نفسه تنزيها مطلقا فقال سبحانه ووصف نفسه بالوحدانية
وبالقهر وهما الصفتان الدالتان على امتناع الالوهية والقهر لجميع العالم وقال
الزمخشري يعني لو اراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتأت الا ان يصطفي
من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة
فافتتنتم به وغركم اختصاصه اياهم فزعمتم انهم اولاده جهلا منكم وبحقيقته المخالفة لحقائق
الاجسام والاعراض كانه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من
خلقه وهم الملائكة الا انكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم اولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم
فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين مبالغين في الافتراء على الله وملائكته انتهى والذي يدل عليه
تركيب لو وجوابها انه كان من تبني اصطفاء الولد مما يخلق على تقدير امكانه لكنه لم يتخذ

فلا مصطفيه وأما ما ذكره الزمخشري من قول يعني لو اراد اتخذ وقوله بعد كانه قال
لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفا ما يشاء من خلقه وهم الملائكة فليس فيه ومامن
قوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء ولما نزه تعالى نفسه وصف ذاته
بالوحدة والقهر ذكر ما دل على ذلك من اختراع العالم العلوي والسفلي وتكوير الليل والنهار
وتسخير النيرين وجريهما على نظام واحد واتساق امرهما الى ما اراد الى اجل مسمى وهو يوم
القيامة حيث تخرب بنية هذا العالم او لجريهما او الى وقت مغيبهما كل يوم وليلة
او وقت قواهما كل شهر والتكوير تطويل كل منهما على الاخر فكان الاخر صار
عليه جزء منه قال ابن عباس يحمل الليل على النهار وقال الضحاك يدخل الزمان في احدهما
بالنقصان من الاخر وقال ابو عبيدة يدخل هذا على هذا وقال الزمخشري وفيه اوجه
منها ان الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا واذا غشي مكانه فكانما
البسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنها ان كل واحد منهما يغيب الاخر
اذا طرا عليه فشبه في تغييبه اياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه من مطامح الابصار
ومنها ان هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع اكوار العمامة بعضها على
اثر بعض انتهى الا هو العزيز الذي لا يغالب الغفار لمن تاب او الحليم الذي لا يعجل سمى
الحلم غفرانا مجازا او لما ذكر ما دل على وحدانيته وقهره ذكر الانسان وهو الذي كلف
باعبا التكاليف فذكر انه اوجدنا من نفس واحدة وهو ادم عليه السلام وذلك
انجوى على ما روي خلقت من ادم فقد صار خلقنا من نفس واحدة بواسطة حوا وقيل
اخرج ذرية ادم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حوا فعلى هذا خلقنا من ادم بغير
واسطة وجات ثم على هذا القول على وضعها من المهلة في الزمان وعلى القول الاول
نظرا ان خلق حوا كان بعد خلقنا فليس كذلك فثم جا لترتيب الاخبار كانه قيل
ثم كان من امره قبل ذلك ان جعل منها زوجها فليس الترتيب في زمان الجعل وقيل ثم جعل
معطوف على الصفة التي هي واحدة اي من نفس وحدت اي انفردت ثم جعل وقال
الزمخشري فان قلت ما وجه قوله تعالى ثم جعل منها زوجها وما يعطيه من معنى
التراخي قلت هما ايتان من جملة الايات التي عددها الا على وحدانيته وقدرته
تشعيب هذا العالم الكثير من نفس ادم وخلق حوا من قصيراه الا ان احداهما

ايه مستمرة والاخرى لم تجر بها العادة ولم تخلق انثى غير حوا من قصيرى رجل فكانت
ادخل في كونها اية واجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الاية الاولى للدلالة على
مباينتها فضلا ومزيه وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها اية فهو من التراخي في الحال
والمنزلة لا من التراخي في الوجود انتهى واما ثم حيث فيها وجهان فقد تقدم الكلام على
هذا الحرف اول سورة النسا ووصف الانعام بالانزال مجازا اما لان قضاياه
توصف بالنزول من السما حيث كتب في اللوح كل كائن يكون واما لان عيشها بالنبات
والنبات ناشي عن المطر النازل من السما فكانه تعالى انزلها فيكون مثل قول الشاعر
اسنمة الابال في ربابه اي في سحابه وقال صار الثريد في رؤوس العيدان
وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها فعلى هذا يكون انزال الاصول حقيقة والانعام الابل
والبقر والضان والمعز ثمانية ازواج لان من كل منهما ذكرا وانثى والزوج ما كان
معه اخر من جنسه فاذا انفرد فهو فرد ووتر قال تعالى فجعل منه الزوجين الذكر
والانثى قال ابن زيد خلقا من بعد خلق على المضغة والعلقة ونحو ذلك وقرا الزمخشري
فقال حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ
من بعد علق من بعد نطف انتهى وقرا عيسى وطلحة يخلقكم بادغام القاف في الكاف
والظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن ذلكم
اشارة الى المتصف بتلك الافعال والسابقة من خلق السموات والارض وما بعد
ذلك من الافعال فانى تصرفون اي كيف تعدلون عن عبادته الى عبادة غيره
ان تكفروا قال ابن عباس خطاب للكفار الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم وعبادة
ثم المؤمنون وقيل قوله فانى تصرفون وهذا للكفار مجازا ان تكفروا خطابا لهم
فان الله غني عنكم وعن عبادتكم اذ لا يرجع اليه تعالى منفعة بكم ولا بعبادتكم اذ هو
العلي المطلق بالاستغناء ويحتمل ان يكون مخاطبة لجميع الناس لانه تعالى غني عن
جميعهم ولو افتقرا اليه انتهى ولفظ عباده عام وقيل المراد الخصوص وهم الملائكة
ومؤمنوا الانس والجن والرضى بمعنى الارادة فيكون هذا من صفة ذات
وقيل المراد العموم كما دل عليه اللفظ والرضى مغاير للارادة ويعبر به عن الشكر والاثابة
اي لا يشكر لهم دينا ولا يثيبهم به خيرا فالرضى على هذا صفة فعل بمعنى القبول

والاثابة قال ابن عطية وتامل الازهري فان حقيقتها انما هي فيما لم يقع بعد والرضى حقيقة انما هي فيما قد وقع واعتبر هذا في الفاظ القران تجده وان كانت العرب قد تستعمل في اشعارها على جهة التجوز وهذا يدل هذا وقال الزمخشري ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله ما نفاه عن ذاته من الرضى لعباده الكفر فقال هذا من العام الذي اريد به الخاص وما اراد الا عباده الذين عناهم في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان يريد المعصومين كقوله عينا يشرب بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون انتهى فسمى عبد الله بن عباس ترجمان القران واعلام اهل السنة بعض الغواة واطلق عليهم اسم الظالمين وذلك من سفهه وجراءته كاملة في العقيدة التي ذكرت فيهما ما نقدر عليه

۴۰ ۴۰ ۴۰

ولنستعلم اعلام الاية صلة ولا شيئا اذ الحق المصاقفة

وان تشكروا يرضه لكم قال ابن عباس فيما عنه لكم وكان من ثواب الشكر وقيل يقبله منكم قال صاحب التحرير سوق الكلام يدل على ان معنى الشكر هو مقابل الكفر لا الكفر والله تعالى قد سمى الاعمال الصالحة والطاعات شكرا في قوله اعملوا آل داود شكرا انتهى وتقدم الكلام على هذه الاية في نبيا وقرا النحويان وابن كثير يرضه بوصل ضمة الهاء بواو وابن عامر وحفص بضمة فقط وابو بكر بسكون الهاء قال ابو حاتم وهو غلط لا يجوز انتهى وليس بغلط بل ذلك لغة لبني كلاب وبني عقيل ولا تزر وازرة وزر اخرى الى بذات الصدور وتقدم الكلام عليه واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت لان اكون اول المسلمين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عبادي فاتقون

الظاهر

الظاهر ان الانسان هنا جنس الكافر وقيل يعني عتبة بن ربيعة ويدخل في الضر جميع المكاره في جسم او اهل او مال دعا ربه استجار به وناداه ولم يؤمل في كشف الضر سواه منيبا اليه اي راجعا اليه وحده في ازالة ذلك ثم اذا خوله اناله واعطاه بعد كشف ذلك الضر عنه وحقيقة خوله ان يكون من قولهم هو خائل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام عليه او من خال يخول اذا اختال وافتخر وتقول العرب ان الغني طويل الذيل مياس نسي ما كان يدعوا الظاهر ان ما بمعنى الذي اي نسي الضر الذي كانوا يدعوا الى الله الى كشفه وقيل ما بمعنى من اي نسي ربه الذي كان يتضرع اليه ويبتهل في كشف ضره وقيل ما مصدرية اي نسي كونه يدعوا وقيل تم الكلام عند قوله نسي اي نسي ما كان فيه من الضر وما نافية نفي ان يكون دعا فهذا الكافر حاله انه مقصود انه قيل اي من قبل الضر وعلى الاقوال السابقة من قبل تخويل النعمة وقيل من باب الضر وجعل لله اندادا اي امثالا يضاد بعضها بعضا ويعارض قال قتادة اي من الرجال يطيعونهم في المعصية وقال غيره اوثانا وتقدم من يحكي عنهم حتى مسهم الضر دعوا الله ولم يلجوا في كشفه الا اليه وحين كشف ذلك وخوله النعمة اشركوا به فالله هو العلة وقيل لام العاقبة وقرأ الجمهور ليضل بضم الياء اي ما اتى مستلة له نفسه حتى جعل غيره يضل وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعيسى بفتحها اي يضل الامر فقال تمتع بكفرك قليلا به واصنع ما شئت قليلا اي عمرا قليلا والخطاب للكافر جاعل الانداد لله انك من اصحاب النار اي من سكانها المخلدين فيها وقال الزمخشري وقوله تمتع بكفرك من باب التخلية والخذلان كانه قيل له اذ قد ابيت قبول ما امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك الا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته وشانه لانه لا مبالغة في الخذلان اشد من ان يبعث على عكس ما امر به ونظيره في المعنى متاع قليل ثم ماواهم جهنم انتهى ولما شرح ذلك شيئا من احوال الضالين المشركين اردفه بشرح احوال المهتدين المحقين فقال امن هو قانت وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والاعمش وعيسى وشيبة والحسن في رواية امن بتخفيف الميم والظاهر ان الهمزة لاستفهام التقرير ومقابله محذوف لفهم المعنى والتقدير اهذا القانت خير ام الكافر المخاطب بقوله قل تمتع بكفرك ويدل عليه

قوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ومن حذف المعادل قول الشاعر

دعاني إليها القلب إني لأمرها سميع فما أدري أرشد طلابها

تقديره أم غي وقال الفراء الهمزة للنداء كأنه قيل يا من هو قانت ويكون قوله قل
خطابا له وهذا القول أجنبي عما قبله وما بعده وضعف هذا القول أبو علي الفارسي
ولا التفات لتضعيف الأخفش وأبي حاتم هذه القراءة وقرأ باقي السبعة والحسن
وشيبة والأعرج وأبو جعفر أمن بتشديد الميم وهي أم أدغمت ميمها في ميم من
فاحتملت أم أن تكون متصلة ومعادلها محذوف تقديره أهذا الكافر خير أم من
هو قانت قال معناه الأخفش ويحتاج مثل هذا التقدير إلى سماع العرب
ونقوا أن يحذف المعادل الأول واحتملت أن تكون منقطعة تقدر ببل والهمزة والتقدير
بل أمن هو قانت صفته كغيره ليس كذلك وقال النحاس أم بمعنى بل ومن
بمعنى الذي والتقدير بل الذي هو قانت أفضل ممن ذكر قبله انتهى ولا فضل لمن قبله
حتى يجعل هذا أفضل بل تقدير الخبر من أصحاب الجنة يدل عليه مقابله إنك من أصحاب
النار والقانت المطيع قاله ابن عباس وتقدم الكلام في القنوت في البقرة وقرأ الجمهور
ساجدا وقائما بالنصب على الحال والضحاك برفعهما إما على النعت لقانت وإما أنه
خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين يحذر الآخرة أي عذاب الآخرة ويرجوا
رحمة ربه أي حصولها وقيل نعيم الآخرة وهو المتصف بالقنوت إلى سائر
الأوصاف وقيل معناه في عمار وصهيب وابن مسعود وأبو ذر وقال ابن عمر عثمان
وقال ابن عباس رضي الله عنه الضحاك أبو بكر وعمر وقال يحيى بن سلام رسول الله صلى
الله عليه وسلم والظاهر أنه من اتصف بهذه الأوصاف من غير تعيين وفي الآية
دليل على فضل قيام الليل وأنه أرجح من قيام النهار ولما ذكر العمل ذكر العلم فقال هل
يستوي الذين يعلمون نزل على أن كمال الإنسان محصور في هذين المقصودين
فكما لا يستوي هذان كذلك لا يستوي المطيع والعاصي والمراد بالعلم هنا ما أدى
إلى معرفة الله ونجاة العبد من سخطه وقرئ يذكر بإدغام ما سيذكر في الذال قل
يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم روي أنها نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حين
عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة ووعدهم تعالى فقال للذين أحسنوا في هذه الدنيا

حسنة

حسنة أي حسنة عظيمة وهي الجنة قاله مقاتل والصفة محذوفة يدل عليها المعنى
لأن من أحسن في الدنيا موعود أن يكون له في الآخرة مطلق حسنة وقال
الزمخشري في هذه من باب حسنة أي ولو تأخر لكان صفة أي الذين أحسنوا
لهم حسنة كائنة في الدنيا فلما تقدم انتصب على الحال والحسنة التي لهم في
الدنيا هي العافية والظهور وولاية الله تعالى ثم حض على الهجرة فقال وأرض
الله واسعة كقوله ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها أي لا عذر للمفرطين البتة
حتى إن اعتلوا بأوطانهم وأنهم لا يتمكنون فيها من إعمال الطاعات فقيل لهم إن بلاد الله
كثيرة وواسعة فتحولوا إلى الأماكن التي يمكنكم فيها الطاعات وقال عطاء وأرض
الله المدينة للهجرة بل يعقل هذا أن يكون أحسنوا هاجروا وحسنة راحة من الأعداء
وقالت فرقة أرض الله هنا الجنة قاله ابن عطية وهذا القول تحكم لا دليل عليه
انتهى وقال أبو مسلم لا يبعد ذلك لأنه تعالى أمر المؤمنين بالتقوى ثم بين أنه من اتقى
له في الآخرة الحسنة وهي الخلود في الجنة ثم بين أن أرض الله واسعة كقوله وأورثنا
الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقوله وجنة عرضها السموات والأرض أعدت
للمتقين ولما كانت رتبة الإحسان أعلى المراتب كما جاء الإحسان أن تعبد
الله كأنك تراه وكان الصبر على ذلك من أشق الأشياء وخصوصا من فارق
وطنه وعشيرته وصبر على بلاد الغربة ذكر أن الصابرين يوفون أجورهم بغير
حساب أي لا يحاسبون في الآخرة كما يحاسب غيرهم أو يوفون ما لا يحصى حسابه
من الكثرة قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين أمره تعالى أن يصدع الكفار
بما أمر به من عبادة الله مخلصا من الشوائب وأمرت أي أمرت بما أمرت لأن أكون أول
من أسلم أي انقاد لله ويعني من أهل عصره أو من قومه لأنه أول من خالف عباد
الأصنام أو أول من دعوتهم إلى الإسلام إسلاما أو أول من دعا نفسه إلى ما دعا
الله غيره لأكون مقتدى بي قولا وفعلا لا كالملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون
أو أن أفعل ما أستحق به الأولية من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب
قال الزمخشري فإن قلت كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد قلت
ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك أن الأمر بالإخلاص وتكليفه شيء والأمر به ليحرز

فصب المسوغ الدين بنى واذا اطلقت وجها الشي ومعناه يترك ذلك منزله
ستر محلفين ولكان بحمل اللام مزيدة مثلها في اردت لان افعل ولا يراد
الا مع ان خاصة دون الاسم الصريح كانها زيدت عوضا من ترك الاصل الى ما يقوم
مقامه كما عوض السين في اسطاع عوضا من ترك الاصل الذي هو اطوع والدليل
على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله وامرت ان اكون من المسلمين وامرت
ان اكون من المؤمنين امرت ان اكون اول من اسلم انتهى ويحتمل في ان اكون
في هذه المواضع اصله لان اكون فحذفت اللام والمامور به محذوف
وهو المصرح به قبلها اي امرت ان اعبد الله بلا اني اخاف ان عصيت ربي عذاب
يوم عظيم تقدم الكلام على هذه الجملة مقول القول في سورة يونس قل الله اعبد
اولا ان يخبر بانه امر بعبادة الله امرا بها بانه لعبد الله وحده وتقدم الجلالة
دال على الاختصاص ممن يعبد وعند الزمخشري يدل على الاختصاص قال ولدلالته
على ذلك تقدم المعبود على فعل العبادة واخره في الاول فالكلام اولا واقع في
الفعل نفسه وايجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله
فاعبدوا ما شئتم من دونه والمراد بهذا الامر الوارد على وجه المبالغة في الخذلان
والتخلية انتهى قال غيره فاعبدوا ما شئتم صيغة امر على جهة التهديد كقوله
قل تمتع بكفرك قل ان الخاسرين اي حقيقة الخسران الذين خسروا انفسهم الذين خسروا
انفسهم حيث صاروا من اهل النار واهليهم الذين كانوا معهم في الدنيا حيث كانوا
معهم في النار فلم ينتفعوا بهم بشيء وان كانوا اهل الجنة فقد استوا الخسران لانهم
كونهم لا يجتمعون ثم لا يرجعون اليهم ابدا وقال فان كان الله قد اعد لهم اهلا
في الجنة فخسروهم وقاله ميمون بن مهران وقال الحسن هن الحور العين
ثم ذكر الخسران وبالغ فيه بالتنبيه عليه اولا والاشارة اليه وتاكيده
بالفصل وتعريفه بال ووصفه بانه المبين اي الواضح لمن يتامله ادنى تامل لما
ذكر خسرانهم انفسهم واهليهم ذكر حالهم في جهنم وانه من فوقهم ظلل ومن تحتهم
ظلل فيظهر ان النار تغشاهم من فوقهم ومن تحتهم وسمي ما تحتهم ظللا لمقابلة
ما فوقهم كما قال يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال لهم من

جهنم

جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقيل هي ظلل الذين هم تحتهم اذ النار طباق وقيل ان ما
تحتهم يلتهب ويتصاعد منه شيء حتى يكون ظلة فسمي ظلة باعتبار ما ال اليه اخرا
ذلك اي ذلك العذاب يخوف الله به عباده ليتقوا ما يخلصهم منه يا عباد فاتقون وامرهم
فقال يا عباد فاتقون اي ايقنوا عذابي **والذين اجتنبوا الطاغوت** ان يعبدوها
وانابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب افمن حق عليه كلمة العذاب افانت
تنقذ من في النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من
تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه
ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما
ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور
من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين قال
ابن زيد نزلت والذين اجتنبوا الطاغوت في زيد وابن نفيل وسلمان وابي ذر
وقال ابن اسحق والاشارة بها الى عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وسعيد
ابن زيد والزبير وذلك انه لما اسلم ابو بكر سمعوا ذلك فجاؤوه وقالوا اسلمت
قال نعم وذكرهم بالله فامنوا اجمعهم فنزلت فيهم وهي محكمة في الناس الى يوم القيامة
والطاغوت تقدم الكلام عليها في البقرة وقرا الحسن الطواغيت جمعا ان يعبدوها
اي عبادتها وهو بدل اشتمال لهم البشرى اي من الله تعالى بالثواب فبشر عباد
المجتنبين الطاغوت المنيبين الى الله وضع الظاهر موضع المضمر ليدل على انهم
هم ولتترتب على الظاهر الوصف وهو الذين يستمعون القول وهو عام في جميع
الاقوال فيتبعون احسنه ما عليهم واحسن القول القران وما يرجع اليه وقيل
القول القران واحسنه ما فيه من عفو واحتمال ونحو ذلك وقال
فيان احسن القول طاعة الله وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم فيستمع
الحديث في مجلس ومسامرة فيحدث باحسن ما سمع ويكف عن ما سواه والذين وصف
لعباد وقيل الوقف على عباد والذين مبتدا خبره اولئك وما بعده افمن حق
عليه كلمة العذاب قيل نزلت في ابي جهل اي يتعذر عليه الوعيد بالعذاب والظاهر

هم

افجاجله مستقبله ومن موصوله مبتدا والخبر محذوف وفعل تقديره تاسف عليه وتسلم تتخلص منه وقدر الزمخشري بين الهمزة والفا جملة حتى تقع الهمزة في مكانها فصل التقدير انت مالك امرهم فمن حق عليه كلمة العذاب وتقول العرب فيه قيا عليا والذي يقوله النحاة ان الفا للعطف وموضعها التقديم على الهمزة لكن الهمزة لما كانت لها صدر الكلام تقدمت الاصل عندهم فامن حق عليه وعلى القول فجاجله مستقبله تكون قوله افانت تنقذ من في النار استفهام توقيف وقدم الضمير استعارا بانك لست تقدر ان تنقذ من النار بل تقدر على ذلك الا الله وذهب فرقة منهم الحوفي والزمخشري الى ان من شرطيه وجواب الشرط افانت فالفا فا الجواب دخلت على جملة الجزا واعيدت الهمزة لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد ووضع من في النار وهو ظاهر موضع المضمر اذا كان الاصل تنقذه واما ظهر تشهيرا بحالهم والمقام الخشية مثار لهم قال الحوفي وجئ بالف الاستفهام لما طال الكلام توكيدا ولولا طوله لم يجز الاتيان بها لانه لا يصلح في العربية ان يأتي بالف الاستفهام في الاسم والف اخرى في الجزاء ومعنى الكلام افانت تنقذه انتهى وعلى هذا القول تكون قد اجتمع استفهام على قول الجماعة ان الهمزة قرئت من باحسن بحرى الخلاف الذي بين سيبويه ويونس فهل الجملة الاخيرة هي المستفهم عنها او هي جواب الشرط وعلى تقدير الزمخشري لا يدخل الهمزة على اسم الشرط فهل يجمع استفهام وشرط ان الاستفهام عنده دخل على الجملة المحذوفة عنده وهو انت مالك امرهم ومن معطوف على تلك الجملة المحذوفة عطف جملة الشرط على جملة الاستفهام وترك التنبيه فالغرض وقوع في الدنيا منزلة دخولهم النار بقول اجتهاد الرسول عليه السلام في دعائهم الى الايمان منزلة انقاذهم من النار ولما ذكر حال الكفار من النار وان الخاسرين هم ظلل ذكر حال المؤمنين وما يشاكل لهم اذ هو واقع بين الكافرين والمؤمنين فقال لكن الذين اتقوا اتى ذلك على التقوى لهم غرف من فوقها غرف مبنية اي منازل التي تحت على الارض والصيغ من تحتها عائد على الجمع اي من تحت الغرف السفلى والغرف العليا الانهار من اعلاها واسفلها واسم وعد الله على المصدر المؤكد المضمون الجملة قبله اذ تضمنت الوعد الا من خطاب

ويوقف

ويوقف للسامع على ما يعتبر به من افعال الله الداله على فنا الدنيا واضمحلالها سلكه ينابيع اي ادخله مسالك وعيونا والظاهر ان ماء العيون هو من ماء المطر يحبسه الارض فيخرج شيئا فشيئا ثم يخرج به زرعا ذكره منته تعالى علينا بما تقوم به معيشتنا مختلفا الوانه من احمر واصفر واخضر وابيض وسهل لفظ الزرع جميع ما يزرع من نبات وغيره مختلفا اضافه من بر وشعير وسمسم وغير ذلك ثم يهيج يقارب التمام ثم يراه مصفرا اي زالت خضرته ونضارته وتراه تشرع بحمله بالتقصف في اللام قال صاحب الكامل وهو ضعيف انتهى ان في ذلك اي فيما ذكر من انزال المطر واخراج الزرع به وسلكه به الى حالة الحطام لذكرى اي لتذكرا وتنبيها على حكمه فاعله وقدرته افمن شرح الله صدره للاسلام نزلت في حمزة ومن مبتدأ وخبره محذوف يدل عليه فويل للقاسية قلوبهم تقديره كالقاسي المعرض عن الاسلام وابو لهب وابنه كانا من القاسية قلوبهم وشرح الصدر استعارة عن قبوله للايمان والخير والنور والهداية وفي الحديث انشراح الصدور قال اذا دخل النور القلب وانفسح فقيل وما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل الموت فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي من اجل ذكره اذا ذكر الله عندهم قست قلوبهم وقال مالك ابن دينار ما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة القلب او لئك اي القاسية قلوبهم في ضلال مبين اي في حين واضحة لا تخفى على من تأملها الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فاذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل لعلهم يتذكرون قرانا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون عن ابن عباس

الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها

ان قوما من الصحابة قالوا يا رسول الله حدثنا باحاديث حسان وباخبار الدهر فنزل الله نزل

الله احسن الحديث وعن ابن مسعود ان الصحابة ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفي الاتيان

باسم الله وإسناد نزل اليه تفخيم مستفاد عليه فيه تفخيم للمنزل ورفع منه كما تقول الملك

اكرم فلانا فهو ابلغ من اكرم الملك فلانا وكلمه ذلك للمراد بالاستشهاد في ...بكونه مسندا

اليه وتعظيم من شأن القرآن كقوله الله يصطفي من الملائكة رسلا وكتابا بدل من احسن

الحديث قال الزمخشري ويحتمل ان يكون حالا منه اي وكانه مباعدا في

احسن الحديث معرفة فيه خلاف فقيل اما فيه محضة وقيل غير محضة ومتشابها

مطلوب تشابه بعضه بعضا في ... متشابهة لا تناقض فيها ولا تعارض والفاظه

في غاية الفصاحة والبلاغة والتناسب بحيث اعجزت الفصحاء البلغاء وقرأ الجمهور

مثاني بفتح الياء وهشام لابن عامر وأبو بشر بسكون الياء في كل الاحوال الا انكساء

ما قبلها استثقالا للحركة عليها ومثاني ظاهره انه جمع مثنى ومعناه موضع تثنية القصص

والاحكام في العقائد والوعد والوعيد وقيل يثنى في الصلوة فلا يمل وقال الزمخشري

يكون ان يكون جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة اي ووصف المفرد

بالجمع لانه فيه تفاصيل الشيء جملته الا ترى انك تقول القرآن سور وآيات وكذلك

تقول الحكاية مواعظ مكررات واصله كتابا متشابها فصولا مثاني حذفت الموصوف

واقيمت صفته مقامه واجاز الزمخشري ان يكون من باب برمة اعشار وثوب اخلاق

وان يكون تمييزا عن متشابها فيكون منقولا من الفاعل اي متشابها مثانيه اي ... تقشعر

عن سماع الوعظ والتضحية والظاهر حمل القشعريرة على الحقيقة اذ هو موجود على الخشية

محسوس يدركه الانسان من نفسه وهو حاصل من التأثر القلبي و... هو يسل

يعقب فيها جلودهم اذا ذكروا الله ورحمته لا تستحلودهم ... ذلك القشعريرة

عن بعضه وقلوبهم راجعة عن خشيته ولذلك بعداه بالي وكان في ذكر القلوب

للقيام النسبة مقام التشبيه فلا ذكر الليل ذكرها وفي ذكر اللين دليل على المحذوف

الذي هو رحمة الله كما كان في قوله اذا ذكر الله وجلت قلوبهم دليل بقوله وجلت

على ذكر المحذوف اي اذا ذكر عبد الله وبطشه وقال للعباس بن عبد المطلب قال النبي

عليه السلام من اقشعر جلده من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن اليابسة

ورقها وقال ابن عمر وقد رأى ساقطا عند سماع القرآن فقال انا لنخشى الله

وما نسقط هؤلاء يدخل الشيطان في جوف احدهم وقالت اسماء بنت ابي بكر كان

اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم عند سماع القرآن فقيل

ان لها قوما اليوم اذا سمعوا القرآن خر احدهم مغشيا عليه فقالت اعوذ بالله من الشيطان

وقال ابن سيرين بيننا وبين هؤلاء الذين يصعقون عند قراءة القرآن ان يجعل احدهم

على حائط باسط رجليه ثم يقرأ عليهم القرآن كله فان رمى بنفسه فهو صادق والا

... الى الكتاب او الى حسن الوصف من الاقشعرار واللين اي اثر هدى الله افمن يتقي اي

يستقبل كما قال ... سقط

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

اي استقبلنا بيدها لتقي بها وجهها ان يرى والظاهر حمل بوجهه حقيقة لما كان

يلقى في النار مغلولة يداه الى رجليه مع عنقه لم يكن له ما يتقي به النار الا وجهه قال

مجاهد يجر على وجهه في النار ويكون ان يعبر بالوجه على الجملة وقيل المعنى

وصف كثرة ما نالهم من العذاب بنقصه او لا بجوارحه فيتقي بوجهه يلتقيه ... حجبه

الذي هو اشرف جوارحه وفيه حواسه وهو غاية العذاب قال ابن عطية ويظهر

المعنى عندي اشبه بلاغة وفي هذا المضمار يجري قول الشاعر

يلقى السيوف بوجهه وبنحره ويقيم هامته مقام المغفر

لانه انما اراد عظم جرأته عليها وهو يلقاها بكل مجن وكل شيء منه حتى بوجهه وبنحره

اي وسوء العذاب اشده ... محذوف تقديره الزمخشري كمن امن العذاب وابن

عطية كالمنعمين في الجنة وقيل للظالمين اي قال ذلك خزنة النار وما كنتم اي وبال

ما كنتم تكسبون من الاعمال السيئة كذب الذين من قبلهم تسلية للرسول بالامم الماضية

وما ال اليه امرهم من الهلاك فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا

يشعرون ان العذاب يأتيهم من قبلها ولا يخطر ببالهم ان الشيء ياتيهم منها كانوا في امن وغبطة

وسرور فاذاقهم معذبون مخزيون ذليلون في الدنيا من ممسوخ ومقتول وما سوى ذلك ومنفي

ثم اخبر ان ما اعد لهم في الآخرة اعظم وانتصب قرآنا على الحال وهي حال موطئة

والحال في الحقيقة هو عربيا وقرآنا توطئة له وقيل انتصب على المدح وغير ذي عوج لانه

مستقيم بريء من الاختلاف والتناقض وقال عثمان بن عفان غير مضطرب وقال ابن عباس
غير مختلف وقال مجاهد غير ذي لبس وقال السدي غير مخلوق وقوله تعالى غير ذي عوج وقال
الزمخشري فان قلت فهلا قيل مستقيما او غير معوج قلت فيه فائدتان احدهما
ان لا يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثاني ان لفظ العوج مختص بالمعاني دون الاعيان
وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وانشد

وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب

اي لما ذكرنا للمشركين في القرآن من كل مثل اي يحتاج اليه ضرب مثلا لعابد
الاصنام ومن يعبد الله وحده وتمثيل برجل مملوك يشترك فيه ملاك سيئو الاخلاق
متنازعون متشاكسون اذ لا يتعاطى بعضهم لبعض لتشاححهم وطلب
كل منهم ان يعين صاحبه على الخدمة فلا يزال في عناء وتعب ولوم من كل منهم وكل
آخر مملوك جميعه لرجل واحد فهو معين لشغله لا يشغله عنه شيء ومالكه راض عنه اذ
قد خلص لخدمته ولم يتشوش لحصره في قضاء حوائجه ولا يلقى من سيده الا احسانا وبعد
الكلام في نفس المثل وما بعده وقال الكسائي انتصب رجلا على اسقاط الخافض
اي مثلا لرجل او في رجل فيه اي في رقه شركاء وفيه صلة لشركاء وقرأ عبد الله بن عباس
وعكرمة ومجاهد وقتادة والزهري والحسن بخلاف عنه والجحدري وابن كثير وابو
عمرو سالما اسم فاعل من سلم اي خالصا له من الشركة وقرأ الاعرج وابو جعفر
وشيبة وابو رجاء وطلحة والحسن بخلاف عنه وباقي السبعة سلما بفتح السين واللام
وقرأ ابن جبير سلما بكسر السين وسكون اللام وهما مصدران وصف بهما مبالغة
في الخلوص من الشركة وقرئ ورجل سالم برفعهما وقال الزمخشري اي وهناك رجل
سالم لرجل اي فجعل الخبر هناك ويجوز ان يكون الرجل مبتدأ لانه موضع تفصيل
اذ تقدم ما يدل عليه فيكون كقول امرئ القيس

اذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول

وقال الزمخشري وانما جعله رجلا ليكون افطن لما شقي به او سعد فان المرأة والصبي
قد يغفلان عن ذلك وانتصب مثلا على التمييز المنقول من الفاعل اذ المعنى هل
يستوي مثلهما واقتصر في التمييز على الواحد لانه المقتصر عليه اولا في قوله ضرب الله مثلا

ولبيان

ولبيان الجنس وقرئ مثلين وطابق حال الرجلين وقال الزمخشري ويجوز فيمن قرأ
مثلين ان يكون الضمير في يستويان للمثلين لان التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى
هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين انتهى والظاهر انه يعود
الضمير في يستويان الى الرجلين واما اذا جعلته عائدا الى المثلين اللذين ذكرهما
التقدير مثل رجل ومثل رجل فان التمييز اذ ذاك يكون قد فهم من المميز الذي هو الضمير
اذ يصير التقدير هل يستوي المثلان مثلين الحمد لله اي المستحق للحمد لله لا لغيره
وهو الذي يثبت وحدانيته فهو الذي يجب ان يحمد بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون
به غيره ولفظ الحمد لله يشعر بوقوع الاهلاك بهم كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا
والحمد لله رب العالمين ثم لما لم يلتفتوا الى هذه الدلائل الباهرة اخبر الجميع بانهم سيموتون وصائرون
اليه وان اختصامكم يكون بين يديه يوم القيامة وهو الحكم العدل فيميز المحق من
المبطل وهو عليه السلام واتباعه المحقون الفائزون بالطرق الغالبة والكافرون
هم المخذولون والظاهر ان الخطاب للرسول ويدخل معه امته وفي ذلك الظاهر
عود الضمير في انهم على الكفار وتخصيص الخطاب في انك على حصر الغيبة في انهم ولذلك
جاء تختصمون بالخطاب ليجمع الفريقين عليهم بانك قد بلغت وكذبوا واجتهدت في
الدعوة ولجوا في العناد وقال ابو العالية هم اهل القبلة يختصمون بينهم يوم القيامة
في مظالمهم وانفرد من ذهب الى ان نفرا الخصام بينهم ما كان في قتل عثمان
وما جرى بين علي ومعاوية بسبب ذلك رضي الله عنهم وقيل الخصم الجميع
فالكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي والمؤمنون يتلقون الملائكة
بالحجة واهل القبلة يكون بينهم الخصام وقرأ ابن الزبير وابن ابي اسحق وابن محيصن
وعيسى واليماني وابن ابي غوث وابن ابي عبلة انك مائت وانهم مائتون وهي
تشعر بحدوث الصفة والجمهور ميت وميتون وهي تشعر بالثبوت واللزوم كالحي
اشمأز قال ابو زيد ذعر وقال ابو عمرو انقبض بعض بعضه عن بعض وقال الشاعر

اذا عض الثقاف بها اشمأزت وولته عشوزنة زبونا

المقاليد المفاتيح لا واحد لها من لفظها قاله التبريزي وقيل
واحدها اقليد وقيل مقليد ويقال اقليد واقليد والكلمة اصلها فارسية

الزمــــر زمر قال ابو عبيدة والاخفش جماعات متفرقة بعضها اثر بعض قال
حتى احزألت زمر بعد زمر ويقال تزمروا الحفوف
الاحراف بالشيء قال الشاعــــر
تحفه جانبا نيق وتتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد
وهذا اللفظ ماخوذ من الحفاف وهو الجانب ومنه قول الشاعــر
له لحظات عن حفافي سريره اذا كرها فيها عقاب ونائل **فمن اظلم ممن**
كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين
والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء
المحسنين ليكفر الله عنهم اسوا الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون
اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن
يهد الله فما له من مضل اليس الله بعزيز ذي انتقام ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله قل افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات
ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون
قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل
عليه عذاب مقيم ٥ فمن اظلم ممن كذب على الله هذا تفسير وبيان للذين تكون بينهم
الخصومة وهذا يدل على ان الاختصام السابق يكون بين المومنين والكافرين والمعنى
لا احد اظلم ممن افترى على الله فنسب اليه الولد والصاحبة والشريك
وحلل وحرم من غير امر الله وكذب بالصدق وهو ما جاء به رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ جاءه اي وقت مجيئه فاجابه بالتكذيب من غير فكر ولا ارتياء ولا تطويل
ويتجه كذب به لم يوجد توعدا منه احتقارهم على جهة الوصف والكافرين
يا ما فيه الظاهر مقام المضمر اي مثوى لهم ونبه بهم على علة كفرهم وتكذيبهم وهو
الكفر والذي جاء بالصدق معادل لقوله فمن اظلم وصدق به معادل لقوله وكذب
بالصدق والذي جنس كانه قال والفريق الذي جاء بالصدق ويدل عليه اولئك هم
المتقون فجمع كان المراد بقوله فمن اظلم يراد به جمع ولذلك قال مثوى للكافرين وفي قراءة
عبد الله والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به وقيل ارادوا الذين فحذفت النون

وهذا

وهذا ليس بصحيح اذ لو اريد الذين بلفظ الذي وحذفت منه النون لكان الضمير
مجموعا كقولــه وان الذي حانت بفلج دماؤهم
الا ترى اذا حذفت نونه في المثنى كان الضمير مثنى كقوله
ابني كليب ان عمي اللذا قتلا الملوك وفككا الاغلالا
وفــــي الذي جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذي
جاء بالصدق جبريل عليه السلام والذي صدق به هو محمد صلى الله عليه وسلم وقال
علي وابو العالية والكلبي وجماعة الذي جاء بالصدق هو الرسول عليه السلام والذي
صدق به هو ابو بكر رضي الله عنه وقال ابو الاسود ومجاهد وجماعة الذي صدق به علي
ابن ابي طالب وقال الزمخشري والذي جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه
وسلم جاء بالحق وامن به واراد به اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه وقومه في قوله ولقد اتينا
موسى الكتاب لعلهم يهتدون ولذلك قال اولئك هم المتقون الا ان هذا في الصفة وذاك
في الاسم ويجوز ان يريد الفوج او الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي
جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به انتهى قوله واراد به اياه ومن تبعه كما اراد
بموسى اياه وقومه استعمل الضمير المنفصل في غير موضعه وانما هو متصل فاصلاحه
واراده به ومن تبعه كما اراد موسى وقومه وقوله لعلهم يهتدون الضمير في لعلهم لقوم
موسى لا لموسى وقومه اي لعل قومه يهتدون لان موسى عليه السلام مهتد
فالمرجى هدايته قومه لا هو اذ لا يترجى الا ما كان مفقودا لا موجودا
وقولــه ويكون الى اخره فيه توزيع الصلة والفوج هو الموصول فهو كقوله جاء
الفريق الذي شرف وشرف والاظهر عدم التوزيع بل المعطوف على الصلة صلة
لمن له الصلة الاولى وقرا الجمهور وصدق مشددا وقرا ابو صالح وعكرمة بن سليمان
ومحمد بن جحادة مخففا قال ابو صالح وعمل به وقيل استحق به اسم الصدق قال ابن
عطية فعلى هذا اسناد الافعال كلها الى محمد صلى الله عليه وسلم وكان امته في
ضمن القول وهو الذي يحسن اولئك هم المتقون وقال الزمخشري اي صدق به الناس
ولم يكذبهم به يعني اداه اليهم كما انزل عليه من غير تحريف وقيل صار صادقا
لم يحرفها على يده ولا يجوز ان يصدق الا الصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجز

وقرئ وصُدِّق به أي بمعنى مبنيا للمفعول مشددا وقال صاحب اللوامح جا بالصدق
من عند الله وصدق به بنفسه وذلك مبالغة في المدح أي لهم ما يشاؤون عام في كل
ما تشتهيه أنفسهم ويتعلق به إرادتهم وليكفر متعلق بالمحسنين أي الذين أحسنوا ليكفروا
أو بمحذوف أي يسر ذلك ليكفر وإلا أن التكفير لا يكون إلا بعد التيسير للخير وأسوأ الذي
عملوا هو كفرهم في الجاهلية ومعاصي أهل الإسلام والتكفير يدل على سقوط العقاب عنهم
على أكمل الوجوه والجزا بالأحسن يدل على حصول الثواب على أكمل الوجوه فقيل ذلك يكون
إذا صدقوا الأنبياء فيما أتوا به وقال مقاتل يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوي
وهذا قول المرجئة يقولون لا يضر شي من المعاصي مع الإيمان كما لا ينفع شي من الطاعات مع
الكفر وكان مقاتل شيخ المرجئة احتج بهذه الآية وقام الظاهر مقام المضمر في المحسنين
أي ذلك جزاؤهم تنبيها بالظاهر على العلة المقتضية لحصول الثواب والظاهر أن أسوأ أفعل
التفضيل وبه قرأ الجمهور وإذا كفر أسوأ أعمالهم فتكفير ما هو دونه أحرى وقيل أفعل
ليس للتفضيل وهو كقولك الأشج أعدل بني مروان أي عادل بني مروان كأنه قال هذا أي سيئ الذي
عملوا ويدل على هذا التأويل قراءة ابن مقسم وحامد بن يحيى عن ابن كثير ورواه عن البزي
عن ابن كثير أسوا أيضا وفي [illegible] بألف بين الواو والهمزة جمع سوء ولا تفضيل
فيه والظاهر أن بأحسن أفعل تفضيل وقيل ينظر إلى أحسن طاعاته فيجري الباقي
في الجزاء على قياسه وإن تخلف عنه بالتقصير وقيل بأحسن ثواب أعمالهم وهو
الجنة وهذا شي عنه بأحسن الذي وقال الزمخشري أما التفضيل فيؤذن
بأن الشي الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الأسوأ لاستعظامهم
المعصية والحسن الذي يعملونه هو عند الله الأحسن لحسن إخلاصهم فيه فلذلك ذكر
سيئهم بالأسوأ وحسنهم بالأحسن انتهى وهو على رأي المعتزلة ويكون قد استعمل أسوأ
في التفضيل على معتقدهم وأحسن في التفضيل على ما هو عند الله وذلك توزيع في أفعل
التفضيل وهو خلاف الظاهر قالت قريش لئن لم ينته محمد عن عيب آلهتنا
وتعيبنا لنسلطها عليه فتصيبه بخبل وتعتريه بسوء فنزل أليس الله بكاف
عبده أي شر من يريده بشر والهمزة الداخلة على النفي للتقرير أي هو كاف عبده وفي
إضافته إليه تشريف عظيم لنبيه وقرأ الجمهور عبده وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقرا

وقرأ أبو جعفر ومجاهد وابن وثاب وطلحة والأعمش وحمزة والكسائي عباده بالجمع أي
الأنبياء والمطيعين من المؤمنين ويخوفونك بالذين من دونه وهي الأصنام ولما بعث
خالد إلى كسر العزى قال له سادنها إني أحذركها فلها قوة لا يقوم لها
شي فكسر خالد الفأس هشم به وجهها ثم انصرف وفي قوله ويخوفونك تهكم بهم لأنهم خوفوه
بما لا يقدر على نفع ولا ضر ونظير هذا التخويف قول قوم هود له إن نقول إلا اعتراك
بعض آلهتنا بسوء وقرئ بكاف عباده على الإضافة فيه وبكافي عبده مضارع كافى
ونصب عباده واحتمل أن يكون مفاعلة من الكفاية كقوله يخادعون في يخدعون وهو
أبلغ من كفى لبنائه على لفظ المبالغة وهو الظاهر لكثرة تردد هذا المعنى في القرآن
كقوله فسيكفيكهم الله ويحتمل أن يكون مهموزا من المكافأة وهي المجازاة أي يجزيهم أجرهم
ولما كان تعالى كافي عبده كان التخويف بغيره عبثا باطلا ولما [illegible] الآية
على مهتدين وضالين أخبر أن ذلك كله هو فاعله ثم قال أليس الله بعزيز أي غالب
منيع ذي انتقام وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين ولما أقروا بالصانع وهو الله

جزيهم

أنه تعالى هو المتصرف في نبيه بما أراد أن تلك الأصنام التي يدعونها آلهتهم
من دونه لا تكشف ضرا ولا تمسك رحمة أي صحة وسعة في الرزق ونحو ذلك
وأرأيتم هنا جارية على وضعها تعدت إلى مفعولها الأول وهو ما تدعون وجا المفعول
الثاني جملة استفهامية وفيها العائد عليها وهو لفظ هن وأنث تحقيرا لها وتعجيزا
وتضعيفا وكان فيها من يسمى تسمية الإناث كالعزى ومناة واللات وأضاف
أرادني الله الضر إلى نفسه والرحمة إليها لأنهم خوفوه معرتها فاستنطقهم منهم
الإقرار بأن خالق العالم هو الله ثم استخبرهم عن أصنامهم هل تدفع شرا أو تجلب
خيرا وقرأ الجمهور كاشفات وممسكات على الإضافة وشيبة والأعرج وعمرو
ابن عبيد وعيسى بخلاف عنه وأبو عمرو بتنوينهما ونصب ما بعدهما ولما تقرر
أنه تعالى كافيه وأن أصنامهم لا تضر ولا تنفع أمره تعالى أن يعلم أنه تعالى هو
حسبه أي كافيه والجواب في هذا الاستخبار محذوف والتقدير فإنهم سيقولون
لا تقدر على شي من ذلك وقال مقاتل استخبرهم فسكتوا قل يا قوم اعملوا على الآية
تقدم الكلام على نظيرها **إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق** فمن اهتدى

فليعلمه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل الله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى
ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ام اتخذوا من دون الله شفعا قل اولو كانوا لا يملكون
شيا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون واذا
ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يومنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا
هم يستبشرون قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين
عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه
لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيات
ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون لما كان عليه السلام يعظم عليه عدم ايمانهم
ورجوعهم الى ما اتى الله تعالى عليه سلاه تعالى عن ذلك فاخبر انه انزل عليه
الكتاب وهو القران مصحوبا بالحق وهو دين الاسلام للناس اي لاجلهم اذ فيه
تكاليفهم فمن اهتدى فثواب هدايته انما هو له ومن ضل فعقاب ضلاله انما هو عليه
وما انت عليهم بوكيل اي بحريص على الايمان قال وما انت بوكيل بحفيظ قال
الزمخشري للناس لاجل حاجتهم ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة
على المعصية ولا حاجة الى ذلك فانا الغني فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار
الضلال فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فان التكليف مبني على
الاختيار دون الاجبار انتهى وهو على مذهب المعتزلة لما ذكر تعالى انه انزل
على رسوله بالحق للناس نبه على انه من ايات الكبر على الوحدانية لا تشركه في ذلك
صنم ولا غيره فقال الله يتوفى الانفس حين موتها والانفس هي
الارواح وقيل النفس غير الروح قاله ابن عباس فالروح لها تدبير عالم الحياة والنفس
لها تدبير عالم الاحساس وفرقت فرقة بين نفس التمييز ونفس التخيل والذي
يدل عليه الحديث واللغة ان النفس والروح مترادفان وان فراق ذلك من الجسد
هو الموت ومعنى يتوفى الانفس يميتها والتي اي والانفس التي لم تمت في منامها
اي يتوفاها حين تنام تشبيها للنوام بالاموات ومنه وهو الذي يتوفاكم بالليل
فبين الميت والنائم قدر مشترك وهو كونهما لا يميزان ولا يتصرفان فيمسك

من قضى عليها الموت الحقيقي فلا يردها في وقتها حية ويرسل النائمة لجسدها الى
اجل ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس يستوفيها ويقبضها وهي الانفس التي يكون
معها الحياة والحركة ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها وهي نفس التمييز قالوا
فالتي يتوفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحياة لان نفس الحياة اذا زالت زال
معها النفس والنائم يتنفس ويكون النفس يقبض والروح في الجسد حالة النوم
بدليل انه يتقلب ويتنفس في قول الاكثرين وذلك على التغاير وكونهما شيا
واحدا هو قول ابن جبير واحد قولي ابن عباس والخوض في ذلك وطلب ادراك
ذلك على حقيقته عنا ولا توصل الى ذلك ان في ذلك ان في توفي الانفس ماتية ونايمة
وامساكها وارسالها الى اجل مسمى لايات العلامات دالة على قدرة الله لعلمه
لقوم يتفكرون فيه اوكا ربهم ويعتبرون وقرا الجمهور قضى مبنيا للفاعل الموت نصبا
وابن وثاب والاعمش وطلحة وعيسى وحمزة والكسائي مبنيا للمفعول الموت
رفعا وام منقطعة تقدر ببل والهمزة وهو تقرير وتوبيخ وكانوا يقولون
هولا شفعاونا عند الله والشفاعة انما هي لمن ارتضى الله وباذنه تعالى وهذا
مفقود في الهتهم واولو معناه ايتخذونهم شفعاوهم بهذه المثابة من كونهم
لا يعقلون ولا يملكون شيا وذلك في غاية النقص فكيف يشفع هولا وتقدم لنا
الكلام في اولو في سورة البقرة وقال ابن عطية متى دخلت الف الاستفهام
على واو العطف او فائه احدثت معنى التقرير انتهى اذ كانوا لا يملكون شيا
فكيف يملكون الشفاعة وقال الزمخشري اي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون
شيا قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم انتهى فاتى بقوله قط بعد قوله لا يملكون
وليس بفعل ماض وقط ظرف يستعمل مع الماضي لا مع غيره وقد تكرر للزمخشري
هذا الاستعمال وليس باستعمال عربي قل لله الشفاعة جميعا فهو مالكها باذنه
لمن يشاء اي يعلم وقوله له ملك السموات والارض مما يندرج فيه ملك الشفاعة
ولما كانت الشفاعة من غيره موقوفة على اذنه كانت الشفاعات كلها له
ولما اخبر انه له ملك السموات والارض بعد ذلك بقوله ثم اليه ترجعون فيعلمون
انهم لا يشفعون ويخيب سعيهم في عبادتهم وقال الزمخشري معناه له ملك السموات

والارض ثم اليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك في ذلك اليوم الا له فله ملك
الدنيا والاخرة واذا ذكر الله وحده اشمأزت اي نفرت وانكرت لم يذكر معه الهتهم
وقيل الحال قيل لا اله الا الله واذا ذكر الذين من دونه وهي الاصنام ف
والاشمئزاز والاستبشار متقابلات غاية لان الاشمئزاز امتلاء القلب غما وغيظا
فيظهر اثره وهو الانقباض في الوجه والاستبشار امتلاؤه سرورا فيظهر اثره وهو
الانبساط والتهلل في الوجه قال الزمخشري فان قلت
ما العامل في واذا ذكر قلت العامل اذا المفاجاة تقديره وقت ذكر الذين من دونه
فاجأوا وقت الاستبشار وقال الحوفي اذا هم يستبشرون اذا مضافة الى الابتداء والخبر
واذا المكررة للتوكيد وحذف ما تضاف اليه والتقدير اذا كان ذلك هم يستبشرون
فيكون هم يستبشرون العامل في اذا المعنى اذا كان ذلك استبشروا انتهى اما قوله
الزمخشري فلا اعلم من قول من ينتمي للنحو وهو ان الظرفين معمولان لفاجأوا اذ الاولى
تنتصب على الظرف والثانية على المفعول به واما قول الحوفي فبعيد جدا عن الصواب
اذ جعل اذا مضافة الى الابتداء والخبر ثم قال واذا مكررة للتوكيد وحذف ما تضاف
اليه الى اخر كلامه فاذا كانت اذا حذف ما تضاف اليه فكيف تكون
مضافة الى الابتداء والخبر الذي هو هم يستبشرون وهذا كله توجيه على الاتفاق
لعلم النحو والتحرف فيه ولم يتقدم لنا في مواضع اذا التي للمفاجاة لاداة الشرطية وقد
قررنا في علم النحو الذي كتبناه ان اذا الشرطية ليست مضافة الى الجملة التي تليها
وان كان مذهب الاكثرين وانها ليست معمولة للجواب واقمنا الدليل على ذلك
بل هي معمولة للفعل الذي يليها كسائر اسماء الشرط الظرفية واذا الفجائية رابطة
لجملة الجزاء بجملة الشرط كالفاء وهي معمولة لما بعدها ان قلنا انها ظرف سواء كانت
زمانا ام مكانا ومن قال انها حرف فلا يعمل فيها شيء فاذا الاولى معمولة لذكر والثانية
معمولة ليستبشرون ثم لما اخبر عن سخافة عقولهم باشمئزازهم من ذكر الله واستبشارهم
بذكر الاصنام امره ان يدعوا باسماء الله العظمى من القدرة والعلم ونسبة الحكم اليه
اذ غيره لا قدرة له ولا علم تام ولا حكم وفي ذلك وصف حالهم السيء ووعيد لهم وتسلية
للرسول عليه السلام وتقدم الكلام في اللهم في سورة ال عمران ولو ان للذين ظلموا تقدم

الكلام

الكلام على شبهه في العقود وبدا لهم من الله اي كانت ظنونهم في الدنيا متفرقة حسب ضلالاتهم ثم
وكان لهم فيما يعتقدونه فاذا عاينوا العذاب يوم القيامة ظهر لهم خلاف ما كانوا يظنون
وما كانوا في حسابهم قال سفيان الثوري ويل لاهل الرياء من هذه الاية وحاق بهم ما كانوا
اي جزاء ما كانوا وما في ما كسبوا يحتمل ان تكون بمعنى الذي اي سيئات اعمالهم وان
تكون مصدرية اي سيئات كسبهم والسيئات انواع العذاب سميت سيئات كما قال
وجزاء سيئة سيئة مثلها **فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه** نعمة منا
قال انما اوتيته على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون قد قالها الذين من قبلهم فما اغنى عنهم
ما كانوا يكسبون فاصابهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين اولم يعلموا ان الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون قل يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم
وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا احسن ما
انزل اليكم من ربكم من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون تقدم في غير
انه كون الانسان اذا مسه الضر التجا الى الله مع اعتقاده الاوثان وعبادتها
فاذا اصابهم شيء سروها ودعوا رب السموات والارض وهذا يدل على تناقض
ارائهم وشدة اضطرابها والانسان جنس ومن يتعلق النعمة عامة في جميع ما يسر به
ذلك ازالة الضر وقيل الانسان معين وهو حذيفة بن المغيرة والظاهر
انما في انما كافة مهيئة لدخول على ان الجملة الفعلية ذكر الضمير اوتيته وان كان
عائدا على النعمة معناها لنكره وهو الانعام او المال على قول من شرح النعمة بالمال
او المعنى شيئا من النعمة او لانها تستعمل على مذكر ومؤنث فغلب المذكر وقيل ما موصولة
والضمير عائد عليها اي قال ان الذي اوتيته على علم مني اي بوجوه المكاسب والمتاجر
قاله قتادة وفيه اعجاب بالنفس وتعاط مفرط او على علم من الله في واستحقاق جزيته عند الله
وفي هذا احتقار لله وعجز وقيل على الله او على علم مني بما في ساعطاه لما في من فضل واستحقاق
ثم نفى نفسه اضراب عن دعواه انه انما اوتي على علم بل تلك النعمة فتنة واسند ذكرا
ولا في اوتيته على المعنى اذ كانت ما فتنة ثم عاد الى اللفظ فانث في قوله بل هي او ليطابق
هي عائدة على الاسم الذي هو النعمة فتنة وكان العطف هنا بالفاء في فاذا

وبالواو في اول السورة لانها وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله اي يستمرون عند ذكر
الله ويستبشرون بذكر الهتهم فاذا مس احدهم ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من
استبشر بذكره ومناسبة السببية انك تقول زيد مومن واذا مسه الضر التجا الى
الله فلا تسببية في هذا ظاهر وزيد كافر فاذا مسه الضر التجا اليه اتم كفره مقام الايمان
في جعله سببا للالتجا يحكي عكس ما فيه الكافر يقصد من ذلك الانكار والتعجب من فعله المناقض
حيث جعل ما يسببه التجا اليه في الشدايد واما الاية الاولى فلم تقع مسببة بل ناسبت ما
قبلها فعطفت عليه بالواو واذا اطابت فاذا متصلة بقوله واذا ذكر الله وحده كالمثال
ما بينهما من الاي اعتراض يوكد به ما بين المتصلين من دعا الرسول ربه بامر منه وقوله انت
تحكم وتعقيب الوعيد تاكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله في الشدايد
دون الهتهم وقوله ولو ان للذين ظلموا اما ان يقال لهم او لكل ظالم ان جعل مطلقا
او اياهم خاصة ان عنوا به انتهى وهو ملتقط احسن من كلام الزمخشري ونحوه تكلف
في ربط هذه الاية بقوله واذا ذكر الله وحده اشمازت مع بعد من الفواصل
واذا كان ابو علي الفارسي قال يجي الاعتراض بجملتين فكيف يجي بهذه الجمل الكثيرة والذي
يظهر في الربط انه لما قال ولو ان للذين ظلموا الاية كان ذلك اشعارا بما ينال
الظالمين من شدة العذاب وانه يظهر لهم يوم القيامة من العذاب ما لم يكن في حسابهم
اتبع ذلك بما يدل على ظلمه وبغيه اذ كان اذا مسه ضر دعا الله فاذا احسن اليه
لم ينسب ذلك اليه ثم انه يسرد له من تلك النعمة انها انالها وفسه كما قاله في الاخر
من عمله الذي كان يظنه صالحا ما لم يكن في حسابه من سوء العذاب المرتب على ذلك العمل
ترتب العقوبة على تلك النعمة ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ان ذلك استدراج وامتحان
قد قالها الذين من قبلهم اي قال مثلهم انما اوتيته على علم والظاهر ان قائل ذلك الذين
من قبلهم هم قارون وقومه اذ رضوا بمقالته فنسب القول اليهم جميعا وقوى قد قاله
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون اي من الاموال والذين ظلموا من هولا اشارة
الى مشركي قريش سيصيبهم سيات ما كسبوا جا بسين الاستقبال التي هي
اوسع تنفيسا في الزمان من سوف وهو خبر عنه امر بالوجود في يوم بدر وعن
قتل روسائهم وحبس عنهم الرزق فلم يمطروا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين

اولم يعلموا انه لا قابض ولا باسط الا الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا نزلت في وحشي
قاتل حمزة قاله عطا او في قوم امنوا عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما
ففتنتهم قريش فافتتنوا وظنوا انه لا توبة لهم فكتب لهم عمر بهذه الاية قاله عمر والسدي
ونافع بن اسحق وقيل في قوم كفار من اهل الجاهلية قالوا وما ينفعنا الا
وقد زنينا وقتلنا النفس واتينا كل كبيرة ومناسبتها لما قبلها انه تعالى لما شدد على
الكفار وذكر ما اعد لهم من العذاب وانه لو كان لاحدهم ما في الارض ومثله معه لافتدى
به من عذاب الله ذكر ما في احسانه من غفران الذنوب اذا امن العبد ورجع الى الله و
كثيرا ما تاتي ايات الرحمة مع ايات النقمة ليرجو العبد ويخاف وهذه الاية عامة في كل
كافر يتوب ومومن عاص يتوب تمحو الذنب توبته وقال عبد الله وعلي وابن عمر ارجى
اية في كتاب الله وتقدم الكلام في لا تقنطوا في الحجر ان الله يغفر الذنوب جميعا عام
يراد به ما سوى الشرك وهو مقيد ايضا في المومن العاصي غير التائب بالمشية وفي قوله
يا عبادي باضافتهم اليه وندائهم اقبال وتشريف واسرفوا على انفسهم اي بالمعاصي
والمعنى ان ضرر تلك الذنوب انما هو عائد عليهم والنهي عن القنوط يقتضي الامر بالرجا
واضافة الرحمة الى الله التفات من ضمير المتكلم الى الاسم الغائب لان في اضافتها اليه سعة
الرحمة اذا اضيفت الى الله الذي هو اعظم الاسماء لانه العلم المحتوي على معاني جميع الاسماء
ثم اعاد الاسم الاعظم واكد الجملة بان مبالغة في الوعد بالغفران ثم وصف نفسه
بما سبق في الجملتين من الرحمة والغفران بصفتي المبالغة واكد بلفظ هو المقتضي
عند بعضهم الحصر قال الزمخشري ان الله يغفر الذنوب جميعا بشرط التوبة وقد تكرر
ذكر هذا الشرط في القران فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما لم يذكر فيه لان القران
في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض انتهى وهو على طريقة المعتزلة في ان المومن العاصي
لا يغفر له الا بشرط التوبة ولما كانت هذه الاية فيها تبشير عظيم للمسرفين اتبعها بان
الانابة وهي الرجوع مطلوبة مامور بها ثم توعد من لم يتب بالعذاب حتى لا يبقى المرء
كالمهمل من الطاعة والمتكل على الغفران دون انابة وقال الزمخشري وانما ذكر الانابة
على اثر المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة وللدلالة على انها شرط فيها لازم لا تحصل
بدونه انتهى وهو على طريقة الاعتزال واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم مثل قوله الذين

يستمعون القول فيتبعون احسنه وهو القرآن وليس المعنى ان بعضه احسن
وهو القول من بعض من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة اي فجأة وانتم لا تشعرون
اي وانتم غافلون عنه لطوله بكم فيكون ذلك اشد في عذابكم ان تقول نفس يا حسرتا
على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين او تقول لو ان الله هداني لكنت من
المتقين او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين بلى قد جاءتك اياتي
فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على
الله وجوههم مسودة اليس في جهنم مثوى للمتكبرين وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم
لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات
والارض والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون روي انه كان في بني
اسرائيل عالم ترك علمه وفسق فاتاه ابليس فقال له تمتع في الدنيا ثم تب فاطاعه وانفق
ماله في الفجور فاتاه ملك الموت في الذ ما كان فقال يا حسرتى على ما فرطت في جنب
الله ذهب عمري في طاعة الشيطان واسخطت ربي حين لا ينفعه الندم فانزل
الله خبره ان تقول مفعول من اجله وقدره ابن عطية اي حذرا من او اجلالا ان تقول
والزمخشري كراهة ان تقول والحوفي انذرناكم مخافة ان تقول ونكر نفس لانه اريد
بها بعض الانفس وهي نفس الكافر او اريد به التكثير كما قال الاعشى

ورب بقيع لو هتفت بجوه ... اتاني كريم ينفض الراس مغضبا

يريد افواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا او اريد نفس متميزة من الانفس باللجاج
الشديد في الكفر او بعذاب عظيم قاله بعض المحصلين من [illegible] الزمخشري والظاهر الاول
وقرا الجمهور يا حسرتا بالالف بدلا من ياء المتكلم وابو جعفر يا حسرتي بالاضافة وعنه يا حسرتاي
بالالف والياء جمعا بين العوض والمعوض والياء مفتوحة او ساكنة وقال ابو الفضل الرازي
في تصنيفه كتاب اللوامح ولو ذهب ذاهب الى انه اراد تثنية الحسرة مثل لبيك وسعديك
لان معناهما لب بعد لب وسعد بعد سعد فكذلك هذه الحسرة بعد حسرة لكثرة حسراتهم
يومئذ او اراد حسرتين فقط من فوت الجنة ومن دخول النار لكان مذهبا ولكان الف التثنية
في تقدير الياء على لغة بلحرث بن كعب انتهى وقرا ابن كثير في الوقف يا حسرتاه بهاء السكت
[illegible] ومعنى يا حسرتي والويل تعالوا وشكلي احضري والجنب الجانب وفي جنب الله الحاجة

فاضافه

فاضافه الجنب اليه مجاز وقال مجاهد والسدي في امر الله وقال الضحاك في ذكر الله يعني
القرآن والعمل به قيل في جهة طاعته والجنب الجانب الجهة وقال الشاعر

افي جنب بكني قطعتني ملامة ... سليمى لقد كانت ملامتها ثنا

وقال الراجز: الناس جنب والامير جنب ويقال انا في جنب فلان وجانبه
وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا فرط في جنبه يريدون حقه قال
سابق البربري: اما تتقين الله في جنب عاشق ... له كبد حرى عليك تقطع
ومنه قول الشاعر: لكانك تعذب لذا يريد من اجلك ولذلك بعلت بهذا من جهتك
وما في ما فرطت مصدرية اي على تفريطي في طاعة الله وان كنت لمن الساخرين قال
قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها وقال الزمخشري ومحل وان كنت النصب
على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي انتهى وظاهره انه استئناف
اخبار عن نفسه بما كان عليه في الدنيا لا حال او تقول لو ان الله هداني اي رحلوني
الهداية وقال الزمخشري الهداية بالالجاء وهو خارج عن الحكمة او بالالطاف ولم الطف من
اهلها فيلطف به او بالوحي فقد كان ولكنه اعرض ولم ينتبه حتى يهتدي وانما يقول
هذا تحيرا في امره وتعللا بما لا يجدي عليه كما حكى عنهم التعلل باغواء الرؤساء والشياطين
ونحو لو هدانا الله لهديناكم انتهى وهو على طريقة الاعتزال وانتصب فاكون على جواب
التمني الدال عليه لو او على كرة اذ هو مصدر فيكون مثل قوله

فمالي منها غير ذكرى وحسرة ... وتسال عن ركبانها اين يمموا

وقول الآخر

للبس عباءة وتقر عيني ... احب الي من لبس الشفوف

والفرق بينهما ان الفاء اذا كانت في جواب التمني كانت ان واجبة الاضمار وكان
الكون مترتبا على حصول المتمنى لا متمنى واذا كانت للعطف على كرة جاز اظهار ان
واضمارها وكان الكون متمنى فيكون جواب تمني او لا يدخل عليه [illegible] التقرير
ولما كان قوله لو ان الله هداني في جوابه متضمنا نفي الهداية كانه قال ما هداني
الله فقيل له بلى قد جاءتك اياتي مرشدة لك فكذبت وقال الزمخشري رد من الله
عليه معناه بل قد هديت بالوحي اي جريا على قواعد المعتزلة وقال ابن عطية وحق

بلى إن حقه أن يجيء بعد نفي عليه تقرير وقوله بلى جواب لنفي مقدر كأن النفس قالت لأن عمري
في الدنيا لم يتسع للنظر وقالت فإني لم يتبين لي الأمر في الدنيا ونحو هذا انتهى
وليس بجيد بل ما ذكر بلى جوابها أن يكون جواب نفي ثم حمل التقرير على النفي ولذلك
لم يحمله عليه بعض العرب وأجابه بنعم إتباعًا لبعض العرب قال الزمخشري فإن قلت
هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو أن الله هداني ولم يفصل بينهما
بآية قلت لأنه لا يخلو إما أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق
بينهن وإما أن يؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الأول لما فيه من تبتير النظم
بالجمع بين القرائن وأما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط
في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه
وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب
انتهى وهو كلام حسن وقرأ الجمهور بلى قد جاءتك بفتح الكاف وفتح ما بعدها خطابًا
للكافر ذي النفس وقرأ ابن يعمر والجحدري وأبو حيوة والزعفراني وابن مقسم
ومسعود بن صالح والشافعي عن ابن كثير ومحمد بن عيسى في اختياره ونصير
والعبسي بكسر الكاف والتاء خطابًا للنفس وهي قراءة أبي بكر الصديق وابنته
عائشة رضي الله عنهما وروتها أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ الحسن
والأعرج والأعمش جأتك بالهمز من غير مد بوزن فعلك وهو مقلوب من جاءتك
قدمت لام الكلمة وأخرت العين فسقطت الألف كما سقطت في رمت وغزت
ولما ذكر مقالة الكافر ذكر ما يعرض له يوم القيامة من الانتظار بسوء منقلبه
وفي ضمنه وعيد لمعاصريه عليه السلام والرؤية هنا من رؤية البصر كذبهم
نسبتهم إليه تعالى البنات والصاحبة والولد وشرعهم ما لم يأذن به الله والظاهر
أنه عام في الكاذبين على الله وخصه بعضهم بمشركي العرب وبعضهم بأهل الكتاب
وقال الحسن هم القدرية يقولون إن شئنا فعلنا وإن شئنا
لم نفعل وقال القاضي يجب حمل الآية على الكل من المجبرة والمشبهة وكل من
وصف الله بما لا يليق به نفيًا وإثباتًا فأضاف إليه ما يجب تنزيهه عنه أو
نزهه عما يجب أن يضاف إليه فالكل كذبوا على الله فتخصيص الآية بالمجبرة

والمشبهة

والمشبهة أو اليهود والنصارى لا يجوز وقال الزمخشري كذبوا على الله وصفوه بما لا
يجوز عليه وهو متعال عنه فأضافوا إليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا
وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله أمرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه
بفعل القبائح ويجوزون أن يخلق خلقًا لا لغرض ويؤلم لا لعوض ويظلمونه بتكليفه
ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيًا معاينًا مدركًا بالحاسة ويثبتون له يدًا
وقدمًا وجنبًا مستترين بالبلكفة ويجعلون له أندادًا بإثباتهم معه قدماء انتهى وهو
كلام من قبله على طريق الاعتزال والظاهر أن الرؤية من رؤية البصر وأن وجوههم
مسودة جملة في موضع الحال وفيها رد على الزمخشري إذ زعم أن حذف الواو من الجملة
الاسمية المشتملة على ضمير ذي الحال شاذ وتبع في ذلك الفراء وقد أعرب هو هذه
الجملة حالًا فكأنه رجع عن مذهبه ذلك وأجاز أيضًا أن تكون من رؤية القلب
ووجوههم مسودة في موضع المفعول الثاني وهو بعيد لأن تعلق البصر برؤية الأجسام
وألوانها أظهر من تعلق القلب وقرئ وجوهَهم مسودةً بنصبهما فوجوههم بدل
بعض من كل وقرأ أبي أجوههم بإبدال الواو همزة والظاهر أن الاسوداد
حقيقة كما مر في قوله وأما الذين اسودت وجوههم وقال ابن عطية ويحتمل
أن يكون في العبارة تجوز وعبر بالسواد عن ارتداد وجوههم وغالب همهم
وظاهر كآبتهم ولما ذكر حال الكاذبين على الله ذكر حال المتقين أي الكذب
على الله وغيره مما يؤول بصاحبه إلى اسوداد وجهه في ذلك المرعب في هذا المو
الجليل الذي هو النعوت وقال السدي بمفازتهم بفضائلهم وقال
ابن زيد بأعمالهم وقال ابن عطية وفي الكلام حذف مضاف تقديره بأسباب
أو بدواعي مفازاتهم وقال الزمخشري بمفازتهم بفلاحهم يقال فاز بكذا إذا أفلح
به وظفر بمراده وتفسير المفازة قوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون كأنه قيل
وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء أي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم أو
بسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنه المفازة بالأعمال
الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لأن العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز
أن يسمى العمل الصالح مفازة لأنه سببها فإن قلت لا يمسهم ما محله

من الاعراب على التفسيرين قلت اما على التفسير الاول فلا محل له لانه
كلام مستانف واما على الثاني فجملة النصب على الحال انتهى وقرا الجمهور بمفازتهم
على الافراد والسلمي والحسن والاعرج والاعمش وحمزة والكسائي وابو بكر على
الجمع من حيث النجاة انواع والاسباب مختلفة قال ابو علي المصادر تجمع اذا
اختلفت اجناسها كقوله وتظنون بالله الظنونا وقال الفراء كلا العرابين
صوابه تقول قد تبين امر الناس وامور الناس ولما ذكر تعالى الوعد والوعيد
عاد الى دلائل الالهية والتوحيد فذكر انه خالق كل شيء فدل على انه خالق
اعمال العباد لاندراجها في عموم كل شيء وانه على كل الاشياء قائم بحفظها ومدبرها
له مقاليد السموات والارض قال ابن عباس مفاتيح وهذه استعارة كما تقول
بيد فلان مفتاح هذا الامر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسيرها لا اله
الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول
والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتاويله
على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض
من تكلم بها من المتقين اصابه والذين كفروا بايات الله وتوحيده وتمجيده اولئك
هم الخاسرون قال الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله والذين كفروا قلت
بقوله وينجي الله الذين اتقوا اي ينجي المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض
بينهما بانه خالق الاشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من اعمال المكلفين
فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وان له مقاليد السموات والارض وقال ابو
عبد الله الرازي وهذا عندي ضعيف من وجهين الاول ان وقوع الفاصل الكثير
بين المعطوف والمعطوف عليه بعيد والثاني ان قوله تعالى وينجي الله الذين اتقوا
جملة فعلية وقوله والذين كفروا جملة اسمية وعطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية
لا يجوز والاقرب عندي ان يقال انه لما وصف بصفات الالهية والجلال وهو
كونه خالقا للاشياء كلها وكونه مالكا لمقاليد السموات والارض قال والذين
كفروا بهذه الايات الظاهرة الباهرة هم الخاسرون انتهى وليس بفاضل
كثير وقوله وعطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية لا يجوز كلام من لم يتامل

لسان

لسان العرب ولا نظر في ابواب الاشتغال واما قوله والاقرب عندي فهو ماخوذ
من قول الزمخشري وقد جعل متصلا بما يليه على ان كل شيء في السموات والارض
فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون الامر كذلك اولئك
هم الخاسرون **قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون** ولقد اوحي اليك والى
الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن
من الشاكرين وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ونفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واشرقت الارض
بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت
كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون روي انه قال للرسول عليه السلام المشركون
استلم بعض الهتنا ونؤمن بالهك وغير منصوب باعبد قال الاخفش
تامروني ملغاة وعنه ايضا افغير منصوب بتامروني اي اعبد لان الصلة لا تعمل فيما
قبلها او الموصول منحذف وموضع كان الى قوله
الا ايهذا الزاجري احضر الوغى
والصلة مع الموصول في موضع النصب بدلا منه اي افغير الله تامروني عبادته والمعنى
اتامروني بعبادة غير الله وقال الزمخشري او ينصب بما يدل عليه جملة قوله تامروني
اعبد لانه في معنى تعبدونني وتقولون لي اعبد واغير الله تقولون لي اعبد فكذلك
اغير الله تقولون لي ان اعبد واغير الله تامرونني ان اعبد والدليل على صحة
هذا الوجه قراءة من قرا اعبد بالنصب اعني بنصب الدال باضمار ان وقرا الجمهور
تامروني بادغام نون الرفع في نون الوقاية وسكون الياء وفتحها ابن كثير وقرا
ابن عامر تامرونني بنونين على الاصل وقرا نافع تامروني بنون واحدة مكسورة
وفتح الياء قال ابن عطية وهذا على حذف النون الواحدة وهي الموطئة لياء المتكلم
ولا يجوز حذف النون الاولى وهي علامة رفع الفعل انتهى وفي المسالة خلاف
منهم من يقول المحذوفة نون الرفع ومنهم من يقول نون الوقاية وليس بخطأ لان الدليل
قام عليه والخلاف جار في ايهما حذف واختار انها نون الرفع ولما كانت الامر

تعالى غير الله لا تصدر الا من غبي جاهل ناداهم بالوصف المقتضي ذلك فقال
ايها الجاهلون ولما كان الاشراك مستحيلا على من عصمه الله وجب تاويل قوله
لئن اشركت على حمله على ضمير السامع بمعنى الموحى اليه اي اوحى الى الرسول لئن اشركت
ايها السامع ومعنى الخطاب يحمل هذا التاويل ويدل على هذا التاويل وانه ليس براجع
الخطاب للرسول لو اراد الخطاب اذ لو كان هو المخاطب لكان التركيب لئن
اشركتم فيستقيم ضمير وضمير الذين من قبله ويغلب الخطاب وقال الزمخشري
فان قلت الموحى اليهم جماعة فكيف قال لئن اشركت على التوحيد قلت
معناه لئن اوحي اليك لئن اشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله او اوحي
اليك والى كل واحد لئن اشركت كما تقول كسانا حلة اي كل واحد منا فان
قلت كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى ان رسله لا يشركون ولا تحبط
اعمالهم قلت هو على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها لذكر كل ما يوقع عليه
من كتابه ويستدل بهذه الاية على حبوط عمل المرتد من صلوة وغيرها واوحي بمعنى
المقول وتظهر ان الموحى هو هذه الجملة من قوله لئن اشركت الى من الخاسرين
وهذا لا يجوز على مذهب البصريين لان الجملة لا تكون فاعله ولا تقوم مقام الفاعل
فهو الجار والمجرور وهو اليك وبالتوحيد فضلة نحو زيد وعمرو لولا له ما قبلها عليها
وقرا الجمهور ليحبطن مبنيا للفاعل على عملك رفع به وقرى ليحبطن بالياء من احبط عملك
بالنصب او ليحبطن الله عملك او الاشراك عملك وقرى بالنون اي لنحبطن عملك
بالنصب والجلالة منصوبة بقوله فاعبد على حد قولهم زيدا فاضرب وله تقرير في
النحو وكيف دخلت هذه الفاء وقال الفراء انه منصوب بفعل مضمر قبله كانه
فقل اعبد الله فاعبد وقال الزمخشري بل الله فاعبد رد لما امروه به من استلام
بعض الهتهم كانه قال لا تعبد ما امروك بعبادته بل ان كنت عاقلا فاعبد الله
فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه انتهى ولا يكون تقديم المفعول
عوضا من الشرط لجواز ان تجي زيدا فعمرا اضرب فلو كان عوضا لم يجز الجمع بينهما
وكن من الشاكرين على نعمه التي اعظمها الهداية لدين الله وقرى عيسى
بل الله بالرفع والجمهور بالنصب وما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته

وما قدروه في انفسهم حق تقديره اذ اشركوا معه غيره وساووا به من الحجر والخشب
في العبادة وقرا الاعمش حق قدره بفتح الدال وقرا الحسن وعيسى وابو نوفل وابو حيوة
وما قدروا بتشديد الدال حق قدره بفتح الدال اي ما عظموه حق تعظيمه والضمير
في قدروا قال ابن عباس لكفار قريش كانت هذه الاية كلها محاورة لهم وردا عليهم وقيل
نزلت في قوم من اليهود تكلموا في صفات الله وجلاله فالحدوا وجسموا وجاءوا بكل تخليط
وهذه الجملة من قوله في الانعام وفي الحج وهنا ولما اخبر انهم ما عرفوه حق معرفته نبههم
على عظمته وجلالة شانه على طريقة التصوير والتخييل فقال والارض جميعا قبضته
يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه قال الزمخشري والغرض من هذا الكلام اذا
اخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من ذهاب
بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة او جهة مجاز انتهى يعني او جهة مجاز بعيد
والامثال والتصوير والتخييل هو من المجاز وقال غيره الاصل في الكلام حمله
على حقيقته فان قام دليل منفصل على تعذر حمله عليها تعين صرفه الى المجاز فلفظ
القبضة واليمين حقيقته في الجارحة والدليل العقلي قائم على امتناع ثبوت الاعضاء والجوارح
لله تعالى فوجب الحمل على المجاز وذلك انه تعالى فلان في قبضته وفلان اذا كان تحت
تدبيره وتسخيره ومنه او ما ملكت ايمانهم فالمراد كونه مملوكا لهم وهذه الدار في يد فلان
وقبض فلان كذا وصار في قبضته يريدون خلوص ملكه وهذا كله مجاز مستعمل
مستعمل وقال ابن عطية اليمين هنا والقبضة عبارة عن القدرة والقوة وما اختلج
في الصدور من غير ذلك باطل وما ذهب اليه القاضي يعني ابا الطيب من انها صفات
زائدة على صفات الذات قول ضعيف وبحسب ما يختلج في النفوس التي لم يحصها العلم
قال عز وجل سبحانه وتعالى عما يشركون اي هو منزه عن جميع الشبه التي لا تليق
به انتهى وقال القفال هذا كقول القائل وما قدرتني حق قدري وانا الذي فعلت
كذا وكذا اي لما عرفت انك اني وصفي هذا الذي ذكرت وجب ان لا تحط
من قدري وتنكر علي ونظيره كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم اي كيف تكفرون
بمن هذه صفته وحال ملكه فكذا هنا وما قدروا الله حق قدره اذ زعموا ان له شركا
وانه لا يقدر على احياء الموتى مع ان الارض والسموات في قبضته وقدرته انتهى والارض

اى والارضون السبع ولذلك اكد بقوله جميعا وعطفه عليه والسموات وهو
جمع والموضع موضع تفخيم فهو مقتضى المبالغة والقبضة المراد الواحد من القبض وبالضم
المقدار المقبوض بالكف ويقال في المقدار قبضة بالفتح تسمية له بالمصدر واحتمل
هنا هذا المعنى واحتمل ان يراد المصدر على حذف مضاف اى ذوات قبضته اى يقبضهن
قبضة واحدة والارضون بسعتها وبسطتها لا يبلغن الا قبضة واحدة لكف واحدة وانتصب
جميعا على الحال قال الحوفي والعامل في الحال ما دل عليه قبضته انتهى ولا يجوز ان
يعمل فيه قبضته سواء كان مصدرا ام اريد به المقدار وقال الزمخشري وموقع القصد
الى الجمع بمعنى الارض وانه اريد بها الجميع قال وما كان بالجمع اسم الجميع مؤكد قبل
بجيء الخبر ليعلم اول الامر ان الخبر الذي يرد لا يقع عن ارض واحدة ولكن عن الارض
كلهن انتهى ولم يذكر الحال العامل في الحال ويوم القيامة معمول لقبضته وقرا الحسن
قبضته بالنصب قال ابن خالويه بتقدير في قبضته هذا قول الكوفيين واما اهل البصرة
فلا يجيزون ذلك كما لا يقال زيد دارا انتهى وقال الزمخشري جعلها ظرفا مشبها للموقت
بالمبهم وقرا عيسى والجحدري مطويات بالنصب على الحال وعطف والسموات على
الارض فهي داخلة في خبر والارض والخبر قبضته وقد استدل بهذه القراءة
الاخفش على جواز زيد قائما في الدار اذا اعرب والسموات مبتدا وبيمينه الخبر
وتقدمت الحال على الجار والمجرور ولا حجة فيه اذ يكون والسموات معطوفا على
الارض كما قلنا وبيمينه متعلق بمطويات ومطويات من الطي الذي هو ضد النشر
كما قال تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب وعادة طاوي السجل ان يطويه بيمينه
وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته وقال
الزمخشري وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها اخر نحى
على من تأول هذا التأويل بما وقف عليه في كتابه ولما قرر كمال عظمته بما سبق
اردفه ايضا بما نشأ عن ذلك اذ كان فيما تقدم ذكر حال الارض والسموات
يوم القيامة فقال ونفخ في الصور وتقدم الكلام في النفخ في الصور وهل النفخ في
الصور ثلاث مرات او نفختان والنفختان قول الجمهور نفخة الفزع هي نفخة الصعق
والصعق هنا الموت اي فمات من في السموات ومن في الارض قال ابن عطية والصور

هنا

هنا القرن ولا يتصور هنا غير هذا ومن يقول الصور جمع صورة فانما يوجه قوله في نفخة البعث
وروي ان بين النفختين اربعين انتهى وقرا قتادة وزيد بن علي هنا في الصور
بفتح الواو جمع صورة معكرا على قول ابن عطية انه لا يتصور هنا الا ان يكون القرن
بل يكون هذا النفخ في الصور مجازا عن مشارفة الموت وخروج الروح وقرئ فصعق
بضم الصاد والظاهر ان الاستثناء معناه الا من شاء الله فلم يصعق اي لم يمت والمستثنون
جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم رضوان الجنة ومالك والزبانية او المستثنى
الله اقوال اخرها للحسن وما قبله للضحاك وقيل الاستثناء يرجع الى من مات قبل الصعقة
الاولى لانه يموت من في السموات والارض الا من سبق موته لانهم قد كانوا قد ماتوا
وفي آية اخرى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ثم نفخ فيه اخرى اي في الصور الذي
هو القرن او في الصور الذي هو جمع صورة واخرى نعت لمصدر محذوف اي نفخة اخرى
واحتمل اخرى ان يكون في موضع نصب على المقام مقام الفاعل كما صرح به في قوله
فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة فاذا هم قيام ينظرون اي احياء قد اعيدت لهم الابدان والا رواح
ينظرون اي ينتظرون ما يفعل بهم او ينظرون الى ما في الجهات نظر المبهوت اذا اجاه
خطب عظيم والظاهر ان قيامهم الذي هو ضد القعود لاجل استيلاء الدهش عليهم وقرا زيد
ابن علي قياما بالنصب على الحال وخبر المبتدا الظرف الذي هو اذا الفجائية وهي حال لا
بد منها اذ هي محط الفائدة الا ان يقدر الخبر محذوفا اي فاذا هم مجتمعون اي
موجودون قياما واذا نصب قياما على الحال فالعامل فيها ذلك الخبر المحذوف فلما
الخبر محذوف وان لا فالعامل هو العامل في الظرف فان كان اذا ظرف مكان
على ما نقضيه ظاهر كلام سيبويه فتقديره فبالحضرة هم قياما وان كان
ظرف زمان كما ذهب اليه الرياشي فتقديره ففي ذلك الزمان الذي نفخ فيه هم اي
وجودهم واحتيج الى تقدير هذا المضاف لان ظرف الزمان لا يكون خبرا عن الجثة
وان كانت اذا حرفا كما زعم الكوفيون فلا بد من تقدير الخبر الا ان اعتقد ان
ينظرون هو الخبر ويكون ينظرون عاملا في الحال وقرا الجمهور واشرقت مبنيا للفا على
اي اضاءت وابن عباس وعبيد بن عمير وابو الجوزاء مبنيا للمفعول من شرقت بالضوء
تشرق اذا امتلأت به واغتصت واشرقها الله كما يقول ملأ الارض عدلا و طبقها

عدلا قاله الزمخشري وقال ابن عطية وهذا إنما يترتب من فعل يتعدى فهنا على أن
تعالى أشرق البيت وأشرقه السراج فيكون الفعل مجاوزا أو غير مجاوز كرجع ورجعته
ووقف ووقفته والأرض في هذه الآية الأرض المبدلة من الأرض المعروفة ومعنى أشرقت
أضاءت وعظم نورها انتهى وقال صاحب اللوامح وجاز أن يكون الإشراق على هذه القراءة
منقولا من شرقت الشمس إذا طلعت فيصير متعديا بالنقل بمعنى أدخلت طلوعه الأرض
ولا يجوز أن يكون من أشرقت إذا أضاءت فإن ذلك لازم وهذا قد يتعدى إلى الأرض
لأنه لم يذكر الفاعل وأقيمت الأرض مقامه وهذا معنى ما ذهب إليه بعض النحاة
من عدان سعى في ذلك لأن من الأفعال ما يكون متعديا ولازما معا على مثاله
وأضرابه وفي الحديث الصحيح يحشر الناس على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس
بها علم لأحد فقيل إن الله يخلق نورا يوم القيامة فيلبسه وجه الأرض فتشرق
الأرض به وقال ابن عباس النور هنا ليس من نور الشمس والقمر بل هو نور يخلقه
في الأرض وروي أن الأرض يومئذ من فضة والمعنى أشرقت بنور خلقه الله
تعالى لها فأضافه إليه إضافة الملك إلى المالك وقال الزمخشري استعار الله النور للحق
والقرآن والبرهان في مواضع من التنزيل وهذا من ذلك والمعنى وأشرقت الأرض
بما يقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط في الحسنات ووزن الحسنات
والسيئات وينادي عليه بأنه مستعار إضافته إلى اسمه لأنه هو الحق العدل
وإضافة اسمه إلى الأرض لأنه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين
القسط ويحكم بالحق بين أهلها ولا ترى أزين للبقاع من العدل ولا أعمر لها منه ويقولون
للملك العادل أشرقت الآفاق بعدلك وأضاءت الدنيا بقسطك كما تقول
أظلمت البلاد بجور فلان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة
وكما فتح الآية بإثبات العدل ختمها بنفي الظلم ووضع الكتاب أي صحائف الأعمال ووحد
لأنه اسم جنس وكل أحد له كتاب على حدة وقيل من قال الكتاب هنا اللوح المحفوظ
وروي ذلك عن ابن عباس ولعله لا يصح وقد ضعف بأن الآية سيقت مقام التهديد
في سياق الخير وجيء بالنبيين ليشهدوا على أممهم والشهداء جمع شاهد وهم الذين
يشهدون على الناس بأعمالهم وهم الرسل من الأنبياء وقيل أمة محمد صلى الله عليه وسلم

تشهدون

للرسل وقال عطاء معناه والذين يكتبون الحفظة وقال ابن زيد أيضا النبيون والملائكة
وأمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحواري وقال ابن السهد جمع شهيد وليس فيه
توعد بهم مقصود الآية ويعني بينهم أي بين العالم ولذلك قسموا بعد إلى قسمين
أهل النار وأهل الجنة بالحق أي بالعدل ووفيت كل نفس أي جوزيت مكملا وهو أعلم
بما يفعلون فلا يحتاج إلى كاتب ولا شاهد وفي ذلك زيادة بيان …
وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها
ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت
كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين
وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم
خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده
وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين وترى الملائكة
حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين
ولما ذكر شيئا من أحوال يوم القيامة على سبيل الإجمال بين بعد كيفية أحوال
الفريقين وما انتهى إليه حال كل منهما فقال وسيق الذين والسوق يقتضي
الحث على المسير بعنف وهو الغالب فيه وجواب إذا فتحت أبوابها
ودل ذلك على أنه لا تفتح إلا إذا جاءت كسائر أبواب السجون فإنها لا تزال
مغلقة حتى يأتي أصحاب الجرائم الذين يسجنون فيها فيفتح ثم يغلق
عليهم وتقدم ذكر قراءة التخفيف والتشديد في فتحت أبوابها في … كما ذكر في
سورة الحجر وقال لهم خزنتها على سبيل التقريع والتوبيخ ألم يأتكم رسل منكم أي من
جنسكم تفقهون ما ينبئونكم به ويسهل عليكم مراجعتهم وقرأ … يأتكم بالياء
والجمهور بالتاء يتلون عليكم آيات ربكم أي الكتب المنزلة للتبشير والنذارة وينذرونكم
لقاء يومكم هذا وهو يوم القيامة وما يلقون فيه من العذاب قالوا بلى أي قد جاءنا
وتلوا وأنذروا وهذا اعتراف بقيام الحجة عليهم ولكن حقت كلمة العذاب أي قوله الحق
لأملأن جهنم على الكافرين وضع الظاهر موضع المضمر أي علينا صرحوا بالوصف
الموجب لهم العذاب ولما فرغ من محاورتهم مع الملائكة أمروا بدخول النار وسيق الذين

انتوا بهم الى الجنة مراعين عن الاسراع بهم الى الجنة مكرمين بالسوق والمسوق حواليهم
لانهم لابد منهم الا وكسر لها الا انكسر في مقابله فسمهم شاع لفظ السوق اذ لو لم يسعد
لفظ وسوق لجنس بعضه واذا شرطيه وجوابها قال الكوفيون وفتحت والواو زايده
وقال غيرهم محذوف قال الزمخشري وانما حذف لانه في صفة ثواب اهل الجنة فدل
حذفه على انه لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما يعرف [illegible] وقدره المبرد بعد
خالدين سعدوا وقيل الجواب وقال لهم خزنتها على زيادة الواو وقيل حتى اذا جاوها
وفتحت ابوابها ومن جعل الجواب محذوفا اي جعله وقال لهم على زيادة الواو وجعل قوله وفتحت
جملة حاليه اي جاوها وقد فتحت ابوابها كقوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب وناسب
كونها حالا لان ابواب الافراح تكون مفتحة لانتظار من يجي اليها بخلاف ابواب
السجون وقال لهم خزنتها سلام عليكم يحتمل ان يكون تحية منهم عند ملاقاتهم وان يكون
خبرا بمعنى السلامة والامن طبتم اي اعمالا ومعتقدا ومستقرا وجزاء فادخلوها خالدين
اي مقدرين الخلود وقالوا اي الداخلون الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا
الارض اي ملكنا ما نتصرف فيها كما نشا تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وقيل
ورثوها من اهل النار وهي ارض الجنة وقيل هو قول من قال هي ارض الدنيا قاله قتادة
وابن زيد والسدي نتبوا من الجنة حيث نشا اي نتخير امكنة ومساكن والظاهر
ان قوله فنعم اجر العاملين اي بطاعة الله هو من كلام الداخلين وقال مقاتل
هو من كلام الله تعالى وترى الملائكة الخطاب للرسول حافين قال الاخفش واحدهم حاف
وقال الفرا لا يفرد [illegible] ان الواحد لا يكون حافا اذ الحفوف الاحداق بالشي
من حول العرش قيل هو لابتداء الغاية والظاهر عود الضمير من بينهم على الملائكة اذ
ثوابهم وان كانوا معصومين يكون على حسب تفاضل اعمالهم فيختلف تفاضل مراتبهم
فذلك هو القضا بينهم بالحق وقيل الضمير يعود على العباد كلهم وان يحضر كل الى ما قدر
له هو قضا بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين الظاهر ان قائل ذلك هم من ذكر بينهم
المخاطبين من الداخلين الجنة ومن حضر من الملائكة الحافين حول العرش لكونهم في نعيم
تسبيحهم من عذاب الله وقال الزمخشري للقضا بينهم اما جميع العباد
واما الملائكة كانه قيل وقضي بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق

وانزال

وانزال كل منا منزلته التي هي حقه وقال ابن عطيه وقوله الحمد لله رب
العالمين ختم الامر وقول جزم عند فصل القضا اي ان هذا الحاكم العدل ينبغي ان يحمد
عند نفوذ حكمه واكمال قضائه ومن هذه الاية جعلت الحمد لله رب العالمين خاتمة المجالس
والمجتمعات في العلم ازف الشي قرب قال الشاعر

ازف الرحيل غدا وان ركابنا لما تزل برحالنا وكان قد ٦٠

السلاسل [illegible] السلسلة معروفة السحب الجر سجرت التنور ملأته نارا

بسم الله الرحمن الرحيم حم

تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول
لا اله الا هو اليه المصير ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في
البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه
وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمة
ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار سبع الحواميم مكية والا باجماع وقالوا في
بعض ايات السور مدني قال ابن عطيه وهو ضعيف وفي الحديث ان الحواميم ديباج
القران ومنه من اراد ان يرتع في رياض مونقة من الجنة فليقرا الحواميم ومثل
الحواميم في القران وطرف الاخبار وفي وقفا الا لحق بها سابقة ومناسبة اول
هذه السورة لاخر الزمر انه تعالى لما ذكر ما يؤول اليه حال الكافر وحال المومن
ذكر تعالى انه غافر الذنب وقابل التوب ليكون ذلك استدعا للكافر الى الايمان
والى الاقلاع عما هو فيه وان باب التوبة مفتوح وذكر شدة عقابه وصيرورة
العالم كلهم اليه ليرتدع عما هو فيه وان رجوعه الى ربه فيجازيه بما يعمله من خير
او شر وقرئ بفتح الحا وبالامالة محضة وبين اللفظين والجمهور باسكان الميم والزهري
برفعها وهو احد [illegible] ابو القسم بن جبارة الهذلي صاحب كتاب الكامل في القراءات وابو
السمال بكسرها على اصل التقا الساكنين وابن ابي اسحق وعيسى بفتحها وخرج على انها
حركة التقا الساكنين وحركة اعراب على اضمار فعل
مقدر تقديره اقرا حاميم وفي الحديث ان اعرابيا سال رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن حاميم ما هو فقال اسما ومفاتح سور وقال شريح بن اوفى العبسي

يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم

وقال الكميت

وجدنا لكم في آل حاميم آية تأولها منا تقي ومعرب

اعرب حاميم ومنعت الصرف للتأنيث والعلمية او العلمية وشبه العجمة لان فاعيل ليس
من اوزان اسماء العرب وانما وجد ذلك في العجم نحو قابيل وهابيل ويقدح فيما روي في الخبر
جمع حاميم على الحواميم كما جمع طس على الطواسين وحكى صاحب زاد المسير عن شيخه ابي
منصور اللغوي انه قال من الخطأ ان تقول قرأت الحواميم وليس من كلام العرب والصواب
ان تقول قرأت آل حاميم وفي حديث ابن مسعود في آل حم وقعت في روضات دمثات
اتأنق فيهن فان صح من لفظ الرسول انه قال الحواميم كان حجة على من منع ذلك وان كان نقل
بالمعنى امكن ان يكون من تحريف الاعاجم الا ترى ان لفظ ابن مسعود اذا وقعت في آل
حم ونحو للكميت وجدنا لكم في آل حم وتقدم الكلام على هذه الحروف المقطعة في اول البقرة
وقد زادوا في الحم اقوالا وهي مروية عن السلف رغبنا عن ذكرها لما فيها من الاضطراب
وعدم الدليل على صحة شيء منها فان صح انها اسما للسور كانت في موضع رفع على
الابتداء وان لم يصح فهو مبتدأ او من الله الخبر اي حم ابتداء اي هذا حم تنزيل من الله فيتعلق بتنزيل
والعزيز العليم صفتان دالتان على المبالغة في القدرة والغلبة والعلم وهما من صفات
الذات وقال الزجاج غافر وقابل صفتان وشديد بدل لانه انما جعل غافر وقابل
صفتين فانهما نكرتان لانه فهم من ذلك انه يراد بهما التجدد ولا التقييد بزمان
فلا يراد بهما الاستمرار والثبوت فاضافتهما محضة فيتعرف وصح ان يوصف بهما المعرفة
واما اعرب شديد العقاب بدلا لانه من باب الصفة المشبهة ولا يتعرف بالاضافة
الى المعرفة وقد نص سيبويه على انه كل ما اضافته غير محضة اذا اضيف الى معرفة جاز
ان ينوي باضافته المحض فيتعرف ويوصف به المعرفة الا ما كان من باب الصفة
المشبهة فانه لا يتعرف وحكى صاحب البديع عن الكوفيين انهم اجازوا في حسن الوجه وما اشبهه
ان يكون صفة للمعرفة قال وذلك خطأ عند البصريين لان حسن الوجه نكرة واذا اردت
تعريفه ادخلت فيه ال وقال ابو الحجاج الاعلم لا يبعد ان يقصد بحسن الوجه التعريف
لان الاضافة لا تمنع منه انتهى وهذا جنوح الى مذهب الكوفيين وقد جعل بعضهم غافر

الذنب

الذنب وقابل التوب ابدالا اعتبارا بانها لا تتعرف بالاضافة كانه لوحظ في غافر
وقابل زمان الاستقبال وقيل غافر وقابل يراد بهما المعنى فيهما معرفتان بالاضافة
ويكون انه يغفر اي ان قضاه بالغفران ويقبل التوب فيما في الدنيا وقال
الزمخشري جعل الزجاج شديد العقاب بدلا وحده من بين الصفات فيه نبو
ظاهر والوجه ان يقال لما صودف بين هذه المعارف هذه النكرة الواحدة
فقد اذنت بان كلها ابدال غير اوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها
كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها انها من الرجز فان وقع فيها جزء واحد
على متفاعلن كانت من الكامل انتهى ولا يتوفى ذلك لان الجري على القواعد
التي قد استقرت وصحت هو الاصل وقوله فقد اذنت بان كلها ابدال
تركيب غير عربي لانه جعل فقد اذنت جواب لما وليس من كلامهم
لما جاء زيد فقد جاء عمرو وقوله بان كلها ابدال فيه تكرير الابدال اما ابدال
البدل وهو عند من اثبته فيكون فيه الابدال واما بدل كل من كل وبدل
بعض من كل وبدل اشتمال فلا يعرف عن احد من النحويين اعرفه في جواز
التكرار فيها او منعه الا ان في بعض كلام اصحابنا ما يدل على ان البدل
لا يتكرر وذلك في قول الشاعر

فالى ابن ام اناس ارحل ناقتي عمرو فتبلغ حاجتي او تزحف

ملك اذا نزل الوفود ببابه عرفوا موارد مزبد لا ينزف

قال فملك بدل من عمرو بدل نكرة من معرفة قال فان قلت لم لا يكون بدلا
من ابن ام اناس قلت لانه قد ابدل منه عمرو فلا يجوز ان يبدل منه مرة
اخرى لانه قد انقطع انتهى فدل هذا على ان البدل لا يتكرر ويتحد المبدل منه
ودل على ان البدل من البدل جائز وقوله جاءت تفاعيلها هو جمع تفعال او
تفعول او تفعيل وليس فيها شيء من هذه الاوزان فصوابه ان يقول
جاءت اجزاؤها كلها على مستفعلن وقال الزمخشري ايضا ولقائل ان يقول
هي صفات وانما حذف الالف واللام من شديد العقاب ما
قبله وما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج

حتى قالوا ما نعرف سحادليه من عناديه فثنوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على
ان الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك ان يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير
منك ان يفعل انه على نية الالف واللام كما كان الجما الغفير على نية طرح الالف
واللام ومما سهل ذلك الامن من اللبس وجهالة الموصوف انتهى ولا ضرورة الى ادعا حذف
الالف واللام من شديد العقاب وترك ما هو اصل في النحو وتشبيهه بنادر مغير عن
القوانين من تثنية الوتر للشفع وتنزيه كتاب الله عن ذلك كله وقال الزمخشري
ويجوز ان يقال قد تعمد تنكيره وابهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا ادهى
منه وامر لزيادة الانذار ويجوز ان يقال هذه النكتة هي الداعية الى اختيار البدل
على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال واجاز مكي غافر وقابل البدل حملا على انهما
نكرتان لاستقبالهما والوصف حملا على انهما معرفتان لمضيهما وقال ابو عبد الله الرازي
لا نزاع في جعل غافر وقابل صفة وانما كانا كذلك لانهما يفيدان معنى الدوام والاستمرار
وكذلك شديد العقاب يفيد ذلك لان صفاته منزهة عن الحدوث والتجدد فمعناه
كونه بحيث شديد عقابه وهذا المعنى حاصل ابدا لا يوصف بانه حصل بعد ان لم يكن
انتهى وهذا كلام من لم يقف على علم النحو ولا نظر فيه ويلزمه ان يكون قوله حكيم
عليم من قوله من لدن حكيم عليم ومليك مقتدر من قوله عند مليك مقتدر معارف لتنزيه
صفاته عن الحدوث والتجدد ولانها صفات لم تحصل بعد ان لم تكن ويكون تعريف
صفاته بال وتنكيرها سوا وهذا لا يذهب اليه مبتدئ في علم النحو فضلا عمن صنف
فيه واقدم على تفسير كتاب الله ويتلخص من هذا الكلام المطول ان غافر الذنب
وما عطف عليه وشديد العقاب اوصاف لان المعطوف على الوصف وصف
والجميع معارف على ما تقرر او ابدال لان المعطوف على البدل بدل لتنكير الجميع
او غافر وقابل اوصاف وشديد بدل لمعرفة ذينك وتنكير شديد وقال الزمخشري
فان قلت ما بال الواو في قوله وقابل التوب قلت فيها نكتة جليلة وهي
افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين ان يقبل توبته فيكتبها له طاعة
من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب كان لم يذنب كانه قال جامع المغفرة والقبول
انتهى وما اكثر تبجح هذا الرجل وشقشقته والذي افاد ان الواو للجمع وهذا معروف

من ظاهر علم النحو وقال لصاحب الغنيان وانما عطف لاجتماعهما وتلازمهما وعدم انفكاك
احدهما عن الاخر وقطع شديد العقاب عنهما فلم يعطف لانفراده انتهى وفيه نزعة
اعتزالية ومذهب اهل السنة جواز غفران الله للعاصي وان لم يتب الا الشرك
والتوب يحتمل ان يكون كالذنب اسم جنس ويحتمل ان يكون جمع توبة كبسر
وبسرة وساع وساعة والظاهر من قوله وقابل التوب ان توبة العاصي بغير الكفر
كتوبة العاصي بالكفر مقطوع بقبولها وذكروا في القطع بقبول توبة العاصي قولين
لاهل السنة ولما ذكر تعالى شدة عقابه اردفه بما يطمع من رحمته وهو قوله ذي
الطول فجا ذلك وعيدا لكشفه وغفرانه قال ابن عباس الطول السعة والغنى وقال
بيان المنعم وقال ابن زيد القدرة وقيل الطول تضعيف حسناته لاوليائه
وعفوه عن سيئاتهم ولما ذكر جملة من صفاته العلى الذاتية والفعلية ذكر انه المنفرد
بالالوهية المرجوع اليه في الحشر ثم ذكر حال من جادل في الكتاب واتبع ذلك بذكر
الطاعنين في ملته وسالكي عنادهم فقال ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا اي جدالهم
فيها قولهم مرة سحر ومرة شعر ومرة كهانة ومرة اساطير الاولين ومرة انما يعلمه
بشر فهو جدال بالباطل وقد دل على ذلك قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق
وقال السدي ما يجادل اي ما يماري وقال ابن سلام ما يجحد وقال ابو
العالية نزلت في الحارث بن قيس احد المستهزئين واما من نفع من اهل العلم من النظر
فيها واستيضاح معانيها واستنباط الاحكام والعقائد منها ومقارعة اهل
البدع بها فذلك فيه الثواب الجزيل ثم نهى السامع ان يغتر بتقلب الكفار
في البلاد وتصرفهم فيها بما امليت لهم من المساكن والمزارع والممالك والتجارات
والمكاسب وكانت قريش تتجر في الشام واليمن فان ذلك وبال عليهم وسبب
في املائهم كما فعل من كان قبلهم من مكذبي الرسل وقرا الجمهور فلا يغررك بالفك
وهي لغة الحجاز وقرا زيد بن علي وعبيد بن عمير فلا يغرك بالادغام مفتوح الراء وهي
لغة تميم ولما كان تجادل الكفار ناشئا عن تكذيب ما جاء به الرسول عليه السلام من
ايات الله ذكر من كذب قبلهم من الامم السالفة وما صار اليه حالهم من حلول نقمة
الله بهم ليرتدع بهم كفار من بعث الرسول اليهم فبدا بقوم نوح اذ كان عليه السلام

اولى رسول في الارض وعطف على قومه الاحزاب وهم الذين تحزبوا على رسول
الله ولم يقبلوا ما جاءوا به من عند الله كقوم عاد وثمود وفرعون واشياعهم وهمت
الامم بالاخذ على الجدال بالباطل ليزيلوا الرسل لما عصمهم الله منهم ان يقتلوهم رجعوا
الى الجدال بالباطل وقرا الجمهور برسولهم وقرا عبد الله برسولها عاد الضمير على
لفظ امة ليأخذوه ليتمكنوا منه بحبس او تعذيب او قتل وقال ابن عباس ليأخذوه
ليهلكوه والاسير قطرب

فاما ما ورد في بعضه كلم من امر بهوى طود

وجادلوا بالباطل والاحسن اخذوه وقال قتادة ليأخذوه ليقتلوه وعبر عن الحبس
بالاخذ وجادلوا بالباطل اي بما هو مضمحل ذاهب لا ثبات له وقيل
الباطل الكفر وقيل الشيطان وقيل بقولهم ما انتم الا بشر مثلنا ليدحضوا
ليزلقوا او ليزيلوا به الحق اي الثابت الصدق ما جاءتهم فاخذتهم فكيف كان
عقاب اي انه استفهام تعجب من شدته لهم واستعظام لما حل بهم وليس استفهاما
عن كيفية عقابهم وكانوا يمرون على مساكنهم ويرون اثار نقمات الله فيهم واجتزاء
بالكسرة عن يا الاضافة لانها فاصلة والاصل عقابي وكذلك حقت اي مثل ذلك
الوجوب من عقابهم وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار من تقدم منهم ومن تأخر
بدل من كلمة وقيل هي في موضع رفع وكونهم ان يكون التقدير لانهم وحذف لام العلة
والمعنى كما وجب اهلاك اولئك الامم وجب اهلاك هؤلاء لان الموجب لاهلاكهم
وصف جامع لهم وهو كونهم من اصحاب النار وفي مصحف عبد الله وكذلك
سبقت وهو تفسير معنى لا قراءة وقرا ابن هرمز وشيبة وابن القعقاع
ونافع وابن عامر كلمات على الجمع وابو رجاء وقتادة وباقي السبعة على الافراد
الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون
للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم
عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وذرياتهم انك
انت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك
هو الفوز العظيم ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ

تدعون

تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا
بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك
به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا
وما يتذكر الا من ينيب لما ذكر جدال الكفار في آيات الله وعصيانهم ذكر
طاعة هؤلاء المصطفين من خلقه وهم حملة العرش ومن حوله وهم الحافون به من الملائكة
وذكروا انه وصف تلك الحملة وعظم خلقهم ووصف العرش وبين خلقه والحجب
السبعين التي احدقت اجنابها قالوا احصى الله سمك العرش ومن حامله
ما علمت قدرته تعالى بحمله لكن ما ذكروه مما لا تعتمد صحته لانه يحتاج الى
نقل صحيح وقرا الجمهور العرش بفتح العين وابن عباس وفرقة بضمها كانه جمع عرش
كسقف وسقف او يكون لغة في العرش يسبحون بحمد ربهم اي ينزهونه عما
لا يليق بجلاله والتحميد اشارة الى الاكرام فهو قريب من قوله تبارك اسم ربك ذي
الجلال والاكرام وتنطق وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم
وقوله ونحن نسبح بحمدك ويؤمنون به اي ويصدقون بوجوده تعالى وبما وصف
به نفسه من صفاته العلى وسمي اياه تعالى بعض الايمان قال الزمخشري فان قلت
ما فائدة قوله ويؤمنون به ولا يخفى على احد ان حملة العرش ومن حوله من الملائكة
الذين يسبحون بحمده مؤمنون قلت فائدته اظهار شرف الايمان
وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب
اعمال الخير بقوله ثم كان من الذين آمنوا فابان بذلك فضل الايمان وفائدة اخرى
وهي التنبيه على ان الامر لو كان كما تقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين
معاينين ولما وصفوا بالايمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم ان
ايمانهم وايمان من في الارض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في ان ايمان الجميع بطريق
النظر والاستدلال لا غير وانه لا طريق الى معرفته الا هذا وانه منزه عن صفات
الاجرام وقد روعي التناسب في قوله ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا
كانه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على ان الاشتراك
في الايمان يجب ان يكون ادعى شيء الى النصيحة وابعثه على امحاض الشفقة وان تفاوتت و

الاجناس وما بعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماوي
وارضي قط ثم لما جاء جامع الايمان جامعة التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر
من حول العرش لمن فوق الارض قال تعالى ويستغفرون لمن في الارض انتهى وهو كلام حسن
الا ان قوله ان ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا عن عيان فيه نظر وقوله ويستغفرون
للذين امنوا مخصص لعموم قوله ويستغفرون لمن في الارض وقال مطرف بن الشخير
وجدنا انصح العباد للعباد الملائكة واغش العباد للعباد الشياطين وتلا هذه
الاية انتهى وينبغي ان يقال انصح العباد للعباد الانبياء والملائكة ربنا وسعت كل
شيء رحمة وعلما اي يقولون ربنا واحتمل هذا المحذوف انا المستغفرون فيكون في
محل رفع وان يكون حالا اي قائلين في موضع نصب وكثيرا ما جاء النداء بلفظ رب
وفيه استعطاف العبد مولاه الذي رباه وقام بمصالحه من لدن نشاته الى وقت
ندائه فهو جدير بان لا يناديه الا بلفظ الرب وانتصب رحمة وعلما على التمييز والاصل
وسعت رحمتك وعلمك كل شيء واسند الوسع الى صاحبهما مبالغة كان ذاته هي الرحمة
والعلم وقد وسعا كل شيء وقدم الرحمة لانها ما يستمطر من احسانه وهو مطلوب
بها الحصول مطلوبهم من سؤال المغفرة ولما كان تعالى عالما بما هم عليه واجيب
ما استغفار الملائكة للمؤمنين كل لتعيينه استغفارهم وهو قولهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا
سبيلك فطلب المغفرة من سبب الرحمة والذين تابوا هم الذين اقلعوا عن ذنوبهم
الى قوله رحمة وعلما واتبعوا سبيلك وهو سبيل الحق الذي نهجها لعباده انك انت
العزيز الذي لا يغالب الحكيم الذي يضع الاشياء مواضعها التي تليق بها ولما كان
طلب الغفران يتضمن اسقاط العذاب اردفوه بالتصريح بوقايتهم العذاب
على سبيل المبالغة والتاكيد فقالوا وقهم عذاب الجحيم وطلب المغفرة ووقاية العذاب
للتائب الصالح وقد وعد بذلك الوعد الصادق بمنزلة الشفاعة في زيادة الثواب
والكرامة ولما سالوا ايصال الثواب وكرروا الدعاء بربنا فقالوا ربنا وادخلهم
جنات عدن وقرا الجمهور جنات جمعا وزيد بن علي والاعمش جنة عدن بالافراد
وكذا في مصحف عبد الله وتقدم الكلام في اعراب التي في قوله جنات عدن
التي وعد الرحمن عباده بالغيب في سورة مريم وقرا ابن ابي عبلة صلح بضم

اللام

اللام يقال صلح فهو صالح وصلح فهو صليح وقرا عيسى وذريتهم بالافراد والجمهور
بالجمع وعن ابن جبير في تفسير ذلك ان الرجل يدخل الجنة قبل قرابته فيقول اين ابي
اين امي اين ابني اين زوجتي فيلحقون به لصلاحهم ولتنبيهه عليهم وطلبه اياهم وهذه دعوة
الملائكة انتهى اذا كان الانسان في حبور ومعه عشيرته واهله كان ابهج
عنده واسر لقلبه والظاهر عطف ومن على الضمير في وادخلهم اي المحدث عنهم
والمسئول لهم وقال الفراء والزجاج نصبه من مكانين ان شئت على
الضمير في وادخلهم وان شئت على الضمير في وعدتهم وقهم السيئات اي اجعل لهم وقاية من
الوقوع فيها حتى لا يترتب عليها جزاؤها او وقهم جزاء السيئات التي اجترحوها فحذف
المضاف ولا تكرار في هذا وقولهم عذاب الجحيم بعد قوله وقهم عذاب الجحيم اذ الدعاء الاول
للذين تابوا والثاني يظهر انه لهم ولمن صلح من المذكورين او لاختلاف الدعاء
من اذا اريد بالسيئات انفسها فذلك وقاية عذاب الجحيم وهذا وقاية الوقوع في
السيئات والتنوين في يومئذ تنوين العوض من المحذوف جملة عوض منها التنوين
ولم يتقدم جملة يكون التنوين عوضا منها كقوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم
حينئذ اي حين اذ بلغت الحلقوم فلا بد من تقدير جملة يدل عليها معنى الكلام وهي
ومن تق السيئات اي جزاءها يوم اذ يؤاخذ بها فقد رحمته ولم يعرض لجزمه
المستغفرين الذين بنيا على كلامهم في الاية الجملة التي عوض منها التنوين في يومئذ
وذلك اشارة الى الغفران ودخول الجنة ووقاية العذاب هو الفوز الظفر العظيم
الذي لا خطر وجعل صفقة ولما ذكر شيئا من احوال المؤمنين ذكر
شيئا من احوال الكافرين وما يجري لهم في الاخرة من اعترافهم بذنوبهم واستحقاقهم
العذاب وسؤالهم الرجوع الى الدنيا ونداؤهم قال السدي في النار وقال
قتادة يوم القيامة والمنادون لهم الزبانية على جهة التوبيخ والتقريع واللام في
لمقت لام الابتداء او لام القسم ومقت مصدر مضاف الى الفاعل التقدير لمقت الله
اياكم او لمقت الله انفسكم وحذف المفعول لدلالة ما بعده عليه في قوله اكبر
من مقتكم انفسكم والظاهر ان مقت الله اياهم في الدنيا ويضعف ان يكون في الاخرة
كما قال بعضهم لبقاء اذ تدعون معلقا من الكلام لكونه ليس له عامل يتقدم ولا

ولا يفسر لعامل وإذا كان المقت الثاني في الدنيا أمكن أن يعمل فيه عامل
يفسره مقتكم إذ تدعون وقال الزمخشري وإذ تدعون منصوب بالمقت الأول
والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة إن الله مقت أنفسكم الأمارة بالسوء واللائمة
حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر
أشد مما تمقتونهن اليوم وأنتم في النار إذ أوقعتكم فيها باتباعكم هواهن انتهى
وفيه دسيسة الاعتزال وأخطأ في قوله إذ تدعون منصوب بالمقت الأول لأن
المقت مصدر ومعموله من صلته ولا يجوز أن يخبر عنه إلا بعد استيفائه صلته
وقد أخبر عنه بقوله أكبر من مقتكم أنفسكم وهذا من ظواهر علم النحو التي
لا تكاد تخفى على المبتدئين فضلا عمن يدعي العجم أنه في العربية شيخ العرب والعجم
ولما كان الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر لا يجوز قدرنا العامل فيه
مضمرا أي مقتكم إذ تدعون ونظيره قوله تعالى إنه على رجعه لقادر يوم تبلى
السرائر قدروا العامل يرجعه يوم تبلى السرائر للفصل بلقادر بين المصدر
ومعموله واختلفوا في المعنى الأول في الدنيا والآخر في الآخرة وهو قول
مجاهد وقتادة وابن زيد والأكثرين وتقدم لنا أن منهم من قال هو في الآخرة
وهو قول الزمخشري قال الزمخشري وعن الحسن لما رأوا أعمالهم الخبيثة
مقتوا أنفسهم فنودوا لمقت الله إياكم الآن أكبر من مقتكم بعضكم بعضا كقوله
يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وإن تعلق إذ ... كان قوله وإذ
يتعلق من كلام الزمخشري وقال قوم إذ تدعون معمول لاذكروا محذوفة
ويتجه ذلك على أن يكون مقت الله إياهم في الآخرة على قول الحسن قيل لهم
ذلك توبيخا وتقريعا وتنبيها على ما فاتهم من الإيمان وثوابه ويحتمل قوله من مقتكم
أنفسكم أن يكون على حقيقته أو أن بعضكم يمقت بعضا كما قيل إن الأتباع
يمقتون الرؤساء لما ورطوهم فيه من الكفر والرؤساء يمقتون الأتباع وقيل
يمقتون أنفسهم حين قال لهم الشيطان فلا تلوموني ولوموا أنفسكم وأطلق
أشد البغض وهو مستحيل في حق الله تعالى فمعناه الإنكار والزجر قالوا ربنا
أمتنا اثنتين وجه اتصال هذا بما قبله أنهم كانوا ينكرون البعث وعظم مقتهم

أنفسهم هذا الإنكار فلما مقتوا أنفسهم ورأوا دوام عذابهم طويلا رجعوا إلى الإقرار
بالبعث فأقروا أنه تعالى أماتهم اثنتين وأحياهم اثنتين تعظيما لقدرته و
توسلا إلى رضاه ثم أطمعوا أنفسهم بالاعتراف بالذنوب أن يردوا إلى الدنيا
أي أرجعنا إلى الدنيا وادعنا إلى الإيمان بادرنا إليه وقال ابن عباس وقتادة
والضحاك وأبو مالك موتتهم كونهم ماء في الأصلاب ثم إحياؤهم في الدنيا ثم موتهم
فيها ثم إحياؤهم يوم القيامة وقال السدي إحياؤهم في الدنيا ثم إماتتهم فيها ثم إحياؤ
في القبر لسؤال الملكين ثم إماتتهم فيه ثم إحياؤهم في الحشر وقال ابن زيد أحياهم
فعلى هذا والذي قبله تكون ثلاث إحياءات وهو خلاف القرآن وقال محمد
ابن كعب الكافر في الدنيا حي الجسد ميت القلب فاعتبرت الحالتان ثم إماتتهم
حقيقة ثم إحياؤهم في البعث وتقدم الكلام في أول البقرة على الإماتتين
والإحياءتين في قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا الآية وكررنا ذلك هنا
لبعد ما بين الموضعين قال الزمخشري فإن قلت كيف صح أن يسمي
خلقهم أمواتا إماتة قلت كما صح أن تقول سبحان من صغر جسم البعوضة
وكبر جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع أسفلها وليس ثم
نقل من كبر إلى صغر ولا من صغر إلى كبر ولا من ضيق إلى سعة ولا من سعة إلى
ضيق وإنما أردت الإنشاء على تلك الصفات والسبب في صحته أن الصغر والكبر
جائزان على المصنوع الواحد من غير ترجح لأحدهما وكذلك الضيق والسعة
فإذا اختار الصانع أحد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع
عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه انتهى يعني أن خلقهم أمواتا كأنه
نقل من الحياة وهو الجائز الآخر والظاهر فاعترفنا بذنوبنا أنه تسبب عن قولهم
ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين وثم محذوف أي فعرفنا قدرتك على
الإماتة والإحياء وزال إنكارنا بالبعث فاعترفنا بذنوبنا السابقة من إنكار
البعث وغيره فهل إلى خروج أي سريع أو بطيء من النار من سبيل وهذا سؤال
من يئس من الخروج ولكنه تعلل وتحير ذلكم الظاهر أن الخطاب للكفار في
الآخرة والإشارة إلى العذاب الذي هم فيه أو إلى مقتهم أنفسهم أو إلى المنع من

انه

هم

انفسهم

المزوج والزجر والاهانة لهم الان مقوله وقيل الخطاب للحاضرين زمن رسول الله صلى الله عليه
وسلم والضمير في بانه ضمير الشان اذا دعي الله وحده اي اذا افرد بالالوهية ونفيت
عن سواه كفرتم وان يشرك به اي اذا ذكر اللات والعزى وامثالها من الاصنام صدقتم
بالوهيتها وسكنت نفوسكم اليها فالحكم لله اي الحكم اليوم لله لا لتلك الاصنام التي اشركتموها
مع الله العلي عن الشريك الكبير العظيم الكبرياء وقال محمد بن كعب لاهل النار خمس دعوات
يكلمهم الله في الاربعة فاذا كانت الخامسة سكتوا قالوا ربنا امتنا اثنتين الاية
وفي ابراهيم ربنا اخرنا الاية وفي السجدة ربنا ابصرنا وفي فاطر ربنا اخرجنا نعمل الاية
وفي المؤمنين ربنا غلبت علينا شقوتنا الاية فراجعهم اخسئوا فيها ولا تكلمون قال
فكان اخر كلامهم ذلك ولما ذكر تعالى ما يوجب التهديد الشديد في حق المشركين
اردفه بذكر ما يدل على كمال قدرته وحكمته ليصير ذلك دليلا على انه لا يجوز جعل
الاحجار المنحوتة والخشب المنحوت شركاء لله تعالى فقال هو الذي يريكم اياته اي الدلائل
والشواهد الدالة على قدرته من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها من الاثار
العلوية والايات الكتابية المشتملة على علم الاولين والاخرين والايات الاعجازية على ايدي
رسله وهذه الايات راجعة الى نور العقل الداعي الى توحيد الله ثم قال وينزل لكم من
السماء رزقا وهو المطر الذي هو سبب قوام بنية البدن مثل الايات للارواح
كما هو الرزق للابدان وما يتذكر اي يتعظ ويعتبر وجعله يتذكر الاية من كون
في العقول كالاية التوحيد ثم تعرض للاستغناء بعبادة غير الله فمنع من حمل
نور العقل فاذا اناب الى الله فذكر **فادعوا الله مخلصين له الدين** ولو كره
الكافرون رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر
يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب وانذرهم يوم
الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم
خائنة الاعين وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه
لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة واثارا في الارض فاخذهم

الله

الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات
فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب الامر بقوله فادعوا [illegible]
المؤمنين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ادعوه مخلصين له الدين من الشرك
على كل حال حتى في حال غيظ اعدائكم المحاربين عليكم وعلى استيصالكم ورفيع خبر
خبر مبتدا محذوف قال الزمخشري ثلاثة اخبار مترتبة على قوله الذي يريكم او اخبار
مبتدا محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا انتهى اما ترتيبها على قوله هو الذي
يريكم فبعيد لطول الفصل واما كونها اخبار المبتدا محذوف فمبني على جواز تعدد
الاخبار اذا لم يكن معرفة ونكرة اخرى والمنع اختيار اصحابنا وقرئ رفيع بالنصب على
المدح واحتمل رفيع ان يكون للمبالغة على فعيل من رافع فيكون الدرجات مفعوله
اي رافع درجات المؤمنين منازلهم في الجنة وبه فسر ابن سلام او عبر بالدرجات
عن السموات اي رفعها سماء فوق سماء والعرش فوقهن وبه فسر ابن جبير
واحتمل ان يكون رفيع فعيلا من رفع الشيء علا فهو رفيع فيكون من باب الصفة
المشبهة والدرجات المصاعد للملائكة الى ان تبلغ العرش اضيفت اليه على
سلطانه اي درجات ملائكته كما وصفه بقوله ذي المعارج او يكون ذلك عبارة
عن رفعة شانه وعلو سلطانه كما ان قوله ذو العرش عبارة عن ملكه وبنحوه
فسر ابن زيد قال عظيم الصفات والروح النبوة قاله قتادة والسدي
كما قال روحا من امرنا وعن قتادة ايضا الوحي وقال ابن عباس القران وقال الضحاك
جبريل يرسله لمن يشاء وقيل الرحمة وقيل ارواح العباد وهذان القولان ضعيفان
والاولى الوحي استعار له الروح لحياة الابدان المرضية به كما قال اومن كان
ميتا فاحييناه وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون القاء الروح عاما لكل ما ينعم
الله به على عباده المهتدين في تفهم الايمان والمعقولات الشريفة انتهى وقال الزجاج
الروح كل ما به حياة الناس وكل مهتد حي وكل ضال ميت انتهى وقال ابن عباس
من امره من قضائه وقال مقاتل بامره وقال الثعلبي من قوله ويظهر ان من لابتداء
الغاية وقرا الجمهور لينذر مبنيا للفاعل يوم بالنصب والظاهر ان الفاعل ضمير
يعود على الله لانه هو المحدث عنه واحتمل يوم ان يكون مفعولا على السعة وان

يكون ظرفا والمنذر به محذوف وقرأ أبي وجماعة كذلك إلا أنهم رفعوا يوم على
الفاعلية مجازا وقيل الفاعل في القراءة الأولى ضمير الروح وقيل ضمير من وقرأ اليماني
فيما ذكره صاحب اللوامح لتنذر مبنيا للمفعول يوم التلاق برفع الميم وقرأ الحسن
واليماني فيما ذكره ابن خالويه لتنذر بالتاء فقالوا الفاعل ضمير الروح لأنها تؤنث أو
فيه ضمير الخطاب للرسول وقرئ التلاقي والتنادي بياء وبغير ياء وسمي يوم التلاق
لالتقاء الخلائق فيه قاله ابن عباس وقال قتادة ومقاتل يلتقي فيه الخالق والمخلوق
وقال ميمون بن مهران يلتقي فيه الظالم والمظلوم وحكى الثعلبي يلتقي المرء بعمله
وقال السدي يلتقي أهل السماء وأهل الأرض وقيل يلتقي العابدون ومعبودهم يوم
هم بارزون أي ظاهرون من قبورهم لا يسترهم شيء من جبل أو أكمة أو بناء لأن
الأرض إذ ذاك قاع صفصف ولا من ثيابهم لأنهم يحشرون عراة حفاة غرلا
ويوم بدل من يوم التلاق وكلاهما ظرف مستقبل والظرف المستقبل عند
سيبويه لا يجوز إضافته إلى الجملة الاسمية لا يجوز أجيئك يوم زيد ذاهب إجراء له
مجرى إذا فكما لا يجوز أن تقول أجيئك إذا زيد ذاهب فكذلك لا يجوز هذا وذهب
أبو الحسن إلى جواز ذلك فيصح قوله يوم هم بارزون على هذا المذهب وقد أجاز
ذلك بعض أصحابنا على قلة والدلائل مذكورة في علم النحو وقال ابن عطية ويحتمل أن
يكون انتصابه على الظرف والعامل فيه قوله لا يخفى وهي حركة إعراب لا حركة
بناء لأن الظرف لا يبنى إلا إذا أضيف إلى غير متمكن كيومئذ وقال الشاعر

على حين عاتبت المشيب على الصبا

وكقوله هذا يوم لا ينطقون وأما في هذه الآية فالجملة اسم متمكن كما تقول جئتك
يوم زيد أمير فلا يجوز البناء يعني أنه منصوب على الظرف قوله يوم هم بارزون
وأما قوله لا يبنى إلا إذا أضيف إلى غير متمكن فليس بصحيح بل يجوز فيه
البناء والإعراب وأما مسألة يوم ينفع فمذهب البصريين أنه لا يجوز فيه إلا الإعراب
ومذهب الكوفيين جواز البناء والإعراب فيه وأما إذا أضيف إلى جملة اسمية نحو
ما مثل من قوله جئت يوم زيد أمير فالنقل عن البصريين تحتم الإعراب كما ذكروا
والنقل عن الكوفيين جواز الإعراب والبناء وذهب إليه بعض أصحابنا وهو

الصحيح

الصحيح لكثرة شواهد البناء على ذلك ووقع في بعض تصانيف بعض أصحابنا أنه يتحتم فيه
البناء وهذا قول لم يذهب إليه أحد فيما وقفنا عليه لا يخفى على الله منهم شيء أي من سرائرهم
وبواطنهم قال ابن عباس إذا هلك من في السموات ومن في الأرض فلم يبق إلا الله
قال لمن الملك فلا يجيبه أحد فيرد على نفسه لله الواحد القهار قال ابن مسعود يجمع
الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص
الله فيها قط فأول ما يتكلم به أن ينادي مناد لمن الملك اليوم فيجيبوا كلهم لله الواحد
القهار وروي أنه تعالى يقرر هذا التقرير ويسكت العالم هيبة وجزعا فيجيب نفسه
بقوله لله الواحد القهار وقال الحسن هو السائل وهو المجيب وقيل ينادي
بالتقرير ملك فيجيب الناس وإنما خص التقرير باليوم وإن كان الملك لله تعالى في ذلك
اليوم وفي غيره لظهور ذلك للكفرة والجهلة ووضوحه يوم القيامة وإذا تأمل من له
مسكة عقل تسخير أهل السموات والأرض ونفوذ القضاء فيهم تيقن أنه لا ملك إلا لله
[illegible] ملكه في ذلك اليوم جزاء كل نفس بما كسبت وانتفاء الظلم وسرعة الحساب إذ
حسابهم في وقت واحد لا يشغله حساب عن حساب قال ابن عطية وهذه
الآية نص في أن الثواب والعقاب معلق باكتساب العبد انتهى وهو على طريقة الأشعري
وروي أن يوم القيامة لا ينتصف حتى يقيل المؤمنون في الجنة والكافرون في النار
ويوم الآزفة هو يوم القيامة أمر تعالى نبيه أن ينذر العالم ويحذرهم منه ومن أهواله
قاله مجاهد وابن زيد والآزفة صفة لمحذوف تقديره يوم الساعة الآزفة
أو الطامة الآزفة ونحو هذا ولما اعتقب كل إنذار نوعا من المشقة والخوف
وعرفها حسن التكرار والآزفة القريبة كما تقدم وهي مشارفتهم دخول النار فإنه
إذ ذاك ترتفع القلوب عن مقارها من شدة الخوف وقال أبو مسلم يوم الآزفة يوم المنية
وحضور الأجل يدل عليه أنه تعالى وصف يوم القيامة بأنه يوم التلاق ويوم بروزهم
فوجب أن يكون هذا اليوم غيره وهذه الصفة مخصوصة في سائر الآيات بيوم
الموت قال تعالى فلولا إذا بلغت الحلقوم كلا إذا بلغت التراقي وأيضا فوصف
يوم الموت بالقرب أولى من وصف يوم القيامة بالقرب وأيضا فالصفات
المذكورة بعد قوله يوم الآزفة لائقة بحضور يوم الموت لأن الرجل عند معاينة ملائكة

العذاب لعظم خوفه وكاد قلبه يبلغ حنجرته من شدة الخوف ولا يكون له حميم ولا شفيع
يوقع عنه ما به من انواع الخوف اذ القلوب لدى الحناجر قيل يجوز ان يكون ذلك يوم
القيامة حقيقة يبقون كالجامع ذلك حالة الدنيا فان من اشتغل قلبه الى حنجرته مات
ويجوز ان يكون ذلك كناية عما يبلغون اليه من شدة الجزع كما تقول كادت
نفسي ان تخرج وانتصب كاظمين على الحال قال الزمخشري هو حال عن اصحاب القلوب
على المعنى اذ المعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز ان يكون حالا من
القلوب وان القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع الكاظم جمع السلامة
لانه وصفها بالكظم الذي هو من افعال العقلاء كما قال رايتهم لي ساجدين وقال فظلت
اعناقهم لها خاضعين ويعضده قراءة من قرا كاظمون ويجوز ان يكون حالا عن قوله
ايضا انذرهم مقدرة وقال ابن عطية كاظمين حال مما ابدل منه قوله
اذ القلوب او مما تضاف القلوب اليه لان المراد اذ قلوب الناس لدى حناجرهم وهذا
كقوله تعالى يشخص فيه الابصار مهطعين اراد تشخص فيه ابصارهم وقال الحوفي
القلوب رفع بالابتداء ولدى الحناجر الخبر متعلق بمعنى الاستقرار وكاظمين نصب على
الحال والعامل في الحال الاستقرار وقال ابو البقاء كاظمين حال من القلوب
لان المراد اصحابها ما للظالمين من حميم اي محب مشفق ولا شفيع يطاع في
موضع الصفة لشفيع واحتمل ان يكون في موضع جر على اللفظ وفي موضع رفع
على الموضع واحتمل ان ينسحب النفي على الوصف فقط فيكون ثم شفيع ولكنه لا يطاع
اي لا يقبل شفاعته واحتمل ان ينسحب النفي على الموصوف وصفته اي لا شفيع
فيطاع وهذا هو المقصود في الاية لان الشفيع عند الله انما يكون منا ولياته
تعالى ولا يكون الشفاعة الا لمن ارتضاه الله وايضا فلا يكون في زمان التقصير
والثواب ولا يمكن شيء من هذا في حق الكافر وعن الحسن والله ما يكون لهم شفيع البتة
يعلم خائنة الاعين الظاهر انه من اضافة الصفة للموصوف اي الاعين الخائنة كقوله
وان سقيت كرام الناس فاسقينا يعني
اي الناس الكرام وجوزوا ان يكون خائنة مصدرا كالعافية والعاقبة اي يعلم خائنة الا
ولما كانت الافعال التي يقصد بها التكتم بدنية فاخفاها خائنة الاعين من نسو

تخفى

تخفى وتخفى ويطلع منه معنى ويريد صاحبه معنى آخر وقلبه وهو ما يحتوي عليه الضمائر
سمي ما يلمح به الى بعض العيوب وذكر ابن عطية متعلق بها التعلق التام وقال الزمخشري
ولا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه اعني
يعني انه لا يناسب ان يكون مقابل المعنى الا المعنى ويعضد ان الظاهر انه يكون المعنى
الاعين الخائنة والظاهر ان قوله يعلم خائنة الاعين متصل بما قبله لما امر بان يوم
الازفة وما يعرض فيه من شدة الكرب والغم وان الظالم لا يجد فيه من حميمه
من كل ولا من يشفع له ذكر اطلاعه على جميع ما يصدر من العبد وانه مجازيه
باعماله ليكون على حذر من ذلك اليوم اذا علم ان الله مطلع على اعماله وقال ابن عطية
يعلم خائنة الاعين متصل بقوله سريع الحساب لان سرعة حسابه للخلق انما هي
بعلمه الذي لا يحتاج معه الى روية وفكر ولا لشيء مما يحتاجه المحاسبون وقال غيره
يعلم متصل بقوله لا يخفى على الله منهم شيء وهذا قول احسن يعضده ما سبق المعنى
وتضعفه بعد الاية من الاية وكثرة الفاصل انتهى وقال الزمخشري فان قلت
بم اتصل يعلم خائنة الاعين قلت هو خبر من اخبار هو في قوله هو الذي
يريكم الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد لذكر احوال
يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته انتهى وفي بعض الكتب
المنزلة انا مرصاد الهمم انا العالم بجال الفكر وكسر الجفون وقال مجاهد خائنة
الاعين مسارقة النظر الى ما لا يجوز ومثل المفسرون خائنة الاعين بالنظر الثاني
الى حرمة غير الناظر وما تخفي الصدور بالنظر الاول الذي لا يمكن دفعه والله يقضي
بالحق هذا يوجب عظم الخوف لان الحاكم اذا كان عالما بجميع الاحوال ولا يقضي
الا بالحق فيما دق وجل كان الخوف تاما والذين يدعون من دونه لا يقضون
بشيء هذا قدح في اصنامهم وتهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي
ولا يقضي وقرا الجمهور يدعون على الغيبة لتناسب الضمائر الغائبة قبل وقرا
ابو جعفر وشيبة ونافع بخلاف عنه وهشام تدعون بتاء الخطاب اي قل لهم يا محمد
ان الله هو السميع البصير تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد
لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وتعريض بالاصنام انها لا تسمع ولا تبصر

اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم احال قريشا
على الاعتبار بالمسير وجاز ان يكون فينظروا مجزوما عطفا على يسيروا وان يكون
منصوبا على جواب النفي كما قال الم تسأل فتخبرك الرسوم ويفيد الكلام على هذا
نفي الجهد وحمل الزمخشري هم على ان يكون فصلا ولا يتعين اذ يجوز ان يكون هم
توكيدا للضمير كانوا وقرأ الجمهور منهم بضمير الغيبة وابو عامر منكم بضمير الخطاب على
سبيل الالتفات وآثارا في الارض معطوف على قوة اي آثار مبانيهم وحصونهم
وعددهم كانوا في غاية الشدة كما قال وتنحتون من الجبال بيوتا وقال الزمخشري
او اراد اكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا
اي ومتقلدا رمحا ولا حاجة الى ادعا الحذف مع صحة المعنى بدونه من واق
اي وما كان لهم من عذاب الله من ساتر يقيهم منه ذلك الاخذ وتقدم تفسير
نظير هذه **ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين** الى فرعون وهامان
وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين
آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال وقال فرعون ذروني
اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض الفساد وقال موسى
اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقال رجل مؤمن من آل
فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان
يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي
من هو مسرف كذاب يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس
الله ان جاءنا قال فرعون ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد ابتدأ
تعالى قصة موسى مع فرعون تسلية للرسول عليه السلام ووعيدا لقريش ان يحل
بهم ما حل بفرعون وقومه من نقمات الله ووعد المؤمنين بالظفر والنصر وحسن
العاقبة وآيات موسى عليه السلام كثيرة والذي كان عليهم من المعجز العصا
واليد و[?] اعني وسلطان نص اللام والسلطان المبين الحجة
والبرهان الواضح والظاهر ان قارون هذا الذي ذكره الله تعالى في قوله ان
قارون كان من قوم موسى وهو من بني اسرائيل وقيل هو غيره وقص علي

هامان

وهامان وقارون لمكانتهما في الكفر ولانهما اشهر اتباع فرعون فقالوا ساحر كذاب اي
هذا ساحر لما ظهر على يديه من قلب العصا حية وظهور النور الساطع على يده كذاب
لكونه ادعى انه رسول من رب العالمين فلما جاءهم بالحق من عندنا اي بالمعجزات والنبوة
والدعا الى الايمان بالله قالوا اي اولئك الملأ اقتلوا قال ابن عباس اي اعيدوا عليهم
القتل الاول وذلك لانه امر بقتل ابناء المؤمنين لئلا ينشأوا على دين موسى عليه السلام وما
للاستحياء والاستبقاء ولم ينفع ما امروا به ولا تم لهم ولا اعانهم الله عليه وما كيد
الكافرين الا في ضلال اي في خسران وحط لم ينفع منه شيئا ولا انجح سعيهم وكانوا باشروا
القتل اولا فلم يصدوا قضا الله في اظهار من خافوا هلاكهم على يديه وقد كان
فرعون قد كف عن قتل الابنا فلما بعث موسى واحس انه قد وقع ما كان يحذره
اعاد القتل عليهم غيظا وحنقا وظنا منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى وما علم
ان كيده ضائع في الكرتين معا وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه قال الزمخشري
ونقصه من كلام الحسن كان اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه
وهو اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة ومثله لا يقاومه الا ساحر
مثله ويقولون اذا قتلته ادخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت عن مظاهرته
بالحجة والظاهر ان فرعون لعنه الله كان قد استيقن انه نبي وان ما جاء به آيات
وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجربزة وكان قتالا سفاكا للدماء
في اهون شيء فكيف لا يقتل من احس منه بانه هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه
ولكنه يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله وليدع ربه شاهد صدق على
فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني اقتل موسى تمويها على قومه
وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول الفزع
وقال ابن عطية الظاهر من امر فرعون انه لما بهرت آيات الله موسى عليه
السلام انهد ركنه واضطربت معتقدات اصحابه ولم يفقد منهم من يجاريه
الخلاف في امره وذلك بين من غير ما موضع من قصتهما وفي ذلك على هذا دليلان
احدهما قوله ذروني فليست هذه من الفاظ الجبابرة المتمكنين من انفاذ اوامرهم
والدليل الثاني مقالة المؤمن وما صدع به وان مكاشفته لفرعون اكثر من مسايرته

سحرا

ضطراب

وكلمة سبوع موسى اظهر من تعريضه في امره واما فرعون فانه لجا الى المخرقة والا
والتعالي ومن ذلك قوله ذروني اقتل موسى وليدع ربه اي اني لا ابالي من رب موسى
ثم رجع الى قومه يوهمهم النصيحة والحماية لهم فقال اني اخاف ان يبدل دينكم والدين السلطا
ومنه قول جرير

لئن طلبت حوفي بني سعد بن عمرو وجالب مسافة قول

اسمي وسد بلدتهم بغو نعس وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام كما قال ويذرك
وآلهتك وان يظهر في الارض الفساد وذلك بالهياج الذي يذهب معه الامن
وتتعطل المزارع والمكاسب ويهلك الناس قتلا وضياعا فاما فرعون فساد دينهم ودنياهم
معا وقد ادرعون مخوفه بعبر دينهم على تعبير ديناهم لانهم حيهم لاد بانهم فوق حبهم لاموالهم
وقوله تعالى الذروي يدل على انهم كانوا المعبوته من قبله اما الكون بعضهم كان
مصيدقا له سبحل ما منع قبله واما الماوردي عن الحسن ما ذكره الزمخشري واما السفل
فلبث فرعون بموسى حتى لا يسرع لهم ولا يمنوا من سره كما يفعلون مع الله اذا احرج
تملة حارجي شغلوه به حتى لا يمنوا من سره وقرا الكوفيون بزيادة الحرف من
سدل الدين او ظهور الفساد وقرا باقي السبعة وان بانتصاب الحرف عليها معا
وقرا انس بن مالك وابن المسيب ومجاهد وقتادة وابو رجاء والحسن والجحدري
ونافع وابو عمرو وحفص يظهر من اظهر مسندا للفاعل الفساد نصبا وقرا باقي
السبعة والاعرج والاعمش وابن وثاب وعيسى يظهر من الظهر مسندا للفاعل
الفساد رفعا وقرا مجاهد يظهر بتشديد الظاء والها الفساد رفعا وقرا زيد بن
علي يظهر بضم الياء وفتح الهاء مسندا للمفعول الفساد رفعا ولما سمع موسى مقاله
فرعون استعاذ بالله من شر كل متكبر منكر للمعاد وقال وربكم بعثا على الاقتدا
به فيعوذوا بالله ويعتصموا به ومن كل متكبر يشمل فرعون وغيره من الجبابرة وكان
ذلك على طريق التعريض فكان ابلغ والتكبر تعاظم الانسان في نفسه مع حقارته
لانه يعقل ولا يؤمن بيوم الحساب اي بالجزاء فكان ذلك كونه من حربه اذ حصل له
التعاظم في نفسه وعدم المبالاة بالعواقب وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي
عذت بالادغام وباقي السبعة بالاظهار وقال رجل من آل فرعون يكتم ايمانه قيل

كان قبطيا ابن عم فرعون وكان يجري مجرى ولي العهد ومجرى صاحب الشرطة وقيل
كان قبطيا ليس من قرابته وقيل قيل فيه من آل فرعون لانه كان في الظاهر
على دينه ودين اتباعه وقيل كان اسرائيليا وليس من آل فرعون وجعل
قوله من آل فرعون متعلقا بقوله يكتم ايمانه الا في موضع الصفة لرجل كما يدل عليه
الظاهر وهذا فيه بعد اذ لم يكن لاحد من بني اسرائيل ان يحاسن عند فرعون فيقبل
ما تكلم به هذا الرجل وقد رد حوله من علو قول فرعون ثم بانه لا يقال كتمت
من فلان كذا وانما يقال كتمت فلانا كذا قال تعالى ولا يكتمون الله حديثا وقال
الشاعر

كتمتك ليلا بالجمومين ساهرا وهمين هما مستكنا وظاهرا

احاديث نفس تشتكي ما يريبها وورد هموم لا يجدن مصادرا

اي كتمتك لحادث نفس وهمين بل واسمه شمعان وقيل حبيب وقيل جبريل وقرا
الجمهور رجل بضم الجيم وقرا عيسى وعبد الوارث وعبيد بن عقيل وحمزة بن
القسم عن ابي عمرو بسكونها وهي لغة تميم ونجد يقولون رجلان يقول اي لان
يقول ربي الله وهذا انكار منه عظيم وتبكيت لهم كانه قال اتقتلون الفعلة
الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة في ارتكابها الا كلمة الحق التي نطق
بها وهي قوله ربي الله مع انه قد جاءكم بالبينات من ربكم اي من عند من نسب اليه الربو
بية وهو ربكم لا ربه وحده وهذا استدراج الى الاعتراف وقال الزمخشري ولك ان
تقدر مضافا محذوفا اي وقت ان يقول والمعنى اتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا
القول من غير روية ولا فكر في امره انتهى وهذا الذي اجازه من تقديره الخاف
المحذوف الذي هو وقت لا يجوز تقول جئت صياح الديك اي وقت صياح الديك
ولا يجوز جئت ان صاح الديك ولا اجي ان يصيح الديك نص على ذلك النحاة فشرط
ذلك ان يكون المصدر مصرحا به لا مقدرا وان يقول ليس مصدرا مصرحا به بالبينا
بالدلائل على التوحيد وهذا الذي ذكرها في طه والشعراء حالة محاورته له في سؤاله
عن ربه تعالى ولما صرح بالانكار عليهم عالطهم بعد ذلك بان قسم امره الى الكذب والصدق

وادى ذلك في صورة احتمال ونظيره وبدا في التقسيم بقوله وان يك كاذبا فعليه كذبه
مداراة منه وسلوكا طريق الانصاف في القول وخوفا اذا انكر عليهم قبل انه ممن
يعاضده وينصره فاوهمهم بهذا التقسيم والابتداء بحالة الكذب حتى يسمعوا منه و
يكون ذلك ادعى الى تسليمهم ومعنى فعليه كذبه اى لا يتخطاه ضرره وان يك صادقا
يصبكم بعض الذي يعدكم وهو يعتقد انه نبي صادق قطعا لكنه اتى بلفظ بعض الالزام
الحجة باسرها في الامر وليس فيه نفي ان يصيبهم كل ما يعدهم وقالت فرقة يصيبكم بعض
العذاب الذي يذكره وذلك كاف في هلاككم او تكون المعنى يصيبكم القسم الواحد مما
يعدبه وذلك هو بعض ما يعد لانه عليه السلام وعدهم ان امنوا بالنعمة وان كفروا
بالنقمة وقالت فرقة بعض الذي يعدكم عذاب الدنيا لانه بعض عذاب الاخرة ومصيرو
بعد ذلك الى النار وقال ابو عبيدة وغيره بعض بمعنى كل وانشدوا قول عمرو بن شييم
القطامي

قد يدرك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقال الزمخشري وذلك انه حين فرضه صادقا فقد اثبت انه صادق في جميع ما
يعد ولكنه اردفه يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم انه
ليس كلام من اعطاه حقه وافيا فضلا ان يتعصب له انتهى قلت وعن ابي عبيدة
انه فسر البعض بالكل وانشد بيت لبيد

تراك امكنة اذا لم ارضها ... او يرتبط بعض النفوس حمامها

قلت ان صح الرواية عنه فقد حق فيه قول المازني في مسألة العلقى كان اجفى
من ان يفقه ما اقول له انتهى ويعني ان ابا عبيدة خطأ والناس اعتقدوا ان بعضا
تكون بمعنى كل واستشهدوا ايضا في كون بعض بمعنى كل قول الشاعر

ان الامور اذا الاحداث دبرها ... دون الشيوخ ترى في بعضها خللا

انما اراد الاحداث ولذلك قال دبرها ولم يقل دبروها واتى المضاف المحذوف
ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب فيه اشارة الى علو شأن موسى عليه السلام
وان من اصطفاه الله بالنبوة لا يمكن ان يقع منه اسراف ولا كذب وفيه تعريض
بفرعون اذ هو في غاية الاسراف على نفسه وقتل ابناء المسلمين وفي غاية الكذب
اذا ادعى الالهية والربوبية ومن هذا شأنه لا يهديه الله وفي الحديث الصديقون

ثلاثة

ثلاثة حبيب النجار مؤمن آل يس ومؤمن آل فرعون وعلي بن ابي طالب وفي الحديث انه عليه
السلام طاف بالبيت فحين فرغ اخذوا بمجامع ردائه فقالوا له انت الذي تنهانا
عما كان يعبد اباؤنا فقال انا ذاك فقام ابو بكر رضي الله عنه فالتزمه من ورائه
وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته
بذلك وعيناه تسفحان حتى ارسلوه وعن جعفر الصادق ان مؤمن آل فرعون
قال ذلك سرا وابو بكر قاله ظاهرا وقال السدي مسرف بالقتل وقال قتادة مسرف
بالكفر وقال صاحب التحرير والتحبير هذا نوع من انواع علم البيان تسميه علماء
واستدراج المخاطب وذلك انه لما رأى فرعون قد عزم على قتل موسى والقوم قد
عملوا على قتله اراد الانتصار له بطريق يخفي عليهم بها انه متعصب له وانه من اتباعه
فجاءهم من طريق النصح والملاطفة فقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ولم يذكر
اسمه بل قال رجلا يوهم انه لا يعرفه ولا يتعصب له ان يقول ربي الله ولم
يقل رجلا مؤمنا بالله او هو نبي الله اذ لو قال شيئا من ذلك لعلموا انه متعصب
ولم يقبلوا قوله ثم اتبعه بما بعد ذلك فقدم قوله ثم اتبعه بما بعد ذلك فقدم قوله
وان يك كاذبا موافقة لرأيهم فيه ثم تلاه بقوله وان يك صادقا ولم يقل هو صادق
وقال يصبكم بعض الذي يعدكم ولم يقل كل ما يعدكم اذ لو قال هو
صادق وكل ما يعدكم علموا انه متعصب وانه يزعم انه نبي وانه يصدقه
فان الانبياء لا تخل بشيء مما يقولونه ثم اتبعه بكلام يفهم منه انه ليس بمصدق
له وهو قوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب انتهى قال يا قوم بدا
متلطفا في موعظتهم لكم الملك اليوم ظاهرين اي عالين في الارض
في ارض مصر قد علوتم بني اسرائيل فيها وقهرتموهم واستعبدتموهم وتدابع بالملك الذي
هو اعظم مراتب الدنيا واظهار هو من جهة شهواتهم واسند ظاهرين على الحال
والعامل فيها هو العامل في الجار والمجرور وذو الحال هو ضمير لكم ثم حذرهم ان
يعسروا على انفسهم بانه ان جاءهم بأس الله لم يجدوا ناصرا لهم ولا دافعا وادرج نفسه
في قوله ينصرنا وجاءنا لانه منهم في القرابة وليعلمهم ان الذي ينصحهم به هو مشارك
لهم فيه واقوال هذا المؤمن هذه تدل على زوال نفسه فرعون وقال ما اريكم الا

ما أرى أي ما أشير عليكم إلا بما أرى ولا أستصوب إلا ذلك وهذا قول من لا حكم له
وإتيانه بإلا للحصر والتأكيد وما أهديكم إلا سبيل الصواب إلا ما تقولونه من ترك
قتله وقد كذب بل كان خائفا وجلا وقد علم أن ما جاء به موسى عليه السلام حق ولكنه
كان يتجلد ويري ظاهره بخلاف ما أبطن وأورده الزمخشري وابن عطية وأبو القسم
الهذلي وجماعة أن معاذ بن جبل قرأ الرشاد بشد الشين قال أبو الفتح وهو اسم فاعل في
سبيل المبالغة من الفعل الثلاثي رشد فهو رشاد كعباد من عبد وقال الزمخشري
أو من رشّد كعلّام من علّم وقال النحاس هو لحن وتوهمه من الفعل الرباعي ورد عليه بأنه
لا يتعين أن يكون من الرباعي بل هو من الثلاثي على أن بعضهم قد ذهب إلى أنه من الرباعي
وبني فعالا من أفعل كدراك من أدرك وسار من أسأر وجبار من أجبر وقصار
من أقصر ولكنه ليس بقياس فلا يحمل عليه ما وجدت عنه مندوحة وفعال من الثلاثي
مقيس محمل عليه وقال أبو حاتم كان معاذ بن جبل يفسرها سبيل الله قال ابن عطية
ويبعد عندي على معاذ رضي الله عنه وهل كان فرعون إلا يدعي أنه إله ويعلق
بالله لفظ على هذا التأويل انتهى وإيراد الخلاف في هذا الحرف الذي هو قول المؤمن
اتبعون أهدكم سبيل الرشاد قال أبو الفضل الرازي في كتاب اللوامح له في شواذ
القراءات ما نصه معاذ بن جبل سبيل الرشاد الحرف الثاني بالتشديد وكذلك الحرف في
المحسنة [?] وهو سبيل الله تعالى الذي أوضح الشرائع كذلك فسره معاذ بن
جبل وهو منقول من مرشد كدراك من مدرك وجبار من مجبر وقصار من
مقصر عن الأمر ولها نظائر معدودة فأما قصار الثوب فهو من قصرت الثوب
قصارة وقال ابن خالويه بعد أن ذكر الخلاف في الرشاد في صدر المسألة ما
نصه سبيل الرشاد بتشديد الشين معاذ بن جبل قال ابن خالويه يعني بالرشاد
الله تعالى انتهى فهذا ابن خالويه لم يذكر الخلاف إلا في قول المؤمن أهدكم سبيل الرشاد وذكر
الخلاف فيه في قول فرعون خطأ وإنما يعني معاذ بن جبل الرشاد أنه الله تعالى
إلا في قول المؤمن لا في قول فرعون فنسبة ابن عطية ذلك التأويل في قول فرعون
وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم
نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم إني أخاف عليكم

يوم

يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد
جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث
الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون في آيات
الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل
قلب متكبر جبار وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات
فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل
وما كيد فرعون إلا في تباب وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد
يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى
إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها
بغير حساب الجمهور على أن هذا المؤمن هو الرجل القائل أتقتلون رجلا أن يقول ربي
الله أما وليه إلى آخر الآيات لما رأى ما يحل بفرعون من الجور والخوف أي ينوع أخف
من التهديد وخوفهم أن يصيبهم ما أصاب الأمم السالفة من استئصال الهلاك حتى يكونوا
ويسلم ويقوى بنفسه حتى يرد عليهم ما أمر ولم يهب فرعون وقال
برقه [?] بل كلام ذلك المؤمن قد تم وإنما أراد تعالى بالذي آمن موسى عليه السلام واحتجوا
بقوة كلامه وأنه جلح معهم بالإيمان وذكر عذاب الآخرة وغير ذلك ولم يكن كلام
الأول إلا بملاينة لهم وأفرد اليوم إما لأن المعنى مثل يوم من أيام الأحزاب أو أراد به
الجمع أي مثل أيام الأحزاب أو أراد به الجمع أي مثل أيام الأحزاب إلا أنه معلوم أن لكل حزب
كان له يوم والذين تحزبوا على أنبياء الله ومثل دأب قال ابن عطية بدل وقال الزمخشري
عطف بيان وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب ودأب عادتهم ودينهم في الكفر والمعاصي
وما الله يريد ظلما للعباد أي أن إهلاكه إياهم إنما هو جزاء عادتهم كان عدلا منه وفيه
مبالغة في نفي الظلم حيث علقه بالإرادة فإذا نفاه عن الإرادة كان نفيه عن الوقوع
أولى وأحرى ولما خوفهم أن يحل بهم في الدنيا ما حل بالأحزاب خوفهم أمر الآخرة وقال مستعطفا
لهم بندائهم ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد وهو يوم الحشر والتنادي مصدر تنادى
القوم أي نادى بعضهم بعضا قال

تنادوا فقالوا أردت الخيل فارسا فقلت أعبد الله ذلكم الردي

وسمي يوم التنادي اما لنداء بعضهم لبعض بالويل والثبور واما لتنادي اهل الجنة
واهل النار على ما ذكر في سورة الاعراف واما لان الخلق ينادون الى المحشر
واما لنداء المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه والكافر يا ليتني لم اوت كتابيه وقرات فرقة التنادي
بسكون الدال في الوصل اجراء مجرى الوقف وقرا ابن عباس والضحاك وابو صالح
والكلبي والزعفراني وابن مقسم التنادّ بتشديد الدال من ندّ البعير اذا هرب كما
قال يوم يفر المرء من اخيه الاية قال ابن عباس وغيره في التنادي خفيفة
الدال هو التنادي الذي يكون بالناس عند النفخ في الصور نفخة الفزع في الدنيا
وانهم يفرون على وجوههم للفزع الذي نالهم وينادي بعضهم بعضا وروى هذا التاويل
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون التذكير بكل
نداء في القيامة فيه مشقة على الكفار والعصاة انتهى وقال امية بن ابي الصلت
وبث الخلق فيها اذ دحاها فهم سكانها حتى التناد ٤٠ ٤٠
وفي الحديث ان للناس جولة يوم القيامة يندون يظنون انهم يجدون مهربا ثم
تلا يوم تولون مدبرين قال مجاهد معناه فارين وقال السدي ما لكم من الله من
عاصم في فراركم حتى تعذبوا في النار وقال قتادة ما لكم في الانطلاق الى النار من عاصم
الى مانع يمنعكم منها او ناصر ولما يئس المؤمن من قبولهم قال ومن يضلل الله فما له
من هاد ثم ذكر توبيخهم على تكذيب الرسل بان يوسف قد جاءهم بالبينات والظاهر
انه يوسف بن يعقوب وان فرعونه هو فرعون موسى وروى اشهب عن مالك
انه بلغه ان فرعون عمر اربعمائة سنة واربعين سنة وقيل بل الجائي
اليهم هو يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب وان فرعون هو غير فرعون
موسى والبينات بالمعجزات فلم تزالوا في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك
قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا وليس هذا تصديقا لرسالته وكيف وما
زالوا في شك منه وانما المعنى لا رسول من عند الله يبعثه الى الخلق ففيه نفي الرسول
ونفي بعثته وقرئ ألن يبعث بادخال همزة الاستفهام على حرف النفي كان
بعضهم يقرر بعضا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب بعلمهم اذ هم المسرفون المرتابون في
رسالات الانبياء وجوزوا في الذين يجادلون ان يكون الذين صفة لمن او بدلا

منه

منه اذ معناه جمع ومبتدا على حذف مضاف وخبر مبتدا محذوف اي هم الذين و
منصوبا باضمار اعني اي جدال الذين يجادلون حتى يكون الضمير في كبر عائدا
على ذلك او على حذف مضاف والفاعل بكبر ضمير يعود على الجدال المفهوم من قوله
يجادلون او ضمير يعود على من على لفظها على ان يكون الذين صفة او بدلا اعاد
اولا على اللفظ في قوله هو مسرف كذاب ثم جمع الذين على معنى من ثم افرد في قوله
كبر على لفظ من وقال الزمخشري ويجوز ان يكون الذين يجادلون مبتدا وبغير
سلطان اتاهم خبرا وفاعل كبر قوله كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع
الله كلام مستانف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل
والفاعل لا يصح حذفه انتهى وهذا الذي اجازه لا يجوز ان يكون مثله في كلام
فصيح فكيف في كلام الله لان فيه تفكيك الكلام بعضه من بعض وارتكاب
مذهب الصحيح خلافه اما تفكيك الكلام فالظاهر ان بغير سلطان متعلق بيجادلون ب
ولا يتعقل جعله خبرا للذين لانه جار ومجرور فيصير التقدير الذين يجادلون
في ايات الله كائنون او مستقرون بغير سلطان اي في غير سلطان لان الباء
اذ ذاك ظرفية خبر عن الجثث وكذلك في قوله ويطبع انه مستانف فيه تفكيك الكلام م
لان ما جاء في القران من كذلك يطبع او نطبع انما جاء مربوطا بعضه ببعض فكذلك
هذا واما ارتكاب مذهب الصحيح خلافه فجعل الكاف اسما فاعلا بكبر وذلك
لا يجوز على مذهب البصريين الا الاخفش ولم يثبت في كلام العرب اعني
مررت بالذي كزيد يريد مثل زيد فلم تثبت اسميتها فتكون فاعلة واما قوله ومن
قال الى اخره فاين قائل ذلك وهو الحوفي والظن به انه فسر المعنى ولم يرد
الاعراب وانما فسر الاعراب ان الفاعل بكبر ضمير يعود على الجدال المفهوم
من يجادلون كما قال من كذب كان شرا له اي كان هو اي الكذب المفهوم
من كذب والاولى في اعراب هذا الكلام ان يكون الذين مبتدا وخبره كبر
والفاعل ضمير المصدر المفهوم من يجادلون وليس الصفة موجودة في يجادلون
وقومه ويكون الواعظ لهم قد عدل عن مخاطبتهم الى الاسم الغايب لحسن
مخاطبته لهم واستجلاب قلوبهم وابرازه ذلك في صورة تذكرهم ولا يفجاهم بالخطاب.

وفي قوله كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه
من حد اشكاله من الكبائر كذلك اي مثل ذلك الطبع على قلوب المجادلين
يطبع الله اي يختم بالضلال ويحجب عن الهدى وقرا ابو عمرو وابن ذكوان والاعرج
بخلاف عنه قلب بالتنوين وصف القلب بالتكبر والجبروت لكونه مركزهما ومنبعهما
كما يقولون رات العين كما قال فانه اثم قلبه والاثم للجملة واجاز الزمخشري ان يكون
على حذف المضاف اي على كل ذي قلب متكبر بجعل الصفة لصاحب القلب انتهى
ولا ضرورة تدعو الى اعتقاد الحذف وقرا باقي السبعة قلب متكبر بالاضافة والمضاف
اليه العام بعام فيلزم عموم متكبر جبار وقال مقاتل المتكبر المعاند في تعظيم امر الله
والجبار المسلط على خلق الله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا امر فرعون
دروى اصل موسى ما اريكم الا ما ارى يا هامان ابن لي صرحا مع محاجة موسى
ورجوع الى اشياء اسمع وذلك كله لما لحقه من الجزع والخوف وعدم المقاومة
والعرف الحجة له وهلاك قومه على يدي موسى وان قدرته عجزت عن [illegible]
موسى بعزا على كثرة سفكه الدما وتقدم الكلام في الصرح في سورة القصص
ما يغني عن اعادته قال السدي الاسباب الطرق وقيل الابواب
وقيل عنى لعله يجد مع قومه من السما سببا يتعلق به وما اداك الى شي فهو سبب
وابهم اولا الاسباب ثم ابدل منها ما اوضحها والايضاح بعد الابهام يفيد تفخيم
الشي اذ في الابهام تشوف للمراد وتعجب من المقصود ثم بالتوضيح يحصل
المقصود ويتعين وقرا الجمهور فاطلع رفعا على ابلغ وكلاهما مترجى وقرا الاعرج
وابو حيوة وزيد بن علي والزعفراني وابن مقسم وحفص فاطلع نصبا
وقال ابو القاسم بن جبارة وابن عطية على جواب التمني وقال الزمخشري على
جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني انتهى وقد فرق النحاة بين التمني والترجي
فذكروا ان التمني يكون في الممكن والممتنع والترجي يكون في الممكن وبلوغ اسباب
السموات غير ممكن لكن فرعون ابرز ما لا يمكن في صورة الممكن تمويها على سامعيه
واما النصب بعد الفا في جواب الترجي فشي اجازه الكوفيون ومنعه البصريون
واحتج الكوفيون بهذه القراءة وبقراءة عاصم فتنفعه الذكرى في سورة عبس اذ هو

جواب

جواب الترجي في قوله لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى في سورة عبس
اذ هو جواب الترجي في قوله لعله يزكى وقد تاولنا ذلك على ان يكون عطفا
على التوهم لان خبر لعل كثير اجاؤه بان في النظم كثيرا وفي النثر قليلا فمن
نصب توهم ان الفعل المرفوع الواقع خبرا كان منصوبا بان والعطف على التوهم
كثير وان كان لا ينقاس لكن ان وقع شي وامكن تخريجه عليه خرج واما هنا فاطلع
فقد جعله بعضهم جوابا للامر وهو قوله ابن لي صرحا كما قال

يا ناق سيري عنقا فسيحا الى سليمان فنستريحا

ولما قال فاطلع الى اله موسى كانه خالف امرا اباه موسى فاستدرك بهذا الاضراب بقوله
واني لاظنه كاذبا اي في ادعائه الها كما قال في القصص لعلي اطلع الى اله موسى واني
لاظنه من الكاذبين وكذلك اي مثل ذلك التزيين في ايهام فرعون انه مطلع الى
اله موسى زين لفرعون سوء عمله وقرا الجمهور زين مبنيا للمفعول وقرئ زين مبنيا
للفاعل وقرا الجمهور وصد مبنيا للفاعل اي وصد فرعون والكوفيون بضم الصاد
مبنيا للمفعول وابن وثاب بكسر الصاد اصله صدد نقل الحركة الى الصاد
بعد سلب حركتها وابن ابي اسحق وعبد الرحمن بن ابي بكرة بفتح الصاد وضم الدال منونة
عطفا على سوء عمله والتباب الخسران خسر ملكه في الدنيا ونفسه فيها بالغرق وفي الاخرة
بخلوده في النار وكرر وعظ المومن اي كلام مومن فرعون نداءه قومه مرتين مرتين
متبعا كل نداء بما فيه وخزوا تعاطى لو وجد من يقبل وامرهم باتباعه لانه يهديهم سبيل
الرشاد وقرا معاذ بن جبل بتشديد الشين وتقدم الكلام على ذلك والرد على من جعل هذه
القراءة من كلام فرعون واحتج لا في قوله سبيل الرشاد هو سبيل الايمان بالله
واتباع شرعه ثم وانتج بعظم الدنيا وبصغر شانها وانها متاع زائل فهو منقطع بها
وان الاخرة هي دار الاستقرار التي لا انفكاك منها اما الى جنة واما الى نار وكذلك
قال من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها وقرا ابو رجاء وشيبة والاعمش والا جواب
والعاصمان وحفص يدخلون مبنيا للفاعل وباقي السبعة والاعرج وابو جعفر
وعيسى مبنيا للمفعول **ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني** الى النار
تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار لا جرم انما

تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الاخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين
هم اصحاب النار فستذكرون ما اقول لكم وافوض امرى الى الله ان الله بصير
بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بال فرعون سوء العذاب النار يعرضون
عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون
فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا
من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين فى النار
لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات
قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال انا لننصر رسلنا والذين امنوا
فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء
الدار   ندا المومن بترك المستجيبين عن دعوتهم وادعى التفاضل بينهما ولما ذكر
المستقيمين واتى بصفة العزيز وهو الذى لا نظير له والغالب الذى العالم كلهم فى
قبضته يتصرف فيهم كما يشاء الغفار لذنوب من رجع اليه وامن به واوصل
سبب دعائهم لنفسه وهو الكفر والنار واخر سببه مشتبه ليكون اصلاح
كلامه واحسانه لا يدعوا الى الخير وبداوه لا محله اسمه ويعرو الاشتباه والمعنى
التعجب من حالهم وجيء ايضا بجملة اسمية ليكون ابلغ فى توكيد الاخبار وجاء فى حقهم ويدعوننى
بالجملة الفعلية التى لا يقتضى توكيدا اذ دعوتهم باطلة لا ثبوت لها ستذكرون ما
ليس لى به علم اى الاوثان اذ لم يتعلق علمى بها اذ ليس لها مدخل فى الالوهية ولا انكر دون
قال الزمخشرى فان قلت لم جاء بالواو فى النداء الثالث دون الثانى قلت
لان الثانى داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فاعطى الداخل عليه حكمه فى امتناع
دخول الواو واما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة انتهى ومعنى لا جرم
على الاخرم وقال الزمخشرى هنا وروى عن العرب لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون
الراء بزنة بد فعل وفعل اخوان كرشد ورشد وعدم وعدم اى ان الذى
تدعوننى اليه اى الى عبادته ليس له دعوة اى قدر وحق يجب ان يدعى اليه او
ليس له استجابة دعوة توجب الالوهية فى الدنيا ولا فى الاخرة او دعوة مستجابة
جعلت الدعوة التى لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة باسم

الدعوة

كما سمى الفعل المجازى عليه باسم الجزاء فى قولهم كما تدين تدان فقال الكلبى ليس له شفاعة
فى الدنيا ولا فى الاخرة وكان فرعون اولا يدعو الناس الى عبادة الاصنام ثم دعاهم
الى عبادة البقر وكانت تعبد ما دامت شابة فاذا هرمت امر بذبحها
ودعا باخرى لتعبد فلما طال عليه الزمان قال انا ربكم الاعلى ولما ذكر نفى
دعوة ما يعبد من دون الله ذكر ان مرد الجميع الى الله اى الى جزائه وان المسرفين
هم المشركون فى قول قتادة والسافكون الدماء بغير حلها فى قول ابن عباس وابن مسعود
ومجاهد وقيل من غلب شره خيره فهو المسرف وقال عكرمة هم الجبارون
المتكبرون وختم المومن كلامه بخاتمة لطيفة توجب التخويف والتهديد وهى
قوله فستذكرون ما اقول لكم اى اذا حل بكم عقاب الله وافوض امرى الى رضا
الله وهذا لا الىكم ولا الى اصنامكم وكانوا قد توعدوه ثم ذكر ما يوجب التفويض
وهو كونه تعالى بصيرا باحوال العباد فوقاه دخلطاتهم قال مقاتل لما قال هذه الكلمة
قصدوا قتله فهرب هذا المومن الى الجبل فلم يقدروا عليه وقيل لما الجاوا اتهم بعث
فرعون فى طلبه الفا وكل بعضهم من ادركه فذبت السباع عنه فاكلتهم ومنهم من
مات فى الجبل عطشا ومنهم من رجع الى فرعون خائبا فاتهمه وقتله وصلبه وقيل
نجا مع موسى فى البحر وغرق جملة من فى معه فوقاه الله سيئات ما مكروا اى شدائد
مكرهم التى تسوء وما هموا به من انواع العذاب لمن خالفهم وحاق بال فرعون سوء
العذاب قال ابن عباس هو ما حاق بالالاف الذين بعثهم فرعون فى طلب المومن
من اكل السباع والموت بالعطش فى الجبل والصلب كما تقدم وقيل سوء
العذاب هو الغرق فى الدنيا والحرق فى الاخرة النار بدل من سوء العذاب
او خبر مبتدا محذوف كانه قيل ما سوء العذاب فقيل النار او مبتدا خبره يعرضون
ويقوى هذا الوجه قراءة من نصب اى يدخلون النار يعرضون عليها وقال الزمخشرى
ويجوز ان ينتصب على الاختصاص والظاهر ان عرضهم على النار مخصوص بهذين
الوقتين ويجوز ان يراد بذكر الطرفين الدوام فى الدنيا والظاهر ان العرض خلاف
الاحراق وقال الزمخشرى عرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على
السيف اذا قتلهم به انتهى والظاهر ان العرض هو فى الدنيا وروى ذلك عن الهذيل

ابن شرحبيل وعن ابن مسعود والسدي ان ارواحهم في اجواف طير سود تروح وتغدو الى النار وقال رجل للاوزاعي رايت طيورا بيضا تغدو من البحر تروح بالعشي سود امثلها فقال الاوزاعي تلك التي في حواصلها ارواح آل فرعون يحترق رياشها وتسود بالعرض على النار وقال محمد بن كعب وغيره اراد انهم يعرضون في الآخرة على النار على تقدير ما بين الغدو والعشي اذ لا غدو ولا عشي في الآخرة وانما ذلك على تقدير ايام الدنيا وعن ابن مسعود تعرض ارواح آل فرعون ومن كان مثلهم من الكفار على النار في الدنيا بالغداة والعشي فيقال هذه داركم وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة واستدل مجاهد ومحمد بن كعب وعكرمة ومقاتل بقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا اي عذاب موتهم على عذاب القبر في الدنيا والظاهر ان الجملة تم قوله وعشيا وان يوم القيامة معمول لمحذوف على اضمار القول ويوم القيامة يقال لهم ادخلوا وقيل ويوم معطوف على وعشيا فالعامل فيه يعرضون وادخلوا على اضمار القول وقيل العامل في يوم ادخلوا وقرا الاعرج وابو جعفر وشيبة والاعمش وابن وثاب وطلحة ونافع وحمزة والكسائي وحفص ادخلوا امر للخزنة من ادخل وعلي والحسن وقتادة وابن كثير والعربيان وابو بكر امر الآل من دخل اشد العذاب وقيل وهو الهاوية قال الاوزاعي بلغنا انهم الفا الف وستمائة الف واذ يتحاجون في النار الظاهر ان الضمير عائد على آل فرعون وقال ابن عطية والضمير في قوله يتحاجون لجميع كفار الامم وهذا استئناف قصص لا يختص بآل فرعون والعامل في اذ فعل مضمر تقديره واذكر وقال الطبري واذ هذه عطف على قوله اذ القلوب لدى الحناجر وهذا بعيد انتهى والمحاجة التحاور بالحجة والخصومة والضعفاء اي في القدر والمنزلة في الدنيا والذين استكبروا اي عن الايمان واتباع الرسل انا كنا لكم تبعا اي ذوي تبع وتبع مصدر او اسم جمع لتابع كخادم وخدم وطالب وطلب وغائب وغيب

فقل

فقل اسم يعنون عنا اي حاملون عنا ما حابوهم ان الله قد حكم بين العباد فيها وان الله قد يصل فينا وفيكم انا مستمرون في النار وقرا ابن السميفع وعيسى بن عمر انا كلا نصب كل قال الزمخشري وابن عطية على التوكيد قال الزمخشري لاسم ان وهو معرفة والتنوين عوض من المضاف اليه يريد انا كلنا فيها انتهى وخبر ان هو فيها ومن رفع كلا فعلى الابتداء وخبره فيها والجملة خبر ان وقال ابن مالك في مصنفه تسهيل الفوائد وقد يكتفي بنية اضافته خلافا للزمخشري والفراء انتهى وهذا المذهب منقول عن الكوفيين وقد رد ابن مالك هذا بما هو في شرحه للتسهيل وقال الزمخشري فان قلت هل يجوز ان يكون كلا حالا قد عمل فيها فيها قلت لا لان الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد انتهى وهذا الذي منعه اجازه الاخفش اذا توسطت الحال نحو زيد قائما في الدار وزيد قائما عندك والتمثيل الذي ذكره ليس مطابقا لما في الآية لان الآية تقدم فيها المسند اليه الحكم وهو اسم ان وتوسطت الحال اذا قلنا انها حال وتاخر العامل فيها واما تمثيله بقوله ولا تقول قائما في الدار زيد فقد تاخر فيه المسند والمسند اليه وقد ذكر بعضهم ان المنع في ذلك اجماع من النحاة وقال ابن مالك والقول المرضي عندي ان كلا في القراءة المذكورة منصوب على الحال من الضمير المرفوع المنوي في فيها وفيها هو العامل وقد تقدمت الحال عليه مع عدم تصرفه كما قدمت في قراءة من قرا والسموات مطويات بيمينه وفي قول النابغة الذبياني

رهط ابن كوز محقبي ادراعهم ... فيهم ورهط ربيعة بن حذار

وقال بعض الطائيين

دعا فاجبنا وهو بادي ذلة ... لديكم فكان النصر غير بعيد

انتهى وهذا التخريج على مذهب الاخفش كما ذكرنا والذي اختاره في تخريج هذه القراءة ان كلا بدل من اسم ان لان كلا يتصرف فيها بالابتداء ونواسخه وغير ذلك وكانه قال ان كلا فيها واذا كانوا قد تاولوا حولا اكتعا ويوما اجمعا على البدل مع انهما لا يليان العوامل فان يدعى في كل البدل اولى وايضا فتنكير كل ونصبها حالا في غاية الشذوذ والمشهور ان كلا معرفة اذا قطعت

الآية فيدخل بكل ما هو بعض طالسنا في الفصيح الكثير في كلامهم ومن ثم نصب
كلّ على الحال في قولهم مررت بهم كلاً اي جميعاً فان قلت كيف تجعله بدلاً
وهو بدل كل من كل من ضمير المتكلم وهو لا يجوز على جمهور النحويين قلت مذهب
الاخفش والكوفيين جوازه وهو الصحيح على ان هذا ليس مما وقع فيه الخلاف
بل اذا كان البدل يفيد الاحاطة جاز ان يبدل من ضمير المتكلم وضمير المخاطب
لا نعلم خلافاً في جوازه كقوله تعالى يكون لنا عيداً لاولنا وآخرنا وكقولك
مررت بكم صغيركم وكبيركم معناه مررت بكم كلكم ويكون لنا عيداً كلنا
فاذا جاز ذلك فيما هو بمعنى الاحاطة فجوازه فيما كان على الاحاطة وهو كل
اولى وهذا القول الذي منع المبرد البدل فيه لا بدل من ضمير متكلم لانه لا يجوز اسقاط
الكل فيه ولما اجاب الضعفاء المستكبرين قالوا جميعاً لخزنة جهنم وانما
اضيف اليه الخزنة وان كان ضميراً فكان يكون النار لخزنتها لما في ذكر
جهنم من التهويل ويمنا الحقيق اللغات وان اعماقها ولعل الخزنة موضع من ملائكة
جهنم الموكلين بعذاب كل الطغاة هم اقرب منزلة عند الله من غيرهم من الملائكة
الموكلين بعينه وبركات النظر فرجوا ان يخفف عنهم ويدعوا لهم بالتخفيف قوم
من قيل الخزنة على سبيل التوبيخ لهم والتقريع الم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ما جاء
بانهم قرابيهم قالوا اي الخزنة فادعوا انتم على معنى التهزيء او فادعوا انتم فانا
لا نجترئ على ذلك والظاهر ان قوله وما دعاء الكافرين الا في ضلال من كلام
الخزنة اي دعاؤكم لا ينفع ولا يجدي وقيل هو من كلام الله اخبار لنبيه محمد صلى الله
عليه وسلم وجاءت هذه الاخبار مقصوراً عنها بلفظ الماضي الواقع لتعين وقوعها
ثم ذكر تعالى انه ينصر رسله وينصرهم باعدائهم كما فعل بموسى عليه السلام
حيث اهلك عدوه فرعون وقومه ومنه نصر الرسول عليه السلام
ينصر على قومه في الحياة الدنيا اذ العاقبة الحسنة لهم ويوم يقوم الاشهاد وهو
يوم القيامة وقال ابن عباس ينصرهم بالغلبة وفي الآخرة بالعذاب وقال
السدي بالانتقام من اعدائهم وقال ابو العالية بافلاح حجتهم وقال السدي
ايضاً ما قتل لوط نبياً او قوماً من دعاة الحق الا بعث الله من ينتقم لهم فصاروا

منصورين فيها وان قتلوا انتهى الى قوله الحسين عليه السلام كيف سلط
الله عليهم الجبابرة الى عسكر بشعهم وكل هذا واجرا حتى قتلوا وبخت نصر سلط اليهود حتى
قتلوا يحيى بن زكريا عليهما السلام وقيل هذا النصر خاص بمن اظهر الله تعالى على امته كنوح
وموسى ومحمد عليهم السلام لانا نجد من الانبياء من قتله قومه كيحيى ومن لم ينصر عليهم
وقال السدي الخبر عام وذلك ان نصرة الرسل والانبياء واقعة لا بد منها في حياة
الرسول المنصور كنوح وموسى عليهما السلام واما بعد موته الا ترى الى ما صنع الله تعالى
بني اسرائيل بعد قتلهم يحيى عليه السلام في تسليط بخت نصر عليهم حتى انتصر ليحيى عليه السلام
وقرأ الجمهور يقوم بالياء لما بعده الجماعة والاشهاد جمع شهيد كشريف واشراف
او جمع شاهد كصاحب واصحاب كما قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وقال لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً والظاهر
انه من الشهادة وقيل من المشاهدة بمعنى الحضور يوم لا ينفع بدل من يوم يقوم
وقرئ ينفع بالتاء والياء وتقدم ذكر الخلاف في ذلك في اواخر الروم وكما انهم يعتذرون
ولا ينفعهم معذرتهم او انهم لا معذرة لهم فتنفع ولهم اللعنة الابعاد من الله ولهم
سوء الدار اي سوء عاقبة الدار ولقد آتينا موسى الكتاب والهدى واورثنا بني
اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك
وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان
اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير لخلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون وما يستوي
الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاً ما تتذكرون ان
الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وقال ربكم ادعوني
استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين الله الذي
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر
الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فأنى تؤفكون كذلك
يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذي جعل لكم الارض قراراً والسماء بناء وصوركم
فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ولما ذكر

بالمدعون واستطرد من ذلك الى ذكر شيء من احوال الكفار في الآخرة عاد الى ذكر ما
منح رسوله موسى عليه السلام فقال ولقد آتينا موسى الهدى تانيسا لمحمد صلى
الله عليه وسلم وتذكيرا لما كانت العرب تعرفه من قصة موسى عليه السلام و
الهدى يجوز ان يكون الدلائل التي اوردها على فرعون وقومه وان يكون النبوة
وان يكون التوراة واورثنا بني اسرائيل الكتاب الظاهر انه التوراة توارثوها خلفا
بعد سلف ويجوز ان يكون الكتاب اريد به ما انزل الله على بني اسرائيل من كتب
انبيائهم كالتوراة والزبور والانجيل هدى دلالة على الشيء المطلوب وذكرى
لما كان منسيا من ذكره تعالى في كتبه وانتصب هدى وذكرى على انها
مفعول له او على انها مصدران في موضع الحال ثم امر تعالى نبيه بالصبر فقال فاصبر
ان وعد الله حق من قوله انا لننصر رسلنا فلا بد من نصرك على اعدائك وقال الكلبي
نسخ هذا بآية السيف واستغفر لذنبك قال ابن عطية يحتمل ان يكون ذلك قبل
اعلام الله تعالى اياه انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر لان آية هذه السورة مكية
وآية سورة الفتح مدنية متاخرة ويحتمل ان يكون الخطاب في هذه الآية له والمراد
امته اذا امر هو فغيره احرى بامتثاله وقال ابو عبد الله الرازي محمول على التوبة
من ترك الاولى والافضل وقيل المقصود منه محض تعبد كما في قوله تعالى ربنا
وآتنا ما وعدتنا على رسلك فان ايتاء ذلك الشيء واجب ثم امرنا بطلبه وقيل لذنبك
لذنب امتك في حقك وقد يضاف المصدر للمفعول ثم امره بتنزيهه فقال تعالى
في هذين الوقتين اللذين الناس مشتغلون فيهما بمصالحهم المهمة ويجوز ان يكون
المراد سائر الاوقات وعبر بالطرفين عن ذلك وقال ابن عباس اراد بذلك الصلوات
الخمس وقال قتادة صلاة الغداة وصلاة العصر وقال الحسن ركعتان بكرة وركعتان عشية قبل ان تفرض
الصلوات وعنه ايضا صلاة العصر وصلاة الصبح والظاهر ان المجادلين في آيات
الله وهي دلائله التي نصبها على توحيده وكتبه المنزلة وما اظهر على يدي انبيائه
من الخوارق هم كفار قريش والعرب بغير سلطان اي حجة وبرهان ان في صدورهم الا
كبر اي تكبر وتعاظم وهو ارادة التقدم والرياسة وذلك هو الحامل على جدالهم بالباطل
ودفعهم ما يحق لك من تقدمك عليهم لما يتحمل من النبوة وكذلك من اعباء الرسالة ما هم

ببالغيه

ببالغيه اي ببالغي موجب الكبر ومقتضيه من رياستهم وتقدمهم وفي ذلك اشارة الى
انهم لا يرأسون ولا يحصل لهم ما يؤملون وقال الزجاج المعنى ما يحملهم على تكذيبك
الا ما في صدورهم من الكبر عليك وما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر لان الله اذلهم و
قال ابن عطية يحتمل والمعنى اراد بهم فيه قال مقاتل نزلت في اليهود قال مقاتل عظمت
اليهود الدجال وقالوا ان صاحبنا يبعث في آخر الزمان وله سلطان فقال
~~تعالى ان الذين يجادلون في آيات الله لان الدجال في آخر الزمان وله سلطان~~
فقال تعالى من آياته بغير سلطان اتاهم فاستعذ بالله من فتنة الدجال
والمراد بخلق الناس الدجال قال وهذا ذهب ابو العالية والقول الاول اصح
وقال الزمخشري وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح
ابن داود يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو
آية من آيات الله فيرجع الينا الملك فسمى الله تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا
متمناهم انتهى وكان رئيس اليهود في زمانه في مصر موسى بن ميمون بالاندلس
القرطبي قد كتب رسالة الى يهود اليمن ان صاحبهم يظهر في سنة كذا وخمس مائة
وكذب عدو الله جاءت تلك السنة وسنون بعدها كثيرة ولم يظهر
شيء مما قاله لعنه الله وكان هذا اليهودي قد اظهر الاسلام حين استسلم
اليهود بعض ملوك المغرب ورحل من الاندلس فذكر انه صلى بالناس التراويح
وهو على ظهر السفينة في رمضان اذ كان يحفظ القرآن فلما قدم مصر وكان
ذلك في دولة العبيديين وهم لا يتقيدون بشريعة رجع الى اليهودية واخبر
انه كان مكرها على الاسلام فقبل ذلك منه وصنف لهم تصانيف ومنها
كتاب دلالة الحائرين انما استفاد ما استفاد من مخالطته علماء الاندلس
وبقيت لهم الرياسة الى الآن بمصر في اليهود ممن كان من ذريته فاستعذ بالله
اي التجئ اليه من كيد من يحسدك انه هو السميع لما تقول ويقولون البصير بما
تعمل وبما يعملون لخلق السموات والارض اكبر من خلق
الناس قال الزمخشري مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة
على انكار البعث وهو اصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا

كانوا مقرين بان الله خالقها وبانها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس
اليه شي قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته
اقدر وهو ابلغ في الاستشهاد وخلق مصدر اضيف الى المفعول وقال ابن عطية يحتمل ان يكون الكلام
في معنى البعثة والاحياء فاعلم ان الله خلق السموات والارض قادر على خلق النا
س تارة اخرى فالخلق مصدر اضيف الى المفعول وقال النقاش المعنى مما يخلق الدجال
اعظم في الجمعة للموت تشبيها بالخلق مضاف للفاعل ولكن اكثر الناس لا يعلمون
اي لا يتاملون لغلبة الغفلة عليهم وبغي العلم عن الاكثر وتخصيصه به يدل على
الغفلة بعلم ولذلك ضرب مثل الجاهل بالاعمى والعالم بالبصير واسقط الاستثنوا
شبها هو من الجهة الدالة على العمى وعلى البصر والا فهما يستويان في غير ما شي
ولما بعد قسم الذين امنوا انطوى صلة الموصول لكونها لا توكيدا وقدم الذين
امنوا لمجاورته قوله والبصير وهما طريقان احدهما ان يجاور المناسب للمناسب
هكذا والاخر ان يقدم ما يقابل الاول ويؤخر ما يقابل الاخر كقوله تعالى
وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور وقد يتاخر المقابل
كقوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع وكل ذلك تفنن
في البلاغة واساليب الكلام ولما كان قد تقدم ولكن اكثر الناس لا يعلمون
وكان ذلك صفة ذم ناسب ان يبدا في ذكر التساوي بصفة الذم فبدا
بالاعمى وروى ابان وطلحة وابو عبد الرحمن وعيسى والكوفيون تتذكرون
بالخطاب والجمهور والاعرج والحسن وابو جعفر وشيبة بالياء على الغيبة
ثم اخبر بما دل على البعث من اتيان الساعة وانه لا ريب في وقوعها وهو
يوم القيامة حيث الحساب وافتراق الجمع الى الجنة طائعهم والى النار
كافرهم ومن اراد الله تعذيبه من العصاة بغير الكفر والظاهر حمل الدعا
والاستجابة على ظاهرهما الا ان الاستجابة معلق بمشية الله تعالى
قال السدي اسئلوني اعطكم وقال الضحاك اطيعوني اثبكم
وقال [illegible] مجاهد ادعوني اعبدوني واستجب لكم اثبكم على العبادة
وكثيرا جاء الدعا في القران بمعنى العبادة ويقوي هذا التاويل قوله ان

الذين

الذين يستكبرون عن عبادتي وما روى النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الدعا هو العبادة وقرا هذه الاية وقال ابن عباس وحدوني اغفر لكم وقيل للثوري
ادع الله تعالى فقال ان ترك الذنوب هو الدعا وقال الحسن وقد سئل عن هذه الاية
اعملوا وابشروا فانه حق على الله ان يستجيب للذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم
من فضله وقال ابشر قال النبي صلى الله عليه وسلم ليسال احدكم ربه
حاجته كلها حتى شسع نعله ان الذين يستكبرون عن عبادتي قال
السدي وابو عبيدة يتعظمون على توحيدي وقال السدي ايضا عن عبادتي
اي عن دعائي وقرا الجمهور السبعة والحسن وشيبة سيدخلون مبنيا للفاعل
وزيد بن علي وابن كثير وابو جعفر مبنيا للمفعول على زيد بن علي وابن كثير وابو
جعفر مبنيا للمفعول واختلف عن عاصم وابو عمرو داخرين الله الذي
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تقدم الكلام على مثل هذه الجملة في سورة
يونس لذو فضل ابلغ من لمفضل او لمتفضل كما قال لذو علم لما علمناه لسعو
ذو سعة من سعته والله ذو الفضل العظيم لما يؤدي اليه من كونه صاحبه
ومتمكنا منه بخلاف مفضل فانه يؤتى بالصفة وانه قد يدل على تفضل الله على الانسان في
وقت ما لا والمراد كثرة تفضله وسبوغه على الناس بخلاف ولكن اكثر الناس
واتى به ظاهرا ولم يات المرتبة ولكن اكثرهم وقال الزمخشري في هذا التكرير
تخصيص لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله
ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار
انتهى ذلكم اي المخصوص بتلكم الصفات المتميز بها من استجابته لدعائكم ومن جعل
الليل والنهار كما ذكر من تفضله عليكم الله ربكم الجامع لهذه الاوصاف من الالوهية
والربوبية وانشاء الاشيا والوحدانية فانى تصرفون عن عبادة من هذه صفاته
الى عبادة الاوثان وقرا زيد بن علي خالق بنصب القاف وطلحة في رواية يؤفكون
بالغيبة والجمهور بضم القاف وبتا الخطاب قال الزمخشري خالق نصبا
على الاختصاص كذلك اي مثل ذلك الافك يؤفك الله قلوب الجاحدين بايات الله
من الامم على طريق الهدى ولما ذكر تعالى ما امتن به من الليل والنهار وذكر

تعالى بما امتن به من جعل الارض مستقرا والسما سالى فيه ومنه ابنية العرب لمضاربهم
لان السما في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض وقرا الجمهور وصوركم بضم
الصاد والاعمش وابو رزين بكسرها فرارا من الضمة قبل الواو واستثقالا وجمع
فعله بضم الفا على فعل بكسرها شاذ وقالوا قوه وقوى بكسر القاف على الشذوذ
ايضا فانه لم يخلق حيوان احسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين
كالبهايم كقوله احسن تقويم وقرات فرقة صوركم بضم الصاد واسكان الواو
نحو بسر وبسر ورزقكم من الطيبات امتن عليهم بما يقوم باود صورهم والطيبات
المستلذات طعما ولباسا ومكاسب وقال ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل
الحمد لله رب العالمين وقال سعيد بن جبير ثم قرا الاية **قل اني نهيت**
ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاني البينات من ربي وامرت ان اسلم
لرب العالمين هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا
اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى ولعلكم
تعقلون هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون الم تر الى
الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا
به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم
ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا
بل لم نكن ندعوا من قبل شيا كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون في
الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبيس
مثوى المتكبرين ٥ امر الله نبيه عليه السلام ان يخبر بانه نهي ان يعبد اصنامهم
لما جاءته البينات من ربه فنص انه نهي بالسمع وان كان منهيا بدلايل العقل فتظافرت
ادلة السمع وادلة العقل على النهي عن عبادة الاوثان فمن ادلة السمع قوله تعالى
اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون الى غير ذلك وذكر انه نهي
بالسمع ليدل على انه كان منهيا بادلة العقل لما نهي عن عبادة الاوثان
اخبر انه امر بالاستسلام لله تعالى ثم بين امر الوحدانية والالوهية التي
اصنامهم عارية عن شي منها بالاعتبار في تدريج ابن ادم بان ذكر مبداه الاول

وهو

وهو من تراب ثم اشار بالاعتبار في تدريج ابن ادم الى المناسل تخلقه من
نطفة والطفل اسم جنس او يكون المعنى ثم يخرج كل واحد منكم طفلا و
تقدم الكلام في بلوغ الاشد ومنكم من يتوفى من قبل قال مجاهد من قبل ان يكون شيخا قيل
ويكون ان يكون من قبل هذه الاحوال اذا اخرج سقطا وقيل عبارة تتردد
في التدريج المذكور ولا يختص بما قبل الشيخ بل منهم من يموت قبل ان يخرج طفلا و
اخر قبل الاشد واخر قبل الشيخ ولتبلغوا متعلق بمحذوف اي ثم يبقيكم لتبلغوا
اشدكم وكذا ثم لتكونوا شيوخا ولتبلغوا اي يفعل ذلك لتبلغوا اي ليبلغ كل
واحد اجلا مسمى لا يتعداه وقال مجاهد يعني موت الجميع وقيل هو يوم القيامة
ولعلكم تعقلون ما في ذلك من العبرة والحجج اذا نظرتم في ذلك وتدبرتم ولما ذكر
ترتيب الايجاد ذكر انه المتصف بالاحيا والاماتة وانه متى تعلقت ارادته
بايجاد شي اوجده من غير تاخر وتقدم الكلام على مثل هذه الجملة ثم قال تعجبا من
هذه الايات التي تعجب من المجادلين في ايات الله كيف يصرفون عن الحق فيها
ويصيرون الى الايمان بها والظاهر انها في الكفار المجادلين في رسالة الرسول
عليه السلام والكتاب الذي جاء به بدليل قوله الذين كذبوا بالكتاب
وبما ارسلنا به رسلنا ثم تهددهم بقوله فسوف يعلمون وهذا قول الجمهور وقال
محمد بن سيرين وغيره انها اشارة الى اهل الاهواء من الامة ورووا في نحو
هذا احاديث وقالوا هي في اهل القدر ومن جرى مجراهم ويلزم قايل هذه
المقالة ان يكون قوله الذين كذبوا كلاما مستانفا في الكفار ويكون
الذين كذبوا مبتدا وخبره فسوف يعلمون واما على الظاهر فالذين بدل
من الذين او خبر مبتدا محذوف او منصوبا على الذم واذ ظرف لما مضى
ولا يعمل فيه المستقبل كما لا تقول سافعل امس فعلت اذا اتسع موضع
اذ وان موقعها على سبيل المجاز فتكون اذ هنا بمعنى اذا وحسن ذلك
تيقن وقوع الامر فاخرج في صيغة الماضي وان كان المعنى على الاستقبال
قال الثعلبي لو ان غلا من اغلال جهنم وضع على جبل لوهصه حتى يبلغ الما
الاسود وقرا الجمهور والسلاسل عطفا على الاغلال يسحبون

مبنيا للمفعول وقرأ ابن مسعود وابن عباس وزيد بن علي وابن وثاب والمسيبي
في اختيار والسلاسلَ بالنصب على المفعول يَسحَبون مبنيا للفاعل وهو عطف
جملة فعلية على جملة اسمية وقرأت فرقة منهم ابن عباس والسلاسلِ
بجر اللام قال ابن عطية على تقدير إذ أعناقهم في الأغلال والسلاسل فعطف
على المراد من الكلام لا على ترتيب اللفظ إذ ترتيبه فيه قلب وهو على حد
قول العرب أدخلت القلنسوة في رأسي وفي مصحف أبي وفي السلاسل
يسحبون وقال الزمخشري ووجهه أنه لو قيل إذ أعناقهم في الأغلال
مكان قوله إذ الأغلال في أعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين
معتقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الأخرى ونظيره مشائيم
ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب كأنه قيل ليسوا بمصلحين وقرئ وبالسلاسل
انتهى وهذا يسمى العطف على التوهم ولكن توهم إدخال حرف الجر على مصلحين
أقرب من تغيير تركيب الجملة السابقة بأسرها ونظير ذلك قول الشاعر

أجدك لن ترى بثعيلبات ... ولا بيداء ناجية ذمولا
ولا متدارك والليل طفل ... ببعض نواشغ الوادي حمولا

التقدير لست براء ولا متدارك وهذا الذي قاله ابن عطية والزمخشري
سبقهما إليه الفراء قال من جر السلاسل حمله على المعنى لأن المعنى أعناقهم
في الأغلال والسلاسل وقال الزجاج ومن قرأ بالخفض والسلاسل فالمعنى
عنده في السلاسل وقال ابن الأنباري والخفض على هذا المعنى غير جائز
لو قلت زيد في الدار لم يحسن أن تضمر في فتقول زيد الدار ثم ذكر تأويل
الفراء وخرج القراءة عليه ثم قال كما تقول خاصم عبد الله زيد العاقلين بنصب
العاقلين ورفعه لأن أحدهما إذا خاصمه صاحبه فقد خاصمه الآخر انتهى وهذه
المسألة لا تجوز عند البصريين وهي منقولة عن محمد بن سعدان الكوفي
قال لأن كل واحد منهما فاعل مفعول وقرئ وبالسلاسل يسحبون وقيل
هذه القراءة حملت الزجاج على تأويل الخفض على إضمار حرف الجر وهو تأويل
شذوذ وقال ابن عباس في قراءة من نصب والسلاسل يسحبون فيه

يسحبون

يسحبون فيه أشد لأنهم إذا كانوا يجرونها فهو أشد عليهم يكلفون ذلك ولا يطيقون وقال
في النار يسجرون أي يطرحون فيها فيكونون وقودا لها وقال السدي
يسجرون يحرقون بهم أخبر تعالى أنهم يوقفون يوم القيامة على جهة التوبيخ و
التقريع فيقال لهم أين الأصنام التي كنتم تعبدون في الدنيا فيقولون ضلوا
عنا أي تلفوا منا وغابوا واضمحلوا ثم تضطرب أقوالهم ويفزعون إلى الكذب
فيقولون بل لم نكن نعبد شيئا وهذا من أشد الاختلاط في الذهن والنظر
أو لم يتبين لهم أنهم لم يكونوا شيئا وما كانوا يعبدون بعبادتهم شيئا كما تقول
حسبت أن فلانا ليس بشيء إذا خبرته فلم تر عنده خيرا وقولهم
ضلوا عنا مع قوله إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم يحتمل أن
يكون ذلك عند تقريعهم فلم يكونوا معهم إذ ذاك ولما لم ينفعوهم قالوا ضلوا
عنا وإن كانوا معهم كذلك أي مثل هذه الصفة ومثل هذا الترتيب يضل
الله الكافرين وقال الزمخشري أي مثل ضلال آلهتهم عنهم
يضلهم الله حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا ذلكم
الإضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك
وعبادة الأوثان وقال ابن عطية ذلكم العذاب الذي أنتم فيه بما كنتم تفرحون
في الدنيا بالمعاصي والكفر انتهى وتمرحون قال ابن عباس الفخر والخيلاء
وقال مجاهد الأشر والبطر انتهى يقال لهم ذلك توبيخا أي إنما نالكم هذا
بما كنتم تظهرون في الدنيا من السرور بالمعاصي وكثرة المال والأتباع
والصحة وقال الضحاك الفرح السرور والمرح العدوان وفي الحديث إن
الله يبغض البذخين الفرحين ويحب كل قلب حزين وتفرحون وتمرحون
من باب تجنيس التحريف المذكور في علم البديع وهو أن يكون الحرف فرقا
بين الكلمتين ادخلوا أبواب جهنم ظاهره أنهم يقال لهم ادخلوا
بعد المحاورة السابقة وهم قد كانوا في النار لكن هذا أمر مقيد بالخلود
وهو الثوي الذي لا ينقطع فليس أمرا بمطلق الدخول أو بعد الدخول فيما
أمروا أن يدخلوا سبعة الأبواب التي لكل باب منها جزء مقسوم من

الكفار وكان ذلك امرا بالدخول بقيد التجزية لكل باب وقال ابن عطية وقوله
تعالى ادخلوا معناه يقال لهم قبل هذه المحاورة في اول الامر ادخلوا لان هذه المخاطبة
انما هي بعد دخولهم وفي الوقت الذي فيه الاغلال في اعناقهم وابواب جهنم هي السبعة
المودية الى طبقاتها وادراكها السبعة انتهى وخالدين حال مقدرة ودلت على
الثوا الدائم فجا التركيب فبئس مثوى المتكبرين ولم يجي التركيب فبئس مدخل
المتكبرين لان نفس الدخول لا يدوم فلم يبالغ في ذمه بخلاف الثوا الدائم الذي
لا ينقطع فانه بولغ في ذمه **فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك** بعض الذي
نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا
عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله فاذا
جا امر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها
ومنها تاكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك
تحملون ويريكم اياته فاي ايات الله تنكرون افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم
وحاق بهم ما كانوا به يستهزون فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا
بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده
وخسر هنالك الكافرون **ن** امر تعالى نبيه بالصبر تانيسا له والا فعو
عليه السلام في عاقبة الصبر واخبر بان ما وعده به من النصر والظفر واعلا
كلمته واظهار دينه حق قيل وجواب فاما نرينك محذوف لدلالة المعنى عليه
تقديره فتقر عينك ولا يصح ان يكون فالينا يرجعون جوابا للمعطوف عليه والمعطوف
لان تركيبه فاما نرينك بعض الموعود في حياتك فالينا يرجعون ليس بظاهر
وهو يصح ان يكون جواب او نتوفينك اي فالينا يرجعون فننتقم منهم ونعذبهم
لكونهم لم يتبعوك ونظير هذه الاية قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون
او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون الا انه صرح بجواب الشرطين وقال
الزمخشري فالينا يرجعون متعلق بقوله نتوفينك وجزا نرينك محذوف

تقديره

تقديره فاما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك او
نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم اشد الانتقام
وقد تقدم للزمخشري نحو هذا البحث في سورة يونس في قوله واما نرينك بعض
الذي نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم ورددنا عليه فيطالع هناك وقال الزمخشري
ايضا فاما نرينك اصله فان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ولذلك
الحقت النون بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمني اكرمك ولكن اما تكرمني اكرمك
انتهى وما ذهب اليه من تلازم ما الزائدة ونون التوكيد بعد ان الشرطية
هو مذهب المبرد والزجاج وذهب سيبويه الى انك ان شئت اتيت بما دون النون
في هذه المسالة وان شئت لم تات بالنون كما انك ان شئت لم تجي بما يعني
لم تات بالنون مع مجيك بما ولم تجي بما مع مجيك بالنون وقرا الجمهور يرجعون بيا الغيبة
مبنيا للمفعول وابو عبد الرحمن ويعقوب بفتح التا وطلحة بن مصرف ويعقوب
في رواية الوليد بن حسان بفتح يا الخطاب ثم رد تعالى على العرب في انكارهم
بعثة الرسل وفي عدد الرسل اختلاف فروي انه ثمانية الاف اربعة الاف من
بني اسرائيل واربعة الاف من غيرهم وروي بعث الله اربعة الاف نبي منهم من
قصصنا عليك اي من اخبرناك به اما في القران فهم بضعة عشر ومنهم من لم نقصص
عليك وعن علي وابن عباس ان الله بعث نبيا اسود في الحبش فهو ممن لم
يقصص عليه وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله اي ليس ذلك راجعا
اليهم لما اقترحوا على الرسول قال ليس ذلك الي لا اتي باية الا ان شا الله
فاذا جا امر الله رد وعيد بما اقترحوا الايات ثم امر الله القيامة والمطلوب
المعاندون يقترحون الايات وقد اتتهم الايات فانكروها وسموها سحرا فاذا
جا امر الله اي اراد ارسال رسول وبعثة نبي قضي ذلك وانفذه بالحق وخسر
كل مبطل وحصل على فساد اخرته او فاذا جا امر الله وهو القتل ببدر ثم
ذكر تعالى ايات اعتبار وتعداد نعم فقال الله الذي جعل لكم الانعام وهي الثمانية
ازواج ويضعف قول من ادرج فيها الخيل والبغال والحمير وغير ذلك مما ينتفع
به من البهائم وقول من خصها بالابل وهو الزجاج لتركبوا منها وهي الابل اذ لم

معهد ركوب عزها ومنها ما كلوه عام في باقيه الأزواج ومن الأولى للتبعيض وقال
ابن عطيه ومن الثانيه لبيان الجنس لأن الجمل منها يؤكل انتهى ولا يخفى كونها
لبيان الجنس يكون أن يكون فيه للتبعيض ولا سيما العائده ولما كان المركوب
منها هو أعظم منفعه إذ فيه منفعه الأكل والركوب وذكر اختصاصه في الجمع منافع
من شرب لبن والجاد ووبار وغير ذلك لكن منفعه الركوب بقوله ولتبلغوا عليها
حاجه في صدوركم من بلوغ الأسفار الطويله وحمل الأثقال إلى البلاد التي تشتهيه
وقضاء فريضه الحج والغزو وما أشبه ذلك من المنافع الدينيه والدنياويه ولما كان
الركوب وبلوغ الحاجه المترتب عليه قد يتوصل به إلى الانتقال لأمر واجب أو مندوب
كالحج وطلب العلم دخل حرف التعليل على الركوب وعلى المترتب عليه من بلوغ الحاجات
فجعل ذلك التعليل الأنعام لنا ولما كان الأكل إصابه المنافع من جنس المباحات
لم يجعل ذلك عله في الجعل بل ذكر أن منها ما يؤكل وأن فيها منافع من شرب لبن والجاد
ووبار وغير ذلك كما أدخل لام التعليل في لتركبوها ولم يدخلها على الزينه في قوله والخيل
والبغال والحمير لتركبوها وزينه ولما ذكر ما امتن به من منه الركوب بلا تلك
البر ذكر ما امتن به من نعمه الركوب في البحر فقال ——— وعليها وعلى الفلك تحملون
ولما كان الفلك يصح أن يقال فيه حمل في الفلك كقوله احمل فيها وصح أن يقال
فيه حمل على الفلك اكتفى به احتمل لفظ على لمناسبه قوله وعليها وإن كان في معنى صحيحا
ويريكم آياته الحجج والأدله على وحدانيته فأي آيات الله تنكرون أي أنها كلها
في ظهورها بحيث لا يمكن إنكار شيء منها في المعقول وأي آيات الله منصوب بتنكرون
قال ——— الزمخشري فأي آيات الله جاءت على اللغه المستفيضه وقوله
فأيه آيات الله قليل لأن التفرقه بين المذكر والمؤنث في الأسماء غير الصفات نحو
حمار وحماره غريب وهي في أي أغرب لإبهامه انتهى ومن قله التأنيث في أي قوله

بأي كتاب أم بأيه سنه ترى حبهم عارا علي وتحسب

وقوله وهي في أي أغرب أي أن ... على الإطلاق فليس بصحيح لأن المستفيض في
النداء تأنيثه في نداء المؤنث كقوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنه ولا يعلم ذكر تذكيرها
فيه فيقول يا أيها المرأه إلا أصحاب كتاب البديع في النحو وأن عني غير المنادى وكلا

صحيح

صحيح يعمل ما بعدها في الاستفهام وموصوله وشرطيه وما في قوله فما أغنى عنهم
نافيه أو استفهاميه في معنى النفي وما فيما كانوا مصدريه أو بمعنى الذي
وهي في موضع رفع والضمير في جاءتهم عائد على الذين من قبلهم وجاء وله من العلم
على جهه التهكم بهم أي في الحقيقه لا علم لهم وإنما لهم جهالات واعتقادات لما
جاءت به الرسل وكانوا يدفعون ما جاءت به الرسل نحو قولهم ولئن رددت إلى
ربي لأجدن خيرا منها منقلبا أو اعتقدوا أن عندهم علما يستغنون به عن علم
الأنبياء كما يزعم الفلاسفه والدهريون كانوا لعنه الله بموسى صلوات الله على
نبينا وعليه فقيل له لو هاجرت إليه فقال نحن قوم مهديون فلا حاجه بنا إلى من يهدينا
وعلى تقدير هذا القول يكون الضمير متسقا عائدا على ما تقدم واحد وقيل الضمير
في فرحوا وبما عندهم عائد على الرسل أي فرح الرسل بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه
لما رأوا جهل من أرسلوا إليهم واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وقيل الضمير
في فرحوا عائد على الأمم وفي بما عندهم عائد على الرسل أي فرح الكفار بما عند الرسل من
العلم فرح ضحك واستهزاء وقال ——— الزمخشري ومنها أي من الوجوه التي في الآيه
في قوله فرحوا بما عندهم من العلم أن يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم مبالغه في نفي فرحهم
بالوحي الموجب لأقصى الفرح والسرور مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلم انتهى ولا
يعبر بالجمله الظاهر كونها مثبته عن الجمله المنفيه إلا في قليل من الكلام نحو قولهم شر أهر
ذا ناب على خلاف فيه ولما آل أمره إلى الإثبات المحصور جاز وأما في الآيه فينبغي أن
لا يحمل على القليل لأن في ذلك تخليط المعاني الجمل المتباينه فلا يوثق بشيء منها وقال
الزمخشري ويجوز أن يريد بما فرحوا بما عندهم من العلم علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها
كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياه الدنيا وهم عن الآخره هم غافلون ذلك مبلغهم من
العلم فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات وهي أبعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا
والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا إليها وصغروها واستهزءوا بها واعتقدوا
أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به انتهى وهو توجيه حسن لكن فيه
إكثار وشقشقه بأسنا أي عذابا شديدا كل حال من أي بعد تلبس العذاب به
وأن ذلك لم يكن نافعا وفي ذلك حض على المبادره إلى الإيمان وتخويف من التأني فأما في

بنا

أأنه

يونس فانهم لما راوا العذاب لم ينفعهم وتعذيب قصتهم واما انه مرفوع مثل انتها لها
او فاعل ينفعهم وفي يك ضمير الشان على الخلاف الذي في كان يقوم زيد ودخل
حرف النفي على الكون لا على النفع لانه يؤدي الى نفي الصحة اي لم يصح ولم يستقم
كقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد والمراد هذه الفاءات اما في اغنى فلان
كان نتيجة قوله كانوا اكثر منهم وفلما جاءتهم رسلهم جار مجرى البيان والتفسير
لقوله فما اغنى عنهم وفلما راوا باسنا تابع لقوله فلما جاءهم كانه قال فكفروا به فلما
جاءهم كانه قال فكفروا به فلما راوا باسنا امنوا وفلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما
راوا باس الله تعالى وانتصب سنة على انه مصدر مؤكد مضمون الجملة السابقة
اي ان ما فعل بهم هي سنة الله التي قد مضت وسبقت في عباده من ارسال
الرسل والايمان بهم وتعذيب من كذبهم واستيصالهم بالهلاك وعدم الانتفاع
بالايمان حالة تلبس العذاب بهم وهنا للظرف مكان استعير للزمان اي وخسر
في ذلك الوقت الكافرون وفصلت سنة منصوب على التحذير اي احذروا سنة
الله باهل نكله في اعداء الرسل الصرصر الريح الباردة المحرقة كما يحرق
البارد قاله الفراء والزجاج وما في اقوال المفسرين فيه النحس الشوم بعض
السعود قال

سواء عليه اي حين اتيته اغد بنحس يغدي ام باسعد

واستد العسرا

الليل صما ولحات لجوهم طبا ونهرا قوم نصيب نحس

التقييض تقيضه الشيء وتيسيره وتقدر ثوبان قيضان اذا كانا
متكافيين ومنه المقايضة وما يقض بهذا الثوب اي خذ واعطني بدله والمقايضة
المعاوضة الاكمام واحدها كم قال الزمخشري بكسر الكاف وقال المبرد هو
ما يغطي الثمرة كجف الطلعة ومن قال في الجمع اكمة قال اكمام كالاغنام والنواحي وغيرها
لغو قال الشاعر

لولا الحيي من الدنيا بمنزله اوفي النسا البالغ كفه الا افعا

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته قرانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا
فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا
وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما
الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة
وهم بالاخرة هم كافرون ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون قل
ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب
العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة
ايام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا
طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى
في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم هذه
السورة مكية بلا خلاف ومناسبتها لما قبلها انه قال في اخر ما قبلها افلم يسيروا
في الارض الى اخرها فتضمن وعدا وتهديدا وتقريعا لقريش فاتبع ذلك بالوعيد و
التوبيخ والتهديد بنوع اخر فذكر انه نزل كتابا مفصلا اياته بشيرا لمن اتبعه
ونذيرا لمن اعرض عنه وان اكثر قريش اعرضوا عنه ثم ذكر قدرة الاله على ايجاد
العالم العلوي والسفلي ثم قال فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة وكان هذا كله
مناسبا لاخر سورة المؤمن من عدم انتفاع مكذبي الرسل حين التبس بهم العذاب
وكذلك قريش حل بهم مصائب دنيا من القتل والاسر والنهب والسبي واستيصال
اعداء رسول الله ما حل بعاد وثمود من استيصالهم روي ان عتبة بن ربيعة ذهب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعظم عليه امر مخالفته لقومه وليقبح عليه
ما بينه وبينه وليبعد ما جاء به فلما تكلم عتبة قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم حم
في صدرها حتى انتهى الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود فامر من السحر ووقف شعره وامسك على فم رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيده وناشده بالرحم ان يمسك وقال لـــــمن يا رفقه والله لقد
سمعت شيئا ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ولقد ظننت ان صاعقة
العذاب على راسي تنزل رفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هذا تنزيل عند

الفاء ومبتدا حم كتاب فصلت عند الزجاج والحوفي وخبره اذا كانت
اسما للسورة وكتاب على غير قول الزجاج بدل من تنزيل مثل ان خبر بعد خبر
فصلت اياته قال الشريف بينت اياته اي ميزت معانيه ففصل بين حلاله
وحرامه وامره ونهيه ووعده ووعيده وقيل فصلت في التنزيل
اي لم ينزل جملة واحدة وقال الحسن بالوعد والوعيد وقال سفيان بالثواب
والعقاب وقال ابن زيد بين محمد صلى الله عليه وسلم ومن خالفه وقيل فصلت
بالمواقف وانواع اواخر الاي ولم يكن يرجع الى قافية ونحوها كالشعر
والسجع وقال ابو عبد الله الرازي ميزت اياته وجعلت تفاصيل في معان
مختلفة بعضها في وصف ذات الله وشرح صفات التنزيه والتقديس
والكواكب ولطائف الليل والنهار وعجائب احوال النبات والحيوان والانسان
وبعضها في احوال التكاليف المتوجهة نحو القلب ونحو الجوارح وبعضها في
الوعد والوعيد والثواب والعقاب ودرجات اهل الجنة ودركات اهل
النار وبعضها في المواعظ والنصائح وبعضها في تهذيب الاخلاق ورياضة
النفس وبعضها في قصص الاولين وتواريخ الماضين وبالجملة من انصف علم انه
ليس في يد الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم والمباحث المتباينة مثل ما في
القران انتهى وقرئ فصلت بفتح الفاء والصاد مخففة اي فرقت بين الحق والباطل
او فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصلت العير اي انفصلت
وفصل من البلد اي انفصل منه وانتصب قرانا على انه حال بنفسه وهي
موطئة لما بعدها او توطئة للحال بعده وهي عربيا او على المصدر
او بتقدير قرانا او على الاختصاص والمدح ومن جعله حالا فقيل ذو الحال
اياته وقيل كتاب لانه وصف بقوله فصلت اياته او على اضمار فعل تقديره
فصلنا قرانا او مفعول ثان لفصلت اقوال ستة اجودها الحال لقوم
يعلمون متعلق بفصلت اي يعلمون الاشيا ويعقلون الدلائل وكانه فصل لهما
ولاجلهم الذين يسمعون به محفوظا بالذكر ليس بخافيهم لم ينتفع بالتفصيل
فكانه لم يفصل لهم وبعدان يتعلق بتنزيل لكونه وصف قبل اخذ متعلقه.

ان

اي كان من الرحمن في موضع الصفة او ابدل منه كتاب او كان خبر التنزيل
فيكون في ذلك البدل من الموصول قبل الاخبار عنه قبل اخذ متعلقه وبقوله
بحرف وصل لقوم في موضع الصفة لقوله عربيا اي كائنا لقوم يعلمونه اي
لقوم عرب يعلمون الفاظه ويتحققون انه لم يخرج عن نمط كلامهم وكانه رد
على من زعم ان في القران ما ليس من كلام العرب وانتصب بشيرا ونذيرا
على النعت لقرانا عربيا وقيل حال من اياته وقرا زيد بن علي بشير
ونذير برفعهما على الصفة لكتاب او على خبر مبتدا محذوف وبشارته لمن امن
ونذارته بالنار لمن كفر فاعرض اكثرهم اي اكثر اولئك القوم اي كانوا
من اهل العلم ولكنهم لم ينظروا النظر التام بل اعرضوا فهم لا يسمعونه لاعراضهم
عما احتوى عليه من الحجج والبراهين او لما لم ينتفعوا به ولم يقبلوه جعل كانهم
لم يسمعوه اخبر تعالى عنهم بالمقالة الدالة على انصمام قلوبهم والياس من رجوعهم
اليه ومن سماعهم لما يتلو وهو قوله تعالى حكاية عنهم وقالوا قلوبنا في اكنة
مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر وتقدم الكلام على شبه ذلك في الانعام و
قرا طلحة وقر بكسر الواو ويعني بسلامة الاسماع فقوله الحق كان قلوبهم
في غلف وكانهم صم اسماعهم كلام الله بلا صمم والحجاب الستر المانع من
الاجابة وهو خلاف في الدين لانه يعبد الله وهم يعبدون الاصنام قال
معناه الفرا وغيره وروي ان ابا جهل استغشى على راسه ثوبا وقال
يا محمد بيننا وبينك حجاب استهزا منه وقيل تمثيل بعدم الاجابة
وقيل عبارة عن العداوة ومن في مما تدعونا اليه لابتدا الغاية وكذا
في ومن بيننا فالمعنى ان الحجاب ابتدا منا وابتدا منك فالمسافة المتوسطة
لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها ولو لم تأت من لكان المعنى ان
حجابا حاصل وسط الجهتين والمقصود المبالغة بالتباين المفرط فلذلك
جي بمن قال الزمخشري فان قلت هلا قيل على قلوبنا اكنة كما
قيل في اذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد قلت هو على نمط واحد
لانه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في اكنة وعلى قلوبنا اكنة والدليل

عليه قوله تعالى إنا جعلنا على قلوبهم أكنة و لو قيل إنا جعلنا قلوبهم في أكنة لم
يختلف المعنى و ترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق و الملاحظة
إلا في المعاني انتهى ونقول إن في إيثار في في هذا الموضع من على لأنهم قصدوا
إفراط عدم القبول لحصول قلوبهم في أكنة احتوت عليها احتواء الظرف
على المظروف فلا يمكن أن يصل إليها شيء كما تقول المال في الكيس بخلاف
قولك على المال كيس فإنه لا يدل على الحصر وعدم الوصول ولا يدل على الوعاء
و أما في قوله إنا جعلنا فهو من إخبار الله تعالى فلا يحتاج إلى مبالغة بخلاف
قولهم وقول الزمخشري وترى المطابيع منهم يعني من العرب و شعرائهم والملك
تكلم الناس بغير حسب ولم يستحسن بعضهم كثرة صنعة البديع فيه
قالوا واحسنه ما جاء من غير تكلف فاعمل إننا عاملون قال الكلبي و قيل
إننا عاملون في هلاكك وقيل معناه اعمل لإلهك الذي أرسلك
فإنا عاملون للأصنام التي نعبدها وقال الفراء اعمل على دينك ونحن
نعمل على ديننا وذكر الماوردي اعمل لآخرتك فإنا نعمل لدنيانا ولما كان
العقل محل المعرفة والسمع والبصر معينان على تحصيل المعارف ذكروا
أن هذه الثلاثة محجوبة عن أن يصل إليها مما يلقيه الرسول شيء و أحد قولهم
فاعمل إننا عاملون أن تكون متاركة محضة وأن تكون استعجالا قل إنما
يوحى إلي قرأ الجمهور قل على الأمر وابن وثاب والأعمش يوحي بكسر الحاء
قال فعلا ماضيا وهو أمر بالتوحيد والرسالة وقرأ النخعي والأعمش
يوحي بكسر الحاء والجمهور بفتحها وأخبر أنه بشر مثلهم لا ملك لكنه أوحي إليه دونهم
وقال الحسن علمه تعالى التواضع وأن في ما أوحي إليه توحيد الله
ورفض آلهتكم فاستقيموا إليه أي له بالتوحيد الذي هو رأس الدين والعمل
واستغفروه و اسألوا المغفرة إذ هي رأس العمل الذي بحصوله الفوز بالسعادة
وضمن استقيموا معنى التوجه فلذلك تعديه بإلى أي وجهوا استقامتكم
إليه ولما كان العقل ناطقا بأن السعادة مربوطة بأمرين التعظيم
لله والشفقة على خلقه ذكر أن الويل والثبور والحزن للمشركين الذين

الذين لم يعطوا الله بتوحيد ونفي الشريك عنه ولم يشفقوا على خلقه بإيصال
الخير إليهم وأضافوا إلى ذلك إنكار البعث والظاهر أن الزكاة على ظاهرها
من زكاة الأموال قاله ابن السائب قال كانوا يحجون ويعتمرون ولا يزكون
وقاله الحسن وقتادة وقيل كانت قريش تطعم الحاج وحرمت من آمن منهم وقال
الحسن وقتادة أيضا المعنى لا يؤمنون بالزكاة ولا يقرون بها وقال مجاهد
والربيع لا يزكون أعمالهم وقال ابن عباس والجمهور الزكاة هنا
لا إله إلا الله التوحيد كما قال موسى عليه السلام لفرعون هل لك إلى أن
تزكى ويرجح هذا التأويل أن الآية من أول المكي وزكاة المال إنما نزلت
بالمدينة قاله ابن عطية وقال إنما هذه زكاة القلب والبدن أي تطهيره من
الشرك والمعاصي وقاله مجاهد والربيع وقال الضحاك ومقاتل الزكاة
هنا النفقة في الطاعة وإذا كانت الزكاة المراد بها إخراج المال فإنما قرن
بالكفر بالآخرة لكونها شاقة بإخراج المال الذي هو محبوب الطباع وشقيق
الأرواح حسا قال بعض الأدباء شعر

وقالوا شقيق الروح مالك فاحتفظ به فأجبت المال خير من الروح
أرى حفظه يقضي بتحسين حالتي وتضييعه يقضي لتسآل ممنوح

إن الذين آمنوا قال السدي نزلت في الزمنى والمرضى إذا عجزوا عن إكمال
الطاعات كتب لهم من الأجر كأصح ما كانوا يعملون والممنون المقطوع قاله
ابن عباس قال ذو الإصبع العدواني شعر

إني لعمرك ما بابي بذي غلق على الصديق ولا خيري بممنون

وقال مجاهد غير محسوب وقيل غير مقطوع قال شعر

فضل الجواد على الخيل البطاء فلا يعطي بذلك ممنونا ولا نزقا

وقيل لا تمن يعني أن عطيات الله لا يشوبها المن إنما يدخل في عطيات
البشر وقيل لا يمن به إنما من التفضل فأما الأجر فحق أداؤه نقله الزمخشري
وفيه دسيسة الاعتزال قل أئنكم لتكفرون استفهام توبيخ وتشنيع عليهم
كفرهم من أوجد العالم سفليه وعلويه ووصفه صورة خلق الله ذلك ومدته

وَالحكمة في الخلق في ستة ايام مع كونه قادرا على ان يوجد ذلك دفعة واحدة فتذكر تعالى
ايجاد ذلك مرتبا وبعدم الكلام في اول حم السجدة فيه الخلق وما خلق
مرتبا ومعنى ائنكم لتكفرون في معنى ائنكم لتكفرون وتجعلون له اندادا اشباها
وَامثالا من الملائكة وَالجن وَالاصنام تعبدونها من دونه قال الشيخ
اكفا من الرجال فطعن بهم وتجعلون معطوف على لتكفرون فهو داخل
في حيز الاستفهام المقتضي الانكار وَالتوبيخ ذلك اي موجد الارض ومخترعها
رب العالمين على الانداد الذي جعلتم له وعرفهم وجعل فيها رواسي اي جبالا
مستاتبة وَليس معطوفا على صلة الذي لاجل الفصل بينهما بقوله وتجعلون
وَليس من الصلة في شيء بل هو معطوف على قوله لتكفرون وبارك فيها اكثر خيرها
وقدر فيها اقواتها اي ارزاق ساكنيها ومعايشهم وَاعطا فيها لاهل الارض
من جنس ... وعما ... قاله السدي وقال مقاتل اقواتها من الجبال وَالانهار
وَالاشجار والعيون وَالمعادن وَالاشيا التي بها قوام الارض ومصالحها
وقال مجاهد اقواتها من المطر والمياه وقال عكرمة وَالضحاك ومجاهد
ايضا خصائصها التي قسمها في البلاد ما خص به كل اقليم ليحتاج بعضها الى بعض
في المعوق من بلد لبلد المطاعم وَالثياب في اربعة ايام اي في تمام اربعة
ايام باليومين المتقدمين قال الزمخشري في اربعة ايام فذلكة
لمدة خلق الله وما فيها كانه قال كل ذلك في اربعة ايام كاملة مستوية بلا
كما تقول سرت الى ... في يوم وَاكملت جمعه في يومين اي بالاول وقال
ابو عبد الله الرازي وهو لعله من كلام الزمخشري في اربعة ايام فائدة زائد
على قوله في يومين لان في قوله في يومين لا يفيد الاستغراق ولذلك الفائدة
اما لما ذكر خلق الارض وخلق هذه الاشياء قال في اربعة ايام ليدل
على ان هذه الايام مستغرقة في تلك الاعمال من غير زيادة ونقصان انتهى
ولا فرق بين يومين وَاربعة ايام بالنسبة الى الاستغراق فان كانت
اربعة ايام تفيد الاستغراق فكذلك اليومان يفيدانه ومتى كان
الطرف معدودا كان العمل في جميعه اما على سبيل التعميم نحو سرت يومين

او المنبسط بحادث يومين ومركبون في بعض كل يوم منها نحو سرت يومين
فاحتمل الاستغراق واحتمل انقطاعه في بعض كل واحد من اللبثين وَاذا كان
كذلك احتمل ان يكون وقع الخلق للارض في بعض كل واحد من اليومين
وَاحتمل ان يكون اليومان مستغرقان بخلقها وكذلك في اربعة ايام يحتمل الا
وَان يكون خلق الارض وجعل الجبال وَالبركة وتقدير الاقوات وقع في بعض
كل يوم من الاربعة كما قاله ابو عبد الله الرازي لم يظهر به فائدة وقرا الجمهور
سوا بالنصب على الحال وَابو جعفر بالرفع اي هي سوا وزيد بن علي وَالحسن وَابن
ابي اسحق وعمرو بن عبيد وعيسى ويعقوب بالخفض نعتا لاربعة ايام قال الزمان
وَالسدي معناه سوا لمن سال عن الامر واستفهم عن حقيقته ووقوعه واراد
العبرة فانه يجد كما قال وقال ابن زيد وجماعة معناه مستو مهيا امر
هذه المخلوقات ونفعها للمحتاجين اليها من البشر فعبر بالسائلين عن الطالبين
لانهم من شانهم ولابد طلب ما ينتفعون به اذ هم بحال حاجة اليها وقال الزمخشري
فان قلت بم يتعلق قوله للسائلين ان قدرها اقواتها لاجل الطالبين لها
المحتاجين المستاثرين لها وهو راجع لقول المفسرين المتقدمين لما شرح خلق
الارض وما فيها اتبعه بخلق السما فقال ثم استوى الى السما اي قصد اليها وتوجه
دون ارادة شيء في غيرها والمعنى الى خلق السما والظاهر ان ثم ان الى خلقت
بعد السما كانت دخانا في اول الكتاب الذي زعم اليهود انه التوراة ان عرش الله
تعالى كان على الما قبل خلق السموات وَالارض فاحدث الله في ذلك سخونة
فارتفع زبد ودخان اما الزبد فبقي على وجه الما فخلق الله منه اليبوسة
وَاحدث منه الارض واما الدخان فارتفع وعلا فخلق الله منه السموات
وفيه ايضا ان الله خلق السما من اجزا مظلمة انتهى وروي انها كانت جسما
رخوا كالدخان او البخار وقال شيء طيبه هنا لفظ متروك يدل عليه الظاهر
وتقديره فاوجدها واتقنها واكمل امورها وحينئذ قال لها وللارض ائتيا
اي يجعل شيء طيبه هذه المحاورة من الباري تعالى وَالارض وَالسما بعد
خلق الارض وَالسما ورجح قول من ذهب الى انهما نطقا نطقا حقيقيا

وجعل الله لهما حياة وادراكا كبعض نطقهما بعد ان ذكرت المفسرين من ذهب
الى ان ذلك مجاز وانه ظهر منهما من احسان الطاعة والتذلل والخضوع ما هو بمنزلة
القول قال ـــــ والقول الاول احسن لانه لا شي يدفعه وان العبرة فيه
اتم والقدرة فيه اظهر انتهى وقال الزمخشري ومعنى امر السماء والارض بالاتيان
وامتثالهما انه اراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما ارادهما وكانتا في ذلك
كالمأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الامر المطاع وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل
ويجوز ان يكون تخييلا ويبنى الامر فيه على ان الله تعالى كلم السماء والارض وقال
لهما ائتيا شئتما ذلك او ابيتما فقالتا اتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير
اثر قدرته في المقدورات لا غير من غير ان يتحقق شيء من الخطاب والجواب ونحوه قول
القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد سل من يدقني فلم يتركني ورائي
الحجر الذي ورائي فان قلت ـــــ لم ذكر السماء مع الارض وانتظمهما في الامر
بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين قلت ـــــ قد خلق جرم الارض
اولا غير مدحو ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحاها
بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغي
ان تأتيا عليه من الشكل والوصف ائتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتي
يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول اتى عمله
مرضيا وجاء مقبولا ويجوز ان يكون المعنى لتأت كل واحدة منكما صاحبتها الاتيان
الذي اريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الارض قرارا للسماء وكون
السماء سقفا للارض وينصره قراءة من قرأ آتيا وآتينا من المواتاة وهي الموافقة
اي لتوافق كل واحدة اختها ولتوافقها قالتا آتينا وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقنا
امرك ومشيتك ولا نمتنع فان قلت ـــــ ما معنى طوعا او كرها قلت ـــــ
هو مثل للزوم تأثير قدرته فيهما وان امتناعهما من تأثير قدرته كما يقول الجبار
لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها وانتصابهما
على الحال بمعنى طائعين على اللفظ او طائعات على المعنى لانهما سموات وارضون
فلما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع

طائعات

طائعات نحو قوله ساجدين انتهى وقرأ الجمهور ائتيا واتينا من الاتيان اي ائتيا امري
وارادتي وقرأ ابن عباس وابن جبير ومجاهد آتيا على وزن افعلا فالمنا آتينا
على وزن افعلنا من آتى يؤتي كذا قال ابن عطية قال وذلك بمعنى اعطيا من
انفسكما من الطاعة ما اردته منكما والاشارة بهذا كله الى تسخيرها وما قدره
الله منها انتهى وتقدم في كلام الزمخشري انه جعل هذه القراءة من المواتاة
وهي الموافقة فيكون وزن آتيا فاعلا وآتينا فاعلنا وتقدمه الى ذلك ابو الفضل
الرازي قال آتيا بالمد على فاعلا من المواتاة ومعناه سارعا على حذف المفعول
منه ولا يجوز ان يكون من الايتاء الذي هو الاعطاء لبعد حذف مفعوليه انتهى
وقرأ الاعمش او كرها بضم الكاف والاصح انه لغة في الاكراه على الشيء الموضوع
التحمر نفسه وبين الطواعية والاكراه ان الكره بالضم معناه المشقة قال ابن عطية
وقوله قالتا اراد الفرقتين المذكورتين وجعل السموات سماء والارضين ارضا
وهذا نحو قول الشاعر ـــــ

الم يحزنك ان حبال قومي وقومك قد تباينت انقطاعا

ونحو عنهما بتباينتا انتهى وهذا ليس كما ذكر لانه انما تقدم ذكر الارض
مفردة والسماء مفردة فحسن التعبير عنهما بالتثنية والبيت من وضع الجمع
موضع التثنية كانه قال الم يحزنك ان حبلي قومي وقومك تباينتا
وانث على معنى الحبل لانه لا يريد به الحبل حقيقة انما عنى به الذمة والمودة
التي كانت بين قومه وقومها والظاهر من هذه الاية انه خلق الارض وجعل فيها
من الرواسي ودحو الارض غير خلقها وقد تاخر عن خلق السماء وقد اورد على
هذا ان جعل الرواسي فيها والبركة وتقدير الاقوات لا يمكن ادخالها في الوجود
الا بعد ان صارت الارض مدحوة وقوله ـــــ وبارك فيها وقدر فيها اقواتها
مفسر بخلق الاشجار والنبات والحيوان فيها ولا يمكن ذلك الا بعد صيرورتها
منبسطة ثم قال بعد ثم استوى الى السماء فاقتضى خلق السماء بعد خلق الارض
ودحوها واورد ايضا ان قوله للسماء والارض ائتيا ايجاد السماء اقتضى ايجاد الموجود
وبالامر للارض بالايجاد وهو محال وقد انتهى بهذا الايراد ونقل الوا حدى

في البسيط عن مقاتل انه قال خلق الله السما قبل الارض وتاول قوله ثم استوى
ثم كان قد استوى الى السما وهي دخان قبل ان يخلق الارض فاضمر فيه كان
كما قال تعالى ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل معناه ان يكن سرق قاله الواحدي وقال ابو
عبد الله الرازي بعد ثم كان قد استوى جمع بين ضدين فان ثم يقتضي التاخير
وكان يقتضي التقدم والجمع بينهما يفيد التناقض ونظيره ضربت زيدا اليوم ثم
ضربت عمرا امس فكان هذا باطلا فيتعين ما ذكر بعض من تاول ثم كان استوى
قال والمختار عندي ان يقال خلق السما مقدم على خلق الارض وتاويل
الاية ان الخلق ليس عبارة عن التكوين والايجاد بدليل قوله تعالى ان مثل عيسى
عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وهذا محال لا يقال للشي
الذي وجد كن بل الخلق عبارة عن التقدير وهو في حقه تعالى حكمه بان سيوجد
وقضاه بذلك معنى خلق الارض في يومين قضا بحدوثها في يومين وقضاه بانه
سيحدث كذا في مدة كذا لا يقتضي حدوث ذلك في الحال فلا يلزم تقدم
احداث الارض على احداث السما انتهى والذي يقوله الكفار وتحاوزوا ونزعوا الكرهم
ثم صدرت عنه هذه الاشيا جميعها ليس عن ترتيب زماني وان ثم لترتيب
الاخبار لا الترتيب الزماني والمهلة كانه قال بالذي اخبركم انه خلق الارض
وجعل فيها رواسي وبارك فيها وقدر فيها اقواتها ثم اخبركم انه استوى الى السما فلا
تعرض في الاية لترتيب اي ذلك وقع الترتيب الزماني له ولما كان خلق السما ابدع
في القدرة من خلق الارض استوعب الاخبار فيه ثم فصار كقوله ثم كان من الذين امنوا
بعد قوله فلا اقتحم العقبة ومن ترتيب الاخبار ثم اتينا موسى الكتاب بعد قوله قل تعالوا
اتل وقوله تعالى فقال لها وللارض بعد اخباره الحق به بصورة خلقها على
وفق ارادته تعالى كقولك ارايت الذي يست عليه فعلت له اتكل عالم صالح فهذا
تصوير لما اثبت به ويعقل له ولذلك قيل انه خلق بحكمه وكتبه فاوجد ذلك
الجاد الم يتخلف عن ارادته ويدل على ان المقصود الاخبار بوقوع هذه الاشيا
من غير ترتيب زماني قوله في الرعد الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها الاية
ثم قال بعد وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا الاية فظاهر هذا

رفع

رفع السموات ثم مد الارض وجعل الرواسي وظاهر الاية التي نحن فيها جعل الرواسي
وتقدير الاقوات قبل الاستوا الى السما وخلقها ولكن المقصود في الايتين الاخبار
بصدور ذلك منه تعالى من غير تعرض لترتيب زماني وما جا من ذلك مقصودا
او اربعة او ستة اذ المعنى في مقدار ذلك ... انه كان ونت الحادث ذلك
زمان فقضاهن سبع سموات اي صنعهن واوجدهن كقول ابي ذويب

وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع

وعلى هذا النصب سبع على الحال وقال الحوفي مفعول ثان كانه ضمن قضاهن معنى
صيرهن فعداه الى مفعولين وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا
بسبع سموات على التمييز يعني بقوله مبهما ليس عائدا على السما لا من حيث اللفظ
ولا من حيث المعنى بخلاف الحال او المفعول الثاني فانه عائد على السما على المعنى واوحى
في كل سما امرها قال مجاهد وقتادة واوحى الى سكانها وعمرها من الملائكة والنهاهي
في نفسها ما شاء تعالى من الامور التي هي قوامها وصلاحها وقال السدي
وقتادة ومن الامور التي هي لغيرها مثل ما فيها من جبال البرد ونحوها واضاف الامر
اليها من حيث الامور التي هي لغيرها مثل ما فيها من جبال البرد ونحوها واضاف الامر
نفوسها وقال الزمخشري امرها ما امر به فيها ودبره من خلق الملائكة
والنيرات وغير ذلك وحفظا اي وحفظناها حفظا من المسترقة بالثواقب
ويجوز ان يكون مفعولا له ذلك ويكون محمولا على المعنى كانه قال وخلقنا المصابيح
زينة وحفظا انتهى والحاجة الى هذا التقدير الثاني وتكلفه مع ظهور الثاني وسهولته
ذلك اشارة الى جميع ما ذكر اي اوجد بقدرته وعزته وعلمه فان اعرضوا فقل
انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم
ومن خلفهم الا تعبدوا الا الله قالوا لو شا ربنا لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون
فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله
الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون فارسلنا عليهم ريحا صرصرا
في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى وهم لا
ينصرون واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب.

الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون فإن أعرضوا التفات
خرج من ضمير الخطاب في قوله قل أئنكم لتكفرون الى ضمير الغيبة إعراضا عن خطابهم إذ كانوا
قد ذكروا بالعظيم من أفعاله وأبوا من الحجج الدالة على الوحدانية والقدرة الباهرة
فقل أنذرتكم أي خوفتكم صاعقة أي حلول صاعقة قال قتادة عذابا مثل عذاب عاد وثمود
وقال الزمخشري عذابا شديد الوقع كأنه صاعقة وقرأ الجمهور صاعقة مثل صاعقة
وابن الزبير والسلمي والنخعي وابن محيصن بغير ألف وسكون العين وتقدم تفسيرها
في أوائل البقرة والصعقة المرة من قولك صعقته الصاعقة فصعق وهو من باب فعلته
بفتح العين ففعل بكسرها نحو جدعته فجدع وإذ معمول لصاعقة لأن معناها العذاب
من بين أيديهم ومن خلفهم قال ابن عباس أي من قبلهم ومن بعدهم أي قبل هود وصالح وبعدهما
وقيل من أرسل الى آبائهم ومن أرسل إليهم فكأنه من بين أيديهم معناه من قبلهم
ومن خلفهم معناه الرسل الذين بحضرتهم والضمير في من خلفهم عائد على الرسل قاله
الضحاك وسمعه الفراء وحكى عن الطبري نحو من هذا القول وقال ابن عطية
من بين أيديهم أي تقدموا في الزمن واتصلت نذارتهم الى أعمارهم عاد وثمود
الاتصال قامت الحجة ومن خلفهم أي جاءهم رسول بعد تقدم وجودهم في الزمن وجاء
من مجموع العبارة أن الحجة عليهم قامت بالرسالة والنذارة عمهم خبرا ومباشرة
انتهى وهو شرح لكلام ابن عباس وقال الزمخشري من بين أيديهم ومن
خلفهم أي أتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم وأعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا
العتو والإعراض كما حكى الله عن الشيطان لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم
أي لآتينهم من كل جهة ولأعملن فيهم كل حيلة وعن الحسن أنذروهم من وقائع الله
فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة لأنهم إذا حذروهم ذلك فقد جاؤوهم بالوعظ
من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري
عليهم انتهى وقال الطبري الضمير في قوله ومن خلفهم عائد على الرسل وفي
من بين أيديهم عائد على الأمم وفيه خروج عن الظاهر في تفريق الضمائر وتعمية المعنى
إذ يصير المعنى جاءتهم الرسل من بين أيديهم وجاءتهم من خلفه الرسل أي من
خلف أنفسهم وهذا معنى لا يتعقل إلا إن كان الضمير يعود في خلفهم على الرسل

لفظا

لفظا وهو يعود على رسل أخرى معنى فكأنه جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلف
رسل أخرى فتكون كقولهم عندي درهم ونصفه أي ونصف درهم آخر وهذا
فيه بعد وخص بالذكر من الأمم المهلكة عاد وثمود لعلم قريش والعرب بحالهما
ولوقوفهم على بلادهم في اليمن والحجر وقال الأفوه الأودي شعر

أضحوا كقيل بن عتر في عشيرته ... إذا أهلكت بالذي سدى لها عاد
أو بعده كقدار حين تابعه ... على الغواية أقوام فقد بادوا

ألا تعبدوا يصح أن تكون أن تفسيرية لأن مجيء الرسل إليهم يتضمن معنى القول
أي جاءتهم مخاطبة وأن تكون مخففة من الثقيلة أي بأنه لا تعبدوا أو الناصبة للمضارع
ووصلت بالنهي كما توصل بالأمر في قوله أن طهرا وكتبت إليه بأن قم ولا في هذه
الأوجه الثلاثة للنهي ولا يجوز على أن تكون لا نافية وأن ناصبة للفعل قاله الحوفي
ولم يذكر غيره ومفعول شاء محذوف وقدره الزمخشري لو شاء إرسال الرسل
لأنزل ملائكة انتهى وتتبعت ما جاء في القرآن وكلام العرب من هذا التركيب فوجدته
لا يكون محذوفا إلا من جنس الجواب نحو قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى
أي لو شاء جمعهم على الهدى لجمعهم عليه وكذلك ولو نشاء لجعلناه حطاما لو نشاء جعله حطاما لجعلناه
أجاجا لو شاء ربك لآمن ولو شاء ربك ما فعلوه ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من
شيء قال الشاعر شعر

فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ... ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد

وقال الراجز شعر

والله لو شاء لكنت صخرا ... أو جبلا أشم مشمخرا

فعلى هذا الذي تقرر لا يكون تقدير المحذوف ما قاله الزمخشري وإنما التقدير
لو شاء ربنا إنزال ملائكة بالرسالة منه الى الإنس لأنزلهم بها إليهم وهذا أبلغ في
الامتناع من إرسال البشر إذ علقوا ذلك بإنزال الملائكة وهو لم يشأ ذلك فكيف
يشاء ذلك في البشر فإنا بما أرسلتم به كافرون خطاب لهود وصالح ومن دعا
من الأنبياء الى الإيمان وغلب الخطاب على الغيبة نحو قولك أنت وزيد تقومان
وما مصدرية أي بإرسالكم وبه توكيد وكذلك المصدر ويجوز أن تكون ما بمعنى

الذي والمضي به مما امر عليه واذا كفروا بما تضمنه الارسال كان كفرا بالارسال
وليس قوله بما ارسلتم اقرارا بالارسال بل هو على سبيل التهكم اي بما ارسلتم به على
زعمكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ولما تقدم تخالفهم عاد وثمود
على الاجمال فصل بعد ذلك عن استكبارهم على الله وعن ما جاء به الرسل بغير الحق اي بغير ما
يستحقون لما ذكر لهم هذا الذنب العظيم وهو الاستكبار وكان فعلا قلبيا ذكر ما
ظهر عليهم من الفعل اللساني المعبر عما في القلب وقالوا من اشد منا قوة اي لا احد اشد
منا وذلك لما اعطاهم [illegible] هو اشد منهم قوة وهم عليهم بايات الله كانوا يجحدونها
ولا يعترفون بها كما يجحد المودع الوديعة من طالبها مع معرفته بها ولفظه كان في كثير
من الاستعمال يشعر بالمداومة وعبر عن القوة بالقدرة وكما يقال الله اقدر منهم فقال
الله اقوى منهم لان القدرة ثابتة لله قد يشتركان فيها ثبتت القدرة ثابتا بما لكل
منهما من الخاصية كما يوصف الله تعالى بالعلم ويوصف الانسان بالعلم ذكر تعالى
ما اصاب به عادا فقال فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في الحرث انه تعالى امر خزنته
الريح ففتحوا عليهم قدر حلقة الخاتم ولو فتحوا قدر منخر الثور لهلكت الدنيا وروي
انها كانت تحمل العير باوقارها فترميهم في البحر والصرصر قال مجاهد ريح شديدة
السموم وقال ابن عباس والضحاك وقتادة والسدي من الصر اي باردة وقال
السدي ايضا وابو عبيدة وابن قتيبة والطبري وجماعة مصوتة من صرصر يصرصر
اذا صوت وقال ابن السكيت صرصر يجوز ان يكون من الصر وهو البرد ويجوز
ان يكون من الصرير وهو الصيحة ومنه فاقبلت امراته في صرة وصرصر نهر بالعراق
وقرا الحرميان وابو عمرو والنخعي وعيسى والاعرج نحسات بسكون الحاء واحتمل
ان يكون مصدرا وصف به وان يكون مضاف اليه واحتمل ان يكون مخففا من فعل
وقال الطبري وهو بعيد وقال الزمخشري مخفف نحس او صفة على فعل او وصف
مصدرا انتهى وتتبع ما ذكر البصريون مما جاء صفة من فعل اللازم فلم
يذكروا انه فعلا بسكون العين قالوا اذا كان على فعل فرح فهو فرح وعلى افعل حوِر
فهو احور وعلى فعلان شبع فهو شبعان وقد يجيء على فاعل سلم فهو سالم وبلي
فهو بال وقرا ابان وابو رجاء الجحدري وشيبة وابو جعفر والاعمش وباقي

السبعة بكسر الحاء وهو القياس وهو صفة نحس على فعل بكسر العين وبحسب صفة
للايام جمع بالالف والتاء لانه جمع صفة لما لا يعقل قال مجاهد وقتادة والسدي
مشائيم من النحس المعروف وقال الضحاك شديدة البرد حتى كان البرد عذابا
لهم وانشد الاصمعي في النحس بمعنى البرد كان سلافه

كان سلافة عرضت لنحس ٦٠ يحيل شفيفها الماء الزلالا

وقيل سميت بذلك لانها ذات غبار ومنه قول الراجز ٤٠

قد اغتدي قبل طلوع الشمس للصيد في يوم قليل النحس

يريد قليل الغبار وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة متتابعات كانت اخر شوال
من الاربعاء الى الاربعاء وقال السدي اولها غداة يوم الاحد وقال الربيع بن انس
يوم الجمعة وقال يحيى بن سلام يوم الاحد لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا
وهو الهلاك وقرئ لتذيقهم بالتاء قال الزمخشري على ان الاذاقة للريح او للايام
او للحال واضاف العذاب الى الخزي لانه الموصوف بصفته كانه قال العذاب
الخزي وكذلك جاء لعذاب الاخرة اخزى ولم يكن من اضافة الموصوف الى صفته
اراد بلفظة اخزى الى بعض المشاركة والتفضيل فيها قوله ولعذاب الاخرة
وهو اسناد مجازي اذ وصف العذاب بالخزي ابلغ من وصفهم به الا ترى
تفاوت ما بين قولك هو شاعر وقولك له شعر شاعر وقابل الاستكبار بعذاب
الخزي وهو الذل والهوان وبنقيضه مقابلا لما اقدم ثم ذكر فقال
واما ثمود فقرا الجمهور بالرفع ممنوع الصرف وابن وثاب والاعمش وبكر بن حبيب
مصروفا وهو قراءة ابن وثاب والاعمش ثمود بالتنوين في جميع القران الا قوله
وآتينا ثمود الناقة لانه في المصحف بغير الف وقرا ثمود بالنصب ممنوع
الصرف الحسن وابن ابي اسحق وابن هرمز بخلاف عنه والمفضل قال ابن عطية
والاعمش وعاصم قال نور وروي عن ابن عباس وابن ابي اسحق والاعمش ثمودا منونة
منصوبة وروى المفضل عن عاصم الوجهين انتهى فهديناهم قال ابن عباس وقتادة و السدي
وابن زيد بيناهم قال ابن عطية وليس الهدى هنا بمعنى الارشاد وقال
الفرا وسعد الزمخشري فهديناهم فدللناهم على طريق الضلالة والرشد لقوله تعالى

وهديناه الى الخير فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الدخول في الضلال على الدخول
في الرشد فان قلت اليس معنى هديته حصلت فيه الهدى الدليل عليه قوله
فلكن هديته فما اهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع
فكيف شاع استعماله في الدلالة المجردة قلت للدلالة على انه مكنهم وازاح عللهم
ولم يبق لهم عذر ولا علة فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها انتهى
وهو على طريقة الاعتزال وقال سفيان دعوناهم وقال ابن زيد اعلمناهم
الهدى من الضلال وقال ابن عطية فاستحبوا عبارة عن تكسبهم في العمى والا فهو
بالاختراع لله ويدلك على انها اشارة الى تكسبهم قوله بما كانوا يكسبون انتهى والهون
الهوان وصف العذاب بالمصدر او ابدل منه وقرا ابن مقسم عذاب الهوان بفتح
الهاء والف بعد الواو وقال الزمخشري ولو لم يكن في القران حجة على القدرية الذين
هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها صلى الله عليه وسلم وكفى به شاهدا الا هذه الاية
لكفى بها حجة انتهى على عادته في سب اهل السنة ثم ذكر ونجينا من امن واتقى
نبيه وكان من امن من المومنين من اصحاب هود وصالح مائة وعشرين انفس

ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم
وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله
الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون ان يشهد
عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم
ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان
يستعتبوا فما هم من المعتبين وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم
وحق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين
وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن
الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوا الذي كانوا يعملون ذلك جزاء اعداء الله
النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا
ارنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين
لما بين تعالى كيفية عقوبة اولئك الكفار في الدنيا اردفه بعقوبة الكفار اولئك عم

وانتصب

وانتصب يوم باذكر وقرا الجمهور يحشر مبنيا للمفعول واعداء رفعا وزيد
ابن علي ونافع والاعرج واهل المدينة بالنون اعداء نصبا وكسر الشين
الاعرج وتقدم معنى يوزعون في النمل وحتى غاية ليحشر واعداء الله هم الكفار
من الاولين والاخرين وما بعد اذا زائدة للتاكيد قال الزمخشري ومعنى
التاكيد فيها ان وقت مجيئهم النار لا محالة وقت ان تكون الشهادة عليهم به انتهى ولا ادري
ان معنى زيادة ما بعد اذا التوكيد ما ذكر ولا ان نحو ما ذكر هذا الذي
ذكر من معنى التوكيد فيها ولو كان التركيب بغير ما كان بلا شك
حصول الجواب عند حصول الشرط من غير تاخير لان اداة الشرط والشهادة
واقعة منه لا محالة في الكلام احق في المعنى حتى اذا ما جاءوها اي النار وسئلوا
عما اجرموا فانكروا شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما اكتسبوا من الجرائم
وكانوا حسبوا انه لا شاهد عليهم فتحقق الحديث اول ما ينطق من الانسان
فخذه اليسرى ثم تنطق الجوارح فيقول تبا لك ولما كانت الحواس خمسة
السمع والبصر والشم والذوق واللمس وكان الذوق مندرجا في اللمس اذ بمماسته
جلدة اللسان والحنك للمذوق يحصل ادراك المذوق وكان حس الشم ليس فيه
تكليف ولا امر ولا نهي وهو ضعيف اقتصر من الحواس على السمع والبصر واللمس
اذ هذه التي جاء فيها التكليف ولم يذكر حاسة الشم لانه لا تكليف فيها فهذه والله
اعلم حكمة الاقتصار على هذه الثلاثة والظاهر ان الجلود هي المعروفة وقيل
هي الجوارح كنى بها عنها وقيل كنى بها عن الفروج وقيل وعليه اكثر
المفسرين منهم ابن عباس كما كنى عن النكاح بالسر بما كانوا يعملون من الجرائم
ثم سالوا جلودهم عن سبب شهادتها عليهم ولم يذكر سببا غير ان الله انطقها
ولما صدر منها ما صدر من العقلاء وهي الشهادة خاطبوها بقوله لم شهدتم مخاطبة
العقلاء وقرا زيد بن علي لم شهدتن بضمير المؤنثات وكل شيء لا يراد به العموم
بل المعنى كل ناطق مما ذكر عليه شاهد او كان نحو ذلك فيخرق عادة وقال
الزمخشري اراد بكل شيء من الحيوان كما اراد به في قوله والله على كل شيء قدير كل
شيء من المقدورات والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على

انطاق كل حيوان وعلى خلقكم وانشائكم وعلى اعادتكم الله الذي قدر على انطاق كل حيوان
وعلى خلقكم ورجعكم الى جزائه وانما قالوا لهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من شهادتها
وكبر عليهم من الافتضاح على السنة جوارحهم وقال الزمخشري ايضا فان قلت
كيف تشهد عليهم اعضاؤهم وكيف تنطق قلت الله عز وجل ينطقها كما انطق
الشجرة بان يخلق فيها كلاما انتهى وهذا الرجل مولع بمذهبه الاعتزالي يدخله في كل ما
يقدر انه يدخل وانما اشار بقوله كما انطق الشجرة بان يخلق فيها كلاما الى ان الله
تعالى لم يكلم موسى حقيقة وانما الشجرة هي التي سمع فيها الكلام بان خلق الله فيها ما سمعه
به عن الله تعالى حكاية والظاهر ان قوله وما كنتم تستترون من كلام الجوارح قيل
ويحتمل ان يكون من كلام الله تعالى موبخا لهم او من كلام ملك بامره تعالى وان
تشهد يحتمل ان يكون معناه خيفة ان تشهد او لاجل ان تشهد اذ كنتم عالمين
بانها تشهد ولكن ظننتم ان الله لا يعلم فانهمكتم وجاهرتم والى هذا نحا مجاهد والسدي
ما في هذا المعنى كما قال

والستر دون الفاحشات وما يلقاك دون الخير من ستر

ويحتمل ان يكون معناه عن ان تشهد اي وما كنتم تمتنعون ولا يمكنكم الاخفاء
عن اعضائكم والاستتار عنها بكفركم ومعاصيكم ولا تظنون انها تصل بكم الى
هذا الحد من الشهادة عليكم والى هذا نحا السدي او وما كنتم تتوقعون بالاخفاء
والستر ان تشهد عليكم لان الجوارح لزمتكم وغير بائنة عنكم فتستترون وتتقون
اي وما كنتم تظنون ان تشهد وهذا تفسير من حيث المعنى لا من حيث مرادفة
اللفظ للفظ ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا وهو الخفيات من اعمالكم وهذا الظن
كفر وجهل بالله وسوء معتقد يؤدي الى تكذيب الرسل والشك في علم الاله وذلكم
اشارة الى ظنهم ان الله لا يعلم كثيرا من اعمالهم وهو مبتدا خبره ارداكم وظنكم
بدل من ذلكم اي وظنكم بربكم ذلكم اهلككم وقال الزمخشري وظنكم وارداكم
خبران وقال ابن عطية ارداكم يصلح ان يكون خبرا بعد خبر انتهى ولا يصح ان يكون
ظنكم بربكم خبرا لان قوله وذلكم اشارة الى ظنهم السابق فيصير التقدير وظنكم
بان ربكم لا يعلم ظنكم بربكم فاستفيد من الخبر ما استفيد من المبتدا وهو لا يجوز

وصار

وصار نظير ما منعه النحاة من قولك سيد الجارية مالكها وقال ابن عطية وجوز الكوفيون
ان يكون بمعنى ارداكم في موضع الحال والبصريون لا يجيزون وقوع الماضي حالا الا
اذا اقترن بقد وقد يجوز تقدير قد عندهم ان لم تظهر انتهى ومذهب الاخفش
من البصريين وقوع الماضي حالا بغير تقدير قد وهو الصحيح اذ كثر ذلك في
لسان العرب كثرة توجب القياس ويبعد فيها التاويل وقد ذكرنا كثيرا من
الشواهد على ذلك في كتابنا المسمى بالتذييل والتكميل في شرح التسهيل فان يصبروا
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وفي الكلام حذف تقديره او لا يصبروا كقوله
اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم وذلك في يوم القيامة وقيل التقدير فان
يصبروا على ترك دينكم واتباع اهوائهم فالنار مثوى لهم اي مكان اقامة وقرا
الجمهور وان يستعتبوا مبنيا للفاعل فما هم من المعتبين اسم مفعول قال الضحاك
ان يعتذروا فما هم من المعذورين وقيل ان طلبوا العتبى وهي الرضى فما هم بمعطاها
ولا مستوجبيها وقرا الحسن وعمرو بن عبيد وموسى الاسواري وان يستعتبوا مبنيا
للمفعول فما هم من المعتبين اسم فاعل اي ان طلب منهم ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون
لا يكون ذلك لانهم قد فارقوا الدنيا دار الاعمال كما قال صلى الله عليه وسلم ليس بعد
الموت مستعتب وقال ابو ذويب

امن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

ويحتمل ان يكون بمعنى القراءة الاولى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما ذكر الوعيد
الشديد في الدنيا والاخرة على كفرهم ولكن الكفرة اردفه بذكر السبب الذي
اوقعهم في الكفر فقال وقيضنا لهم قرناء اي سببنا لهم من حيث لم يحتسبوا وقيل
سلطنا ووكلنا عليهم وقيل قدرنا لهم قرناء اي من غواة الجن والانس
فزينوا لهم اي حسنوا وقرروا في انفسهم ما بين ايديهم قال ابن عباس من امر الاخرة
انه لا جنة ولا نار ولا بعث وما خلفهم قال من امر الدنيا من الضلالة والكفر ولذات
الدنيا وقال الكلبي ما بين ايديهم اعمالهم التي يشاهدونها وما خلفهم ما هم عاملوه في المستقبل
وقال ابن عطية ما بين ايديهم من معتقدات السوء في الرسل والنبوات ومدح عبادة
الاصنام واتباع فعل الاباء وما خلفهم ما ياتي بعدهم من امر القيامة وما خلفهم من امر

الاخرة وقال الزمخشري فان قلت كيف جاز ان يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو
ينهاهم عن اتباع خطواتهم قلت معناه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر
فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
وهو على طريقة الاعتزال وحق عليهم القول اي كلمة العذاب وهو القضاء الحتم انهم
معذبون في امم اي من جملة امم وهذا كقول الشاعر

ان تك عن احسن الصنيعة مافوكا ففي اخرين قد افكوا

اي فانت في جملة اخرين او فانت في عداد اخرين لست في ذلك باوحد وقيل في
بمعنى مع ولا حاجة الى التضمين مع صحة في وموضع في امم نصب على الحال اي كائنين في
جملة امم وذو الحال الضمير في عليهم انهم كانوا خاسرين تعليل لهم وللامم وهذا العذاب
والغوا فيه اذا تلاه محمد صلى الله عليه وسلم قال ابو العالية قعوا فيه وعيبوه وقال
كان الرسول عليه السلام اذا قرأ في المسجد اصغى اليه الناس من مؤمن وكافر
فخشي الكفار استمالة القلوب بذلك فقالوا اذا قرأ محمد صلى الله عليه وسلم
فالغوا بالمكاء والصفير والصياح وانشاد الشعر والارجاز حتى يخفى صوته وهذا الفعل هو
اللغو وقرأ الجمهور والغوا بفتح الغين مضارع لغي بكسرها وذكر ابن خلف السهمي
هذا في كتاب ابن عطية وفي كتاب اللوامح واما في كتاب ابن خالويه فعبد الله
ابن بكر السهمي وقتادة وابو حيوة وابو السمال والزعفراني وابن ابي اسحق بخلاف
عنهم بضم الغين مضارع لغا بفتحها وهما لغتان اي ادخلوا فيه اللغو وهو اختلاف
القول بما لا فائدة فيه وقال الاخفش يقال لغا يلغا بفتح الغين وقياسه الضم
لكنه فتح لاجل حرف الحلق فالقراءة الاولى من لغي والثانية من لغا وقال صاحب
اللوامح ويجوز ان يكون بالفتح من لغي بالشيء يلغى به اذا رمي به فيكون فيه بمعنى
به اي ارموا به واطرحوه لعلكم تغلبون بتشويشكم عليه على قراءته فلا ينصغي اليها
او لعلكم تغلبون اي يطمسون امره ويميتون ذكره فلنذيقن الذين كفروا وعيد شديد
لقريش والعذاب الشديد في الدنيا كوقعة بدر وغيرها والاسوأ يوم القيامة ابن عباس
تعالى على الجميع وشمل الذين كفروا القائلين والمخاطبين في قوله وقال الذين كفروا
لا تسمعوا ذلك اي جزاؤهم في المحرز والنار بدل او خبر مبتدا محذوف ويجوز ان تكون

ذلك

ذلك مبتدأ محذوف اي الامر ذلك وجزاء مبتدأ او النار خبر لهم فيها دار الخلد اي موضع
البقاء الدائم الذي لا ينقطع والنار هي دار الخلد ولكنه قيل فيها والمعنى انها دار
الخلد كما قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والرسول نفسه
هو الاسوة وقال الشاعر

وفي الله ان لم ينصفوا حكم عدل

والمعنى ان الله هو الحكم العدل وهذا من ذلك انه قد يجعل الشيء ظرفا لنفسه باعتبار
متعلقه على سبيل المبالغة كان ذلك المتعلق صار مستقرا له وهو ابلغ
من نسبته ذلك المتعلق اليه على سبيل الاخبار به عنه جزاء بما كانوا باياتنا
يجحدون قال الزمخشري اي جزاء بما كانوا يلغون فيها فذكر الجحود الذي
هو سبب اللغو ولما راى عظم ما حل بهم من عذاب النار سألوا من الله تعالى
ان يريهم من كان سبب اغوائهم واضلالهم والظاهر ان اللذين يراد بهما الجنس
اي كل مغو من هذين النوعين وعن علي وقتادة انهما المعروف ابليس
من الكفرة وقابيل من الفسقة بعصر حويل وهو لا يصح هذا القول عن علي وقابيل
مؤمن عاص وانما طلبوا المضلين بالدعاء المؤدي الى الخلود وقد اصلح هذا القول
بان قال طلب قابيل كل عاص من اهل الكبائر وطلب ابليس كل كافر ولفظ
الاية ينبو عن هذا القول وعن اصلاحه ومعنى الكلام في قراءة ارنا في قوله
وارنا مناسكنا وقال الزمخشري حكوا عن الخليل انك اذا قلت ارني
ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه واذا قلته بالسكون فهو استعطاء معناه
اعطني ثوبك ونظيره اشتهار الايتاء في معنى الاعطاء واصله الاحضار
انهم نجعلهما تحت اقدامنا يدوسون في اسفل طبقة من النار وهي اشد عذابا
من وهي درك المنافقين وتسديد النون في اللذين في اللذين وهاذين وهاتين ونحوها
حالة كونها بالياء لا يجيزه البصريون والقراءة بذلك في السبعة حجة عليهم ان
الذين قالوا ربنا الله استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا
وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة ولكم فيها
ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم ومن احسن قولا ممن

دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة
ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها
الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر
لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون
فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون
ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت
ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شي قدير قال ابن عباس
نزلت في الصديق قال المشركون ربنا الله والملائكة بناته وهؤلاء شفعاؤنا
عنده واليهود ربنا الله وعزير ابنه ومحمد ليس بنبي فلم يستقيما والصديق
قال ربنا الله وحده لا شريك له ومحمد عبده ورسوله فاستقام ولما اطنب
في وعيد الكفار اردفه بوعد المومنين وليس المراد التلفظ بالقول فقط بل لا
بد من الاعتقاد المطابق للقول اللساني وبدا اولا بالذي هو احكم الاحكام
وهو العلم بربوبية الله ثم اتبعه بالعمل الصالح وهو الاستقامة وعن سفيان
ابن عبد الله الثقفي قلت للنبي صلى الله عليه وسلم اخبرني بامر اعتصم به قال
قل ربي الله ثم استقم قلت ما اخوف ما تخاف علي فاخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم بلسان نفسه فقال هذا وعن الصديق ثم استقاموا على التوحيد فلم
يضطرب ايمانهم وعن عمر استقاموا لله بطاعته لم يروغوا روغان الثعالب
وعن عثمان اخلصوا العمل وعن علي ادوا الفرائض وقال ابو العالية والسدي
استقاموا على الاخلاص والعمل الى الموت وقال الثوري عملوا على وفق
ما قالوا وقال الفضيل زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية وقال الربيع اعرضوا
عن ما سوى الله وقيل استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعن الحسن وقتادة
وجماعة استقاموا بالطاعات واجتناب المعاصي قال الزمخشري ثم لتراخي الاستقامة
على الاقرار في المرتبة وفضلها عليه لان الاستقامة لها الشان كله ونحوه
قوله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا

على

على الاقرار ومقتضياته وعن الصديق رضي الله عنه انه تلا هذه الاية فقال ما تقولون
فيها قالوا لم يذنبوا قال لقد حملتم الامر على اشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى
عبادة الاوثان تتنزل عليهم الملائكة قال مجاهد والسدي عند
الموت وقال مقاتل عند البعث وقيل عند الموت وفي القبر وعند البعث الا
ناصبة للمضارع اي بانها تخافوا ولا تحزنوا قال معين الحوفي وابو البقا
وقال الزمخشري بمعنى اي او مخففة من الثقيلة واصله بانه لا تخافوا والها
ضمير الشان انتهى وعلى هذا من التقدير يكون الفعل مجزوما بلا الناهية
ويصف اسفه عامة في نظيرهم مستانف وتسليته مقامه عن كل ما يتاسف
ولذلك قال مجاهد لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم من دنيا
وقال عطا بن ابي رباح لا تخافوا ردّ ثوابكم فانه مقبول ولا تحزنوا على
ذنوبكم فاني اغفرها لكم وفي قراءة عبد الله باسقاط ان اي يقول عليهم الملائكة
قائلين لا تخافوا ولا تحزنوا لما كان الخوف ما يتوقع من المكروه اعظم من
الحزن على الفائت قدمه لما وقع الامن لهم بشروا بما يؤولون اليه من
دخول الجنة فحصل لهم الامن التام والسرور العظيم بما يستقبلونه من الخير
نحن اولياكم الظاهر انه من كلام الملائكة اي يقولون لهم وفي قراءة عبد الله
نكون بدله المفعول قيل اي كنا اولياكم في الدنيا ونحن اولياكم في الاخرى
لما كانت اوليا الكفار قرناؤهم من الشياطين كانت اوليا المومنين الملائكة وقال
السدي نحن حفظتكم في الدنيا واولياكم في الاخرة وقيل نحن اولياكم من كلام
الله تعالى اولياكم بالكفاية والهداية ولكم فيها الضمير عائد على الاخرة قاله ابن
عطية وقال الحوفي على الجنة ما تشتهي انفسكم من الملاذ ولكم فيها ما تدعون قال
مقاتل ما تتمنون وقيل ما تريدون وقال ابن عيسى ما يدعي انه لك فهو لك
بحكم ربك وقال ابن عطية ما تطلبون نزلا من غفور رحيم النزل الرزق المعد للنزيل
وهو الضيف قال معاذ انتصب نزلا حالا اي يعطون ذلك في
حال كونه نزلا من الله وقال ابن عطية نصب على المصدر والمحفوظ ان مصدر
نزل نزولا لا نزلا وجعله بعضهم مصدر الانزال وقيل نزلا جمع نازل كشارف

وشرف منتصب على الحال اي ما نزلت وذو الحال الضمير المرفوع في يدعون وقال
الحسن معنى من لا امنا وقيل مو ابا وقرا ابو حيوة من لا بابنه كان الراي ولما
تقدم قوله ان قالوا ربنا الله ثم استقاموا ذكر من دعا الى ذلك فقال
ومن احسن اي لا احد احسن ممن يدعو الى توحيد الله ويعمل العمل الصالح
ويصرح انه من المسلمين لامر الله المنقادين له والظاهر العموم في كل داع الى
الله والى العموم ذهب الحسن ومقاتل وجماعة وقيل بالخصوص فقال ابن عباس
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه
وجعل الاسلام نحلة له وعنه ايضا هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالت عائشة انهم داخلون في الاية والا انما يسمون ربما لها محله بلا اختلاف
وامر الاذان بمكة انما شرع بالمدينة والدعا الى الله يكون بالدعا الى الاسلام
والجهاد للكفار وكف الظلمة وقال زيد بن علي دعا الى الله بالسيف
وهو والله اعلم هو الذي خرج على الخروج بالسيف على بعض الظلمة من ملوك بني
امية وكان زيد هذا عالما بكتاب الله وقد وقفت على جملة من تفسير كتاب
الله والقائه اياه على بعض اصحابه عنه وهو في حبس هشام بن عبد الملك ومنه
من العلم والاستنباط ما يدل على علم متبحر اخوه فقال انه كان اذا ناظر
هو واخوه محمد الباقر اجتمع ابو امامه وعمل صالحا ... ان الامامه
وقال عكرمة صلى وصام وقال الكلبي ادى الفرائض وقال الزمخشري
في عامة في كل من جمع بين هذه الثلاث ان يكون موحدا معتقدا لدين الاسلام
عاملا بالخير داعيا اليه وما هم الا طبقة العالمين العاملين من اهل العدل و
التوحيد الدعاة الى دين الله انتهى ويعني بذلك المعتزلة يسمون انفسهم اهل العدل
والتوحيد ويوجد ذلك في اشعارهم كما قال ابن ابي الحديد المعتزلي صاحب
كتاب الفلك الدائر في الرد على كتاب المثل السائر قال من كلمة انشدنا اياها
عنه الامام الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي رحمه الله

لولا ثلاث لم اخف صرعتي ليست كما قال فتى العبد
ان انصر التوحيد والعدل في كل مقام باذلا جهدي

٤٠

وان

وان اناجي الله مستمتعا بخلوة احلى من الشهد
وان اصول الدهر كبرا على كل لئيم اصعر الخد
كذاك اهوى لا بساه ولا خمرة ولا ذي ميعة نهد

وقال انني من المسلمين ليس المعنى انه تكلم بذلك بل جعل الاسلام مذهبه
كما يقول هذا قول الشافعي اي مذهبه وقرا ابن ابي عبلة وابراهيم بن نوح عن قتيبة
الميال وقال اني بنون مشددة دون نون وقرا الجمهور انني بها وبنون الوقاية وقال ابو بكر
ابن العربي لم يشترط الا ان شاء الله وفيه رد على من يقول انا مسلم ان شا الله
ولما ذكر تعالى انه لا احد احسن ممن دعا الى الله ذكر ما يترتب على ذلك من حسن
الاخلاق وان الداعي الى الله قد يجافيه المدعو فيسعى ان يوديه ويتلطف في
اجتذاب المدعو اليه فقال ... نزلت في ابي سفيان بن حرب وكان عدوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا وقال ابن عباس الحسنة لا اله الا
الله والسيئة الشرك وقال الكلبي الدعوتان وقال الضحاك الحلم والفحش وعلي حب الرسول
واله وبغضهم وقيل الصبر والغضب وقيل المداراة والغلظة وقيل العفو والانتصار
وهذه امثلة للحسنة والسيئة لا على طريق الحصر ولا تفاوت الحسنة والسيئة امر
ان يدفع السيئة بالاحسن وذلك مبالغة ولم يقل ادفع بالحسنة السيئة لان
من هان عليه الدفع بالاحسن هان عليه الدفع بالحسن اي اذا فعلت ذلك
اذا الذي بينك وبينه عداوة صار ذلك كالولي الصديق الخالص الصداقة ولا
في قوله ولا السيئة زائدة للتوكيد كهي في قوله ولا الظل ولا الحرور لا استوا
لا يكتفي بمفرد فان اخذت الحسنة والسيئة جنسا لم يكن زيادتها كزيادتها
في الوجه الذي قبل هذا اذ يصير المعنى ولا يستوي الحسنات اي هي متفاوتة
في انفسها ولا السيئات لتفاوتها ايضا قال ابن عطية وكان للتشبيه
لان الذي بينه عداوة لا يكون وليا حميما وانما يحسن ظاهره فيشبه بذلك
الولي الحميم وعن ابن عباس بالتي هي احسن عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو
عند الاساءة وقال مجاهد دفعا بالسلام عند اللقا انتهى اي هو مبدا الدفع
بالاحسن لا انه محصور فيه وعن مجاهد ايضا اعرض عن اذاه وقال ابو فراس الحمداني

يجني عليه واحسن صاحبا ابدا الا سي احسن من خان الى حان
وما يلقاها الضمير عائد على الفعلة والسجية التي هي الدافع بالاحسن وقرأ
طلحة بن مصرف وابن كثير في رواية وما يلقاه من الملاقاة وقرأه الجمهور
من التلقي وكان هذه الخصلة التي يقع عليها وأصادفها ويلقيها الله الا من
كان صابرا على الطاعات عارفا عن الشهوات ذا حظ عظيم من خصال الخير
قاله ابن عباس يكون مدحا او ذو حظ عظيم من ثواب الآخرة قاله قتادة
يلقيه وعيرا ومعنى الا ذو عظ [illegible] وصل دو حظ حسن وكرر وما يلقاها
اكد الهذه الفعلة الجميلة الجليلة ووصل الضمير يلقاها عائد على الحسنة
وحكى مكي وما يلقاها اي شهادة ان لا اله الا الله وفيه بعد ولما امر تعالى بدفع
السيئة بالاحسن كان قد يعرض للمسلم في بعض الاوقات مقابلة من اساء
بالسيئة فامره ان يعرض له ذلك بان يستعيذ بالله فان ذلك من نزغ الشيطان
وتقدم تفسير نظير هذه الآية في اواخر الاعراف ولما ذكر تعالى ان احسن
الاعمال والاقوال هو الدعوة الى الله اردفه بذكر الدلائل العلوية والسفلية وعلى
قدرته الباهرة وحكمته البالغة وحجته القاطعة ثم ابتدأ بذكر الفلكيات بالليل والنهار
وقدم ذكر الليل قبل تنبيها على ان الظلمة عدم والنور وجود وناسب ذكر الشمس
بعد النهار لانها سبب النور ونظير العالم [illegible] ولانها ابلغ في النور من القمر
ولان القمر فيما يقولون مستفاد نوره من نور الشمس ثم نهى تعالى عن السجود
لهما وامر بالسجود للخالق تعالى وكان ناس يعبدون الشمس كما جاء في قصة
بلقيس وقومها والضمير خلقهن عائد على الليل والنهار والشمس والقمر وقال
الزمخشري لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث يقال الاقلام بريتها
او بريتهن لما لا يعقل عن الذكر وكان ينبغي ان يفرق بين جمع القلة من ذلك
فان الافصح ان يكون كضمير جمع المؤنث ومن جمع الكثرة فان الافصح ان يكون
كضمير الواحدة تقول الاجذاع انكسرن على الافصح والجذوع انكسرت على
الافصح والذي تقدم في الآية انما جمع قلة اعني بلفظه واحد وللتذكار بعد
مقتطعة مقيدة بمنزلة الجمع المعبر عنها بلفظ واحد وقال الزمخشري لما قال

وص

ومن آياته كن في معنى الآيات فقيل خلقهن [illegible] يعني ان التعدد والليل والنهار
والشمس والقمر آيات من آياته فعاد الضمير على آيات الجمع المعروف في المجموع وقيل
يعود على الآيات المتقدم ذكرها وقيل على الشمس والقمر والاثنان جمع وجمع ما
لا يعقل مؤنث ومن حيث قال شموس وأقمار طلعتها بالايام والليالي باعتبار
تكون الضمير مجموعا ان كنتم اياه تعبدون اي ان كنتم موحدين غير مشركين
والسجدة عند الشافعي عند قوله تعبدون وفي رواية مسروق عن عبد الله
لتذكر الحفظ السجود قبلها وعند ابي حنيفة عند قوله لا يسأمون لانها تمام المعنى وفي
التحرير كان علي وابن مسعود يسجدان عند تعبدون وقال ابن وهب والشا
عند يسأمون وبه قال ابو حنيفة سجد عندها ابن عباس وابن عمر وابو وائل
وبكر بن عبد الله وكذلك روي عن السلمي والنخعي وابي صالح وابن وثاب والحسن
وابن سيرين ذكره المهدوي فان استكبروا اي تعاظموا عن اجتناب ما نهيت عن السجود
لغير الخالق عن المؤمنين وامتثال ما امرت به من السجود للخالق تعالى فان
الملائكة الذين هم عند الله بالمكانة والعندية التي يعبر عنها لا يملون
لمن يأمرهم اعملوا ما شئتم وعيد وتهديد بصيغة الامر وكذا جاء انه بما تعملون بصير
فيجازيكم باعمالكم ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم فريق من الناس من الكفار
عنهم والذكر القرآن هنا باجماع وخبر ان اختلفوا فيه اهو مذكور هو او محذوف وقيل
مذكور وهو قوله اولئك ينادون من مكان بعيد وهو قول ابي عمرو بن العلاء في
حكاية جرت بينه وبين بلال بن ابي بردة سئل بلال في مجلسه عن هذا فقال
لم اجد نفاذا فقال له ابو عمرو انه منك لقريب اولئك ينادون وقال الحوفي ويرد
على هذا القول كثرة الفصل وانه ذكر هناك من يكون الاشارة اليهم وهو
قوله والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون وقيل محذوف
وخبر ان محذوف لفهم المعنى وسأل عيسى بن عمر عمرو بن عبيد عن ذلك فقال عمرو
معناه في التفسير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به وانه لكتاب عزيز
فقال عيسى اجدت يا ابا عثمان وقال قوم تقديره معاندون او هالكون وقال
الكسائي قد سد مسده ما تقدم من الكلام قبل ان وهو قوله أفمن يلقى في النار

معي

كانه قيل دل عليه ما قبله مما كان انهم يعذبون يخلدون في النار وقال الزمخشري فان
قلت ثم اتصل قوله ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم قلت هو بدل من قوله ان
الذين يلحدون في آياتنا انتهى ولم يتعرض لتصحيح الكلام في خبر ان المذكور انه
محذوف لكن قد يفسر من كلامه هذا انه تكلم فيه بطريق الاشارة الى ما مر اعني
ان قوله ان الذين كفروا بالذكر بدل من قوله ان الذين يلحدون في آياتنا فالمحكوم
على المبدل منه هو المحكوم به على البدل فيكون المعنى ان الذين يلحدون في آياتنا
ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم لا يخفون علينا وقال ابن عطية والذي يحسن
في هذا هو اضمار الخبر بعد حكيم حميد وهو اشد اظهارا
الكفار به وذلك لان قوله وانه لكتاب عزيز داخل في صفة الذكر المكذب به فلم
ثم ذكر الخبر عنه الا بعد استيفاء وصفه انتهى وهو كلام حسن والذي اذهب
الى ان الخبر مذكور لكنه حذف منه عائد على اسم ان وذلك في قوله تعالى لا يأتيه
الباطل اي الباطل منهم اي المكذبون به وحاله هذه لا يأتيه باطلهم اي متى راموا
فيه ان يكون ليس حقا ثابتا من عند الله وابطالا له لم يصلوا اليه او يكون العوض
من الضمير على قول الكوفيين اي لا يأتيه باطلهم او يكون الخبر قوله ما يقال لك اي
في شانهم او فيهم الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي اوحي اليك في شان هؤلاء الملحدين
لك ثم كما حدث به مثل ما اوحي الى من قبلك من الرسل وهو ابهام ما فسرهم تشبيه
في الدنيا بالهلاك وفي الآخرة بالعذاب الدائم وغاية ما في هذا التوجيه حذف
الضمير العائد على اسم ان وهو موجود نحو قوله السمن منوان بدرهم اي منوان منه
وابعد من ذهب الى انه ... وعن بعض نحاة الكوفة الخبر في قوله وانه لكتاب
عزيز وهذا لا يتعقل وانه لكتاب عن ترجمة خالية كما تقول جاء زيد وان يده
على راسه اي كفروا به وهذه حاله وعزته كونه عديم النظير لما احتوى عليه من
الاعجاز الذي لا يوجد في غيره من الكتب او غالب ناسخ لغيره من الكتب والشرائع
وقال ابن عباس عزيز كريم على الله تعالى وقال مقاتل ممتنع من الشيطان وقال
السدي غير مخلوق وقيل وصف بالعزة لانه بصحة معانيه ممتنع الطعن فيه والازدراء
عليه وهو محفوظ من الله وقيل لا يستطيعون اي لا يملكون ذلك ويعوض منكم مع انه تعالى

عنى

كذا وجد

غني عن عبادتكم وعبادتهم ولما ذكر تعالى شيئا من الدلائل العلوية ذكر شيئا من الدلائل
السفلية فقال ومن آياته انك ترى الارض خاشعة اي غبراء دارسة كما قال الشاعر

ونؤي كجذم الحوض اثلم خاشع

استعير الخشوع لها وهو التذلل لما ظهر بها من القحط وعدم النبات وزوال العشب عنها
بخلاف ان تكون معشبة واشجارها تزهو مثمرة فذلك هو حياتها وقال السدي
خاشعة ميتة يابسة وتقدم الكلام على قوله فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت
تفسيرا وقراءة في اوائل سورة الحج ان الذي احياها اي الارض لمحيي الموتى برد الارواح
الى الاجساد انه على كل شيء قدير لا يعجزه شيء تعلقت به ارادته ان الذين
يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا افمن يلقى في النار خير امن ياتي آمنا يوم
القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب
عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ما يقال لك الا ما قد قيل
للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا
فصلت آياته ءاعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في
آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد ولقد آتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب من
عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد لما بين تعالى ان الدعاء
الى دين الله اعظم القربات وانه يحصل ذلك بذكر دلائل التوحيد والعدل والبعث
عاد الى تهديد من ينازع في تلك الآيات ويحاول ... فقال ان الذين يلحدون في آياتنا
وتقدم الكلام على الالحاد في قوله وذروا الذين يلحدون في اسمائه وذكر تعالى
انهم لا يخفون عليه وفي ذلك تهديد لهم وقال قتادة هنا الالحاد التكذيب وقال مجاهد
المكاء والصفير واللغو وقال ابن عباس وضع الكلام غير موضعه وقال ابو مالك يميلون
عن آياتنا وقال السدي يعاندون رسلنا فيما جاءوا به من البيان والآيات ثم استفهم
تقريرا فقال افمن يلقى في النار بالجحود في آياتنا خير ام من ياتي آمنا ولا [illegible]
الالقاء في النار والاتيان آمنا كانه قيل [illegible]
على وحصر احدهما فاستثنى [illegible] في القاسر فصح [illegible] بقوله [illegible]

يلقى في النار على مستقر الامر وهو الجنة وبقوله امنا على خوف الكافر وطول وجله وهذه
الاية قال ابن بحر عامة في كل كافر ومؤمن وقال مقاتل نزلت في ابي جهل وعثمان
ابن عفان رضي الله عنه وقيل في عمار بن ياسر وقيل في عمر وقال ابن عباس
ابو جهل وحمزة بن عبد المطلب وقال الكلبي ابو جهل والرسول صلى الله عليه وسلم
ولما تقدم ذكر الالحاد ناسب تعلق العزيز من اتصف به وما الذي يترتب
يأتي امنا يوم القيامة لمن يلقى في النار كما تقدم ما يشبهه في قوله افمن يعلم انما انزل اليك
من ربك الحق كمن هو اعمى وكما جا في سورة القتال افمن كان على بينة من ربه كمن زين
له سوء عمله لا ياتيه الباطل من خبر ان محذوفا او في قوله اولئك ينادون كانت
هذه الجملة في موضع الصفة وعلى ما اخترناه من اعراب الوحشيين تكون الجملة في موضع
خبر ان والمعنى ان الباطل لا يتطرق اليه من جميع جهاته ولا من خلفه تمثيل اي
لا يجد الطعن سبيلا اليه من جهة من الجهات فيتعلق به واما ما ظهر من بعض
الحمقى من الطعن فيه على زعمهم ومن تاول بعضهم له كالباطنية فمردود عليهم ذلك
على الاسلام واظهر وا ابطالهم وقال قتادة الباطل الشيطان
واللفظ اعم من الشيطان وقال ابن جبير والضحاك من بين يديه اي من الكتاب
من قبله فيبطله ولا من خلفه فيكون على هذا الباطل بمعنى المبطل مصدرا
فيكون كالعافية وقيل من بين يديه اي من قبل ان يتم نزوله ولا من
خلفه اي بعد نزوله وقيل عكس هذا وقيل من بين يديه قبل ان ينزل لان الانبيا
اخبرت به فلم يقدر الشيطان ان ينقض ذلك ولا من خلفه بعد ان انزل وقال
الطبري من بين يديه لا يقدر ذو باطل ان يكيده بتغيير ولا تبديل ولا من
خلفه لا يستطيع ذو باطل ان يلحق فيه تنزيل اي هو تنزيل من حكيم اي حاكم او
محكم لما فيه حميد محمود على ما اسدى من النعم من تنزيل هذا الكتاب وغيره من
النعم ما يقال لك تعالى تسلية للمقول واحتمل ان يكون القائل هو الله تعالى
كما تعلم ما ولمنافقيه اي ما يوحى اليك الله الا مثل ما اوحي الى الرسل اي في شان الكفار
كما ولياته على اصر الوحيين او في الشرائع وجوزوا ان يكون القائل هو الشيطان فيكون
ان ربك تفسير القول ما قد قيل فالمقيل ان ربك لذو مغفرة للطائعين وذو

عقاب

عقاب اليم للعاصين وهذا التاويل فيه بعد لانه حصر ما اوحي الله الى الرسل في
قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم وهو تعالى قد اوحي اليهم اشياء كثيرة
فاذا احتوتاه على الشرائع او على عاقبة الذين كذبوا كان الحصر صحيحا وكان قوله فيقال
له بل نسبيا فاخبار عنه تعالى لا تفسير لما قد قيل واحتمل ان يكون القائل الكفار
اي ما يقول لك كفار قومك الا ما قد قال الكفار للرسل لهم من الكلام المؤذي والطعن
فيما انزل الله عليهم من الكتب ثم اخبر تعالى انه ذو مغفرة وذو عقاب اليم وفيه الترجية
بالغفران والزجر بالعقاب وهو وعظ وتهديد وقال قتادة عزى الله نبيه
وسلاه بقوله ما يقال لك الاية ومثله كذلك ما اتى الذين من قبلهم الا قالوا
ساحر او مجنون ولما ذكر تعالى الملحدين في اياته وانهم لا يخفون عليه وان الكافرين
بالقران ذكر ما دل على تعنتهم وما ظهر من تكذيبهم وقولهم هلا نزل بلغة العجم فقال
ولو جعلناه قرانا اعجميا اي لا يفصح ولا تبين معانيه لهم لكونه بلغة العجم او بلغة غير
العرب لم يتركوا الاعتراض والتعنت ولقالوا لولا فصلت اياته اي بينت لنا وفصحت
حتى نفهمها وقرا الجمهور ااعجمي بهمزة الاستفهام بعدها مد هي همزة اعجمي وقياسها
في التحقيق والتسهيل بين بين وقرا الاخوان والاعمش وحفص بهمزتين اي وقالوا
منكرين اقران اعجمي ورسول عربي وتاول ابن جبير ان معنى قوله اعجمي وعربي [illegible]
للعجم وعربي للعرب وقال ابن عطية كانهم ينكرون ذلك فيقولون لولا بين اعجمي وعربي
مختلط هذا لا يحسن انتهى ولا يصح هذا التقسيم لانه بالنسبة الى القران وهو
انما قالوا ما دل عليه قوله تعالى ولو جعلناه قرانا اعجميا من انكارهم ان يكون اعجميا
وانما حصروا ان يكون القران اعجميا وعربيا وقرا الحسن وابو الاسود والجحدري والضحاك
وابن عباس وابن عامر بخلاف عنهما اعجمي بهمزة دون استفهام وبسكون العين فقيل
معناه انهم قالوا اعجمي واعرابه ان هذا الشاذ وقال ابن جبير معناه لولا فصل فصلين
فكان بعضه اعجميا تفهمه العجم وبعضه عربيا تفهمه العرب وقال صاحب اللوامح كانهم لما
قالوا لولا فصلت اياته ادركوا القول بها فقالوا اعجمي واضمروا المبتدا اي هو اعجمي
او القران اعجمي والكلام او نحوها والذي اتى به والرسول عربي كانهم عابوا ينكرون
ذلك وقرا عمرو بن ميمون اعجمي بفتح الاستفهام وفتح العين والمعنى ان القران لو جا بلغة

على طريقة كانه ما كانت تعقلوا الا انهم لا يطلبون الحق وقال صاحب اللوامح والعجمي المنسوب
الى العجم والياء للنسب على الحقيقة واما اذا سكنت العين فهو الذي لا يفصح والياء فيه للفظ
النسب دون معناه فهو بمنزلة بالكرسي ونحوه قاله ابو حاتم انتهى ولست كالكرسي بل بالكرسي
نسبت الكلمة عليها وبالعجمي من الكلمة عليها يقول العرب رجل عجمي ورجل اعجمي والياء للنسبة
الدالة على المبالغة في الصفة نحو احمري ودواري مبالغة في احمر ودوار وقال الزمخشري
فان قلت كيف يصح ان يراد بالعجمي المرسل اليهم وهم امة العرب قلت هو على ما يجب
ان يقع في انكار المنكر لو رايت كتابا عجميا ملــــــــــــــــــــــ هو على ما يجب ان يقع في انكار
المنكر لو راى كتابا عجميا كتب الى قوم من العرب يقول اكتاب عجمي ومكتوب اليه عربي وذلك
لان مبنى الانكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب اليه لا على ان المكتوب اليه واحد او جماعة
فوجب ان يجرد لما سيق له من الغرض ولا يوصل به ما يخيل غرضا اخر الا تراك تقول
وقد رايت لباسا طويلا على امراة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت
واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع في ذكورة اللابس
وانوثته انما وقع في غرض وراءها انتهى وهو حسن الا ان فيه تكثيرا على عادته في حب
التشقيق والتعمق قل هو للذين امنوا هدى اي القران للذين امنوا هدى اي ارشاد الى الحق وشفاء
اي لما في الصدور من الظن والشك والظاهر ان والذين لا يؤمنون مبتدا وفي
اذانهم وقر في موضع الخبر وقال الزمخشري هو في اذانهم وقر على حذف المبتدا لما اخبر
انه هدى وشفاء للمؤمنين اخبر انه وقر وعمى في اذان الكافرين ولا يضطر الى اضمار
هو بل الكلام تام دونه اخبر ان في اذانهم صمما عن سماعه ثم اخبر انه عليهم عمى لعدم
ما يفهمون من كلمه والنظر الى معانيه والتدبر لما جاء به وجاء بلفظ عليهم الدالة على
استيلاء العمى عليهم وجاء في حق المؤمنين باللام الدالة على الاختصاص وكون والذين
في موضع جر عطفا على قوله للذين امنوا والتقدير والذين لا يؤمنون وقر في اذانهم
اعراب متكلف ويعوق القطف على عاملين وفيه مذاهب مذكورة في النحو والمشهور منع
ذلك وقرا الجمهور عمى بفتح الميم منونا مصدر عمي وقرا ابن عمر وابن عباس وابن الزبير
ومعاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص وابن هرمز بكسر الميم وتنوينه وقال يعقوب
القارئ وابو حاتم لا ندري انونوا ام فتحوا الياء على انه فعل ماض وقرئ عمي بغير تنوين ورواها

عمرو بن دينار وسليمان بن قتة عن ابن عباس والظاهر ان الضمير في وهو عليهم عائد
على القران وقيل يعود على الوقر او لئك ينادون الى الذين لا يؤمنون ومن جعله خبرا
عن ان الذين كفروا كانت الاشارة اليهم ينادون من مكان بعيد قيل هو
حقيقة قال الضحاك ينادون ــــــــ يوم القيمة بكفرهم وقبيح اعمالهم باقبح اسمائهم من بعد
حتى يسمع ذلك اهل الموقف فتعظم السمعة عليهم ويحل بهم المصاب وقال علي ومجاهد
استعارة لقلة فهمهم شبههم بالرجل ينادى من بعيد فيسمع الصوت ولا
يفهم تفاصيله ولا معانيه وحكى اهل اللغة انه يقال للذي لا يفهم انت تنادى
من بعيد اي كانه ينادى من موضع بعيد فهو لا يسمع النداء ولا يفهمه وحكى
النقاش كانما ينادون من السماء ولقد اتينا موسى الكتاب تسلية للرسول
في كون قومه اضطربوا فيما جاء به من الذكر فذكر ان موسى عليه السلام
اوتي الكتاب وهو التوراة فاختلف فيه وتقدم شرح هذه الاية في اواخر
سورة هود عليه السلام والكلام على ينظر وما ربك بظلام للعبيد
قوله في سورة الحج وان الله ليس بظلام للعبيد اليه يرد علم الساعة وما تخرج
من ثمرات من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم اين شركاي
قالوا اذناك ما منا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما
لهم من محيص لا يسام الانسان من دعا الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط
ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضرا مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة
قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا
ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا انعمنا على الانسان اعرض وناى بجانبه
واذا مسه الشر فذو دعاء عريض قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم
به من اضل ممن هو في شقاق بعيد سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم
حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد الا انهم في
مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط ○ لما ذكر تعالى من عمل صالحا
الاية كان في ذلك دلالة على الجزاء يوم القيامة وكان سائلا قال ومتى
ذلك فقيل لا يعلمها الا الله ومن سئل عنها فليس عنده علمها وفيها

وانما يرد ذلك الى الله ثم ذكر سعة علمه وتعلقه بما لا يعلمه الا هو تعالى وقرا ابو
جعفر والاعرج وشيبة وقتادة والحسن بخلاف عنه وابن عباس ونافع في غير
رواية ابي خالد والمفضل وحفص وابن مقسم من ثمرات على الجمع وقرا باقي
السبعة والحسن في رواية وطلحة والاعمش بالافراد ولما كان ما يخرج من
اكمام الشجر وما تحمل الاناث ويضعه هو ايجاد اشيا بعد العدم ناسب
ان يتخرج علم الساعة اذ في ذلك دليل على البعث اذ هو ايجاد بعد اعدام
وناسب ذكر احوال المشركين في ذلك اليوم وسوالهم سوال التوبيخ فقال
ويوم يناديهم اين شركاي اي الذين تسمونهم الي وزعمتم انهم شركا لي في
ذلك تهكم وتقريع والضمير في يناديهم عام في كل من عبد غير الله فيندرج فيه
عباد الاوثان قالوا اذناك اي اعلمناك قال الشاعر
اذنتنا ببينها اسماء رب ثاو يمل منه الثواء
وقال ابن عباس اسمعناك كانه استبعد الاعلام لله لان اهل القيامة يعلمون ان
الله يعلم الاشيا علما واجبا فالاعلام في حقه محال والظاهر ان الضمير في قالوا
عائد على المعبودين لانهم المحدث عنهم ما منا احد اليوم وقد ابصرنا وسمعنا يشهد ان
لك شريكا بل نحن موحدون لك او ما منا احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت
عنهم الهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل الضمير في قالوا عائد على
الشركاء اي قال الشركاء ما منا من يشهد بما اضافوا الينا من الشركة واذناك
معلق لانه بمعنى الاعلام والجملة من قوله ما منا من شهيد في موضع المفعول
وفي تعليق باب اعلم رايت اخلاف والصحيح انه مسموع من كلام العرب
والظاهر ان قولهم اذناك انشاء كقولك اقسمت لاضربن زيدا وان كان
اخبارا سابقا فيكون اعادة السوال توبيخا لهم وضل عنهم ما كانوا يدعون
من قبل اي نسوا ما كانوا يقولون في الدنيا ويدعون من الالهة او وضل
عنهم اي تلف اصنامهم وتلاشت فلم يجدوا منها نصرا ولا شفاعة وظنوا اي
ايقنوا قاله السدي ما لهم من محيص اي من حيد وزواغ عن العذاب والظاهر
ان ظنوا معلقة والجملة المنفية في موضع مفعول ظنوا وقيل تم الكلام عند قوله

وظنوا

وظنوا اي ترجح عندهم ان قولهم ما منا من شهيد منجاة لهم او امرا يموهون
به والجملة بعد ذلك مستانفة اي ان يكون لهم منجى او موضع روغان لا يسئم الانسان
من دعا الخير هذه الايات نزلت في كفار قيل في الوليد بن المغيرة وقيل في
عتبة بن ربيعة وكثير من المسلمين يتصفون بوصف اولها من دعا الخير
اي من طلب السعة والنعمة ودعا مصدر مضاف للمفعول وقرا عبد الله من دعا بما
ساد اخله على الخير والفاعل للمصدر محذوف تقديره من دعائه الخير وهو وان مسه
الشر الفقر والضيقة فيؤس قنوط واتى بهما صيغتي مبالغة واليأس من صفة
القلب والقنوط ان يقطع رجاه من الخير والقنوط ان يظهر عليه اثار الياس
فيتضاءل وينكسر وبدا بصفة القلب لانها هي المؤثرة فيما يظهر على الصورة
من الانكسار ولين اذقناه رحمة منا سمى النعمة رحمة اذ هي من اثار رحمة
الله من بعد ضرا اي ضر مسته ليقولن هذا لي اي بسعيي واجتهادي ولا
يراها انها من الله اي هذا لي لا يزول عني وما اظن الساعة قايمة اي ظننا انا
لا نبعث وان ما جات به الرسل من ذلك ليس بواقع كما قال تعالى حكاية
عنهم ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين ولين رددت الى ربي ولين كان
كما اخبرت الرسل ان لي عنده اي عند الله للحسنى اي الحالة الحسنى من الكرامة
والنعمة كما انعم علي في الدنيا واكدوا ذلك بالقسم وتقديم لي وعنده على
اسم ان وبدخول لام التاكيد عليه ايضا وبصيغة الحسنى مونث الاحسن
الذي هو افعل التفضيل ولم يقولوا للحسنة اي الحالة الحسنة وقال
الحسن بن محمد بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم للكافر امنيتان اما في الدنيا
فهذه لي عنده للحسنى واما في الاخرة فيا ليتني كنت ترابا فلننبين
الذين كفروا اي بما فعلوا من الافعال السيئة وذلك كناية عن جزائهم بالاعمال
السيئة ولنذيقنهم من عذاب غليظ في مقابلة ان لي عنده للحسنى وكنى بغلظ
العذاب عن شدته واذا انعمنا بعد هذا الكلام على الانسان هذه الجملة في اواخر
شبيهة الاية في اخر سبحان كان يوسا واخر هذه فذو دعا عريض اي
بازاء الشر عنه وكشف ضره والعرب تستعمل الطول والعرض في الكثرة

لخير
لهم
عدنا

فقال الحال في الكلام واعرض في الدعا اذا كبر فذو تضرع واستغاثة وذكر
تعالى هذه الاية بعد ما من طغيان الانسان اذا اصابه الله سعة انظر به
النعمة واذا مسه الشر عمد الى الله وتضرع قل ارايتم ان كان اي القران من عند الله
امره في صورة الاحتمال وهو من عند الله بلا شك ولكنه تنزل معهم في الخطاب
والعمل في ارايتم لكفار قريش وتقدم ان معنى ارايتم اخبروني وعلى هذا المعنى اخبروني
عن حالكم ان كان هذا القران من عند الله وكفرتم به وشاققتم في اتباعه
من اضل منكم اذ انتم الشاقون فيه والمعرضون عنه والمستهزؤن بايات الله وتقدم
ان ارايتم هذا تتعدى الى مفعول مذكور او محذوف والى ثان الغالب فيه ان
يكون جملة استفهامية فالمفعول الاول محذوف تقديره ارايتم انفسكم والثاني
هو جملة الاستفهام اذ معناه من اضل منكم ايها الكفار اذ مالكم الى الهلاك في
الدنيا والاخرة ثم توعدهم بما هو كاين لا محالة فقال سنريهم اياتنا في الافاق
قال ابو المنهال والسدي وجماعة هو وعيد الكفار بما يفتحه الله على رسوله من
الامصار حول مكة وفي غير ذلك من الارض كخيبر وفي انفسهم اراد به فتح مكة
وتضمن ذلك الاخبار بالغيب ووقع كما اخبر وقال الضحاك وقتادة في الافاق
ما اصاب الامم المكذبة في اقطار الارض قديما وفي انفسهم وقال عطا وابن
زيد في افاق السما اراد الايات في الشمس والقمر والرياح وغير ذلك وفي انفسهم
عبر الانسان وجسمه وحواسه وغريب خلقه وتدرجه في البطن
ونحو ذلك وضعف هذا القول من لفظ سنريهم لان هلاك الامم
المكذبة قديما وايات الشمس والقمر وغير ذلك قد كان ذلك كله مرئيا لهم فالقول
الاول ارجح واختار الزمخشري هذا القول وذيله فقال يعني ما يسر الله عز وجل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده وانصار دينه في افاق الدنيا
وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي ناحية العرب خصوصا من الفتوح التي
لم تتيسر امثالها لاحد من خلفاء الارض قبلهم ومن الاظهار على الجبابرة والاكاسرة
وتغلب قليلهم على كثيرهم وتسلط ضعافهم على اقويائهم واجرائه على ايديهم
امورا خارجة من المعهود وخارقة للعادات ونشر دعوة الاسلام في اقطار المعمورة

وبسطه

وبسط دولته في اقاصيها والاستقرار مطلقا في التواريخ والكتب المدونة في مشاهد
اهله وايامهم على عجايب لا ترى وقعة من وقايعهم الا علما من اعلام الله تعالى واية
من اياته يقوى معها اليقين ويزداد معها الايمان ويتبين ان دين الاسلام هو
دين الحق الذي لا يحيد عنه ولا يتواجه معالط نفسه انتهى ما اكتسبه معتمدا
عليه حتى يتبين لهم انه اي القران وما تضمنه الشرع هو الحق او ومع ومن ما اخبر
به من الغيب ومن كل انه اي السعود او لم يكف بربك وانه على كل شي شهيد
بدل من ربك اما حاله كونه مجرورا بالبا فيكون بدلا على اللفظ واما حاله
مراعاة اللفظ فيكون بدلا على الموضع وفيه انه على اسقاط الحرف اي او لم يكف
ربك بشهادته فحذف الحرف وموضع ان على الخلاف اهو في موضع نصب او
في موضع جر وبعد هو لم يحصل بربك في موضع نصب وما على كونها فاعلا وما بعد
وانقدر بعض اولم يكف ربك شهادته وفي انه يكشف الخبر على اطراف القول
ولا استفصاح بينه السامع على ما يقال وقرأ السلمي والحسن في مرية بضم الميم
واحاطته تعالى بالاشيا علما بها جملة وتفصيلا فيجازيهم على كفرهم ومريتهم
في لقاء ربهم ركز الشي يثبت مكانه ووقال الشاعر
وقد ركدت وسط السما نجومها ركود نوادي الربرب المتعرف ٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم له ما في السموات
وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة
يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض الا ان الله هو الغفور الرحيم
والذين اتخذوا من دونه اوليا الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل وكذلك
اوحينا اليك قرانا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق
في الجنة وفريق في السعير ولو شا الله لجعلهم امة واحدة ولكن يدخل من يشا في رحمته
والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير ام اتخذوا من دونه اوليا فالله هو الولي
وهو يحيي الموتى وهو على كل شي قدير وما اختلفتم فيه من شي فحكمه الى الله ذلكم
الله ربي عليه توكلت واليه انيب فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم

ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شي وهو السميع البصير له
مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشا ويقدر انه بكل شي عليم
هذه السورة مكية في قول الحسن وعطا وعكرمة وجابر وقال ابن عباس
مكية الا اربع ايات من قوله قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى الى اخر
اربع الايات فانها نزلت بالمدينة وقال مقاتل فيها مدني قوله ذلك الذي
يبشر الله عباده الى الصدور ومناسبة اول السورة لاخر ما قبلها انه
قال قل ارايتم ان كان من عند الله الاية وكان في ذلك الحكم عليهم
بالضلال لما كفروا به قال هنا كذلك اي مثل الايحا السابق في القران
الذي كفر به هولا يوحي اليك اي ان وحيه تعالى اليك متصل غير منقطع يتعهد
به وقتا بعد وقت وذكر المفسرون في حم عسق اقوالا مضطربة لا يصح منها
شي كعادتهم في هذه الفواتح ضربنا عن ذكرها صفحا وقرا الجمهور يوحي
مبنيا للفاعل وابو حيوة والاعشى عن ابي بكر وابان نوحي بنون العظمة
ومجاهد وابن كثير وعباس ومحبوب كلاهما عن ابي عمرو يوحى مبنيا للمفعول
والله مرفوع بمضمر تقديره اوحاه او بالابتدا المقدر الله العزيز الحكيم الموحي
وعلى قراءة نوحي بالنون يكون الله العزيز الحكيم مبتدا وخبرا ويوحي اما في
معنى اوحى حتى ينتظم قوله والى الذين من قبلك وتقدم الكلام على تكاد السموا
يتفطرن في سورة مريم قراءة وتفسيرا قال الزمخشري وروى يونس عن ابي
عمرو قراءة غريبة تتفطرن بتاين مع النون ونظيرها حرف نادر روي في
نوادر ابن الاعرابي الابل تتشممن انتهى والظاهر ان هذا وهم من الزمخشري
في النقل لان ابن خالويه ذكر في كتاب شواذ القراات له ما نصه تتفطرن
بالتا والنون عن ابي عمرو وقال ابن خالويه هذا حرف نادر لان العرب لا تجمع
علامتي التانيث لا يقال النسا تقمن ولكن يقمن والوالدات يرضعن ولا يقال
ترضعن وقد كان ابو عمر الزاهد روى في نوادر ابن الاعرابي الابل تتشممن
فانكرناه فقد قواه الان هذا انتهى كلام ابن خالويه وان كانت نسخ الزمخشري
متفقة على قوله بتاين مع النون فهو وهم وان كان في بعضها بتا مع النون

كان

كان موافقا لقول ابن خالويه وكان بتاين تحريفا من النساخ وكذلك لفظة يتفطرن
وتتشممن بيا من والظاهر عود الضمير في من فوقهن على السموات قال ابن
عطية من اعلاهن وقال الزمخشري يتفطرن من علو شان الله تعالى
وعظمته ويدل عليه مجيه بعد العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله
تكاد السموات يتفطرن منه فان قلت لم قال من فوقهن قلت لان
اعظم الايات وادلها على الجلال والعظمة فوق السموات وهي العرش و
الكرسي وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما
لا يعلم كنهه الا الله من اثار ملكوته العظمى فلذلك قال يتفطرن من فوقهن
اي يبتدي الانفطار من جهتهن الفوقانية وقال جماعة منهم الحوفي
تكاد من فوقهن الحاق النون كما يعني الارضين اي من فوقهن ينفطرن
ويدل على هذا القول لذكر الارض قبل وقال علي بن سليمان الاخفش الضمير
للكفار والمعنى من فوق الفرق والجماعات الملحدة اي من اجل اقوالها انتهى
فهذه الاية كالتي في سورة مريم واستبعد مكي هذا القول قال لا يجوز
في الذكور من بني ادم يعني ضمير المؤنث فلا يقتضيه ما ذكره مكي قال علي بن
سليمان من فوق الفرق والجماعات وظاهر الملائكة العموم وقال مقاتل حملة العرش
والتسبيح قيل قولهم سبحان الله وقيل يصلون والظاهر في يستغفرون طلب
الغفران لاهل الارض عام مخصوص بقوله ويستغفرون للذين امنوا قاله السدي
وقيل عام ومعنى الاستغفار طلب الهداية المؤدية الى المغفرة كانهم يقولون
اللهم اهد اهل الارض واغفر لهم ويدل عليه وصفه بالغفران والرحمة بالاستفتاح
وقال الزمخشري ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار طلب
الحلم والغفران في قوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الى ان قال
انه كان حليما غفورا وقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم
والمراد الحلم عنهم وان لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما انتهى ونظر ابو عبد الله
الرازي في قوله تكاد السموات كلاما خارجا عن مناحي مفهومات العرب
منتزعا من كلام الفلاسفة ومن جرى مجراهم نوقف على ذلك في كتابه و

الذي

اتخذوا من دونه اوليا اي اصناما وَ اوثانا الله حفيظ عليهم اعمالهم ومجازيهم
عليها وما انت عليهم بوكيل اي بمفوض اليك امرهم ولا قائم فيها وهذا قبل الموادعة
منسوخ بآية السيف وكذلك اي ومثل هذا الايحا والقضا انك لست بوكيل
عليهم اوحينا اليك قرانا عربيا وَ الكلام في اعراب قرانا مفعول اوحينا وذلك
الى معنى الكاف مفعول به لاوحينا وقرانا عربيا حال من المفعول به او
اليك وهو قران عربي لا لبس فيه عليك اذ نزل بلسانك انتهى فما سبق
الكاف اسما في الكلام وَ هو مذهب الاخفش لتنذر ام القرى اي تخوف اهلها
البلد هو الام ولا نطلق عليه ام القرى مكة اي اهل ام القرى وكذلك
عطف ومن حولها من العرب وَ تنذر يوم الجمع وَ المفعول الاول محذوف والمفعول
الثاني هو يوم الجمع اي اجتماع الخلائق او المنذر به هو ما يقع في يوم الجمع من الجزا
وَ انقسام الجمع الى الفريقين واجتماع الارواح بالاجساد او اهل الارض باهل
السما او الناس باعمالهم اموالهم لا ريب فيه وقرى لينذر بيا الغيبة اي
لينذر القران لا ريب فيه اي لا شك في وقوعه وقال الزمخشري لا ريب فيه اعتراض
لا محل له انتهى ولا يظهر انه اعتراض اعني صناعيا لانه لم يقع بين طالب ومطلوب
وقرا الجمهور فريق بالرفع فيهما اي منهم فريق او منهم فريق وقرا زيد بن علي بنصبهما
اي افترقوا فريقا في الجنة وفريقا في السعير ويدل على الافتراق الاجتماع المفهوم
من يوم الجمع ولو شا الله لجعلهم امة واحدة يعني من اهل ايمان او كفر قال
معناه الضحاك هو قول اهل السنة وذلك تسلية للرسول عما كان يعانيه
من كفر قومه على ان ذلك راجع الى مشيئته ولكن من سبقت له السعادة
ادخله في رحمته وقال الزمخشري لجعلهم امة واحدة اي مومنين كلهم على القسر
وَ الاكراه كقوله ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها وقوله وَ لو شا ربك
لامن من في الارض كلهم جميعا وَ الدليل على ان المعنى هو الالجا الى الايمان
قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين وقد حرفها طبقه استند لا الجا
ذلك وهو على طريق المعتزلة وقال انس بن مالك في رحمته في دين
الاسلام ام اتخذوا من دونه اوليا ام بمعنى بل للانتقال من كلام الى كلام

والهمزة

للانكار عليهم اتخاذ اوليا من دون الله وقيل ام بمعنى الهمزة فقط وتقدم الكلام
على مثل هذا حيث جاءت ام المنقطعة وَ المعنى اتخذوا دون الله وليسوا باوليا
حقيقة فالله هو الولي وَ الذي يجب ان يتولى وحده لا ما لا ينفع ولا يشفع
من اوليائهم وَ لما اخبر انه الولي عطف عليه هذا الفعل الغريب الذي لا
يقدر عليه غيره وَ هو احيا الموتى وَ لما ذكر هذا الوصف ذكر قدرته على كل
شي يتعلق ارادته به وقال الزمخشري في قوله فالله هو الولي وَ الفا في قوله
فالله هو الولي جواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان
ارادوا وليا بحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه انتهى ولا حاجة الى اعتقاد
شرط محذوف وَ الكلام يتم بدونه وما اختلفتم فيه من شي هذا حكاية لقول
الرسول عليه السلام اي ما اختلفتم فيه ايها الناس من تكذيب او تصديق
وَ ايمان وكفر وغير ذلك فالحكم فيه وَ المجازاة عليه ليس ذلك الا الى الله لا
الي ولفظة من شي يدل على العموم وقيل من شي من الخصومات
فتحاكموا فيه الى رسول الله ولا توثروا على حكومته حكومة غيره كقوله فان
تنازعتم في شي فردوه الى الله وَ الرسول وقيل من شي من تاويل اية واشتبه
عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب الله وَ الظاهر من سنة رسول الله
وقيل ما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم وَ لا
طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح وقال الزمخشري اي ما خالفكم فيه
الكفار من اهل الكتاب وَ المشركين فاختلفتم انتم وهم فيه من امور الدين فحكم
ذلك المختلف فيه مفوض الى الله وَ هو اثابة المحقين فيه من المومنين ومعاقبة
المبطلين ذلكم الحاكم بينكم هو ربي عليه توكلت في رد كيد اعدا الدين واليه
ارجع في كفاية شرهم انتهى وقرا الجمهور فاطر بالرفع اي هو فاطر او خبر
بعد خبر لقوله ذلكم وقرا زيد بن علي فاطر بالجر صفة لقوله الى الله وَ الجملة بعدها
اعتراض بين الصفة وَ الموصوف جعل لكم من انفسكم اي من جنسكم انفسكم اي اد[م]
ازواجا اناثا او جعل الخلق من ادم من ضلعه حوا زوجا له خلقا للناس ومن
الانعام ازواجا اي انواعا ذكورا واناثا او ازواجا اناثا يذرؤكم فيه قال

ابن عباس اي يجعل لكم فيه معيشة تعيشون بها وقال ابن زيد يرزقكم فيه وهو قريب
من القول وقال مجاهد يخلقكم نسلا بعد نسل وقرنا بعد قرن المعنى يخلقكم في بطون
الاناث وقال ابن زيد انما يذرؤكم فيما خلق من السموات والارض وقال الزجاج
يكثركم به اي فيه يكثركم بتخليقكم ازواجا وقال علي بن سليمان يبثكم من حال الى حال
وقال ابن عطية الضمير في فيه للجعل اي يخلقكم ويكثركم في الجعل كما تقول كلمت زيدا
كلاما اكرمته فيه قال ولفظة ذرا تزيد على لفظة خلق معنى اخر ليس في خلق وهو
توالي الطبقات على مر الزمان وقال الزمخشري يذرؤكم يكثركم يقال ذرا الله الخلق
بثهم وكثرهم والذر والذرو والذرا اخوات في هذا التدبير وهو ان جعل للناس
والانعام ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير في يذرؤكم
للمخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهي
من الاحكام ذات العلتين انتهى وقوله وهي من الاحكام ذات العلتين اصطلاح
غريب ويعني ان الخطاب يغلب على الغيبة اذا اجتمعا تقول انت وزيد تقومان
والعاقل يغلب على غير العاقل اذا اجتمعا تقول الناس والحيوان غيرهم يسبحون
خالقهم قال الزمخشري فان قلت ما معنى يذرؤكم في هذا التدبير وهلا قيل
يذرؤكم به قلت جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير
الاترى انه يقال للحيوان في خلق الازواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حياة انتهى
ليس كمثله شيء تقول العرب مثلك لا يفعل كذا يريدون به المخاطب كانهم اذا
نفوا الوصف عن مثل الشخص وهو من باب المبالغة ومثل الاية قول اوس بن حجر

ليس كمثل الفتى زهير خلق يوازيه في الفضائل

وقول الاخر

وقتلى كمثل جذوع النخيل يغشاهم سبل منهمر

وقول الاخر

سعد بن زيد اذا ابصرت فضلهم ما ان كمثلهم في الناس من احد

فجرت الاية في ذلك على نهج كلام العرب من اطلاق المثل على نفس الشيء وما ذهب اليه
الطبري وغيره ان مثلا زائدة للتوكيد كالكاف في قوله

فصيروا

فصيروا مثل كعصف ماكول

وقوله وصاليات ككما يؤثفين

لكن يحمله ان مثلا اسم والاسم
لا يراد بخلاف الكاف فانها حرف فيصلح للزيادة ونظير نسبة المثل الى من لا مثل
له قولك فلان يده مبسوطة يريد انه جواد ولا نظر في الحقيقة الى اليد حتى يقول
ذلك لمن لا يد له كقوله بل يداه مبسوطتان كناية عن ذلك كناية عن الجود
فمن لا يد له فكذلك جعل المثل كناية عن الذات فيمن لا مثل له ويحتمل ان يراد
بالمثل الصفة وذلك سائغ يطلق المثل بمعنى المثل وهو الصفة فيكون المعنى ليس
مثل صفته تعالى شيء من الصفات التي لغيره وهذا محمل سهل والوجه الاول
اغوص قال ابن قتيبة العرب تقيم المثل مقام النفس فتقول مثلي لا يقال له هذا اي
انا لا يقال لي هذا انتهى فصار ذلك كناية عن الذات فلا فرق بين قولك ليس
كالله شيء او ليس كمثل الله شيء وقد اجمع المفسرون على ان الكاف والمثل يراد بهما موضع
الحقيقي ان كلا منها يراد به التشبيه وذلك محال لان فيه اثبات مثل لله تعالى
وهو محال وهو السميع لاقوال الخلق البصير لاعمالهم وتقدم تفسير له مقاليد السموات
والارض في سورة الزمر ويقدر اي ويضيق انه بكل شيء عليم فيبسط لمن يشا
ويضيق على من يشاء قال الزمخشري فاذا علم ان الغنى خير للعبد اغناه والا
افقره انتهى وفيه دسيسة الاعتزال **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا**
والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب
وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى
اجل مسمى لقضي بينهم وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب
فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل امنت بما انزل الله من كتاب
وامرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع
بيننا واليه المصير والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند
ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وما
يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين امنوا مشفقون

منها ويعلمون انها الحق الا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد الله لطيف
بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه
ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب • لما عدد تعالى
نعمه على الخاصة اتبعه بذكر نعمه العامة وهو ما شرع لهم من العقائد المتفق عليها من
توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وباليوم الآخر والجزاء فيه والمراد
اول الرسل نوحا عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم قال ما وصى به نوحا
والذي اوحينا اليك ثم اتبع ذلك ما وصى به ابراهيم اذ كان ابا العرب ففي ذلك هز لهم
وبعث على اتباع طريقه موسى وعيسى صلوات الله عليهم لانهما اهل الكتابين كانا
اتباعهما موجودين زمان بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم والشرائع متفقة
فيما ذكرنا من العقائد وفي كثير من الاحكام كتحريم الزنا والقتل بغير حق والشرائع
مشتملة على عقائد واحكام وتعالى انه نوحا اول من اتى بتحريم البنات والامهات
وذوات المحارم وقال ابن عباس شرع اختار وكملا ان تكون مفسرة لما ان قبلها
مما هو معنى القول ولا موضع لها من الاعراب وان تكون ان المصدرية فتكون
في موضع نصب على البدل مما او مما عطف عليها او في موضع رفع اي ذلك او هو اقامة
الدين وهو توحيد الله وما يتبعه مما لا بد من اعتقاده ثم نهى عن التفرق فيه
لان التفرق سبب الهلاك والاجتماع والالفة سبب النجاة كبر على المشركين
اي عظم وشق ما تدعوهم اليه من توحيد الله وترك عبادة الاصنام ولعله الذين
الله يجتبي اي يجتلب ويجمع اليه من يشاء بهدايته فوفقوا لسلوك الرسول وقيل يجتبي
يجعله رسولا الى عباده ويهدي اليه من ينيب يرجع الى طاعته عن كفره وقال
الزمخشري من يشاء من ينفع فيهم توفيقه ويجري عليهم لطفه انتهى وفيه دسيسة
الاعتزال وقال الحافظ ابو بكر بن العربي لم يكن مع آدم عليه السلام الا بنوه
ولم تفرض له الفرائض ولا شرعت له المحارم وانما كان منبها على بعض الامور مقتصرا
على ضرورات المعاش واستمر الى نوح فبعثه الله بتحريم الامهات والبنات
ونظف عليه الواجبات واوضح له الآداب في الديانات ولم يزل ذلك يتأكد
بالرسل ويتناصر بالانبياء واحدا بعد واحد وشريعة اثر شريعة حتى ختمه الله بخير

الملل

الملل على لسان اكرم الرسل فكان المعنى اوصيناك يا محمد ونوحا دينا واحدا في الاصول
التي لا تختلف فيها الشرائع وهي التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج والتقرب
بصالح الاعمال والصدق والوفاء بالعهد واداء الامانة وصلة الرحم وتحريم الكبر والزنا
والاذاية للخلق كيف ما تصرفت والاعتداء على الحيوانات واقتحام الدناءات وما يعود
بخرم المروات فهذا كله مشروع دينا واحدا وملة متحدة لم تختلف على السنة الانبيا
وان اختلفت اعدادهم وذلك قوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه اي اجعلوه
قائما يريد دائما مستمرا محفوظا مستقرا من غير خلاف فيه ولا اضطراب انتهى وقال
مجاهد لم يبعث نبي الا امر باقامة الصلاة وايتاء الزكاة والاقرار بالله وطاعته فهو
اقامة الدين وقال ابو العالية اقامة الدين الاخلاص لله وعبادته ولا تتفرقوا فيه قال
ابو العالية لا تعادوا فيه وقال مقاتل لا تختلفوا فان كل نبي مصدق وقيل لا تتفرقوا
فيه فتؤمنوا ببعض الرسل وتكفروا ببعض وما تفرقوا قال ابن عباس يعني قريشا
العلم محمد عليه السلام وكانوا يتمنون ان يبعث اليهم نبي كما قال واقسموا بالله جهد
ايمانهم لئن جاءهم نذير يريد نذيرا فلما جاءهم يعود على امم الانبياء جاءهم العلم فطال
عليهم الامد فآمن قوم وكفر قوم وقال ابن عباس عائد على اهل الكتاب والمشركين
دليله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة قال المشركون
لم خص بالنبوة واليهود والنصارى حسدوه ولولا كلمة عدة التأخير الى يوم القيامة
لحسم بتعجيل الجزاء القضي بينهم لجوزوا باعمالهم لكنه قضى ان ذلك لا يكون الا في
وقال الزجاج الكلمة قوله بل الساعة موعدهم وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم
اي من بعد اسلافهم ارادهم المشركون اورثوا القرآن من بعد ما اورث اهل الكتاب
التوراة والانجيل وقرأ زيد بن علي ورثوا مبنيا للمفعول مشددا الراء لفي شك منه
اي من كتابهم او من القرآن او مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم او من الدين الذي
وصى الله به ولما تقدم شان الامر باقامة الدين وتفرق الذين جاءهم العلم وكان شكهم
وكونهم في شك مريب قوله فلذلك ان تكون اشارة الى اقامة الدين فادع اي فاعبد
الله واقامته ولا يحتاج الى تقدير الكلام بمعنى اللام ان دعا يتعدى باللام قال
دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبي يدي مسور

واحتمل ان تكون اللام للعلة اى لاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر
شعبا فادع الى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية واستقم اى دم على الاستقامة
وتقدم الكلام على ما سبق كما امرت وكيفية هذا التقسيم في اواخر هود ولا تتبع
اهواءهم المختلفة الباطلة وامر بان يصرح انه امن بكل كتاب انزله الله لا كالذين
الذين تفرقوا امنوا ببعض وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم قيل
اى الحق وامرت بما امرت به لاعدل بينكم في ايصال ما امرت به اليكم لا اخص
بعضا بشيء دون بعض الشرع واحد والاحكام مشتركة فيها وقيل لاعدل بينكم
في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي لا حجة بيننا وبينكم اى قد وضحت الحجج وقامت
البراهين وانتم محجوجون فلا حاجة الى اظهار حجة بعد ذلك الله يجمع بيننا وبينكم
اى يوم القيامة فيفصل بيننا وما تضمنته هذه الاية من الموادعة منسوخ
باية السيف والذين يحاجون في الله اى يخاصمون في دينه قال ابن عباس
ومجاهد نزلت في طائفة من بني اسرائيل همت برد الناس عن الاسلام واضلالهم
ومحاجتهم بان قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فديننا افضل فنزلت
الاية وذلك وقيل نزلت في قريش كانوا يجادلون في هذا المعنى ويطمعون
في رد المؤمنين الى الجاهلية واستجيب مبني للمفعول وفاعل المحذوف من بعد ما استجاب
الناس له اى لدينه ودخلوا فيه وقيل من بعد ما استجاب الله اى لرسوله ودينه
بان نصره يوم بدر واظهر دينه وقال بكر اى من بعد ما استجيب دعا النبي صلى الله
عليه وسلم لانه دعا على اهل بدر فاستجيب له ودعا على اهل مكة بالقحط فاستجيب له
ودعا للمستضعفين ان ينجيهم الله من قريش فاستجيب له في اشياء داحضة اى
باطلة لا ثبوت لها ولما ذكر من يحاج في دين الاسلام صرح بانه تعالى هو الذي
انزل الكتاب والكتاب جنس يراد به الكتب الالهية والميزان قال ابن عباس
ومجاهد وقتادة وغيرهم هو العدل وعن ابن مجاهد هو هنا الميزان الذي بايدي
الناس وحقيقة مندرج في العدل وما يدريك ايها المخاطب لعل الساعة قريب ذكر
على معنى البعث او على حذف مضاف اى لعل مجيء الساعة ولعل الساعة في موضع معمول
وما يدريك وتقدم الكلام على مثل هذا في قوله في اخر سورة الانبياء وان ادري

لعله

لعله فتنة لكم وتوافق هذه الجملة قوله الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان
ان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين القسط فكانه قيل امركم الله بالعدل
والتسوية فاعملوا به قبل ان يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن اعمالكم يستعجل
بها الذين لا يؤمنون بها طلب وقوعها عاجلة لانهم ليسوا موقنين بوقوعها
لينتجز من يؤمن بها عندهم اى هي مما لا يقع عندهم الا ان الذين يمارون
يلحون في امر الساعة لفي ضلال بعيد عن الحق لان البعث غير مستبعد من قدرة
ودل عليه الكتاب المعجز فوجب الايمان به الله لطيف بعباده اى بر بعباده
المؤمنين ومن سبق له الخلود في الدنيا يرى من النعم على الكافر والمؤمن يلطف
انما هو املاء ولا لطف الا ما ال الى الرحمة والوفاة على الاسلام وفي المعالم
اللطف بالبر والفاجر حيث لم يقتلهم جوعا وقال الزمخشري يوصل بره الى
جميعهم يرزق من يشاء اى من يشاء ان يرزقه شيئا خاصا ويكرم من يشاء
من ذلك الشيء الخاص فكل منهم مرزوق وقد اختلف الرزق وهو القوي
البالغ القوة وهو العزيز الغالب الذي لا يغلب ولما ذكر تعالى
الرزق ذكر حرث الكسب ولما كان الحرث في الارض اصلا من اصول
المكاسب استعير لكل مكتسب يريد به الثمار والزيادة اى من كان يعمل للاخرة
ويسعى لها سعيها نزد له في حرثه اى في حراثه من تضعيف الحسنات
ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها اى نعطيه شيئا منها وما له في الاخرة
من نصيب لانه لم يعمل شيئا للاخرة والجملة الاولى وعد منجز والثانية مقيدة
بمشيئته تعالى ولا ينال الا رزقه الذي قسم منه لا كل ما يريد وهو واحصر
في عامل الاخرة ذكر حظه فيها مع انه في الدنيا لا بد له من رزقه الذي قسم
له لان ما ناله في الدنيا بالنسبة الى حظه في الاخرة كانه عدم ولم يشا
ذكره مع ما اعد الله له في الاخرة لمن يشاء ما نشاء وجاء فعل الشرط ماضيا
والجواب مجزوما كقوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم
فيها ولا نعلم خلافا في جواز الجزم وانه فصيح مختار الا ما ذكر صاحب
كتاب الاعراب وهو ابو الحكم بن عذرة عن بعض النحويين انه لا يجيء في الكلام

الفصيح وانما يجي مع كان لا اصل بالافعال ولا يجي مع غيرها من الافعال الا بعض
كان ليس والجامع انه لا يختص ذلك بكان بل سائر الافعال في ذلك مثلها
وانشد سيبويه للفرزدق
دستمان القوم قد وردوا عليك ليسقوا صدورا اذاك بوعمر
وقال ايضا
تعال فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
وقرا الجمهور نزده ونؤته بالنون فيهما وابن مقسم والزعفراني ومحبوب والمقرئ
كلاهما عن ابي عمرو بالياء فيهما وقرا سلام نؤته منها برفع الهاء وهي لغة الحجاز
ام لهم شركا شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي
بينهم وان الظالمين لهم عذاب اليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم
والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك
هو الفضل الكبير ذلك الذي يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات
قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا
ان الله غفور شكور ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم على قلبك
ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور وهو الذي يقبل
التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين امنوا
وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ولو بسط
الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشا انه بعباده خبير
بصير وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي
الحميد ومن اياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا
يشا قدير وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير وما
انتم بمعجزين في الارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ام لهم شركا
استفهام تقرير وتوبيخ لما ذكر تعالى انه شرع للناس ما وصى به نوحا الى انه
اخذ يذكر ما شرع غيره تعالى والشركا هنا يحتمل ان يراد به شركاؤهم في الكفر
كالشياطين والمغوين من الناس والضمير في شرعوا عائد على الشركا والضمير في

لهم

لهم عائد على الكفار المعاصرين للرسول ويحتمل ان يراد به الاصنام والاوثان وكل
من جعلوه شريكا لله واضيف الشركا اليهم لانهم متخذوها شركا لله فتارة تضاف
اليهم لهذه الملابسة وتارة الى الله والضمير في شرعوا يحتمل ان يعود على الشركا
والضمير في لهم على الكفار ولما كانت سببا لضلالهم وافتتانهم جعلت شارعة
لدين الكفر كما قال ابراهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس
ويحتمل ان يعود على الكفار ولهم عائد على الشركا اي شرع الكفار لاصنامهم
ومعبوداتهم اي سموا الهم عوائد واحكاما في العبادات كقولهم انهم
الهة وان عبادتهم تقربهم الى الله تعالى ومن الاحكام البحيرة والوصيلة
والحامي ونحو ذلك ولولا كلمة الفصل اي القضاء ان الفصل يكون في
الاخرة او لولا القضاء بذلك لقضي بين المومن والكافر او بين المشركين و
شركائهم وقرا الجمهور وان الظالمين بكسر الهمزة على الاستئناف
والاخبار بما ينالهم في الدنيا من القتل والاسر والنهب وفي الاخرة النار
وقرا الاعرج ومسلم بن جندب وان بفتح الهمزة عطفا على كلمة الفصل فهو
في موضع رفع اي ولولا كلمة الفصل وكون الظالمين لهم عذاب اليم لقضي
بينهم في الدنيا وفصل بين المتعاطفين بجواب لولا كما فصل في قوله ولولا
كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى ترى الظالمين اي تبصر
الكافرين لظلمهم بالمومنين مشفقين اي خائفين الخوف الشديد مما كسبوا
من السيئات وهو اي العذاب او يعود على ما كسبوا على حذف اي وبال
ما كسبوا وجزاؤه حال بهم وهو واقع بهم فاشفاقهم هو كالحمد في هذه الحال
فليسوا كالمومنين الذين هم في الدنيا مشفقين من الساعة ولما كانت
الروضات احسن ما في الجنات وانزهها في املاكها ذكر ان المومنين
فيها واللغة الكثيرة تسكين الواو في روضات ولغة هذيل بن مدركة
فتح الواو واجرا المعتل مجرى الصحيح نحو جفنات ولم يقرا احد فيما علمناه
بلغتهم وعند ظرف قال الحوفي معمول ليشاؤون وقال الزمخشري منصوب
بالظرف لا بيشاؤون انتهى وهو الصواب ويعني بالظرف الجار والمجرور

وَهو لهم وَفي الحقيقة عندي معمول للعامل لهم وَالمعنى ما يشاءون من النعم وَالثواب
مستقر لهم عند ربهم وَالعندية عندية المكانة وَالتشريف لا عندية المكان
وقرأ الجمهور يبشر بشد الشين من بشّر وَعبد الله وَابن يعمر وَابن ابي اسحق
وَالجحدري وَالاعمش وَطلحة في رواية وَالكسائي وحمزة يبشر من بشر ثلاثيا
ومجاهد وحميد بن قيس بضم الياء وتخفيف الشين من ابشر وَهو معدى بالهمز
من بشر اللازم المكسور الشين وَاما بشر بفتحها فمتعد وبشر بشده للتكثير
لا للتعدية لانها تتعدى الى وَاحد وَهو مخففة لا يتعدى بالتضعيف اليه
فه للتكثير لا للتعدية ذلك اشارة الى ما اعد لهم من اكرامه وهو مبتدأ خبره الموصول
وَالعائد عليه محذوف اي يبشر الله به عباده ثم حذف حرف الجر فانتصب الضمير
ثم حذف وقال الزمخشري او ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده انتهى وَلا
يظهر هذا الوجه اذ لم يتقدم في هذه السورة لفظ البشرى ولا ما يدل عليها
من بشر او سببه ومن النحويين من جعل الذي مصدرية حكاه ابن مالك عن
يونس وتأول عليه هذه الكلمة الاية اي ذلك تبشير الله عباده وليس بشي
لانه لا اثبات للاشتراك بين مختلفي الحد بغير دليل وقد ثبتت اسمية الذي
فلا يعدل عن ذلك بشي لا يقوم به دليل بل ولا شبهة قل لا اسألكم عليه اجرا
الا المودة في القربى روي انه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون
محمدا يسأل اجرا على ما يتعاطاه فنزلت وروي ان الانصار اتوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بمال جمعوه قالوا يا رسول الله قد هدانا الله بك وَانت ابن
اختنا وتعروك حقوق وما لك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت
الاية فرده وقيل الخطاب متوجه الى قريش حين جمعوا له مالا وارادوا
ان يرشوه عليه على ان يمسك عن سب آلهتهم فلم يفعل ونزلت فالمعنى
لا اسألكم مالا ولا رياسة ولكن اسألكم ان تراعوا حق قرابتي وتصدقوني
فيما جئتكم به وتمسكوا عن اذيتي وَاذية من اتبعني قاله ابن عباس وعكرمة
ومجاهد وابو مالك والشعبي وغيرهم قال قال الشعبي اكثر الناس علينا في هذه
الاية فكتبنا الى ابن عباس نسأله عنها فكتب ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم كان اوسط الناس في قريش ليس بطن من بطونهم الا ولدوه فقال
الله تعالى له قل لا اسألكم عليه اجرا الا ان تودوني في قرابتي منكم فارعوا ما بيني
وبينكم فصدقوني وقال لعكرمة وكانت قريش تصل ارحامها قال الحسن
المعنى الا ان تتوددوا الى الله بالتقرب اليه وقال عبد الله بن القاسم
الا ان تتوددوا بعضكم لبعض وتصلوا قراباتكم وروي ان شبابا من الانصار
فاخروا المهاجرين وطالوا بالقول فنزلت على معنى الا ان تودوني في قرابتي
وتحفظوني فيهم وقال بهذا المعنى علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه وَاستشهد بالاية حين سيق الى الشام اسيرا وهو قول ابن جبير والسدي
وعمرو بن شعيب وعلى هذا التأويل قال ابن عباس قيل يا رسول الله من قرابتك
الذين امرنا بمودتهم فقال علي وفاطمة وابناهما وقيل هم ولد عبد المطلب
وَالظاهر ان قوله الا المودة استثناء منقطع لان المودة ليست اجرا وقال
الزمخشري يجوز ان يكون استثناء متصلا اي لا اسألكم عليه اجرا الا هذا وهو
ان تودوا اهل قرابتي ولم يكن هذا اجرا في الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت صلتهم
لازمة لهم في المروءة انتهى فان قلت هلا قيل الا مودة القربى او الا
المودة للقربى قلت جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل
فلان مودة ولي فيهم هوى وحب شديد تريد احبهم وهم مكان حبي ومحله وليست
في صلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هي متعلقة بمحذوف
تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره الا المودة ثابتة في القربى
ومتمكنة فيها انتهى وقرأ زيد بن علي الا مودة وَالجمهور
الا المودة ومن يقترف حسنة اي يكتسب وَالظاهر عموم الحسنة عموم البدل
فيندرج فيها المودة في القربى وعن ابن عباس وَالسدي انها المودة في آل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ الجمهور نزد بالنون وزيد بن علي وعبد الوارث
عن ابي عمرو وحسن يزد بالياء اي يزد الله والجمهور حسنا بالتنوين
وعبد الوارث عن ابي عمرو حسنى بغير تنوين على وزن رجعى وزيادة حسنها
مضاعفة اجرها ان الله غفور شكور يستر ذنوب عباده ويشكر على الدقيقة

لا يضيع عمل العامل وقال القشيري غفور لمن يتوب الى محمد عليه السلام شكور
لحسناتهم ام يقولون افترى على الله كذبا اضراب عن الكلام المتقدم من غير
ابطال والاستفهام استفهام انكار وتوبيخ على هذه المقالة اي بل ينسبونه الى
الكذب على الله مع اعترافكم له قبل بالصدق والامانة فان يشا الله يختم
على قلبك قال مجاهد يربط على قلبك بالصبر على اذاهم حتى لا يشق عليك قولهم
انك مفتر وقال قتادة وجماعة يختم على قلبك ينسيك القران والمراد الرد
على مقالة الكفار وبيان ابطالها وذلك انه يقول وكيف يصح ان يكون
مفتريا وانت من الله بمرأى ومسمع وهو قادر لو تشا ان يختم على قلبك فلا
تعقل ولا تنطق ولا يستمر افتراؤك فمقصود اللفظ هذا المعنى وحذف
ما يدل عليه الظاهر اختصارا واقتصارا انتهى كلامه اورد هذا التاويل عن ابن
ابن عطية وهي الفاظه وقطاطه لا تلوات بحسب لانه وقال الزمخشري عن
قتادة ينسيك القران وينقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله كذبا لفعل به
ذلك انتهى وقال الزمخشري ايضا فان يشا الله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى
يفترى عليه الكذب فانه لا يجترى على افتراء الكذب على الله الا من كان
في مثل حالهم وهذا الاسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله وانه في
البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم ومثل هذا ان يخون
بعض الامناء فيقول لعل الله خذلني لعل الله اعمى قلبي وهو لا يريد اثبات
الخذلان وعمى القلب وانما يريد استبعاد ان يخون مثله والتنبيه على انه ركب
من تخونه امر عظيم قال ويمحو الله الباطل ويحق الحق بوحيه
او بقضائه كقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه يعني لو كان مفتريا كما
يزعمون لكشف الله افتراه ومحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه انتهى
وقيل المعنى لو افترى على الله لطبع على قلبك حتى لا يقدر على حفظ القران
وقيل يختم على قلبك بالصدق والصبر وقد فعل ذلك وذكر القشيري
ان المعنى يختم على قلوب الكافرين وعلى ألسنتهم ويعاجلهم بالعذاب انتهى
فيكون التفاتا من الغيبة الى الخطاب ومن الجمع الى الافراد اي يختم على قلبك

ايها

انما القائل انه افترى على الله كذبا ويمحو الله الباطل استئناف اخبار انه
يمحو اما في الدنيا واما في الاخرة بحسب ما نزله وكتب وليس معطوفا
والواو كما كتبوا سندع بغنوه او اعتبارا بعدم ظهورها لا انها لا توقف عليها
ووقف احيانا فلما سقطت من اللفظ سقطت من الخط وقال الزمخشري
ويكون عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه يمحو الباطل
الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي انت عليه بالقران
وبقضائه الذي لا مرد له من نصرتك عليهم ان الله عليم بما في صدورك وصدورهم
فيجري الامر على حسب ذلك انتهى وقيل ويحق الحق بكلماته اي
بما انزل من القران وتقدم الكلام في شرائط التوبة وقال سهل التوبة التي
يعني احسن به منه كقولك وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم اي يوجر اي جعله
مبدا قبولها ومنشاه وتقبله عنه عن كونه عنه واسمه يعني عن عنان اي
مزيل الرجوع عن المعاصي ويعفوا عن السيئات قال الزمخشري عن السيئات
اذا تيب عنها وعن الصغائر اذا اجتنبت الكبائر انتهى وهو على طريقة الاعتزال
اي الكبائر لا يعفى عنها الا بالتوبة ويعلم ما تفعلون فيثيب او يعاقب
وقرا الجمهور ما يفعلون بياء الغيبة وعبد الله وعلقمة والاخوان وحفص
بتاء الخطاب والظاهر ان الذين فاعل ويستجيب اي ويجيب الذين امنوا
لربهم كما قال يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فقوله
يستجيب يعني يجيب او يبقى على بابه من الطلب اي يستدعي الذين امنوا الاجابة
من ربهم بالاعمال الصالحة وقال سعيد بن جبير هذا من فعلهم وعن ابراهيم
ابن ادهم انه قال ما لنا ندعوا فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرا
والله يدعوا الى دار السلام ويستجيب الذين امنوا وقال الزجاج الذين مفعول
واجاب واستجاب بمعنى واحد والمعنى ويجيب الله الذين امنوا اي للذين كا
قال فلم تستجيبه عند ذلك يجيب انهم يجيبه روي هذا المعنى عن معاذ وابن
عباس ويزيدهم من فضله اي على الثواب تفضلا وفي الحديث
تنويل الشفاعات في المؤمنين الرضوان وقال خباب بن الارت نظرنا الى

اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنوها فنزلت ولو بسط الله
الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وقال عمرو بن حريث طلب قوم
من اهل الصفة من الرسول عليه السلام ان يغنيهم الله ويبسط لهم الاموال
والارزاق فنزلت اعلم ان الرزق لو جاء على اقتراح البشر لكان سبب بغيهم و
افسادهم ولكنه تعالى اعلم بالمصالح ورب انسان لا يصلح ويكفي سوء حاله بالفقر
واخر بالغنى وفي هذا المعنى والتقسيم حديث رواه انس وقال الامام ان من عبادي
الذين لا يصلحهم الا الغنى ولا يفقرون ولكنهم اما من البذخ والكبر اي ليتكبروا في
الارض فيفعلوا ما يتبع الكبر من العلو والفساد واما من الظلم اي ليظلم هذا
ذاك وذلك هو اللائق بالانس والطبع الغني الامي الحال يعرفون وفي الخبر
اخوف ما اخاف على امتي زهرة الدنيا وقال الشاعر

وقد جعل الوسمي ينبت بيننا وبين بني رومان نبعا وشوحطا

يعني انهم احتربوا لما اخصبوا بالبغي والفقر ولكن ينزل بقدر ما يشاء تعالى
قدريا لمسلوفه بالصح اي بقدر لهم ما هو اصلح لهم وقرا الجمهور قنطوا بفتح
النون والاعمش وابن وثاب بكسرها وينشر رحمته ما يظهر من اثار
الغيث من المنافع والخصب والظاهر ان رحمته تشرها اعم من الغيث
وقال السدي رحمته العشب وعدد النعم بعضها ملحوظ وقيل
الرحمة هنا ظهور الشمس لانه اذا دام المطر سئم فيجيء الشمس بعد عظيم
الموقع ذكره المهدوي وهو الولي يتولى عباده الحميد على ما اسدى
من نعمائه وما بث الظاهر انه مجرور عطفا على السموات والارض ويجوز
ان يكون مرفوعا على حذف مضاف اي وخلق ما بث وفيهما يجوز ان
يكون مما نسبته ذاته الى المجموع المذكور وان كان ملتبسا ببعضه
كما تقال بنو فلان صنعوا كذا وانما صنعه واحد منهم ومنه يخرج منهما وانما
يخرج من الملح او يكون للملائكة مشي مع الطيران فيوصف بالدبيب كما
يوصف به الاناسي او يكون قد خلق في السموات حيوانا يمشي مشي الاناسي
على الارض ويريد الحيوان الذي يكون في السحاب وقد يقع احيانا كالضفادع

والسحاب

والسحاب داخل في اسم السماء وقال مجاهد وما بث فيهما من دابة هم الناس والملائكة
وقال ابو علي هو على حذف مضاف اي وما بث في احدهما وقرا الجمهور فبما بالفاء
كذا
وهي في معظم المصاحف واحتمل ما ان تكون شرطية وهو الاظهر وان تكون موصولة
والفاء تدخل في خبر الموصول اذا اجري مجرى الشرط ذكرته في النحو وهي هنا موصولة
وقرا نافع وابن عامر وابو جعفر في رواية وشيبة بما بغير فاء فما موصولة ولا يجوز
ان تكون شرطية وجوز بعض العلماء ذلك لكن بما يختص بالشعر واجاز ذلك الاخفش
وبعض نحاة بغداد وذلك على ارادة الفاء وترتيب ما اصاب من المصائب على
كسب الايدي موجود مع الفاء ودونها والمصيبة الرزايا والمصائب في الدنيا
وهي مجازاة على ذنوب المؤمن وتمحيص الخطايا وان الله تعالى يعفو عن كثير فلا
يجازي عليه بمصيبة وفي الحديث لا يصيب ابن ادم خدش عود او عثرة قدم
او اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو عنه اكثر وسئل عمران بن حصين
عن مرضه فقال ان احبه الي احبه الى الله وهذا بما كسبت يداي وذلك
على كف ربي فرحم عفا ما هنا فقال بما كسبت يدي وقال الزمخشري الاية
مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع ان يستوفي الله عقاب المجرم ويعفو عن بعض فاما من
لا جرم له كالانبياء والاطفال والمجانين فهؤلاء اذا اصابتهم شيء من الم او غيره
فللعوض الموفي والمصلحة وعن علي هذه ارجى اية للمؤمنين في القرآن وقال الحسن
معناه اي يحرم من عدة الله ويمكن ان تطابق من لسخط الانسان ونفسه فانها
في تكسب الذنوب ويعفو الله عن كثير بحسن عمل العبد حتى لا يجري عليه وما انتم
بمعجزين اي فائتين ما قضي عليكم في الارض وقد قيل تنسب المصائب بين
الاسقام والقحط والغرق وعند ذلك تعفو باب على الذنوب لقوله تعالى
العموم خير كل نفس بما كسبت ولا يشترك الصالح والطالح فيما يلحق من
ما يسل به الصالحون لمعون في الحرب يحصل بالبلاء الانسان الاسل بالاسل
ولان الدنيا دار التكليف فلو حصل الجزاء فيها لكانت دار الجزاء وليس الامر كذلك
وهذا القول يرد بنصوص القرآن كقوله تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من
ارسلنا عليه حاصبا **ومن اياته الجوار في البحر كالاعلام** ان يشا

يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور او يوبقهن
بما كسبوا او يعفو عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص
فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم
يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم
يغفرون والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة وامرهم شورى بينهم ومما
رزقناهم ينفقون والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة
مثلها فمن عفى واصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك
ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير
الحق اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ومن يضلل الله
فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما راوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل
وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي لما ذكر تعالى من
دلائل وحدانيته انواعا ذكر بعدها العالم الاكبر وهو السموات والارض
ثم العالم الاصغر وهو الحيوان ثم اتبعه بذكر المعاد اتبعه بذكر السفن الجارية
في البحر لما فيها من عظيم دلائل القدرة من جهة ان الماء جسم لطيف شفاف يغوص
فيها الثقيل والسفن تشحن بالاجسام الكثيفة الثقيلة ومع ذلك جعل تعالى للماء
قوة يحملها بها ويمنع من الغوص ثم جعل تعالى الريح سببا لسيرها فاذا اراد ان يسكن
الريح فلا تبرح من مكانها والجوار جمع جارية واصله السفن الجواري حذف
الموصوف واقيمت الصفة مقامه وحسن ذلك في البحر وقيل على انها صفة للسفن
والا فهي صفة غير مختصة فكان القياس ان لا يحذف الموصوف ويقوم مقامه
الا ان يقال انها صفة غالبة كالابطح فكان ان يلي العوامل بغير ذكر الموصوف
وقرئ الجواري بالياء ودونها وسمع من العرب الاعراب في الراء وفي البحر يتعلق
بالجواري وكالاعلام في موضع الحال والاعلام الجبال ومنه قول الخنساء اخت صخر ترثيه

وان صخرا لتأتم الهداة به كانه علم في راسه نار

ومنه

اذا قطعن علما بدا علم

وقرا الجمهور الساكنة الريح افرادا ونافع جمعا وقرا الجمهور فيظللن بفتح اللام وقتادة

بكسرها

بكسرها وابو القاسم الفتح لان الماضي بكسر العين فالكسر في المضارع شاذ وقال الزمخشري
من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل انتهى وليس كما ذكر لان يضل بفتح العين من
ضللت بكسرها في الماضي ويضل بكسرها من ضللت بفتحها في الماضي وكلاهما مقيس
لكل صبار على بلائه شكور لنعمائه او يوبقهن يهلكهن اي الجواري وهو عطف على يسكن
والضمير في كسبوا عائد على ركاب السفن اي بذنوبهم وقرا الاعمش ويعفو بالواو
وعن اهل المدينة بنصب الواو والجمهور ويعف مجزوما عطفا على يوبقهن وفي قراءة
الاعمش فانه اخبر تعالى انه يعفو عن كثير اي لا يواخذ بجميع ما اكتسب الانسان
واما النصب فباضمار ان بعد الواو كالنصب بعد الفاء في قراءة من قرا يحاسبكم به الله
فيغفر ونصب الواو في قول الشاعر

فان يهلك ابو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام

ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام

روي بنصب ونأخذ ورفعه وجزمه وفي نصب القراءة تكون العطف على مصدر
متوهم اي يقع ايباق وعفو عن كثير واما الجزم فانه داخل في حكم جواب الشرط اذ
هو معطوف عليه وهو راجح في المعنى الى قراءة النصب لكن هذا عطف فعل على فعل
وفي النصب عطف مصدر مقدر على مصدر متوهم وقال القشيري وقرئ ويعف
بالجزم وفيها اشكال لان المعنى ان يشا يسكن الريح فتبقى تلك السفن رواكد ويهلكها
بذنوب اهلها فلا يحسن عطف ويعف على هذا لان المعنى يصير ان يشا يعف
وليس المعنى ذلك بل المعنى الاخبار عن العفو من غير شرط المشيئة فهو اذن
عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى وقد قرا قوم ويعفو بالرفع
وهي جيدة في المعنى انتهى وما قاله ليس جيدا اذ لم يفهم مدلول التركيب والمعنى انه
ان يشا اهلك ناسا وانجى ناسا على طريق العفو عنهم وقال الزمخشري فان
قلت علام عطف يوبقهن قلت على يسكن لان المعنى ان يشا يسكن الريح فيركدن
او يعصفها فيغرقن بعصفها انتهى ولا يتعين ان يكون التقدير او يعصف الريح بل قد يهلكها
تعالى بسبب غير الريح كنزول سطحها بكثرة الثقل او انكسار لوح يكون سببا لاهلاكها
او يعرض عدو يهلك اهلها وقرا الاعرج وابو جعفر وشيبة ونافع وابن عامر وزيد

ابن علي ونعلم بالرفع على القطع وقرأ الجمهور ونعلم بالنصب قال ابو علي حسن النصب
اذا كان قبله شرط وجزاء وكل واحد منهما غير واجب قال الزجاج النصب على
اضمار ان لان قبلها جزاء تقول ما تصنع اصنع مثله واكرمك وان شئت واكرمك
على وانا اكرمك وان شئت واكرمك جزما قال الزمخشري فيه نظر لما اورده
سيبويه في كتابه قال واعلم ان النصب بالفاء والواو في قوله ان تاتني اتك واعطيك
ضعيف وهو نحو من قوله ــــــ والحق بالحجاز فاستريحا
فهذا لا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه الا انه في الجزاء صار اقوى قليلا لانه ليس
بواجب انه يفعل الا ان يكون من الاول فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام
ونحوه اجازوا فيه هذا على ضعفه قال الزمخشري ولا يجوز ان تحمل القراءة المستفيضة على
وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما اخلى سيبويه
كتابه منها وقد ذكر نظائرها من الايات المشكلة انتهى وخرج الزمخشري النصب على انه معطوف
على تعليل محذوف قال تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون ونحوه في العطف على
التعليل المحذوف غير عزيز في القران ومنه قوله تعالى ولنجعله اية للناس وقوله وخلق
الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت انتهى ويبعد تقديره لينتقم
منهم واما الايتان فيمكن ان تكون اللام متعلقة بفعل محذوف اي ولنجعله اية
للناس فعلنا ذلك ولتجزى كل نفس بما كسبت فعلنا ذلك وهو كثيرا يقدر
هذا الفعل محذوفا قبل لام العلة اذا لم يكن فعل ظاهر يتعلق به وذكر الزمخشري
ان قوله تعالى ويعلم قرئ بالجزم فان قلت ــــــ كيف يصح المعنى على جزم ويعلم قلت
كانه قال او ان يشا يجمع بين ثلاثة امور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير اخرين انتهى
وان قوله ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من محيص في موضع نصب لان ويعلم
معلقة كقولك علمت زيد من هو وقال ابن عطية في قراءة النصب وهذه الواو ونحوها
التي تسميها الكوفيون واو الصرف لان حقيقة واو الصرف الذي يريدونها عطف فعل
على اسم مقدر فيقدر ان ليكون مع الفعل بتاويل المصدر فيحسن عطفه على الاسم
انتهى وليس قوله لان حقيقة لقولهم واو الصرف ناصبة بنفسها لا باضمار ان
بعدها وقال ابو عبيد على الصرف كالذي في ال عمران ولما يعلم الله الذين جاهدوا

منكم

منكم ويعلم الصابرين ومعنى الصرف انه كان على جهة فصرف الى غيرها فتغير الاعراب
لاجل الصرف والعطف لا يغير الاعراب في الوجوه كالعطف في الاسم نحو جاء زيد وعمرو
ولو نصب عمرا انتفى الاشتراك وذلك واو الصرف تفيد معنى الاقتران ومعنى
معنى الاجتماع وكذا اجمع على النصب في قوله ويعلم الصابرين معا من علي رضي الله عنه
اجمع لابي بكر رضي الله عنه قال فتصدق به كله في سبيل الله والحر ولامه المسلمون
وخطاب الكافرون فنزلت وما اوتيتم من شيء والظاهر انه خطاب للناس وقيل
انه للمشركين وما شرطية مفعول ثان لاوتيتم ومن شيء بيان لها والمعنى من شيء
من رياش الدنيا ومالها والسعة فيها والفاء جواب الشرط اي فهو متاع اي
يستمتع به في الحياة وما عند الله اي من ثوابه وما اعده لاوليائه خير وابقى
مما اوتيتم لانه لا انقطاع له وتقدم الكلام في الكبائر في قوله ان تجتنبوا كبائر ما
تنهون عنه في النساء وقرأ الجمهور كبائر جمعا هنا وفي النجم وحمزة والكسائي بالافراد
والذين يجتنبون عطف على الذين امنوا وكذلك ما بعده ومعلوم لابي البقاء وهم في
الثلاث واعتقد ابو البقاء الذين يجتنبون بمعزل او فبني على الاعراب فقال الذين يجتنبون
في موضع جر بدلا من الذين امنوا ويجوز ان يكون في موضع نصب باضمار اعني وفي موضع
رفع على تقديرهم انتهى والعامل في اذا يغفرون وهي جملة من مبتدا وخبر معطوف
على يجتنبون ويجوز ان يكون هم توكيدا للفاعل في غضبوا وقال ابو البقاء هم مبتدا
ويغفرون الخبر والجملة جواب اذا انتهى وهذا لا يجوز لان الجملة لو كانت جواب
اذا لكانت بالفاء تقول اذا جاء زيد فعمرو منطلق ولا يجوز حذف الفاء الا ان ورد
في شعر وقيل هم مرفوع بفعل محذوف يفسره يغفرون ولما حذف انفصل الضمير
وهذا القول فيه نظر وهو ان جواب اذا يفسر كما يفسر فعل الشرط بعدها
نحو اذا السماء انشقت ولا يجوز ذلك على مذهب سيبويه اذ اجاز ذلك في
اداة الشرط الجازمة نحو ان زيد ينطلق ينطلق عمرو فهو فاعل بفعل محذوف
يفسره يغفرون ولما حذف انفصل الضمير وهذا القول فيه نظر وهو ان جواب
يفسر كما يفسر فعل الشرط بعدها نحو اذا السماء انشقت ولا يجوز ذلك على
مذهب سيبويه اذا اجاز ذلك في اداة الشرط الجازمة نحو ان ينطلق زيد ينطلق زيد

غيره فاعل بفعل محذوف يفسره الجواب ان يطلق زيد وقد منع ذلك الكسائي
والفراء قال الزمخشري هم يغفرون اي هم الاخصا بالغفران في حال الغضب لا يغول
الغضب احلامهم كما يغول حلوم الناس والمجيء بهم وايقاعه مبتدأ واسناد يغفرون
اليه لهذه الفائدة انتهى وفيه حض على كسر الغضب وفي الحديث اوصني قال
لا تغضب قال زدني قال لا تغضب قال زدني قال لا تغضب والذين استجابوا
لربهم نزلت في الانصار دعاهم الله للايمان به وطاعته فاستجابوا له وكانوا
قبل الاسلام وقبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اذا نابهم امر تشاوروا
فاثنى الله عليهم اي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم
الا هدوا لارشد امرهم انتهى وفي الشورى اجتماع الكلمة والتحاب والتعاضد
على الخير وقد شاور الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بمصالح الحروب والصحابة
بعده في ذلك لما دون عمر للتوهمات وفي الاحكام كقتال اهل الردة وميراث
الجد وعدد حد الخمر وعدد ذلك والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور على
حذف اي وامرهم ذو شورى بينهم وهم ينتصرون صلة الذين واذا معمول لينتصرون
ولا يجوز ان يكون هم ينتصرون جواب الاداة والجملة الشرطية وجوابها صلة لما
ذكرناه من لزوم الفاء ويجوز هنا ان يكون هم فاعلا بفعل محذوف على ذلك القول
الذي قيل في هم يغفرون وقال الحوفي وانه سيبويه جعلت هم توكيدا
للهاء والميم يعني في اصابهم وفيه ضعف رفع وفي جعله يطرد فيه الفصل بين التوكيد
والمؤكد بالفاعل وهو فصل الظاهر انه لا يمتنع والانتصار اي ينتصر على ما
حد الله ولا يعتدي وقال النخعي كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فتجترئ عليهم
الفساق ومن انتصر عن بغي فهو مطيع محمود وقال مقاتل وهشام بن عروة
الاية في المجروح ينتصف من الجارح بالقصاص دون تعد من شتم او شتم وقيل
نزلت في بغي المشركين على المؤمنين فاباح الله لهم الانتصار وقال ابن عباس بغى المشركون
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه واخرجوهم من مكة فاذن الله لهم بالخروج
ومكن لهم في الارض ونصرهم على من بغى عليهم وقال الكيا الطبري ظاهره ان الانتصار
في هذا الموضع افضل الا ترى انه قرنه الى ذكر الاستجابة لله تعالى وطاعة رسوله واقام

الصلوة وهذا محمول على ما ذكره النخعي وهذا فيمن تعدى واصر والمأمور فيه بالعفو اذا كان
الجاني نادما مقلعا وقد قال عقب هذه الاية ولمن انتصر بعد ظلمه الاية فيقتضي
اباحة الانتصار وقد عقبه بقوله ولمن صبر وغفر وهذا محمول على الغفران عن غير
المصر فاما المصر على البغي فالافضل الانتصار منه بدليل الاية قبلها وقال بن بحر
المعنى يتناصرون عليه فازالوه عنهم وقال ابو بكر بن العربي نحوا من قول الكيا وقال
الجمهور اذا بغى مؤمن على مؤمن فلا يجوز ان ينتصر منه بنفسه بل يرفع ذلك
الى الامام اذا بغى عليه وقالت فرقة له ذلك وجزاء سيئة سيئة مثلها هذا بيان للانتصار
اي لا يتعدى فيما يجازى به من بغى عليه قال ابن ابي نجيح والسدي اذا شتم فله
ان يرد مثل ما شتم به دون ان يتعدى وسمى القصاص سيئة على سبيل المقابلة
اولا فالبشر من اصعب منه كما سلف المفسر وظاهر قوله مثلها المماثلة مطلقا في
كل الاحوال الا فيما خصه الدليل والفقهاء ادخلوا التخصيص في صور كثيرة منها على
الفاسق قال مجاهد والسدي اذا قال له اخزاك الله فليقل له اخزاك الله واذا قذفه
قذفا يوجب الحد بل الحد الذي امر الله فمن عفا واصلح اي بينه وبين خصمه بالعفو
فاجره على الله عدة مبهمة لا يقاس امرها اذ هي على الله انه لا يحب الظالمين اي الجانين
واذا كان لا يحب وقد ندب الى العفو عنه فالمؤمن الذي يحبه الله اولى ان يعفى عنه
او لا يحب الظالمين يتجاوزون واعتدى بالحق عليهم اذا انتصروا وخصوصا في
حالة الحرد والتهاب الحمية فربما يظلم وهو لا يشعر وفي الحديث اذا كان يوم القيامة
نادى مناد من كان له على الله اجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم
على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله واللام في ولمن
انتصر لام توكيد قال الحوفي فيها معنى القسم وقال بن عطية لام التقاء القسم
ويعنيان انها اللام التي يتلقى بها القسم فالقسم قبلها محذوف ومن شرطية وحمل
انتصر بعد ظلمه على اللفظ من ولكن على معنى من والفاء جواب الشرط وظلمه مصدر
مضاف الى المفعول قال الزمخشري ويفسره قراءة من قرأ بعد ما ظلم فاولئك ما عليهم
من سبيل عقاب اي من طريق الى الحرج وقيل من سبيل للعاتب ولا العائب و
العاتب وهذه مبالغة في اباحة الانتصار انما السبيل اي سبيل الاثم والحرج

على الذين يظلمون اى يبتدئون بالظلم ويبغون فى الارض بغير الحق يتكبرون فيها ويعلون
ويفسدون وقيل يظلمون الناس اى يضعون الاشيا فى غير مواضعها من القتل واخذ
المال والاذى بالبدن واللسان والبغى بغير الحق هو نوع من انواع الظلم خصه
بالذكر تنبيها على شدته وشناعته لهم عذاب اليم ولمن صبر اى على الظلم والاذ
وغفر ولم ينتصر واللام فى ولمن يجوز ان تكون اللام الموطئة للقسم المحذوف
ومن شرطية وجواب القسم قوله ان ذلك وجواب الشرط محذوف لدلالة
جواب القسم عليه ويجوز ان تكون اللام لام الابتدا ومن موصولة مبتدا
والجملة المؤكدة بان فى موضع الخبر وقال الحوفى من رفع بالابتدا وصبر
الخبر وجواب الشرط ان وما تعلقت به على حذف الفا كما قال

من يفعل الحسنات الله يشكرها

اى فالله يشكرها انتهى وليس بجيد لان حذف الفا مخصوص بالشعر
والاشارة بذلك لما تضمنه من مصدر صبر وغفر والعائد على الموصول
المبتدا من الخبر محذوف اى ان ذلك منه لدلالة المعنى عليه لمن عزم الامور
ان كان ذلك اشارة الى المصدر المفهوم من قوله ولمن صبر لمن عزم
الامور حذف وان كان ذلك اشارة الى المبتدا كان هو الرابط
ولا يحتاج الى تقدير منه وكان فى عزم الامور حذف اى انه لمن ذوى عزم
الامور وسب رجل احد بمجلس الحسن وكان المسبوب يكظم ويعرق
فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الاية فقال الحسن عقلها وفهمها والله لما
ضيعها الجاهلون والجملة من قوله انما السبيل اعتراض من قوله ولمن انتصر
وقوله ولمن صبر ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده اى من ناصر يتولاه
من بعده اى من بعد اضلاله وهذا حصر لامر الكفر وترى الظالمين الخطاب
للرسول والمعنى وترى حالهم وما هم فيه من الحيرة لما راوا العذاب يقولون
هل الى مرد من سبيل اى هل سبيل الى الرد للدنيا وذلك من عظم ما اطلعوا
عليه وتراهم يعرضون عليها اى على النار ودل عليها ذكر العذاب
خاشعين متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل وقرا طلحة من الذل بكسر

الذال

الذال والجمهور بالضم والخشوع بالاستكانة وهو محمود وانما اخرجه الى الذم
اضافته الى الذل وقيل من الذل متعلق بينظرون من طرف خفى قال ابن عباس
ذليل اى بطرف ووصفه بالخفا لان نظرهم ضعيف ولحظهم نهاية قال

فغض الطرف انك من نمير

وقال الحسن ونحوهما ولما كان نظرهم يضعف ملوهم جعله طرفا خفيا اى
لا يبدو نظرهم وهذا التاويل فيه تكلف وقال السدى وصار المعنى يسارق
النظر لما هم فيه من الهم وسوء الحال لا يستطيعون فتح العين وانما ينظرون
من بعضها ونحوه على هذا التاويل ان يكون الطرف مصدرا اى من نظر خفى
وقال الزمخشرى من طرف خفى اى يبتدى نظرهم من تحريك لاجفانهم ضعيف
خفى بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف وهكذا نظر الناظر الى المكاره
لا يقدرون ان يفتحوا اجفانهم عليها ويملوا عيونهم منها كما يفعل فى نظره الى المحاب
وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة
الا ان الظالمين فى عذاب مقيم وما كان لهم من اوليا ينصرونهم من دون الله
ومن يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا لربكم من قبل ان ياتى يوم لا مرد له من الله
ما لكم من ملجا يومئذ وما لكم من نكير فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان
عليك الا البلاغ وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة
بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور لله ملك السموات والارض يخلق ما يشا
يهب لمن يشا اناثا ويهب لمن يشا الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من
يشا عقيما انه عليم قدير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من ورا حجاب
او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشا انه علي حكيم وكذلك اوحينا اليك روحا
من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من
نشا من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات
وما فى الارض الا الى الله تصير الامور والظاهر ان وقال ماض لفظا
ومعنى اى وقال الذين امنوا فى الحيوة الدنيا ويكون يوم القيامة معمولا لخسروا
ويحتمل ان يكون معنى وقال ويقول فى يوم القيامة معمولا لو يقول اى ويقول

في ذلك اليوم لما عاينوا ما حل بالكفار وان الظالمين الذين كانوا اهلهم في
الدنيا فان كانوا معهم في النار فقد خسروهم اذ لا ينتفعون بهم وان كانوا
في الجنة لكونهم كانوا مؤمنين كآسية امراة فرعون فهم لا ينتفعون بهم ايضا
وقيل اهلوهم ما كان اعد لهم من الحور لو كانوا امنوا والظاهر ان قوله الا
ان الظالمين في عذاب مقيم من كلام المؤمنين وقيل استئناف واخبار
من الله تعالى من قبل ان ياتي يوم ورود الموت والظاهر انه يوم القيامة ومن
الله يتعلق بمحذوف يدل عليه لا مرد اي لا يرد ذلك اليوم من ما حكم الله به فيه
وقال الزمخشري من الله من صلة لا مرد اي لا يرده وليس بجيد اذ لو كان
من صلته لكان معمولا له فكان يكون اسمها من شبه المطول فكان يكون
معربا منونا وقيل من الله يتعلق بقوله ياتي من قبل ان ياتي من الله يوم لا مرد
احد على الرد ما لكم من ملجا تلجئون اليه فتخلصون من العذاب وما لكم من انكار
شيء من اعمالكم التي توردكم النار والنكير مصدر انكر على غير قياس وقيل
ان يكون اسم فاعل للمبالغة وفيه بعد لانه نكير معناه ولم يعرفوا اعرضوا
الاية تسلية للرسول وتانيس له وان البلاغ عليك وان الانسان يراد به الجنس
ولكن الكلام ان تصبهم سيئة وجاء جواب الشرط فان الانسان ولم يات
فانه ولا فانهم ليدل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان
ان الانسان لظلوم كفار ان الانسان لربه لكنود ولما ذكر انه ينقله
النعم اتبع ذلك بانه له ملك العالم العلوي والسفلي وانه يفعل ما يريد ونبه
على عظم قدرته ان الكائنات ناشئة عن ارادته فذكر انه يهب لبعض اناثا
ولبعض ذكورا ولبعض الصنفين ويعقم بعضا فلا يولد له قال ابن اسحق
ابن بشر نزلت هذه الاية في الانبياء ثم عمت فلوط ابو بنات لم يولد له
ذكر وابراهيم بنين ومحمد صلى الله عليه وسلم ولد له الصنفان
ويحيى عقيم انتهى وذكر ايضا مع لوط شعيب ومع يحيى عيسى وقدم تعالى
هبة الاناث تانيسا بهن وتشريفا لهن ليتحقق بصونهن والاحسان
اليهن وفي الحديث من ابتلي من هذه البنات فاحسن اليهن كن له سترا

من النار وقال واثلة بن الاسقع من يمن المراة تبكيرها بالانثى قبل الذكر لان
الله تعالى بدا بالاناث وقال الزمخشري فان قلت لم قدم الاناث على الذكر
مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر الاناث قلت
لانه ذكر البلاء في اخر الاية الاولى وكفران الانسان بنسيانه الرحمة
السابقة عنده ثم ذكره بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الاولاد فقدم
الاناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الانسان اهم والاهم احق بالتقديم
وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء واخر الذكور فلما اخرهم
لذلك تدارك تاخيرهم وهم احقاء بالتقديم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير
كانه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون
عليكم ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حظه من التقديم والتاخير وعرف ان
تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضى اخر فقال ذكرانا واناثا كما قال
انا خلقناكم من ذكر وانثى فجعله من الزوال الفرح وقيل ليعلم انه لا اعتراض
على الله فيمن رضي فيما وهب له الذكر علم انه زيادة وفضل من الله واحسان
اليه وقدمها تنبيها على انها اذا كان العجز والحاجة اليهم كانت عناية
الله اكثر وقال مجاهد والضحاك والحسن وابو مالك وابو عبيدة اناثا لا ذكور
معهن وذكورا لا اناث معهم وقال القتبي التزويج الجمع بين البنين والبنات
وقال مجاهد هو ان تلد المراة غلاما ثم جارية وقال محمد بن الحنفية ان
تلد توءما غلاما وجارية وقال ابو بكر بن العربي ومن وهم ذكرانا واناثا قال
علماونا يعني ادم كانت حواء تلد له في كل بطن توامين ذكرا وانثى ويزوج
ذكر هذا البطن انثى البطن الاخر انتهى ولما ذكر الهبة في الاناث والهبة
في الذكور اكتفى عن ذكرها في قوله او يزوجهم ذكرانا واناثا ولما كان
العقم ليس بمحمود قال ويجعل من يشاء عقيما وهو قسم لمن لا يولد له ولما كانت
الحمى ما يجري بوجوده لم يذكر تعالى فيه لفظ وكانت الحلقة مستمرة
ذكرا وانثى الى انه وهو في الجاهلية الاولى فقيل فارس العرب ونجمها
عامر بن الطفيل عن امراته لم يوروها يقول وارثا هو فلما خرج عليه الليل حبل

يتغلب ويذهب به الأفكار وأنكرت حاله فسألته فقال أشهرت
لأمر لا أدري ما أقول فيه فقالت له ما هو فقال يحضر له ذكر ومرح كمعنا
يكون حاله في المرآة قالت له الأمة كوزنه من حيث تقول ويعقلها
واصح فعرضها عليهم فرضوا بها وجاء الإسلام على ذلك ومضى بذلك على
كرم وجهه أنه علم بمصالح العباد فقرر على نحو ما نشأ كان من الكفار
خوض في معنى قولهم موسى فنزلت فرقة من اليهود في ذلك إلى المحتشم فقالوا
وقالوا لمحمد ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا صادقا كما كلمه
موسى ونظر إليه فقال لهم الرسول عليه السلام لم ينظر موسى إلى الله فنزلت
وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا يأتي بالصوت يكلم عيانا أو أتى بها
سمعي ولا [illegible] إلا يوحى إليه أحد بوجه الوحي من الإلهام قال
مجاهد والنفث في القلب قال ابن عباس أو رؤيا في المنام وقال الجعفي [illegible] الإنسان
من تخلد له في الأرض أو بأن يسمعه كلامه دون أن يعرف هو المتكلم
جهة ولا حد كموسى عليه السلام وهذا معنى من وراء حجاب أي من خفاء عن
المتكلم لا يحده ولا يتصور بذهنه عليه وليس كالحجاب في الشاهد أو يأتي برسل
إليه ملكا يشاء فهذا يوحي الله تعالى قاله ابن عطية وقال الزمخشري وما صح لأحد
من البشر أن يكلمه الله إلا على ثلاثة أوجه إما على طريق الوحي وهو الإلهام والقذف
في القلب أو المنام كما أوحى إلى أم موسى وإلى إبراهيم عليهما السلام في ذبح ولده
وعن مجاهد أوحى الله الزبور إلى داود عليه السلام في صدره وقال عبيد بن الأبرص

وأوحى إلي الله أن قد تأمروا بإبل أبي أوفى فقمت على رحل

أي ألهمني وقذف في قلبي وأما على أن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام
من غير أن يبصر السامع من يكلمه لأنه في ذاته غير مرئي وقوله من وراء حجاب
مثل أي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته
ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة وأما على أن يرسل إليه رسولا
من الملائكة فيوحي إليه الملك كما كلم الأنبياء غير موسى انتهى وهو على طريق
المعتزلة في استحالة رؤيته الله تعالى وبعض الكلام الحفي عن الله تعالى

وكل

وكل هذه الأقسام الثلاثة يصدق عليها أنها وحي وخص الأولى باسم الوحي هنا
لأن ما يقع في القلب على سبيل الإلهام يقع دفعة واحدة فكان تخصيص لفظ
الوحي به أولى قوله وحيا كما أوحى إلى الرسل بواسطة الملائكة أو
يرسل رسولا أي نبيا كما كلم أمم الأنبياء على ألسنتهم حكاه الزمخشري وبدأ
بتفسير أو من وراء حجاب ومعناه في هذا القول كما كلم محمدا وموسى صلى الله عليهما
وقرأ الجمهور حجاب مفردا وابن أبي عبلة حجب جمعا والجمهور أو يرسل رسولا فيوحي
بنصب الفعلين عطفا ويرسل على المضمر الذي يتعلق به من وراء حجاب تقديره
أو يكلمه من وراء حجاب وهذا المضمر معطوف على وحيا والمعنى إلا بوحي أو إسماع
من وراء حجاب أو إرسال رسول فيوحي ذلك الرسول إلى النبي الذي أرسل عنه
بإذن الله ما يشاء ولا يجوز أن يعطف أو يرسل على أن يكلمه الله لفساد المعنى
قال الزمخشري وحيا وأن يرسل مصدران واقعان موقع الحال
لأن أو يرسل في معنى إرسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال أيضا كقوله
على جنوبهم والتقدير وما صح أن يكلم أحدا إلا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب
أو مرسلا انتهى أما وقوع المصدر موقع الحال فلا ينقاس وإنما قالته
العرب ولذلك لا يجوز جاء زيد بكاء يريد باكيا وما سمع منه المبرد ما كان نوعا
للفعل نحو جاء زيد مشيا أو سرعة ومنع س أن يقع أن والفعل المقدر بالمصدر
موقع الحال فلا يجوز جاء زيد أن يضحك في موضع ضحكا الواقع موقع ضاحكا
فجعله وحيا مصدرا في موضع الحال مما لا ينقاس وأن يرسل في معنى إرسالا
الواقع موقع مرسلا ممنوع بنص س وقرأ نافع وأهل المدينة أو يرسل رسولا
فيوحي بالرفع فيما يخرج على إضمار هو أي هو يرسل أو على ما يتعلق به من وراء
تقديره أو يسمع من وراء حجاب ووحيا مصدر في موضع الحال عطف عليه ذلك
المقدر المعطوف عليه أو يرسل والتقدير إلا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب
أو مرسلا وإسناد التكليم إلى الله تعالى لكونه أرسل رسولا مجازا كما تقول
نادى الملك في الناس بكذا وإنما نادى الدائر في الأسواق فنزل ما كان
بواسطة منزلة ما كان بغير واسطة قال ابن عطية وفي

هذه الآية ولتشتمل على أن الرسالة من أنواع الكلام وأن الخالق المرسل جاز أن
خلقه انعلا بكلم أنبيائه ما رسل الله وهو إرسال المشافهة وقد تمسك بها من نفى عنه
من صفات المخلوقين حكم يجري أفعاله على ما تقتضيه الحكمة بواسطة وتكلم بواسطة
وبغير واسطة وكذلك أوحيناه أي مثل ذلك الإيحاء الفصل أوحينا إليك
إذ كان عليه السلام اجتمعت له الطرق الثلاث النفث في الروع والمنام وتكليم
الله له حقيقة ليلة الإسراء وإرسال رسول إليه وهو جبريل وقيل
كما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك أوحينا إليك روحا من أمرنا قال ابن عباس الحسن
وقتادة السدي الوحي وقال نعمان رحمه وقال الكلبي كتابا وقال الربيع جبريل
وقيل القرآن وسمي ما أوحي إليه روحا لأن به الحياة من الجهل وقال مالك
ابن دينار يا أهل القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم فإن القرآن ربيع القلوب
كما أن الغيث ربيع الأرض ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان موقف
على عظم المنة وهو صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بها [illegible] ولا الإيمان على ما
الكتاب وإنما معناه الإيمان الذي يدرك بالسمع لأن لنا أشياء من الإيمان لا تعلم
إلا بالوحي أما توحيد الله تعالى وبراءته من النقائص ومعرفة صفاته العلى فجميع
الأنبياء عليهم السلام عالمون بذلك معصومون أن يقع منهم ذلك في شيء من الله
[illegible] لهم علم ذلك قبل أن يوحى إليهم وقد أطلق الإيمان على الصلاة في قوله وما
كان الله ليضيع إيمانكم إذ هي بعض ما يتناوله الإيمان ومن طالع سير الأنبياء
من نشأتهم إلى مبعثهم تحقق عنده أنهم معصومون من كل نقيصة موحدون
لله منذ نشؤوا قال الله تعالى في حق يحيى عليه السلام وآتيناه الحكم صبيا قال معمر
كان ابن سنتين أو ثلاث وعن أبي العالية ما كنت تدري قبل الوحي
أن تقرأ القرآن ولا كيف تدعو إلى الإيمان وقال القاضي ولا الإيمان الفرائض
والأحكام قال وقد كان قبل مؤمنا بتوحيد الله ثم نزلت الفرائض التي لم يكن
يدريها قبل فزاد بالتكليف إيمانا وقال الزمخشري يجوز إطلاق الإيمان على
تفاصيل الشرع وقال الحسين بن الفضل هو على حذف مضاف أي ولا أهل
الإيمان أي من الذي يؤمن أبو طالب أو العباس أو غيرهما وقال علي بن عيسى إذ

كنت

كنت في المهد وقيل ما الكتاب لولا إنعامنا عليك ولا الإيمان لولا هدايتنا
لك وقيل أي كنت من قوم أميين لا يعرفون الكتاب ولا الإيمان فتكون أخذت
ما جئتهم به عمن كان يعلم ذلك منهم ما الكتاب جملة استفهامية مبتدأ
وخبر وهي في موضع نصب بتدري وهي معلقة ولكن جعلناه نورا الظاهر أن يعود
إلى قوله روحا وإلى الكتاب وإلى الإيمان [illegible] على الكتاب [illegible] وقيل يعود
له الإيمان [illegible] مقصدهما واحد فهو نظير والله ورسوله أحق أن يرضوه
وقرأ الجمهور لتهدي مضارع هدى مبنيا للفاعل وحوشب مبنيا للمفعول فهو
كقوله [illegible] اهدنا الصراط المستقيم وقرأ ابن السميقع لتهدي بضم التاء وكسر
الدال وقرأ الجحدري [illegible] صراط مستقيم قال علي هو القرآن
وقيل الإسلام ألا إلى الله تصير الأمور خبر بالمضارع والمراد به
الديمومة كقولك زيد يعطي ويمنع أي من شأنه ذلك ولا يراد به حقيقة المستقبل
أن جميع الأمور صائرة على الدوام إليه وقيل المراد به المستقبل أي مرجع أمور
جميع الخلق إليه تعالى يوم القيامة فيقضي بينهم بالعدل وخص ذلك بيوم القيامة
لأنه لا يمكن لأحد أن يدعي فيه لنفسه شيئا قال الفراء يعشو يعرض ويعشى
يعمى وقال ابن قتيبة [illegible] لم نر أحدا حكى عشوت عن الشيء أعرضت عنه وإنما
يقال تعاشيت عن كذا أي تغافلت عنه كأني لم أره وتقول عشوت إلى النار
إذا استدللت عليها ببصر ضعيف [illegible] يعشى إذا حصلت الآفة في بصره
[illegible] يعشى [illegible] العشى [illegible] لأنه [illegible] الأعرج
[illegible] العرجاء [illegible] عرج قال الحطيئة
متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد
أي تنظر إليها نظر العشى لما يضعف بصرك من عظم الوقود ومنه قول حاتم
أعشو إذا ما جارتي برزت حتى يواري جارتي الخدر
الصحفة قال الجوهري هي كالقصعة وقال الكسائي أعظم القصاع
الجفنة ثم القصعة تليها تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم المكيلة تشبع الرجلين
والثلاثة والصحيفة الكتاب والجمع صحف وصحائف اللوح [illegible] قال

وخطوب الاسير بولا عروق له وقال الاخفش الاسير بولا احرطوله وقيل كالاجرب
الا انه لا اذن له ولا مقبض وقال ابو منصور الجواليقي انما كان بغير عروة
ليشرب الشارب من اين شاء لان العروة ترد الشارب من بعض الجهات
انتهى وقال عدي

متكئا تصفق ابوابه يسعى عليه العبد بالكوب

ابرم قال الفرا ابرم الامر بالغ في احكامه وابرم الفاتل اذا اغار وهو الفتل
الثاني والاول يقال له سحيل كما قال زهير
من سحيل ومبرم   انتهى والابرام ان تجمع خيطين ثم تفتلهما فتلا
متقنا والسحيل خيط فتله لو ثاب

بسم الله الرحمن الرحيم حم

والكتاب المبين انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون وانه في ام الكتاب لدينا لعلي
حكيم افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين وكم ارسلنا من نبي في الاولين
وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون فاهلكنا اشد منهم بطشا ومضى مثل
الاولين ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي
جعل لكم الارض مهادا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السما
ما بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذي خلق الازواج كلها وجعل
لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا
استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا
لمنقلبون وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين ام اتخذ مما يخلق
بنات واصفاكم بالبنين واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا
وهو كظيم اومن ينشؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين هذه السورة مكية
وقال مقاتل الا قوله واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا وقال ابن عطية
مكية باجماع من اهل العلم انا جعلناه اي صيرناه او سميناه وهو جواب القسم وهو
من الاقسام الحسنة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد
ونظيره قول ابي تمام   وثناياك انها اغريض

وقيل

وقيل والكتاب اريد به الكتب المنزلة والضمير في جعلناه يعود على القران وان لم
يتقدم لفظه لدلالة المعنى عليه وقال الزمخشري جعلناه بمعنى صيرناه معدى
الى مفعولين او بمعنى خلقناه معدى الى واحد كقوله وجعل الظلمات والنور
لعل مستعار لمعنى الارادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي اي خلقناه عربيا
غير عجمي ارادة ان تعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت اياته انتهى وقوله خلقناه
الاعتزال في كون القران مخلوقا وام الكتاب اللوح المحفوظ لانه اصل
الذي اثبتت فيه الكتب وتقرا فيه نسبته للقران وترفع لكونه لدينا علينا
على جميع الكتب وعاليا عن وجوه الفساد حكيما اي حاكما على سائر الكتب
او محكما في غاية البلاغة والفصاحة وصحة المعاني قال قتادة وعكرمة والسدي
اللوح المحفوظ القران فيه باجمعه منسوخ ومنه كان جبريل ينزل وقيل ام الكتاب
الايات المحكمات لقوله هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات
هن ام الكتاب ومعناه ان سورة حم واقعة في الايات المحكمات التي هي
الام وقرا الجمهور في ام بضم الهمزة والاخوان بكسرها وعزاها ابن عطية ليوسف
ابن عمر والى العراق قال لعزها للاخوين غفلة منه افنضرب عنكم الذكر اضرب
عنه اذا اعرض عنه والذكر قال الضحاك وابو صالح القران اي افنزيل عنكم القران
من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض اي ذادها ونحاها قال

اضرب عنك الهموم طارقها

وقيل الذكر الدعا الى الله والتخويف من عقابه قال الزمخشري والفا للعطف
على محذوف تقديره انهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر على
خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وخلقه قرانا عربيا ليعقلوه ويعملوا بموجبه
انتهى وتقدير الكلام معه في تقديره فعلا بين الهمزة والفا في نحو افلم يسيروا
افلا يعقلون وبينها وبين الواو في نحو اولم يسيروا او كلما وان المذهب الصحيح
قول س والنحويين ان الفا والواو منوي بهما التقديم لعطف ما بعدهما
على ما قبلها وان الهمزة تقدمت لكونها لها صدر الكلام ولا
حذف بين الهمزة والحرف وقد رددنا عليه قوله وقال ابن عباس ومجاهد المعنى

افنترك تذكيركم وتخويفكم عفوا عنكم من اجرامكم اذ كنتم او من اجل ان كنتم قوما مسرفين
اي هذا لا يصلح وكذا قال الى ان المعنى صفحا اي معرضين عنه اي نوليكم ظهورنا لا تؤمرون
تقولوا به ولا تدعون ولا تنهون عنه وهذا منظور قول الشاعر

تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضا ويصدع قلبي ان يهب هبوبها

وقال كثير

صفوحا فما تلقاك الا بخيلة فمن مل منها ذلك الوصل ملت

وقال ابن عباس ايضا المعنى احسبتم ان نصفح عنكم ولما تفعلوا ما امرتم به وقال
الكلبي ان نترككم هملا بلا امر ولا نهي وقال مجاهد ايضا ان لا نعاقبكم بالتكذيب
وقيل ان نترك الانزال للقرآن من اجل تكذيبكم وقرا حسان بن عبد الرحمن الضبعي
والسميط بن عمير وشبيل بن عزرة صفحا بضم الصاد والجمهور بفتحها وهما لغتان كالسد
والسد وانتصاب صفحا على انه مصدر من معنى افنضرب لان معناه افنصفح
او مصدر في موضع الحال اي صافحين قاله الحوفي وتبعه ابو البقاء وقال الزمخشري
وصفحا على وجهين اما مصدر من صفح عنه اذا اعرض منتصب على انه مفعول
له على معنى افنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم واما بمعنى الجانب
من قولهم نظر اليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى افننحيه عنكم جانبا فينتصب
على الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش جانبا وتعضده قراءة من قرأ صفحا بالضم
وفي هذه القراءة وجه آخر وهو ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح وينتصب
على الحال اي صافحين معرضين وقال ابن عطية صفحا انتصابه كانتصاب صنع الله
انتهى يعني انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة فيكون العامل فيه محذوفا
ولا يظهر هذا الذي قاله وليس انتصابه انتصاب صنع الله وقرأ نافع والاخوان
ان بكسر الهمزة واسرافهم كان متحققا فكيف دخلت عليه ان الشرطية التي لا
تدخل الا على غير المتحقق او ما ينزل منزلته كما تقول ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم
بذلك ولكنه يخيل في كلامه ان تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في
الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له وقرا الجمهور ان بفتح الهمزة اي من اجل ان كنتم
قال
اتجزع ان بان الخليط المودع

وقرا

وقرا زيد بن علي اذ كنتم بذال مكان النون لما ذكر خطابا لقريش افنضرب عنكم الذكر
وكان هذا الانكار دالا على تكذيبهم الرسل وانكار ما جاء به سلاه تعالى بان عادتهم
عادة الامم السابقين في استهزائهم بالرسل وانه تعالى اهلك من كان اشد بطشا من
قريش اي اكثر عددا او عددا وخطرا ومضى مثل اي قصتهم في ان نحلهم مثل ما
حل بالاولين يعني المرسل من العقوبة قال معناه قتادة وقيل العقوبة التي سارت
سائرة سير المثل فهي مثل الاولين في الكفر والتكذيب وقريش سلكت مسلكهم
وكان مقبلا عليهم بالخطاب في قوله افنضرب عنكم فاعرض عنهم الى اخبار الغائب
في قوله فاهلكنا اشد منهم بطشا ولئن سألتهم احتجاج على قريش بما يوجب التناقض وهو
اقرارهم بان موجد العالم العلوي والسفلي هو الله ثم هم يتخذون اصناما الها من دون
الله يعبدونهم ويعظمونهم قال ابن عطية ومقتضى الجواب خلقهن الله
فلما ذكر تعالى المعنى جاءت العبارة عن الله تعالى بالعزيز العليم ليكون ذلك توطية
لما عدد بعد من اوصافه التي ابتدأ الاخبار بها وقطعها من الكلام الذي حكى معناه عن
قريش انتهى وقال الزمخشري ليسندن خلقها الى الذي هذه اوصافه وليسندنه
اليه انتهى والظاهر ان خلقهن العزيز العليم نفس المحكي من كلامهم ولا يدل كونهم
ذكروا في مكان خلقهن الله انهم لا يقولون في سؤال اخر خلقهن العزيز العليم والذي
جعل لكم من كلام الله خطابا لهم بتذكيرهم النعم السابقة وتكرر الفعل في الجواب
في قولهم خلقهن العزيز العليم مبالغة في التوكيد عما في السؤال فنصوا على ذكر
اسم الله اذ هو العلم الجامع للصفات العلى وجاء الجواب مطابقا للسؤال من حيث المعنى
لا من حيث اللفظ لان من مبتدأ فلو طابق في اللفظ كان بالاسم مبتدأ او ان كان
بالفعل لعلكم تهتدون اي الى مقاصدكم في السفر او تهتدون بالنظر والاعتبار
بقدر اي بقضاء وحتم في الازل او بمقدار لا كثيرا فيفسد ولا قليلا فلا يجزي عيسى
فانشرنا احيينا به بلدة ميتا ذكر على معنى القطر والبلد اسم جنس وقرا ابو جعفر و
ميتا بالتشديد وقرا الجمهور يخرجون مبنيا للمفعول وابن وثاب وعبد الله بن جبير
المصبح وعيسى وابن عامر زوج معروف ... وسما ربيع وخريف وكونها
ازواجا يدل على انها ممكنة الوجود ويدل على ان محدثها فرد وهو الله المنزه عن الضد

والممالك والمعارض ... والانعام المعهود انما لا يركب من الانعام الا الابل ما تركبون

والعائد محذوف اي ما تركبونه وتركب بالنسبة للفلك يتعدى بنفسه كقوله فاذا ركبوا

في الفلك ويتعدى بالى بل بنفسه غلبت المتعدي بنفسه على المتعدي بوساطة في اذا

التقدير ما تركبونه واللام في لتستووا الظاهر انها لام كي وقال الحوفي ومن اثبت

لام الصيرورة جاز له ان يقول به وقال ابن عطية لام الامر وفيه بعد من حيث

استعمال امر المخاطب بتاء الخطاب وهو من القلة بحيث ينبغي ان لا يقاس عليه فالفصيح

المستعمل اضرب وقرئ لتضرب بل نص النحويون على انها لغة رديئة قليلة

اذ لا يكاد يحفظ الا قراءة شاذة فبذلك فلتفرحوا بالتاء الخطاب وما اثر المحدثون من

قوله عليه السلام لتاخذوا مصافكم مع احتمال ان الراوي بالمعنى وقول الشاعر

لتقم انت يا ابن خير قريش فتقضي حوائج المسلمينا

وزعم الزجاج انها لغة جيدة وذلك خلاف ما زعم النحويون والضمير في ظهوره عائد على ما

كانه قال على ظهور ما تركبون قاله ابو عبيدة فذكر الضمير لان ما لفظه لفظ مفرد ومعنى

ثم جمع فباعتبار المعنى ومن افرد فباعتبار اللفظ ويعني من الفلك والانعام قال الفراء

نحو امنه قال اضاف الظهور الى واحد وفيه معنى الجمع بمعنى الجنس فلذلك جمع الظهور

ثم تذكروا اي في قلوبكم نعمة ربكم معترفين بها مستعظمين لها لا ان يراد الذكر باللسان

بل بالقلب ولذلك قال بعده وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا اي تنزهوا

الله بصريح القول وجاء في الحديث انه عليه السلام كان اذا وضع رجله في الركاب

قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان

الذي سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا اذا ركب

في السفينة قال بسم الله مجراها الى رحيم ويقال عند النزول منها اللهم انزلنا منزلا مباركا

وانت خير المنزلين والمقرن الغالب الضابط المطيق للشيء يقال اقرن الشيء اذا

اطاقه قال ابن هرمة ٤٠

واقرنت ما حملتني ولقلما يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر

وحقيقته اقرنه وجده قرينته وما يقرن به لان الصعب لا يكون قرينة الضعيف قال

وابن اللبون اذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

والقرن

والقرن الحبل الذي يقرن به وقال ابو عبيدة فلان مقرن لفلان اي ضابط له و

المعنى انه ليس لنا من القوة ما نضبط به الدابة والفلك وانما الله هو الذي

سخرها وانشد قطرب لعمرو بن معدي كرب

لقد علم القبائل ما عقيل لنا في النائبات بمقرنينا ٤٠

وقرئ لمقترنين اسم فاعل من اقترن وانا الى ربنا لمنقلبون اي راجعون وهو اقرار

بالرجوع الى الله بالبعث لان الراكب في مظنة الهلاك بالغرق اذا ركب الفلك

وبعثور الدابة اذ ركوبه امر فيه خطر ولا يؤمن السلامة فيه فقوله هذا انه

بانه مستشعر الصيرورة الى الله ومستعد للقائه فهو لا يترك ذلك من قلبه

ولا لسانه وجعلوا له اي وجعل كفار قريش والعرب له اي لله من عباده اي مما

هو عند الله جزءا قال مجاهد نصيبا وحظا وهو قول العرب ان الملائكة بنات الله

وقال قتادة جزءا اي ندا وذلك الاصنام وفرعون ومن عبد من دون الله وقيل الجزء

الاناث قاله بعض اللغويين يقال اجزأت المرأة اذا ولدت انثى قال الشاعر

ان اجزأت حرة يوما فلا عجب قد تجزئ الحرة المذكار احيانا

وقيل هذا البيت مصنوع وكذا قوله

زوجتها من بنات الاوس مجزئة ٤٠

ولما ادعوا انهم معترفون بانه تعالى خالق العالم انكر عليهم جعلهم لله جزءا فقد

اعترفوا بانه هو الخالق فكيف وصفوه بصفة المخلوق ان الانسان لكفور نعمه

خالقه مبين مظهر للجحود والمراد بالانسان من جعل لله جزءا وعبر به عن بني

الكفرة قال ابن عطية ومن تخرج هذا الموضع عن منقولات ... ليس بمعنى ما ذكر

النحويون ان تكون بمعناه ظاهر القرآن ويظهر الجحود كما ... ام اتخذ مما يخلق

بنات استفهام انكار وتوضيح لقلة عقولهم كيف نحوا انه تعالى اتخذ لنفسه

ما انهم يكرهونه حتى انهم تسود وجوههم عند البشرى به ... اصفاكم

جعلكم صفوة ما هو محبوب وذلك البنون وقوله مما يخلق تنبيه على استحالة الولد

ذكرا كان او انثى ولو فرض اتخاذ الولد فكيف يختار له الادنى ويخصكم بالاعلى

وقدم البنات لانه المنكر عليهم نسبتهن الى الله وعرف البنات دون البنين تشريفا

لهم على البنات فاذا اسود احدهم بعدم يعسر نظرها في شؤون التحلي او من ينشؤا في الحليه
اي يتربى في الحليه خالا لحالا في الحليه وهو الحلي الذي لا يليق الا بالاناث دون الفحول
لتزينهن بذلك لازواجهن وهو ان حاجها ليس اصعب العقل ونقص الدين والتامل
لظهر بهذا الحصر فهن وسعوف السن عليهن وكان في ذلك اشارة الى الرجال
بما يسبب له التزين كالمراه وان يكون متحشوشا والعفة من الرجال باي ان
يكون متصفا بصفات النسا والظاهر انما اراد من ينشؤا في الحليه النسا وقال ابن
عباس ومجاهد وقتاده والسدي ويدل عليه قوله وهو في الخصام غير مبين اي لا نظهر
حجه ولا يفهم دليله ولا يكشف عما في نفسه كشفا واضحا ويقال قلما تحكم امراه الا
يفسد الكلام ويخلط المعاني وحكي عن بعض الناس انه قال اذا دخلنا على ولاية
لا يحتج حتى يعلم ان عقلها عقل امراه وقال ابن زيد المراد من ينشا في الحليه الاصنام
وكانوا يتخذون كثيرا منها من الذهب والفضه ويحلون الحلي على كثير منها ويبعد
هذا القول قوله وهو في الخصام غير مبين الا ان ارتد بنسبي الابانه نفي الخصام اي
لا يكون منها خصام ولا ابانه كقوله على لاحب لا يهتدي بمناره
اي لا منار له فيهتدي به ومن في موضع نصب اي وجعلوا من ينشا ويجوز ان يكون
في موضع رفع على الابتدا او ومن ينشوا جعلوه لله تعالى وقرا الجمهور ينشا مبنيا للفاعل
والجحدري في قوله مبنيا للمفعول مخففا وابن عباس وزيد بن علي والحسن ومجاهد
والجحدري في روايه والاخوان وحفص والمفضل وابان وابن مقسم وهرون عن
ابي عمرو مبنيا للمفعول مشددا المناشاه بمعنى الانشا كالمغالاه بمعنى الاغلاء وفي الخصام
متعلق بمحذوف تقديره وهو لا يبين في الخصام ومن اجاز
ايلن بدعو صادرت باعمال المضاف اليه غير اجاز ان يتعلق بمبين واجري غير مجرى
لا وتقدم معمول ما بعد لا مختلف فيه وقد تقرر ذلك في النحو وجعلوا الملائكه
الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم
ويسالون وقالوا لو شا الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون ام
اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امه وانا على
اثارهم مهتدون وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قريه من نذير الا قال مترفوها

انا وجدنا اباءنا على امه وانا على اثارهم مقتدون قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه
اباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين
واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني برا مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين
وجعلها كلمه باقيه في عقبه لعلهم يرجعون بل متعت هولا واباءهم حتى جاءهم الحق
ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا
القران على رجل من القريتين عظيم اهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحيوه الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمه
ربك خير مما يجمعون لم يكفهم ان جعلوا لله ولدا وجعلوه اناثا وجعلوهم من الملائكه و
هذا من جهلهم بالله وصفاته واستخفافهم بالملائكه حيث نسبوا اليهم الانوثه
وقرا عمر بن الخطاب والحسن وابو رجا وقتاده وابو جعفر وشيبه
والاعرج والابان ونافع عند الرحمن ظرفا وهو ادل على رفع المنزله وقرب المكانه
كقوله ان الذين عند ربك وقرا عبد الله بن عباس وابن جبير وعلقمه وباقي السبعه
عباد الرحمن جمع عبد كقوله بل عباد مكرمون وقرا الاعمش عباد الرحمن جمعا وبالنصب
حكاها ابن خالويه قال وهي في مصحف ابن مسعود كذلك والنصب على اضمار فعل
اي الذين هم خلقوا عباد الرحمن او اتسموا عباد الرحمن وقال ابن عطيه وفي مصحف
ابن مسعود وجعلوا الملائكه عباد الرحمن اناثا وقرا عبد الرحمن مفردا ومعناه الجمع
لانه اسم جنس وقرا الجمهور اشهدوا بهمزه الاستفهام داخله على شهدوا ماضيا
مبنيا للفاعل اي احضروا خلقهم وليس ذلك من شهاده تحمل المعاني التي تطلب
ان تادي وقيل سالهم الرسول عليه السلام ما يدريكم انهم اناث قالوا سمعنا
ذلك من اباينا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم
ويسالون عنها في الاخره وقرا نافع بهمزه داخله على اشهدوا رباعيا مبنيا
للمفعول بلا مد بين الهمزتين والمسيبي عنه بمد عنه وعلي بن ابي طالب
وابن عباس ومجاهد وفي روايه ابو عمرو ونافع بتسهيل الثانيه بلا مد وجماعه
كذلك بمد بينهما وعن المفضل عن عاصم بتحقيقهما بلا مد والزهري وناس اشهدوا
بغير استفهام مبنيا للمفعول رباعيا فقيل المعنى على الاستفهام وحذفت الهمزه لدلاله

المعنى عليها وتبين الجملة صفة للاناث اي اناثا مشهدا فيهم خلقهم وهم لم يدعوا انهم شهدوا
خلقهم لكن لما ادعوا لجراءتهم انهم اناث صاروا كانهم ادعوا ذلك واشهادهم خلقهم
وقرا الجمهور اناثا وزيد بن علي انثا جمع الجمع وسئله معنى وجعلوا سموا وقالوا
والاحسن ان يكون المعنى وصيروا في اعتقادهم الملائكة اناثا وهذا الاستفهام فيه تهكم
بهم والمعنى اظهار فساد عقولهم وان دعاويهم مجردة من الحجة وهذا نظير الاية
الطاعنة على اهل التنجيم والطبائع ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق
انفسهم وقرا الجمهور ستكتب بالتاء من فوق مبنيا للمفعول شهادتهم
بالرفع مفردا والزهري كذلك الا انه بالياء والحسن كذلك الا انه بالتاء وجمع شهاداتهم
وابن عباس وزيد بن علي وابو جعفر وابو حيوة وابن ابي
عبلة والجحدري والاعرج بالنون مبنيا للفاعل شهادتهم على الافراد وفرقة
سيكتب بالياء مبنيا للفاعل اي الله شهادتهم بنصب التاء والمعنى انه ستكتب شهادتهم
على الملائكة بانوثتهم ويسألون وهذا وعيد وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم الضمير للملائكة
قاله قتادة ومقاتل في اخرين وقال مجاهد للاوثان علقوا انتفاء العبادة على المشيئة
لكن العبادة وجدت فما ذكره مجاهد للاوثان علقوا انتفاء العبادة على عدم المشيئة
فالمعنى انه شاء العبادة ووقع ما شاء وقد جعلوا الله لهم واحتسبوا انهم
وهم يعبدون غيره كلفه على انه يرضى ذلك دينا وتقدم الكلام على مثل هذه
الجملة في اواخر الانعام وفي الكلام حذف او مجاز يتواخى من ذلك فنعبد وفق
مشيئة الله ولهذا قال ما لهم بذلك من علم اي بما يترتب على عبادتهم من العقاب
ان هم الا يخرصون اي يكذبون وقيل الاشارة بذلك الى ادعائهم ان
الملائكة اناث الله وقال الزمخشري هما كفرتان مضمومتان الى الكفرات الثلاث
وهما عبادتهم الملائكة من دون الله وزعمهم ان عبادتهم بمشيئته كما يقول اخوانهم
المجبرة فجعل اهل السنة اخوان الكفرة عباد الرحمن ثم اورد سوالا وجوابا
على ما اجاز من مذهبه الاعتزال يوقف على ذلك في كتابه ولما نفى عنهم علم
ذلك بحقائقهم على عبادة غير الله اي ليس يدل على ذلك عقل نفى ايضا ان يدل على ذلك
سمع فقال ام اتيناهم كتابا من قبل نزول القران او من قبل انذار الرسول يدل على

تجويز

تجويز عبادتهم غير الله وانه لا يترتب على ذلك عقاب اذ هو وفق المشيئة فهم به
اي بذلك الكتاب مستمسكون في عبادة غير الله واسقاط الاثم على ذلك
ثم اخبر تعالى بانهم في ذلك مقلدون لاباءهم ولا دليل لهم من عقل ولا نقل
ومعنى على امة على طريقة ودين وعادة فقد سلكنا مسلكهم ونحن مهتدون في
اتباع اثارهم ومنه قول قيس بن الخطيم

كنا على امة اباءنا ويقتدي الاول بالاخر

وقرا الجمهور امة بضم الهمزة قال مجاهد وقطرب على ملة وقال الجوهري
والامة الطريقة والدين يقال فلان لا امة له اي لا دين ولا نحلة وقال

وهل يستوي ذو امة وكفور ٤٠

وتقدم الكلام في امة في قوله وادكر بعد امة وقرا عمر بن عبد العزيز ومجاهد
وقتادة والجحدري بكسر الهمزة وهي الطريقة الحسنة لغة في الامة بالضم
قاله الجوهري وقرا ابن عباس امة بفتح الهمزة اي على قصد وحال والخلاف
في الحرف كهو في الاول وذكر مقاتل ان الاية نزلت في الوليد بن المغيرة
وابي سفيان وابي جهل وعتبة وشيبة ابني ربيعة من قريش اي كما قال هؤلاء
قال مترفوها من قبلهم ايضا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك والمترف
المنعم اي بطرتهم النعمة فاثروا الشهوات وكرهوا مشاق التكليف وقرا الجمهور
قل على الامر وابن عامر وحفص قال على الخبر وقرا الجمهور جئتكم بتاء المتكلم وابي
وابو جعفر وشيبة وابن مقسم والزعفراني وابو شيخ الهنائي وخالد جئناكم
بنون المتكلمين والظاهر ان الضمير في قال او قل للرسول اي قل يا محمد
لقومك اتتبعون اباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من الدين الذي وجدتم عليه
اباءكم وهذا تجهيل لهم حيث يقلدون ولا ينظرون في الدلائل قالوا انا بما ارسلتم
اي انت والرسل قبلك غلب الخطاب على الغيبة فانتقمنا منهم بالقحط والقتل
والسبي والجلاء فانظر كيف كان عاقبة المكذبين وقال ابن عطية في قال
ضمير يعود على النذير وباقي الاية يدل على ان قراءة من قرا قل ليست بامر لمحمد
عليه السلام وانما هي حكاية لما امر به النذير وفي هذا الموضع كان شرطية

بمعنى ان كان بمعنى الاية او ان يحكم او ان ياتي بابين واوضح مما كان عليه اباؤكم
يتحمل الحاكم ونعلدكم فاجاب الكفار بجحد من الكلام المكذب به ما سبقا بها
كما كذبت لمحمد صلى الله عليه وسلم انتهى ولا يعني ما قاله بل الظاهر ما قدمناه
واذ قال ابراهيم وقومه ذكر العرب بحال جدهم الاعلى ونبههم على عدوانه بغير الله
وايثاره بالتوحيد والعيان منزلا لهم ليكون لهم رجوع الى دين جدهم اذ
كان اشرف ابائهم والمجمع على محبته وانه صلى الله عليه وسلم لم يقلد اباه في
عبادة الاصنام فينبغي ان يقتدوا به في ترك تقليد ابائكم الاقربين ويرجعوا الى
النظر واتباع الحق وبرا الجمهور قرؤا وهو مصدر يستوي فيه المفرد والمذكر
ومقابلهما تقال نحن البراء منك وهي لغة العالية وقرا الزعفراني والقورصي
عن ابي جعفر وابن المنادي عن نافع بضم الباء والاعمش بري وهي لغة نجد
ويثنى ويجمع ويؤنث وهو نحو طويل وطوال وكريم وكرام وقرا
الاعمش اني بنون مشددة دون نون الوقاية والجمهور انني بنونين الاولى
مشددة والظاهر ان قوله الا الذي فطرني استثناء منقطع اذ كانوا لا
يعبدون الله مع اصنامهم وقيل كانوا يشركون اصنامهم مع الله
في العبادة فيكون استثناء متصلا وعلى الوجهين فالذي في موضع نصب
واذا كان متصلا كانت ما شاملة من يعلم ومن لا يعلم واجاز الزمخشري
ان يكون الذي مجرورا بدلا من المجرور بمن كانه قال اني برا مما تعبدون
الا من الذي وان تكون الا صفة على ان ما في مما تعبدون نكرة موصوفة
تقديره اني برا من الهة تعبدونها غير الذي فطرني فهو نظير قوله لو كان
فيهما الهة الا الله لفسدتا انتهى ووجه البدل لا يجوز لانه انما يكون في غير
الموجب من النفي والنهي والاستفهام الا ترى انه يصلح ما بعد الا
لتفريغ العامل له واني من النفي والنهي والاستفهام والامر انه يصلح
ما بعد الا لتفريغ العامل له واني يترك له موجبه ولا يصلح ان يفرغ العامل
فيها الذي يصور له ما بعد الا وعن الزمخشري يكون ترك فيه معنى الانتفا
ومع ذلك فهو موجب لا يجوز ان يفرغ من قال يوصف بها النكرة والمعرفة

فعلى هذا يعني ما موصولة ويكون الا في موضع الصفة للمعرفة وجملة فطرني
في صلة الذي ينبه على انه لا يعبد ولا يستحق العبادة الا الخالق للعابد
فانه سيهدين اي يديم هدايته وفي مكان اخر الذي خلقني فهو يهدين فهو
هاديه في المستقبل والحال والضمير في جعلها المرفوع عائد على ابراهيم وقيل على الله
والضمير المنصوب عائد على كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله انني براء مما تعبدون
الا الذي فطرني وقال ابن عباس ومجاهد والسدي هي لا اله الا
الله وان لم يجر لها ذكر لان اللفظ يتضمنها وقال ابن زيد كلمة الاسلام لقوله
ومن ذريتنا امة مسلمة لك اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت هو سماكم المسلمين
من قبل وقرا حميد بن قيس كلمة بكسر الكاف وسكون اللام وقرئ في عقبه بسكون
القاف اي في ذريته وقرئ في عاقبه اي من عقبه اي خلفه ولا يزال فيهم من
يوحد الله ويدعوا الى توحيده لعلهم اي لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد
منهم وقرا الجمهور بل متعت بتاء المتكلم والاشارة بها الى قريش ومن كان
من عقب ابراهيم عليه السلام من العرب لما قال في عقبه قال تعالى فمتعت هؤلاء
بالنعم على كفرهم فلبسوا ممن يعقب كلمة التوحيد وقرا قتادة والاعمش بل
متعت بتاء الخطاب ورواها يعقوب عن نافع قال صاحب اللوامح وهي من مناجاة
ابراهيم عليه السلام ربه تعالى والظاهر انه من مناجاة محمد صلى الله عليه وسلم
اي قل يا رب بل متعت وقرا الاعمش متعنا بنون العظمة وهي تعضد قراءة الجمهور
حتى جاءهم الحق وهو القران ورسول مبين هو محمد صلى الله عليه وسلم وقال
الزمخشري فان قلت ما وجه من قرا بل متعت فقلت اليا قلت
كان الله تعالى اعترض على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون
فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى شغلهم
ذلك عن كلمة التوحيد واراد بذلك الاطناب في تعييرهم لانه اذا متعهم بزيادة النعم
وجب عليهم ان يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان
لا ان يشركوا به ويجعلوا له اندادا فمثاله ان يشكو الرجل اساءة من احسن
اليه ثم يقبل على نفسه فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك

وعرضه بهذا الكلام توبيخ المشركين على فعله فان قلت قد جعلت
مجي الحق والرسول غاية التمتيع اردفه بقوله ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر فما طريقة
هذا النظم ومؤداه قلت المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم
بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وعلا بل اشتغلوا عن التوحيد
حتى جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه الغاية انهم تنبهوا عندها عن غفلتهم
لاقتضائها التنبه ثم ابتدا قصتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم الحق جاءوا بما هو
شر من غفلتهم التي كانوا عليها وهو ان ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة
الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه والاصرار على افعال
الكفرة والاحتكام على حكمة الله في تخير محمد صلى الله عليه وسلم من اهل زمانه بقولهم
لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وهي الغاية في تشويه صورة
امرهم انتهى وهو حسن لكن فيه سمات الصنعة وقالوا لولا قريش كانوا قد
انكروا ان يرسل الله من البشر رسولا واستقر عندهم امر ابراهيم وموسى وعيسى
وغيرهم من الرسل صلى الله عليهم وسلم فلم يكن لهم في ذلك مدفع فاقضوا امر محمد
صلى الله عليه وسلم فقالوا لم كان محمدا ولم يكن القران نزل على رجل من
القريتين عظيم اشاروا الى من عظم قدره بالسن والقدم والجاه وكثرة
المال وقرى على رجل بسكون الجيم من القريتين اي من احدى القريتين وقيل من رجلي
القريتين وهما مكة والطائف قال ابن عباس والذي من مكة الوليد بن المغيرة
المخزومي ومن الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي وقال
مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل وقال قتادة الوليد بن
المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي قال قتادة بلغنا انه لم يبق فخذ من
قريش الا ادعاه وكان الوليد بن المغيرة يسمى ريحانة قريش وكان يقول
ما يقول محمد حقا نزل علي او على ابي مسعود يعني عروة بن مسعود وكان
يكنى ابا مسعود اهم يقسمون رحمة ربك فيه توبيخ وتعجب من جهلهم كانه قيل
على اختيارهم وارادتهم تقسم الفضائل من النبوة وغيرها وفي اضافته في
قوله رحمة ربك تشريف له صلى الله عليه وسلم وان هذه الرحمة التي حصلت

لك

لك ليست الا من ربك المصلح لحالك والمربيك ثم اخبر تعالى انه هو الذي قسم
المعيشة بينهم فلم يحصل لاحد الا ما قسمه الله تعالى له واذا كان تعالى
هو الذي تولى ذلك وفاوت بينهم وذلك في الامر الفاني فكيف لا يتولى ذلك
في الامر الخطير وهو ارسال من يشاء بما يشاء فليس لكم ان تتخيروا
من يصلح لذلك بل انتم عاجزون عن تدبير اموركم وقرا الجمهور معيشتهم
على الافراد وعبد الله والاعمش وابن عباس وسفيان معايشهم على الجمع
والجمهور سخريا بضم السين وعمرو بن ميمون وابن محيصن وابن ابي ليلى
وابو رجاء والوليد بن مسلم وابن عامر بكسرها وهو من التسخير بمعنى الاستعباد
والاستخدام ليرتفق بعضهم ببعض ويصلوا الى منافعهم ولو تولى كل واحد
جميع اشغاله بنفسه ما اطاق ذلك وضاع وهلك وبعد ان يكون سخريا
هنا من الهزء وقد قال به بعضهم اي يهزا الغني بالفقير وفي قوله نحن قسمنا تزهيد
في الانكباب على طلب الدنيا وعون على التوكل على الله تعالى وقال مقاتل
فاضلنا بينهم فمن رئيس ومرؤوس وقال قتادة تلقى ضعيف القوة قليل الحيلة
عي اللسان وهو مبسوط عليه وتلقى شديد الحيلة بسيط اللسان وهو مقتر
عليه وقال الشافعي

ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق

ورحمة ربك قيل النبوة وقيل الهداية والايمان وقال قتادة والسدي الجنة
خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا وفي هذا اللفظ تحقير للدنيا وما جمع فيها
من متاعها ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر
بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا
عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك
للمتقين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم
عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد
المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون
افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين فاما نذهبن بك

فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فاستمسك
بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف
تسألون واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن
آلهة يعبدون بين تعالى ان متاع الدنيا وطيباتها حقيرة خسيسة
عند الله اي ولولا ان يرغب الناس في الكفر اذا راوا الكافرين في سعة
وتنعم واجتمعوا على الكفر قال ابن عباس وقتادة والسدي
لاعطيناهم من زينة الدنيا كثيرا وكثيرا ولكنه تعالى اقتضت حكمته ان
يغني بعض الكافر والمؤمن قال ابن عطية واللام في لمن يكفر لام
الملك وفي لبيوتهم لام تخصيص كما تقول هذا الكساء لزيد لدابته اي هو
لدابته حتى ولزيد ملكه انتهى ولا يصح ما قاله لان لبيوتهم في لسان
اعيد معه العامل ولا يمكن من حيث تعويضه ان تكون اللام الثانية
الا بمعنى اللام الاول اما مختلف المدلول فلا والاولى في كلتيهما للتخصيص
قال الزمخشري لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز ان تكونا
بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه انتهى ولا ادري ما اراد بقوله
ويجوز الى اخره وقرا الجمهور سقفا بضمتين وابو رجاء بضم وسكون لغتان وهما
جمع سقف كرهن ورهن ورهن وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح السين والسكون
على الافراد قال الفراء جمع سقيفة وقرئ سقفا [illegible] لغة في سقف
وقرئ وسقوفا جمعا على فعول نحو كعب وكعوب وقرا الجمهور ومعارج جمع
معرج وطلحة ومعاريج جمع معراج وهي المصاعد الى العلالي عليها يظهرون
اي يعلون السطوح كما قال فما اسطاعوا ان يظهروه وقرا الجمهور
سررا بضم الراء وقرئ بفتحها وهي لغة لبعض تميم وبعض كلب وذلك في
جمع فعيل المضعف اذا كان اسما او صفة نحو ثوب جديد وثياب جدد
وحالة في سرر التحاف [illegible] الاسماء عطف على قوله سقفا من فضة ولا
يتعين ان يوصف المعاطف بكونها من فضة قال الزمخشري سقوفا
ومصاعد وابوابا وسررا كلها من فضة انتهى كانه يرى اشتراك المعاطف

في الوصف ما عطف عليه وزخرفا قال الزمخشري وجعلنا لهم زخرفا ويجوز
ان يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف يعني بعضها من فضة وبعضها
من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة انتهى والزخرف الذهب هنا قاله ابن عباس
والحسن وقتادة والسدي وفي الحديث اياكم والحمرة فانها من احب الزينة الى
الشيطان قال الحسن الحمرة من اشهر الزينة انتهى قال بعض شعرائنا

وصفت درعك من دما كاتم لما رايت الحسن يلبس احمرا

وقال ابن زيد الزخرف اثاث البيت وما يتخذ له من السرر والنمارق
وقال الحسن النقوش وقيل التزاويق والنقش وقرا الجمهور لما بفتح اللام وتخفيف
الميم فان مخففة من الثقيلة واللام الفارقة بين الايجاب والنفي وما زائدة
ومتاع خبر كل وقرا الحسن وطلحة والاعمش وعيسى وعاصم وحمزة بتشديد
الميم فان نافية ولما بمعنى الا وقرا ابو رجاء وابو حيوة لما بكسر اللام ومن خفف
على ان ما موصولة والعائد محذوف تقديره للذي هو متاع كقوله تماما على الذي
احسن في قراءة من رفع النون اي على الذي هو احسن وان في هذا الوجه هي
المخففة من الثقيلة وكل مبتدأ وخبره في المجرور اي وان كل ذلك لكائن
او لمستقر للذي هو متاع او خبره هي المخففة من الثقيلة كان الاستاذ
بالكلام بهذا الوجه فكان تكون الرحمة [illegible] لكنه قد يجوز حذف اللام
واللام اذا دل المعنى على ان هي المخففة من الثقيلة فلا يضطر الى ذكر
اللام الفارقة ومن ذلك قول الشاعر

ونحن اباة الضيم من آل مالك وان مالك كانت كرام المعادن

يريد لكانت ولكنه حذف لانه لا يتوهم في ان ان تكون نافية لان صدر البيت
يدل على المدح ويتعين ان تكون المخففة من الثقيلة والآخرة عند ربك للمتقين
اي ونعيم الآخرة وقرا الجمهور ومن يعش بضم الشين
اي يتعام ويتجاهل عن ذكره وهو يعرف الحق وقيل يقل نظره في شرع الله
ويغمض جفونه عن النظر في ذكر الرحمن والذكر هنا يجوز ان يراد به القرآن
ويجوز ان يكون مصدرا اضيف الى المفعول اي يعش عن ان يذكر الرحمن

وقال ابن عطية اي فيما ذكرناه ما المصدر مضاف الى الفاعل اي كانه
يريد الذكر الذي ذكره وقرأ يا ليت يحيى بن سلام والتميمي ومن يعش بفتح
الشين اي يعم من ذكر الرحمن في نحو القرآن كقوله صم بكم عمي وقرأ زيد بن
علي يعشو بالواو وقال الزمخشري على ان من موصوله غير مضمنة معنى الشرط
وحق هذا القارئ ان يرفع نقيض انتهى ولا يتعين ما قاله او يخرج هذه القراءة
على وجهين احدهما ان تكون شرطية ويعشو مجزوم بحذف الحركة تقديرا وقد
ذكر الاخفش انه في ذلك لغة لبعض العرب يحذفون حروف العلة للجازم والمشهور
عند النحاة ان ذلك يكون في الشعر لا في الكلام والوجه الثاني ان تكون من
موصوله وانجزم نقيض تشبيها للموصول باسم الشرط واذا كان ذلك مسموعا
في الذي وهو لم يكن اسم شرط قط فالاولى ان يكون فيما استعمل موصولا وشرطا

قال الشاعر ٤٠

لا تحفرن بئرا تريد اخا بها فانك فيها انت من دونه تقع
كذلك الذي يبغي على الناس ظالما يصبه على رغم عواقب ما صنع

انشده ابن الاعرابي وهو مذهب الكوفيين وله وجه من القياس وهو
انه كما شبه الموصول باسم الشرط فدخلت الفاء في خبره فكذلك تشبيه به في الجزم
الا ان دخول الفاء منقاس اذا كان الخبر مسببا عن الصلة بشروطه المذكورة
في علم النحو وهذا لا ينقاس وقرأ الجمهور نقيض بالنون وعلي والسلمي
والاعمش ويعقوب وابو عمرو بخلاف عنه وحماد عن عاصم وعصمة عن الاعمش
وعن عاصم والعليمي عن ابي بكر بالياء اي يقيض الرحمن وابن عباس نقيض
مبنيا للمفعول له شيطان بالرفع اي ييسر ويعد له وهذا عقاب على الكفر
بالختم وعدم الفلاح كما يقال ان الله يعاقب على المعصية بالمزيد من السيئات
وقال الزمخشري بعد كلام وكل نسبة وبين السلطان انتهى وهو على طريقة
الاعتزال والظاهر ان ضمير النصب في وانهم ليصدونهم عائد على من على المعنى
اعاد اولا على اللفظ في افراد الضمير ثم اعاد على المعنى والضمير في ليصدونهم عائد
على شيطان وان كان مفردا لانه مبهم في جنسه ولكل عاش شيطان

قرين فجاز ان يعود الضمير مجموعا وقال ابن عطية والضمير في قوله وانهم عائد على
الشيطان وفي ليصدونهم عائد على الكفار انتهى والاولى ما ذكرناه لتناسق
الضمائر وانهم وفي ليصدونهم السبيل طريق [illegible] اي سبيل الهدى والفوز
ويحسبون اي الكفار [illegible] وقرأ ابو جعفر وشيبة وقتادة والزهري والجحدري وابو
بكر والحرميان حتى اذا جاءانا على التثنية اي العاشي والقرين جعلا على لفظ من ولفظ
الشيطان القرين وان كان المعنى صالحا للجمع وقرأ الاعمش والاعرج وعيسى وابن
محيصن والاخوان وحفص جاءنا على الافراد والضمير عائد على لفظ من اعاد اولا
على اللفظ ونظير ذلك ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا اتى اولا [illegible] في قوله حالا [illegible]
[illegible] ومن جاء روي انهما يجعلان يوم البعث في سلسلة فلا يفترقان حتى
يصيرهما الله الى النار قال اي الكافر للشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
تمنى لو كان ذلك في الدنيا حتى لا يصده عن سبيل الله او تمنى ذلك في الآخرة وهو
الظاهر لانه جواب اذا التي للاستقبال اي يعني في التمني ابعد يوم من السنة
ومشرقها في الطول يوم قاله ابن السائب او بعد المشرق من المغرب على الجزء
نساهما كما قالوا العمران اي بكر وعمر والعمران في الشمس والقمر والموصلان
في الجزيرة والموصل والزهدمان في زهدم وكردم والعجاجان في رؤبة والعجاج
والابوان في الاب والام وهذا اختيار الفراء والزجاج ولم يذكر
الزمخشري غيره قال فان قلت ما بعد المشرقين قلت تباعدهما والاصل
بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية
اضاف البعد اليهما انتهى وقيل بعد المشرقين من المشرق والمغرب يركما المترص
وكانه في هذا القول يريد مشرق الشمس ومغربها فبئس القرين مبالغة
منه في ذم قرينه اذ كان سببا ايراده النار والمخصوص بالذم محذوف اي
فبئس القرين انت ولن ينفعكم اليوم حكاية حال يقال لهم يوم القيامة وهي
مقالة موحشة حرمتهم روح التاسي لانه وقفهم بها على انه لا ينفعهم التاسي لعظم
المصيبة وطول العذاب واستمرار مدته اذ التاسي راحة كل مصاب في الدنيا

في الاغلب الا ترى الى قول الخنسا

ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل اخي ولكن اعزي النفس عنه بالتاسي

فهذا التاسي قد كانوا ياسونه مثل النفس فنفى الله عنهم الانتفاع بالتاسي وفي
ذلك تعذيب لهم وياس من كل خير وفاعل لا ينفع الا على تقدير ان يكون الفاعل
ينفعكم انكم ومعمولا اي ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب اي لن يخفف عنكم اشتراككم
في العذاب واذا كان الفاعل في عذابه وهو حصر على ما بينهم من الكلام قبله
اي تمنيهما على القرب منه والدور منه ويكون انكم تعليلا لانتفاء اشتراككم في العذاب
كانكم مشتركون في سببه وهو الكفر وقال فهذا المعنى في لن ينفعكم
اليوم الاعتذار والندم لانكم وقرناؤكم مشتركون في العذاب كما اشتركتم في الكفر
في الدنيا وعلى كون الفاعل ... وهي قراءة الجمهور لا يستقيم الكلام بنفي
التاسي وقرى انكم بالكسر فيدل على اضمار الفاعل ويقويه حمل انكم بالفتح على التعليل
واليوم واذ طرفان فاليوم ظرف حال واذ ظرف زمان ماض اما ظرف الحال
فيقرب منه المستقبل لقربه منه او لتجوز في المستقبل كقوله فمن يستمع
الان وقول الشاعر شعر

سا سعا الايات ... ناهيا

واما اذ فماض لا يعمل فيه المستقبل فقال الزمخشري واذ بدل من اليوم
اي ولن ينفعكم اذ ظلمتم على معنى اذ تبين وصح ظلمكم ولم يبق لاحد ولا لكم شبهة في انكم
كنتم ظالمين ونظيره شعر

اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة

اي تبين اني ولد كريمة ولا يجوز فيه البدل على بقاء اذ على موضوعها من
كونها ظرفا لما مضى من الزمان فان جعلت لمطلق الوقت جاز ويجري على
البدل ... الزمخشري ... حين قال في سلبه انا ... وتحققه ... مرادا او احسن
ما حصل منه ان الدنيا والاخرة متصلتان وهما سوا في حكم الله وعلمه فيكون
اذ بدلا من اليوم حتى كانها مستقبلها وكان اليوم ماض او ... التعبير به

بعد

بعد اذ ظلمتم بحذف المضاف للعلم به وقيل اذ للتعليل حرفا بمعنى ان وقال الحوفي اليوم ظرف
متعلق بينفعكم ولا يجوز تعلق اذ بدلا منه لانهما ظرفا زمان بمعنى ... في المعنى ...
لا يمكن ان يجتمع قال ولا يصح ان تكون بدلا من الحين ولكن تكون اذ متعلقة بما دل عليه
المعنى كانه قال ولن ينفعكم اجتماعكم اذ ظلمتم قال وفاعل ينفعكم الاشتراك انتهى
فيصير اذ جملا او لا فاعل ينفعكم الاشتراك وقيل الفاعل محذوف وتقديره
ظلمكم او جحدكم وهو العامل في اذ لا ضمير الفاعل لانه ... فكان الكفار ... ما يقال
لهم وكانت ... يسمع ذلك ولا يزداد الا عتوا واعراضا وكان الرسول صلى
الله عليه وسلم يجتهد في تحصيل الايمان لهم خاطبه فقال تسلية له بانه ليس
يمكنه ان ... فلا يمكنك اسماعهم ... جاريا ولا يمكن ان تهديهم وانما ذلك
راجع اليه تعالى ولما كانت حواسهم لم ينتفعوا بها الانتفاع المحرك لخلاصهم
من عذاب الله جعلوا صما عميا حائرين ... فشابهوا الاوصاف
الثلاثة ولذلك عاد الضمير عليهم في قوله فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون
لهم ذكر الا في قوله افانت تسمع الصم الاية فالمعنى ان ... سل
... عليهم واما منهم ... كقوله او نرينك ... ما ... يرجعون
او نرينك الذي وعدناهم من العذاب ... فانا عليهم مقتدرون
اي هم في قبضتنا لا يفوتوننا وهذا قول الجمهور وقال الحسن ...
المتوعد به الا ... تعالى ... كما اسمع من الاسا
في حال ... موقعه ... عليه السلام في العين ...
... مع الخوارج وغيرهم ... بالموت ... تعالى
... عليه وسلم امر ان يستمسك بما اوحاه اليه وقرا
الجمهور اوحي مبنيا للمفعول وبعض قرا الشام باسكان ... مبنيا
للفاعل وانه اي وان ما اوحينا اليك لذكر لك ولقومك اي شرف حيث
نزل عليهم وبلسانهم وجعل سائر الناس تبعا لهم والقوم على هذا قريش والعرب
قال ابن عباس ومجاهد ... والسدي ... كان عليه السلام
يعرض نفسه على القبائل فاذا قالوا له لمن يكون الامر من بعدك سكت

حتى نزلت هذه الآية فكان اذا سئل عن ذلك قال لقريش فكانت العرب لا تقبل حتى
حتى قبله الانصار وقال الحسن القوم هنا امته والمعنى وانه لتذكرة وموعظة
وهذه الآية تدل على ان الانسان يرغب في الثناء الحسن والذكر الجميل ولو
لم يكن ذلك مرغوبا فيه ما امتن به تعالى على رسوله فقال وانه لذكر لك ولقومك
وقال ابراهيم عليه السلام واجعل لي لسان صدق في الآخرين والذكر الجميل قائم
مقام الحياة بل هو افضل من الحياة لان اثر الحياة لا يحصل الا في الحي واثر الذكر
الجميل يحصل في كل مكان وكل زمان اليه قال ابن دريد

وانما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى

وقال الآخر

انما الدنيا محاسنها طيب ما يبقى من الخبر

وذكروا ان هلاكو ملك التتار سأل اصحابه من الملك فقالوا له انت الذي دوخت
البلاد وملكت الارض وطاعت لك الملوك فقال لا الملك هذا وكان المؤذن
اذ ذاك يؤذن فقال الذي له من ستمائة سنة قد مات وهو يذكر على المنابر
في كل يوم خمس مرات يريد محمدا صلى الله عليه وسلم وسوف تسألون قال الحسن
عن شكر هذه النعمة وقال مقاتل المراد من كذب به تسأل سؤال توبيخ واسأل
من ارسلنا من قبلك من رسلنا قيل هو على ظاهره وان محمدا عليه السلام قال له
ليلة الاسراء حين ام بالانبياء واسأل من ارسلنا فلم يسألهم اذ كان اثبت يقينا
ولم يكن في شك وروى ذلك عن ابن عباس وابن جبير والزهري وابن زيد
الاعراب فكان قال جبريل هل سأل محمد عن ذلك فقال هو اعظم يقينا واوثق [illegible]
ايمانا من ان يسأل ذلك فقال ابن عباس والحسن ايضا ومجاهد وقتادة و[illegible]
وعطا ان اريد واسأل اتباع من ارسلنا وحملة شرائعهم اذ يستحيل سؤال الرسل
انفسهم وليسوا مجتمعين في الدنيا قال الفراء انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا
سألهم فكأنه سأل الرسل والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح الحقيقة
كثير منه مسائلة الشعر الاطلال الديار والاطلال ومنه سل الارض
من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حوارا اجابتك

اعتبارا

اعتبارا فالسؤال هنا مجاز عن النظر في اديانهم هل جاءت عبادة الاوثان قط في ملة
من ملل الانبياء والذي يظهر انه خطاب للسامع الذي يريد ان يفحص عن الديانات
فقيل له اسأل ايها الناظر اتباع الرسل اجاءت رسلهم بعبادة غير الله فانهم يخبرونك
ان ذلك لم يقع ولا يمكن ان يأتوا به واستبعد من ذهب الى ان المعنى واسألنا اذا ارسلنا
عن من ارسلنا وعلق واسأل فارتفع من وهو اسم استفهام على الابتداء وارسلنا خبره والجملة
في موضع نصب باسأل بعد اسقاط الخافض فكان سؤاله من ارسلت يا رب قبلي
من رسلك اجعلت في رسالته الهة تعبد ثم ساق السؤال فحكى المعنى فرد الخطاب
الى محمد في قوله من قبلك ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه
فقال اني رسول رب العالمين فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون وما نريهم من آية الا
هي اكبر من اختها واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك
بما عهد عندك اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون ونادى
فرعون في قومه قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون
ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا القي عليه اسورة من ذهب او
جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين
فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين مناسبة
هذه الآيات لما قبلها انه لما ذكر [illegible] طعن قريش على الرسول واحتقارهم
ان ينزل القرآن على رجل من القريتين عظيم اي في الجاه والمال ذكر انه مثل ذلك
سبقهم اليه فرعون في قوله اليس لي ملك مصر الى آخر الآية فحقر بالملك والمال
تعريضا [illegible] في ذلك ومع ذلك عصى فرعون فقهر واتبع موسى [illegible] ولذلك
قريش في ذلك والوجه الثاني انه لما قال واسأل من ارسلنا الآية ذكر قصة موسى
وعيسى وهما اكثر اتباعا ممن سبقهم من الانبياء وكل جاء بالدعاء الى الله لا الى
قريش فناسب ذكر قصصهما الآية التي قبلها وآيات موسى هي المعجزات التي
اتى بها وخص الملأ بالذكر وهم الاشراف لان غيرهم من التبع لهم فلما جاءهم
باياتنا قبله كلام محذوف تقديره فطالبوه بما يدل على صحة دعواه الرسالة من
الله فلما جاءهم باياتنا وهي انقلاب العصا ثعبانا ودعوها عصا واخراج اليد

بيضا نيرة وعودها الى لونها الاول اذا هم منها يضحكون اى فاجاوا الضحك لم يفكروا ولم
يتاملوا بل بمجرد ما راو ذلك ضحكوا سخرية واستهزاء كما كانت قريش تضحك قال
الزمخشري فان قلت كيف جاز ان يجاب لما باذا المفاجاة قلت
لان فعل المفاجاة معها مقدر وهو عامل النصب في محلها كانه قيل فلما جاءهم باياتنا
فاجاوا وقت ضحكهم انتهى ولا نعلم نحويا ذهب الى ما ذهب اليه هذا الرجل من
ان اذا الفجائية تكون منصوبة بفعل مقدر تقديره فاجا بل المذاهب فيها ثلاثة
مذهب انها حرف فلا تحتاج الى عامل ومذهب انها ظرف مكان فان صرح
بعدها بخبر للمبتدا كان ذلك الخبر عاملا فيها نحو خرجت فاذا زيد قائم
ومذهب انها ظرف زمان والعامل فيه الخبر ايضا كانه قال ففي الزمان
الذي خرجت فيه زيد قائم وان لم يذكر بعد الاسم خبر او ذكر منصوب على الحال
كانت اذا خبرا للمبتدا فان كان المبتدا جثة وقلنا اذا ظرف مكان كان
الامر واضحا وان قلنا ظرف زمان كان الكلام على حذف اى ففي الزمان حضور
زيد وما ادعاه الزمخشري من اضمار فعل المفاجاة لم ينطق به ولا في موضع واحد
ثم المفاجاة التي ادعاها لا يدل المعنى على انها تكون من الكلام السابق بل المعنى
يدل على ان المفاجاة تكون من الكلام الذي فيه اذا تقول خرجت فاذا الاسد
فالمعنى ففاجاني الاسد وليس المعنى ففاجات الاسد وما نريهم من اية الا هي
اكبر من اختها قال الزمخشري فان قلت اذا جاءتهم اية واحدة من جملة التسع
فما اختها التي فضلت عليها في الكبر من بقية الايات قلت اختها التي هي اية
مثلها وهذه صفة كل واحدة منها فكان المعنى على انها اكبر من بقية الايات
على سبيل التفضيل والاستقراء واحدة بعد واحدة كما تقول هو افضل
رجل رايته تريد تفضيله على امة الرجال الذين رايتهم لم ار منهم رجلا الا
فان قلت هو كلام متناقض لان معناه ما من اية من التسع الا وهي
اكبر من كل واحدة منها فتكون فاضلة ومفضولة في حالة واحدة قلت الغرض
بهذا الكلام انهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في
الاشيا التي تتلاحق في الفضل وتتقارب منازلها فيه التقارب اليسير ان تختلف

ارا الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذلك فعلى هذا بني الناس كلامهم
فقالوا رايت رجالا بعضهم افضل من بعض وربما اختلفت ارا الناس الى الرجال
فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذلك ومنه بيت الحماسة
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري
ولقد فاضلت الانمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما ابصرت مراتبهم متدانية
قليلة التفاوت ثكلتهم ان كنت اعلم ايهم افضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين
طرفاها انتهى وهو كلام طويل ملخصه ان الوصف بالاكبرية مجاز وان
ذلك بالنسبة الى الناظرين فيها وقال ابن عطية عبارة عن شدة موقعها
في نفوسهم لحدوث امرها وحدته وذلك انه اول ما عرض موسى هي العصا واليد
وكانت اكبر اياته ثم كل اية بعد ذلك كانت تقع فيعظم عندهم مجيئها
ويكبر لانهم كانوا انسوا التي قبلها فهذا كما قال الشاعر
على انها تعفو الكلوم وانما نوكل بالادنى وان جل ما يمضي
وذهب الطبري الى ان الايات هنا الحجج والبينات انتهى وقيل كانت
الاية من كبار الايات وكانت كل واحدة اكبر من التي قبلها فعلى هذا
يكون ثم صفة محذوفة اى من اختها السابقة عليها ولا يبقى في الكلام تعارض
ولا يكون ذلك الحكم في الاية الاولى لانه لم يسبقها شي فتكون اكبر
منه وقيل الاولى تقتضي علما والثانية تقتضي علما منضما الى
علم الاول فيزداد الرجوع ومعنى اختها مثلها شبيهها تقول هذه اخت
هذه اى مثلها شبيهتها واخذناهم بالسنين ونقص من الثمرات والطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم وذلك عذاب لهم وايات لموسى
لعلهم يرجعون عن كفرهم قال الزمخشري لعلهم يرجعون ارادة
ان يرجعوا عن الكفر الى الايمان فان قلت لو اراد رجوعهم لكان قلت
ارادته فعل غيره ليس الا ان يامره به ويطلب منه ايجاده فان كان
ذلك على سبيل القسر وجد والا دار بين ان يوجد وان لا يوجد على اختيار
المكلف وانما لم يكن الرجوع لان الارادة لم تكن قسرا ولم يختاروه انتهى وهو

حر

على طريقة الاعراب وقال ابن عطية لعلهم خرج بحسب معتقد البشر وظنهم قالوا
يا ايه الساحر ادع لنا ربك اى فى كشف العذاب قال الجمهور وخطابهم
بعظيم لان السحر كان علم زمانهم او لانهم استصحبوا له ما كانوا يدعونه به
او لا ويكون قولهم بما عهد عندك اننا لمهتدون اخبارا مطابقا لمقصود وقيل يجب
خطاب استهزاء واستقصار ويكون قولهم بما عهد عندك اننا لمهتدون اخبارا مطلقا
معلقا على شرط كشف العذاب وعهد معروف على نكثه الا ترى فلما كشفنا
عنهم العذاب اذا هم ينكثون جاريا على عادة اكثر الناس اذا مسه الضر ودعا
وانا كشف عنه رجع الى عادته الاولى كقوله فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون
فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه وقوله بما عهد عندك يحتمل
ان يكون من ان دعوتك مستجابة به او من النبوة او من كشف العذاب عمن
اهتدى او ما وصب به وهو الايمان والطاعة وفى الكلام حذف اى فدعا
موسى فكشفت فلما كشفنا وقرا ابو حيوة ينكثون بكسر الكاف ونادى
فرعون فى قومه جعل القوم محلا للنداء والظاهر انه نادى عظما القبط فى
محله الذى هو وهم يجمعون فيه فرفع صوته فيما بينهم لينتشر مقالته فى جميع
القبط وكون ان يكون امر بالنداء فاسند اليه وسبب ندائه ذلك انه لما
راى اجابه الله دعوة موسى ورفع العذاب خاف ميل القوم اليه فنادى
يا قوم اليس لى ملك مصر اراد ان يبين فضله على موسى بملك مصر
وهى من اسكندرية الى اسوان وهذه الانهار اى الخلجان التى تخرج من
النيل واعظمها نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس والواو
فى وهذه الانهار للحال وتجرى خبر وهذه الانهار صفة او عطف بيان
وجوز ان تكون الواو عاطفة على ملك مصر وتجرى حال من تحتى اى من تحت
قصرى وقيل ملكى وقال ـــــ كانت جنانا وانهارا تجرى من تحت
قصره وقيل كان له سرير عظيم وقطع من نيل مصر قطعة قسمها انهارا
تجرى من تحت ذلك السرير وابعد الضحاك فى تفسير الانهار بالقواد والرؤسا
والجبابرة يسيرون تحت لوائه ومن فسرها بالاموال يعرفها من تحت

يده ومن فسرها بالخيل قال كما يسمى الفرس بحرا تسمى هذه الاموال نهورا
من بقاسمها الباطنية افلا تبصرون عظمتى وقوتى وضعف موسى وقرا عيسى
ابن الصفر تبصرون بياء الغيبة ذكره فى الكامل للهذلى وقال الحوفى عن
يعقوب ذكره ابن خالويه وكسر نون تبصرون عيسى قال الزمخشرى
ولله حيث فرعون لما ادته الى دعوى الربوبية من بعظم ملك مصر
وعظم الناس منه مدى عظمته وامر فنودى بها فى اسواق مصر وازقتها
لئلا تخفى تلك الابهة والجلالة على صغير ولا كبير وحتى ينتبع صدوره
الدهما مقدار عزته وملكوته انتهى وعن الرشيد انه لما قراها قال لاولينها
احسن عبيدى فولاها الخصيب وكان على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر
انه وليها فخرج اليها فلما شارفها ووقع بصره عليها قال ـــــ اليس هى
القرية التى افتخر بها فرعون حتى قال اليس لى ملك مصر والله لهى اقل
عندى من ان ادخلها فثنى عنانه ام انا خير من هذا الذى هو مهين
الظاهر انها ام المنقطعة المقدرة ببل والهمزة اى بل انا خير وهو اذا استفهم
انه خير من هو ضعيف لا يكاد يفصح عن مقصوده اذا تكلم وهو الملك
المتحكم فيهم قالوه بلا شك انه خير وقال السدى وابو عبيدة ام بمعنى
بل فيكون انتقل من ذلك الكلام الى اخبار بانه خير من ذكر كقول الشاعر
بدت مثل قرن الشمس فى رونق الضحى وصورتها ام انت فى العين املح
وقال ـــــ سيبويه ام هذه المعادلة اى ام تبصرون الامر الذى هو
حقيق ان يبصر عنده وهو انه خير من موسى وهذا القول بدأ به الزمخشرى
فقال ام هذه متصلة لان المعنى افلا تبصرون ام تبصرون الا انه وضع قوله
انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا انت خير منهم عنده بصراء وهذا من انزال
السبب منزلة المسبب انتهى وهذا القول متكلف اذ المعادل انما يكون
مقابلا للسابق وان كان السابق جملة فعلية كان المعادل جملة فعلية او جملة
اسمية يتقدر منها فعلية كقوله ادعوتموهم ام انتم صامتون لان معناه ام
صمتم وهنا لا يتقدر منها جملة فعلية لان قوله ام انا خير ليس مقابلا لقوله

او لا تبصرون وان كان السابق اسما كان المعادل اسما او جملة فعلية تتقدر منها
اسم كقوله   الجزع الدهر ام الميت
فاميت معادل للاسم فالتقدير ام ميت وقيل حذف المعادل بعد ام لدلالة المعنى
عليه اذ التقدير ام تبصرون فحذف تبصرون وهذا لا يجوز الا اذا كان بعد
ام لا نحو ايقوم زيد ام لا تقديره ام لا يقوم واين عمرو ام لا اي ام لا هو عندك
فاما حذفه دون لا فليس من كلامهم وقد جاء حذف ام والمعادل وهو قليل قال
دعاني اليها القلب اني لامرها سميع فما ادري ارشد طلابها
يريد ام غي   وحكى عن الفرا انه قرا اما انا خير دخلت الهمزة على ما النافيه
فافادت التقرير ولا يكاد يبين الجمهور انه كان بلسانه بعض شي من
اثر الجمرة ومن ذهب الى ان الله قد اجابه في سواله واحلل عقدة من لساني
فلم يبق لها اثر جعل انتفا الابانة بانه لا يبين حجته الدالة على صدقه فيما يدعي
لا انه لا قدرة له على ايضاح المعنى لاجل كلامه وهو عابه بما كان عليه موسى
من الحبسة اولا كان عند فرعون فنسب اليه ما عهده مبالغة في التعيير قول
فرعون ولا يكاد يبين كذب بحت الا ترى الى مناظرته له ورده عليه واقحامه
بالحجة والانبيا عليهم السلام كلهم بلغا وقرا الباقر يبين بفتح اليا من بان اذا
ظهر فلولا القي عليه اسورة من ذهب قال مجاهد كانوا
اذا سودوا رجلا سوروه بسوارين وطوقوه بطوق من ذهب علامة
لسودده فقال فرعون هلا القي رب موسى عليه السلام اسورة من
ذهب ان كان صادقا وكان ذلك دلالة على القا مقاليد الملك اليه لما وصف
نفسه بالعز والملك ووازن بينه وبين موسى عليه السلام فوصفه بالضعف
وقلة الاعضاد اعترض فقال ان كان صادقا فهلا ملكه ربه وسوره
وجعل الملائكة انصاره وقرا الضحاك فلولا القى مبنيا للفاعل اي الله اساوره
نصبا والجمهور اساورة وابي وعبد الله اساوير والمفرد اسوار بمعنى سوار
والها عوض من اليا التي في زنادقه هي عوض من يا زناديق المقابله لها زنديق
وهي مقابلة لالف اسوار وقرا الحسن وقتادة وابو رجا والاعرج ومجاهد

وابو

وابو حيوة وحفص اسورة نحو سوار واسورة نحو خمار واخمرة وقرا الاعمش اساوير
عن ابي وعبد الله او جا معه الملائكة مقترنين يحمونه ويقيمون حجته
قال ابن عباس يعينونه على من خالفه وقال السدي يقارن بعضهم بعضا
قال مجاهد يمشون معه وقال قتادة متتابعين فاستخف قومه اي استجهلهم
لخفة احلامهم قاله ابن الاعرابي وقال غيره حملهم على ان يخفوا لما يريد منهم فاطاعوه
لفسقهم فلما اسفونا معناه بالمعنى من اسف اذا غضب والمعنى فلما عملوا
الاعمال الخبيثة الموجبة لان لا نحلم عليهم وعن ابن عباس احزنوا اولياءنا المومنين
نحو السحرة وبني اسرائيل وعنه ايضا اغضبونا وعن علي اسخطونا وقيل خالفونا
وقال القشيري وغيره الغضب من الله اما ارادة العقوبة فهو
من صفات الذات او العقوبة فيكون من صفات الفعل وقرا الجمهور سلفا
قال ابن عباس وزيد بن اسلم وقتادة اي متقدمين الى النار وهو مصدر
سلف يسلف سلفا وسلف الرجل اباوه المتقدمون والجمع على اسلاف
وسلاف وقيل هو جمع سالف كحارس وحرس وحقيقته انه اسم
جمع لان فعلا ليس من ابنية الجموع المكسرة وقال طفيل الغنوي يرثي
قومه   مضوا سلفا قصد السبيل عليهم صروف المنايا بالرجال تقلب
قال الفرا والزجاج سلفا ليتعظ بهم الكفار المعاصرون للرسول
وقرا عبد الله واصحابه وسعيد بن جبير والاعمش وطلحة والاعرج وحمزة
والكسائي سلفا بضم السين واللام جمع سليف وهو الفريق سمع القاسم
ابن معن العرب تقول مضى سليف من الناس وقرا علي ومجاهد والاعرج
ايضا سلفا بضم السين وفتح اللام جمع سلفة وهي الامة والقطعة والسلفة
في غيرهذا ولد القبج والجمع سلفان ومثلا للاخرين اي حديثا عجيب الشان
سائرا مسير المثل يحدث به الاخرون من الكفار يقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون
ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا االهتنا
خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد انعمنا عليه
وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو نشا لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون

وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان
انه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولابين لكم بعض
الذي تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب
يوم اليم هل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة وهم لا يشعرون الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم
تحزنون الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون
يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين
وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة
منها تاكلون لما ذكر طرفا من قصة موسى عليه السلام ذكر طرفا
من قصة عيسى عليه السلام وعن ابن عباس وغيره لما نزل ان مثل عيسى
عند الله كمثل ادم ونزل كيف خلق من غير فحل قالت قريش ما اراد محمد
من ذكر عيسى الا ان نعبده كما عبدت النصارى عيسى فهذا
كان صدودهم من ضربه مثلا وقيل ضرب المثل بعيسى هو ما
جرى بين ابن الزبعرى وبين الرسول عليه السلام في القصة المحكية في
قوله انكم وما تعبدون وقد ذكرت في سورة الانبياء وفي اخرها الى ابن
الزبعرى قال فاذا كان هؤلاء اي عيسى وامه وعزير في النار فقد
رضينا ان نكون نحن والهتنا معهم وقيل المثل هو ان الكفار لما سمعوا ان النصارى
تعبد عيسى قالوا الهتنا خير من عيسى قال ذلك منهم من كان يعبد الملائكة
وضربه مبني للمفعول فاحتمل ان يكون الفاعل ابن الزبعرى ان صحت قصته
وان يكون الكفار وقرا ابو جعفر والاعرج والنخعي وابو رجاء وابن وثاب وابن
عامر ونافع والكسائي يصدون بضم الصاد اي يعرضون عن الحق من اجل
ضرب المثل وقرا ابن عباس وابن جبير والحسن وعكرمة وباقي السبعة بكسرها
اي يضجون ويرتفع لهم جلبة وضجيج بضرب المثل وروي ضم الصاد عن علي
وانكرها ابن عباس ولا يلتفت الى انكاره اذ الاصل بالتواتر واثرها قال الكسائي

يكون

والفرا

والفرا انهما لغتان بمعنى واحد مثل يعرشون ويعرشون وقالوا ءالهتنا خير ام
هو حقق الكوفيون الهمزتين وسهل باقي السبعة الثانية بين بين وقرا ورش
في رواية ابي الازهر بهمزة واحدة على مثال الخبر فاحتمل ان تكون همزة
الاستفهام محذوفة لدلالة ام عليها واحتمل ان يكون خبرا محضا حكوا ان
الهتهم خير ثم عن لهم ان يستفهموا على سبيل التنزل من الخبر الى الاستفهام
المقصود به الافحام وهذا الاستفهام يتضمن ان الهتهم خير من عيسى ما
ضربوه لك الا جدلا اي ما مثلوا لك هذا المثل الا لاجل الجدل والغلبة والمغالطة
لا لتمييز الحق واتباعه وانتصب جدلا على انه مفعول من اجله وقيل مصدر
في موضع الحال وقرا ابن مقسم الا جدالا بكسر الجيم والف خصمون شديدو الخصومة
واللجاج وفعل من ابنية المبالغة كحذر وحرد والظاهر ان الضمير في ام هو لعيسى
لما سبق الكلام في قوله ان هو الا عبد وقال قتادة يعود على النبي صلى الله عليه
وسلم انعمنا عليه بالنبوة وشرفناه بالرسالة وجعلناه مثلا اي عبرة كالمثل
لبني اسرائيل اذ خلق من غير اب وجعل له من احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص
والاسقام كلها ما لم يحصل لغيره في زمانه وقيل المنعم عليه هو محمد
صلى الله عليه وسلم ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض قال بعض النحويين
من تكون للبدل اي لجعلنا بدلكم ملائكة وجعل من ذلك قوله تعالى ارضيتم
بالحياة الدنيا من الاخرة اي بدل الاخرة وقول الشاعر

اخذوا المخاض من الفصيل غلبة ظلما ويكتب للامير افيلا

اي بدل الفصيل واصحابنا لا يثبتون لمن معنى البدلية ويتاولون لقدرتنا على
عجائب الامور وبدائع الفطر لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم في
الارض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من انثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة
الباهرة ولتعلموا ان الملائكة اجسام لا تتولد الا من اجسام وذات القديم متعالية
عن ذلك انتهى وهو تخريج حسن نحوي من هذا التخريج قول من قال لجعلنا بدل الانس
ملائكة وان لم تجر العادة بذلك والجواهر جنس واحد والاختلاف بالاوصاف
يخلفون قال السدي يكونون خلفاءكم وقال قتادة يخلف بعضهم بعضا وقال

مجاهد من يعمر الارض وقيل في الرسالة بدلا منكم وسكنوا الظاهر ان المعنى
في وانه لعلم للساعة يعود على عيسى اذ الظاهر في الضمائر السابقة انها عائدة
عليه وقاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والضحاك وابن
زيد اي ان خروجه لعلم للساعة يدل على قرب قيامها اذ خروجه شرط من اشراطها
وهو نزوله من السماء في اخر الزمان وقال الحسن ايضا وقتادة ايضا وابن جبير
يعود على القرآن على معنى انه يدل اتيانه على قرب الساعة او انه به تعلم الساعة
وقالت فرقة يعود على النبي صلى الله عليه وسلم اذ هو اخر
الانبياء تميزت الساعة به نوعا وقدرا من التمييز ونفى التحديد التام الذي انفرد الله
تعالى بعلمه وقرا الجمهور لعلم مصدر وقال الزمخشري اي شرط من اشراطها
تعلم به فسمى الشرط علما لحصول العلم به وقرا ابن عباس وابو هريرة
وابو مالك الغفاري وزيد بن علي وقتادة ومجاهد والضحاك ومالك بن
دينار والاعمش والكلبي قال ابن عطية وابو نضرة لعلم بفتح العين واللام
لعلامة وقرا عكرمة قال ابن خالويه وابو نضرة العلم معرفا بفتحتين وقال عمر
بها اي لا تشكون فيها واتبعون اي قل لهم يا محمد
واتبعون هذا اي الذي ادعوكم اليه او هذا القرآن ان كان الضمير في وانه
للقرآن صدودكم عن اتباعي الشيطان ثم نبه على عداوته بالبينات اي المعجزات
او بآيات الانجيل الواضحات بالحكمة اي الالهية من الشرائع قال السدي بالحكمة
النبوة وقال ابن عطية الحكمة العقل ذكره القشيري والماوردي وقال
الضحاك ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه
وهو امر الديانات لان الاختلاف يكون فيها وفي غيرها من الامور التي لا تتعلق
بالديانات فامر الديانات بعض ما تختلفون فيه وقيل لابين لكم في الانجيل
بعض الذي تختلفون فيه وبين لهم في غيره ما احتاجوا اليه وقيل بعض ما تختلفون
فيه من احكام التوراة وقال ابو عبيدة بعض بمعنى كل ورد الناس عليه وقال
مقاتل هو كقوله ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم اي في الانجيل لحم الابل
والشحم من كل حيوان وصيد السمك يوم السبت وقال مجاهد بعض الذي

يختلفون

تختلفون فيه من تبديل التوراة وقيل مما سالتم من احكام التوراة وقال قتادة ولابين
لكم بعض اختلاف الفرق الذين تحزبوا في امر عيسى والضمير في من بينهم عائد على
من خاطبهم عيسى بقوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث اليهم اي من تلقاء
ومن انفسهم بان شرعهم ولم يدخل عليهم الاختلاف من غيرهم وتقدم الخلاف في
سورة مريم في قوله فاختلف الاحزاب من بينهم هل ينظرون الضمير لقريش ولمن
ان تاتيهم الساعة اي ما ينتظرون الا اتيان الساعة الاخلاء يومئذ قيل نزلت
في ابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط والتنوين في يومئذ عوض من الجملة المحذوفة
اي يوم اذ تاتيهم الساعة ويومئذ منصوب بعدو والمعنى انه ينقطع كل خلة وتنقلب
عداوة الا خلة المتقين فانها لا تزداد الا قوة وقيل الا المتقين المجتنبين اخلاء
السوء وذلك ان اخلاء السوء كل منهم يرى ان الضرر دخل عليه من خليله كما ان
المتقين يرى كل منهم النفع دخل عليه من خليله ويا عبادي بالياء وهو الاصل
ويا عباد بحذفها وهو الاكثر وكلاهما في السبعة وعن المعتمر بن سليمان سمعت
ان الناس حين يبعثون ليس منهم احد الا يفزع فينادي مناد يا عبادي لا خوف
الاية فيرجوها الناس كلهم فيتبعها الذين امنوا الاية قال فييأس منها الكفار
وقرا الجمهور لا خوف مرفوع منون وابن محيصن بالرفع من غير تنوين والحسن
والزهري وابن ابي اسحاق وعيسى وابن يعمر ويعقوب بفتحها من غير تنوين والذين
امنوا صفة ليا عباد تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوههم
كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال الزجاج تكرمون
اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل واما ابو الحرب عن الكسائي
بصحاف ذكر من ذهب الوانه والصحاف والضمير في فيها عائد على الجنة ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين هذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهاة في القلوب واما مستلذة
في العيون وقرا ابو جعفر وشيبة ونافع وابن عامر وحفص ما تشتهيه بالضمير
العائد على ما والجمهور وباقي السبعة بحذفها وفي مصحف عبد الله ما تشتهيه الانفس
وتلذه الاعين بالهاء فيهما وتلك الجنة مبتدا وخبر والتي اورثتموها صفة او الجنة او
بما كنتم تعملون الجنة وما قبله صفة فاذا كان بما الخبر تعلق بمحذوف وعلى القول

الاولين فعلى باورثتموها وشبهت في بقائها على اهلها بالميراث الباقي على الورثه
ولما ذكر ما يتضمن الاكل والشرب ذكر الفاكهة منها تاكلون من التبعيض
اذ لا تاكلون الا بعضها وما يخلف المأكول باق في شجرها كما جاء في الحديث
ان المجرمين في عذاب جهنم لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا
هم الظالمين ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق
ولكن اكثركم للحق كارهون ام ابرموا امرا فانا مبرمون ام يحسبون انا لا
نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين
سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا
ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو الذي في السما اله وفي الارض
اله وهو الحكيم العليم وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة
واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم
يعلمون ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون وقيله يا رب ان هؤلا قوم
لا يؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون   لما ذكر تعالى حال اهل
الجنة وما يقال لهم من التبشير السار اعقب ذلك بذكر حال الكفرة وما يجاوبون
به عند سؤالهم وقرأ عبد الله وهم فيها اي في جهنم والجمهور فيه اي في العذاب وعن
الضحاك يجعل الكافر في تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا
يرى لا يفتر عنهم اي لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا
او نقص حرها والمبلس اليائس الساكت اليائس من الخير وما ظلمناهم اي ما وضعنا
العذاب فيمن لا يستحقه ولكن كانوا هم الظالمين اي الواضعين الكفر مكان
الايمان فظلموا بذلك انفسهم قرأ الجمهور الظالمين على انه خبر كان وفصل وقرأ عبد الله
وابو زيد النحويون الظالمون بالرفع على انه خبر هم وهم مبتدا وذكر ابو عمر الجرمي
ان لغة تميم جعل ما هو فصل عند غيرهم مبتدا ويرفعون ما بعده على الخبر وقال
ابو زيد سمعتهم يقرؤون تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا يعني برفع خير واعظم
قال قيس بن ذريح
تحن الى ليلى وانت تركتها وكنت عليها بالملا انت اقدر

وقال سيبويه بلغنا ان رؤبة كان يقول اظن زيدا هو خير منك يعني بالرفع
ونادوا يا مالك تقدم انهم مبلسون اي ساكتون وهذه احوال لهم في ازمان
متطاولة فلا تعارض بين سكوتهم وندائهم وقرأ الجمهور يا مالك وقرأ عبد الله
وعلي وابن وثاب والاعمش يا مال بالترخيم على لغة من ينتظر الحرف وقرأ ابو
السرار الغنوي يا مال بالبناء على الضم جعله اسما على حياله واللام في ليقض
لام الطلب والرغبة والمعنى ليمتنا حتى لا نتكرر عذابنا كقوله فوكزه موسى فقضى
عليه اي اماته قال اي مالك انكم ماكثون في النار لا تخرجون قال ابن عباس يجيبهم
بعد مضي الف سنة وقال نوف بعد مائة وقيل ثمانين وقال عبد الله بن عمرو اربعين
لقد جئناكم بالحق يظهر انه من كلام الله تعالى وقيل من كلام بعض
الملائكة كان يقول للمجرمين الرسل اعلماكم ومعلمكم ثم قال لقد جئناكم
من قول الملائكة تعقيبا حكاية امر الكفار مع مالك وفي هذا توبيخ وتخويف
بمعنى انظروا كيف يكون حالكم ام ابرموا الضمير لقريش اي بل احكموا امرا من كيدهم
الرسول ومكرهم فانا مبرمون كيدنا كما ابرموا كيدهم كقوله ام يريدون
كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون ويتساورون في امر
الرسول فقال تعالى ام يحسبون انا لا نسمع سرهم وهو ما يحدث به الرجل نفسه
او غيره في مكان خال ونجواهم وهو ما تكلموا به فيما بينهم بلى اي نسمعها ورسلنا
وهم الحفظة قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين قال السدي ومعناه
والطبري المعنى قل لهم ان كان للرحمن ولد كما تقولون فانا اول من يعبده
على ذلك ولكن ليس له شيء من ذلك واخذ الزمخشري هذا القول وحسنه
بفصاحته فقال ان كان للرحمن ولد وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه
وحجة واضحة تدلون بها فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد له
كما يعظم الرجل ولد الملك لعظم ابيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل
لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه وان لا يترك الناطق به الا
مضمحلا مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك انه علق العبادة
بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة

اثبات الالوهية والعبادة وهي معنى نفيهما على ابلغ الوجوه واقواها قال الزمخشري
ونظيره ان يقول العدلي للمجبر ذكر كلاما كان يستحق عليه التاديب
بل السيف نزهت عن ذكره وقد نحل الله بنا لا احكيه من هذا الاسلوب
الشريف المليء بالنكت والفوائد المستقل باثبات التوحيد على ابلغ وجوهه فقيل
ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله المكذبين
قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد فانا اول الانفين من ان
يكون له ولد من عبد يعبد وقيل معنى ان النافية اي ما كان للرحمن ولد فانا
اول من قال بذلك وعبد ووحد وروي ان النضر بن عبد الدار بن قصي قال
ان الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر الا ترون انه قد صدقني فقال
له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فانا اول الموحدين
من اهل مكة ان لا ولد له وان ابعد ما القول ان كان لله ولد في زعمكم فهو
قول مجاهد واما القول فانا اول الانفين فمنقول عن جماعة منهم ابو حاتم ولم يسم احدا
منهم ويدل عليه قراءة السلمي واليماني العبدين وقراءة ذكرها الخليل بن احمد
في كتاب العين العبدين بسكون الباء تخفيف العبدين بكسرها وذكر صاحب
اللوامح انه جاء عن ابن عباس في موضع العابدين انه الانفين ابو زيد وقال ابن عرفة
يقال عبد يعبد فهو عبد وقلما يقال عابد والقرآن لا ياتي بالقليل من اللغة
ولا الشاذ قال كقول مجاهد وقال الفرزدق

اولئك ابائي فجئني بمثلهم واعبد ان اهجوا كليبا بدارم

اي انف واستنكف وقال اخر

متى يشاء ذو الود يصرم خليله ويعبد عليه لا محالة ظالما

واما القول بان ان نافية فروي عن ابن عباس والحسن والسدي وقتادة وابن
زيد وزهير بن محمد قال مكي لا يجوز ان تكون ان بمعنى ما النافية لانه يوهم انك انما
تنفي عن الله الولد فيما مضى دون ما هو ات وهذا محال انتهى ولا يلزم منه
محال لان كان قد يستعمل فيما يدوم ولا يزول كقوله وكان الله غفورا
رحيما اي لم يزل فالمعنى ما كان وما يكون وقال ابو حاتم العبد بكسر الباء الشديد

الغضب

الغضب وقال ابو عبيدة معناه اول الجاحدين والعرب تقول عبدني حقي اي جحدني
وقرا الجمهور ولد بفتحتين وعبد الله وابن وثاب وطلحة والاعمش وحمزة والكسائي
بضم الواو وسكون اللام ثم قال سبحان رب السموات والارض رب العرش عما
يصفون اي عن نسبة الولد اليه والمعنى ان اله العالم يجب ان يكون واجب الوجود
وما كان كذلك فهو فرد مطلق لا يقبل التجزي والولد عبارة عن ان ينفصل
من الشيء جزء من اجزائه فيتولد منه شخص مثله ولا يكون الا فيما هو قابل ذاته
للتجزي وهذا محال في حقه تعالى فامتنع اثبات الولد ولما ذكر هذا البرهان
القاطع قال فذرهم يخوضوا اي في باطلهم ويلعبوا اي في دنياهم وظاهر هذين الامرين
مهادنة وترك وذلك مما نسخ بايه السيف وقرا الجمهور حتى يلاقوا وابو جعفر
وابن محيصن وعبيد بن عقيل عن ابي عمرو يلقوا مضارع لقي يومهم الذي يوعدون
يوم القيامة وقال عكرمة وغيره يوم بدر واضاف اليوم اليهم لانه الذي فيه هلاكهم
وعذابهم وقرا الجمهور اله فيهما وقرا عمر وعبد الله وابي وعلي والحكم بن ابي العاص وبلال
ابن ابي بردة وابن يعمر وجابر وابن زيد وعمر بن عبد العزيز وابو الشيخ الهنائي
وحميد وابن مقسم وابن السميفع الله فيهما ومعنى اله معبود وبه يتعلق الجار
والمجرور والمعنى انه معبود في السماء ومعبود في الارض والعائد على الموصول
محذوف تقديره وهو اله كما حذف في قولهم ما انا بالذي قائل لك شيئا وحسنه
طوله بالعطف عليه كما حسن في قائل لك شيئا طوله بالمعمول ومن قرا الله فيهما
ضمنه معنى المعبود كما ضمن العلم في نحو قولهم هو حاتم في طي اي جواد في طي ويجوز
ان يكون الصلة الجار والمجرور والمعنى انه فيهما بالالهية والربوبية اذ يستحيل
حمله على الاستقرار وفي قوله نفي لالهتهم التي كانت تعبد في الارض وعنده علم
الساعة اي علم تعيين وقت قيامها وهو الذي استاثر به تعالى وقرا
الجمهور يرجعون بالفتح ونافع وعاصم والعربيان بالتاء من الخطاب وهو في
كلا القراءتين مبني للمفعول وروي عنه بالخطاب مبنيا للفاعل وقرا الجمهور
يدعون بالياء وشد الدال وعنه بالتاء من الخطاب وشد الدال والمعنى ولا يملك
الهتهم التي يدعون الشفاعة عند الله قال قتادة استثنى ممن عبد من دون الله

تعالى عيسى وعزير والملائكة فإنهم يملكون شفاعة بأن يملكها الله إياهم إذ هم ممن شهد
بالحق وهم يعلمونه في كل أحوالهم فالاستثناء على هذا متصل وقال مجاهد وغيره من
المشفوع فيهم فكأنه قال لا تشفع هؤلاء الملائكة وعزير وعيسى إلا فيمن شهد بالحق
وهو يعلمه أي بالتوحيد وقالوا فالاستثناء على هذا منفصل كأنه قال لكن من
شهد بالحق يشفع فيهم هؤلاء وهذا التقدير الذي قدروه يجوز أن يكون فيه الاستثناء
متصلا لأنه يكون المستثنى منه محذوفا كأنه قال ولا يملك الذين يدعون من
دونه الشفاعة في أحد إلا فيمن شهد بالحق فهو استثناء من المفعول المحذوف كما قال الشاعر

نجا سالم والنفس منه بشدقه ولم ينج إلا جفن سيف ومئزر

أي ولم ينج شيء إلا جفن سيف وهو استثناء من المفعول منهم الجائز فيه الحذف وهو
متصل وأما تخليته مستثنى من الذين يدعون فيكون منفصلا والمعنى ولا يملك
آلهتهم ويعني بهم الأصنام والأوثان الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله
ولكن من شهد بالحق وهو توحيد الله وهو يعلم ما شهد به فهو الذي يملك الشفاعة
وإن أدرجت الملائكة في الذين يدعون استثناء متصلا وقرأ الجمهور فأنى
يؤفكون بالغيبة مناسبا لقوله ولئن سألتهم أي كيف يصرفون عن عبادة
من أقروا أنه موجد العالم وعبد الوارث عن أبي عمرو بالخطاب وقرأ الجمهور
وقيله بالنصب فعن الأخفش أنه معطوف على سرهم ونجواهم وعنه أيضا على وقال
قيله وعن الزجاج على محل الساعة في قوله وعنده علم الساعة وقيله
معطوف على مفعول يكتبون المحذوف أي يكتبون أقوالهم وأفعالهم وقيله وقيل
معطوف على مفعول يعلمون أي يعلمون الحق وقيله يا رب وهو قول لا يكاد يعقل وقيل
منصوب على إضمار فعل أي ويعلم قيله وقرأ السلمي وابن وثاب وعاصم والأعمش
وحمزة وقيله بالخفض وخرج على أنه عطف على الساعة أو على أنها واو القسم والجواب
محذوف أي لننصرن أو لأفعلن بهم ما أشاء وقرأ الأعرج وأبو قلابة ومجاهد
والحسن وقتادة ومسلم بن جندب وقيله بالرفع وخرج على أنه معطوف على علم الساعة
على حذف مضاف أي وعلم قيله حذف وأقيم المضاف إليه مقامه وروي عن الكسائي
وعلى الابتداء وخبره يا رب إلى لا يؤمنون أو على أن الخبر محذوف تقديره مسموع

مسموع أو متقبل فجملة النداء وما بعده في موضع نصب بقيله وقرأ أبو قلابة يا رب بفتح
الباء أراد يا ربا كما تقول يا غلاما ويتخرج على جواز الأخفش يا قوم بالفتحة وحذف الألف
والاجتزاء بالفتحة عنها قال الزمخشري والذي قالوه ليس بقوي في المعنى
مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم
وأقوى من ذلك وأوجه أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه والرفع
على قولهم ايمن الله وأمانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله إن هؤلاء قوم لا يؤمنون
وأقسم الله بقيله رفعا منه وتعظيما لدعائه والتجائه إليه انتهى وهو مخالف لظاهر الكلام
إذ يظهر أن قوله يا رب إلى لا يؤمنون متعلق بقيله ومن كلامه عليه السلام وإذا كان
إن هؤلاء جواب القسم كان من إخبار الله عنهم وكلامه والضمير في قيله للرسول
وهو المخاطب بقوله فاصفح عنهم أي أعرض عنهم وتاركهم وقل سلام أي الأمر سلام
فسوف يعلمون وعيد لهم وتهديد وموادعة وهي منسوخة بآية السيف وقرأ الجمهور
يعلمون بالغيبة لقوله فاصفح عنهم وقرأ أبو جعفر والحسن والأعرج ونافع وهشام
بالخطاب قال السمين وقل سلام أي تحية مبتدأ من شيء وقال
معناه أرد عليهم معروفا وما حكاه الماوردي قبله وما يشبه من شرح الدخان
معروف وقال أبو عبيدة والدخان الجدب قال العتبي يسمى دخانا ليبس الأرض منه حتى
يرتفع منها كالدخان وقياس جمعه في القلة أدخنة وفي الكثرة دخان نحو غراب وأغربة
وغربان وشذوا في جمعه على فواعل فقالوا دواخن كأنه
جمع داخنة تقديرا كما شذوا في عثان قالوا عواثن رهوا البحر رهوا
رهوا ساكنا يقال جاءت الخيل رهوا أي ساكنة قال

والخيل تمرع رهوا في أعنتها كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البرد

ويقال افعل ذلك رهوا أي ساكنا على هينتك قال ابن الأعرابي رها في السير يرهو
وقال القطامي يصف الركاب

يمشين رهوا فلا الأعجاز خاذلة ولا الصدور على الأعجاز تتكل

وقال الليث عيش راه وادع خافض والرهو المكان المرتفع والمنخفض يجتمع فيه الماء وهو
من الأضداد والجمع رهاء والرهو المرأة قالوا شبه الحفر حكاه النضر بن شميل والرهو ضرب

من الطير يقال هو كالكركي وقال ابو عمرو وهو الرجل من ... افتح من رجليه
المهل دردي الزيت ويغلي ... ساقه ... ودفع ...
والعتل الجافي الغليظ

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب
المبين انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا
انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما
ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب ابائكم الاولين بل هم في شك يلعبون
فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب
انا مؤمنون انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون
انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى
انا منتقمون ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ان ادوا الي عباد الله
اني لكم رسول امين وان لا تعلوا على الله اني اتيكم بسلطان مبين واني عذت بربي
وربكم ان ترجمون وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون
فاسر بعبادي ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون كم تركوا من
جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها
قوما اخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين هذه السورة
مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون ومناسبة هذه السورة
انه ذكر في اواخر ما قبلها فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي كانوا يوعدون
فذكر يوما غير معين ولا موصوف فذكر في اول هذه السورة ذلك اليوم ووصف
وصفه فقال فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين وان العذاب ياتيهم من قبله
ويحل بهم من الجدب والقحط ويكون العذاب في الدنيا وان كان العذاب في الاخرة
فيكون يومهم الذي يوعدون يوم القيامة والظاهر ان الكتاب المبين هو القرآن
اقسم به تعالى ويكون الضمير في انزلناه عائدا عليه ... ويجوز ان
يراد به الكتب الالهية المنزلة وان يراد به اللوح المحفوظ وجواب القسم قال الزمخشري
ويحتمل قوله انا انزلناه على ان الكتاب هو القرآن ويكون قد عظمه تعالى بالاقسام

به من وجهين ... ووقوع المقسم عليه اي قوله انا انزلناه وهو اعتراض ...
يحتمل الكتاب ويكون ... جواب القسم انا كنا منذرين ...
... والحسن الليلة ... المقسم انا كنا منذرين ... وابن
زيد والحسن الليلة المباركة ليلة القدر ... كتب الله كلها انما نزلت في رمضان
التوراة في اوله والانجيل ... والقرآن في ... في ليلة
القدر ... ليلة القدر ... ليلة القدر الى
السماء ... وقال عكرمة ...
ليلة النصف من شعبان ... وقال الحافظ ابو بكر بن
العربي ... الاباطيل ... انا كنا منذرين ...
الزمخشري ... فيها يفرق كل امر حكيم ما موقع هاتين الجملتين
... جواب القسم الذي
هو قوله انا انزلناه في ليلة مباركة كانه قيل انزلناه لان من شاننا الانذار
والتحذير من العقاب ... في هذه الليلة خصوصا لان انزال
القرآن من الامور الحكيمة وهذه الليلة يفرق فيها كل امر حكيم ... المباركة الكثيرة الخير
لما ينيح الله فيها من الامور التي يتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم ولو لم يوجد
فيها الا انزال القرآن ... وقرا الحسن والاعرج والاعمش
يفرق بفتح الياء ... وقرا زيد بن علي ... الزمخشري
نفرق بالنون ... وكسر
الراء ... وقرا الحسن ... عن الاعمش
بالتشديد ... ومعنى يفرق يفصل ...
... ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد
... في تلك الليلة ... في العام ... من الارزاق والاجال
وغير ذلك ويكتب لهم ذلك الى مثلها من العام المقبل ...
... في رمضان ... في ليلة
النصف من شعبان ...

كقوله لتنذر بأسا شديدا أو على الاختصاص جعل كل أمر جزلا فخما بأن وصفه
بالحكيم ثم زاد في فخامة الأمر بنسبته حكيمه بأن قال أعني بهذا الأمر أمرا حاصلا من
عندنا كما اقتضاه علمنا وتدبيرنا انتهى كلام الزمخشري وقال في قراءة
زيد بن علي أمر من عندنا على هو أمر وهو منصوب على الاختصاص ومفعولا
له والعامل أنزلناه ومصدرا من معنى يفرق أي فرقا من
عندنا أو من أمرنا محذوفا وحالا قيل من كل أو من الذي يفرقه من كل شيء وحالا أنه
حال من كل لأنه وصفه بحكيم فحسنت الحال منه إلا أنه الحال منه من المضاف إليه وهو
ليس في موضع رفع ولا نصب فلا يجوز وقيل من ضمير الفاعل في أنزلناه أي آمرين
وقيل من ضمير المفعول في أنزلناه أي في حال كونه أمرا من عندنا بما يجب أن
يفعل والظاهر أنه من عندنا صفة لأمر وقيل يتعلق بيفرق إنا كنا مرسلين
لما ذكر إنزال القرآن ذكر المرسلين أي مرسلين الأنبياء بالكتب للعباد والجملة
المؤكدة مستأنفة وقيل يجوز أن تكون بدلا من إنا كنا منذرين وجوزوا
في رحمة أن تكون مصدرا أي رحمنا رحمة وأن تكون مفعولا له لأنزلناه أو ليفرق
أو لأمرا من عندنا وأن تكون مفعولا بمرسلين والرحمة يوصف بالإرسال كما
وصفت في قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده والمعنى على هذا إنا نفصل في هذه
الليلة كل أمر أو تصدر الأوامر من عندنا لأن من عادتنا أن نرسل رحمتنا وقرأ
زيد بن علي والحسن رحمة بالرفع أي تلك رحمة من ربك التفاتا من ضمير المتكلم
إذ لو رعى ما قبله لكان رحمة منا لكنه وضع الظاهر موضع المضمر إيذانا بأن الربوبية
تقتضي الرحمة على المربوبين وقرأ ابن محيصن والأعمش وأبو حيوة والكوفيون
رب السموات والأرض بالخفض بدلا من ربك وباقي السبعة والأعرج وابن
أبي إسحاق وأبو جعفر وشيبة بالرفع على القطع أي هو رب وقرأ الجمهور ربكم ورب
برفعهما وابن أبي إسحاق وابن محيصن بجرهما وأبو حيوة والزعفراني وابن مقسم والحسن
وأبو موسى عيسى بن سليمان وصالح الناقط كلاهما عن الكسائي بالجر وأحمد
بن جبير الأنطاكي ربكم ورب بالنصب على المدح وهو نحو الغوث بين الإعراب الرفع
والنصب إذا طالت النعوت وقوله إن كنتم موقنين تحريك لهم بأنكم تقرون بأنه

تعالى

بأنه تعالى خالق العالم وأنزل الكتب وأرسل الرسل رحمة منه وأن ذلك منكم عن
علم وإيقان ثم رد ذلك وأنه ليس كذلك بل هم في شك يلعبون أي في شك لا يزال فيه يلعبون
ما هم عليه عن جد ولا يقين فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين قال علي بن أبي
طالب وابن عمر وابن عباس وأبو سعيد الخدري وزيد بن علي والحسن هو دخان
يجيء يوم القيامة يصيب المؤمن منه مثل الزكام وينضج رؤوس الكافرين والمنافقين
حتى تكون مصلية حنيذة وقال ابن مسعود وأبو العالية والنخعي هو الدخان
الذي رأته قريش حين دعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وأنكر ابن مسعود أن يكون هو الدخان
الذي يوم القيامة فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل
الله أعلم إلا وسأحدثكم أن قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف
فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز والعلهز الصوف يقع فيه القراد فيشوى
الصوف بدم القراد ويؤكل وفيه حتى أكلوا العظام وكان الرجل يرى بين السماء
والأرض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع الكلام ولا يرى المحدث من الدخان
فمشى إليه أبو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه إن دعا لهم
وكشف عنهم أن يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا إلى شركهم وفيه فرحمهم النبي
صلى الله عليه وسلم وبعث إليهم بصدقة ومال وفيه فلما أصابهم الرخاء عادوا
إلى حالهم فأنزل الله عز وجل يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون قال يعني يوم
بدر وقال عبد الله خمس قد مضين الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم وقال
عبد الرحمن الأعرج يوم تأتي السماء هو يوم فتح مكة لما حجبت السماء الغبرة وفي حديث حذيفة
أول الآيات خروج الدجال والدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن
وفيه قلت يا رسول الله وما الدخان فتلا هذه الآية فارتقب يوم تأتي السماء
بدخان مبين وذكر بقية الحديث واختاره الطبري دخان يغشى الناس لا يشك أنه دخان
يغشى الناس يسلمهم بأنه كان هو الذي رأته قريش فالناس خاص بالكفار من أهل مكة وقد
مضى كما قال ابن مسعود وإن كان من أشراط الساعة أو يوم القيامة فالناس عام
من أدركه وقت الأشراط وعام بالناس يوم القيامة هذا عذاب أليم ربنا المؤمنون في موضع

نصب بفعل القول مضمر وهو في موضع الحال اي يقولون ربنا ويجوز ان يكون اخبارا من
الله سبحانه بحكاية عنه كما قال تعالى في قصة الذبيح ان هذا لهو البلاء المبين انا مومنون
وعد بالايمان انه كشف عنهم العذاب والايمان واجب لكشف العذاب او لم يكشف
انى لهم الذكرى اي كيف يتذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان
عند كشف العذاب وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل في باب الادكار من كشف
الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايات والبينات
من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بان عداسا
غلاما اعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه الى الجنون وهو ازور من حبس
نعل بنشر الله انا كاشفوا العذاب قليلا اخبار عن اقامة الحجة عليهم ومبالغة
في الامهال لهم اخبر انهم عائدون الى الكفر وقال قتادة هو توعد بمعاد الاخرة
واذا كان الخطاب لقريش حين حل بهم الجدب كان ظاهرا وان كان في الدخان
قبل يوم القيامة فاذا اتت السماء بالعذاب تضوروا منه وجأروا وكل من هو
ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون فيكشفه عنهم قبل يوم القيامة يوما يكشفه
عنهم يعودون ويوم البطشة الكبرى على هذا هو يوم القيامة كقوله فاذا جاءت
الطامة الكبرى وكونه يوم القيامة هو قول ابن عباس والحسن وعكرمة وقيل
وكونه يوم بدر هو قول عبد الله وابي وابن عباس ايضا ومجاهد والضحاك
نبطش قيل ينتقم وقيل ... يعمل ... ان ما بعده لا يعمل
ما قبلها وقرا الجمهور نبطش بفتح النون وكسر الطاء والحسن وابو جعفر بضمها
والحسن ايضا وابو رجاء وطلحة بضم النون وكسر الطاء بمعنى نسلط عليهم من
يبطش بهم والبطشة على هذه القراءة ليس منصوبا بنبطش بل بمقدر اي نبطش
ذلك المسلط البطشة او يكون البطشة في معنى الابطاشة فينتصب بنبطش
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون هذا كالمثال لقريش ذكرت قصة من ارسل اليهم
موسى عليه السلام فكذبوه فاهلكهم الله وهو لما نشر من النوع للمبالغة
في الفعل او لكثرة متعلقه وجاءهم رسول كريم اي كريم عند الله وعند المومنين او له
الفضل او كريم في نفسه لان الانبياء انما يبعثون من سروات الناس قاله ابو سليمن

او

اولكريم حسن الخلق قاله مقاتل ان ادوا الي عباد الله يحتمل ان تكون ان تفسيرية
لانه تقدم ما يدل على معنى القول وهو رسول كريم وان تكون مخففة من الثقيلة
والناصبة للمضارع فانها توصل بالامر قال ابن عباس ان ادوا الي الطاعة يا عباد
الله اي اتبعوني على ما ادعوكم اليه من الايمان وقال مجاهد وقتادة وابن زيد
طلب منهم ان يؤدوا اليه بني اسرائيل كما قال فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم
فعلى قول ابن عباس عباد الله منادى ومفعول ادوا محذوف وعلى قول مجاهد
ومن ذكر معه عباد الله مفعول ادوا اني لكم رسول امين اي غير متهم قد ائتمني
الله على وحيه ورسالته وان لا تعلوا على الله اي لا تستكبروا على عبادة الله قاله
يحيى بن سلام وقال ابن جريج لا تعظموا على الله قال الماوردي والفرق بينهما ان
التعظيم تطاول المقتدر والاستكبار ترفع المحتقر ذكره الماوردي
كما لسلطان الساطعة في اوضحها الملك به اي اتيكم بسلطان المبين على صدق
الاخبار وقرات فرقة بفتح الهمزة والمعنى لا تعلوا على الله من اجل اني اتيكم فهذا
توبيخ لهم كما تقول اتغضب ان قيل لك الحق واني عذت بربي وربكم ان
ترجمون كانوا قد توعدوه بالقتل فاستعاذ من ذلك وقرئ عذت بالادغام
قال ... وعيسى الرجم هنا بالحجارة وقال ابن عباس وابو صالح بالشتم
وقول ساحر ... لانه قد وقع في حقهم منه العاطلة لا انما سببه وهذه المعاذة كانت
قبل ان يخبره تعالى بقوله فلا يصلون اليكما وان لم تومنوا لي اي تصدقوا
فاعتزلون اي كونوا بمعزل وهذه متاركة حسنة فدعا ربه اي فاصروا على الكفر
وراى انهم لا يرجعون فالتجا الى الله بالدعاء وهي طريقة الانبياء كما قال فدعا ربه
اني مغلوب فانتصر ان هولاء قوم مجرمون لهم وقرا الجمهور ان هولاء بفتح الهمزة اي
بان هولاء وقرا ابن ابي اسحق وعيسى والحسن في رواية وزيد بن علي بكسرها فاسر
بعبادي في الكلام حذف اي فاسع فقال له الله اسر بعبادي وهم بنو اسرائيل
ومن امن به من القبط وقال الزمخشري فيه وجهان اضمار القول بعد الفا
فقال اسر بعبادي وان يكون جواب شرط محذوف كانه قيل قال ان كان
الامر كما تقول فاسر بعبادي ليلا واكثر اما هذا الزجاج حرف الشرط

وايضا جوابه وهو لا يحور الا بدليل واضح كان سعيد بن الاحزاب ما اسبهه باذكر في النحو على خلاف في ذلك انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وجنوده فتنجون ويغرق المتبعون واترك البحر رهوا قال ابن عباس ساكنا كما جئته وقال مجاهد وعكرمة من قوله فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا وقال الضحاك دمثا لينا وقال عكرمة جردا

وقال ـــــــ بن زيد سهلا وقال مجاهد ايضا منفرجا قال قتادة واراد موسى ان يضرب البحر بعصاه لما قطعه حتى يلتئم وخاف ان يتبعه فرعون فقيل له هذا انهم جند مغرقون اي فخلهم اذا رأوه ساكنا على حالته حسبوا دخل فيه موسى وبنوا اسرائيل او مفتوحا طريقا يبسا دخلوا فيه فيطبقه الله عليهم كم تركوا اي كثيرا تركوا من جنات وعيون تقدم تفسيرها في الشعراء وقرا الجمهور ومقام بفتح الميم قال ـــــــ ابن عباس ومجاهد وابن جبير اراد المنابر وقرا ابن هرمز وقتادة وابن السميفع ونافع في رواية خارجة بضمها قال قتادة اراد المواضع الحسان من المجالس والمساكن وغيرها ونعمة بفتح النون عمارة العيش ولذاذة الحسنة وقرا ابو رجاء ونعمة بالنصب عطفا على كم كانوا فيها فاكهين قرا الجمهور بالف اي طيبين لا نفسهم او اصحاب فاكهة كلابن وتامر وقرا ابو رجاء والحسن بغير الف والفكه يستعمل كثيرا في المستخف المستهزئ فكانهم كانوا مستخفين بشكر النعمة التي كانوا فيها وقال الجوهري فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان مزاحا والفكه ايضا الاشر قال القشيري فاكهين لاهين كذلك قال الزجاج المعنى الامر كذلك فيوقف على كذلك فالكاف في موضع رفع خبر مبتدا محذوف وقيل ـــــــ الكاف في موضع نصب اي نفعل فعلا كذلك لمن نريد اهلاكه وقال الكلبي كذلك افعل بمن عصاني وقيل الحق في الهلاك اهلاكا واهلكنا ما كذلك وقال الزمخشري الكاف منصوب على معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها واورثناها قوما اخرين ليسوا منهم وهم بنوا اسرائيل كانوا مستعبدين في يد القبط فاهلك الله القبط على يديهم واورثهم ملكهم وما لهم وقال الحسن اخرجت بنو اسرائيل رجعوا الى مصر بعد هلاك فرعون وضعف قول قتادة بانه لم يرو في مشهور التواريخ ان بني اسرائيل رجعوا الى مصر في شيء من ذلك الزمان ولا ملكوها قط الا ان يريد

فان انهم ورثوا نوعها في بلاد الشام انتهى ولا اعتبار بالتواريخ فالكذب فيها كثير وكلام الله صادق قال تعالى في سورة الشعراء كذلك واورثناها بني اسرائيل وقيل قوما اخرين من مالك مصر بعد القبط من غير بني اسرائيل فما بكت عليهم السماء والارض استعارة لتحقير امرهم وانه لم يتغير عن هلاكهم شيء ويقال في التعظيم بكت عليه السماء والارض وبكته الريح واظلمت له الشمس وقال يزيد بن مفرغ

الريح تبكي شجوه والبرق يلمع في غمامه

وقال ـــــــ الفرزدق

فالشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

وقال ـــــــ النابغة

بكى حارث الجولان من فقد ربه وحوران منه خاشع متضائل

حارث الجولان وحوران بلدان وقال ابن عطية قال جرير

لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع

ويقول في التحقير مات فلان فما خشعت الجبال وتشبه هذه الامثال لما لا يفعل ولا يصدر منه حقيقة عبارة عن تاثير المذكور او عن عدمه وقيل هو على حذف مضاف اي فما بكى عليهم اهل السماء وهم الملائكة ولا اهل الارض وهم المؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين روي ذلك عن الحسن وما روي عن علي وابن عباس ومجاهد وابن جبير ان المؤمن اذا مات بكى عليه من الارض موضع عبادته واثر صعوده حالة ونبكي عليه في السماء موضع صعود عمله قالوا فلم يكن في قوم فرعون من هذه حاله بشيء وما كانوا منظرين اي موخرين عن العذاب لما جاء وقت هلاكهم بل عجل الله لهم ذلك في الدنيا ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب من فرعون المهين قال انا امث الشرك يسيرة وهو احرنا هم على علم على العالمين ومن ايام وهي الحسنات ما لا مثله فيه من الى مقولا للعولقين ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين فاتوا بابائنا ان كنتم صادقين اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين يوم لا يغني

مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم إن شجرة
الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه إلى سواء
الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز الكريم إن هذا ما
كنتم به تمترون إن المتقين في مقام أمين في جنات وعيون يلبسون من سندس
وإستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين
لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك
هو الفوز العظيم فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب إنهم مرتقبون
لما ذكر تعالى إهلاك فرعون وقومه ذكر إحسانه لبني إسرائيل بعد أن دفع الضرر
عنهم وهو نجاتهم مما كانوا فيه من العذاب ثم ذكر اتصال النفع لهم من اختيارهم
على العالمين وإيتائهم الآيات والعذاب المهين قتل أبنائهم واستخدامهم في الأعمال
الشاقة وقرأ عبد الله من عذاب المهين وهو من إضافة الموصوف
إلى صفته كبقلة الحمقاء ومن فرعون بدل من العذاب على حذف مضاف أي من
عذاب فرعون أو لا حذف وجعل فرعون نفسه هو العذاب مبالغة وقيل يتعلق
بمحذوف أي كائنا وصادرا من فرعون وقرأ ابن عباس من فرعون من
استفهام مبتدأ وفرعون خبر لما وصف فرعون بالشدة والفظاعة قال
من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته ثم عرف حاله
في ذلك بقوله إنه كان عاليا من المسرفين أي مرتفعا على العالم أو متكبرا مسرفا
من المسرفين ولقد اخترناهم أي اصطفيناهم وشرفناهم على علم على علم منا بهم لم
يذكر ما يعلمه فيعدل على علم منهم ويفضل منهم فاخترناهم للنبوات والرسالات وقيل
على علم منا أي عالمين بمكان الخيرة وبأنهم أحقاء بأن يختاروا وقيل
على علم منا بما يصدر من العدل والإحسان والعلم والإيمان وقيل على علم منا
بأنهم يزيغون ويفرط منهم الفرطات في بعض الأحوال وقيل اخترناهم بهذا الإنجاء
وبهذه النعم على سابق علم لنا فيهم بذلك دون العالم على العالمين أي عالمي زمانهم
لأن أمة محمد صلى الله عليه وسلم مفضلة عليهم وقيل على العالمين على كثرة الأنبياء فيهم
وهذا خاص بهم ليس لغيرهم فيكون الاختيار من هذه الجهة مع أن أمة محمد أفضل

أو يحمل في قوله على علم على الشيء يحتمل هنا أن يعني على التي في قوله على العالمين لأنك تقول اختار
واحد لما اختلف المدلول كقوله ونوما على ظهر الكنيف تعذرته على آلية حلفة
لم تحلل فعلى علم حال من الفاعل أو من المفعول وعلى ظهر حال من الفاعل في تعذرت
والعامل في ذي الحال هو العامل في الحال وآتيناهم من الآيات أي المعجزات الظاهرة
في قوم فرعون وما ابتلوا به في بني إسرائيل مما أنعم به عليهم من تظليل الغمام والمن والسلوى
وغير ذلك مما لم يظهر لغيرهم ما فيه بلاء مبين اختبار النعم لما ... الابتلاء بالنعم والابتلاء
بالنقم كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة إن هؤلاء يعني قريشا لأن الإشارة إليهم حضور
لهم ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى أي ما الموتة إلا محصورة في موتتنا الأولى
وكانوا قد قيل لهم إنكم تموتون موتة تعقبها حياة ثم ... بذكر موتتين
أولى ثانية فأنكروا أن تكون لهم موتة ثانية والمعنى ما آخر أمرنا ومنتهى وجودنا
إلا عند موتتنا ... ثم خرجوا إلى تصحيح قولهم فقالوا
وما نحن بمنشرين أي مبعوثين بعد الحياة التي تقع فيها حساب وثواب وعقاب وكان
قولهم ذلك في معنى قولهم إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين فأتوا بآبائنا
خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين الذين كانوا يعدونهم بالبعث
أي ابعث ضربا منهم ممن يقولون لهم أحيوا لنا من مات من آبائنا لنسألكم ... حتى يكون
ذلك دليلا على البعث في الآخرة قيل طلبوا من الرسول أن يدعو الله فيحيي لهم
قصي بن كلاب ليشاوروه في صحة النبوة والبعث إذ كان كبيرهم ومشاورهم
في النوازل أهم خير أي أهم أشرف ... خير قوم تبع الظاهر أن تبعا هو تبع ... ووقع النبأ على
من قومه وبين قوم الرسول عليه السلام وإن كان لفظ تبع يطلق على كل
من ملك اليمن كما يطلق كسرى على من ملك الفرس وقيصر على من ملك الروم قيل واسمه
أسعد الحميري وكنيته أبو كرب وذكر أبو حاتم عن الرياشي أنه آمن بالنبي صلى الله
عليه وسلم قبل أن يبعث بسبعمائة سنة وروي أنه لما أمر بالمدينة كتب كتابا
ونظم شعرا أما الشعر فهو:
شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري إلى عمره لكنت وزيرا له وابن عم

وأما الكتاب فروى ابن إسحق وعن ابن إسحق كان فيه أما بعد فإني آمنت بك وبكتابك
الذي أنزل عليك وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك ورب كل شيء وآمنت بكل
ما جاءك من ربك من شرائع الإسلام فإن أدركتك فيها ونعمت وإن لم أدركك فاشفع
لي ولا تنسني يوم القيامة فإني من أمتك الأولين وبايعتك قبل مجيئك وأنا على
ملتك وملة أبيك إبراهيم عليه السلام ثم ختم الكتاب ونقش عليه لله الأمر من
قبل ومن بعد وكتب عنوانه إلى محمد بن عبد الله نبي الله ورسوله خاتم النبيين
ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الأول ثم قال وكان الكتاب والشعر
عند أبي أيوب خالد بن زيد فلم يزل عنده حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم
وكانوا يتوارثونه كابرا عن كابر حتى أدوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن
عباس كان تبع نبيا وعنه لما أقبل تبع من المشرق بعدما حيّر الحيرة وبنى سمرقند
قصد المدينة وقد كان خلف بها حين سار منها ابنا فقتل غيلة فأجمع على خرابها
واستئصال أهلها فجمع له الأنصار وخرجوا لقتاله وكانوا يقاتلونه بالنهار
ويقرونه بالليل فأعجبه ذلك وقال إن هؤلاء لكرام إذ جاءه كعب وأسد ابنا عم
من قريظة حبران فأخبراه أنه يحال بينك وبين ما تريد فإنها مهاجر نبي من قريش
اسمه محمد مولده مكة فثناه قولهما عما كان يريد ثم دعواه إلى دينهما فاتبعهما
وأكرمهما فانصرفوا عن المدينة ومعهم نفر من اليهود فقال له الا ندلك نفر من هذيل
بمكة على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة بمكة فأرادت هذيل هلاكه
لأنهم عرفوا أنه ما أراده أحد بسوء إلا هلك فذكر ذلك للحبرين فقالا ما نعلم لله بيتا
في الأرض غير هذا فاتخذه مسجدا وانسك عنده واحلق رأسك وما أراد القوم
إلا هلاكك فأكرمه وكساه وهو أول من كسا البيت وقطع أيدي أولئك
النفر من هذيل وأرجلهم وسمل أعينهم وصلبهم وقال في موقع لفظ المراد
تبع رجلا واحدا إنما المراد ملوك اليمن والذي يظهر أنه أراد واحدا مشهورا تعرفه
العرب بهذا الاسم أكثر من معرفة غيره وفي الحديث لا تسبوا تبعا فإنه كان
مؤمنا فهذا يدل على أنه واحد بعينه وقال الجوهري التبابعة ملوك اليمن
والتبع الظل والتبع ضرب من الطير وقال أبو القاسم السهيلي تبع اسم لكل ملك

ملك

ملك اليمن والشحر وحضرموت وملك اليمن وحده لا يسمى تبعا قاله المسعودي و
الحميرية الواقعة فيها المعافر وكذلك الصعب لأخذهم بالسنة المعتوه والمنعة
كان لها القادر خيرهم أولئك بعد ذكر المتوعدين وفي تفسير ابن عباس أهم أشد
أم قوم تبع وأضافه قوم إلى تبع على أنه أكبر من بينهم **أهلكناهم إنهم كانوا
مجرمين** أخبار بما فعل تعالى بهم وتنبيه على أن علة الإهلاك هي الإجرام وفي ذلك
وعيد لقريش وتهديد بأن يفعل بهم ما فعل بقوم تبع ومن قبلهم من المكذبين الرسل
لأجرامهم ثم ذكر الدليل القاطع على صحة القول بالبعث وهو خلق العالم بالحق
وقرأ الجمهور وما بينهما أي بين الصنفين وعبيد بن عمير وما بينهن لاثنين قال بعض
ما بينهن **ما خلقناهما إلا بالحق** أي بالعدل كان في المحسن والمسيء بأن أراد
تعالى من ثوابه وعقابه ولكن أكثرهم لا يعلمون أنه خلق ذلك كذلك
فهم لا يخافون عقابا ولا يرجون ثوابا وقرئ ميقاتهم بالنصب على أنه اسم إن والخبر
يوم الفصل أي أن يوم الفصل ميعادهم وجزاؤهم يوم لا يغني مولى عن مولى
ثم جمع المولى من القرابة والعتاقة والصلة شيئا من الغنى أي قليلا منه ولا هم
ينصرون جمع لأن عن مولى في سياق النفي فيعم فعاد على المعنى لا على اللفظ إلا
من رحم الله قال الكسائي من رحم منصوب على الاستثناء المنقطع
أي لكن من رحمه الله لا ينالهم ما يحتاجون فيه إلى من ينفعهم من المخلوقين وقد
يجوز أن يكون استثناء متصلا أي لا يغني قريب عن قريب إلا المؤمنين فإنه
يؤذن لهم في شفاعة بعضهم لبعض وقال الحوفي ويجوز أن يكون بدلا من مولى
المرفوع ويكون يغني بمعنى ينفع وقال الزمخشري من رحم الله في محل الرفع على
البدل من الواو في ينصرون الذي لا يمنع من العذاب إلا من رحمه الله وقال الحوفي
بدله إنه هو العزيز لا ينصر من عصاه الرحيم لمن أطاعه ومن عفا عنه إن شجرة
الزقوم قرئ بكسر الشين وتقدم الكلام فيها في سورة الصافات طعام الأثيم
الأثيم صفة مبالغة وهو الكثير الآثام ويقال الأثوم صفة مبالغة أيضا وفسر بالمشرك
وقال يحيى بن سلام المكتسب الإثم وعن ابن زيد الأثيم هنا هو أبو جهل وقيل
الوليد كالمهل هو دردي الزيت أو مذاب الفضة أو مذاب النحاس أو على

القطران او الصديد اقوال اولها لابن عمر وابن عباس وثانيها لابن عباس
وقرا الحسن كالمهل بفتح الميم لغة فيه وعن ابن مسعود وابن عباس ايضا
المهل ما اذيب من ذهب او فضة او حديد او رصاص وقرا مجاهد وقتادة
والحسن والابن كثير وحفص يغلي بالياء اي الطعام وعمرو بن ميمون وابو رزين
والاعرج وابو جعفر وشيبة وابن محيصن وطلحة والحسن في رواية وباقي
السبعة تغلي بالتاء اي الشجرة كغلي الحميم وهو الماء المسخن الذي يتطاير من
غليانه خذوه فاعتلوه يقال للزبانية خذوه فاعتلوه اي سوقوه بعنف وجذب
وقال الاعمش معنى اعتلوه اقصفوه كما يقصف الحطب الى سواء الجحيم قال ابن
عباس وسطها وقال الحسن معظمها وقرا الجمهور فاعتلوه بكسر التاء وزيد بن
علي والسدي ونافع بضمها والخلاف عن الحسن وقتادة والاعرج وابي عمرو
ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم وفي الحج يصب من فوق رءوسهم الحميم والمصبوب
في الحقيقة هو الحميم فتارة اعتبرت الحقيقة وتارة اعتبرت الاستعارة لانه اذا صب
الحميم فقد صب ما تولد عنه من الالام والعذاب فعبر بالمسبب عن السبب لان
العذاب هو المسبب عن الحميم ولفظة العذاب اهول واهيب ذق انك وقرا الجمهور
انك انت العزيز الكريم وهذا على سبيل التهكم والهزء لمن كان يتعزز ويتكرم على قومه
وعن قتادة انه لما نزلت ان شجرة الزقوم طعام الاثيم قال ابو جهل ايهددني
محمد وانا ما بين جبليها اعز مني ولا اكرم فنزلت هذه الاية وفي اخرها ذق
انك انت العزيز الكريم اي على قولك وهذا كما قال جرير

الم يكن في وسوم قد وسمت بها من كان موعظة يا زهرة اليمن

يقول لشاعر سمى نفسه به في قوله

ابلغ كليبا وابلغ عنك شاعرها اني الاعز واني زهرة اليمن

فجاء بيت جرير على جهة التهكم وقرا الجمهور انك بكسر الهمزة وقرا الحسن بن علي بن ابي
طالب على المنبر والكسائي بفتحها ان هذا اي الامر او العذاب ما كنتم به
تمترون اي تشكون ولما ذكر حال الكفار اعقب بحال المؤمنين فقال ان المتقين
في مقام امين وقرا عبد الله بن عمر وزيد بن علي وابو جعفر وشيبة والاعرج والحسن

وقتاده

ونافع وابن عامر في مقام بضم الميم وابو رجاء وعيسى ويحيى والاعمش وباقي السبعة
بفتحها ووصف المقام بالامين اي يؤمن فيه من الغير فكانه فعيل بمعنى مفعول اي
مامون فيه قاله ابن عطية وقال الزمخشري الامين من قولك امن الرجل امانة
فهو امين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كانه
يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره وتقدم شرح السندس والاستبرق وقرا
ابن محيصن واستبرق جعله فعلا ماضيا متقابلين وصف لمجالس اهل الجنة لا يستدبر
بعضهم بعضا في المجالس كذلك اي الامر كذلك وقرا الجمهور بحور منونا وعكرمة
بغير تنوين لان العين بعضهن الحور وعن حور فعول من حور العين لانهن
شبهن بذلك يدعون فيها الخدم والمتصرفين عليهم بكل فاكهة ارادوا احضارها
لديهم امنين من الامراض والتخم لا يذوقون فيها الموت وقرا عبيد بن عمير لا يذاقون
مبنيا للمفعول الا الموتة الاولى هذا استثناء منقطع اي لكن الموتة الاولى ذاقوها في
الدنيا وفي ذلك تنبيه على ما انعم به عليهم من الخلود السرمدي وتذكير لهم بمفارقة
الدنيا الفانية الى هذه الدار الباقية وقال الزمخشري فان قلت كيف استثنيت
الموتة الاولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها قلت اريد ان
يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة
الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كانه قيل ان كانت
الموتة الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها وقال ابن عطية قدر قوم
الا بسوى وضعف ذلك الطبري وقدرها ببعد وليس تضعيفه بصحيح بل يصح
المعنى بسوى ويتسق واما معنى الاية فتبين انه نفى عنهم ذوق الموت وانه لا
ينالهم من ذلك غير ما تقدم في الدنيا وقرا ابو حيوة ووقاهم مشدد القاف والضمير
في يسرناه عائد على القرآن وبلسانك بلغتك وهي لغة العرب فارتقب النصر الذي
وعدناك انهم مرتقبون فيما يظنون الدوائر عليك وفيها وعد له عليه السلام ووعيد
لهم ومتاركة منسوخة باية السيف

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب
من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لايات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة

آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فأحيا
به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون تلك آيات الله نتلوها
عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ويل لكل افاك اثيم يسمع آيات
الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب اليم واذا علم من
آياتنا شيئا اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما
كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى
والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم الله الذي سخر لكم البحر لتجري
الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا
يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا
فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم
والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من
الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون   هذه السورة مكية قال ابن عطية بلا خلاف وذكر
الماوردي الا قل للذين آمنوا يغفروا الآية فمدنية نزلت في عمر بن الخطاب
قاله ابن عباس وقتادة وحكى النحاس والمهدوي عن ابن عباس نزلت في عمر
شتمه مشرك بمكة قبل الهجرة فاراد ان يبطش به فنزلت ومناسبة اولها
لآخر ما قبلها في غاية الوضوح قال تعالى فانما يسرناه بلسانك وقال حم تنزيل وبعض
الكلام ثم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم اول السورة وقال
ابو عبد الله الرازي وقوله العزيز الحكيم يجوز جعله صفة لله فيكون ذلك حقيقة
وان جعلناه صفة للكتاب كان مجازا والحقيقة اولى من المجاز مع ان زيادة القرب
توجب الرجحان انتهى وهذا الذي ردد في قوله وان جعلناه صفة للكتاب لا يجوز
فكان يكون التركيب تنزيل الكتاب العزيز الحكيم من الله لان من الله اما ان
يتعلق بتنزيل او بمحذوف هو خبر لهم او مبتدا محذوف فلا يجوز الفصل بين الصفة
والموصوف ولا يجوز اعجبني ضرب زيد بسوط الفاضل اذ في موضع الجر بتنزيل

قال

مبتدا فلا يجوز ضرب زيد الفاضل والتركيب الصحيح في نحو هذا ان تلي الصفة موصوفها
ان في السموات والارض احتمل ان يريد في خلق السموات لقوله وفي خلقكم والظاهر
انه لا يراد التخصيص بالخلق بل في السموات والارض على الاطلاق والعموم اي
شيء نظرت فيها من مخلوق عني من تسخير وتنوير وغيرهما لآيات ولم يأت بالآيات
مفصلة بل اتى بها مجملة احالة على غوامض يثيرها الفكر ويخبر بكثير منها الشرع و
جعلها للمؤمنين اذ في ضمن الايمان العقل والتصديق وما يبث من دابة اي ومن ما يبث
وهو معطوف على وفي خلقكم ومن اجاز العطف على الضمير المجرور من غير اعادة
الخافض اجاز في وما يبث ان يكون معطوفا على الضمير في خلقكم وهو مذهب الكوفيين
ويونس والاخفش وهو الصحيح واختاره الاستاذ ابو علي الشلوبين وقال الزمخشري
يقبح العطف عليه وهذا تفريع على مذهب سيبويه وجمهور البصريين وكذلك
انا صروه كرهوا ان يقولوا مررت بك وزيد انتهى وهذا الحسن الى مجي
والمزيد في الكلام وكان لقوم موصوف وهو الذين لم ينظر بودهم الى البعض وتحامل
الليل والنهار تقدم الكلام على نظيره في سورة البقرة وقرأ الجمهور آيات
جمعا بالرفع فيهما والاعمش والجحدري وحمزة والكسائي ويعقوب بالنصب فيهما وزيد
ابن علي برفعهما على التوحيد وقرأ ابي وعبد الله لآيات فيهما باللام فاما آيات
لقوم يعقلون رفعا ونصبا فاستدل به وشبهه مما جاء في كلام العرب الا حمش
ومن اخذ بمذهبه على العطف معمولين على معمولي عاملين بالواو وفي مسئلة فيها
اربعة مذاهب ذكرناها في كتاب التذييل والتكميل لشرح التسهيل واما ما
يختص بهذه الآية فمن نصب آيات بالواو عطفت آيات على آيات ومن رفع فكذلك لك
والعاملان اولا ان وفي وثانيا الابتداء وفي قال الزمخشري اقيمت
الواو مقامها فعملت الجر في واختلاف الليل والنهار والنصب في آيات واذا
رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف وفي هذه وسبه
على الجر والنصب والجر والرفع بالواو وليس بصحيح لان الصحيح من المذاهب ان حرف
العطف لا يعمل ومن منع العطف على مذهب الاخفش اضمر حرف الجر فقدر وفي اختلاف ف
فالعمل لحرف مضمر او نابت الواو مناب عامل واحد ويدل على ذلك في قراءة عبد الله

وفي اختلاف فعلها جرا بمعنى وحسن حذف في تقدمها في قوله وفي خلقكم وخرج ايضا
النصب في آيات على التوكيد لآيات المتقدمة ولا اضمار حرف ايضا وقرئ واختلاف
الليل والنهار آية بالرفع والمعنى ان المصنفين من العباد اذا نظروا في السموات
والارض النظر الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله
واقروا فاذا نظروا في خلق انفسهم وتنقلها من حال الى حال وهيئة الى هيئة
وفي خلق ما على ظهر الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وايقنوا
وانتفى عنهم اللبس فاذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت
كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بها بعد موتها وتصريف
الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وقال
ابو عبد الله الرازي ذكر في البقرة ثمانية دلائل وهنا ستة لم يذكر الفلك
والسحاب والسبب في ذلك ان مدار الحركة للفلك والسحاب على الرياح
المختلفة فذكر الرياح وصار كجعل مقطع الثمانية واحدا وهنا رتبها على مقاطع
ثلاثة يؤمنون يوقنون يعقلون واظن سبب هذا الترتيب ان قيل ان كنتم
مؤمنين فافهموا هذه الدلائل وان لم تكونوا مؤمنين وكنتم من طلاب الحق واليقين
فافهموا هذه الدلائل وان لم تكونوا مؤمنين ولا موقنين فلا اقل ان تكونوا من
العاقلين فاجتهدوا وقال في البقرة ان في خلق السموات وهنا ان في
السموات فدل على ان الخلق غير المخلوق وهو الصحيح عند اصحابنا ولا تفاوت
بين ان يقال في السموات او في خلق السموات انتهى وفيه تلخيص وبعضه بالمعنى
تلك آيات الله اي تلك الآيات وهي الدلائل المذكورة نتلوها اي نسردها
عليك ملتبسة بالحق ونتلوها في موضع الحال اي متلوة قال الزمخشري والعامل
ما دل عليه تلك من معنى الاشارة نحو وهذا بعلي شيخا انتهى وليس نحوه
لان في هذا حرف تنبيه وقيل العامل في الحال ما دل عليه حرف التنبيه
اي تنبه واما تلك فليس فيها حرف تنبيه فاذا كان حرف التنبيه عاملا
بما فيه من معنى التنبيه لان الحرف قد يعمل في الحال والمعنى تنبه لزيد في حال
شيخه او في حال قيامه وقيل العامل في مثل هذا التركيب فعل محذوف يدل عليه

المعنى

المعنى اي انظر اليه في حال شيخه فلا يكون اسم الاشارة عاملا ولا حرف التنبيه
ان كان هناك وقال ابن عطية نتلوها فيه حذف مضاف اي نتلو شأنها
وشرح العبرة بها ويحتمل ان يريد بآيات الله القرآن المنزل في هذه المعاني
فلا يكون في نتلوها حذف مضاف انتهى ونتلوها معناه يأمر الملك ان يتلوها
وقرئ يتلوها بالياء وهو كتابه وكلامه لقوله الله نزل احسن الحديث كتابا
متشابها وقال فبأي حديث بعده يؤمنون اي بعد حديث الله وكلامه وقال
الضحاك بعد توحيد الله وقال الزمخشري بعد الله وآياته اي بعد آيات الله كقولهم
اعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد انتهى وهذا ليس بشيء لان فيه من حيث
المعنى اقحام الاسماء من غير ضرورة والعاطف والمراد غير العطف من اخراجه الى
باب البدل لان تقدير كرم زيد انما يكون في اعجبني زيد كرمه بغير واو على البدل وهذا
قلب لحقائق النحو وانما المعنى في اعجبني زيد وكرمه ان ذات زيد اعجبته واعجبه
كرمه فهما اعجابان لا اعجاب واحد وقد رددنا عليه مثل قوله هذا فيما تقدم
وقرأ ابو جعفر والاعرج وشيبة وقتادة والحرميان وابو عمرو وعاصم في رواية يؤمنون
بالياء والاعمش وباقي السبعة بتاء الخطاب وطلحة يوقنون بالياء من
القاف من الايقان ويل لكل افاك اثيم نزلت في ابي جهل وقيل في
النضر بن الحارث وما كان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن
استماع القرآن والآية عامة فيمن كان مضارا لدين الله وافاك اثيم صيغتا مبالغة
والعاطف هذه الآية تقدم الكلام عليها وقرأ الجمهور علم وقتادة ومطر الوراق
بضم العين وشد اللام مبنيا للمفعول اي عرف قال الزمخشري فان قلت
ما معنى ثم في قوله ثم يصر مستكبرا قلت كمعناه في قول القائل يرى غمرات الموت
ثم يزورها وذلك ان غمرات الموت حقيقة بان ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها
واما زيارتها والاقدام على مزاولتها فامر مستبعد فمعنى ثم الايذان بان فعل المقدم
عليها بعدما رآها وعاينها شيء يستبعد في العادات والطباع وكذلك آيات الله
الواضحة الناطقة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول اصراره
على الضلالة عندها واستكباره عن الايمان بالحق بها هزوا ولم يعل الحق اشعارا

لم

سوت

بأنه إذا أحس بشيء من الكلام أنه من جملة الآيات التي أنزلها الله خاض في الاستهزاء
بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه وقال الزمخشري ويحتمل وإذا علم من
آياتنا شيئا يمكن أن يتشبث به المعاند ويجد له محملا يتسلق به على الطعن والغمز
افترصه واتخذ آيات الله هزوا ونحو اعتراض ابن الزبعرى قوله عز وجل إنكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته وقوله خصمتك ويجوز أن يرجع
الضمير إلى شيء لأنه في معنى الآية كقول أبي العتاهية

نفسي بشيء من الدنيا معلقة ... الله والقائم المهدي يكفيها

حيث أراد عتبة وعتبة جارية كان أبو العتاهية يهواها وينسب بها
والإشارة بأولئك إلى كل أفاك لشموله الأفاكين كما حمل الأول على لفظ كل
فأفرد ثم على المعنى فجمع فقوله كل حزب بما لديهم فرحون من ورائهم جهنم أي من
قدامهم والوراء ما توارى من خلف وأمام ولا يغني عنهم ما كسبوا من الأموال
في متاجرهم ولا ما اتخذوا من دون الله من الأوثان هذا أي القرآن هدى أي بالغ
في الهداية كقولك هذا رجل أي كامل في الرجولية وقرأ طلحة وابن محيصن وأهل
مكة وابن كثير وحفص أليم بالرفع نعتا لعذاب والحسن وأبو جعفر وشيبة
وعيسى والأعمش وباقي السبعة بالجر نعتا لرجز الله الذي سخر لما ذكر الآيات
في تسخير هذا المخلوق العظيم والسفن الجارية فيه بما لهو المخلوق الحقير وهو الإنسان
بأمره أي بقدرته وإذنه من أسباب العون لتبتغوا من فضله
بالتجارة وبالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطري ما في السموات
من الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح والهواء والأملاك الموكلة بها إذ كله
وما في الأرض من البهائم والمياه والجبال والنبات وقرأ الجمهور منه وابن عباس
منّة بكسر الميم وشد النون ونصب التاء على المصدر قال أبو حاتم سند هذه القراءة
إلى ابن عباس ظلم وحكاها أبو الفتح عن ابن عباس وعبد الله بن عمرو والجحدري وعبد الله
ابن عبيد بن عمير وحكاها ... عن مسلمة بن محارب صاحب اللوامح وحكاها ابن خالويه
عن ابن عباس وعبيد بن عمير وقرأ مسلمة بن محارب كذلك إلا أنه ضم التاء أي
هو منّة وعنه أيضا فتح الميم وشد النون وهاء الكناية عائد على الله وهو فاعل

بسخر

سخر على الإسناد المجازي أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ذلك أو هو منه والمعنى
على قراءة الجمهور أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه وحاصلة من عنده إذ هو موجدها
بقدرته وحكمته ثم سخرها لخلقه وقال الزمخشري ويجوز أن يكون منه خبر مبتدأ محذوف
تقديره هي جميعا منه وأن يكون وما في الأرض مبتدأ ومنه خبره انتهى ولا يجوز هذان
الوجهان إلا على قول الأخفش لأن جميعا إذ ذاك حال والعامل فيها معنوي وهو
الجار والمجرور فهو نظير زيد قائما في الدار ولا يجوز على مذهب الجمهور قل للذين آمنوا
يغفروا نزلت في صدر الإسلام أمر المؤمنين أن يتجاوزوا عن الكفار وأن لا يعاقبوهم
بذنب بل يصبرون لهم قاله السدي ومحمد بن كعب قيل وهي محكمة والأكثر على أنها
منسوخة بآية السيف يغفروا في   أوجه للنحاة تقدمت في قل لعبادي
الذين آمنوا يقيموا الصلاة في سورة إبراهيم لا يرجون أيام الله أي وقائعه بأعدائه
ونقمته منهم قاله مجاهد وقيل أيام إنعامه ونصره وتنعيمه في الجنة وغير
ذلك وقيل لا يأملون الأوقات التي وقتها الله لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل
نزلت قبل آية القتال ثم نسخ حكمها وتقدم قول ابن عباس أنها نزلت في عمر بن الخطاب
في نسبة رجل من غفار له فأراد أن يبطش به وقرأ الجمهور ليجزي بالياء مبنيا للفاعل
أي ليجزي الله وزيد بن علي وأبو عبد الرحمن والأعمش وأبو خليد وابن عامر وحمزة
والكسائي بالنون وشيبة وأبو جعفر بخلاف عنه بالياء مبنيا للمفعول وقد روي
ذلك عن عاصم وفيه حجة لمن أجاز بناء الفعل للمفعول على أن يقام المجرور وهو بما وينصب
المفعول به الصريح وهو قوما ونظيره ضرب بسوط زيدا ولا يجيز ذلك الجمهور
وخرجت هذه القراءة على أن يكون بني الفعل للمصدر أي وليجزى الجزاء قوما وهذا أيضا
لا يجوز عند الجمهور لكن يتأول على أن ينتصب قوما بفعل محذوف تقديره يجزي قوما فيكون
جملتان إحداهما ليجزى هو أي الجزاء والأخرى يجزيه قوما وقوما هنا يعني به الغافرين
ونكر على معنى التعظيم لشأنهم كأنه قيل قوما أي قوم من شأنهم التجاوز عن السيئات
والصفح عن المؤذيات وتحمل الوحشة وتجرع الغيظ وقيل يريد الذين لا يرجون أيام الله أي بما كانوا
يكسبون من الإثم كأنه قيل لم تكافئوهم أنتم حتى نكافئهم نحن من عمل صالحا كقوله العا
ومن أساء كقوله ... اللام في فلنفسه لأن المحاب والحظوظ تستعمل

منها الله الذي يستعمل الملك ونحوه في تعلقها بأن الامور المشا قد تستعمل فيها
على الدلالة على العلو والقهر كما يقول الامور لزيد منا بعده وعلى عمرو مستعمة الكلام
التوراة والحكم الفصل وفصل الامور لان الملك كان فيهم قبل والحكم الفقه ويقال
لم يتسع فقه الاحكام على نبي ما اتسع على لسان موسى من الطيبات المستلذات
الحلال وملكه ثم الغنم والمن والسلوى وطيبات الشام اذ هي الارض
المباركة بينات اي دلالات واضحة من الامر ابتداء الوحي الذي وقعت
فيه الامور عن ابن عباس ويحتمل الامر من امر النبي صلى الله عليه وسلم وانه
يهاجر من تهامة الى يثرب وقيل معجزات موسى فما اختلفوا الا من بعد
ما جاءهم العلم بغيا بينهم ثم يقدم بعضهم في سورة **ثم جعلناك على شريعة**
من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا
وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين هذا بصائر للناس وهدى
ورحمة لقوم يوقنون ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا
وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وخلق الله السموات
والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون افرايت من اتخذ
الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة
فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت
ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون
واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم
صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن اكثر
الناس لا يعلمون لما ذكر تعالى انعامه على بني اسرائيل واختلافهم بعد ذلك
ذكر حال نبيه عليه السلام وما من به عليه من اصطفائه فقال ثم جعلناك
على شريعة من الامر قال قتادة الشريعة الامر والنهي والحدود والفرائض وقال
مقاتل البينة لانها طريق الى الحق وقال الكلبي السنة لانه كان يستن بطريقة
من قبله من الانبياء وقال ابن زيد الدين لانه طريق النجاة والشريعة في كلام العرب
الموضع الذي يرد فيه الناس في الانهار والمياه ومنه قول الشاعر

وفي

وفي الشرائع من جيلان مقتنص رث الثياب خفي الشخص منسرب
فشريعة الدين من ذلك من حيث يرد الناس امر الله وتحمده والقرب منه من الامر
اي من الامور التي بين دين الله الذي شرعه من قبلنا اي في الزمان السالف او لكونه
مصدرا لعبادته من الامر والنهي وسمي النهي امرا اهواء الذين لا يعلمون من جهال
قريظة والنضير وقيل رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين ابائك هذا بصائر
اي هذا القران جعل ما فيه من معالم الدين بصائر للقلوب كما جعل روحا وحياة
وقرئ هذه اي هذه الايات ام حسب ام منقطعة تقدر ببل والهمزة وهو
استفهام انكار قال الكلبي نزلت في علي وحمزة وعبيدة بن الحارث وفي عتبة وشيبة
والوليد بن عتبة قالوا للمومنين والله ما انتم على شيء ولئن كان ما تقولون حقا
لحالنا افضل من حالكم في الاخرة كما نحن افضل في الدنيا واجترحوا اكتسبوا والسيئات
هنا سيئات الكفر ونجعلهم نصيرهم والمفعول الثاني هو كالذين وبه يتم المعنى
وقرا الجمهور سواء بالرفع ومماتهم بالرفع ايضا واعربوا سواء خبرا مقدما ومحياهم
مبتدأ وان تكون الجملة بدلا وهو حال تقدم وما بعده المبتدأ او الخبر منسابط
واحتمل الضمير في محياهم ومماتهم ان يعود على الذين اجترحوا اخبر ان حالهم
الزمانين سواء وان يعود على المجترحين والصالحين بمعنى ان محيا المومنين ومماتهم
سواء في الكرامة عند الله ومحيا المجترحين ومماتهم سواء في اهانتهم عند الله وعدم
كرامتهم عليه ولكن اللفظ يختلف بهذا المعنى وذهب الشافعي تعريفه اذ قد
تقدم انفراده انه نجعل بقوله كالذين قالوا والوقف سواء الناس على ما ماتوا
عليه وقال مجاهد المومن يموت مومنا ويبعث مومنا والكافر يموت كافرا
ويبعث كافرا قال ابن عطية مفهوم هذا الكلام ان لفظ الاية يعم وبقيت
حال قوله سواء محياهم ومماتهم داخل في المحسبة المنكرة المشبهة وهذا احتمال
حسن والاول ايضا جيد ولم يبين كيفيته ببيت الجملة بما قبلها
حتى تدخل في المحسبة وقال الزمخشري والجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم بدل
من الكاف لان الجملة تقع موقعا مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد الا تراك
لو قلت ان نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا ابوه

سطلوا انتهى وهذا الذي ذهب اليه الزمخشري من ابدال الجملة من المفرد قد اجاز ابو
الفتح واصحابه بن مالك واورد على ذلك شواهد على زعمه ولا يتعين فيها البدل وقال
بعض اصحابنا وهو الامام العالم ضياء الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله الاشبيلي
ويعرف بابن العلج وكان ممن اقام باليمن وصنفه بلا قال في كتابه البسيط في النحو
لا يصح ان يكون جملة معمولة للاول في موضع البدل كما قال في الصفة فانها تقدر بتقدير
المشتق تقدير الجامد فيكون بدلا صحيح فيه تجوز انه ولانه البدل يعمل فيه العامل الاول
فيصح ان تكون بابها والجملة لا تكون في موضع العامل بعض سابكا لا انها لا تحصر وان
كانت معمولة فهل يكون جملة بدلا من جملة لا نعرفه عمن يجوز بها كما يسع
في العطف الجملة الجملة وكتاكيد الجملة التاكيد اللفظي انتهى وسمعت من كلام هذا
الامام انه لا يجوز ان يكون الجملة بدلا من المفرد واما يجوز الزمخشري ان يجعلهم
سوا محياهم ومماتهم يستظهر له انه لا يجوز لما بعد المصنف ولا يجوز صبرت زيد
ابوه قائم ولا ضرب زيد ابوه مستطول لان المصنف اسعال من ذات الى ذات
او من وصف في الذات التي وصف بها وتلك الجملة الواقعة بعد مفعول صبرت
المفرد معمولا لها ليس فيها اسعال مما ذكرنا ولا يجوز في الذي يظهر له انه اذا
ملنا حسب هذه الجملة ما ثلا الا ان يكون جملة في موضع الحال والمعنى ام
الكفار ان نصيرهم مثل المومنين في حال استوا محياهم ومماتهم ليسوا كذلك بل هم
مفترقون اي افتراق الحالتين ويكون هذه الحال مبينة ما انبهم في المثلية الدالة عليها
الكاف التي هي في موضع المفعول الثاني وقرا زيد بن علي وحمزة والكسائي وحفص سوا
بالنصب وما بعده مرفوع على الفاعلية اجرى سوا مجرى مستويا كما قالوا مررت
برجل سوا هو والعدم وجوزوا في انتصاب سوا وجهين احدهما ان يكون منصوبا
في الحال وكالذين المفعول الثاني والعلة وقرا الاعمش سوا بالنصب محياهم ومماتهم
بالنصب انتصب على ان يكون محياهم ومماتهم ظرفي زمان والعامل اما ان
نجعلهم والمفعول الثاني سوا اي ان نجعل محياهم ومماتهم والمعنى انكار ان يستوي
المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم انتهى ويسلم
بقوله وخفوق النجم ليس بحسن لان خفوق مصدر ليس بمعنى مفعول في الحقيقة على

حزن

حزن مصدر فيه اي بقوله خفوق النجم لا في محيا ومماة وتعديم فانما يستعمل في الوضع
مصدرا او اسم زمان او اسم مكان وهذه استعمالات اسم مكان او اسم زمان لا يمكن ذلك
على حذف مضاف بانه هذه بمقاصدها مكانا موضعه والمكان كما وصفت للمصدر وفيه
مشتركة لمعنى في هذه المدلولات الثلاث بخلاف خفوق النجم فانه موضوع للمصدر فقط
وقد خلط ابن عطية في نقل القراءات وتسميته بجوده فانه قال نقرا بالنصب وقرا طلحة
ابن مصرف وعيسى بخلاف عنه سوا بالنصب محياهم ومماتهم بالرفع وقرا حمزة والكسائي
وحفص والاعمش سوا بالنصب محياهم ومماتهم بالنصب ووجه كل واحد من الروايات
على ما يقتضيه صنعة الاعراب انتهى فعلى هذا الوهم صاحب التحرير وهو معروف لانه
ناسخ من كتاب ابن عطية والصواب هو ما قدمناه من القراءات لمن ذكرناه وتستنبط
من هذه الاية تباين حال المومن العاصي من حال الطائع وان كانت في الكفار وتسمى
مبكاة العابدين وعن تميم الداري رضي الله عنه انه كان يصلي ذات ليلة عند المقام
فبلغ هذه الاية فجعل يبكي ويردد الى الصباح ساء ما يحكمون وعن الربيع بن خثيم
انه كان يرددها ليلة اجمع وكذلك الفضيل بن عياض وكان يقول لنفسه
ليت شعري من اي الفريقين انت وقال ابن عطية واما لفظها فيعطي انه اجتراح
الكفر بدليل معادلته بالايمان ويحتمل ان تكون المعادلة بين الاجتراح وعمل الصالحات
وتكون الايمان في الفريقين ولهذا بكى الخائفون ساء ما يحكمون هو كقوله بئسما
اسيروا او موصولة [illegible] اعرابه في البقرة وقال ابن عطية ما مصدرية والتقدير ساء ما
الحكم حكمهم والحق لان جعلها ادنى وانجب لما فيه من نقض الحركات في لبدل عليه ولاله
الصنعة على الصنايع والحزن في كلام في معطوفه على بالحق لان كل منها [illegible] والبا
بمكة فيه للتعليل فكانه الخلو معللا بالجرى قال [illegible] الزمخشري او على
معلل محذوف تقديره ليدل بها على قدرته ولتجزى كل نفس وقال ابن عطية ويحتمل
ان تكون لام الصيرورة اي وصار الامر منها من حيث اهتدى بها قوم وضل عنها
آخرون لان تجازى كل واحد بعمله وبما اكتسبه من خير او شر انتهى افرايت
الاية قال مقاتل نزلت في الحارث بن قيس السهمي وافرايت هنا بمعنى اخبرني والمفعول
الاول هو من اتخذ والثاني محذوف تقديره بعد الصلة التي لمن اي اهتدى يدل

عليه قوله فمن يهديه من بعد الله اي من بعد اضلال الله اياه
من اتخذ الهه هواه اي هو مطواع لهوى نفسه يتبع ما تدعوه اليه فكانه يعبده
كما يعبد الرجل الهه قال ابن جبير اشارة الى الاصنام اذ كانوا يعبدون ما يهوون
من الحجارة وقال قتادة لا يهوى شيئا الا ركبه لا يخاف الله ولهذا يقال الهوى
اله معبود وقرا الاعرج وابو جعفر آلهة منونا بتاء التانيث بدل الهاء وعن الاعرج
انه قرا آلهة على الجمع قال ابن خالويه ومعناه ان احدهم كان يستحسن الحجر فيعبده
ثم يرى غيره فيهواه فيلقي الاول فذلك قوله الهه هواه وهذه الاية وان نزلت في
هوى الكفر فهي متناولة جميع هوى النفس الامارة قال ابن عباس ما ذكر الله هوى
الا ذمه وقال وهب اذا شككت في خير امرين فانظر ابعدهما من هواك فاته وقال
سهل التستري هواك داؤك فان خالفته فدواؤك وفي الحديث والعاجز من اتبع نفسه
هواها وتمنى على الله ومن حكم الشعر قول عنتر وهو جاهلي

اني امرؤ سمح الخليقة ماجد لا اتبع النفس اللجوج هواها

وقال ابو عمران موسى بن عمران الاشبيلي الزاهد

فخالف هواها واعصها ان من يطع هوى نفسه ينزع به شر منزع
ومن يطع النفس اللجوجة ترده وترم به في مصرع اي مصرع

واضله الله على علم اي من الله تعالى بسابق علمه او على علم من هذا الضال بان الحق هو الدين
ويعرض عنه عنادا فيكون كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وقال
الزمخشري تركه عن الهداية واللطف وخذله على علم عالما بان ذلك لا يجدي عليه وانه
ممنوع الالطاف او مع علمه بوجوه الهداية واحاطته بانواع الالطاف المحصلة والمقربة
انتهى وهو على طريقة الاعتزال وقرا الجمهور غشاوة بكسر الغين وعبد الله والاعمش
بفتحها وهي لغة ربيعة والحسن وعبد الله ايضا وعكرمة ايضا بضمها وهي لغة عكلية والاعمش
وطلحة وابو حنيفة ومسعود بن صالح وحمزة والكسائي غشوة بفتح الغين وسكون
الشين وابن مصرف والاعمش ايضا كذلك الا انهما كسرا الغين وتقدم تفسير
الجملة في اول البقرة وقرا الجمهور تذكرون بتشديد الذال والجحدري بتخفيفها والاعمش
تتذكرون وقالوا ما هي اي ما الحياة الا حياتنا الدنيا هذه مقالة بعض قريش انكارا

للبعث

للبعث والظاهر ان قولهم نموت ونحيا حكم على النوع بجملته من غير اعتبار تقديم وتاخير
اي تموت طائفة وتحيا طائفة وان المراد بالموت مفارقة الروح الجسد وقيل في الكلام
تقديم وتاخير اي نحيا ونموت وقيل نموت عبارة عن كونهم نطفا ثم يحيون بالارواح وقيل
نموت عبارة عن كونهم لم يوجدوا ونحيا اي وقت وجودنا وهذا قريب من الاول قبله
ولا ذكر للموت الذي هو مفارقة الروح في هذا القول وقيل يموت الاباء ويحيا
الابناء وقرا زيد بن علي ونحيا بضم النون وما يهلكنا الا الدهر اي طول الزمان فان الا
تستوي بنيته كما لا ينال هذا الا بكاثرة فاثبتوا الدهر معترفين بالله فينسبوا الافات الى
الدهر لجهلهم انها مقدرة من عند الله وان كانوا لا يعترفون بالله فلا يعرفون به وهم الدهرية
فيسندوا ذلك الى الدهر وقرا عبد الله الا دهر يدور وكانوا يضيفون كل
حادثة الى الدهر واشعارهم ناطقة بشكوى الدهر حتى يوجد ذلك في اشعار المسلمين قال
ابن دريد يا دهر ان لم تك عتبى فاتئد فان ارودك والعتب سوا
وما كان حجتهم بالنصب خبر كان جعلهم ما عبر عنه الا ان قالوا ائتوا حجة كما يدلي المحتج
بحجته وسماها حجة فما سمت حجة على سبيل التهكم او لانه في حسبانهم
تحية بينهم ضرب وجيع اي ما كان لهم حجة الا ما ليس بحجة والمراد نفي ان
تكون لهم حجة البتة وقرا الجمهور حجتهم بالنصب والحسن وعمرو بن عبيد وزيد بن علي وعبيد
ابن عمير وابن عامر فيما روى عنه عبد الحميد وعاصم فيما روى هارون وحسين عن ابي بكر
عنه حجتهم بالرفع وجواب اذا ما كان حجتهم اي ما كان حجتهم لان اذا الاستقبال
وخالفت ادوات الشرط بان جوابها اذا كان منفيا بما لم تدخل الفا بخلاف
ادوات الشرط فلا بد من الفا تقول ان تزرنا فما جفوتنا اي فما تجفونا وفي كون
الجواب منفيا بما دليل على ما اخترناه من ان الجواب اذا لا يعمل فيها لان ما بعد ما النافية
لا يعمل فيما قبلها ائتوا باباينا الظاهر انه خطاب للرسول والمومنين اذ هم قائلون بالبعث
او هو خطاب له لانه ركن بالبعث وهم الاكثر فغلب الخطاب على الغيبة وقيل
خطابه ائتوا من حيث المخاطبة لانه المراد هو والمهم قل الله لو سبط الزمخشري كيف وقع
لهم مجاز ذلك قوله ائتوا باباينا وان كانوا اعترفوا بانه لا يهلكهم الا الدهر
وانهم استدلوا على انكار البعث بما لا دليل لهم فيه من سوال احياء ابائهم رد الله

تعالى عليهم بانه تعالى هو المحيي وهو المميت لا الدهر وضم الى ذلك انه جامعهم للحساب يوم البعث وهذا واجب الاعتراف به ان انصفوا ومن قدر على هذا قدر على الاتيان بهم **ولله ملك السموات والارض** ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين واما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا وماواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم العامل في يوم يقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم يقوم قال الزمخشري وحكاه ابن عطية عن فرقة والتنوين في يومئذ عوض من جملة ولم يتقدم جملة الا قوله ويوم تقوم الساعة فيصير التقدير ويوم تقوم الساعة يوم اذ تقوم الساعة يخسر فالذي يظهر ان قوله يوم اذ تقوم الساعة لان ذلك مستفاد من ويوم تقوم الساعة وان كان بدلا توكيدا وهو قليل جاز ذلك والا فلا يجوز ان لا يكون بدلا وقال فرقة العامل في ويوم تقوم الساعة ما يدل عليه الملك قالوا وذلك ان يوم القيامة حالة ثالثة ليست بالسماء ولا بالارض ان ذلك يتبدل فكانه قال ولله ملك السموات والارض والملك يوم القيامة يخسر فيه لدلالة ما قبله عليه ويومئذ منصوب بيخسر وهي جملة فيها استيناف وان كان لها تعلق بما قبلها من جهة تنوين العوض والمبطلون الداخلون في الباطل جاثية باركة على الركب مستوفزة وهي هيئة المذنب الخائف ومن كان يتوقع ما يكره وقال ابو عبيد المحتضرة استيفازا من الخشوع والجاثي هو الذي يجلس على اطراف اصابعه وعن ابن عباس جاثية مجتمعة وعن مجاهد جماعات من الجثوة وهي الجماعة يجمع على جثى قال

ترى جثوتين من تراب عليهما صفائح صم من صفيح منضد

وعن مورج السدوسي جاثية خاضعة بلغة قريش وعن عكرمة جاثية متميزة وقرا يعقوب كل امة تدعى بنصب كل على البدل بدل النكرة الموصوفة من النكرة والظاهر عموم كل امة من مومن وكافر قال الضحاك وذلك عند الحساب وقال يحيى بن سلام هو خاص بالكفار تدعى الى كتابها الى الكتاب المنزل عليها فتحاكم اليه هل وافقته او خالفته او الذي كتبته الحفظة وهو صحايف اعمالها او اللوح المحفوظ والمعنى الى ما سبق لها فيه او الى حسابها اقوال وافرد كتابها اكتفا باسم الجنس كقوله ووضع الكتاب اليوم تجزون اي يقال لهم اليوم تجزون هذا كتابنا هو الذي دونت الحفظة امهم وفيه اضافته اليه تعالى لانه مالكه والامر بكتبه واضافته اليهم لان اعمالهم مثبتة فيه واضافة الكتاب الى الله تعالى ولذلك صح اضافته اليهم واليه تعالى ينطق عليكم يشهد بالحق من غير زيادة ولا نقصان انا كنا نستنسخ اي الملائكة اي نجعلها تستنسخ اي تكتب وحقيقة النسخ نقل خط من اصل ينظر فيه واعمال العباد كانها الاصل وقال الحسن هو كتب الحفظة على بني ادم وعن ابن عباس يجعل الله الحفظة تنسخ من اللوح المحفوظ كلما يفعل العباد ثم يمسكونه عندهم فيرى افعال العباد على نحو ذلك فيعتبر انتصاعوهم هو الاستنساخ وكان يقول ابن عباس الستم عربا وهل يكون الاستنساخ الا من اصل ثم ذكر ما يفعل من حال المومن بانه يدخله في رحمته وهو الثواب الذي اعده له وان ذلك هو الظفر بالبغية ومن الكافر بانه يوبخ ويقال له افلم تكن اياتي تتلى عليكم فاستكبرتم عن اتباعها والايمان بها وكنتم اصحاب اجرام فالفا في افلم ينوى بها التقديم واما دخلت الهمزة لان الاستفهام له صدر الكلام والتقدير فيقال لهم الم وقال الزمخشري والمعنى الم ياتكم رسلي فلم تكن اياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه انتهى وقد تقدم الكلام معه في زعمه ان بين الفا والواو اذ تقدمهما همزة الاستفهام معطوف عليه محذوف ورددنا عليه ذلك وقرا الاعرج وعمرو بن فائد واذا قيل ان وعد الله بفتح الهمزة وذلك على لغة سليم والجمهور ان بكسرها وقرا الجمهور والساعة بالرفع على الابتدا ومن زعم ان لاسم ان موضعا اجاز العطف عليه هنا

ارتفع الساعة واسمها موصاحبون بالعطف على محلة وبالعطف على الموضع لان واسمها مما قال ابو علي الذي في الحجة وتبعه الزمخشري معا ان وبالرفع عطفا على محل ان واسمها والصحيح المنع وحمزة بالنصب عطفا على وعد الله وهي يرويه عن الاعمش وابي عمرو وعيسى وابي حيوة والعبسي والمفضل ان نظن الا ظنا تقول ضربت ضربا فاما نفيت لم يدخل الا اذ لا تفرغ العامل للمصدر المؤكد فلا تقول ما ضربت الا ضربا ولا اما لقيت الا قوما واما الايه فاول على حذف وصف للمصدر حتى يصير مختصا لا مؤكدا او تقدير الا ظنا ضعيفا او على تضمين نظن معنى نعتقد ويكون ظنا مفعولا به وتاول ذلك بعضهم على وضع الا غير موضعها وقال التقدير ان نحن الا نظن ظنا وحكي هذا عن المبرد قال ونظيره ما حكاه ابو عمرو بن العلا وسيبويه من قول العرب ليس الطيب الا المسك قال المبرد تقديره ليس الا الطيب المسك انتهى واحتاج الى هذا التقدير لكون المسك مرفوعا بعد الا وانت اذا قلت ما كان زيد الا فاضلا نصبت ولا ترفع بعد الا ما ظهر انه خبر ليس احتاج ان يزحزح الا عن موضعها وجعل ليس ضمير الشان ورفع الا الطيب المسك على الابتداء والخبر فتصير الا في الكلام المقر طيه في نحو ما كان الا زيد قائم ولم يعرف المبرد ان ليس في هذا التركيب عاملها بنو تميم معاملة ما فلا يعملونها الا باقية مكانها ولست عن عامله وليس في الا من مجاري الا وهو منصب في نحو ليس الطيب الا المسك ولا تميمي الا وهو يرفع وفي ذلك حكاية جرت بين عيسى ابن عمر وابي عمرو بن العلا ذكرناها فيما كتبناه من علم النحو ونظيره ان نظن الا ظنا قول الاعشى

وحل به الشيب اثقاله وما اغتره الشيب الا اغترارا

اي اغترارا بينا وقال الزمخشري فان قلت ما معنى ان نظن الا ظنا قلت اصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرفا النفي والاستثنا ليفاد اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوا الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين انتهى وهذا كلام من لا شعور له بالقاعدة النحوية من ان التفريغ يكون في جميع المعمولات من فاعل ومفعول وغيره الا المصدر المؤكد فانه لا يكون فيه وقدره بعضهم ان نظن الا انكم تظنون ظنا قال وانما احتيج الى هذا التقدير لانه لا يجوز

الكلام ما ضربت الا ضربا فانظر الى بعض الفاعلين النحوية واحتاط في التخريج لانه حرف ان واسمها او خبرها او ابقى المصدر وذلك لا يجوز وهذا التخريج يحكى عن المبرد ولعله لابيهم وقولهم ان نظن الا يجمل على ان يكونوا قد اختلفوا ابهم ظنوا البعث وانقادوا قولهم تيليان فيها الا احيانا الدنيا على انهم ساكتون البعث ثم في الله لخالقهم فيما اضطربوا فيه وبدا لهم سيئات ما علموا اي قبائح اعمالهم او عقوبات اعمالهم السيئات والملوح العقوبة سبيئة كما قال وجزا سيئة سيئة مثلها وحاق بهم اي احاط وانتسعل كان الاخذ المكروه ننساكم نترككم في العذاب او نجعلكم كالشي المنسي الملغي غير المبالى به كما نسيتم لقا يومكم اي لقا جزا الله على اعمالكم وما اختطرتم ببال بعد ما ذكرتم به وتقدم الكلام في نحو هذه واضاف اللقا لليوم توسعا كقوله بل مكر الليل والنهار وقرا الجمهور لا يخرجون مبنيا للمفعول والحسن وابن وثاب وحمزة والكسائي مبنيا للفاعل منها اي من النار ولا هم يستعتبون اي يطلب منهم مراجعة الى عمل صالح وتقدم الكلام في ولا هم يستعتبون وقرا الجمهور رب بالجر في الثلاثة على الصفة وابن محيصن بالرفع فيها على اضمار هو والحمد ومثل مسيطلا مر ينفع فيه الاعوجاج والحفا ومنه احقوقف الشي اعوج قال

فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن حقف ذي ركام عقنقل

عيني بالاحقاف اذا لم يعرف كحقيقة ونحوه ونحن الاذنان سعول كما قلت

حتى حج قال

تمت سورة الجاثية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى والذين كفروا عما انذروا معرضون قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ايتوني بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم ان كنتم صادقين ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم اعدا وكانوا بعبادتهم كافرين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ام يقولون

افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو اعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني
وبينكم وهو الغفور الرحيم قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ان
اتبع الا ما يوحى الي وما انا الا نذير مبين قل ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به
وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين

هذه السورة مكية وعن ابن عباس وقتادة ان قل ارايتم ان كان من
عند الله وما بعده كاصبر الا بسين مدنيات ومناسبة اولها لما قبلها ان في اخرها
وقيل ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وقلتم انه عليه السلام اختلقها فقال تعالى حم
تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم وهاتان الحسنيان هما اخر تلك وهذا اول هذه واجل مسمى
اي موعد لفساد العالم قال ابن عباس هو القيامة وقال غيره اي اجل كل مخلوق من
ما انذروا او كلمة ان تكون ما مصدرية وان تكون بمعنى الذي قل ارايتم ما تدعون
معناه اخبروني عن الذين تدعون من دون الله وهي الاصنام اروني ماذا خلقوا
من الارض استفهام توبيخ ومفعول ارايتم الاول هو ما تدعون وماذا خلقوا جملة
استفهامية سدت مسد المفعول الثاني لان مفعولها الثاني يكون استفهاما ويطلبها اروني على
سبيل التعليق فهذا من باب الاعمال اعمل الثاني وحذف مفعول ارايتم الثاني ويجوز ان
تكون اروني توكيدا لارايتم لان ارايتم بمعنى اخبروني واروني اخبروني كانهما بمعنى واحد
وقال ابن عطية يحتمل ارايتم وجهين احدهما ان تكون متعدية وما مفعولة بها ويحتمل
ان تكون ارايتم منبهة لا متعدية وتكون ما استفهاما على معنى التوبيخ وتدعون معناه
تعبدون انتهى وكون ارايتم لا تتعدى وانها منبهة شيء قاله الاخفش في قوله قال
ارايت اذ اوينا الى الصخرة والذي يظهر ان ما تدعون مفعول ارايتم كما هو في قوله
ارايتم شركاءكم الذين تدعون في سورة فاطر وتقدم الكلام على نظير هذه الجملة
مشبعا وتقدم معنا الكلام في ارايتم في سورة الانعام مستوعبا ومن الارض
تفسير للابهام في ماذا خلقوا والظاهر انه يريد من اجزاء الارض اي شيء ذلك انما هو
الله او يكون على حذف مضاف اي من العالم على الارض اي على وجهها من حيوان او
غيره ثم وبخهم على عبادتهم بقوله ام لهم اي بل لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب
من قبل هذا اي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني ان هذا القرآن

ناطق

ناطق بالتوحيد وبابطال الشرك وكل كتب الله المنزلة ناطقة بذلك فطلب منهم ان
ياتوا بكتاب واحد يشهد بصحة ما هم عليه من عبادة غير الله او اثارة من علم
اي بقية من علم من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة على اثارة من شحم اي على بقية شحم
كانت بها من شحم ذاهب والاثارة تستعمل في بقية الشرف يقال لبني فلان اثارة
من شرف اذا كانت عندهم شواهد قديمة وفي غير ذلك قال الراعي

وذات اثارة اكلت عليها نباتا في اكمته فقارا

اي بقية من شحم وقرا الجمهور او اثارة وهو مصدر كالشجاعة والسماحة وهي البقية
من الشيء كانها اثرة وقال الحسن المعنى من علم استخرجتموه فتثيرونه وقال مجاهد المعنى
هل من احد ياثر علما في ذلك وقال القرطبي هو الاسناد ومنه قول الاعشى

ان الذي فيه تماريتما بين للسامع والآثر

اي والمسند عن غيره ومنه قول عمر رضي الله عنه فما حلفت به ذاكرا ولا آثرا وقال
ابو سلمة بن عبد الرحمن ومعنى المعنى او خاصة من علم فاستاثرتم بها من الاثرة
وكانها قد اثره الله بها من هو عندكم وقال ابن عباس المراد بالاثارة الخط في التراب
وذلك شيء كانت العرب تفعله ويتكهن به ويزجر وتفسير الاثارة بالخط يقتضي
تقوية امر الخط بالتراب وانه شيء له وجه اذا وفق احد اليه وقد اراه صح تفسير
ابن عباس الاثارة بالخط في التراب كان ذلك من باب التهكم بهم وبافعالهم
ودلائلهم وقرا علي وابن عباس بخلاف عنهما وزيد بن علي وعكرمة وقتادة والحسن والسلمي
والاعمش وعمرو بن ميمون اثرة بغير الف وهي واحدة جمعها اثر كقترة وقتر
وعلي والسلمي وقتادة ايضا باسكان الثاء وهي الفعلة الواحدة مما يؤثر اي قد
قنعت لكم بخبر واحد او اثر واحد يشهد بصحة قولكم ومن الكسائي ضم الهمزة واسكان
الثاء وقال ابن خالويه وقال الكسائي على لغة اخرى اثرة وابن يعني بكسر الهمزة وضمها
ومن اضل استفهام توبيخ لعبدة الاصنام اي لا احد اضل اي ابلغ في الضلال ممن
يعبد الاصنام وهي جماد لا تقدر على اسعافه به دعاهم ما دامت الدنيا انهم لا يستجيبون
لهم ابدا وكذلك عن استجابتهم بقوله الى يوم القيامة ومع ذلك لا شعور لهم
بعبادتهم اياهم وهم في الآخرة اعداؤهم واثبتهم في الدنيا بهم نفع وهو عليهم في الآخرة

صدد كانوا يشكرون عبادتهم ويكونون عليهم ضدا وجاحدين لا يستجيب لهم لانهم
يستدرون المخ الذين ما يستشيرها ولى الهم من الاستجابه والغفله او كان من لا يستجيب
مراد به من عبد من دون الله من الانس وجن وغيرها وعليه من يعقل ومن لا يعقل
لفظ من في من لا يستجيب له كما فسرناه ويحمل يعود على معنى من في ومن اضل الى
والكفار عن ضلالهم بانهم يدعون من لا يستجيب عالمون انهم لا يسا ملون ما عليهم في
دعائهم من بعد صفه واذا تتلى عليهم اياتنا بينات جمع بينه ومعنى الحجه الواضحه
واللام في للحق لام العله اي لاجل الحق وان يا لظاهر من يدل المضمرين في قال الذين
كفروا للحق وإيان المركين ليدلوا على الوصفين وصف المتلو عليهم بالكفر
ووصف المتلو بالحق ولو جاء بالمضمرين لم يكن في ذلك دليل على الوصفين من حيث
اللفظ وان كان سمى الايات سحرا فهو كافر والايات في نفسها حق ومع ذكر
ظاهرين تسجيل على القائلين بالكفر وعلى المتلو بالحق ومع قوله لما جاءهم يدل على
انهم لما تاملوا اما تتلى عليهم بل بادروا اول سماعه الى نسبته الى السحر عنادا وظلما
ووصفوه بمبين اي ظاهر انه سحر لا شبهة فيه ام يقولون افتراه اي بل ايقولون
اختلقه انتقلوا من قولهم هذا سحر الى هذه المقالة الاخرى والضمير في افتراه عائد الى
الحق والمراد به الايات قل ان افتريته على سبيل الفرض فالله حسبي في ذلك
وهو الذي يعاقبني على الافترا عليه ولا يمهلني وانتم لا تملكون لي من رد عقوبه
الله لي شيئا فكيف افتريته وانعرض لعقابه تعالى فلا تملكون لي من رد عقوبه
الله لي شيئا فكيف افتريته وانعرض لعقابه تعالى فلا تملكون اذا عجب ولا تملك
مما به اذا الهيهم ومثله فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ومن يرد الله
فتنته فلن تملك له من الله شيئا وقوله عليه السلام لا املك لكم من الله شيئا ثم استسلم
الى الله واستنصر به فقال هو اعلم بما تفيضون فيه اي بما تندفعون فيه من الباطل ورد
الحق وتسميته بانه سحر او بانه فرية والضمير في فيه عائد على ما وعلى القران وبه
في موضع الفاعل على احد الاقوال شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالتبليغ والدعا
اليه ويشهد عليكم بالتكذيب وهو الغفور الرحيم عدة لهم بالغفران والرحمه
ان رجعوا عن الكفر واشعار بحلمه تعالى عنهم اذ لم يعاجلهم بالعقاب اذ كانت

ما يقدم يتهددهم فان يعاجلهم على كفرهم قل ما كنت بدعا من الرسل اي
جاء قبلي غيري قاله ابن عباس والحسن وقتادة والبدع والبديع من الاشيا
ما لم ير مثله ومنه قول الشاعر عدي بن زيد انسي وطرب

فما انا بدع من حوادث تعتري رجالا عرت من بعد بؤسى واسعد

كالبدع والبديع كالخف والخفيف والبدعه ما اخترع مما لم يكن موجودا وابدع
الشاعر جا بالبديع وشي بديع بالكسر اي مبتدع وفلان بدع في هذا الامر اي بديع
وقرى ابداعا عن الاخفش وقرا عكرمه وابو حيوه وابن ابي عبله بفتح الدال جمع بدعه وهو
على حذف مضاف اي ذا بدع وقال الزمخشري ويجوز ان يكون صفه على فعل كقولهم
دين قيم ولحم زيم وهذا الذي اجازه ان لم يسمع استعماله عن العرب لم يجز
لان فعلا في الصفات لم يحفظ منه سيبويه الا عدى قال سيبويه ولا نعلمه جاء صفه الا
في حرف معتل يوصف به الجمع وهو قوم عدى وقد استدرك على سيبويه زيم بمعنى متفرق
وهو استدراك صحيح واما قيم فاصله قيام وقيم مقصور منه ولذلك اعتلت الواو
فيه اذ لو لم يكن مقصورا لصحت كما صحت في حول وعوض واما قول العرب مكان سوى
وماء روى ورجل رضى وماء صرى وسبي طيبه فمتأول عند التصريفيين لا يثبتون
بها فعلا في الصفات وعن مجاهد وابي حيوه بدعا بفتح البا وكسر الدال كحذر
وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اي فيما يستقبل من الزمان اي لا اعلم بالغيب فافعاله
تعالى وما يقدره لي ولكم من قضاياه لا اعلمها وعن الحسن وجماعه وما ادري ما يصير
اليه امري وامركم في الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي قال له اصحابه
وقد ضجروا من اذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل
بي ولا بكم اترك في مكه ام اومر بالخروج الى ارض قد رفعت لي ورايتها يعني
في منامه ذات نخل وشجر وقال ابن عباس وانس بن مالك وقتاده والحسن وعكرمه معناه
في الاخره وكان هذا في صدر الاسلام ثم بعد ذلك عرفه الله تعالى انه قد غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر وان المومنين لهم من الله فضل كبير وهو الجنه وبان الكافرين
في نار جهنم وهذا القول ليس بظاهر بل قد اعلم سبحانه من اول الرساله حال الكافر
وحال المومن وقال ما يفعل بي ولا بكم من الاوامر والنواهي وما يلزم الشريعه ومن كلف

في أمر كان النبي صلى الله عليه وسلم ينتظر من الله في غير الثواب والعقاب إن أتبع إلا ما
يوحى إلي استسلام وتبرؤ من علم المغيبات وما هو في حرج للذات من عند الله وقرا
الجمهور ما يفعل مبنيا للمفعول وزيد بن علي وابن أبي عبلة مبنيا للفاعل والظاهر
أن ما استفهامية وأدري معلقة وجملة الاستفهام في موضع المفعول وما مبتدأ و يفعل
الخبر وقال الزمخشري يجوز أن تكون موصولة منصوبة والاستفهامية أوجه والفصيح المشهور أن
أدرى يتعدى بالباء ولذلك حين عدي بهمزة النقل تعدى بالباء نحو قوله ولا أدراكم
فجعل ما استفهامية هو الأولى والأجود وكثيرا ما علقت في القرآن نحو وإن أدري
أقريب ويفعل مثبت غير منفي لكنه لما انسحب عليه النفي لاشتماله على ما ونفعل
ممن لكنه قال ولا بكم ولولا اعتبار النفي لكان التركيب ما يفعل بي وبكم الآية
في قوله أن ينزل عليكم من خير لاستصحاب قوله ما يود الذين كفروا على تركه وعلى
يفعلون بوده وبعوان ينزل وإذا استفى ورد إيراد البرين لاستفى السرين وقرا ابن
عمير ما يوحي بكسر الحاء أي الله عز وجل وإذا رأيتم مفعولا أرأيتم محذوف أي لدلالة
المعنى عليهما أرأيتم حالكم إن كان كذا ألستم ظالمين فالأول حالكم والثاني ألستم
ظالمين وجواب الشرط محذوف أي فقد ظلمتم ولهذا جاء بفعل الشرط ماضيا وقال
الزمخشري وجواب الشرط محذوف تقديره إن كان هذا القرآن من عند الله وكفرتم
به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله إن الله لا يهدي القوم الظالمين
وجملة الاستفهام لا تكون جوابا للشرط إلا بالفاء فإن كانت الأداة الهمزة تقدمت
الفاء نحو أفإن ... أو غيرها تقدمت الفاء نحو فهل ... والذي يقدر
حرا بقول الزمخشري ألستم ظالمين فلا يجوز أن يكون جواب الشرط وقال
ابن عطية وأرأيتم يحتمل أن تكون منبهة فهو لفظ موضوع للسؤال لا يقتضي مفعولا
ويحتمل أن تكون الجملة كان وما عملت فيه تسد مسد مفعوليها انتهى وهذا خلاف
ما قرره محققو النحاة في أرأيتم وقيل جواب الشرط فآمن واستكبرتم
انتهى أي محذوف أو الشاهد واستكبرتم أيتم عن الإيمان وقال الحسن تقديره
فمن أضل منكم وقيل فمن المحق منا ومنكم ومن المبطل وقيل فأنتم مثلوب والضمير في به
عائد على ما عاد عليه اسم كان وهو القرآن وقال الشعبي يعود على الرسول والشاهد

عبد الله

عبد الله بن سلام قاله الجمهور ابن عباس والحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وابن سيرين
والآية مدنية وعن عبد الله بن سلام نزلت في آيات من كتاب الله نزلت في آيات
من كتاب الله نزلت في وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله وآمن واستكبرتم وقال
مسروق الشاهد موسى عليه السلام لا ابن سلام لأنه أسلم بالمدينة والسورة مكية
والخطاب في وكفرتم لقريش وقال الشعبي الشاهد من آمن من بني إسرائيل بموسى
والتوراة لا ابن سلام أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بعامين والسورة مكية
وقال سعد بن أبي وقاص ومجاهد وفرقة الآية مدنية والشاهد عبد الله بن سلام وهي من
الآيات التي تضمنت غيبا أبرزه الوجود وإسلام عبد الله بن سلام من كونه الصحيح
وتبهيت اليهود له لعنهم الله فتكذيب اليهود وحطهم بالتاريخ ما يعتقدونه في عبد الله
ابن سلام وأنه صلى الله عليه وسلم حين سار إلى الشام في تجارة خديجة رضي الله عنها
اجتمع بأحبار اليهود وقص عليهم أحلامه فعلموا أنه صاحب دولة فزعموا فأصحبوه عبد الله
ابن سلام فقرأ عليه علم التوراة مدة فزعموا أفرطوا في كذبهم إلى أن نسبوا الفصاحة
المعجزة التي في القرآن إلى تأليف عبد الله بن سلام وعبد الله هذا لم يعلم له إقامة بمكة
ولا تردد إليها فما أكذب اليهود وأبهتهم لعنهم الله وما أجهل من يطالعه ما ذكر في القرآن
طائفة منهم **وقال الذين كفروا للذين آمنوا** لو كان خيرا ما سبقونا إليه وإذ لم
يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا
كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين إن الذين قالوا ربنا
الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء
بما كانوا يعملون ووصينا الإنسان بوالديه حسنا حملته أمه كرها ووضعته كرها
وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني
أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي
إني تبت إليك وإني من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم
في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني
أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول
ما هذا إلا أساطير الأولين أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإ

نس

انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون وقال الذين
هي مقالة كفار قريش للذين آمنوا أي لأجل الذين آمنوا أو اللام للتبليغ ثم انتقلوا
إلى الغيبة في قولهم ما سبقونا إليه ولو لم ينتقلوا لكان الكلام ما سبقتمونا إليه أو لما
سمعوا أن جماعة آمنوا خاطبوا جماعة من المؤمنين أي قالوا للذين آمنوا لو كان خيرا
ما سبقونا إليه أو لكل الذين بلغنا إيمانهم يريدون غفارا أو ضعفاءهم لأنه محكوم لمن أسلم
وآمن بالنبي عليه السلام وقال الكلبي والزجاج هي مقالة كنانة وعامر وسائر قبائل
العرب المجاورة قالت ذلك حين أسلمت غفار ومزينة وجهينة أي لو كان هذا الدين
خيرا ما سبقنا إليه الرعاء وقال الثعلبي هي مقالة اليهود حين أسلم ابن سلام وغيره منهم وقال
أبو المتوكل أسلم أبو ذر ثم أسلمت غفار فقالت قريش ذلك وقيل أسلمت أمة لعمر
فكان يضربها حتى يفتر ويقول لولا أني فترت لزدتك ضربا فقال كفار قريش لو كان
ما يدعو إليه محمد خيرا ما سبقتنا إليه فلانة والظاهر أن اسم كان هو القرآن
وعليه يعود به ويؤيده ومن قبله كتاب موسى وقيل إنه عائد على الرسول والعامل
في إذ محذوف أي وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم وقوله فسيقولون متسبب
عن ذلك الجواب المحذوف ولأن هذا القول هو ناشئ عن العناد ويمتنع أن يعمل في إذ
فسيقولون لحلول الفاء ولتعاند زمان إذ وزمان فسيقولون إفك قديم
كما قالوا أساطير الأولين وقدمه بمرور الأعصار عليه ولما طعنوا في صحة القرآن
قيل لهم إنه أنزل الله من قبله التوراة على موسى وإنهم لا ينازعون في ذلك
فلا نزاع في إنزال القرآن إماما أي يقتدى به إذ فيه البشارة ببعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم وإرساله فيلزم اتباعه والإيمان به وانتصب إماما على
الحال والعامل فيه العامل في ومن قبله أي وكتاب موسى كائن من قبل القرآن
كتاب موسى وقرئ ومن قبله كتاب موسى بنصب كتاب وخرج من عمل أما
موصولة بعدها وآتينا الذي قبله كتاب موسى وقيل انتصب
بمحذوف أي أنزلناه إماما أي قدوة يؤتم به ورحمة لمن عمل به وهذا إشارة إلى القرآن
كتاب موسى وهي التوراة التي تضمنت خبره وخبر من جاء به وهو الرسول فجاء هو مصدقا
لذلك الإخبار أو مصدق الكتب الإلهية ولسانا حال من الضمير في مصدق والعامل فيه

مصدق أو من كتاب إذ قد وصف والعامل فيه اسم الإشارة أو لسانا توطئة والحال
في الحقيقة هو عربيا أو على حذف أي ذا لسان عربي فيكون مفعولا بمصدق أي
هذا القرآن مصدق من جاء به وهو الرسول وذلك بإعجازه وأحواله البارعة وقيل انتصب
على إسقاط الخافض أي بلسان عربي وقرأ أبو رجاء وشيبة والأعرج وأبو جعفر وابن
عامر ونافع وابن كثير بخلاف عنه لتنذر بتاء الخطاب للرسول والأعمش وابن كثير أيضا
وباقي السبعة بياء الغيبة أي لينذر القرآن والذين ظلموا الكفار عباد الأصنام حيث وضعوا
العبادة في غير من يستحقها وبشرى قيل معطوف على مصدق فهو في موضع رفع أو
على إضمار فهو بشرى وقيل منصوب بفعل محذوف معطوف على لينذر أي ويبشر بشرى
وقيل منصوب على إسقاط الخافض أي ولبشرى وقال الزمخشري وتبعه أبو البقا
وبشرى في محل النصب معطوف على محل لينذر لأنه مفعول له انتهى وهذا لا
يجوز على الصحيح من مذهب النحويين لأنهم يشترطون في الحمل على المحل أن يكون
المحل بحق الأصالة وأن يكون للموضع محرز والمحل هنا ليس بحق الأصالة لأن الأصل
هو الجر في المفعول له وإنما النصب ناشئ عن إسقاط الخافض لكنه لما كثر بالشروط
المذكورة في النحو وصل إليه الفعل فنصبه ولما عبر عن الكفار بالذين ظلموا عبر عن المؤمنين
بالمحسنين ليقابل بلفظ الإحسان لفظ الظلم إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
تقدم الكلام على نظير هذه الآية في سورة فصلت ولما ذكر جزاء ما كانوا يعملون ذكر
ووصينا إذ كان بر الوالدين ثاني أفضل الأعمال إذ في الصحيح أي الأعمال أفضل
فقال الصلاة على ميقاتها قال ثم أيه قال بر الوالدين إذ كان عقوقهما أكبر الكبائر
إذ قال عليه السلام ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين والوارد
في برهما كثير وقرأ الجمهور حسنا بضم الحاء وإسكان السين وعلي والسلمي وعيسى
بفتحهما وعن عيسى ضمهما والكوفيون إحسانا فقيل ضمن وصينا معنى ألزمنا فيتعدى
لاثنين فانتصب حسنا وإحسانا على المفعول الثاني لوصينا وقيل التقدير إيصاء ذا
حسن وذا إحسان ويجوز أن يكون حسنا بمعنى إحسان فيكون مفعولا له أي
ووصيناه بهما لإحساننا إليهما فيكون الإحسان من الله تعالى وقيل النصب على المصدر
على تضمين وصينا معنى أحسنا بالوصية بالإحسان لوالديه إحسانا وقال ابن

عليه وانتصب هذا بمعنى احسانا على المصدر الصريح والمفعول الثاني في المجرور والباء متعلقة
بوصينا او بقوله احسانا انتهى ولا يصح ان يتعلق باحسانا لانه مصدر ينحل بحرف
مصدري والفعل فلا يتقدم معموله عليه ولان احسن لا يتعدى بالباء انما يتعدى باللام
تقول احسنت لزيد ولا تقول احسنت بزيد على معنى ان الاحسان يصل اليه وتقدم الكلام
على ووصينا الانسان بوالديه حسنا في سورة العنكبوت والجزء هنا كالكلام على
ذلك من ثمرة فوائد حملته امه كرها الآية كرها في اول علوقها به بل في مالى استمرار
الحمل حتى يوضع حرونه قال تعالى حملت حملا خفيفا ويحمل ان يراد وقت الحمل اذ لا تدري المرأه بالحمل اول حمله
ولا تدركه انتهى ولا يتحقق كونه اذ ذاك فهذا احتمال بعيد وقال مجاهد والحسن وقتادة
المعنى حملته مشقة ووضعته مشقة وقرأ الجمهور بضم الكاف وشيبة وابو جعفر
والاعرج والحرميان وابو عمرو بالفتح وبهما معا ابو رجا ومجاهد وعيسى والضم والفتح
لغتان بمعنى واحد كالفقر والفقر والضعف والضعف قالت فرقة الضم المشقة وبالفتح الغلبة والقهر
وضعفوا قراءة الفتح وقال بعضهم لو كانت بالفتح لرمت به عن نفسها اذ معناه
القهر والغلبة انتهى وهذا ليس بشيء اذ قراءة الفتح في السبعة المتواترة وقال ابو حاتم
القراءة بفتح الكاف لا تحسن لان الكره بالفتح الغضب والغلبة انتهى وكان ابو حاتم يطعن
في بعض القراءات بما لا علم له به جسارة منه عفا الله عنه وانتصابهما على الحال من ضمير
الفاعل اي حملته ذات كره او على انه نعت لمصدر محذوف اي حملا ذا كره وحمله
وفصاله ثلاثون شهرا اي مدة حمله وفصاله وهذا لا يكون الا بان
يكون احد الطرفين ناقصا اما بان تلد المرأة لستة اشهر وترضع عامين واما
ان تلد لتسعة على العرف وترضع عامين غير ربع عام فان زادت مدة الحمل نقصت
مدة الرضاع وبالعكس فيترتب من هذا ان اقل مدة الحمل ستة اشهر واقل مدة
الرضاع عام وتسعة اشهر واكمال العامين لمن اراد ان يتم الرضاعة وقد كشفت التجربة
ان اقل مدة الحمل ستة اشهر كنص القرآن وقال ارسطاطاليس كنت شهدت البحث عن
مقدار زمن الحمل من بنات امراه ولدت لتمام اربع وبان لي الحمل وزعم انه سمعنا انه تشاهد
ذلك واما اكثر الحمل فليس في القرآن ما يدل عليه قال ابن سينا في الشفا بلغني من اثق
به كل الثقة ان امراة وضعت بعد الرابع من سني الحمل ولدا نبتت اسنانه

وحكى

وحكى عن ارسطاطاليس انه قال ان مدة الحمل لكل الحيوان مضبوطة سوى الانسان
فربما وضعت لسبعة اشهر ولثمانية ولقلما يعيش الولد في الثامن الا في بلاد معينة
مثل مصر انتهى وعبر عن مدة الرضاع بالفصال لما كان الرضاع يليه الفصال ولما (لسبه)
لانه ينتهي به ويتم سمي به وقرأ الجمهور وفصاله وهو مصدر فاصل كانه من اثنين فاصل
امه وفاصلته وقرأ ابو رجاء والحسن وقتادة والجحدري وفصله قيل والفصل والفصال
مصدران كالفطم والفطام وهنا لطيفة ذكر تعالى الام في اربع مراتب في قوله بوالديه (به)
حملته ووضعته وارضاعه المعبر عنه بالفصال وذكر الوالد في واحدة في قوله بوالديه
فناسب ما قال الرسول من جعل الام ثلاثة ارباع البر والربع للاب في قول
الرجل يا رسول الله من ابر قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال
اباك حتى بلغ اشده في الكلام حذف تكون حتى غاية له تقديره فعاش بعد ذلك او
استمرت حياته وتقدم الكلام في بلوغ الاشد في سورة يوسف والظاهر ضعف قول
من قال بلوغ الاشد اربعون لعطف وبلغ اربعين سنة والعطف يقتضي التغاير
الا ان ادعى ان ذلك توكيد لبلوغ الاشد فيمكن والتاسيس اولى من التاكيد وبلوغ
الاربعين اكمال العقل وظهور الفلاح قيل ولم يبعث نبي الا بعد الاربعين وفي الحديث
ان الشيطان يجر يده على وجه من زاد على الاربعين ولم يتب ويقول بأبي وجه لا يفلح
قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه
تقدم الكلام على هذا في سورة النمل واصلح لي في ذريتي سأل ربه ان يجعل ذريته موقعا
للصلاح ومظنة له كانه قال هب لي الصلاح في ذريتي واوقعه فيهم او ضمن واصلح لي
معنى والطف بي في ذريتي لان اصلح يتعدى بنفسه كقوله واصلحنا له زوجه فلذلك
احتيج قوله في ذريتي الى التاويل قيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه ويتناول من بعده وهو
مشكل لانها نزلت بمكة وابوه اسلم عام الفتح وبقوله اولئك الذين نتقبل عنهم احسن
ما عملوا فلم يقصد بذلك ابو بكر ولا غيره والمراد بالانسان الجنس ولذلك اشار بقوله اولئك
جمعا وقرأ الجمهور يتقبل مبنيا للمفعول احسن رفعا وكذا ويتجاوز وزيد بن علي
وابن وثاب وطلحة وابو جعفر والاعمش بخلاف عنه وحمزة والكسائي وحفص نتقبل
احسن نصبا ونتجاوز بالنون فيهما والحسن والاعمش وعيسى بالياء فيهما مفتوحة

ونصب الحسن في أصحاب الجنة قيل في بمعنى مع وقيل هو نحو قولك أكرمني الأمير في ناس
من أصحابه يريد في جملة من أكرم منهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين في أصحاب
الجنة وانتصب وعد الصدق على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة لأن قوله
أولئك الذين نتقبل وعد منه تعالى بالتقبل والتجاوز ولما ذكر تعالى الإنسان البار
بوالديه وما آل إليه من الخير ذكر العاق لوالديه وما آل إليه من الشقاء والمراد بالذي
الجنس ولذلك جاء الخبر مجموعا في قوله أولئك الذين حق عليهم القول وقال الحسن هو الكافر
العاق لوالديه المكذب بالبعث وقول مروان بن الحكم ومن تبعه أنها نزلت في عبد الرحمن
ابن أبي بكر الصديق قول خطأ ... في حديث دعا مروان وهو أمير المدينة إلى بيعة
يزيد فقال عبد الرحمن جعلتموها هرقلية كلما مات هرقل ولي ابنه وكلما مات قيصر
ولي ابنه فقال مروان خذوه فدخل بيت أخته عائشة رضي الله عنها وقرأ الحديث ...
عائشة وقالت هي الصديقة لم ينزل في آل أبي بكر من القرآن غير براءتي وقالت والله ما هو
به ولو شئت أن أسميه لسميته وسميت مروان وقالت ولكن الله لعن أباك وأنه قال
تعالى أولئك الذين حق عليهم القول وهذه صفات الكفار وأهل النار وكان عبد الرحمن
من أفاضل الصحابة وسرواتهم وأبطالهم وممن له في الإسلام غناء يوم اليمامة وغيره
أف لكما تقدم الكلام على أف مدلوله ولغاته وقراءته في سورة الإسراء واللام في لكما للبيان
أي لكما أعني بالتأفيف وقرأ الجمهور أتعدانني بنونين والأولى مكسورة والحسن وعاصم وأبو
عمرو في رواية وهشام بإدغام نون الرفع في نون الوقاية وقرأ نافع في رواية وجماعة بنون
واحدة وقرأ الحسن وشيبة وأبو جعفر بخلاف عنه وعبد الوارث عن أبي عمرو وهارون
ابن موسى عن الجحدري وسام عن هشام بفتح النون الأولى كأنهم فروا من الكسرتين
والياء إلى الفتح طلبا للتخفيف ففتحوا كما فر من أدغم ومن حذف وقال أبو حاتم فتح
النون باطل غلط أن أخرج أي أخرج من قبري للبعث والحساب وقرأ الجمهور أن أخرج
مبنيا للمفعول والحسن وابن يعمر والأعمش وابن مصرف والضحاك مبنيا للفاعل وقد
خلت القرون من قبلي أي مضت ولم يخرج منهم أحد ولا بعث وقال أبو سليمان الدمشقي
وقد خلت القرون من قبلي مكذبة به بالبعث وهما يستغيثان الله تعالى يستغيثان بالله
والاستغاثة في لسان العرب وقد رددنا على ابن مالك إنكاره تعديته بالباء وذكرنا

شواهد

شواهد على ذلك في الأفعال أي يقولان الغياث بالله منك ومن قوله وهو استعظام
لقوله ويلك دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك
وقيل ويلك دعاء لمن يحفز ويحرك لأمر يستعجل إليه وقرأ الأعرج وعمرو بن فائد أن وعد الله
بفتح الهمزة أي آمن بأن وعد الله حق والجمهور بكسرها فيقول ما هذا أي ما هذا الذي
تقولان من الوعد بالبعث من القبور إلا أساطير الأولين في كتبهم ولا حقيقة له قال
ابن عطية وظاهر ألفاظ هذه الآية أنها نزلت في مشار إليه قال وقيل له ... الله ...
يحذر من الوقوع في مثلها وقوله أولئك ظاهر أنها إشارة إلى جنس يتضمنه قوله والذي قال
ويحتمل أن تكون الإشارة إلى مشار إليه ويكون قوله أولئك بمعنى صنف هذا المذكور وجنسه
هم الذين حق عليهم القول أي قول الله إنه يعذبهم في أمم أي في جملة أمم قد خلت من قبلهم
من الجن والإنس يقتضي أن الجن يموتون قرنا بعد قرن كالإنس وقال الحسن في بعض
مجالسه الجن لا يموتون فاعترضه قتادة بهذه الآية فسكت وقرأ العباس عن أبي عمرو
أنهم كانوا بفتح الهمزة والجمهور بالكسر ولكل أي من المحسن والمسيء درجات على درجات
أن الجنة درجات والنار دركات والمعنى منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر أو
من أجل ما عملوا منهما قال ابن زيد درجات المحسنين تذهب علوا ودرجات المسيئين تذهب
سفلا أي وللفريقين درجات ليعرفهم ويوفيهم أعمالهم فقدر جزاءهم وجعل الثواب درجات والعقاب
دركات وقرأ الجمهور ولنوفيهم بالنون أي الله تعالى والأعمش والأعرج وطلحة وشيبة وأبو جعفر
والأخوان وابن ذكوان ونافع بخلاف عنه بالنون والسلمي بالتاء من فوق أي ولتوفيهم
الدرجات أسند التوفية إليها مجازا ويوم يعرض الذين كفروا على النار
أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون
في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت
النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا أجئتنا
لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت
به ولكني أراكم قوما تجهلون فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو
ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك
نجزي القوم المجرمين ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة"

فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق
بهم ما كانوا به يستهزؤون ويوم يعرض الذين يعذب بالنار كما قال يعرضون
على السيف اذا امليتو والعرض المباشرة كما تقول عرضت العود على النار اي باشرت
به النار وقيل المراد تعذيبهم وكون المراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت
الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا او يدل عليه تفسير ابن عباس
تجاء بهم اليها فتكشف لهم عنها انتهى ولا ينبغي حمل القرآن على القلب اذ الصحيح في القلب
انه مما يضطر اليه في الشعر واذا كان المعنى صحيحا واضحا عدم القلب واي
ضرورة تدعوا اليه وليس في قولهم عرضت الناقة على الحوض ولا في تفسير ابن عباس
ما يدل على القلب لان عرض الناقة على الحوض وعرض الحوض على الناقة كل منهما صحيح
اذ العرض امر نسبي يصح اسناده لكل واحد من الناقة والحوض وقرأ الجمهور اذهبتم
على الخبر فيقال لهم اذهبتم ولذلك حسنت الفاء في قوله فاليوم تجزون وقرأ قتادة
ومجاهد وابن وثاب وابو جعفر والحسن والاعرج وابن كثير بهمزة بعدها مدة
مطولة وابن عامر بهمزتين حققهما ابن ذكوان ولين الثانية هشام وابن كثير
في رواية وعن هشام الفصل بين المحققة والملينة بالف وهذا الاستفهام هو على
معنى التوبيخ والتقرير فهو خبر في المعنى فلذلك حسنت الفاء ولو كان استفهاما ما
لم تدخل الفاء والطيبات هنا المستلذات من المأكل والمشارب والملابس والمفارش
والمراكب والمواطئ وغير ذلك مما يتنعم به اهل الرفاهية وهذه الآية محضضة على
التقلل من الدنيا وترك التنعم فيها والاخذ بالتقشف وما يجتزى به رمق الحياة وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ما يقتضي التأسي به وعن عمر في ذلك اخبار تدل
على معرفته بانواع الملاذ وعزوف نفسه الفاضلة عنها منها اتظنون انا لا نعرف
خفض العيش ولو شئت لجعلت اكبادا وصلاء وصنابا وصلائق ولكني استبقي
حسناتي فان الله تعالى وصف اقواما فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا
والصلاء الشواء والصناب الخردل والزبيب والصلائق الخبز الرقاق
العريض قال ابن عباس وهذا من باب الزهد والا فالآية نزلت في كفار قريش
والمعنى انه كانت تكون لكم طيبات الآخرة لو آمنتم لكنكم لم تؤمنوا فاستعجلتم طيباتكم

في الحياة الدنيا فعظم كناية عن عدم الايمان وكذلك ما ترتب عليه فاليوم تجزون
عذاب الهون ولو اريد الظاهر ولم تكن كناية عن ما ذكرنا لم يترتب عليه الجزاء بالعذاب
ربما كان الهوان وهو الهون بمعنى واحد من تلك الكناية بقوله بما كنتم تستكبرون اي
ابا تترفعون عن الايمان وبما كنتم تفسقون اي بمعاصي الجوارح وقدم ذنب القلب
وهو الاستكبار على ذنب الجوارح اذ اعمال الجوارح ناشئة عن مراد القلب ولما كان
اهل مكة مستغرقين في لذات الدنيا معرضين عن الايمان وما جاء به الرسول ذكرهما
حديث العرب الا دل بذلكم قوم هود وكانوا اكثر اموالا واشد قوة واعظم جاها
منهم فسلط عليهم العذاب بسبب كفرهم وضرب الامثال وقصص من تقدم تعرف قبح
الشيء وتحسينه فقال واذكر اخا عاد وهو هود عليه السلام اذ انذر قومه
عادا عذاب الله بالاحقاف قال ابن عباس واد بين عمان ومهرة وقال ابن اسحاق
من عمان الى حضرموت وقال ابن زيد رمال مشرفة بالشحر من اليمن وقيل بين مهرة
وعدن وقال قتادة هي بلاد الشحر المواصلة للبحر اليماني وقال ابن عباس الحقاف جبل
بالشام قال ابن عطية والصحيح ان بلاد عاد كانت باليمن ولهم كانت ارم ذات
العماد وفي ذكر هذه القصة اعتبار لقريش وتسلية للرسول اذ كذبه قومه كما
كذبت عاد هودا عليه السلام والجملة من قوله وقد خلت النذر وهو جمع نذير من
بين يديه ومن خلفه يحتمل ان تكون حالا من الفاعل في انذر اي انذر من تقدمه من الرسل
بعد خواته ومن خلفه الرسل الذين كانوا في زمانه ويكون على هذا معنى ومن
خلفه اي من بعد انذاره ويحتمل ان يكون اعتراضا بين انذر قومه وان لا تعبدوا والمعنى
وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم قالوا اجئتنا
استفهام تقرير وتوبيخ وتعجيز لما ابدى لهم من العذاب العظيم على الشرك الا الله
بالعناد لتأفكنا قال الضحاك لتزيلنا عن الهتنا بالافك وهو الكذب
اي عن عبادة الهتنا فأتنا بما تعدنا استعجال منهم لحلول ما وعدهم به من العذاب الا
ترى الى قوله بل هو ما استعجلتم به قال انما العلم عند الله اي هو الذي يعلم وقت حلوله وليس تعيين
وقته لي وانما انا مبلغ ما ارسلت به اليكم وانما علي البلاغ وعلم الله وانه حال
بكم وهو في غفلة من ذلك ولكني اراكم قوما تجهلون اي عاقبة امركم

لا يشعرون لكم بها أو ذلك واقع لا محالة وكانت عاد قد حبس الله عنها المطر أياما فساق
الله إليهم سحابة سوداء خرجت عليهم من واد يقال له المغيث فاستبشروا والضمير في
رأوه الظاهر أنه عائد على ما في قوله بما تعدنا وهو العذاب وانتصب عارضا على الحال
من المفعول وقال ابن عطية ويحتمل أن يعود على الشيء المرئي الطالع عليهم الذي فسره
قوله عارضا وقال الزمخشري فلما رأوه في الضمير وجهان أن يرجع إلى ما تعدنا وأن يكون
مبهما قد وضح أمره بقوله عارضا إما تمييزا أو حالا قال وأما هذا الوجه أعرب وأفصح
انتهى وهذا الذي ذكر أنه أعرب ليس جاريا على ما ذكره النحاة المبهم الذي
يفسره ويوضحه التمييز لا يكون إلا في باب رب نحو ربه رجلا لقيته وفي باب نعم
وبئس على مذهب البصريين نحو نعم رجلا زيد وبئس غلاما عمرو وأما أن الحال يوضح
المبهم ويفسره فلا نعلم أحدا ذهب إليه وقد حصر النحاة المضمر الذي يفسره ما بعده
فلم يذكروا فيه مفعول رأى إذا كان ضميرا ولا أن الحال يفسر الضمير ويوضحه والعارض
المعترض في الجو من السحاب الممطر ومنه قول الشاعر

يا من رأى عارضا أرقت له بين ذراعي وجبهة الأسد

وقال الأعشى

يا من رأى عارضا قد بت أرمقه كأنما البرق في حافاته الشعل

مستقبل أوديتهم متوجه وإضافة مستقبل وممطر إضافة في حكم الانفصال نحو هذا ابنه وجاءت
وأخواتها والحالات الحسية الممثل في أعلام الشوقة وأما فيه مستعمل في ممطر
أيضا فلا يعرف فلذلك نعت بها النكرة بل هو ما استعجلتم أي قال لهم هود ذلك
بل هو العذاب الذي استعجلتم به أضرب من قولهم عارض ممطرنا وأخبر بأن
العذاب جاءهم ثم قال ريح أي هي ريح وقيل ريح بدل من هو وقرأ قوم مهلك والدمار
الهلاك ويقع ذكره وقرأ زيد بن علي تدمر بفتح التاء وسكون الدال وضم الميم
وقرئ كذلك إلا أنه بالياء ورفع كل أي يهلك كل شيء وكل شيء عام مخصوص
أي من نفوسهم وأموالهم أو من ما أمرت بتدميره وإضافة الرب إلى الريح دلالة
على أنها وتصريفها مما يشهد بعظيم قدرته تعالى لأنها من أعاجيب خلقه وأكابر
جنوده وذكر الأمر لكونها مأمورة من جهته تعالى وقرأ الجمهور لا ترى إلا

الخطاب إلا مساكنهم بالنصب وعبد الله ومجاهد وزيد بن علي وأبان وأبو علي
وطلحة وعيسى والحسن وعمرو بن ميمون بخلاف عنهما وعاصم وحمزة لا يرى بالياء
من تحت مضمومة إلا مساكنهم بالرفع وأبو رجاء ومالك بن دينار بخلاف عنهما والجحدري
والأعمش وابن أبي إسحاق والسلمي بالتاء من فوق مضمومة مساكنهم ومنعوا هذا النحو
أصحابنا إلا في الشعر وبعضهم يجيزه في الكلام وقال ذو الرمة

كأنه جمل وهم وما بقيت إلا النحيزة والألواح والعصب

[illegible] فما بقيت إلا الضلوع الجراشع

وقرأ عيسى الهمداني لا يرى بضم الياء إلا مسكنهم بالتوحيد وروي هذا عن الأعمش ونصر
ابن عاصم وقرئ لا ترى بتاء مفتوحة للخطاب إلا مسكنهم مفردا منصوبا والجمهور
بالمفرد عن الجمع تصغيرا لشأنهم وأنهم لما هلكوا في وقت واحد فكأنهم كانوا في مسكن
واحد ولما أخبر بهلاك قوم عاد خاطب قريشا على سبيل الموعظة فقال ولقد مكناهم
وإن نافية أي في الذي ما مكناكم فيه من القوة والغنى والبسط في الأجسام والأموال
ولم يكن النفي بلفظ ما كراهة لتكرير اللفظ وإن اختلف المعنى وقيل إن شرطية محذوفة
الجواب والتقدير إن مكناكم فيه طغيتم وقيل إن زائدة بعد ما الموصولة تشبيها بما النافية
وما التوقيتية وهي في الآية كهي في قوله

يرجي المرء ما إن لا يراه وتعرض دون أدناه الخطوب

أي في مقام ... وكونها نافية هو الوجه لأن القرآن يدل عليه في مواضع كقوله
كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا وقوله هم أحسن أثاثا ورئيا وهو أبلغ في التوبيخ
وأدخل في الحث على الاعتبار ثم عدد نعمه عليهم وأنها لم تغن عنهم شيئا حيث لم
يستعملوا السمع والأبصار والأفئدة فيما خلقت له فيستعملوها فيما يجب وقيل ما استفهامية
بمعنى التقرير وهو بعيد لقوله من شيء إذ يصير التقرير ... إذ ذكر المغني عنهم
من شيء فيكون من زائدة في الواجب وهو لا يجوز على الصحيح والعامل في إذ أغنى
وظهر فيها معنى التعليل لوقوعها في مصاحبة ما هو كالعلة ... أحسن إلى ... أساء
في الوقت ... ثم زيادة التعليل ... أكرمه إذ أساء في وقت إحسانه
إنما كانوا لوجود إحسانه لك فيه **ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى** وصرفنا

الآيات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا
عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن
فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا
سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق
مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب
أليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في
ضلال مبين أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر
على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس
هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر
أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا
ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ولقد أهلكنا ما حولكم
من القرى خطاب لقريش على جهة التمثيل لهم والذي حولهم من القرى مأرب
وحجر ثمود وسدوم ونحوها من أهل القرى وصرفنا الآيات الحجج والدلالات والعظات
لأهل تلك القرى لعلهم يرجعون عما هم فيه من الكفر إلى الإيمان فلم يرجعوا فلولا
نصرهم أي فهلا نصرهم حين جاءهم الهلاك الذين اتخذوا أي اتخذوهم من دون
الله قربانا أي حال التقرب وجعلوهم شفعاء آلهة وهو المفعول الثاني لاتخذوا
والأول الضمير المحذوف العائد على الموصول وأجاز الحوفي وابن عطية وأبو البقاء
أن يكون قربانا مفعولا ثانيا لاتخذوا وآلهة بدل منه وقال الزمخشري وقربانا
حال ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدل منه لفساد المعنى انتهى
ولم يبين الزمخشري كيف يفسد المعنى ويظهر أن المعنى صحيح على ذلك الإعراب
وأجاز الحوفي أيضا أن يكون قربانا مفعولا من أجله بل ضلوا عنهم أي غابوا عن
نصرتهم وقرأ الجمهور إفكهم بكسر الهمزة وإسكان الفاء وضم الكاف وابن عباس
في رواية بفتح الهمزة والإفك والأفك مصدران وقرأ ابن عباس أيضا
وابن الزبير والصباح بن العلاء الأنصاري وأبو عياض وعكرمة وحنظلة
بن النعمان بن مرة ومجاهد أفكهم بثلاث فتحات أي صرفهم وأبو عياض وعكرمة

ايضا

أيضا كذلك إلا أنها مشددة الفاء للتكثير وابن الزبير أيضا وابن عباس فيما ذكر
النحاس أيضا آفكهم بالمد فاحتمل أن يكون فاعل فالهمزة أصلية وأن يكون أفعل فالهمزة
للتعدية أي جعلهم يأفكون ويكون أفعل بمعنى المجرد وعن الفراء أنه قرأ أفكهم بفتح
الهمزة والفاء وضم الكاف وهي لغة في الإفك وابن عباس فيما روى قطرب وأبو
الفضل الرازي آفكهم اسم فاعل من أفك أي صارفهم والإشارة بذلك على من قرأ إفكهم
مصدرا إلى اتخاذ الأصنام آلهة أي ذلك كذبهم وافتراؤهم وقال الزمخشري وذلك
إشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم أي وذلك أثر إفكهم الذي هو
اتخاذهم إياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء
انتهى وعلى قراءة من جعله فعلا معناه وذلك الاتخاذ صرفهم عن الحق وكذلك
على قراءة اسم الفاعل أي صارفهم عن الحق ويحتمل أن يكون ما مصدرية أي وافتراؤهم
وأن يكون بمعنى الذي والعائد محذوف أي يفترونه وإذ صرفنا إليك نفرا من
الجن يستمعون القرآن ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما بين أن الإنس
منهم مؤمن وكافر ذكر أن الجن فيهم مؤمن وكافر وكان ذلك بإثر قصة
هود وقومه لما كان عليه قومه من الشدة والقوة والجن توصف أيضا بذلك
كما قال تعالى قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه
لقوي أمين وأن ما أهلك به قوم هود هو الريح وهي من العالم الذي لا يشاهد
وإنما يحس هبوبه والجن أيضا من العالم الذي لا يشاهد وأن هودا عليه
السلام كان من العرب ورسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب فهذه تجوز
أن تكون مناسبة لهذه الآية بما قبلها وفيها أيضا توبيخ لقريش وكفار العرب
حيث أنزل عليهم هذا الكتاب المعجز فكفروا به وهم من أهل اللسان الذي نزل به
القرآن ومن جنس الرسول الذي أرسل إليهم وهؤلاء جن ليسوا من جنسه وقد
أثر فيهم سماع القرآن وآمنوا به وبمن أنزل عليه وعلموا أنه من عند الله بخلاف قريش
وأمثالها فهم مصرون على الكفر به وإذ صرفنا وجهنا إليك وقرئ صرفنا بتشديد
الراء لأنهم كانوا جماعة فالتكثير بحسب الحال نفرا من الجن والنفر دون العشرة
ويجمع أنفارا قال ابن عباس كانوا سبعة من أهل نصيبين وقال زر كانوا

كانوا سبعة منهم زوبعة والذي يجمع اختلاف الروايات ان قصة الجن كانت
مرتين احداهما حين انصرف من الطائف وكان خرج اليهم يستنصرهم لما
نصه ذكرها اصحاب السير وروي ان الجن كانت تسترق السمع فلما بعث
الرسول حرست السما ورمي الجن بالشهب قالوا ما هذا الا لامر حدث فطافوا
الارض فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي نخلة وهو قائم يصلي
فاستمعوا القراءة وهو لا يشعر فانباه الله باستماعهم والمرة الاخرى ان الله
امره ان ينذر الجن ويقرا عليهم فقال اني امرت ان اقرا على الجن فمن يتبعني قالها
ثلثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود قال لم يحضره احد ليلة الجن غيري
فانطلقنا حتى اذا كنا في شعب الحجون خط لي خطا وقال لا تخرج منه
حتى اعود اليك ثم افتتح القران وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع
صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي هل رايت شيئا قلت نعم رجالا
سودا مستثفري ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين وكانوا
اثني عشر الفا والسورة التي قراها عليهم اقرا باسم ربك وفي اخر هذا الحديث
قلت يا رسول الله سمعت لهم لغطا فقال انهم تداروا في قتيل لهم فحكمت
بالحق وقد روي عن ابن مسعود انه لم يحضر احد ليلة الجن والله اعلم بصحة
ذلك فلما حضروه اي القران اي كانوا بمسمع منه وقيل حضروا الرسول وهو
المقصود من الكلام قالوا انصتوا اي اسكتوا للاستماع
وفيه تادب مع العلم وكيف يتعلم وقرا الجمهور فلما قضي مبنيا للمفعول وقرا ابو مجلز
وحبيب بن عبد الله بن الزبير قضى مبنيا للفاعل اي قضى محمد قراءته وروي
منه وقال ابن عمر وجابر بن عبد الله قرا عليهم سورة الرحمن فكان اذا قال فباي الا
ربكما تكذبان قالوا لا بشي من اياتك ربنا نكذب ربنا لك الحمد ولوا الى قومهم
منذرين تفرقوا في البلاد منذرين الجن قال قتادة ما اسرع ما عقل
القوم انتهى وعند ذلك وقعت قصة سواد بن قارب وخنافر واشباههما حين
جاءهم رياهم من الجن وكانا سببا لاسلامهما انزل من بعد موسى اي من بعد كتاب

موسى قال عطا كانوا على ملة اليهود وعن ابن عباس لم تسمع الجن بامر عيسى وهذا لا
يصح عن ابن عباس كيف لا تسمع بامر عيسى وله امة عظيمة على ملته فيبعد
عن الجن كونهم لم يسمعوا به ويكون انه كانوا يهودا قالوا من بعد موسى بسببها لقومهم
على اتباع الرسول اذ كان عليه السلام قد بشر به موسى فقالوا ذلك من حيث
هذا الامر مذكور في التوراة مصدقا لما بين يديه من التوراة والانجيل والكتب
الالهية اذ كانت كلها مشتملة على التوحيد والنبوة والمعاد والامر بتطهير
الاخلاق يهدي الى الحق اي الى ما هو حق في نفسه صدق يعلم ذلك بصريح العقل
والى طريق مستقيم غاير بين اللفظين والمعنى متقارب ورب استعمل احدهما في
موضع لا يستعمل الاخر فيه فجمع هنا بينهما وحسن التكرار اجيبوا داعي الله هو الرسول
او الواسطة المبلغة عنه وامنوا به اي الرسول وعلى الله يغفر لكم من ذنوبكم من للتبعيض
لانه لا يغفر بالايمان ذنوب المظالم قال معناه الزمخشري وقيل من زائدة كلا
الاسلام يجب ما قبله فلا يبقى معه تبعة ويجركم من عذاب اليم وهذا كله وظوا
القران يدل على ان الجن مكلفون ولم يصرح هنا على ثوابهم اذا اطاعوا وعموم
القران يدل على الثواب كما قال ابن عباس لهم ثواب وعليهم عقاب يلتقون
في الجنة ويزدحمون على ابوابها وقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار وقال الله كاتب
من قال ابو حنيفة فليس بمعجز في الارض لا يفوته من هرب اذ لا ينجي منه
مهرب كقوله وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا وروي
عن ابن عامر ليس لهم من دونه اولياء هذا الجمهور ولم يعي مضارع عيي وزن يفعل
بكسر العين والحسن ولم يعي بكسر العين وسكون اليا ووجهه انه في الماضي
فتح عين الكلمة كما قالوا في بقي بقا وهي لغة لطي ولما بني الماضي على فعل بفتح العين
بني مضارعه على يفعل بكسر العين فجاء يعي فلما دخل الجازم حذف اليا فبقي يعي
بنقل الحركة [illegible] الى العين فسكنت اليا وبقي يعي وقرا الجمهور بقادر اسم فاعل
والباء زائدة في خبر ان وحسن زيادتها كونه ما قبلها في حيز النفي وقد اجاز
الزجاج ما ظننت ان احدا بقائم بناء على هذا والصحيح قصر ذلك على السماع فكانه قيل
الاية قال اليس الله بقادر الا ترى كيف جا بلى مقررا لاحيا الموتى لا لرويتهم

وقرأ الجحدري وزيد بن علي وعمرو بن عبيد وعيسى والاعرج بخلاف عنه ويعقوب
نقدر مضارعا للبناء للفاعل هذا بالحق اي الله تعالى عالم والاشارة بهذا الى العذاب
اي كنتم تكذبون بانكم معذبون والمعنى توبيخهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده
وقولهم وما نحن بمعذبين فقالوا بلى وربنا تصديقا حيث لا ينفع وقال الحسن انهم ليعذبون
في النار وهم راضون بذلك لانهم يعترفون انه العدل فيقول لهم المجاوب من الملائكة
عند ذلك فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
الفا لما طلبه معنى الجملة من اخبار الكفار في الاخرة والمعنى بينهما مرتبط اي هذه حالهم
مع الله ولا تستعجل انت واصبر ولا تخف الا الله واولوا العزم اي اولوا الجد
من الرسل وهم من حفظ له شدة مع قومه ومجاهدة فتكون من للتبعيض
ويجوز ان تكون للبيان اي الذين هم الرسل ويكون الرسل كلهم اولي
العزم واولوا العزم على التبعيض بعضهم اسماء الرسل قال بعض رسل اولي العزم
انهم الرسل وكونها للتبعيض قول عطا الخراساني والكلبي وللبيان قول ابن
زيد وقال الحسين بن الفضل هم الثمانية عشر المذكورون في سورة الانعام لانه
قال بعقبه ذلك هم هداهم الله فبهداهم اقتده وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على اذى قومه
طويلا وابراهيم صبر على النار واسحق صبر نفسه على الذبح ويعقوب صبر
على الفقد لولده وعمى بصره وقال فصبر جميل ويوسف صبر على السجن والبئر
وايوب على البلاء وزاد غيره وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان
معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة
على لبنة وقال انها معبر فاعبروها ولا تعمروها ولا تستعجل اي العذاب
بالكفار اي لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تاخر وانهم مستقصرون
حينئذ مدة لبثهم في الدنيا كانهم لم يلبثوا فيها الا ساعة وقرا ابي من النهار
والجمهور من نهار وقرا الجمهور بلاغ بالرفع والظاهر رجوعه الى المدة التي
لبثوا فيها كانه قيل تلك الساعة بلاغ لهم كما قال متاع قليل فبلاغ خبر مبتدا
محذوف وقيل يحتمل ان يكون بلاغ يعني به القران والشرع اي هذا بلاغ اي
تبليغ وانذار وقال ابو مجلز بلاغ مبتدا وخبره لهم ويقف على قوله ولا تستعجل

وهذا

وهذا ليس بجيد لان فيه تفكيك الكلام بعضه من بعض اذ ظاهر قوله لهم انه متعلق
بقوله ولا تستعجل لهم والحيلولة بالجملة التشبيهية بين المبتدا والخبر وقرا الحسن
وزيد بن علي وعيسى بلاغا بالنصب فاحتمل ان يراد بلاغا في القران وبلاغا في العذاب
اي بلغوا بلاغا او بلغنا بلاغا وقرا الحسن ايضا بلاغ بالجر نعتا لنهار وقرا ابو
مجلز وابو سراج الهذلي بلغ على الامر للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا يؤيد حمل بلاغ
رفعا ونصبا على انه يعني به تبليغ القران والشرع وعن ابي مجلز ايضا بلغ فعلا ماضيا
وقرا الجمهور يهلك بضم اليا وفتح اللام وابن محيصن فيما نقل عنه ابن خالويه بفتح اليا
وكسر اللام وعنه ايضا بفتح اليا واللام وماضيه هلك بكسر اللام وهي لغة
وقال ابو الفتح هي مرغوب عنها وقرا زيد بن ثابت نهلك بنون مضمومة وكسر اللام
الا القوم الفاسقين بالنصب وفي هذه الاية وعيد وانذار بالغ
الذي يقول لمخاطبه بالي كذا ولا يثنى ولا يجمع وشذ قولهم بالات في جمعه تعس
الرجل بفتح العين يتعس تعسا ضد انتعش واتعسه قال مجمع بن هلال

تقول وقد افردتها من خليلها تعست كما اتعستني يا مجمع

وقال قوم منهم شمر وابن شميل وابو الهيثم تعس بكسر العين وعن ابي عبيد تعسه
الله واتعسه في باب فعلت وافعلت وقال ابن السكيت التعس ان يخر على
الوجه والنكس ان يخر على الراس وقال هو ايضا وثعلب التعس الهلاك
وقال الاعشى

بذات لوث عفرناة اذا عثرت فالتعس ادنى لها من ان اقول لعا

الاسن الماء تغير ريحه ياسن وياسن ذكره ثعلب في الفصيح والمصدر
اسون واسن بكسر السين ياسن بفتحها لغة اسنا قاله اليزيدي واسن
الرجل بالكسر لا غير اذا دخل البئر فاصابته ريح منتنة من ريح البئر فغشي عليه
او دار راسه قال

قد اترك القرن مصفرا انامله يميد في الرمح ميد المائح الاسن

العسل معروف وعسل بن ذكوان رجل نحوي قديم المعى
مقصور والفه منقلبة عن ياء بتثنيته معيان وقلب الالف ياء والمعى ما في

البطن ما في الجران القفـــل معروف واصله اليبس والصلابة والقفل
والقفيل ما يبس من الشجر والقفيل ايضا مثله والقفيل اليبوس واقفله الصوم
انيبسه قال الجوهري الاشراط العلامات واحدها شرط بتسكين الراء وفتحها
قال ـــــ ابو الاسود
فان كنت قد ازمعت بالصرم بيننا فقد جعلت اشراط اوله تبدو
واشرط الرجل نفسه لامر اذا اعلمها له واعدها قال اوس بن حجر واشرط فيها نفسه وهو معصم
فالقى باسباب له وتوكلا فاولى لهم قال صاحب الصحاح يقول العرب اولى لك تهدد
وتوعيد ومنه قول الشاعر
فاولى ثم اولى ثم اولى وهل للدر يحلب من مرد
... اختلفوا فيه هو اسم او فعل فذهب الاصمعي الى انه بمعنى قاربه ما يهلكه اي نزل
به وانشد
فعادى بين هاديتين منها واولى ان يزيد على الثلاث
اي قارب ان يزيد قال ثعلب لم يقل احد في اولى احسن مما قال الاصمعي وقال المبرد يقال
لمن هم بالعطب ثم افلت اولى لك اي قاربت العطب كما روي ان اعرابيا كان يوالي رمي الصيد فيفلت منه فيقول
اولى لك ثم رمى صيدا فقاربه ثم افلت منه فقال
فلو كان اولى يطعم القوم صدتهم ولكن اولى يترك القوم جوعا
والاكثرون على انه اسم فقيل هو مشتق من الولي وهو القرب كما قال
يكلفني ليلى وقد شط وليها وعادت عواد بيننا وخطوب
وقال الجرجاني هو ماخوذ من الويل فهو افعل فقلب الضغن والضغينة
الحقد قال عمرو بن كلثوم
فان الضغن بعد الضغن يفشو عليك ويخرج الداء الدفينا
وقد ضغن بالكسر وتضاغن القوم واضطغنوا ابطنوا الاحقاد وقد
ضغن عليه واضطغنت الصبي اخذته تحت حضنك وانشد الاحمر
كأنه مضطغن صبيا وقال ابن مقبل
وما اضطغنت سلاحي عند مغرضها

وفرس

وفرس ضاغن لا يعطي ما عنده من الجري الا بالضرب واصل الكلمة من الضغن وهو
الالتواء والاعوجاج في قوائم الدابة والعصا وكل شي وقال بشر
كذات الضغن تمشي في الرفاق واشد الليث
ان قناتي من صليبات القنا ما زادها التثقيف الا ضغنا
والحقد في القلب تشبيه به وقال قطرب والليث الضغن العداوة قال
وذي ضغن ... الضغن عنه شيمة الاضغان
لحـــن له معنيان احدهما ... له فحواه معناه ... ولحنه
هو بالكسر فيه ... الاحسن ... قال
منطق صائب وتلحن احيانا واحسن الحديث ما كان لحنا
وقال القتال الكلابي
ولقد وحيت لكم لكيما تفهموا ولحنت لحنا ليس بالمرتاب
وقيل لحن القول الذهاب عن الصواب ماخوذ من اللحن في الاعراب وتسر
... ماخوذ من الدخل وقيل من الوتر وهو الفرد
بسم الله الرحمن الرحيم
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم والذين امنوا وعملوا الصالحات
وامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم ذلك بان
الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب
الله للناس امثالهم فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق
فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن
ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم
ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم
ويثبت اقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم واضل اعمالهم ذلك بانهم كرهوا ما
انزل الله فاحبط اعمالهم افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين امثالها ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان
الكافرين لا مولى لهم هـ هذه السورة مدنية عند الاكثرين وقال

الضحاك وابن جبير والسدي مكية وقال ابن عطية مدنية بإجماع وليس كذلك قال ابن
عباس وقتادة إنها مدنية إلا آية منها نزلت بعد حجه حين خرج من مكة وجعل
ينظر إلى البيت وهو يبكي وكأين من قرية الآية ومناسبتها لأولها لآخر ما قبلها واضحة
جدا الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أي أعرضوا عن الدخول في الإسلام أو صدوا
غيرهم عنه وهم أهل مكة الذين أخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم
المطعمون يوم بدر وقال مقاتل كانوا اثني عشر رجلا من أهل الشرك يصدون
الناس عن الإسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل هم أهل الكتاب صدوا من أراد منهم ومن
غيرهم عن الدخول وقيل عام في كل من كفر وصد أضل أعمالهم أي أتلفها حيث لم
ينتفعوا بها ولا تقع بل هي محض وقيل نزلت هذه الآية ببدر وأن الإنسان
بقوله أضل أعمالهم الإنفاق الذي أنفقوه في سفرهم إلى بدر وقيل المراد بالأعمال
أعمالهم البر في الجاهلية من صلة رحم وفك عان ونحوها واللفظ يعم جميع ذلك
والذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الأنصار وقال مقاتل ناس من قريش وقيل
مؤمنو أهل الكتاب وقيل عموما أو يحمل بعموم خصوص السبب العملي فاللفظ
عام يتناول كل كافر وكل مؤمن وآمنوا بما نزل على محمد تخصيصه من بين
ما يجب الإيمان به تعظيما لشأن الرسول وإعلاما أنه لا يصح الإيمان ولا
يتم إلا به وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي وهو الحق من ربهم وقيل وهو
الحق أي هو ناسخ لغيره ولا يرد عليه النسخ وقرأ الجمهور نزل مبنيا للمفعول وزيد
ابن علي وابن مقسم نزل مبنيا للفاعل والأعمش أنزل معدى بالهمزة مبنيا
للمفعول وقرئ أنزل مبنيا كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم أي حالهم في أعمالهم
وشأنهم قاله قتادة وأمرهم قاله ابن عباس وحقيقة لفظة البال أنها بمعنى الفكر
والموضع الذي فيه نظر الإنسان وهو القلب وإذا صلح ذلك فقد صلحت حاله
فكأن اللفظ مشير إلى صلاح عقيدتهم وعن ذلك صلاح الحال تابع ذلك إشارة
إلى ما يفعل بالكفار من إضلال أعمالهم وبالمؤمنين من تكفير سيئاتهم وإصلاح حالهم
وذلك مبتدأ وما بعده الخبر أي أعمالهم وبالمؤمنين من تكفير سيئاتهم كائن بسبب
اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق وقال الزمخشري ويجوز أن يكون ذلك خبر مبتدأ

محذوف

محذوف معرب الأمر ذلك أي كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا
انتهى ولا حاجة إلى هذا الإضمار مع صحة الوجه الأول وعدم الإضمار والباطل ما لا
ينتفع به وقال مجاهد الشيطان وكل ما يأمر به والحق هو الرسول والشرع وهذا
الكلام يسميه علماء البيان التفسير كذلك يضرب الله قال ابن عطية الإشارة إلى
اتباع المذكور أي كما اتبعوا هذين السبيلين كذلك يبين أمر كل
فرقة ويجعل لكل صنف مثله من الموالي وصنوفها وضرب المثل من الضرب الذي هو بمعنى
النوع وقال الزمخشري كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس أمثالهم
والضمير راجع إلى الناس أو إلى المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم
لأجل الناس ليعتبروا بهم فإن قلت أين ضرب الأمثال قلت في أن جعل اتباع
الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين أو في أن جعل الإضلال
مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين فإذا لقيتم
الذين كفروا الخ أي في القتال لقيتم فاقتلوهم وفي قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
ابن عطية نعم في الرقاب وفي الكلمات وقال الزمخشري لقيتم من اللقاء وهو الحرب
انتهى فضرب الرقاب هذا من المصدر النائب مناب فعل الأمر وهو مطرد
فيه وهو منصوب بفعل محذوف واختلف فيه إذا انتصب ما بعده فقيل هو
منصوب بالفعل الناصب للمصدر وقيل هو منصوب بنفس المصدر لنيابته
عن العامل فيه ومثاله ضربا زيدا كما قال

على حين ألهى الناس جل أمورهم ... فندلا زريق المال ندل الثعالب

وهذا هو الصحيح وبيان ذلك قوله فضرب الرقاب وهو إضافة المصدر للمفعول
ولو لم يكن معمولا له ما جازت إضافته إليه وضرب الرقاب عبارة عن القتل ولا يراد
خصوصية الرقاب فإنه لا يكاد يتأتى حالة الحرب أن يضرب الرقاب وإنما يأتي
القتل في أي موضع كان من الأعضاء ونحوه ضرب الأمير رقبة فلان وضرب عنقه
وعلاوته وما ضرب عينيه إذا قتله كما عبر بقوله بما كسبت أيديكم عن سائر الأعمال
كما كان أكثر الكسب منسوبا إلى الأيدي وقال الزمخشري وفي هذه العبارة من
الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة وهو

عن العنق واطارة العضو الذي به قوام البدن وعلوه واوجه اعضائه ولقد وقف
اذن في هذه الغلظة في قوله فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان بالنهي ما لا
ذلك من تشجيع المؤمنين وانهم من الكفار بحيث لم يمكنوا منهم اذا امروا بضرب
رقابهم حتى اذا اثخنتموهم اي اكثرتم القتل فيهم وهذه غاية للضرب فاذا وقع الاثخان
وتمكنوا من اخذ من لم يقتل فشدوا وثاق الاسرى فاما منا الاطلاق واما فدا حتى
تضع الحرب اوزارها اي اثقالها والاتها ومنه قول عمرو بن معدي كرب

واعددت للحرب اوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا

المشتهرين عطية لعمرو وعزاه الزمخشري للاعشى وقيل الاوزار الاثام لان
لان الحرب لا بد ان تكون فيها الاثام في احد الجانبين وتعيين الغاية اي جاهدوا حتى ينزل
عيسى بن مريم وقاله قتادة حتى يسلم الجميع وقيل حتى يسلموا او يعطوا الجزية عن
عطية وظاهر اللفظ انه استعارة عن التزام الكافر امر او ذلك الحرب
من المؤمنين والكافرين حتى تضع اوزارها جاهدوا الا تفعل ذلك بعضا وكذا الى
يوم القيامة فانما هي امر يفعله ذا بالها الى الزمخشري وتسمية يعني الات
الحرب من السلاح والكراع اوزارها لانه لما لم يكن لها بد من جرها فكانها تحملها وتستقل
بها فاذا انقضت فكانها وضعتها وقيل اوزارها واثامها بعض حتى يترك اهل الحرب
وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا وتعلق الجار برب الرقاب وشد العقد
معا اي شد الوثاق وقت حصول الاثخان وان قوله واما منا بعد واما بعد الشد
واما فدا حال كانت للماسور واذا ان من عليه بالاطلاق كما من رسول الله صلى الله
عليه وسلم باطلاق ثمامة من اثال الحنفي واما ان يفدي كما روي عنه عليه السلام
انه فدى منه رجلا من الكفار برجل مسلم وهذه الاية منسوخة عند ظاهرها
لقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ذهب ابن عباس وابن جريج
جريج والسدي وقتادة والضحاك ومجاهد الى انها منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين الاية
وان الاسير والفدا والمن ممنوع بل قتل وقع اسر قتل ولا يرد الا ان يسلم وروي
نحو عن ابي بكر الصديق وذهب ابن عمر وعمر بن عبد العزيز وعطا والحسن الى
ان هذه مخصصة لعموم تلك والمن والفدا ثابت وقال الحسن لا يقتل الاسير الا في

الحرب مقصب بذلك على الغدر وذهب اكثر العلما على ان اهل الكتاب فيهم المن والفدا وعباد
الاوثان ليس فيهم الا القتل خصصوا من المشركين اهل الكتاب وخصصوا من الكفار
عبدة الاوثان واما مذهب الائمة اليوم فمذهب الامام ابي حنيفة ان الامام مخير
في القتل والاسترقاق ومذهب الشافعي انه مخير في القتل والاسترقاق والفدا و
المن ومذهب مالك انه مخير في واحد من هذه الاربعة وفي ضرب الجزية والظاهر
ان قوله واما فدا جواز فدائه بالمال وبمن اسر من المسلمين وعن الحسن لا يفدى
بالمال وقرا السلمي فشدوا بكسر الشين والجمهور بالضم والوثاق بفتح الواو وفيه
لغة الوثاق وهو اسم لما يوثق به وانتصب منا وفدا باضمار فعل يقدر من لفظهما اي
فاما تمنون منا واما تفدون فدا وهو فعل يجب اضماره لان المصدر جا تفصيل
عاقبة عاقبة فعامله مما يجب اضماره ونحوه قول الشاعر

لاجهدن فاما درء واقعة تخشى واما بلوغ السول والامل

اي فاما ادرا درءا واقعة واما ابلغ بلوغ السول وقال ابو البقا ويجوز ان يكونا
مفعولين اي اولوهم منا واقبلوا فدا وليس اعرابا نحويا وقرا ابن كثير في رواية
شبل واما فدى بالقصر وقال ابو حاتم لا يجوز قصره لانه مصدر فاديته وهذا
ليس بشي فقد حكى الفرا فيه اربع لغات فداك بالمد والاعراب وفداك بالكسر
بالتنوين وفدى لك بالقصر وفدى لك والظاهر من قوله فاما منا المن بالاطلاق ق
كما من الرسول عليه السلام على ثمامة وعلى ابي عزة الجمحي وفي كتاب الزمخشري
ام من على ابي عزة الجمحي وان الحنفي بعض الكتبة والاسم ولعل ذلك من الناسخ لا
في اصل المصنف وقيل يجوز ان يراد بالمن ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا
او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من اهل الذمة والظاهر ان قوله حتى
تضع الحرب اوزارها غاية لقوله فشدوا الوثاق لانه قد يما بضرب الرقاب لشد الوثاق
وقت الاثخان فلا يمكن ان يعتمد غاية الحرب لتراخي الغاية بين الاثخان كانه
الا انه مبتدا للاول ومؤكد فيجوز ان شد الوثاق للاسرى لا يكون الا حين تضع
الحرب اوزارها اذا استوثق باسيرا شوكة الكفار المقاتلين اذ ذاك ويكون الحرب
المراد بها التي تكون وقت لقا المؤمنين الكفار ويجوز ان يكون المعنا محذوفا بدل عليه المعنى

الشعبي والحكم ذلك حتى تضع الحرب اوزارها اي لا يبقى شوكة لهم او كما قال من غلظه انه استعمال
يعني الى يوم القيامة اي اصنعوا ذلك ابدا وقال الزمخشري فان قلت حتى بم تعلق
قلت لا يخلو اما ان يتعلق بالضرب والشد او بالمن والفداء والمعنى على كلا المتعلقين
عند الشافعي رحمه الله انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون حرب مع المشركين
وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى بن مريم وعند ابي حنيفة رحمه الله اذا
علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب
الاوزار وذلك حين لا يبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انه يمن
عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان يتاول المن والفداء بما
تاول المن بان يتركوا عن القتل ويسترقوا او بالتخلية بقبول الجزية وكونهم
من اهل الذمة وبالفداء ان يفادى باسارى المشركين اسارى المسلمين فقد رواه الطحاوي
مذهبا لابي حنيفة والمشهور انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا حربا
للمسلمين ذلك اي الامر ذلك او افعلوا ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم اي لانتقم ببعض
اسباب الهلاك من خسف او رجفة او حاصب او غرق او موت جارف ولكن ليبلوا
اي ولكن امركم بالقتال ليبلوا بعضكم وهم المؤمنون اي يختبر ببعض وهم الكافرون
بان يجاهدوا ويصبروا والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض ما وجب لهم
من العذاب وقرا الجمهور قاتلوا اي الجحدري بخلاف عنه قتلوا بفتح القاف والتاء بلا الف
وقتادة والاعرج والاعمش وابو عمرو وحفص قتلوا مبنيا للمفعول والتاء خفيفة
وزيد بن ثابت والحسن وابو رجاء وعيسى والجحدري ايضا كذلك وشددوا
التاء وقرا علي فلن يضل مبنيا للمفعول اعمالهم رفع وقرى يضل بفتح الياء من ضل
اعمالهم رفع سيهديهم اي الى طريق الجنة وقال مجاهد يهدي اهل الجنة الى مساكنهم
منها لا يخطئون كانهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها وروي
عن ابي عمرو ونظيره يوم يجمعكم ليوم الجمع واما سكن لام الكلمة
عرفها لهم عن مقاتل ان الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه
كل شيء اعطاه الله وقال ابو سعيد الخدري ومجاهد وقتادة معناه بينها لهم اي
جعلهم يعرفون منازلهم بينها ولا لاحدكم بمنزله في الجنة اعرف منه بمنزله

في الدنيا وقيل بينها لهم ورسمها كل منزلة لصاحبه وهذا نحو من التعريف وقال [illegible]
وارفقا اي حددها لجنة كل احد مقرره عن غيرها والعرف والارف الحدود وقيل شرفها
لهم ورفعها وعلاها وهذا من الاعراف التي هي الجبال وما اشبهها وقال مؤرج وغيره طيبها
ماخوذ من العرف ومنها طعام معرف اي مطيب وعرفت القدر طيبتها بالملح
والتوابل ان تنصروا الله اي دينه ينصركم على اعدائكم بخلق القوة فيكم والجراءة وغير ذلك
من المعاون ويثبت اقدامكم اي في مواطن الحرب او على محجة الاسلام وقرا الجمهور
ويثبت مشددا والمفضل عن عاصم مخففا فتعسا لهم قال ابن عباس بعدا لهم وابن
جريج والسدي حزنا لهم والحسن شتما وابن زيد شقاء والضحاك رغما وقال ثعلب
هلاكا والذين كفروا مبتدا والفاء داخلة في خبر المبتدا وتقديره فتعسهم الله تعسا
فتعسا منصوب بفعل مضمر ولذلك عطف عليه الفعل في قوله واضل اعمالهم وجوزوا ان
يكون والذين منصوبا على الاشتغال بفعل تقديره تعس الذين فتعسا لهم كما تقول زيدا جزاء له
وقال الزمخشري فان قلت علام عطف قوله واضل اعمالهم قلت على الفعل الذي نصب
تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم وتعسا له نقيض لعا له انتهى واضمار
ما هو من لفظ المصدر اولى لان فيه دلالة على ما حذف وقال ابن عباس يريد في الدنيا
القتل وفي الاخرة التردي في النار انتهى في قوله فتعسا لهم اي كلاما زيادة وتقوية
لقلوب المؤمنين اذ جعل لهم التثبيت وللكفار الهلاك والتعس ذلك بانهم كرهوا
ما انزل الله تسجيل بما انزل من القرآن في شان التوحيد وذكر البعث والفرايض
والحدود وغير ذلك مما تضمنه القرآن فاحبط اعمالهم اي جعلها من الاعمال التي لا تزكو ولا
يعتد بها دمر الله عليهم اي اهلك عليهم ما اختص به من انفسهم واولادهم واموالهم وكل ما
كان لهم وللكافرين امثالها اي امثال تلك العاقبة او التدمير التي يدل عليها دمر
او الهلكة لان التدمير يدل عليها او السنة لقوله عز وجل سنة الله في الذين خلوا والوجه
الاول هو الراجح لان العاقبة منطوقا بها فعاد الضمير على الملفوظ به وما يعود مقول
منقول ذلك بان [illegible] والاشارة بذلك الى النصر [illegible] والى الهلاك [illegible]
قال وللكافرين امثالها قال ذلك الهلاك الذي يحصل للكفار بايدي المؤمنين بسبب ان
الله مولاهم اي ناصرهم ومؤيدهم وان الكافرين لا ناصر لهم اذ الهتهم لا تسمع ولا تنفع

وتركوا اعيانا من شفيع ونصير وهو الله تعالى قال ... نزلت هذه الاية يوم احد ومنها
اخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رد على ابي سفيان حين قال قولوا الله مولانا ولا مولى
لكم حين قال المشركون ان لنا العزى ولا عزى لكم **ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات**
جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام
والنار مثوى لهم وكأين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا
ناصر لهم افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم مثل الجنة التي
وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من
خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم
كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا
من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا
اهواءهم والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم
بغتة فقد جاء اشراطها فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم يتمتعون اي يتمتعون بمتاع الدنيا
اياما قلائل ويأكلون غافلين عن عواقبهم في العاقبة كما تأكل الانعام في مسارحها
ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح والكاف في موضع نصب اما على الحال
من ضمير المصدر كما تقول سيبويه اي يأكلونه اي الاكل مشبها اكل الانعام واما انه
نعت لمصدر محذوف كما تقول اكثر المعربين اي اكلا مثل ما تأكل الانعام والمعنى
ان اكلهم مجرد من الفكر والنظر والتشبيه في المعنى ليس في مطلق الاكل بل فيما
هو لازم للاكل من عدم الفكر والنظر كما تقول للجاهل يعيش كما تعيش البهيمة
في مطلق العيش ولكن في لوازمه والنار مثوى لهم اي موضع اقامة ثم ضرب تعالى مثلا لمكة
بالقرى المهلكة على عظمها كقرية عاد وغيرهم والمراد اهلها وكذلك عاد الضمير على ذلك
المراد في قوله اهلكناهم ومعنى اخرجتك اي اهلها واسند الاخراج اليها مجازا والمعنى
كانوا سبب خروجك وذلك وقت هجرته عليه السلام الى المدينة وكما جاء في حديث
ورقة بن نوفل يا ليتني فيها جذعا اذ يخرجك قومك قال او مخرجي هم وقال ابن عطية
ونسبت الاخراج الى القرية حملا على اللفظ وقال اهلكناهم حملا على المعنى اي على ظاهر هذا

الكلام

الكلام ولا يصح ان الضمير في اهلكناهم ليس عائدا على المضاف الى القرية التي اسند اليها
الاخراج بل الى اهل القرية في قوله وكأين من قرية فهو صحيح لكن ظاهر قوله حملا
على اللفظ وحملا على المعنى انه يكون في مدلول واحد وكأين على هذا مبتدأ وكان
معلقا عن محذوف يعني الا ان جملة ان كان خبر عن كأين والظاهر انه في
موضع الصفة وفلا ناصر لهم يعني وقت اهلاكهم كأنه قال فهم لا ينصرون اذ ذاك
وقال ابن عباس لما خرج من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب بلاد الله الى
الله وانت احب بلاد الله الي ولولا ان المشركين اخرجوني لم اخرج منك فاعدى
الاعداء من عدا على الله في حرمه او قتل غير قاتله او قتل بذحول الجاهلية فانزل الله
تعالى وكأين من قرية الاية وقد تقدم اول السورة عن ابن عباس خلاف
هذا القول افمن كان على بينة من ربه استفهام توقيف وتقرير على شيء متفق
عليه وهي معادلة من زين له لكن تقدمت بالف الاستفهام والاشارة الى الرسول الي
كفار قريش اي واللفظ عام لاهل الصفتين ومعنى على بينة على حجة واضحة
وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات كمن زين له سوء عمله وهو الشرك والكفر بالله
وعبادة غيره واتبعوا اهواءهم اي شهوات انفسهم ما لا يكون له شبهة فضلا عن
حالهم والضمير واتبعوا عائد على معنى من وقرئ امن كان نعت مثل الجنة اي
صفة الجنة وهو مرفوع بالابتداء قال النضر بن شميل كأنه قال صفة الجنة ما
تسمعون اي ما تسمعون فهو الخبر وفيها انهار مفسر لتلك الصفة فهو استئناف
اخبار عن تلك الصفة وقال ابن عطية مثل الجنة مبتدأ والخبر محذوف مقدرا
ثم فسر ذلك بقوله قال ابن عطية وفي الكلام حذف يقتضيه الظاهر كأنه
قال مثل الجنة ظاهر في نفس من وعى هذه الاوصاف وكان ابن عطية
قال مثل هذا ونظر ان القصد بالمثل هو الى الشيء الذي يتخيله المرء عند
سماعه فيها تخيلها فكانه يصور عند ذلك تعالما على هذه الصورة
وذلك هو مثل الجنة قال وعلى هذه التاويلات يعني قوله المضمر وقول من
وما قاله هو نحو قبل قوله كمن هو خالد في النار ... اي اساكن
هذه او ساكن هذه اشارة الى المعنى ... ان يكون الحرف في

صدر هذه الآية كأنه قال أمثل أهل الجنة كمن هو خالد وتكون مثل مستعملا عنه
بعض الفضلاء مستعملها ثم ما المعنى أمثل أهل الجنة وهو بهذه الأوصاف كمن هو خالد في النار
ومجيء قوله فيها أنهار في موضع الحال على هذا التأويل أيضا ولم يذكر الزمخشري غير
هذا الوجه قال ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشأن وهو مبتدأ وخبره وهو
كمن هو خالد وقوله فيها أنهار داخل في حكم الصلة كالتكرير لها ألا ترى إلى صحة قولك التي
فيها أنهار ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف هي فيها أنهار كأن قائلا قال
وما مثلها فقيل فيها أنهار وأن يكون في موضع الحال أي مستقرة فيها أنهار وقال
الزمخشري أيضا فإن قلت ما معنى قوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار
كمن هو خالد في النار قلت هو كلام في صورة الإثبات ومعنى النفي والإنكار لانطوائه
تحت كلام مصدر بحرف الإنكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه وهو قوله
أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكأنه قيل أمثل الجنة كمن هو خالد في
النار أي كمثل جزاء من هو خالد في النار فإن قلت لم عري من حرف الإنكار
وما فائدة التعرية قلت تعريته من حرف الإنكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من
يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وأنه بمنزلة من يثبت التسوية
بين الجنة التي تجري فيها تلك الأنهار وبين النار التي يسقى أهلها الحميم ونظيره قول
القائل أفرح أن أرزأ الكرام وأن أورث ذودا شصائصا نبلا
هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه من حرف الإنكار لانطوائه
تحت حكم من قال له أتفرح بموت أخيك وبوراثة إبله والذي طرح لأجله حرف الإنكار
إرادة أن يصور قبح ما أزن به فكأنه قال له نعم مثلي يفرح بمرزئة الكرام وبأن
يستبدل منهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذي تحته كل إنكار انتهى
وتحصل من هذه الأقوال على إعراب مثل الجنة مبتدأ أنهم اختلفوا في الخبر فقيل
هو مذكور وهو كمن هو خالد في النار وقيل محذوف فقيل مقدر قبله وهو قول
س وقيل بعده وهو قول النضر وابن عطية على اختلاف في التقدير ولما بين الفرق
بين الفريقين في الانتصار والضلال بين الفرق بينهما فيما يؤول إليه وكما قدم
من هو على بينة على من اتبع هواه قدم ما له على ما له وقرأ علي وعبد الله وابن عباس

والسلمي

والسلمي أمثال الجنة أي صفاتها وعن علي أيضا مثال الجنة وقرأ ابن كثير وأهل مكة
أسن على وزن فعل من أسن يأسن كحذر يحذر وقرأ غيره آسن بالمد قال أبو علي وذلك
على تخفيف الهمزة لم يتغير طعمه نفي لجميع وجوه الفساد في اللبن لأنه حمض طيب
بالطبع وزوال الأمان بتغير الصراع وغيره ولذة تأنيث لذ وهو اللذاذ مصدر
نعت به فالجمهور بالجر على أنه صفة لخمر وقرئ بالرفع صفة لأنهار وبالنصب أي لأجل
لذة فهو مفعول له من عسل مصفى قال ابن عباس من لم يخرج من بطون النحل بل
يخلقه الله وغيره ووصفه بمصفى لأن الغالب على العسل التذكير وهو مما
يذكر ويؤنث وعن كعب أنه النيل ودجلة والفرات وسيحان يكون هذه
الأنهار في الجنة وقد اختلف في تعيين كعب فيها لماذا يكون نزلة ونزل
من هذه الأنهار بالماء وهو الذي لا يستغنى عنه في الحر وثنى باللبن إذ كان
يجري مجرى المطعوم في كثير من أوقات العرب وثلث بالخمر لأنه إذا حصل
الري والمطعوم تشوقت النفس إلى ما يلتذ به وربع بالعسل لأن فيه الشفاء في
الدنيا مما يعرض من المشروب والمطعوم فهو متأخر في الرتبة ولهم فيها من كل
الثمرات لما ذكر المشروب ذكر ما يكون المأكول مما يتفكه به بين يدي قوله من أي
ولهم صنف من كل الثمرات وقيل المبتدأ محذوف أي أنواع من كل الثمرات ويقويه
بقوله زوجان من كل الثمرات لكنه لا يستغنى من قوله فيهما من كل فاكهة زوجان
ومغفرة من ربهم هو معطوف على ما قبله ولا تغير فيها أي ولهم مغفرة من ربهم
لأن المغفرة قبل دخول الجنة أو على محذوف أي ونعيم ومغفرة إذ المغفرة بسبب
النعيم وسقوا عائد على معنى من وهو خالد على اللفظ وكذلك خرجوا بما دل
معنى منه يستمع كان المنافقون يحضرون عند الرسول ويسمعون كلامه ولا يعونه
فإذا خرجوا قالوا للذين أوتوا العلم وهم السامعون لكلام الرسول الحقيقيون
الواعون له ماذا قال آنفا أي الساعة وذلك على سبيل الهزء والاستخفاف
أي لم نفهم ما يقول ولا نعلم له فائدة ومن سألوه ابن مسعود وابن عباس
أي مبتدأ أي في القول الذي ابتدأه قبل افتراقنا عنه وقرأ الجمهور آنفا على وزن
فاعل وابن كثير على وزن فعل قال الزمخشري نصب على الظرف وقال ذلك

لا يؤمنون بالساعة وقال ابن عطية والمفسرون يقولون انما معناه التشابه
المناصبة الفرسسا وهذا مستقيم بالمعنى سهل والصحيح انه ليس ينظرون ولا
نعلم احدا من النحاة عين في الظروف والجميع نرادهم عايد على الله كما اظهرت قوله
بلمع الله اذ هو مقابله وكاهو في واياهم والزيادة في جعلوا المعنى يكون بزيادة البينة
والادلة او بورود الشرع بالامر والنهي والاخبار فمن بعد المهتدي لزيادة علم ذلك
كله والايمان به فيتهدى ويحتمل ان يعود على قول المنافقين واضطرابهم لان ذلك مما
يتعجب منه المومن ويحمد الله على ايمانه ويزيد بصيرة في دينه وقيل يعود على الرسول
واتاهم تقواهم اي اعطاهم اي جعلهم متقين له فتقواهم مصدر مضاف للفاعل
ان ياتيهم بدل اشتمال من الساعة والضمير لما نعلى اي الامر الواقع في نفسه
انتظار الساعة وانه كما قوله في انفسهم منتظرون بعد ذلك فما في انفسهم
غيرها لما انها باطل وقرا ابو جعفر الرواسي عن اهل مكة ان يأتهم على الشرط
وجوابه فقد جاء اشراطها وهذا بحر مشكول منه لانها اشته لا يحكها له لم تحوطوا
بما كانوا عليه من الشك ومعناه ان شككتم في اتيانها فقد جاء اعلامها فانى لهم
راجع الى الخاطبين من الساكين وقال الزمخشري فان قلت فما جزاء الشرط
قلت قوله فانى لهم ومعناه ان ياتهم الساعة فكيف لهم ذكراهم كقوله يوم
يتذكر الانسان وانى له الذكرى فان قلت بم يتصل قوله فقد جاء اشراطها
على القراءتين قلت باتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك ان اكرمني
زيد فانا حقيق بالاكرام اكرمه وقرا الجعفي وهرون عن ابي عمرو بغتة بفتح الغين
وتشديدها قال صاحب اللوامح وهي صفة وانتصابها على الحال لا نظير لها
في المصادر ولا في الصفات بل في الاسماء نحو الجربة وهو اسم جماعة من المشر
مكان اسمى وكذا قال العباس بن الحاج من اصحاب الاستاذ ابي علي
الشلوبين في كتاب المصادر من تاليفه وقال الزمخشري وما
اخوفني ان يكون غلطة من الراوي عن ابي عمرو وان يكون الصواب بغتة
بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم انتهى وهذا على عادته في
تغليط الرواة فقد جاء اشراطها اي علاماتها وانه لا ينفع الاستعداد لها ومن اشراط

الساعة

الساعة مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ هو خاتم الانبياء وروي عنه انه
قال انا من اشراط الساعة وقال بعثت انا والساعة كهاتين كفرسي رهان
وقيل منها الدخان وانشقاق القمر وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور
وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم الذي هو
المعنى فكيف لهم الذكرى والعمل بهذا اذا جاءتهم الساعة اي عرفانهم ذلك فسلك
ويحتمل ان تكون الذكرى محذوفة اي فانى لهم الخلاص اذا جاءتهم الذكرى
بما كانوا يخبرون به فكذبوا به فيتوعدهم بالعذاب ثم امر بثبوته على ذكر انما يفعل
وقال فاعلم انه لا اله الا الله والمعنى دم على علمك بتوحيد الله واحتج بهذا على
قول من قال اول الواجبات العلم والنظر قبل القول والاقرار في الاستدلال
على التواضع وهضم النفس اذ امره بالاستغفار واستغفاره عليه السلام
لاهل الايمان رحمة لهم وللمؤمنين اي ولذنوب المؤمنين واكرامه عليه السلام
بان امره بالتوحيد وامره نفسه بالاستغفار وامره بالاستغفار لهم
متقلبكم ومثواكم هو على العموم في كل متقلبكم وفي كل اقامتكم وقال ابن عباس
متقلبكم تصرفكم في الدنيا ومثواكم اقامتكم في قبوركم وفي اخرتكم وقال عكرمة متقلبكم
في اصلاب الاباء الى ارحام الامهات ومثواكم اقامتكم في الارض وقال الطبري
وغيره متقلبكم تصرفكم في يقظتكم ومثواكم منامكم وقيل متقلبكم في
معايشكم ومتاجركم ومثواكم حيث تستقرون من منازلكم وقيل متقلبكم في اعمالكم
ومثواكم من الجنة والنار وقرا الجمهور ومتقلبكم بالتاء وابن عباس بالنون في
ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال
رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فاولى لهم طاعة
وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان
توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى
ابصارهم افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها ان الذين ارتدوا على ادبارهم
من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم ذلك بانهم قالوا للذين
كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر والله يعلم اسرارهم فكيف اذا

تتوفاهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه
فاحبط اعمالهم كان المومنون حريصين على ظهور الاسلام وعلو كلمته وتمني قتال
العدو وكانوا يستانسون بالوحي ويستوحشون اذا ابطا والله تعالى قد
جعل ذلك بابا دنيويا لا يسعد به فرح تعالى المومنين بطلبهم انزال سورة
والمعنى يتضمن امرا بمجاهدة العدو وفضح امر المنافقين والظاهر ان طالبي ذلك
هم خلص الايمان ولذلك قال بعد رايت الذين في قلوبهم مرض وقال الزمخشري كانوا
يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بالسنتهم ويقولون لولا انزلت سورة في معنى
الجهاد فاذا انزلت وامروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه وشق عليهم وسقطوا في
ايديهم كقوله فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية
لا يدل عليه لفظ القران ولولا بمعنى هلا ومن اغرب ما كان ان لا زايدة والتقدير
لو انزلت وهذا الشي يحكى وقرا زيد بن علي سورة محكمة
بنصبهما ومرفوع نزلت مضمر وسورة نصب على الحال وقرا هو وابن عمير وذكر
مبنيا للفاعل اي الله فيها القتال نصب والجمهور برفع سورة محكمة على انه مفعول
لم يسم فاعله وبنا وذكر للمفعول والقتال رفع به واحكامها كونها لا ينسخ
وقد قيل كل سورة فيها القتال فهي محكمة وهو اشد القران على المنافقين وقيل
امر استعمل من القران لخصوصية هذه الاية وذلك ان القتال نسخ ما
كان من المهادنة والصلح وهو غير منسوخ الى يوم القيامة وقيل محكمة اي
مدلولات الفاظها على الحقيقة دون المشابه الذي اريد به المجاز نحو قوله على
العرش استوى وجنب الله وضرب الرقاب رايت الذين في قلوبهم مرض هو
استعارة لفساد المعتقد من مرض الاجسام ينظرون اليك تشخص ابصارهم
جبنا وهلعا نظر المغشي عليه من الموت اي نظرا كما ينظر من اصابته الغشية
من اجل حلول الموت وقيل يفعلون ذلك وهو شخوص البصر الى الرسول من
شدة العداوة وقيل من خشية الفضيحة فانهم ان تخلفوا عن القتال افتضحوا وبان
نفاقهم فاولى لهم تقدم شرحه في المفردات وقال كانه قال العقاب اولى
لهم وقيل وليهم المكروه واولى وزنه افعل او فلعى على اختلاف الاشتقاق

الذي

الذي ذكرنا في المفردات فعلى قول الجمهور انه اسم يكون مبتدا والخبر لهم وقيل اولى مبتدا
ولهم من صلته وطاعة ولم يتعرض الزمخشري لاعرابه وانما قال ومعناه الدعا عليهم
بان يليهم المكروه وعلى قول الاصمعي انه فعل يكون فاعله مضمرا يدل عليه المعنى
واضمر لكثرة الاستعمال كانه قال قارب لهم هو اي الهلاك قال ابن عطية والمشهور
من استعمال العرب انك تقول هذا اولى بك من هذا اي احق وقد تستعمل العرب
اولى لك فقط على جهة الحذف والاختصار لما معها من القول فتقول على جهة
الزجر والتوعد اولى لك يا فلان وهذه الاية من هذا الباب ومنه قوله اولى
لك فاولى ومن قول الصديق للحسن رضي الله عنهما اولى لك والاكثرون على
ان طاعة وقول معروف كلام مستقل محذوف منه احد الجزئين اما الخبر
وتقديره امثل وهو قول مجاهد ومذهب سيبويه والخليل واما المبتدا وتقديره
الامر او امرنا طاعة اي الامر المرضي لله طاعة وقيل هو حكاية قولهم اي قالوا طاعة
ويشهد له قراءة ابي يقولون طاعة وقول معروف وقولهم هذا على سبيل الهزء والخديعة
وقال صاحب الوصف على فاولى ولهم طاعة ابتدا وخبر والمعنى ان ذلك منهم على
جهة الخديعة وقيل طاعة صفة لسورة اي ذات طاعة او مطاعة وهذا القول
ليس بشي لحلوله الفصل الكثير بين الصفة والموصوف فاذا عزم الامر اي جد
العزم الجد وهو لاصحاب الامر واسند للامر كما قال تعالى لمن عزم الامور
وقال الشاعر   قد جدت الحرب بهم فجدوا
والظاهر ان جواب اذا قوله فلو صدقوا الله كما تقول اذا جاء الشتا فلو جئتني لكسوتك
وقيل الجواب محذوف تقديره فاذا عزم الامر كرهوا وحكى ناله بيان ومن حمل طاعة
وقول معروف على انهم يقولون ذلك خديعة قدر فاذا عزم الامر نافقوا وتعاصوا
وقرا ابو السمال فاصدق لو صدقوا الله اي فيما زعموا من حرصهم على الجهاد او في ايمانهم
وواطات قلوبهم فيه السنتهم او في قولهم طاعة وقول معروف فهل عسيتم للذين
في قلوبهم مرض اقبل بالخطاب عليهم على سبيل الالتفات لهم وتوبيخهم على سوء بكتهم وعسى
تقدم ذكر الخلاف في لغتها وفي القراءة فيها اذا اتصل بها ضمير الخطاب في سورة
البقرة واتصال الضمير بها لغة الحجاز وسوتيم لا يلحقون بها الضمير وقال ابو عبد الله الرازي

وقد ذكروا ان عسى يتصل بها ضمير الرفع وضمير النصب وانها لا يتصل بها ضمير
ثم قال واما قول من قال عسى انه مقحم وعسى انا اقوم فدون ما ذكرنا
للدليل الذي قدمناه ولا اعلم احدا من نحاة اللسان العربي ذكر انفصال الضمير
بعد عسى وفصل بين عسى وخبرها بالشرط وهو ان توليتم وقرا الجمهور ان توليتم
ومعناه ان اعرضتم عن القتال تعودوا الى جاهليتكم واعرضتم عن الاسلام وقال
قتادة كيف رايتم القوم حين تولوا عن كتاب الله الم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا
الارحام وعصوا الرحمن فتشير الى ما جرى من الفتن بعد زمان الرسول وقال
كعب ومحمد بن كعب وابو العالية والكلبي ان توليتم اي امور الناس من الولاية
ويشهد له قراءة علي توليتم مبنيا للمفعول وعلى هذا نزلت في بني هاشم وبني امية ذكره
النبي صلى الله عليه وسلم ان توليتم بضم التاء والواو وكسر اللام ويحاوروا على
وورش اي ان وليتم ولاية جور خرجتم الى الدنيا دون امام العدل
او على معنى ان توليتم بالتعريف والتنكيل واعمال العرب في جاهليتها وسيرها
من الغارات والشنان واما كانت ثم من الا فساد في الارض وقطعتم
الرحم وقيل معناه ان توليتم الناس في حكم الله اليهم والاظهر ان ذلك خطاب
للمنافقين في امر القتال وهو الذي سيقت الايات فيه اي ان اعرضتم عن امتثال
امر الله في القتال ان تفسدوا في الارض بعدم معونة اهل الاسلام على اعدائهم
وتقطعوا ارحامكم لان من ارحامكم كثيرا من المسلمين واذا لم تعينوهم قطعتم
ما بينكم وبينهم من صلة الرحم ويدل على ذلك اولئك الذين لعنهم الله والايات كلها
في المنافقين وهذا التوقع الذي في عسى ليس منسوبا اليه تعالى لانه عالم بما
كان وما يكون وانما هو بالنسبة لمن عرف المنافقين كانه يقول لهم لما علم
من خبث طباعهم هل يتوقع منكم ان اعرضتم عن القتال ان يكون كذا وكذا
وقرا الجمهور وتقطعوا بالتشديد على التكثير وابو عمرو في رواية وسلام ويعقوب
وابان عن عاصم بالتخفيف مضارع قطع والحسن وتقطعوا بفتح الطاء والقاف
وتشديد الطاء واصله تتقطعوا ابن عرفة اخرها على الخلاف في المحذوفة وانتصب
ارحامكم على اسقاط حرف اي في ارحامكم بان تقطعوا اولئك اشار الى المرضى

القلوب

القلوب فاصمهم عن استماع الموعظة واعمى ابصارهم عن طريق الهدى قال الزمخشري
لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام فمنعهم الطافه وخذلهم حتى صموا اسماعهم وهو
على طريق الاعتزال وجاء التركيب فاصمهم ولم ياتِ فاصم اذانهم وجاء واعمى ابصارهم
لان الاذن لا يلزم من ذهابها ذهاب السمع لو اصيبت لم يذهب ويبلغ السمع الكلام فلم يجي
لا ذكر للاذن والبصر هو العين لو اصيبت لا ستتبع الابصار فالعين لها
مدخل في الرؤية والاذن لا مدخل لها في السمع انتهى افلا يتدبرون ... على سمعهم جعل
لهم السمع والابصار وعلى اذانهم ولا يجعل لهم الاذان وعن ذكر الاكثر اللسب
الله الوقر وهو وصف الضم كما قال وفي اذاننا وقر ولا يتدبرون القران
اي يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر وعجيب العظات وهو استفهام
توبيخ وتوقيف على تخاذلهم ام على قلوب اقفالها استعارة للرين منعهم الايمان
وام منقطعة بمعنى بل والهمزة للتقرير والتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يصل
اليها ذكر والجمع في قوله القلوب لانه يتعلق ايها قلوب من ذكر ولا
حاجة الى تقدير صفة بحيث قلوب من قلوب فاسقة واضاف الاقفال الى الاقفال
الاقفال المختصة بها وهي اقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح وقرئ
اقفالها بكسر الهمزة وهو مصدر واقفلها بالجمع على افعل ان الذين ارتدوا
على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى قال قتادة نزلت في قوم من اليهود كانوا
عرفوا امر الرسول من التوراة وتبين لهم الهدى بهذا الوجه فلما باشروا امره
حسدوه وكفروا به بعد ذلك العلم ومن الهدى وقال ابن عباس وغيره نزلت في
المنافقين كانوا اسلموا ثم نافقت قلوبهم والاية تتناول كل من دخل في ضمن
لفظها وعموم الكلام على شرطي السبين توصيف وقال الزمخشري الشيطان سول
لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقد اشتقه من السول من لا علم
له بالتصريف والاشتقاق جميعا انتهى وقال ابو علي الفارسي معنى سول لهم من السول
وهو الاسترخاء والتدلي فعلى هذا سول لهم وقال الاكثر اعطاهم سولهم
وقال الزمخشري وقد اشتقه الجاهل لتشريك لانه توهم ان السول اصله
الهمز فاصلها اذن سولوا واو من السول همز والسول

ما دونه احوالها الهمزتين سال والثانية الواو ومن سال يسال فاذا كان كذا
فسول يجوز ان تكون من ذوات الواو لا من ذوات الهمز وقال صاحب اللوامح
والتسويل اصله من الارخاء ومنه فدلاهما بغرور والتسويل تفسير الشيطان وقرا
يعقوب على سول لهم اي كيد سول لهم على تقدير حذف مضاف وقرا الجمهور
وأملى لهم مبنيا للفاعل والظاهر انه يعود على الشيطان وقال الحسن جعله
وعلى الكاذب بالمنى كالاسعاد والاملاء يعني الامتداد من الدهر يعد لهم
في الآمال والاماني وقيل يحتمل ان يكون فاعل املى ضمير يعود على الله تعالى
قيل وهو الارجح لان حقيقة الاملاء انما هو من الله تعالى وقرا ابن سيرين والجحدري
وشيبة وابو عمرو وعيسى وأملي مبنيا للمفعول اي امهلوا ومد في عمرهم وقرا مجاهد
وابن هرمز والاعمش وسلام ويعقوب وأملي بسكون الياء مضارع املى اي
وانا املي لهم كقوله انما نملي لهم ويجوز ان يكون ماضيا سكنت منه الياء كما تقول
في بقي بقي بسكون الياء ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله روي انهم
من قريظة والنضير كانوا يعدون المنافقين امر الرسول والخلاف عليه بنصر
ومؤازرة وذلك قولهم سنطيعكم في بعض الامر وقيل القرين قالوا المنافقين والذين
كرهوا ما نزل الله هم قريظة والنضير وبعض الامر قول المنافقين لئن
اخرجتم لنخرجن معكم قال ابن عباس وقيل بعض الامر التكذيب بالرسول
او بلا اله الا الله او ترك القتال معه وقيل هو قول الفريقين اليهود والمنافقين
للمشركين سنطيعكم في التظافر على عداوة الرسول والقعود عن الجهاد
معه ومعنى في بعض الامر فيما تامرون به او في بعض الامر الذي يهمكم وقرا
الجمهور اسرارهم بفتح الهمزة وكانت اسرارهم كثيرة وابن وثاب وطلحة
والاعمش وحمزة والكسائي وحفص بكسرها وهو مصدر قالوا ذلك سرا فيما
بينهم فافشاه الله عليهم وقال ابو عبد الله الرازي الاظهر ان يقال والله
يعلم اسرارهم وهو ما في قلوبهم من العلم بصدق محمد صلى الله عليه وسلم فانهم
كانوا معاندين مكابرين وكانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما يعرفون ابناءهم انتهى فكيف اذا توفتهم الملائكة تقدم شرح الريب في قلوبهم

مرض

مرض وعليهم لاجل المبالغة بعدم قبول المرتدين وعما لحقهم من ذلك جزاؤهم على
طواعية الكارهين ما نزل الله وبعدهم والله يعلم اسرارهم بخلاف هذا الاشتمال الذي
معناه الوصف عقيب هذه الاشياء فقال الطبري فكيف علمه تعالى باسرارهم
اذا توفتهم الملائكة وقيل فكيف يكون حالهم مع الله فما اركنوا من ذلك وقيل فكيف
حالهم اذا توفتهم الملائكة وقرا الاعمش توفاهم بالالف فعل الماضي فاحتمل ان
يكون ماضيا ومضارعا حذفت منه التاء والظاهر ان وقت التوفي عند الموت
وقال ابن عباس لا يتوفى احد على معصية الا بضرب الملائكة في وجهه وفي دبره
والملائكة ملك الموت والمعرفون معه وقيل هو وقت سوقهم في القيامة الى النار
والملائكة ملائكة العذاب وقيل يتوفون القتال نصرة للرسول بضرب وجوههم
ان ثبتوا وادبارهم ان هربوا والملائكة ملائكة النصر والظاهر ان يضربون
حال من الملائكة وقيل حال من الضمير في توفاهم وهو ضعيف ذلك اي ذلك الضرب للو
وجو
والادبار بانهم اتبعوا ما اسخط الله وهو الكفر وكتمان نعت الرسول وتسويل
الشيطان اغواني والمتبع الذي يقبل بوجهه عليه بما سبب ضرب الملائكة
وجوههم وكرهوا رضوانه وهو الايمان بالله واتباع دينه والكاره للشيء
متول عنه فما سبب ضرب الملائكة ادبارهم في ذلك مقابلة امورت بامرين
ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ولو نشاء لاريناكهم
فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم اعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم
المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط
اعمالهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم.
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم
فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم انما الحياة
الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ولا يسالكم اموالكم ان يسالكموها
فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من
يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وانتم الفقراء وان تتولوا يستبدل

قوله ان يخرج الله اضغانهم اخراج اضغانهم وهو حقودهم ابرازها للرسول
والمؤمنين والظاهر انها من رؤية البصر لعطف التعريف عليه وهو معرفة القلب
واتصال الضمير ارينا كهم بعد الالف فصيح وان كان الاجود الانفصال في هذا
المجانس [illegible] لسترهم لكن لم نعرفهم باسمائهم ابقاء عليهم وعلى قراباتهم والنفا
تهم بما يتظاهرون به من الاسلام البديع وان استظهروا خلافه ولتعرفنهم في
لحن القول كانوا يصطلحون فيما بينهم على الفاظ يخاطبون بها الرسول مما ظاهره
حسن ويعنون به القبيح وكانوا ايضا يقصدون بهم الكلام ليشعر بالاتباع
ولم يكن كذلك لقولهم عند النصر انا كنا معكم ولحن ذلك كقولهم لئن رجعنا
الى المدينة وقولهم ان بيوتنا عورة والظاهر انه ايضا لا اراءة والمعرفة بالسيما
ووجود المعرفة في المستقبل بلحن القول واللام في فلعرفتهم هي الداخلة على
جواب لو ولام المعطوف على الجواب جواب بدل ولتعرفنهم لام جواب القسم المحذوف
والله يعلم اعمالكم عام يشمل المؤمن والكافر وقيل هو خطاب للمؤمنين وقرا
الجمهور ولنبلونكم حتى نعلم ونبلوا بالنون وابو بكر بالياء وروي عن يعقوب ونبلوا
الواو وبالنون والاعمش باسكانها وبالياء ويدل ذلك على العلم احاطه بانه سيكون
دائما ومعنى حتى نعلم المجاهدين اي نعلمهم مجاهدين قد خرج جهادهم الى الوجود بان
يلبسهم الشي يتعلق به ثوابهم ان الذين كفروا اناس من بني اسرائيل وبني
هذا انهم [illegible] بهم بالرسول من التوراة وما يعرفون كان الايمان [illegible]
ولو [illegible] المطعمون يوم بدر وبني النضير وجوف [illegible] الوادي
الى او عامة في كل كافر [illegible] من حيث كان [illegible] في نفسه اموال
وسيحبط اعمالهم التي كانوا يرجون بها اسعادها او اعمالهم التي للعداوة
مع الرسول ودين الاسلام يا ايها الذين امنوا من [illegible] في بني اسد اسلموا
وقالوا لرسول الله قد اثرناك وجئناك [illegible] كانهم منوا بذلك فنزلت
فيهم يمنون وقوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا فمعنى هذا ولا تبطلوا اعمالكم
بالمن بالاسلام وعن ابن عباس بالرياء والسمعة وعنه بالشك والنفاق وعن
حذيفة بالكبائر ومن بالعجب فانه ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب

وعن

معا بالمعصية لكم للرسول وقيل اعمالكم الصدقات بالمن والاذى وماتوا وهم كفار
عام في الوجب لا يغفر الغفران وما لهم على الكفر وقيل هم اهل القليب وقيل نزلت
بسبب عدي بن حاتم رضي الله عنه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابيه قال كان
له افعال بر فما حاله فقال في النار فبكى عدي وولى بوجهه فقال له ابي وابوك وابو
ابراهيم خليل الرحمن في النار فنزلت فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وهو الصلح وتدعوا
مضارع دعا والسلم بكسر السين قراءة ابي عمرو والجمهور الى السلم بفتح السين
والحسن وابو رجاء والاعمش وعيسى وطلحة وحمزة وابو بكر بكسرها وتقدم الكلام على
السلم في البقرة في قوله ادخلوا في السلم كافة وقال الزمخشري وقرئ ولا تدعوا
من ادعى القوم وتداعوا اذا دعوا الى [illegible] نحو قولك ارتموا الصيد وتراموا [illegible]
وتدعوا [illegible] جواب [illegible] بلفظ النهي او منصوب [illegible] وتدعوا عطف
على تهنوا فهو مجزوم وان يكون منصوبا باضمار ان وانتم الاعلون اي الاغلبون
وبعده الجملة حالية وكذا والله معكم ونحوه ان يكون جملتي استئناف اخبر
اولا انهم الاعلون فهو اخبار بمغيب ابرزه الوجود ثم ارتقى الى رتبة اعلى
من التي قبلها وهو كون الله تعالى معهم ولن يتركم قال ابن عباس ولن يظلمكم
وقيل لن ينقصكم من ثواب اعمالكم وقيل ولن ينقصكم وقال الزمخشري وقال
فيه ابو عبيدة والمبرد ولن يترككم من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد
او اخ او حميم او حربته ماله وذهبت باله قال وهو حقيقته افردته من
قريبه او ماله من الوتر وهو الفرد فشبه اضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه
بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام ومنه قوله عليه السلام من فاتته صلوة
العصر فكانما وتر اهله وماله اي افرد عنهما قتلا ونهبا انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو محتقرا لامر الدنيا اي فلا تهنوا في الجهاد وتحرصوا بذلك باعتبار
ما يحصل لكم من ذلك واما ما فيها من الطاعة وامر الاخرة فليس بلعب يؤتكم
اجوركم اي ثواب اعمالكم من الايمان والتقوى ولا يسألكم اموالكم قال سفيان بن
عيينة اي كثيرا من اموالكم انما يسألكم ربع العشر فطيبوا النفس وقيل لحاجة
للنهاية لترجع ثواب انفاقكم اليكم وقيل لا يسألكم اموالكم لانه هو المالك لها

حقيقة وهو المنع باحفائها وقيل الضمير في يسالكم للرسول اي لا يسالكم اجرا على تبليغ
الرسالة لقوله قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان يسالكموها فيحفكم
حتى يجهدكم اي يبالغ في الالحاح تبخلوا ويخرج اضغانكم اي يضطغنون على الرسول
وتضيق صدوركم لذلك وتخفيون ... وقرا الجمهور ويخرج اضغانكم
جزما على جواب الشرط والفعل مسند الى الله او الى الرسول او الى البخل وقرا عبد
الوارث عن ابي عمرو ويخرج بالرفع على الاستئناف بمعنى وهو يخرج وحكاها ابو حاتم عن
عيسى وفي اللوامح عن عبد الوارث عن ابي عمرو ويخرج بالياء وفتحها وضم الراء والجيم اضغانكم
بالرفع بمعنى وهو يخرج او وتستخرج اضغانكم ورفع بفعله وقرا ابن عباس ومجاهد وابن
سيرين وابن محيصن وايوب بن المتوكل واليماني وتخرج بالتاء مفتوحة اضغانكم
رفع به ويعقوب ونخرج بالنون مضمومة وكسر الراء اضغانكم نصبا ورويت
عن ابن عباس وعوف ويخرج بضم الياء وفتح الراء اضغانكم رفعا وفي مروية عن عيسى
الا انه فتح الجيم باضمار ان وكونوا عطفه على مصدر متوهم اي ان يكن احفاؤكم واخراج
اضغانكم وهؤلاء الذي حذفت بمعنى للموصول هو الذي تعرف به محمد بن مسلمة
الى كعب بن الاشرف وتوصل به الى قتله حين قال له ان هذا الرجل قد اكثر
علينا وطلب منا الاموال ها انتم هؤلاء ذكرنا التنبيه ثم تجدوا وبعدوا
الكلام على هذا التركيب في سورة آل عمران وقال الزمخشري هؤلاء موصول بمعنى
الذين صلته تدعون اي انتم الذين تدعون او انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوف
ثم استانف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا في سبيل
الله انتهى وكون هؤلاء موصولا مذهب كوفي ولم يثبت البصريون اسم اشارة
موصولا الا ذا اذا تقدمها ما الاستفهامية او من الاستفهامية ...
في سبيل الله قيل الغزو وقيل الزكاة واللفظ اعم ومن يبخل اي بالصدقة وما فرض
اوجب الله عليه فانما يبخل عن نفسه اي لا يعود ضرر ... لغيره والبخل يتعدى
بعلى وبعن يقال بخلت عليه وعنه وصف ... وكانها اذا عديت بعن ضمنت
معنى الامساك كانه قال امسكت عنه بالبخل والله الغني وانتم الفقراء اي
الغني المطلق اذ يستحيل عليه الحاجات وانتم الفقراء المحتاجون الى ما عنده

اليه

اليه في الدنيا والى الثواب في الآخرة وان تتولوا عطف على وان تؤمنوا وتتقوا اي
وان تتولوا اي عن الايمان والتقوى ... عنها كما قاله ... يخلق قوما غيركم
وبعض اولئك القوم قالوا هم الانصار او التابعون او اهل اليمن او كندة او النخع او العجم
او فارس او الروم او الملائكة اقوال والخطاب لقريش او لاهل المدينة قولان وروى
ابو هريرة انه عليه السلام سئل عن هذا وكان سلمان الى جنبه فوضع يده على
فخذه وقال قوم هذا والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله
رجال من فارس وان صح هذا الحديث وجب المصير الى تفسيره ... من قوله قوما
غيركم ... ثم لا يكونوا امثالكم اي في الخلاف والتولي والبخل ...
بالشر عليه والطعن عليه المعرة المكروه والمشقة ... مأخوذ
من العر والعرة وهو الجرب الصعب اللازم قال الشاعر

كذا العر يكوى غيره وهو راتع

الشطء الفراخ اشطا الزرع افرخ والشجرة اخرجت غصونها آزر
ساوى طولا قال الشاعر

بمحنية قد آزر الضال نبتها مجر جيوش غانمين وخيب

اي ساوى نبتها طول الضال وهو شجر ووزنه افعل لقولهم في المضارع يوازر

بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك ويهديك
صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما ليدخل
المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم
وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت
مصيرا ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على

نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما. سورة الفتح من السور
مدنية فعن ابن عباس انها نزلت بالمدينة ولعل بعضا منها نزل بالمدينة والصحيح
انها نزلت بالطريق منصرفه من الحديبية لست سنين من الهجرة فهي تعد في المدني
ومناسبتها لما قبلها انه تعالى لما قال وان تتولوا الاية وهو خطاب لكفار قريش اخبر
رسوله بالفتح العظيم وانه بهذا الفتح حصل الاستبدال امن كل من كان بها
وصارت مكة دار ايمان ولما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلح الحديبية
تكلم المنافقون وقالوا لو كان فتحا ما صددنا دونه … عن النبي صلى الله
فتح مكة بما اكرمهم الله تعالى واضاف تعالى الفتح الى نفسه اشعارا بانه من عنده
بلا كسب عبد ولا عدد واكده بالمصدر ووصفه بانه مبين مظهر لما تضمنه من النصر
والمساعدة الظاهران بهذا الفتح هو فتح مكة وقاله الكلبي وجماعة وهو المناسب
لاخر السورة التي قبل هذه لما قال ها انتم هؤلاء تدعون الاية فبين انه فتح لهم
مكة وغنموا وحصل لهم اضعاف ما انفقوا ولو بخلوا لضاع عليهم ذلك فلا يكون
بخلهم الا على انفسهم وايضا لما قال وانتم الاعلون والله معكم بين برهانه بفتح
مكة فانهم كانوا هم الاعلين وايضا لما قال ولا تهنوا وتدعوا الى السلم كان
فتح مكة حيث لحقهم الوهن ولا دعوا الى الصلح بل اتى صناديدهم مستأمنين
مستسلمين مسلمين وكانت هذه البشرى بلفظ الماضي وان كان
لم يقع لان اخباره تعالى لا بد من وقوعه وكون هذا الفتح هو فتح مكة قاله
الزمخشري وقال الجمهور هو فتح الحديبية وقاله انس والشعبي والزهري قال
ابن عطية وهو الصحيح انتهى وان لم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بحجارة
وسهام وعن ابن عباس رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم
حتى سالوا الصلح قال الشعبي بلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون
بظهور اهل الكتاب على المجوس واطعموا نخل خيبر وقال الزهري لم يكن
فتح اعظم من صلح الحديبية اختلط المشركون بالمسلمين وسمعوا كلامهم وتمكن الاسلام
من قلوبهم واسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد الاسلام قال القرطبي
فما مضت تلك السنون الا والمسلمون قد جاءوا الى مكة في عشرة الاف وقال موسى

ابن

ابن عقبة قال رجل من الصحابة منصرفهم من الحديبية ما هذا الفتح لقد صدونا عن البيت
فقال عليه السلام بل هو اعظم الفتوح قد رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم
بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد راوا منكم ما كرهوا وبان في
فيها انه عظيم وذلك انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش بالماء حتى
امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقال … وقد احصروا
فنحروا وحلقوا بالحديبية قلت كان ذلك قبل … فلما … كانت
… في هذا الوقت بيعة الرضوان وهو الفتح الاعظم قاله جابر
ابن عبد الله والبراء بن عازب ومنها فتح خيبر وامتلأت ايدي المؤمنين
خيرا ولم يفتحها الا اهل الحديبية ولم يشركهم فيها احد من المتخلفين عن الحديبية وقال
مجاهد هو فتح خيبر … الحديبية فلما انصرفنا اذا الناس
يهزون الاباعر فقال بعض الناس لبعض ما بال الناس قالوا اوحي الله الى النبي صلى الله عليه وسلم فخرجنا
نرجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرأ
النبي صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا قال عمر بن الخطاب اوفتح هو يا رسول
الله قال نعم والذي نفسي بيده انه لفتح فقسمت خيبر على اهل الحديبية ولم يدخل
فيها احد الا من شهد الحديبية وقال الضحاك الفتح حصول المقصود بغير قتال وقال
الفلح من الفتح وفتح مكة بغير قتال … من الحديبية … وقيل فتح
لك بالاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح امن منه ولا اعظم وهو
راس الفتوح كلها اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو تحته ومتشعب منه
وقيل قضينا لك قضاء بينا على اهل مكة ان تدخلها انت واصحابك من قابل ليطوفوا
بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة وكذا عن قتادة قال الزمخشري فان قلت
كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من
الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز
كانه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك ليجمع لك بين عز الدارين واغراض
العاجل والاجل ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران

والثواب والعقاب المظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب لانه متعلق بما المظفر
به فاذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح ابن عطية المراد فتحنا لك ان الله فتح
لك لكي يجعل ذلك علامة لغفرانه لك وكانها لام صيرورة ولهذا قال عليه السلام
لقد انزلت علي الليلة سورة هي احب الي من الدنيا اجمع قال صاحب الكشاف في
لام القسم وكسرت لحذف النون من الفعل تشبيها بلام كي ورد بان لام القسم
لا تكسر ولا تنصب بها ولو جاز هذا لجاز ليقوم زيد في معنى ليقومن زيد اجيب
اما الكسر فقد علل بانه شبهها بلام كي واما النصب فلان يقول
ليس نصبا لكنها الحركة التي تكون مع وجود النون بقيت بعد حذفها
دلالة على الحذف وبعد فهذا القول ليس بشي اذ لا يحفظ من لسانهم والله
ليقوم ولا والله ليخرج زيد بكسر اللام وحذف النون وبقاء الفعل مفتوحا ونعمته
عليك بالظفر على عدوك ورضاه عنك وبفتح مكة والطائف وخيبر نصرا عزيزا
اي بالظفر والتمكن من الاعداء بالغنيمة والاسر والقتل نصرا فيه عز ومنعة
والاسناد للعزيز مجاز او العزيز صاحبه وهو المنصور صلى الله عليه وسلم واعيد
لفظ الله في وينصرك الله لما بعد عما عطف عليه اذ في الجملة قبله ضمير يعود
على الله ولطلب الكلام مستندا الى الاسم الظاهر والمنتهى كذلك ولما ذكر
الغفران واتمام النعمة والهداية والنصر شرك في الحل قبل الرسول عليه السلام
وعمم بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم وقوله ويهديك صراطا مستقيما وقوله انهم لهم المنصورون وكان الفتح
لم يتحصل الا للرسول اسند تعالى الى نون العظمة تفخيما لشانه واسند
تلك الاشياء الاربعة الى الظاهر واشركه فيه الجنس في الخطاب له عليه السلام
تانيسا له وتعظيما لشانه وايثار الاسم الظاهر لان في الاقبال على المخاطب
ما لا يكون في الاسم الظاهر هو الذي انزل السكينة هي الطمانينة والسكون بسبب
الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف والهدنة بعد القتال
فيزدادوا ايمانا الى ايمانهم وقيل السكينة الى ما جاء به الرسول من الشرائع ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم وهو التوحيد روي معناه عن ابن عباس وقيل الوقار والعظمة لله ولرسوله

وقيل

وقيل المراد ليستحموا ولكلا بن عباس ولله جنود السموات والارض اشارة الى تسليم الامر
اليه تعالى يقضي بين يشاء على اي وجه شاء ومن جنوده السكينة ثبت قلوب المومنين
ليدخل في هذه اللام يتعلق بقوله انا فتحنا لك وقيل بقوله ليزدادوا ايمانا وقيل وبعدت
عطفه عليه والا بادلة لا تكون سببا لتعذيب الكفار واجيب عن هذا بانه ذكر
لكونه مقصود المومنين كانه قيل سبب ان ادخلهم في الايمان يدخلهم الجنة ويعذب
الكفار بايديكم في الدنيا وقيل بقوله وينصرك الله اي بالمومنين وفي الاحوال فيها بعد
وقال الزمخشري ولله جنود السموات والارض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه
علمه وحكمته ومن قضيته ان سكن قلوب المومنين بصلح الحديبية وان وعدها ان
يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المومنون نعم الله ويشكروها فيستحقوا الثواب
فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه انتهى ولا يظهر
من كلامه هذا ما يتعلق به اللام والذي يظهر انها تتعلق بمحذوف يدل عليه الكلام
وذلك انه قال ولله جنود السموات والارض كان في ذلك دليل على انه تعالى يبتلي
الجنود من يشاء فيقبل الخير من قضى له بالخير والشر من قضى له بالشر ليدخل
المومنين جنات ويعذب الكفار فاللام تتعلق بيبتلي هذه وما تعلق بالابتلاء
من قبول الايمان والكفر ويكفر معطوف على يدخل وتقديمه على التعذيب لا يرتب
في الوقوع وكان التبشير بدخول الجنة اهم فبدي به ولما كان المنافقون اكثر ضررا
على المسلمين من المشركين بدا بذكرهم في التعذيب الظانين بالله ظن السوء الظاهر
انه مصدر اضيف الى ما يسوء المومنين وهو ان المشركين يستاصلونهم ولا ينصر
ويرد عليهم دائرة السوء وقيل ظنهم ان لن ينقلب الرسول والمومنون الى اهليهم
ابدا وقيل ظن السوء ما ظنه المشركون من استيصال المومنين ليسبب علو كلمة الله
وتسلط رسوله فيه واسراء نعمائهم احبوا انه ستعلق عليهم السوء وكط هم
فاحد ان يكون حسب جمعه واجهاد ان يكون هو وما بعده دعا عليهم ويعلل الكلام
على هذه الجملة في سورة براءة وقيل ظن السوء يتناول ظنونهم الفاسدة من الشرك كما
قال ان يتبعون الا الظن ومن اسعاره الله الا الاشياء على بلى كما قال ولكن ظننتم
ان الله لا يعلم ومنظور العام كما قال وذلكم ظنكم الذي ... وقيل السوء ما كانه في

الفاسد كما يقول هؤلاء فعل سوء وقرأ الحسن السوء بضم السين وكان الله عزيزا
حكيما لما تقدم تعذيب الكفار والانتقام منهم ناسب ذكر العزة ولما وعد تعالى
بعباده ناسب ذكر العلم وقرن بالعلم فتم ذكر جنود السموات والارض فيها السكينة
التي للمؤمنين والنقمة للمنافقين والمشركين ومن جنود الله الملائكة في السماء والغزاة في
سبيل الله في الارض وقرأ الجمهور لتؤمنوا وما عطف عليه بتاء الخطاب وابو جعفر
وابو حيوة وابن كثير وابو عمرو بياء الغيبة والجحدري بفتح التاء وضم الزاي خفيفة
وهو ايضا وجعفر بن محمد كذلك الا انهم كسروا الزاي وابن عباس واليماني
بزايين من العزة وتقدم الكلام في التعزير في قوله وعزروه في الاعراف والظاهر
ان الضمائر عائدة على الله تعالى لا تعزير الجار ومن جعل بعضها للرسول جعلها لله حسب
بلوغ قول الحسان بكرة واصيلا قال ابن عباس صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر
ان الذين يبايعونك هي بيعة الرضوان وبيعة الشجرة حين اخذ الرسول عليه
السلام الاهبة لقتال قريش حين ارجف بقتل عثمان بن عفان وقد بعثه الى قريش
يعلمهم انه جاء معتمرا لا محاربا وذلك قبل ان ينصرف من الحديبية بايعهم على الصبر
المتناهي في قتال العدو والى اقصى الجهد وكذلك قال سلمة بن الاكوع وغيره بايعنا
على الموت وقال ابن عمر وجابر على ان لا نفر والمبايعة مفاعلة من البيع لان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وبقي اسم البيعة بعد على معاقدة الخلفاء
والملوك انما يبايعون الله اي صفقتهم انما يمضيها ويمنح الثمن الله تعالى وقرأ تمام بن
العباس بن عبد المطلب انما يبايعون لله اي لاجل الله ولوجهه والمفعول
محذوف اي انما يبايعونك لله يد الله فوق ايديهم قال الجمهور اليد هنا النعمة اي
نعمة الله في هذه المبايعة لما يستقبل من محاسنها فوق ايديهم التي مدوها لبيعتك
وقيل قوة الله فوق قواهم في نصرك ونصرهم وقال الزمخشري لما قال انما يبايعون
الله اكد تأكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول
صلى الله عليه وسلم التي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله والله تعالى منزه عن
الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول
كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله فمن

نكث

نكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه انتهى وقرأ زيد بن علي ينكث
بكسر الكاف وقال جابر بن عبد الله ما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس
وكان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم فحرم وقرأ الجمهور
عليه الله بكسر الهاء وابن ابي اسحق بالرفع على انه فعل العاهد وعهده وحفص
عليه بضم الهاء وهي بما عاهد لا بيا وقرأ الجمهور فسيؤتيه بالياء والحرميان
وابن عامر وزيد بن علي بالنون اجرا عظيما هو الجنة واو في لغة تهامة
سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا يقولون
بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا
او اراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول
والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا
ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السموات والارض
يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما سيقول المخلفون
اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل
لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون
الا قليلا قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي بأس شديد تقاتلونهم
او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم
عذابا اليما ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله
ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما
قال مجاهد وغيره وذكر كلام بعضهم في بعض المخلفين من الاعراب
هم جهينة ومزينة وغفار واشجع والديل واسلم استنفرهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا ليخرجوا معه حذرا من قريش
ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه
الهدي ليعلم انه لا يريد حربا ورأى اولئك الاعراب انه يستقبل عدوا عظيما
من قريش وثقيف وكنانة والقبائل المجاورين لمكة وهم الاحابيش ولم يكن
الايمان تمكن من قلوبهم فقعدوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخلفوا وقالوا

نذهب إلى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم وقالوا لن
يرجع محمد ولا أصحابه من هذه السفرة ففضحهم الله في هذه الآية وأعلم رسوله
بقولهم واعتذارهم قبل أن يصل إليهم وكان كذلك شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر
لنا وهذا اعتلال منهم عن تخلفهم أي لم يكن لهم من يقوم بحفظ أموالهم وأهليهم غيرهم
وبدوا بذكر الأموال لأنها قوام العيش وعطفوا الأهل لأنهم كانوا يحافظون
على حفظ الأهل أكثر من حفظ المال وقرئ شغلتنا بتشديد الغين حكاه الكسائي
وهي رواية إبراهيم بن نوح بن باذان عن شيبة ولما علموا أن ذلك التخلف عن الرسول
كان معصية سألوا أن يستغفر لهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم الظاهر
أنه راجع إلى الجملتين المقولتين من الشغل وطلب الاستغفار لأن قولهم شغلتنا
كذب وطلب الاستغفار خبث منهم وإظهار أنهم مؤمنون عاصون وقال
الطبري وهو راجع إلى قولهم فاستغفر لنا يريد لأنهم قالوا ذلك مصانعة من
غير ندم ولا توبة قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا
من قتل أو هزيمة أو أراد بكم نفعا من ظفر وغنيمة أي يعلم تعالى المضر والنفع لكم وليس
حفظكم أموالكم وأهليكم بمانع من ضياعها إذا أراد الله وقرأ الجمهور ضرا بفتح الضاد
والأخوان بضمها وهما لغتان ثم بين تعالى العلة في تخلفهم وهي ظنهم أن الرسول
وأصحابه لا يرجعون إلى أهليهم وتقدم الكلام على أهل وكيف جمع بالواو والنون
في قوله من أوسط ما تطعمون أهليكم وقرأ عبد الله إلى أهلهم بغير ياء وزين قراءة الجمهور
مبنيا للمفعول والفاعل هو الله وقيل من ينسب إليه التزيين مجازا وقرئ
وزين مبنيا للفاعل وظننتم ظن السوء احتمل أن يكون هو الظن السابق وهو
ظنهم أنهم لا ينقلبوا ويكون قد ساءهم ذلك الظن وأخبرهم حيث أحسوا ظنهم ويحتمل
أن يكون غيره من أجل التخلف أي ظنهم أنه تعالى يخلف وعده في نصر دينه وإعزاز
رسوله بورا هلكى والظاهر أنه مصدر كالهلك من هلك ولذلك وصف به المفرد
المذكر كقول ابن الزبعرى

يا رسول المليك إن لساني ... راتق ما فتقت إذ أنا بور

والمؤنث حكى أبو عبيدة امرأة بور والمثنى والمجموع وقيل بور جمع بائر

كحائل

كحائل وحول وعوذ في المعتل وبازل وبزل في الصحيح وفسر بور بفاسدين هلكى
وقال ابن بحر أشرارا والجملة ويحتمل أن يكون المعنى وصرتم بسبب الظن أن تكونوا وكنتم
على بابه أي وكنتم في الأصل قوما فاسدين أي هالكين سابق لكم على ذلك الظن
ولما أخبر تعالى أنهم قوم بور ذكر ما دل على أنهم ليسوا مؤمنين فقال ومن لم يؤمن
وذكر جزاءهم وهو السعير ومن شرطية أو موصولة والعائد من الخبر أو من جواب
الشرط هو الظاهر أقيم مقام المضمر فقدر ذلك لهم وجيء به ظاهرا ليسجل أن من لم
يؤمن بالله ورسوله فهو كافر والكافرون لهم السعير ولما كانوا ليسوا مجاهرين
بالكفر ولذلك اعتذروا وطلبوا الاستغفار مزج وعيدهم وتوبيخهم بعض الإبهام
والرجاء وقاله الزمخشري ولله ملك السموات والأرض يدبره تدبير
قادر حكيم فيغفر ويعذب بمشيئته ومشيئته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب
وتعذيب المصر وكان الله غفورا رحيما رحمته سابقة لغضبه حيث كفر
السيئات باجتناب الكبائر وتعذيب الكبائر بالتوبة وهو على مذهب الاعتزال سيقول
المخلفون إذا أرادوا المسير إلى خيبر وهم مستضعفون طلبوا اللحوق فيه
رغبة في عرض الدنيا لما علموا من الغنيمة وكان كذلك يريدون أن يبدلوا كلام الله
معناه أن يغيروا وعده لأهل الحديبية بغنيمة خيبر وذلك أنه وعدهم أن
يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر إذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيئا
قاله مجاهد وقتادة وعليه عامة أهل التأويل وقال ابن زيد كلام الله تعالى قل
لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا وهذا لا يصح لأن هذه الآية نزلت
مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك في آخر عمره وهذه السورة نزلت
سنة الحديبية وأيضا فقد غزت مزينة وجهينة بعد هذه المدة معه عليه السلام
وفضلهم بعد ذلك على تميم وغطفان وغيرهم من العرب وقرأ الجمهور كلام الله بالألف
والأخوان كلم جمع كلمة وأمره تعالى أن يقول لهم قل لن تتبعونا وأتى بصيغة
لن وهي للمبالغة في النفي أي لا يتم لكم ذلك وقد وعد الله تعالى أن ذلك لا يحضرها
إلا أهل الحديبية فقط كذلكم قال الله من قبل يريد وعده قبل اختصاصهم بها
بل تحسدوننا أي يعز عليكم أن نصيب مغنما معكم وذلك على سبيل الحسد

تقاسمكم فيما تغنمون وقرا ابو حيوة بكسر السين بل ردّ تعالى عليهم نفيا فقال بل كانوا
لا يفقهون لا يفهمون من امور الدين وظاهرها ليس لهم تكرار الاتيان كقوله تعالى يعلمون
ظاهرا من الحياة الدنيا والاضراب الاول منهم رد ان يكون حكم الله انه لا يتبعوهم واثبا
للحسد والثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى ما هو اطم منه وهو
الجهل وقلة الفقه قل للمخلفين من الاعراب امر تعالى نبيه ان يقول لهم ذلك ودل
على انهم كانوا يظهرون الاسلام ولو لم يكونوا على ذلك لم يكونوا اهلا لهذا الامر
وابهم تعالى في قوله الى قوم اولي بأس شديد قال عكرمة وابن جبير وقتادة هم هوازن
ومن حارب الرسول بحنين وقال كعب الروم الذين خرج عليهم بتبوك والذين بعث اليهم
في غزوة مؤتة وقال الزهري والكلبي اهل الردة وبنو حنيفة باليمامة وعن رافع
ابن خديج انا كنا نقرا هذه الاية فيما مضى ولا نعلم من هم حتى دعا ابو بكر الى قتال
بني حنيفة فعلمنا انهم اريدوا بها وقال ابن عباس وعطاء وابن ابي رباح ومجاهد وعطا
الخراساني وابن ابي ليلى هم الفرس وقال الحسن فارس والروم وقال ابو هريرة قوم
لم يأتوا بعد وظاهر الاية يرد هذا القول والذي اقوله ان هذه الاقوال
تمثيلات منهم لا ان المعنى بذلك هم ما ذكروا والاخبار بذلك [illegible]
دلالة على قوة الاسلام وانتشار دعوته وكذا وقع حسبما اسلام تلك
الطوائف وقاتلوا اهل الردة زمان ابي بكر وكانوا في فتح البلاد ايام عمر وايام
عثمان من الخلفاء والظاهر ان هؤلاء المقاتلين ليسوا ممن تؤخذ منهم الجزية اذ لم
يذكر هنا الا القتال والاسلام وذهب ابو حنيفة ان الجزية لا تقبل من مشركي
العرب ولا من المرتدين وليس الا الاسلام او القتل وتقبل ممن عداهم من
مشركي العجم واهل الكتاب والمجوس ومذهب الشافعي لا تقبل الا من اهل
الكتاب والمجوس دون مشركي العجم والعرب قال الزمخشري وهذا
دليل على امامة ابي بكر الصديق رضي الله عنه فانهم لم يدعوا الى حرب في ايام
الرسول ولكن بعد وفاته انتهى وهذا ليس بصحيح فقد حضر كثير منهم مع جعفر
في مؤتة وحضروا حرب هوازن مع الرسول وحضروا معه في سفرة تبوك ولا تتم
قول الزمخشري الا على قول من عين انهم اهل الردة وقرا الجمهور او يسلمون

مرفوعا اي او هم يسلمون وابي وزيد بن علي او يسلموا منصوبا باضمار ان في قول جمهور البصريين
غير الجرمي وبالواو في قول الجرمي والكسائي وبالخلاف في قول الفراء وبعض الكوفيين
فعلى قول النصب باضمار ان هو عطف مصدر مقدر على مصدر متوهم اي يكون
قتال او اسلام اي احدهما دون [illegible] ومثله في النصب قول امرئ القيس

فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا او نموت فنعذرا

والرفع على العطف على تقاتلونهم وعلى القطع اي او هم يسلمون دون قتال فان
تطيعوا اي فيما تدعون اليه كما توليتم من قبل اي في الخروج مع الرسول في زمان
الحديبية يعذبكم يحتمل ان يكون في الدنيا وان يكون في الاخرة ليس على الاعمى حرج
نفى الحرج عن هؤلاء من ذوي العاهات في التخلف عن الغزو مع ارتفاع الحرج بحالتهم
الغزو والاجر منه مضاعف والاعرج احرى الناس بالصبر وانه لا يفر وقد غزا
ابن ام مكتوم وكان اعمى في بعض حروب القادسية وكان يمسك الراية فلو
حضر المسلمون فالفرض متوجه بحسب الوسع وقرا الجمهور يدخله ويعذبه بالياء
والحسن وقتادة وابو جعفر وابن عامر ونافع بالنون لقد رضي الله عن
المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم
فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة
تأخذونها فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس عنكم ولتكون اية للمؤمنين ويهديكم
صراطا مستقيما واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها وكان الله على كل
شيء قديرا ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا
سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وهو الذي كف ايديهم
عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون
بصيرا هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله
ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة
بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا
اليما اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على
رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وكان الله

بكل شيء عليما   لما ذكر حال من تخلف عن السفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذكر حال المؤمنين المخلصين الذين سافروا معه واثابه دالة على رضى الله عنهم وكذا
سميت بيعة الرضوان وكانوا فيما روي الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقال ابن
ابي اوفى الفا وثلثمائة واصل هذه البيعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل الحديبية
بعث خراش بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة وحمله على جمل يقال له الثعلب
يعلمهم انه جاء معتمرا لا يريد قتالا فلما اتاهم وكلمهم عقروا جمله وارادوا قتله فمنعه
الاحابيش فبلغ ذلك الرسول فاراد بعث عمر فقال قد علمت فظاظتي وهم
يبغضونني وليس هناك من بني عدي من يحميني ولكن ادلك على رجل هو اعز مني واحب
اليهم عثمان بن عفان فبعثه يخبرهم انه لم يات لحرب وانما اتى معظما للبيت
معظما لحرمته وكان ابان بن سعيد بن العاص حين لقيه نزل عن دابته وحمله
عليها واجاره فقالت له قريش ان شئت فطف بالبيت واما دخولكم علينا
فلا سبيل اليه فقال ما كنت لاطوف حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكانت الحديبية من مكة على عشرة اميال فصرخ صارخ من العسكر قتل عثمان
فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وقالوا لا نبرح ان كان هذا حتى
نلقى القوم فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس البيعة
البيعة نزل روح القدس فبايعوا كلهم الا الجد بن قيس المنافق وقال الشعبي اول
من بايع ابو سنان بن وهب الاسدي والعامل في اذ رضي والرضى هنا بمعنى
اظهار النعم عليهم فهي صفة فعل لا صفة ذات لتقييده بالزمان ويحتمل
ان يكون معمولا لما يبايعونك او كان الا المعمول لانه عليه السلام كان تحتها
جالسا في اصلها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على راسه وبيدي غصن
من الشجرة اذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره فبايعوه على الموت دونه
وعلى ان لا يفروا فقال لهم انتم اليوم خير اهل الارض وكانت الشجرة سمرة قال
بكر بن الاشج بمكة وقال نافع كان الناس ياتون تلك الشجرة يصلون
عندها فبلغ عمر فامر بقطعها فقطعت وكانت هذه البيعة شبه بيعة
من الشجرة وفي الحديث عنه عليه السلام لا يدخل النار من شهد بيعة الرضوان

فمن

فعلم ما في قلوبهم قال مقاتل واستخرج من الرضى بالبيعة انهم لا يفروا وقال الفراء
من الصدق والوفاء وقال الطبري ومنذر بن سعيد من الايمان وصحته والحب
في الدين والحرص عليه وقيل من الهم والانفة من المشركين في ذلك على نحو ما
خاطب به عمر وغيره وهذا قول حسن يترتب معه نزول السكينة والتعريض
بالفتح القريب والسكينة هنا تقرير قلوبهم وتذليلها لقبول امر الله وعلى الاقوال
السابقة قبل هذا القول لا يظهر احتياج الى انزال السكينة وعلى الاقوال الثلاثة
قبل هذا القول لا يظهر الا ان يجازى بالسكينة والفتح القريب والعلم وقال
مقاتل فعلم ما في قلوبهم من كراهة البيعة على ان يقاتلوا معه على الموت فانزل
السكينة عليهم حتى بايعوا وهذا فيه مذمة للصحابة اللهم الا انهم خافوا بما قال
قتادة وابن ابي ليلى فتح خيبر وكان عقب انصرافهم من مكة وقال الحسن فتح هجر
وهو اجل فتح اتسعوا بثمرها زمانا وقيل فتح مكة والقريب امر نسبي لكن فتح خيبر
كان اقرب وقرا الحسن ونوح القارئ واتاهم اي اعطاهم والجمهور واثابهم
من الثواب ومغانم كثيرة اي مغانم خيبر وكانت ارضا ذات عقار واموال
فقسمها عليهم وقيل مغانم فارس والروم وقرا الجمهور ياخذونها بالياء على الغيبة
في واثابهم وما قبله من صيغ الغيبة وقرا الاعمش وطلحة ورويس عن يعقوب
ودلبة عن يونس عن ورش وابو دحية وسقلاب عن نافع والانطاكي
عن ابي جعفر بالتاء على الخطاب كما بعده وعدكم الله مغانم كثيرة بالخطاب
وهذه المغانم الموعود بها هي المغانم التي كانت بعد هذه وتكون الى يوم القيامة
قاله ابن عباس ومجاهد وجمهور المفسرين ولهذا اتسع نطاق الاسلام وفتح
المسلمون فتوحا لا تحصى وغنموا مغانم لا تعد وذلك في شرق البلاد وغربها
حتى في بلاد الهند وفي بلاد السودان في عصرنا هذا وقدم علينا حاجا احد
ملوك غانة من بلاد التكرور وذكر عنه انه استفتح اكثر من خمسة وعشرين
مملكة من بلاد السودان واسلموا وقدم علينا بعض ملوكهم حاجا معه وقيل الخطاب
لاهل البيعة انهم سيغنمون مغانم كثيرة وقال زيد بن اسلم وابنه المغانم
الكثيرة مغانم خيبر فعجل لكم هذه الاشارة بهذه الى البيعة والتخلص من

امر قريش بالصلح قاله ابن عباس وزيد بن اسلم وابنه وقال مجاهد مغانم خيبر وكف
ايدي الناس عنكم اي اهل مكة بالصلح وقال ابن عباس عيينة بن حصن الفزاري
وعوف بن مالك النصري ومن كان معهم اذ جاؤا لينصروا اهل خيبر والرسول محاصر
لهم فجعل الله في قلوبهم الرعب وكفهم عن المسلمين وقال ابن عباس ايضا اسد
وغطفان حلفا خيبر وقال الطبري كف اليهود عن المدينة بعد خروج الرسول الى
الحديبية والى خيبر ولتكون اي هذه الكفة اية للمومنين وعلامة يعرفون بها انهم
من الله تعالى بمكان وانه ضامن نصرهم والفتح عليهم وقيل رؤيا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتح مكة في منامه ورؤيا الانبياء حق فتاخر ذلك الى السنة القابلة فجعل
فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة ويكون الضمير في ولتكون عائدا على هذه ونصب
مغانم خيبر والواو في ولتكون زائدة عند الكوفيين وعاطفة على محذوف عند غيرهم
اي لتشكروا او نحو فعجل وكف لتسعدوا بها ولتكون او يقدر ما يتعلق به متاخرا
اي فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما اي طريق التوكل وتفويض الامر اليه وقيل
نصرة وايقانا واخرى لم تقدروا عليها قال ابن عباس والحسن ومقاتل بلاد فارس والروم
وما فتحه المسلمون وقال الضحاك وابن زيد وابن اسحق خيبر وقال قتادة والحسن
مكة وهذا القول يتسق معه المعنى ويتاكد في قوله لم تقدروا عليها ولا تجعل
مقدم محاولة لها وفوات درك المطلوب في الحال كما كان في مكة وقال الزجاج
هي مغانم هوازن في غزوة حنين وقال لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة
وجوز الزمخشري في واخرى ان تكون مجرورة باضمار رب وهذا فيه غرابة
لان رب لم تات في القران جارة مع كثرة ورود ذلك في كلام العرب فكيف
يوتى بها مضمرة وانما الظاهر ان واخرى مرفوع بالابتداء موصوفة بالجملة بعدها
وقد احاط الله بها هو الخبر ويجوز ان يكون في موضع نصب بمضمر يفسره معنى
قد احاط بها اي وقضى الله اخرى وقد ذكر الزمخشري هذين الوجهين ومعنى
قد احاط الله بها قدر عليها واستولى لكم المهيمن عليها واعلمكموها وقيل قد احاط
الله بها بالقدرة والعلم الذي هو مسوق على ذلك وظهر فيها انهم لم يقدروا
عليها ولو قاتلكم الذين كفروا هذا بسبب الخلاف في قوله وكف ايدي الناس

عنكم

عنكم اي مشركوا مكة وناصروا اهل خيبر او اليهود لولوا الادبار اي لغلبوا وانهزموا
سنة الله في موضع المصدر المؤكد لمضمون الجملة قبله اي سن الله غلبة انبيائه
وهو قوله لاغلبن انا ورسلي وهو الذي كف ايديهم عنكم اي قضى بينهم المكافة
والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وروي في سببها ان قريشا جمعت
جماعة من فتيانها وجعلوهم مع عكرمة بن ابي جهل وخرجوا يطلبون غرة في
عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما احس بهم المسلمون بعث صلى الله عليه
وسلم خالد بن الوليد وسماه حينئذ سيف الله في جملة من الناس ففروا امامهم
حتى ادخلوهم بيوت مكة واسروا منهم جملة ثم سيقوا الى الرسول فمن عليهم
واطلقهم وقال قتادة كان ذلك بالحديبية عند عسفان وهو بطن مكة وعن
انس هبط ثمانون رجلا من اهل مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل
التنعيم متسلحين يريدون غرته فاخذناهم فاستحييناهم وفي حديث عبد الله
ابن مغفل ان الرسول دعا عليهم فاخذ الله ابصارهم فقال لهم هل جئتم في عهد
او هل جعل لكم احد امانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم وقال الزمخشري كان يعني
هذا الفتح يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان مكة فتحت عنوة
لا صلحا وقيل كان ذلك في غزوة الحديبية لما روي ان عكرمة بن ابي جهل خرج في
خمس مائة فبعث رسول الله من هزمه وادخله حيطان مكة وعن ابن عباس
اظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت انتهى قرا الجمهور بما تعملون
على الخطاب وابو عمرو بالياء وهو تهديد للكفار هم الذين كفروا يعني اهل مكة قال
ابن خالويه يقال الهدي والهدى والهداء ثلاث لغات اسمه وقرا الجمهور والهدي
بسكون الدال وهي لغة قريش وقرا ابن هرمز والحسن وعصمة عن عاصم واللؤلؤي
وخارجة عن ابي عمرو والهدي بكسر الدال وتشديد الياء وهما لغتان وهو
معطوف على الضمير في صدوكم ومعكوفا حال اي محبوسا عكفت الرجل عن
حاجته حبسته عنها وانكر ابو علي تعدية عكف وحكاه ابن سيده والازهري
وغيرهما وهذا الحبس يجوز ان يكون من جهة المشركين بصدهم او من جهة
المسلمين لترددهم ونظرهم في امرهم وقرا الجعفي عن ابي عمرو والهدي بالجر

١١٥٠

عطفا على المسجد الحرام اي وصدوا الهدي وقرئ بالرفع على اضمار وصد الهدي
وكان خرج عليه السلام معه بمائة بدنة قاله مقاتل وقيل بسبعين وكان الناس
سبع مائة رجل وكانت البدنة عن عشرة قاله المسور بن مخرمة ومروان بن
الحكم ان يبلغ محله قال الشافعي الحرم وبه استدل ابو حنيفة ان محل هدي المحصر
الحرم لانه احصر قال الفراء يصلح كي وان يبلغ محله ان يتعلق بالصد
اي وصدوا الهدي وذلك على ان يكون بدل اشتمال اي وصدوا بلوغ الهدي
محله او على انه مفعول من اجله اي كراهة ان يبلغ محله ويحتمل ان يتعلق
بمعكوفا اي محبوسا لاجل ان يبلغ محله فيكون مفعولا من اجله ولكن الحبس من
من المسلمين او بالمشركين عن بعض منهم ولا معروف لاما كن بمعان يتقالب
ولولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين ظهراني المشركين وانتم غير عارفين
بهم فتصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة ما كف ايديكم عنهم وحذف جواب لولا
لدلالة الكلام عليه قال الزمخشري ويجوز ان يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا
رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب انتهى وقوله
لمرجعهما الى معنى واحد ليس بصحيح لان ما تعلق به لولا الاولى غير ما تعلق
به الثانية فالمعنية الاولى ولولا وطء قوم مؤمنين والمعنية الثانية لو تزيلوا
من الكفار وهذا معنى مغاير للاول مغايرة ظاهرة وان تطؤهم بدل اشتمال
من رجال وما عطف وقيل بدل من الضمير في تعلموهم اي لم تعلموا وطأهم اي انهم
وطء مؤمنين وهذا انه يعدو الوطء الدوس ويعبر به عن الاهلاك بالسيف
وعنيه قال الشاعر

ووطئتنا وطأ على حنق وطء المقيد نابت الهرم

وفي الحديث اللهم اشدد وطأتك على مضر ولم تعلموهم صفة لرجال ونساء غلب
فيها المذكر والمعنى لم تعرفوا او لم تعرفوا انهم مؤمنون وقال ابن زيد المعرة
المآثم وقال ابن اسحق الدية قال ابن عطية وهذا ضعيف لانه لا اثم ولا دية
في قتل مؤمن مستور الايمان بين اهل الحرب وقال الطبري هي الكفارة وقال
منذر بن سعيد المعرة ان يعيبهم الكفار ويقولوا قتلوا اهل دينهم وقيل

الملامة

الملامة وتألم النفس منه في باقي الزمن ولفظ الزمخشري من هذه الاقوال الجوابا
وسوء الاحمل بما دية في الخطأ كان مع من اموالهم وانما هو اثم سوء الاحتمال له فقال وان
قلت اي معنى تصيبهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمونهم قلت تصيبهم وجوب الدية او الكفارة
وسوقها له المشركون انهم فعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والمآثم اذا جرى
منهم بعض التقصير انتهى يعني على اخبار عن الصحابة وعن صفهم الكريمة من العفة
عن المعصية والامتناع من التعدي حتى انهم لو اصابوا من ذلك احدا لكان من غير
قصد كقول النملة عن جند سليمان وهم لا يشعرون ويظهر على تعلق بان تطؤهم وقيل
يتعلق بقوله فتصيبكم منهم معرة من الذين بعدكم ممن بعث عليكم وقرا الجمهور لو
تزيلوا وابن ابي عبلة وابن مقسم وابو حيوة وابن عون لو تزايلوا على وزن تفاعلوا
ليدخل متعلق بمحذوف دل عليه المعنى اي كان انتفاء التسليط على اهل مكة وانتفاء
العذاب ليدخل الله في رحمته من يشاء وهذا المحذوف هو مفهوم من جواب لولا ومعنى
لو تزيلوا لو ذهبوا عن مكة اي لو تميز المؤمنون من الكفار وتفرقوا منهم ويجوز ان
يكون الضمير للمؤمنين والكفار اي لو افترق بعضهم من بعض اذ جعل الذين كفروا
في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية اذ معمول لعذبنا او لصدوكم او لاذكر الحمية الانفة
يقال حميت عن كذا حمية اذا انفت منه وداخلك عار وانفة ان تفعله وقال [illegible]
الا انهم وعص عرضهم كذا الواسي يحيى انفران معشنا
وقال الزهري حميتهم انفتهم من الاقرار للرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة والاستفتاح
ببسم الله الرحمن الرحيم والذي امتنع من ذلك هو سهيل بن عمرو وقال ابن بحر حميتهم عصبيتهم
لالهتهم والانفة ان يعبدوا غيرها وقيل قتلوا اباءنا واخواننا ثم يدخلون علينا في منازلنا
واللات والعزى لا يدخلها ابدا وكانت حمية جاهلية لانها بغير حجة وفي غير موضعها
وانما ذلك محض تعصب لانه عليه السلام انما جاء معظما للبيت لا يريد حربا ثم في ذلك
كما قال الشاعر في حمية الجاهلية

وهلا ابالي الحين عن يحيه ان يموت عونه واني بشو عن انه ارشده

وحمية بدل من الحمية والسكينة الوقار والطمأنينة فتوقروا وحلموا وكلمة التقوى
لا اله الا الله وروي ذلك عن النبي عليه السلام وبه قال علي وابن عباس وابن عمر وعمرو

ابن ميمون وقتادة ومجاهد وعكرمة والضحاك وسلمة بن كهيل وعبيد بن عمير وطلحة
ابن مصرف والربيع والسدي وابن زيد وقال عطاء بن ابي رباح ومجاهد ايضا
هي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال
علي بن ابي طالب وابن عمر ايضا هي لا اله الا الله والله اكبر وقال الزهري وعطاء الخراسان
ي لا اله الا الله محمد رسول الله واضيفت الكلمة الى التقوى لانها سبب التقوى واساسها
وقيل هو على حذف مضاف اي كلمة اهل التقوى وقال المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم
كلمة التقوى هي بسم الله الرحمن الرحيم وهي التي اباها كفار قريش فالزمها الله
المؤمنين وجعلهم احق بها وقيل قولهم سمعنا واطعنا والظاهر ان الضمير في وكانوا
عائد على المؤمنين والمفضل عليهم محذوف اي احق بها من كفار مكة لان الله
اختارهم لدينه وصحبة نبيه وقيل من اليهود والنصارى وفيه ان الاحقية هي في الدنيا
وقيل احق بها في علم الله وقيل واهلها في الاخرة بالثواب وقيل الضمير
في وكانوا عائد على كفار مكة لانهم اهل حرم الله ومنهم رسوله لولا ما سلبوا من التوفيق
وكان الله بكل شيء عليما اشارة الى علمه بالمؤمنين ودفع الكفار عنهم والى علمه
بالمصلحة في صلح الحديبية اذ كان سببا لامتزاج العرب واسلام كثير منهم
ودخولهم في الاسلام وكانوا عام الحديبية الفا واربعمائة وبعدها بعامين ساروا
الى مكة في عشرة الاف وقال ابو عبد الله الرازي في هذه الاية لطائف معنوية
وهو انه تعالى ابان غاية التباين بين الكافر والمؤمن بان بين الفاعلين اذ فاعل
جعل هو الكفار وفاعل انزل هو الله وبين المفعولين اذ تلك الحمية وهذه سكينة
وبين الاضافتين اذ اضاف الحمية الى الجاهلية واضاف السكينة الى الله تعالى وبين الفعلين
جعل وانزل فالحمية مجعولة في الحال في العرض الذي لا يبقى والسكينة كالمحفوظة
في خزانة الرحمة فانزلها والحمية قبيحة مذمومة في نفسها وازدادت قبحا بالاضافة
الى الجاهلية والسكينة حسنة في نفسها وازدادت باضافتها الى الله تعالى والعطف
في فانزل بالفاء لا بالواو يدل على المقابلة تقول اكرمني فاكرمته وقيل
على المجازاة وكذلك الفعل فانزل ولما كان الرسول هو الذي اجاب اولا
الى الصلح وكان المؤمنون عازمين على القتال واراد ان لا يرجعوا الى اهلهم الا بعد

فتح

فتح مكة او البحث المحرر وابوا الا ان يكتبوا محمد رسول الله وباسم الله تعالى على رسوله
ولما سكن هو صلى الله عليه وسلم للصلح سكن المؤمنون فقال وعلى المؤمنين
ولما كان المؤمنون عند الله الزموا تلك الكلمة قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
وفيه تخصيص وهو كلام حسن **لقد صدق الله رسوله الرؤيا** بالحق لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله امنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا
فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء
بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود
ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى
على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة
واجرا عظيما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند خروجه الى الحديبية وقال مجاهد كانت
الرؤيا بالحديبية انه واصحابه دخلوا مكة امنين قد حلقوا او قصروا فقص الرؤيا على
اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله
صلى الله عليه وسلم حق فلما تاخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن
الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت وروي ان رؤياه انما
كانت ان ملكا جاء فقال له لتدخلن الاية ومعنى صدق الله لم يكذب الرسول
والله تعالى منزه عن الكذب وعن كل قبيح وصدق يتعدى الى اثنين الثاني بنفسه وبحرف
الجر تقول صدقت زيدا الحديث وصدقته في الحديث وقد عدها بعضهم في اخوات
استغفر وامر وقال الزمخشري فحذف الجار واوصل الفعل كقوله صدقوا ما
عاهدوا الله عليه انتهى يدل كلامه على ان اصله حرف الجر وبالحق متعلق بمحذوف
اي صدقا ملتبسا بالحق لتدخلن اللام جواب قسم محذوف وبعد قول من جعله جواب
بالحق وبالحق قسم لا تعلق له بصدق وتعليقه على المشيئة قيل لانه حكاية قول الملك
للرسول قاله ابن كيسان وقيل هذا تعليم وتأدب باداب الله وان
كان الموعود به متحقق الوقوع حيث قال تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا
ان يشاء الله وقال ثعلب استثنى فيما يعلم ليستثني الخلق فيما لا يعلمون وقال

وقال الحسين بن الفضل كان الله علم ان بعض الذين كانوا بالحديبية يموت
فوقع الاستثناء لهذا المعنى وقال ابو عبيدة وقوم ان بمعنى اذ كما قيل في قوله
وانا ان شاء الله بكم لاحقون وقيل هو متعلق بقوله امنين لا لاجل [illegible]
بالدخول فالتعليق مقدم على موضعه وهذا القول لا يخرج المعلق عن كونه معلقا
على واجبات الدخول والامر اخبر بها تعالى وثقت النفس بالامرين وهما الدخول
والامن الذي هو قيد في الدخول وامنين حال مقارنة للدخول ومحلقين ومقصرين
حال مقدرة ولا تخافون بيان لكمال الامن بعد تمام الحج ولما نزلت هذه الاية
علم المسلمون انهم يدخلونها فيما يستانف واطمانت قلوبهم ودخلوها معه
عليه السلام في ذي القعدة سنة سبع وذلك لانه اتاه هو واصحابه وصدق
رؤياه عليه السلام فعلم ما لم تعلموا اي ما يدور من ظهور الاسلام في تلك
المدة ودخول الناس فيه وما كان ايضا فيه من المؤمنين الذين دفع الله بهم
قاله ابن عطية وقال الزمخشري من الحكمة والصواب في تاخير فتح مكة الى
العام القابل انتهى ولم يقع فتح مكة في العام القابل انما كان ذلك باكثر
من عامين لان الفتح كان سنة ثمان من الهجرة وكان خروجه من المدينة
عام الحديبية في ذي القعدة سنة ست من الهجرة فجعل من دون ذلك اي
من قبل ذلك اي من زمان دون ذلك الزمان الذي وعدوا فيه بالدخول
فتحا قريبا قال كثير من الصحابة هو هذا الفتح القريب هو بيعة الرضوان وقال
مجاهد وابن اسحق هو صلح الحديبية وقال ابن زيد خيبر وضعف قول من قال
انه فتح مكة لان فتح مكة لم يكن من دخول الرسول عليه السلام واصحابه مكة بل كان
بعد ذلك هو الذي ارسل رسوله بالهدى تاكيد لصدق رؤياه عليه السلام
وتبشير بفتح مكة لقوله ليظهره على الدين كله وتعميم الكلام على معظم هذه
الاية وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن وعن الحسن شهيدا على نفسه
انه سيظهر دينك والظاهر ان محمد رسول الله مبتدا وخبر وقيل
رسول الله صفة وقال الزمخشري عطف بيان والذين معطوف والخبر عنه
وعنهم اشدا واجاز الزمخشري ان يكون محمد خبر مبتدا محذوف اي هو محمد لتقدم

قوله

قوله هو الذي ارسل رسوله وقرا ابن عامر في رواية رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالنصب على المدح والذين معه هم من شهد الحديبية قاله ابن عباس وقال الجمهور
جميع اصحابه اشداء جمع شديد كقوله اعزة على الكافرين رحماء بينهم كقوله اذلة
على المؤمنين وكقوله واغلظ عليهم وقوله بالمؤمنين رؤف رحيم وقرا الحسن اشدا
رحما بنصبهما فقيل على المدح وقيل على الحال والعامل فيها العامل في معه ويكون
الخبر المبتدا المتقدم تراهم وقرا يحيى بن يعمر اشدا بالقصر وهي شاذة لان
قصر الممدود انما يكون في الشعر نحو قوله

لا بد من صنعا وان طال السفر

وفي قوله تراهم ركعا سجدا دليل على كثرة ذلك منهم وقرا عمرو بن عبيد ورضوانا
بضم الراء سيماهم وقرى سيمياؤهم بزيادة الياء والمد وهي لغة فصيحة كثيرة في الشعر قال

غلام رماه الله بالحسن يافعا له سيمياء لا تشق على البصر

وهذه السيما قال مالك ابن انس كانت جباههم متربة من كثرة السجود في
التراب وقال ابن عباس وخالد الحنفي وعطية وعد لهم بان يجعل لهم نورا يوم
القيامة من اثر السجود وقال ابن عباس ايضا السمت الحسن وخشوع يبدو
على الوجه وقال الحسن وشمر بن عطية بياض وصفرة وتهيج يعتري الوجه
من السهر وقال عطاء والربيع بن انس حسن يعتري وجوه المصلين وقال منصور
سالت مجاهدا هو الاثر يكون بين عيني الرجل قال لا وقد يكون
مثل ركبة البعير وهو اقسى قلبا من الحجارة وقال ابن جبير ذلك مما يتعلق
بجباههم من الارض عند السجود وقال الزمخشري المراد بها السمة التي
تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود وقوله من اثر السجود يفسرها
اي من التاثير الذي يؤثره السجود وكان كل من العليين علي بن الحسين
زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس ابي الاملاك يقال له ذو الثفنات لان
كثرة سجودهما احدثت في مواقعها منهما اشباه ثفنات البعير انتهى وقرا ابن
هرمز اثر بكسر الهمزة وسكون الثاء والجمهور بفتحهما وقرا اثار صفتهم في التوراة
قال مجاهد والفراء هو مثل واحد اي ذلك صفتهم في التوراة وفي الانجيل ويوقف

على الانجيل وقال ابن عباس هما مثلان فيوقف على في التوراة وكزرع خبر مبتدا
محذوف اي مثلهم كزرع او هم كزرع وقال الضحاك المعنى ذلك الوصف هو مثلهم في
التوراة وتم الكلام ثم ابتدا ومثلهم في الانجيل كزرع فعلى هذا يكون كزرع خبر ومثلهم
وقال مثل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في الانجيل مكتوب انه سيخرج من قوم
ينبتون نباتا كالزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقال الزمخشري
ويجوز ان يكون ذلك اشارة مبهمة اوضحت بقوله كزرع اخرج شطأه كقوله
وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء وقال ابن عطية وقوله تعالى كزرع
هو على كل الاقوال وفي اي كتاب انزل فرض مثل للنبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه فان النبي عليه السلام بعث وحده فكان كالزرع حبة
واحدة ثم كثر المسلمون فهم كالشطء وهو فراخ السنبلة التي تنبت حول
الاصل انتهى وقال ابن زيد شطأه فراخه واولاده وقال الزجاج نباته وقال
قطرب شوك السنبل وقيل السنبل يخرج من الحبة عشر سنبلات وتسع وثمان
قاله الفراء وقال الكسائي والاخفش طرفه قال

اخرج الشطء على وجه الثرى ومن الشجر اممات الشمس

وقرا الجمهور شطأه باسكان الطاء والهمزة وابن كثير وابن ذكوان بفتحها
وكذلك بالمد ابو حيوة وابن ابي عبلة وعيسى الكوفي وبالف بدل الهمزة
زيد بن علي فاحتمل ان يكون مقصورا وان يكون اصله الهمز فنقل الحركة
وابدل الهمزة الفا كما قالوا في المراة والكماة المراة والكماة وهو تخفيف مقيس عند
الكوفيين وهو عند البصريين شاذ لا يقاس عليه وقرا ابو جعفر شطه بحذف
الهمزة والقاء حركتها على الطاء ورويت عن شيبة ونافع والجحدري ايضا شطوه
باسكان الطاء وواو بعدها قال ابو الفتح هي لغة او بدل من الهمزة ولا يعرف
الشطء الا في البر والشعير وهذه كلها لغات وقال صاحب اللوامح شطأ
الزرع واشطأ اذا اخرج فراخه وهو في الحنطة والشعير وغيرها وقرا ابن ذكوان
فأزره بلا الف وباقي السبعة فآزره على وزن افعله وقرئ فازره بتشديد
الزاي وقول مجاهد وغيره آزره فاعله خطأ لانه لم يسمع في مضارعه الا يؤزر

على وزن يكرم والصحيح المصوب فيه ازره بمعنى قوى الزرع لان الزرع اول ما يطلع
رقيق الاصل فاذا خرجت فراخه غلظ اصله وتقوى وكذلك اصحاب الرسول
كانوا اقلة ضعفا فلما كثروا وتقووا قاتلوا المشركين وقال الحسن ازره قواه
وشد ازره وقال السدي صار مثل الاصل في الطول فاستغلظ اي صار
من الرقة الى الغلظ فاستوى اي تم نباته على سوقه جمع ساق كناية عن
اصوله وقرا ابن كثير على سؤقه بالهمز وهي لغة ضعيفة يهمزون
الواو التي قبلها ضمة ومنه قول الشاعر   احب المؤقدين الي موسى
يعجب الزراع جملة في موضع الحال واذا اعجب الزراع فهو احرى ان يعجب غيرهم لانه
لا عيب فيه اذ قد اعجب العارفين بعيوب الزرع ولو كان معيبا لم يعجبهم وهنا
تم المثل وليغيظ متعلق بمحذوف يدل عليه الكلام قبله تقديره جعلهم الله بهذه
الصفة ليغيظ بهم الكفار وقال الزمخشري فان قلت ليغيظ بهم الكفار
تعليل لماذا قلت لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم
في الزيادة والقوة ويجوز ان يعلل به وعد الله الذين امنوا لان الكفار اذا
سمعوا بما اعد لهم في الاخرة مع ما يعزهم به في الدنيا اغاظهم ذلك ومنهم للبيان
كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقال ابن عطية وقوله تعالى منهم
لبيان الجنس وليست للتبعيض لانه وعد مرجى للجميع وقال ابن جرير منهم يعني
من الشطء الذي اخرجه الزرع وهم الداخلون في الاسلام بعد الزرع الى يوم
القيامة فاعاد الضمير على معنى الشطء لا على لفظه والاجر العظيم الجنة وذكر عند
مالك بن انس رجل ينتقص الصحابة فقرأ مالك هذه الاية فقال من اصبح
من الناس في قلبه غيظ من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اصابته
هذه الاية   التنابز بالالقاب التداعي بها تفاعل من نبز
ويقال نبزه ينبزه نبزا وتنابزوا ويقال النبز والنزب لقب السوء
اللقب هو ما يدعى به الشخص غير لفظ اسمه وغير كنيته وهو قسمان
قبيح وهو ما يكره الشخص لكونه تقصيرا به وذما وحسن وهو بخلاف ذلك
كالصديق لابي بكر والفاروق لعمر وحمزة باسد الله محسن الامين

يطلبه وكسر تحسسه بتقبل بين الحسن ومنه الجاسوس وهو الباحث عن
العورات ليعلم بها ويقال لمشاعر الانسان الحواس بالحاء والجيم والى الشعب
الطبقة الاولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة
والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر
والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل خزيمة شعب
وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت
الشعوب لان القبائل تشعبت منها وروي عن ابن عباس الشعوب البطون
وهذا لعمري ما عليه اهل اللغة ولا خلاف في ذلك عند قوله وجعلناكم
شعوبا الفصيلة دون الشعب تشبيها بما يلي الراس لا ما قطع
معانيك الشعب بالتي تضم اللحم واكثرها المناولات ملتبسة والاصل
ثلث ربما ملاذ لغرخكا ما امو عمتك والمعنى بعض ما لي روته
وليلة ذات لدى شريب ولم تلبثني عن شرابها ليت الا معنى والجيشني
وقال الحطيئة
ابلغ سراة بني سعد مغلغلة جهد الرسالة لا الثا ولا كذبا

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع
عليم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ان الذين يغضون اصواتهم
عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم ان
الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم
لكان خيرا لهم والله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا
ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين واعلموا ان فيكم رسول
الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم
وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله
ونعمة والله عليم حكيم ٥ هذه السورة مدنية ومناسبتها لما

قبلها

قبلها ظاهرة لانه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم قال وعد الله
الذين امنوا وعملوا الصالحات فربما صدر من المؤمن عامل الصالحات بعض
شيء مما ينبغي ان ينهى عنه فقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي
الله ورسوله وكانت عادة العرب وهي الى الان الاشتراك في الاراء وان
يتكلم كل بما يشاء ويفعل ما احب فجرى من بعض من لم يتمرن على اداب الشريعة
بعض ذلك قال قتادة ربما قال قوم ينبغي ان يكون كذا لو انزل في كذا
وقال الحسن ذبح قوم ضحايا قبل النبي صلى الله عليه وسلم وفعل قوم في بعض غزواته
شيئا بارائهم فنزلت هذه الاية ناهية عن جميع ذلك وقال ابن عباس نهوا ان
يتكلموا بين يدي كلامه ويقول العرب تقدمت في كذا وكذا وقدمت فيه
اذا قلت فيه وقرأ الجمهور لا تقدموا فاحتمل ان يكون متعديا وحذف مفعوله ليتناول
كل ما يقع في النفس مما تقدم فلم يقصد لشيء معين بل النهي متعلق بنفس
الفعل دون تعرض لمفعول معين كقولهم فلان يعطي ويمنع واحتمل ان
يكون لازما بمعنى تقدم كما يقول وجه في معنى توجه ويكون المحذوف مما يوصل
اليه بحرف الجر اي لا تقدموا الى شيء مما يحكم شيئا او ما يحبون ويعضد هذا الوجه
قراءة ابن عباس وابي حيوة والضحاك ويعقوب وابن مقسم لا تقدموا بفتح التا
والقاف والدال على اللزوم وحذفت التاء تخفيفا اذ اصله لا تتقدموا وقرأ
بعض المكيين لا تقدموا بتشديد التا ادغم التا المضارعة في التا بعدها كقراءة
البزي وقرئ لا تقدموا مضارع قدم بكسر الدال من القدوم اي لا تقدموا الى
امر من امور الدين قبلهما فتقدموا او لا تعجلوا عليهما والمكان المسامت وجه الرجل
وبيانه قبل فيه بين يدي المجلوس فيه توسعا لما جاورت الجهتين من اليمين واليسار
ووقع قوله بين يدي الله ورسوله مجازا من مجاز التمثيل وفائدته تصوير الهجنة
والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر دون الاحتذاء على امثلة الكتاب
والسنة والمعنى لا تقطعوا امرا الا بعدما يحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا
عاملين بالوحي المنزل او مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا مدار
تفسير ابن عباس وقال مجاهد لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يقضيه على لسان

رسوله وفي تقرير النهي توطئة لما بأتي بعد من نهيهم عن رفع اصواتهم فوق صوته لما نهى امرته
بالتقوى لان من التقوى اجتناب المنهي عنه ان الله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وافعالكم
هو ادانكم بايا بحركاتكم لا تلعنه الليم واستنظارا لما يجد دمنا لاحكام ومطرتة
الا نعاذ ونزلت بسبب ما كان الاعراب من الجفا وعلو الصوت لا ترفعوا
اصواتكم اى اذا نطق ونطقتم فلا تجهروا له بالقول اى اذا كلمتموه لان رتبة
النبوة والرسالة يجب ان توقر وتجل ولا يلون الكلام مع الرسول كالكلام مع
غيره ولما نزلت قال ابو بكر لا اكلمك يا رسول الله الا السرار او اخا السرار
حتى القى الله وعن عمر انه من خفا الصوت انه اذا كلم الرسول لا يسمعه حتى
يستفهمه وكان ابو بكر اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسل اليهم
يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولكن الرفع والجهر الذي كان في طباعهم الا انه مقصود بذلك الا سيما
والاستعلاء حتى يكون بعلمهم فلك كفرا والحق طوف بموضوعه كجهر
بعضكم لبعض اى عدم المبالاة وقلة الاحترام ثم نهى الامر يجهر مخصوص وهو
العلا رفع الصوت عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك العالم وفي المساجد
وعن ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان
جهير الصوت وكرهه في اسطاعه في نفسه انا ما بسبب ذلك مشهور وانه قال يا رسول
لما انزلت خشيت ان يحبط عملي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انك من اهل
الجنة وقال له من اما ترضى ان تعيش حميدا وتموت شهيدا فعاش كذلك ثم قتل
باليمامة يوم مسيلمة ان تحبط اعمالكم ان كانت الاية متعرضة بحجر استخفافا
بذلك كفر يحبط معه العمل حسنه وان كانت للمؤمن الذي يفعل ذلك فعلة وجرى
على عادته فانما يحبط عمله الرد نوعي النبي صلى الله عليه وسلم وعض الصوت عنده
ان لو فعل ذلك كانه قال مخافة ان تحبط الاعمال التي هي يوم ان تعلوها
فتوجروا عليها وان تحبط مفعول له والعامل فيه لا تجهروا على مذهب البصريين
في الاختيار ولا ترفعوا على مذهب الكوفيين في الاختيار ومع ذلك في حسنا المعنى
حبوط العمل عليه لكل من الرفع والجهر وقرا عبد الله وزيد بن علي فتحبط بالفا

وهو

ذ بفعل مسببه عن ما قبله ان الذين يغضون اصواتهم قيل نزلت في ابي بكر وعمر رضي
الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت والتلوح به اخا السرار امتحن الله قلوبهم
للتقوى اى جربت ودربت للتقوى فهي مضطلعة بها او وضع الامتحان موضع
المعرفة لان تحقق الشي باختباره اى عرف قلوبهم كائنة للتقوى فالتقوى في موضع
الحال او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن لاجل التقوى اي لتثبت فيظهر تقواها وقيل
اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا اذابه فخلص ابريزه من خبثه
وجاءت في هذه الاية ان تكون لمضمون الجملة وجعل خبرها جملة من اسم الاشارة
الدال على التعظيم والمعرفة بعدها بابعدها ذكر جزائهم على غض اصواتهم وكل هذا
دليل على الارتضاء بما فعلوا من توقير رسول الله صلى الله عليه وسلم بغض اصواتهم
وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب رافعوا اصواتهم واستحقاقهم ضدما استوجب
هؤلاء ان الذين ينادونك من وراء الحجرات نزلت في وفد بني تميم الاقرع بن
حابس والزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم وغيرهم وفدوا ودخلوا المسجد وقت
الظهيرة والرسول راقد فجعلوا ينادونه بجملتهم يا محمد اخرج الينا فاستيقظ
فخرج فقال له الاقرع بن حابس يا محمد ان مدحي زين وذمي شين فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويلك ذلك الله تعالى فاجتمع الناس في المسجد فقال نحن
نو تميم جئنا بخطيبنا وشاعرنا نشاعرك ونفاخرك فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخار امرت ولكن هاتوا فقال الزبرقان
لشاب منهم قم واذكر فضلك وقومك فقال الحمد لله الذي جعلنا خير خلقه واتانا
اموالا نفعل فيها ما نشا فنحن من خير اهل الارض من اكثرهم عددا ومالا وسلاحا
فمن انكر علينا قولنا فليات بقول هو احسن من قولنا وفعل هو احسن من فعلنا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيبه قم فاجبه فقال
الحمد لله احمده واستعينه واومن به واتوكل عليه واشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا عبده ورسوله دعا المهاجرين من بني عمه احسن الناس وجوها واعظمهم
احلاما فاجابوه والحمد لله الذي جعلنا انصاره ووزراء رسوله وعزا لدينه
نحن نقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله فمن قالها منع نفسه وماله ومن

حا

أنا ما قلناه وكان ممن علينا نفسا أقول قولي هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات
فقال الزبرقان لشاب منهم فقال أبياتا يذكر فيها فضل قومه فقال
نحن الكرام فلا حي يعادلنا منا الرؤوس وفينا يقسم الربع
ونطعم الناس عند القحط كلهم من السديف إذا لم يؤنس القزع
إذا أبينا فلا يأبى لنا أحد إنا كذلك عند الفخر نرتفع
فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم يدعو حسان فقال أعد لي قولك فأسمعه فأجابه فقال
إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد شرعوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته تقوى الإله وكل الخير يصطنع
ثم قال حسان
نصرنا رسول الله والدين عنوة على رغم عات من معد وحاضر
بضرب كإيزاغ المخاض مشاشه وطعن كأفواه اللقاح الصوادر
وسل أحدا يوم استقلت جموعهم بضرب لنا مثل الليوث الخوادر
ألسنا نخوض الموت في حومة الوغى إذا طاب ورد الموت بين العساكر
ونضرب هام الدارعين وننتمي إلى حسب من جذم غسان قاهر
فلولا حياء الله قلنا تكرما على الناس بالخيفين هل من منافر
فأحياؤنا من خير من وطئ الحصى وأمواتنا من خير أهل المقابر
قال فقام الأقرع بن حابس فقال إني والله لقد جئت لأمر وقد قلت شعرا فاسمعه فقال
أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا إذا خالفونا عند ذكر المكارم
وأنا رؤوس الناس في كل معشر وأن ليس في أرض الحجاز كدارم
وأن لنا المرباع في كل غارة تكون بنجد أو بأرض التهائم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم فأجبه فقال
بني دارم لا تفخروا إن فخركم يصير وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وأنتم لنا خول من بين ظئر وخادم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد كنت غنيا يا أخا دارم أن يذكر منك ما ظننت

أن الناس قد نسوه فكان قوله عليه السلام أشد عليهم من جميع ما قال حسان
ثم رجع حسان إلى شعره فقال
فإن كنتم جئتم لحقن دمائكم وأموالكم أن تقسموا في المقاسم
فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا ولا تفخروا عند النبي بدارم
وإلا ورب البيت مالت أكفنا على هامكم بالمرهفات الصوارم
فقال الأقرع بن حابس والله ما أدري ما هذا الأمر تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أشعر وأحسن قولا ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا ثم أعطاهم وكساهم ومما يشبه هذه الآية لما قبلها ظاهر وذلك أن المناداة من وراء الحجرات فيها رفع الصوت وإساءة الأدب والله قد أدب نبيه بتوقيره وتعظيمه والوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص من خلف أو قدام ومن لابتداء الغاية وأن المناداة نشأت من ذلك المكان وقال الزمخشري فإن قلت أفرق بين الكلامين بين ما تثبت فيه وما تسقط عنه قلت الفرق بينهما أن المنادي والمنادى في أحدهما يجوز أن يجمعهما الوراء وفي الثاني لا يجوز لأن الوراء تصير بدخول من مبتدأ الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة أن تكون مبتدأ ومنتهى لفعل واحد والذي يقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها ولكن أي قطر من أقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين ولا اختصاص انتهى وقد تداعت أصحابنا في معنى من أنها تكون لابتداء الغاية وانتهائها في فعل واحد وأن الشيء الواحد يكون محلا لهما وتأولوا ذلك على سيبويه في قولهم أخذت الدرهم من زيد فزيد محل لابتداء الأخذ وانتهائه معا قالوا فيكون في أكثر المواضع لابتداء الغاية فقط وفي بعض المواضع لابتداء الغاية وانتهائها معا وهذه المناداة التي ذكرت ليس إنكارها لكونها وقعت أدبار الحجرات أو وجوهها وإنما أنكر ذلك لأنهم نادوه من خارج مناداة الأجلاف التي ليس فيها توقير كما ينادي بعضهم بعضا والحجرات منازل الرسول عليه السلام وكانت تسعة والحجرة الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الإبل تسمى حجرة وهي فعلة بمعنى

برها

وقالوا

مفعوله كالغرفة والغرفة. وقرأ الجمهور الحجرات بضم الجيم اتباعا للضم قبلها، وأبو
جعفر وشيبة بفتحها، وابن أبي عبلة بإسكانها، وهي لغات في كل فعلة بشروطها
المذكورة في علم النحو. والظاهر أن متصدي بنية النداء كانوا جماعة، وذكر الأصم أن من
ناداه كان الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن، فإن صح ذلك كان الإسناد
إلى الجماعة لأنهم راضون بذلك، وإذا كانوا جماعة احتمل أن يكونوا تفرقوا فنادى
بعض من وراء هذه الحجرة وبعض من وراء هذه، وأن نادوه مجتمعين من وراء الحجرة أو كان
الحجرة واحدة وهي التي كان فيها الرسول، وجمعت إجلالا له عليه السلام. وإسناد
العقل عن أكثرهم دليل على أنه فيهم عقلاء. وقال الزمخشري: ويحتمل أن يكون الحكم بقلة
العقلاء فيهم قصدا إلى نفي أن يكون فيهم من يعقل، فإن القلة تقع موقع النفي في كلامهم
انتهى. وليس في الآية الحكم بقلة العقلاء منطوقا به فيحتمل النفي، وإنما هو مفهوم من قوله
أكثرهم لا يعقلون، والنفي المحض المستفاد إنما هو من صريح لفظ القلة لا من
المفهوم، فلا يحمل قوله وأكثر الناس لا يشكرون على النفي المحض المستفاد من النفي
المستفاد من صريح القلة. وهذه الآية سجلت على الذين نادوه بالسفه والجهل
وأسند كأول السورة بتقديم الأمور التي تنمي إلى الله ورسوله على الأمور كلها
ثم بما نهى عنه من التقدم ثم بالنهي عن رفع الصوت والجهر، وكان الأول بساطا
للثاني، ثم بما هو ثناء على الذين امتثلوا ذلك فغضوا أصواتهم دلالة على عظم
موقعه عند الله، ثم جيء على عقب ذلك بما هو أفظع وهو الصياح بالرسول في
حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح بأهون الناس لينبه على
فظاعة ما جسروا عليه، لأن من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول كان
صنيع هؤلاء معه من المنكر المتفاحش، ومن هذا وأمثاله يقتبس محاسن الآداب
كما يحكى عن أبي عبيد ومحله من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى أنه قال: ما
دققت بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه. ولو أنهم صبروا: قال
الزمخشري: أنهم صبروا في موضع الرفع على الفاعلية لأن المعنى ولو ثبت صبرهم انتهى.
وهذا ليس بمذهب سيبويه، بل مذهب سيبويه أن أن وما بعدها بعد لو
في موضع مبتدأ لا في موضع فاعل، ومذهب المبرد أنها في موضع فاعل بفعل

محذوف

محذوف كما زعم الزمخشري. واسم كان ضمير يعود على المصدر المفهوم من صبروا أي لكان
هو أي صبرهم خيرا لهم. وقال الزمخشري: في كان إما ضمير فاعل الفعل المضمر بعد لو
انتهى. لأنه قدر أن وما بعدها فاعلا بفعل مضمر فعاد الضمير على ذلك الفاعل، وهو
الصبر المنسبك من أن ومعمولها. خيرا لهم في الثواب عند الله وفي انبساط نفس
الرسول وقضائه لحوائجهم. وذكر أنهم جاؤوا في أسارى بني العنبر فأعتق رسول الله
صلى الله عليه وسلم النصف وفادى على النصف، ولو صبروا لأعتق الجميع بغير فداء.
وقيل: لكان صبرهم أحسن لأدبهم. والله غفور رحيم لمن صدق عزائمه ورحمته من
هؤلاء إن تابوا وأنابوا. يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ الآية. حدث الحارث
ابن ضرار قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني إلى الإسلام فأسلمت
وإلى الزكاة فأقررت بها، فقلت: أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن
أجاب جمعت زكاته، فيرسل من يأتيك بما جمعت. فلما جمع ممن استجاب له وبلغ
الوقت الذي أراد الرسول أن يبعث إليه، واحتبس عليه رسول الله، قال لسروات
قومه: كان الرسول وقت لي وقتا يرسل إلي ليقبض الزكاة، وليس من رسول
الله الخلف، ولا أرى حبس الرسول إلا من سخطة، فانطلقوا بنا إليه. وبعث الرسول
الوليد إلى الحارث، فرق فقال: منعني الحارث الزكاة وأراد قتلي. فضرب الرسول
البعث إلى الحارث، فاستقبل الحارث البعث وقد فصل من المدينة، فقالوا: هذا
الحارث. فقال: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك. قال: ولم؟ فقالوا: بعث إليك الوليد فزعم
أنك منعته الزكاة وأردت قتله. قال: لا والذي بعث محمدا بالحق ما رأيته ولا
أتاني. فلما دخل على الرسول قال: منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟ قال: لا والذي
بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني، وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسولك
خشيت أن تكون سخطة من الله ورسوله. قال: فنزلت هذه الآية. وفاسق وبنبأ
مطلقان، فيتناول اللفظ كل واحد على جهة البدل. وتقدم قراءة فتثبتوا وفتبينوا
في سورة النساء. وهو أمر يقتضي أنه لا يعتمد على كلام الفاسق ولا يبنى عليه
حكم. وجاء الشرط بحرف إن المقتضي للتعليق في الممكن، لا بالحرف المقتضي للتحقيق
وهو إذا، لأن مجيء الرجل الفاسق للرسول وأصحابه بالكذب إنما كان على

يتسبب الندم وامروا بالتبين عند مجيئه لئلا يطمع في قبول ما يبلغه اليهم وندما
مترتب على كلامه واذا كانت نهاية التبين والتثبت كف عن مجيئهم بما يريد
ان تصيبوا مفعول له اي كراهة ان تصيبوا او لئلا تصيبوا بجهالة حال اي جاهلين
بحقيقة الامر معتمدين على خبر الفاسق فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم من اصابة القوم
بعقوبة بناء على خبر الفاسق نادمين مغتمين على ما فرط منكم متمنين انه لم يقع ومفهوم
ان جاءكم فاسق قبول كلام غير الفاسق وانه لا يتثبت عنده وقد يستدل به
على قبول خبر الواحد العدل وقال بعضهم لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم التثبت من الله والعجلة من الشيطان وقال ... بن سعيد هذه الاية
ترد على من قال المسلمين كلهم عدول حتى تثبت الجرحة لان الله تعالى امر بالتبين
قبل القبول انتهى ولعمري كاد خلافه ما امر بالتبين الا عند مجيء الفاسق لا مجيء المسلم
بل بشرط الفسق والمجهول الحال يحتمل ان يكون فاسقا فالاحتياط لازم واعلموا
ان فيكم رسول الله هذا توبيخ لمن يكذب الرسول ووعيد بالفضيحة ولا يتصور ذلك
الا ممن هو شاك في الرسالة لان الله تعالى لا يترك نبيه يعتمد على خبر الفاسق بل
يبين له ذلك والظاهر واعلموا ان فيكم رسول الله صلعم امر لهم بان يعلموا ان
الذي هو بين ظهرانيكم هو رسول الله فلا تخرجوا بالايمان فانه رسول الله يطلعه
على ذلك ثم اخبر تعالى ان رسوله لو اطاعهم في كثير من الامر الذي يؤدي اليه اجتهادكم
وتقدمكم بين يديه لعنتم اي لشق عليكم وقال بعضهم لاثمتم وقال الزمخشري الجملة
المصدرة بلو لا تكون كلاما مستأنفا لادائه الى تنافر النظم ولكن متصلا
بما قبله حال من احد الضميرين في فيكم المستتر المرفوع او البارز المجرور وكلاهما
مذهب سديد والمعنى ان فيكم رسول الله وانتم على حالة يجب عليكم تغييرها او وانتم
تحاولون منه ان يعمل في الحوادث بمقتضى ما يعن لكم من راي واستصواب فعل
المطواع لغيره والتابع له فيما يرتئيه المحتذي على امثلته ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم
في الجهد والهلاك وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زينوا لرسول الله الايقاع ببني
المصطلق وتصديق قول الوليد وان نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط
منهم وان بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم في التقوى عن الجسارة على

ذلك

ذلك وهم الذين استثناهم بقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان اي الى بعضكم ولكنه اغنت
عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من ايجازات القران ولمحاته اللطيفة
التي لا يفطن لها الا الخواص وعن بعض المفسرين هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى انتهى
وفيه نظر ولا يبعد ان تكون الجملة المصدرة بلو مستأنفة لا حالا ولا تعلق لها
بما قبلها من حيث الاعراب وتعدد خبران على اسمها يصل الى توبيخ بعض المؤمنين على ما
استهجن من استتباعهم راي الرسول لارائهم فوجب تعديه بانتصاب الغرض
اليه ونيل مطمعهم دون اطاعتهم الدلالة على انه كان في ارادتهم استمرار عمله على
ما يستصوبون وانه كلما عن لهم راي في امر كان معمولا عليه بدليل قوله في كثير
من الامر وشريطة لكن مفقودة من جهة اللفظ ما بعدها لما قبلها من حيث اللفظ حاصلة   مله
من حيث المعنى لان الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم
فوقعت لكن في حاق موقعها من الاستدراك انتهى وهو ملخص من كلام
الزمخشري وقال ابن عطية نعم ايضا ومعنى تحبيب الله وتزيينه التلطف والامداد بالتوفيق
وسبيله الكناية كما سبق من ركب وراجع الى بصره وذهل لا يخفى عنه ان الرجل
قد يفعل عنه وحمل الاية على ظاهرها يؤدي الى ان يثني عليهم بفعل الله وقد نهى
الله عن هذا على الذين يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا انتهى وهو على طريق
الاعتزال وعن الحسن حبب اليكم الايمان بما وصف من الثناء عليه وكره الكفر بما وصف
من العقاب عليها انتهى اولئك هم الراشدون التفات من الخطاب الى الغيبة فضلا من
الله ونعمة قال ابن عطية مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله هو بمعناه اذ
التحبيب والتزيين هو نفس الفضل وقال الحوفي فضلا نصب على الحال انتهى ولا يظهر
هذا الذي قال وقال ابو البقاء مفعول له او مصدر في معنى ما تقدم وقال الزمخشري
وفضلا مفعول له او مصدر من غير فعله فان قلت من اين جاز وقوعه
مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله والشرط ان يتحد الفاعل قلت
لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة الى اسمه تقدست
اسماؤه صار الرشد كانه فعله فجاز ان ينتصب عنه او لا ينتصب عن الرا   شدون
ولكن عن الفعل المسند الى اسم الله والجملة التي هي اولئك هم الراشدون اعتراض

اوعن فعل مقدر كانه قيل جرى ذلك اوكان ذلك فضلا من الله وَاما كونه مصدرا من غير فعله فان يوضع موضع رشدا لان رشدهم فضل من الله لكونه موفقين منه وَالفضل وَالنعمة بمعنى الافضال وَالانعام وَالله عليم باحوال المومنين وما بينهم من التمايز والتفاضل حكيم حين يفضل وَينعم بالتوفيق على افاضلهم انتهى اما توجيه كون فضلا مفعولا من اجله فهو على طريق الاعتزال وَاما تقديره او كان ذلك فضلا فليس من مواضع اضمار كان وَلذلك شرط مذكور في النحو **وان طائفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا** بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وَاقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المومنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم وَاتقوا الله لعلكم ترحمون يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان وَمن لم يتب فاولئك هم الظالمون يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وَلا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وَاتقوا الله ان الله تواب رحيم وَان طائفتان الاية سبب نزولها ما جرى بين الاوس وَالخزرج حين اساء الادب عبد الله ابن ابي سلول على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه الى زيارة سعد بن عبادة في مرضه وتعصب بعضهم لعبد الله وَرد عبد الله بن رواحة على ابن ابي فتجالد الحيان قيل بالحديد وقيل بالجريد وَالنعال وَالايدي فنزلت فقراها عليهم فاصطلحوا وقال السدي كانت بالمدينة امراة من الانصار يقال لها ام بدر وَكان لها زوج من غيرهم فوقع بينهم شي ادى ان ياخذها قومها وقومه فوقع قتال فنزلت الاية بسببه وَقرا الجمهور اقتتلوا جمعا حملا على المعنى لان الطائفتين بمعنى القوم وَالناس وقرا ابن ابي عبلة اقتتلتا على لفظ التثنية وزيد بن علي وَعبيد بن عمير اقتتلتا على التثنية مراعى بالطائفتين الفريقان اقتتلوا وكل من الطائفتين باغ فالواجب السعي بينهما بالصلح فان لم يصطلحا واقاما على البغي قوتلا او لشبهة دخلت عليهما وكل منهما يعتقد انه على الحق فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة وَالبراهين القاطعة فان لجا وكالباغيتين

فان بغت احداهما فالواجب ان تقاتل حتى تكف عن البغي وَلم تتعرض الاية من احكام التي تبغي لشي الا لقتالها والى الاصلاح ان فاءت وَالبغي هنا طلب العلو بغير الحق وَالامر في فاصلحوا او في فقاتلوا هو لمن له الامر من الملوك وولاتهم وقرا الجمهور حتى تفيء مضارع فاء بفتح الهمزة وَالزهري حتى تفي بغير همز وبفتح الياء وهو شاذ كما قالوا في مضارع جاء يجي بغير همز فاذا ادخلوا الناصب فتحوا الياء اجرَوه مجرى يفي مضارع وفى شذوذا انما المومنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم اي اخوة في الدين وفي الحديث المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله وقرا الجمهور بين اخويكم مثنى لان اقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فاذا كان الاصلاح لازما بين اثنين فهو الزم بين اكثر من اثنين وَقيل المراد بالاخوين الاوس وَالخزرج وقرا زيد بن ثابت وَابن مسعود وَالحسن بخلاف عنه وَالجحدري وَثابت البناني وحماد بن سلمة وَابن سيرين اخوانكم جمعا بالالف وَالنون وَالحسن ايضا وابن عامر في رواية وزيد بن علي ويعقوب بين اخوتكم على وزن غلمة وروى عبد الوارث عن ابي عمرو العراقي الملاحم وغلب الاخوان في الصداقة وَالاخوة في النسب وقد يستعمل كل منهما مكان الاخر وَمنه انما المومنون اخوة وقوله او بيوت اخوانكم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم هذه الاية وَالتي بعدها ادب للامة لما كان فيه اهل الجاهلية من هذه الاوصاف الذميمة التي وقع النهي عنها وسبب نزول ان ثابت بن قيس عكرمة بن ابي جهل كان يمشي بالمدينة فقال له قوم هذا ابن فرعون هذه الامة فعز ذلك عليه وشكاهم فنزلت وقوم مرادف رجال كما قال الرجال قوامون على النسا وَلذلك قابله هنا بقوله ولا نساء من نساء وقول زهير

وما ادري وَسوف اخال ادري اقوم ال حصن ام نسا

وقال الزمخشري وهو في الاصل جمع قائم كصوم وزور جمع صائم وزائر انتهى وَليس فعل من ابنية الجموع الا على مذهب ابي الحسن في قوله ان ركبا جمع راكب وقال ايضا الزمخشري وَاما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور وَالاناث فليس لفظ القوم بمتناول للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن انتهى وَغير محتمله من باب التغليب وَالنهي ليس مختصا بانتصابه على قوم وَنسا بعيد الجمعية من حيث المعنى وَان كان ظاهر اللفظ ذلك بل المعنى لا يسخر احد من احد وَانما ذكر

الجمع والمراد به كل فرد فرد من يتناوله عموم البدل وكانه اذا تحقر الواحد كان بمجلسه
ناس يضحكون على قوله او يلغت تحقيره ما شاء فيحملوا اسعفت الحال الى جماعة عسى ان
يكونوا اي المسخور منهم خيرا منهم اي من الساخرين منهم وهذه الجملة مستانفة وردت مورد
جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جا النهي عنه اي ربما يكون المسخور منه عند الله خيرا من
الساخر لان العلم بخفيات الامور انما هو لله وعن ابن مسعود لو سخرت من كلب خشيت
ان احول كلبا ولا نساء من نساء روي ان عايشة وحفصة رضي الله عنهما راتا ام سلمة
ربطت حقويها بثوب ابيض وسدلت طرفه خلفها فقالت عايشة لحفصة انظري
الى ما تجر خلفها كانه لسان كلب وعن عايشة انها كانت تسخر من زينب بنت
خزيمة الهلالية وكانت قصيرة وعن انس كان نساء النبي صلى الله عليه وسلم يعيرن
ام سلمة بالقصر وقالت صفية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان النساء يعيرنني ويقلن
يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابي هرون وان عمي موسى
وان زوجي محمد وقرا عبد الله وابي عسى ان يكونوا وعسى ان يكن فعسى
ناقصة والجمهور عسى فيهما وهي التامة الاضمار لغة لهم وتركه لغة الحجاز ولا تلمزوا
انفسكم بضم الميم في تلمزوا الحسن والاعرج وعبيد عن ابي عمرو وقال ابو عمرو هي عربية
والجمهور بالكسر واللمز بالقول والاشارة ونحوه مما يفهمه اخر والهمز لا يكون الا
باللسان والعين لا يعب بعضكم بعضا كما قال فاقتلوا انفسكم كان المؤمنين
نفسا واحدة اذ هم اخوة كما جا كالبنيان يشد بعضه بعضا وكالجسد اذا اشتكى
منه عضو تداعى سائره بالسهر والحمى ومفهوم انفسكم ان له ان يعيب غيره مما لا يدين
بدينه ففي الحديث اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس وقيل المعنى لا يفعلوا
ما تلمزون به لان من فعل ما استحق اللمز به فقد لمز نفسه ولا تنابزوا بالالقاب
اللقب اذا دل على ما يكرهه المدعو به كان منهيا عنه واما اذا كان حسنا فلا ينهى عنه
وما زالت الالقاب الحسنة في الامم كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم
ومكاتباتهم من غير نكير وروي ان بني سلمة كانوا قد كثرت فيهم الالقاب فنزلت
فيهم الاية بسبب ذلك وفي الحديث كنوا اولادكم قال عطا مخافة الالقاب وعن
عمر اشيعوا الكنى فانها منبهة انتهى ولا سيما اذا كانت الكنية غريبة لا يكاد يشترك فيها

احد

احد مع من تكنى بها في عصره فانه يطير بها ذكره في الافاق وتتهادى اخباره الرفاق كما
جرى في كنيتي بابي حيان واسمي محمد فلو كانت كنيتي ابا محمد او ابا بكر مما يقع فيه الا شتراك
لم اشتهر تلك الشهرة واهل بلادنا جزيرة الاندلس كثيرا ما كانوا يلقبون الالقاب السيئة
حتى قال فيهم ابو مروان الطبني

يا اهل اندلس ما عندكم ادب ... بالمشرق الادب النفاح بالطيب
يدعى الشباب شيوخا في مجالسهم ... والشيخ عندكم يدعى بتلقيب

وفي علما بلادنا وصالحيهم من يدعى بالوزغي وبالقطي وبوجه نافخ وكل هذا محرم تعاطيه
وليس منه ما نحو قول المحدثين سليمان الاعمش وواصل الاحدب ونحوه مما تدعوا الضرورة
اليه وليس فيه قصد استخفاف ولا اذاية وقد قال ابن مسعود لعلقمة وتقول انت ذلك
يا اعور وقال ابن زيد اي لا يقول احد لاحد يا يهودي بعد اسلامه ولا يا فاسق
بعد توبته ونحو ذلك ولاحى بين ابي حدرد وكعب بن مالك فقال له كعب يا اعرابي
يريد ان يبعده من الهجرة فقال له الاخر يا يهودي يريد المخالطة لليهود في يثرب
بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس اسم تسمونه بعضكم بعضا ثم وبئس لكم بالالقاب
يكونون فساقا بالمعصية بعد ايمانكم او بئس ما يقوله الرجل لاخيه يا فاسق بعد
ايمانه وقال الرماني هذه الاية تدل على انه لا يجتمع الفسوق والايمان انتهى وقال
الزمخشري نحو قول الرماني قال استقباح الجمع بين الايمان وبين الفسوق الذي
يأباه الايمان وهذه نزعة اعتزالية وقال الزمخشري الاسم ههنا بمعنى الذكر
من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللوم كما يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته ما
سما من ذكره وارتفع بين الناس كانه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب
هذه الجرائر ان يذكروا بالفسوق ومن لم يتب عن هذه الاشيا فاولئك هم الظالمون
شديد وكم نظام من لم يتب اجتنبوا كثيرا من الظن اي لا تعملوا على حسبه وامر تعالى باجتنابه
ليتحرى المرء على ظن الا بعد نظر وتامل وتمييز بين حقه وباطله والمامور باجتنابه هو
بعض الظن المحكوم عليه بانه اثم وبعض المحققين ان لا يعرف له امارة صحيحة
وسبب ظاهر كمن يتعاطى الريب والمجاهرة بالخبائث كالدخول والخروج الى
حانات الخمر وصحبة نساء المغاني وادمان النظر الى المرد فمثل هذا يقوى الظن فيه

انه ليس من اهل الصلاح ولا اثم فيه وان كان لا نراه يشرب الخمر ولا يزني ولا
يعبث بالشباب بخلاف من ظاهره الصلاح فلا يظن به السوء فهذا هو المنهي عنه
ويجب ان يحمله ويتاول الخبر والاثم هو الذي يستحق صاحبه العقاب وقال
الزمخشري والهمزة فيه بدل من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها باحباطه انتهى
وهذا ليس بشي لان تصريف هذه الكلمة مستعمل فيها الهمزة تقول اثم ياثم
وهو اثيم والاثم والاثام فالهمزة اصل ليست بدلا من واو واما تاثم فاصله
وهو مال اخرى وقيل الاثم متعلق بظن الظان اما اذا لم يتكلم فهو في فسحة لانه
لا يقدر على دفع الخواطر التي يبيحها قول النبي عليه السلام الحزم سوء الظن وقرا الجمهور
ولا تجسسوا بالجيم وقرا الحسن وابو رجا وابن سيرين بالحاء وهما متقاربان
نهى عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه وقيل لابن مسعود
هل لك في فلان تقطر لحيته خمرا فقال انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شي
اخذنا به وفي الحديث اذا ابتغيت الريبة في الناس افسدتهم وقد وقع عمر على ... ريبه
علم منكرا في ظاهر رسمه وكان دخل عليهم تجسسا فلما ذكر له نهي الله عن
التجسس انصرف عمر ولا يغتب بعضكم بعضا يقال غابه واغتابه كغاله واغتاله
والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهي ذكر الرجل بما يكره مما
هو فيه وفي الحديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تذكر من المرء
ما يكره ان يسمع فقال يا رسول الله وان كان حقا قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا قلت باطلا فذلك البهتان وفي الصحيحين بغير هذا وقال ابن عباس
الغيبة ادام كلاب الناس وقالت عائشة عن امراة ما رايت احسن منها الا انها
قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتبتها نظرت الى اسوا ما فيها فذكرته وقال
الزهراوي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الغيبة اشد من الزنا لان الزاني
يتوب الله عليه والذي يغتاب فلا يتاب عليه حتى يستحل ومعرض المسلم مثل
دمه في التحريم وفي الحديث المشهور ان الله حرم عليكم دماءكم واموالكم واعراضكم
ولا يباح من هذا المعنى الا ما تدعو الضرورة اليه من تجريح الشهود والرواة والخطاب
اذا استنصح من يخطب اليه من يعرفهم والعرب تشبه الغيبة باكل اللحم فمنه

وان

وان اكلوا لحمي وفرت لحومهم ايحب احدكم قال الزمخشري تمثيل وتصوير لما يناله
المغتاب من عرض المغتاب على افظع وجه وافحشه وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام
الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها
اسناد الفعل الى احدكم والاشعار بان احدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر
على تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان حتى جعل ميتا انتهى وقال الرماني كراهة هذا
اللحم يدعو اليها الطبع وكراهة الغيبة يدعو اليها العقل وهو احق ان يجاب لانه
بصير عالم والطبع اعمى جاهل انتهى وقال ابو زيد السهيلي لاخذ العرض باكل اللحم
لان اللحم ستر على العظم والشاتم لاخيه كانه يقشر ويكشف ما عليه من ستر وقال
تعالى ميتا لان الميت لا يحس وكذلك الغائب لا يسمع ما يقول فيه المغتاب ثم هو في
التحريم كاكل لحم الميتة انتهى وروي في الحديث ما صام من اكل لحوم الناس وقال ابو
قلابة الرقاشي سمعت ابا عاصم يقول ما اغتبت احدا منذ عرفت ما في الغيبة وقيل
لعمرو بن عبيد لقد وقع فيك فلان حتى رحمناك قال اياه فارحموا وقال رجل للحسن
بلغني انك تغتابني فقال لم يبلغ قدرك عندي ان احكمك في حسناتي وانتصب ميتا
على الحال من لحم واجاز الزمخشري ان ينتصب عن الاخ وهو ضعيف لان المجرور
بالاضافة لا يجي الحال منه الا اذا كان له موضع من الاعراب نحو اعجبني ركوب الفرس
مسرجا وقيام زيد مسرعا فالفرس في موضع نصب وزيد في موضع رفع وقد اجاز
بعض اصحابنا انه اذا كان الاول جزءا او كالجزء جاز انتصاب الحال من الثاني
وقد رددنا عليه ذلك فيما كتبناه في علم النحو فكرهتموه قال الفراء اي فقد كرهتموه
فلا تفعلوه وقيل لما وقفهم على التوبيخ بقوله ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فالجواب
عن هذا لانهم في حكم من يقولها فخوطبوا على انهم قالوا لا فقيل لهم فكرهتموه وبعد هذا
يقدر فلذلك فاكرهوا الغيبة التي هي نظير ذلك وعلى هذا المقدر يعطف قوله واتقوا
الله قاله ابو علي الفارسي وفيه عجرفة العجم وقال الزمخشري ولما قررهم عز وجل بان
احدا منهم لا يحب اكل جيفة اخيه عقب ذلك بقوله فكرهتموه اي فتحققت بوجوب
الاقرار وبانكم لا تقدرون على دفعه وانكاره لاباء البشرية عليكم ان تجحدوه كراهة
له وتقذرا منه فليتحقق ايضا ان تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن في اعراض

البارئ ... وفيه ايضا تحريفه النهي والذي يسهل ذلك دخلها واجرى على قواعد العربية
وقيل انه خبر ومعناه الامر تقديره فاكرهوه ولذلك عطف عليه واتقوا الله
ووضع الماضي موضع الامر في لسان العرب ومنه اتقى الله امرؤ فعل خيرا يثب
عليه اي ليتق الله وكذلك الخبر يجيء على جواب الامر وما احسن ما جاء الترتيب
هذه الاية جاء الامر اولا باجتناب الطريق التي لا تؤدي الى العلم وهو الظن
ثم نهى ثانيا عن طلب تحقق ذلك الظن فيصير علما بقوله ولا تجسسوا ثم نهى ثالثا
عن ذكر ذلك اذا علم فهذه امور ثلاثة مترتبة ظن فعلم بالتجسس فاغتياب
وميتا نصب في فكرهتموه الظاهر انه حال من لحم وقيل من الاخ وقيل على
الميت وقرا ابو سعيد الخدري وابو حيوة فكرهتموه بضم الكاف وشد الراء ورواها
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم والجمهور بفتح الكاف مخففة الراء وكره يتعدى
الى واحد فعدي بالتضعيف الى اثنين كقراءة الخدري ومعناه اي جعلتم
تكرهونه فاما قوله وكره اليكم الكفر فعلى التضمين لمعنى بغض وهو يتعدى الى
واحد والى الاخر بالى ويقول بالتضعيف بغض الشيء الى زيد والظاهر
عطف واتقوا الله على ما قبله من الامر والنهي **يا ايها الناس انا خلقناكم**
من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم
ان الله عليم خبير قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل
الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم
انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله اولئك هم الصادقون قل اتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات
وما في الارض والله بكل شيء عليم يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم
بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ان الله يعلم غيب السموات والارض
والله بصير بما تعملون **سبب النزول** غضب الحارث بن هشام وعتاب بن اسيد
حين اذن بلال يوم فتح مكة على الكعبة فنزلت يا ايها الناس وعن ابن عباس سببها
قول ثابت بن قيس لرجل لم يفسح له عند النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن فلانة فوبخه
النبي صلى الله عليه وسلم وقال له انك لا تفضل احدا الا في الدين والتقوى فنزلت

ونزل

ونزل الامر بالفسح في ذلك يعني من ذكر وانثى اي من ادم وحوا او كل واحد منكم
من اب وام فكل واحد منكم مساو للاخر في ذلك فلا وجه للتفاخر وجعلناكم شعوبا
وقبائل وتقدم الكلام على شيء من ذلك في المفردات وقيل الشعوب في العجم والقبائل
في العرب والاسباط في بني اسرائيل وقيل الشعوب عرب اليمن من قحطان والقبائل
ربيعة ومضر وسائر عدنان وقال قتادة ومجاهد والضحاك الشعب النسب الابعد
والقبيلة الاقرب قال الشاعر

قبائل من شعوب ليس فيهم كريم قد يعد ولا نجيب

وقيل الشعوب الموالي والقبائل العرب وقال ابو روق الشعوب الذين ينسبون
الى المدائن والقرى والقبائل العرب الذين ينسبون الى ابائهم واحد الشعوب
شعب بفتح الشين وشعب بطن من همدان ينسب اليه عامر الشعبي يعني ذات النسب
والنسبة الى الشعوب شعوبي بفتح الشين وهم الامم التي ليست بعرب وقيل
هم الذين يفضلون العجم على العرب وقال ابو عبيدة كان شعوبيا وله كتاب في
مثالب العرب ولابن غرسية رسالة فصيحة في تفضيل العجم على العرب وقد رد عليه
ذلك علماء الاندلس برسائل عديدة وقرا الجمهور لتعارفوا مضارع تعارف محذوف
التاء وابن عباس وابان عن عاصم لتعرفوا مضارع عرف والشعبي انه جعلكم ما ذكر كي
يعرف بعضكم بعضا في النسب فلا ينسب الى غير ابائه لا للتفاخر بالاباء والاجداد
ودعوى التفاضل في الانساب ثم بين الخصلة التي يحصل بها الفضل لديه وهي
التقوى وفي خطبته عليه السلام يوم فتح مكة انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله
وفاجر شقي هين على الله ثم قرا الاية وعنه عليه السلام من سره ان يكون اكرم
الناس فليتق الله وما زال التفاخر بالانساب في الجاهلية والاسلام وبالبلاد
وبالمذاهب وبالعلوم وبالصنائع واكثرها بالانساب

و[illegible] شيء الى عاقل [illegible] المجد مستاخر
اذا سئلوا ما لهم من علا اشاروا الى اعظم ناخره

ومن ذلك انتحال اولاد مشايخ الزوايا الصوفية باباتهم واحترام الناس لهم بذلك
وتعظيمهم لهم وان كان الاولاد بخلاف الاباء في الدين والصلاح وقرا الجمهور

ان بكسر الهمزة وابن عباس بفتحها وكان قرأ لتعرفوا مضارع عرف فاحتمل ان تكون
ان معمولة لتعرفوا وتكون اللام في لتعرفوا لام الامر وهو اجود من حيث المعنى واما
ان كان لام كي فلا يظهر المعنى ان جعلهم شعوبا وقبائل لان تعرفوا ان الاكرم
هو الاتقى فان جعلت مفعول لتعرفوا محذوفا اي لتعرفوا الحق لان اكرمكم عند الله
اتقاكم ساغ في لام لتعارفوا ان تكون لام كي قالت الاعراب آمنا قال مجاهد
نزلت في بني اسد بن خزيمة قبيلة تجاور المدينة اظهروا الاسلام وقلوبهم دغلة انما
يحبون المغانم وعرض الدنيا وقيل في مزينة وجهينة واسلم واشجع وغفار قالوا آمنا
فاستحققنا الكرامة فرد الله عليهم بقوله قل لم تؤمنوا اكذبهم الله في دعوى
الايمان ولم يصرح باكذابهم بلفظه بل بما دل عليه من انتفاء ايمانهم وهو في الاعراب
مخصوص فقد قال تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر الآية ولكن
قولوا اسلمنا فهو اللفظ الصادق من قولكم وهو الاستسلام والانقياد ظاهرا
ولم يواطئ افواهكم ما في قلوبكم فلذلك قال ولما يدخل الايمان في قلوبكم وجاء النفي بلما
الدالة على انتفاء الشيء الى زمان الاخبار وبين ان قوله لم تؤمنوا المراد به انتفاء
الايمان في الزمن الماضي بل متصلا بزمان الاخبار ايضا لانك اذا نفيت بلم جاز ان
يكون النفي قد انقطع ولذلك يجوز ان تقول لم يقم زيد وقد قام وجاز ان يكون النفي
متصلا بزمن الاخبار فاذا كان متصلا بزمن الاخبار لم يجز ان تقول وقد قام
لكذب الخبرين واما لما فانها تدل على نفي الشيء متصلا بزمان الاخبار ولذلك يمتنع
لما يقم زيد وقد قام للتكاذب والظاهر ان قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم ليس له
تعلق بما قبله من جهة الاعراب وقال الزمخشري فان قلت هو بعد قوله قل لم تؤمنوا
يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة قلت ليس كذلك فان
فائدة قوله لم تؤمنوا هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت
لما امروا به ان يقولوه كانه قيل لهم ولكن قولوا اسلمنا حين لم تثبت مواطاة قلوبكم
لالسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قوله قولوا انتهى والذي يظهر
انهم امروا ان يقولوا قولوا اسلمنا غير مقيد بحال وانه ولما يدخل الايمان اخبار
عن حالهم في قلوبهم وقال الزمخشري وما في لما من معنى التوقع دال على ان هؤلاء قد آمنوا

فيما

فيما بعد انتهى ولا ادري من اي وجه يكون ما بعد لما متوقعا وانما معنى ما كان منفيا بها متصل
بزمن الاخبار ولا يدل على ما ذكر وهي جواب لقد فعل وهب ان قد تدل على توقع الفعل
فاذا نفي ما دل على التوقع فكيف يتوهم انه يقع بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالايمان
والاعمال وهذا فتح لباب التوبة وقرأ الجمهور لا يلتكم من لات يليت وهي لغة الحجاز والحسن
والاعرج وابو عمرو لا يألتكم من ألت وهي لغة غطفان واسد ثم لم يرتابوا ثم يقتضي التراخي
واسقاط الريب يجب ان يقارن الايمان فقيل هي من ترتيب الكلام لا من ترتيب الزمان
ثم اوثق لم يرتابوا وقد يحصل الايمان ثم يعرضه باسم الاخلاص فمعنى ذلك تحصل التراخي
او اريد انتفاء الريبة في الازمان المتراخية المتطاولة فحاله قريب كحاله في الزمان الاول
الذي آمن فيه اولئك هم الصادقون اي في قولهم آمنا حيث طابقت السنتهم عقائدهم
وظهرت ثمرة ذلك عليهم بالجهاد بالنفس والمال في سبيل الله يشمل جميع الطاعات
البدنية والمالية وليسوا كاعراب بني اسد في قولهم آمنا وهم كاذبون في ذلك قل
اتعلمون الله بدينكم هي منقولة من علمت به اي شعرت به ولذلك تعدت الى واحد
بنفسها والى الآخر بحرف الجر لما نقلت بالتضعيف وفي ذلك تجهيل لهم حيث ظنوا
ان ذلك يخفى على الله تعالى ثم احاط علمه بما في السموات والارض ويقال من عليه بيد
اسداها اليه اي انعم عليه والمنة النعمة التي لا يطلب لها ثواب ثم يقال من عليه صنعه
اذا اعتده عليه منة وانعاما اي يعتدون عليك ان اسلموا فان اسلموا في موضع المفعول
ولذلك تعدى اليه في قوله قل لا تمنوا على اسلامكم ويجوز ان يكون اسلموا مفعولا من
اجله اي يتفضلون عليك باسلامهم ان هداكم للايمان بزعمكم وتعليق الهداية
بشرط الصدق يدل على انهم ليسوا مؤمنين اذ قد بين تعالى كذبهم في قولهم آمنا
بقوله قل لم تؤمنوا وقرأ عبد الله وزيد بن علي اذ هداكم جعلوا اذ مكان ان وكلاهما
تعليل وجواب الشرط محذوف اي ان كنتم صادقين فلله المنة عليكم وقرأ ابن كثير
وابان عن عاصم يعملون بياء الغيبة وقرأ الجمهور بتاء الخطاب سورة والنخل باسقات
طالت قال

لنا خمر وليست خمر كرم ولكن من نتاج الباسقات
كرام في السماء ذهبن طولا وفات ثمارها ايدي الجناة

وسيق ثلاث على اصحابه ان تاغي ومنه قول ابن نوفل في ابن هبيرة

يا ابن الذين بمجدهم بسقت على قيس فزاره

ويقال بسقت الشاة ولدت وانسقت الناقة وقع في ضرعها اللبا قبل النتاج فهي
مبسق ونوق مباسيق الورد عرق في صفحة العنق يقال انهما وريدان
عن يمين وشمال وقال الفراء هو ما بين الحلقوم والعلباوين وقال الاثرم هو نهر الجسد
هو في القلب الوتين وفي الظهر الابهر وفي الذراع والفخذ الاكحل والنسا وفي
الخنصر الاسلم وقال الزمخشري والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها
متصلان بالوتين يردان من الراس اليه سمي وريدا لان الروح ترده وقال

كان وريديه رشاء خلب

حاد عن الشيء مال عنه حيودا وحيدا وحيدودة

بسم الله الرحمن الرحيم ق

والقران المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ااذا متنا
وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ بل
كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها
وما لها من فروج والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج
تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد
والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك
الخروج كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط
واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد هذه السورة
مكية وقال ابن عطية باجماع من المتاولين وفي التحرير قال ابن عباس وقتادة مكية الا اية
وهي قوله ولقد خلقنا السموات والارض الاية ومناسبتها لاخر ما قبلها انه تعالى
اخبر ان اولئك الذين قالوا امنا لم يكن ايمانهم حقا وانتفا ايمانهم على انكار نبوة الرسول
فقال بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم وعدم الايمان ايضا يدل على انكار البعث فلذلك
اعقبه به ق حرف هجاء وقد اختلف المفسرون في مدلوله على احد عشر قولا متعارضة
لا دليل على صحة شيء منها فاطرحت نقلها في كتابي والقران مقسم به والمجيد صفته وهو

الشريف

الشريف على غيره من الكتب والجواب محذوف يدل عليه ما بعده وتقديره انك جئتهم
منذرا بالبعث فلم يقبلوا بل وقيل ما ردوا امرك بحجة وقال الاخفش قد علمنا ما
تنقص الارض منهم وعن ابن كيسان والاخفش ايضا ما يلفظ من قول وعن نحاة الكوفة
بل عجبوا والمعنى لقد عجبوا وقيل ان في ذلك لذكرى وهو اختيار محمد بن علي الترمذي
وقيل ما يبدل القول لدي وهذه كلها اقوال ضعيفة وقرا الجمهور قاف بسكون الفاء
وفتحها عيسى وكسرها الحسن وابن ابي اسحق وابو السمال وبالضم هرون وابن السميفع
وبالضم الحسن ايضا فيما نقل ابن خالويه والاصل في حروف المعجم اذا لم يركب عاملا ان
تكون موقوفة فمن فتح قاف عدل الى اخف الحركات ومن كسر فعلى اصل التقاء الساكنين
ومن ضم فكما في قط ومنذ وحيث بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب
وهو ان ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا صدقه وامانته ونصحه وكان المناسب
ان لا يعجبوا وهذا مع اعترافهم بقدرة الله تعالى فاي بعد في ان يبعث من يخوف وينذر
بما يكون في المال من البعث والجزاء والضمير في بل عجبوا عائد على الكفار ويكون قوله
فقال الكافرون تنبيها على العلة الموجبة للعجب وهو انهم قد جبلوا على الكفر فلذلك
عجبوا او يكون الضمير عائدا على الناس قيل لما كان مسطور يحي من بعثه ليس
رسولا من الله لكن من موقن نظر فاهتدى وامن ومن جاحد لجحد وكفر وجاحد
هذا التعجب والاشارة بقولهم هذا شيء عجيب الظاهر انها الى مجيء منذر من البشر
وقيل الى ما تضمنه الانذار وهو الاخبار بالبعث وقال الزمخشري وهذا اشارة
الى الرجع انتهى وفيه بعد وقرا الجمهور ائذا بالاستفهام وهم على اصولهم في تحقيق الثانية
وتسهيلها والفصل بينهما وقرا الاعرج وشيبة وابو جعفر وابن وثاب والاعمش
وابن عتبة عن ابن عامر اذا بهمزة واحدة على صورة الخبر فجاز ان يكون استفهاما
حذفت منه الهمزة وجاز ان يكونوا عدلوا الى الخبر واضمر جواب اذا اي اذا
متنا وكنا ترابا رجعنا واجاز صاحب اللوامح ان يكون الجواب ذلك رجع بعيد
على تقدير حذف الفاء وقد اجاز بعضهم ذلك في جواب الشرط اذا كان جملة اسمية
وقصره اصحابنا على الشعر في الضرورة واما في قراءة الاستفهام فالظرف منصوب
بمضمر اي انبعث اذا متنا والنبأ الاشارة بقوله ذلك الى البعث رجع بعيد اي

مستبعد في الاوهام والفكر. قال الزمخشري واذا منصوب بمضمر معناه حين نموت
ونبلى نرجع انتهى. واحسن من قول ابن جني ويحتمل ان يكون المعنى اذا متنا بعد
رجعنا بدل رجع بعيد على هذا العقل وكل محل الجواب لقولهم اذا. وقال الزمخشري
ويجوز ان يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى
استبعادا لانكارهم ما انذروا به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن
فان قلت فما ناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع قلت
ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث انتهى. وكون ذلك رجع بعيد بمعنى مرجوع
وانه من كلام الله لا من كلامهم على ما شرحه مفهوم عجيب ينبو عن ادراك فهم
العرب قد علمنا ما تنقص الارض منهم اي من لحومهم وعظامهم واشعارهم قاله ابن عباس
ومجاهد والجمهور. وهذا فيه رد لاستبعادهم الرجع لان من كان عالما بذلك كان
قادرا على رجعهم. وقال السدي اي ما يحصل في بطن الارض من موتاهم. وهذا يتضمن
الوعيد وعندنا كتاب حفيظ اي حافظ لما فيه جامع لا يفوت منه شيء او محفوظ
من البلى والتغير. وقيل هو عبارة عن العلم والاحصاء. وفي الخبر الثابت ان الارض
تاكل ابن ادم الا عجب الذنب وهو عظم كالخردلة فمنه يركب ابن ادم بل كذبوا
بالحق لما جاءهم وقد رد وقبل هذا الاضراب جملة تكون مضرب عنها اي ما اجادوا
النظر بل كذبوا. وقيل لم يكذب المنذر بل كذبوا والغالب ان الاضراب يكون
بعد جملة منفية. وقال الزمخشري بل كذبوا اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة
على انهم جاءوا بما هو افظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة
بالمعجزات انتهى. وكان هذا الاضراب الثاني بدل من الاول وكلاهما
بعد ذلك الجواب الذي قدرناه جوابا للقسم فلا يكون قبل بل الا ما يقدر
من قولهم ما اجادوا النظر بل كذبوا بالحق. والحق القران او البعث او الرسول او
الاسلام اقوال. وقرا الجمهور لما جاءهم اي لم يفكروا فيه بل باول ما جاءهم كذبوا. والجحدري
لما بكسر اللام وتخفيف الميم وما مصدرية واللام لام الجر كهي في قولهم كتبته
لخمس خلون اي عند مجيئهم اياه فهم في امر مريج. قال الضحاك وابن زيد مختلط مرة ساحر
ومرة شاعر ومرة كاهن. وقال قتادة مختلف. وقال الحسن ملتبس. وقال ابو هريرة

فانشد

فاسد ومن حنا ما مات الباس فتسوت ومرج الدين اختلط. وقال ابو واقد
ومرج الدين فاعددت له مشرف الحارك محبوك الكتد
وقال ابن عباس المريج الامر المنكر وعنه ايضا مختلط. وقال الشاعر
فجالت والتمست به حشاها فخر كانه خوط مريج
والاصل فيه الاضطراب والقلق. مرج الخاتم في اصبعي اذا قلق من الهزال. ويجوز ان يكون
الامر المريج باعتبار انتقال افكارهم فيما جاء به المنذر فاولا عدم قبولهم اول الامر ثانيا
التعجب منهم ثم استبعاد البعث الذي انذر به ثم التكذيب لما جاء به. افلم ينظروا حين
كفروا بالبعث وبما جاء به الرسول الى اثار قدرة الله في العالم العلوي والسفلي كيف
بنيناها من غير عمد ترونها بالنيرين والنجوم وما لها من فروج اي من فتوق
بل هي سليمة من كل خلل والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي اي جبالا ثوابت
تمنعها من التكفؤ من كل زوج اي نوع بهيج اي حسن المنظر بهيج اي يسر
من نظر اليه. وقرا الجمهور تبصرة وذكرى بالنصب وهما منصوبان بفعل مضمر
من لفظهما اي بصر وذكر. وقيل مفعول من اجله. وقرا زيد بن علي تبصرة بالرفع وذكرى
معطوف عليه اي ذلك الخلق على ذلك الوصف تبصرة والمعنى يبصر بذلك ويتذكر
كل عبد منيب اي راجع الى ربه مفكر في بدائع صنعه ماء مباركا اي كثير المنفعة
وحب الحصيد اي الحب الحصيد وهو من اضافة الموصوف الى صفته كما يقوله الكوفيون
والحصيد كل ما يحصد مما له حب كالبر والشعير باسقات اي طوالا في العلو وهو
منصوب على الحال وهي حال مقدرة لانها حالة الانبات لم تكن طوالا وباسقات
جمع والنخل اسم جنس فيجوز ان يذكر نحو قوله كالنخل منقعر وان يؤنث كقوله
نخل خاوية وان يجمع باعتبار افراده ومنه باسقات وقوله وينشئ السحاب الثقال
والجمهور باسقات بالسين. وروى قطبة بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قرا باصقات بالصاد وهي لغة لبني العنبر يبدلون من السين صادا اذا وليها
او فصل بحرف او حرفين خاء او عين او قاف او طاء لها طلع تقدم شرحه في سورة
الانعام قنوان دانية نضيد اي منضود بعضه فوق بعض يريد كثرة الطلع
وتراكمه او كثرة ما فيه من الثمر. واول ظهور الثمر في الكفرى هو ابيض منضد بحب

الريان فادام ملتصقا بعضه ببعض فهو نضيد فاذا خرج من اكمامه فليس
بنضيد ورزقا نصبه على المصدر لان معنى وانبتنا رزقنا او على انه مفعول له
وقرا الجمهور ميتا بالتخفيف وابو جعفر وخالد بالتثقيل والاشارة في كذلك الى
الاحيا اي الخروج من الارض احيا بعد موتكم ذلك الخروج للبلدة الميت وهذه كلها امثلة
وادلة على البعث وذكر تعالى في السما ثلاثة البنا والتزيين ونفي الفروج وفي الارض
ثلاثة المد والقا الرواسي والانبات فقابل المد بالبنا لان المد وضع والبنا رفع والقا
الرواسي بالتزيين بالكواكب لان مكان كل واحد منهما والانبات المترتب على ما
يقطف كل سنة ويبقى اصله وما يزرع كل سنة او سنتين ويقطف كل سنة
وعلى ما اختلط من جنسين بعض الثمار فانه كالاقوات ولكن الزرع قوته والثمر مأكله
وقوته ولما ذكر قوله بل كذبوا بالحق لما جاءهم ذكر من كذب الانبيا تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على مفردات هذه الاية وتقدم ذكرها
وقرا ابو جعفر وشيبة وطلحة ونافع الايكة بلام التعريف والجمهور ليكة كل كذب
الرسل اي كلهم اي جميعهم كذب وحمل على لفظ كل فافرد الضمير في كذب وقال
الزمخشري يجوز ان يراد به كل واحد منهم والتنوين في كل تنوين عوض من
المضاف اليه المحذوف واجاز محمد بن الوليد وهو من قدما نحاة مصر ان يحذف
التنوين من كل جعله غاية ويبنى على الضم كما بني قبل وبعد فاجاز كل منطلق
بضم اللام دون تنوين ورد ذلك عليه الاخفش الصغير وهو علي بن سليمان
فحق وعيد اي وجب تعذيب الامم المكذبة واهلاكهم وفي ذلك تسلية للرسول وتهديد
لقريش ومن كذب الرسول افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس
من خلق جديد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من
حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ في الصور
ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ن افعيينا بالخلق الاول
هو انشا الانسان من نطفة على التدريج وتقدم تفسير عيي في قوله ولم يعي بخلقهن
وقرا الجمهور افعيينا بيا مكسورة بعدها يا ساكنة ماضي عيي وقرا ابن ابي

عبلة

عبلة والوليد بن مسلم والقورصي عن ابي جعفر والسمسار عن شيبة وابو بحر
عن نافع بتشديد اليا من غير اشباع في الثانية فهكذا قال ابو الفضل الرازي في
كتاب اللوامح وقال ابن خالويه في شواذ القرات افعينا بتشديد اليا
ابن ابي عبلة وفكرت في توجيه هذه القراة اذ لم يذكر احد توجيهها فخرجتها
على لغة من ادغم اليا في اليا في الماضي فقال عي في عيي وحي في حيي فلما ادغم الحقه
ضمير المتكلم المعظم نفسه ولم يفك الادغام فقال عينا وهي لغة لبعض بكر بن
وايل يقولون في رددت ورددنا ردت وردنا فلا يفكون وهذه اللغة تكون
اليا المشددة مفتوحة فلو كان ضمير نصب فاجمعت العرب على الادغام نحو
ردنا زيد وقال الحسن الخلق الاول ادم والمعنى اعجزنا عن الخلق الاول فنعجز عن
الخلق الثاني وهذا توقيف للكفار وتوبيخ واقامة الحجة الواضحة عليهم بل هم
في لبس اي خلط وشبهة وحيرة ومنه قول علي يا حار انه لملبوس عليك اعرف الحق
تعرف اهله من خلق جديد اي من البعث من القبور ولقد خلقنا الانسان هذه
ايات فيها اقامة حجج على الكفار في انكارهم البعث والانسان اسم جنس وقيل
ادم ونحن اقرب اليه علم به وباحواله لا يخفى عليه شي من خفياته فكان ذاته قريبة
منه كما يقال الله في كل مكان اي بعلمه وهو منزه عن الامكنة وحبل الوريد مثل
في فرط القرب كقول العرب هو مني مقعد القابلة ومقعد الازار وقال ذو الرمة
والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق شبه بواحد الحبال واضافته
الى الوريد للبيان كقولهم بعير سانية او يراد حبل العاتق فيضاف الى الوريد
كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد والعامل في اذ اقرب وقيل
اذكر وقال الحسن يقدر اذ كلا انه اخبر خبرا مجردا بالخلق والعلم بخطرات
الانفس والقرب بالقدرة والملك فلما تم الايجاد اخبر بذكر الاحوال التي تصدق
هذا الخبر وتعلن وروده عند السامع فمنها اذ يتلقى المتلقيان ومنها مجي سكرة
الموت ومنها النفخ في الصور ومنها مجي كل نفس معها سائق وشهيد والمتلقيان
الملكان الموكلان بكل انسان ملك اليمين يكتب الحسنات وملك الشمال يكتب
السيئات وقال الحسن الحفظة اربعة اثنان بالنهار واثنان بالليل وقعيد مفرد

فاحتمل ان يكون معناه مقاعد كما يقول جليس وحليط اى مجالس ومخالط وان يكون
عدل من فاعل الى فعيل للمبالغة كعليم قال الكوفيون مفرد اقيم مقام اثنين والاجود
ان يكون حذف من الاول لدلالة الثانى عليه اى عن اليمين قعيد كما قال الشاعر

رمانى بامر كنت منه ووالدى بريا ومن اجل الطوى رمانى

على احسن الوجهين به اى كنت منه بريا ووالدى بريا ومذهب المبرد ان التقدير
عن اليمين قعيد وعن الشمال قاعد فعيد عن موضعه ومذهب الفرا ان لفظ قعيد
يدل على الاثنين والجمع فلا يحتاج الى تقدير وقرا الجمهور ما يلفظ بكسر الفاء ومحمد
ابن معدان بفتحها والظاهر ما يلفظ من قول العموم قال مجاهد وابو الجوزا يكتب عليه
كل شى حتى انينه فى مرضه وقال الحسن وقتادة يكتبان جميع الكلام فيثبت
الله من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غير ذلك وقيل هو مخصوص اى من قول
خير او شر قال معناه عكرمة وما خرج عن هذا لا يكتب واختلفوا فى تعيين محل قعود
الملكين ولا يصح فيه شى رقيب ملك يرقب عتيد حاضر واذا كان على اللفظ
رقيب عتيد فاحرى على العمل والظاهر ان ذلك للحسن فاذا مات طويت صحيفته وقيل له يوم
القيامة اقرا كتابك وجاءت سكرة الموت هو معطوف على اذ يتلقى وسكرة الموت
ما يعترى الانسان عند نزاعه والباء فى بالحق باء التعدية اى جاءت سكرة الموت
الحق وهو الامر الذى انطق الله به كتبه وبعث به رسله من سعادة الميت
وشقاوته او للحال اى ملتبسة بالحق وقرا ابن مسعود سكرات جمعا ذلك ما
كنت منه تحيد اى تميل تقول اعيش كذا واعيش كذا فمتى فكر فى قرب الموت
حاد بذهنه عنه وامله الى مسافة بعيدة من الزمن ومن الحيد الحذر من الموت
وظاهر تحيد انه خطاب للانسان الذى جاءته سكرة الموت وقال الزمخشرى
الخطاب للفاجر تحيد تنفر وتهرب ذلك يوم الوعيد هو على حذف اى وقت
ذلك يوم الوعيد والاشارة الى مصدر نفخ واضاف اليوم الى الوعيد وان
كان يوم الوعيد والوعد معا على تشديد التخويف وقرا الجمهور معها وطلحة بالحا
مشدده ادغم العين فى الها فانقلبتا حاء كما قالوا ذهب محم يريد معهم وسائق جاءت على
التشديد وشهيد يشهد عليه قال عثمان بن عفان ومجاهد وغيره ملكان موكلان

بكل انسان احدهما يسوقه والاخر من حفظته يشهد عليه وقال ابو هريرة السائق
ملك والشهيد العمل وقيل الشهيد الكاتب الذى يلقاه منشورا والظاهر ان قوله
سائق وشهيد اسما جنس فالسائق ملائكة موكلون بذلك والشهيد الحفظة وكل من
يشهد وقال ابن عباس والضحاك السائق ملك والشهيد جوارح الانسان قال ابن
عطية وهذا بعيد عن ابن عباس لان الجوارح انما تشهد بالمعاصى وقوله كل نفس
تعم الصالحين فانما معناه وشهيد بخيره وشره ويقوى فى شهيد اسم الجنس فيشهد
بالخير الملائكة والبقاع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا يسمع مدى صوت المؤذن انس ولا
جن ولا شى الا شهد له يوم القيامة وقال ابو هريرة السائق ملك والشهيد العمل
وقال ابو مسلم السائق شيطان وهو قول ضعيف انتهى وقال الزمخشرى ملكان
احدهما يسوقه الى المحشر والاخر يشهد عليه بعمله او ملك واحد جامع بين الامرين كانه
قيل معها ملك يسوقه ويشهد عليه ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه
بالاضافة الى ما هو فى حكم المعرفة انتهى ولا ضرورة تدعو الى الحال بل الجملة فى موضع
الصفة لكل ان قيل مثلا سائق وشهيد مبتدا وخبر او الاستقرار فاعل بالظرف
قبله لانه قد اعتمد فالظرف فى موضع الصفة واما قوله لتعرفه بالاضافة الى ما هو فى
حكم المعرفة فكلام ساقط لا يصدر عن مبتدى فى النحو لانه لو نعت كل نفس ما نعت
الا بالنكرة فهو نكرة على كل حال ولا يتعرف كل وهو مضاف الى نكرة لقد
كنت فى غفلة من هذا عنك غطاءك منصوب اليوم حديد وقال ابن عباس هو اما ليكن
عنيت الغفلة فى جهنم على كفار عنى ساع الخبر بعيد ربيب الذى جعل من الله الها
آخر فالقياه فى العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد
قال لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد
يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا
ما توعدون لكل اواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها
بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد قرا الجمهور لقد كنت بفتح التا
والجحدرى بكسرها على مخاطبة النفس وقرا الجمهور عنك غطاءك فبصرك بفتح الكاف فى الثلاثة
على مخاطبة النفس وبالنصب لتقدم ذكرها وللعائد عليها فى قوله معها وقرا الجحدرى

وللحمه بكسرها ولم يفعل الكسرة الكاف اللوامح الا عن طلحه وحده قال صاحب اللوامح
ولم اجد عنه في فتحه الكسر فان كسر فان الجميع شرع واحد وان فتح لقد
كنت فحمله على كل لانه مذكر ويكون يا نسكن في هذا الباب لاضافته الى نفس
وهو مؤنث وان كان كذلك فانه حمل بعضه على اللفظ وبعضه على المعنى مثل قوله
فله اجره ثم قال ولا خوف عليهم انتهى قال ابن عباس وصالح بن كيسان والضحاك يقال
للكافر الغافل من ذوي المفسد الذي معه السائق والشهيد اذا حصل بين يدي
الرحمن وعاين الحقائق التي لا يصدق بها في الدنيا ويتغافل عن النظر فيها لقد كنت
في غفلة من هذا اي من عاقبة الكفر فلما كشف الغطا عنك احتد بصرك وهذا كما يقول
ملك بن جرير النفس وقال مجاهد هو نصر العين اي احتدا لعاينه الى ميزانه وغير
ذلك من اهوال القيامه وعن زيد بن اسلم قول في هذه الايه يحرم نطقه وهو في كتاب
ابن عطيه وكني بالغطا عن الغفلة كانها غطت جميعه او عينيه فهو لا يبصر
اذا كان يوم القيامه زالت عنه الغفلة فابصر ما كان لم يبصر من الحق وقال
قرينه اي من زبانيه جهنم هذا العذاب الذي لدي هذا الكافر عتيد حاضر وقال الحسن
هذا القول طلاق ما لا يعقل وقال لقمان وابن زيد قرينه الملك الموكل بسوقه
اي هذا الكافر الذي اسوقه لدي حاضر وقال الزهراوي وقيل قرينه شيطانه
وهذا ضعيف وانما وقع فيه ان القرين في قوله ربنا ما اطغيته هو شيطانه
في الدنيا ومغويه بلا خلاف وفي لفظ القرين اسم جنس فسائقه قرين وصاحبه
من الزبانية قرين ومماشي الانسان في طريقه قرين وقيل قرينه هنا عمله قلبا وجوارحه
وقال الزمخشري وقال قرينه الشيطان الذي قيض له في قوله نقيض له
شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته هذا ما لدي
عتيد هذا شي لدي وفي ملكتي عتيد لجهنم والمعنى ان ملكا يسوقه واخر يشهد عليه
وشيطانا مقرونا به يقول قد اعتدته لجهنم وهيأته لها باغوايي واضلالي
انتهى وهذا قول مجاهد وقال الحسن وقتادة ايضا الملك الشهيد عليه وقال
الحسن ايضا هو كاتب سيئاته وما نكره موصوفه بالظرف وعتيد او موصوله
والظرف صلتها وعتيد قال الزمخشري بدل او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف

انتهى وقرا الجمهور عتيد بالرفع وعبد الله بالنصب على الحال والاول اذ دال ان يكون
ما موصوله القيا في جهنم الخطاب من الله للملكين السائق والشهيد وقيل للملك
من ملكة العذاب فقال هذا الالف من الاثنين قاله مجاهد وجماعة وهو قول اما
الشافعيه اما الذي يقولون الزبانيه على انه خطاب للواحد وقال المبرد معناه
الق الق وثني وقال الفرا هو من خطاب الواحد بخطاب الاثنين وقيل الالف
بدل من النون الخفيفه اجرى الوصل مجرى الوقف وهذه اقوال مرغوب عنها ولا
ضرورة تدعوا الى الخروج عن ظاهر اللفظ لقول مجاهد وقرا الحسن القين بنون
التوكيد الخفيفه وهي شاذه مخالفه لنقل التواتر بالالف وكل كفار مبالغه
اي كفر النعمه والمنعم عنيد قال قتادة منحرف عن الطاعه وقال الحسن جاحد متمرد
وقال السدي المشاق من العناد ويقولون عرضه الحلو وقال بن بحر المعجب
بما عنده مناع للخير قال قتادة ومجاهد وعكرمه يعني الزكاه وقيل بخيل وقيل مناع لبنيه
اخيه من الايمان كالوليد بن المغيره كان يقول لهم من دخل منكم فيه لم انفعه
بشي ما عشت والاحسن عموم الخير المال وغيره مريب قال الحسن شاك في الله
او في البعث وقيل متهم الذي يجوز فيه ان يكون منصوبا بدلا من كل كفار
وان يكون مجرورا بدلا من كفار وان يكون مرفوعا بالابتدا مضمنا معنى الشرط
ولذلك دخلت الفاء في خبره وهو فالقياه والظاهر تعلقه بما قبله على جهة البدل
ويكون فالقياه توكيدا وقال ابن عطيه ويجوز ان يكون صفه من حيث يختص
كفار بالاوصاف المذكوره فجاز وصفه بهذه المعرفه قال قرينه لم يأت
هذه الجمله بالواو بخلاف وقال قرينه قبله لان هذه استونفت كما تستانف
الجمل في حكاية التقاول كما في مقاولة موسى وفرعون فجرت مقاوله بين الكافر وقرينه
فكان الكافر قال رب هو اطغاني وقال قرينه ربنا ما اطغيته واما وقال
قرينه فعطف للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول اعني مجي
كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له ومعنى ما اطغيته تبريه لنفسه
من انه اطغاه ولكن كان في ضلال بعيد اي من نفسه لا مني فهو الذي
استحب العمى على الهدى كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم

فاستحيل لي في كذب الزنديق فقد اطغاه بوسوسته وتزيينه قال لا تختصموا لدي
استئناف ايضا مثل قال قرينه كان قائلا قال فما قال الله فقيل قال لا تختصموا لدي اي في
دار الجزاء وموقف الحساب وقد قدمت اليكم بالوعيد لمن عصاني فلم ابق لكم حجة
ما يبدل القول لدي اي عندي فما امضيته لا يمكن تبديله قال الفراء ما يكذب لدي
لعلمي بجميع الامور وقدمت يجوز ان يكون بمعنى تقدمت اي وقد تقدم قولي لكم ملتبسا
بالوعيد او تكون قدم المتعدية بالوعيد هو المفعول والباء زائدة والتقدم كان
في الدنيا ونهيهم عن الاختصام في الاخرة واختلف الزمانان فلا تكون الجملة من قوله
وقد قدمت حالا الا على تاويل اي وقد صح عندكم اني قدمت وصحة ذلك في الاخرة
فان قيل فان النهي على الاختصام وصحة التقدم بالحال على هذا التاويل مقارنة
وما انا بظلام للعبيد تقدم شرح مثله في اواخر آل عمران والمعنى لا اعذب من لا يستحق
العذاب وقرا يوم نافع والاعرج وشيبة ونافع وابو بكر والحسن وابو رجاء وابو
جعفر والاعمش في رواية الشنبوذي بالنون وعبد الله والحسن والاعمش ايضا يقال
مبنيا للمفعول وانتصاب يوم بظلام او باذكر مضمرا او بانذر لانه قال الزمخشري
ويجوز ان ينتصب بنفخ كانه قيل ونفخ في الصور يوم يقول وعلى هذا يشار بذلك
الى يوم القيامة انتهى وهذا بعيد جدا قد فصل على هذا القول بين العامل والمعمول
بجمل كثيرة فلا ينبغي هذا القول وصاحب الكتاب يتنزه عنه وهل امتلات
تقرير وتوقيف لا سؤال استفهام حقيقة لانه تعالى عالم باحوال جهنم قيل وهذا
السؤال والجواب منها حقيقة وقيل هو على حذف مضاف اي يقول لخزنة جهنم
قاله الرماني وقيل السؤال والجواب من باب التصوير الذي يثبت المعنى اي
حالها حال من لو نطق بالجواب لسائله لقال كذا وهذا القول يظهر انها اذ ذاك
لم تكن ملأى فقولها هل من مزيد سؤال الزيادة في الزيادة والاستكثار من الداخلين فيها
منها وقال الحسن وعمرو وواصل كانت ملأى في وقت السؤال فكانه نزلا على امتلائها
وقولها هل من مزيد معناه النفي اي ما من مزيد لامتلائها كما جاء في الحديث وهل
ترك لنا عقيل من دار اي ما ترك والمزيد يحتمل ان يكون مصدرا او اسم مفعول
بعيدا ما كانا غير بعيد وهو تاكيد لازلفت رفع مجازات القرب بالوعد والاخبار

فانتصاب

فانتصاب غير على الظرف صفة قامت مقام مكانا غير بعيد باعرابه واجاز الزمخشري
ان ينتصب غير بعيد على الحال من الجنة قال وتذكيره لانه على زنة
المصدر الزئير والصليل والصادر يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث
انتهى وكونه على وزن المصدر لا يسوغ ان يكون المذكر صفة للمؤنث وقال
الزمخشري ايضا او على حذف الموصوف اي شيئا غير بعيد انتهى وكانه يعني ازلافا
غير بعيد هذا اشارة الى الثواب وقرا الجمهور ما توعدون خطابا للمؤمنين وابن
كثير وابو عمرو بالياء اي هذا هو الذي وقع الوعد به وهي جملة اعتراضية
بين المبدل منه والبدل ولكل اواب هو البدل من للمتقين من خشي بدل بعد
بدل تابع لكل قاله الزمخشري وانما جعله تابعا لكل لا بدلا من المتقين لانه لا
يتكرر الابدال من مبدل منه واحد قال ويجوز ان يكون بدلا عن موصوف اواب
وحفيظ انتهى يريد ان يكون التقدير لكل شخص اواب حفيظ قال ولا يجوز ان
يكون في حكم اواب لان من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذي
انتهى يعني بقوله في حكم اواب ان يجعل من صفة وهذا حكم صحيح واما قوله ولا يوصف
من بين الموصولات الا بالذي فالحصر فيه ليس بصحيح وقد وصفت العرب بالذي
الذي هو موصول نحو القائم والمضروب ووصفت بذو الطائية وذات في المؤنث
ومن كلامهم بالفضل ذو فضلكم والكرامة ذات اكرمكم ولا يريد الزمخشري خصوصية
الذي بل فروعه من المؤنث والمثنى والمجموع على اختلاف لغات ذلك ويجوز
ان يكون من موصولة مبتدأ خبره القول المحذوف بعد من تقديره يقال لهم ادخلوها
لان من معناه الجمع وان يكون شرطية والجواب الفعل المحذوف اي فيقال
وان يكون شرطية والجواب الفعل المحذوف اي فيقال وان يكون منادى
كقولهم من لا يزال محسنا احسن الي وحذف حرف النداء قال ابن عطية ويحتمل
ان يكون من نعتا انتهى وهذا لا يجوز لان من لا ينعت بها وبالغيب حال من المفعول
اي وهو غائب عنه وانما ادركه بالعلم الضروري اذ كل مصنوع لا بد له من صانع
واجيز ان يكون صفة لمصدر خشي اي خشيه ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه
وهو غائب او خشيه بسبب الغيب الذي اوعده به من عذابه وقيل في الخلوة

لا بواه احد سلوكها لا ان الفاعل وقرن بالخشية الرحمن ثناء على الخاشي حسنه علمه
انه واسع الرحمة ومع ذلك يخشاه ادخلوها بسلام اي سالمين من العذاب
او مسلما عليكم من الله وملائكته ذلك يوم الخلود اي يوم تقدير الخلود لقوله
فادخلوها خالدين اي مقدرين الخلود وهو معادل لقوله في الكفار ذلك
يوم الوعيد لهم ما يشاوون فيها اي ما تعلقت به مشيئاتهم من انواع الملاذ
والكرامات كقوله ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولدينا مزيد زيادة او شيء مزيد
على ما يشاوون يكون فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وكما في الحديث
اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
مما اطلعتهم عليه وبين يديهم فعلى هذا ضاعف الحسنة بعشر امثالها وقيل امثال
ازواج من حور الجنة وقيل تجلى الله تعالى لهم حتى يرونه **وكم اهلكنا قبلهم**
من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص ان في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع
الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود واستمع يوم يناد المناد
من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن نحيي ونميت
والينا المصير يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير نحن اعلم بما يقولون
وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد اي كثيرا اهلكنا قبلهم
من القرون هم اشد منهم بطشا لكثرة قوتهم واموالهم وقرا الجمهور فنقبوا بفتح
القاف مشددة والظاهر ان الضمير في فنقبوا عائد على كم اي دخلوا البلاد
من انقابها والمعنى طوفوا في البلاد وقيل نقروا وركبوا السعب السفر والبحث
قال امرؤ القيس في معنى التطواف

وقد نقبت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب ٤٥

وروي وقد طوفت وقال الحرث بن حلزة ٤٥

نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الارض كل مجال
وسعوا فيستعن سبل بطشهم من التى ابدانهم على التعب ومؤنتهم عليه

وتجوز

ويجوز ان يعود الضمير في فنقبوا على قريش اي فنقبوا في اسفارهم في بلاد القرون
فهل راوا محيصا حتى يؤملوه لانفسهم ويدل على عود الضمير على اهل مكة قراءة ابن
عباس وابن يعمر وابي العالية ونصر بن سيار وابي حيوة والاصمعي عن ابي
عمرو بكسر القاف مشددة على الامر لاهل مكة اي فسيحوا في البلاد وابحثوا
وقرا ابن عباس ايضا وعبيد عن ابي عمرو بفتح القاف مخففة وهي كالمشددة
وقرئ بكسر القاف خفيفة اي نقبت اقدامهم او اخفاف ابلهم او حفيت لكثرة
تطوافهم في البلاد من نقب خف البعير اذا انتقب ودمي ويحتمل ان يكون هل
من محيص على اضمار القول اي يقولون هل من محيص من الهلاك واحتمل ان لا
يكون ثم قول اي لا محيص من الموت فيكون توقيفا وتقريرا ان في ذلك لذكرى في اهلاك
تلك القرون لذكرى لتذكرة واتعاظا لمن كان له قلب اي واع والمعنى لمن
كان له عقل وعبر عنه بمحله ومن له قلب لا يعي كمن لا قلب له وقرا الجمهور
او القى السمع مبنيا للفاعل والسمع نصب به اي اصغى سمعه لهذه الانباء
الواعظة وهو شهيد اي حاضر الذهن متفطن لما اصغى اليه سمعه مغفل فيه
شهيد من المشاهدة وهو الحضور قال ابن بحر لمن كان له قلب من اهل الكتاب
فيعتبر ويشهد بصحتها لعلمه بذلك من التوراة فشهيد من الشهادة وقرا السلمي
وطلحة والسدي وابو البرهسم او القي مبنيا للمفعول السمع رفع به اي السمع
منه اي من الذي له قلب وقيل المعنى او لمن القي غيره السمع وفتح اذنه ولم
يحضر ذهنه اي الملقي والفاتح والملقى له والمفتوح اذنه حاضر الذهن متفطن
وذكر لعاصم انها قراءة السدي فمقته وقال أليس يقول يلقون السمع ولقد
خلقنا السموات نزلت في اليهود تكذيبا لهم في قولهم انه تعالى استراح من خلق السموات
والارض في ستة ايام يوم السبت واستلقى على العرش وقيل التشبيه الذي
وقع في هذه الاية انما اخذ من اليهود وما مسنا من لغوب احتمل ان يكون جملة
حالية واحتمل ان يكون استئنافا واللغوب الاعياء وقرا الجمهور بضم اللام وعلي
والسلمي وطلحة ويعقوب بفتحها وهما مصدران الاول مقيس وهو الضم واما
الفتح فغير مقيس كالقبول والولوع وينبغي ان يضاف الى تلك الخمسة التي ذكرها

ست وزاد الكسائي اللغوب فتصير سبعة فاصبر قيل منسوخ بآية السيف على ما يقولون
اي اليهود وغيرهم من الكفار من التشبيه وغيرهم وسبح بحمد ربك اي فصل قبل طلوع
الشمس يعني صلاة الصبح وقبل الغروب هي صلاة العصر قاله قتادة وابن زيد والجمهور
وقال ابن عباس قبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل صلاة العشاءين وقيل قبل
الغروب ركعتان قبل المغرب وفي صحيح مسلم عن انس ما معناه ان الصحابة كانوا
يصلونها قبل المغرب وقال بعضهم ما ادركت احدا يصليهما الا انسا وابا برزة
الاسلمي وقال بعض التابعين كان الصحابة يهبون اليها كما يهبون الى المكتوبة
وقال ابن زيد هي العشاء فقط وقال مجاهد هي صلاة الليل وادبار السجود وقال
الاحوص هو التسبيح في ادبار الصلوات وقال عمر وعلي وابو هريرة والحسن و
الشعبي وابراهيم ومجاهد والاوزاعي هما ركعتان بعد المغرب وقال ابن عباس
هو الوتر بعد العشاء وقال ابن عباس ومجاهد ايضا وابن زيد النوافل عقيب
الفرائض وقال مقاتل ركعتان بعد العشاء يقرا في الاولى قل يا ايها الكافرون
وفي الثانية قل هو الله احد وقرا ابن عباس وابو جعفر وشيبة وعيسى والاعمش وطلحة
وشبل وحمزة والحرميان وادبار بكسر الهمزة وهو مصدر تقول ادبرت
الصلاة انقضت وتمت قال الزمخشري ومعناه وقت انقضاء السجود
كقولهم اتيك خفوق النجم وقرا الحسن والاعرج وباقي السبعة بفتحها جمع دبر
كطنب واطناب اي وفي ادبار اي اعقابه وقال اوس بن حجر

على دبر الشهر الحرام بارضنا وما حولها جدب سنون تلمع

واستمع امر بالاستماع والظاهر انه اريد به حقيقة الاستماع والمستمع له
محذوف تقديره واستمع لما اخبر به من حال يوم القيامة وفي ذلك تهويل وتعظيم
لشان المخبر به كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ يا معاذ اسمع ما اقول
لك ثم حدثه بعد ذلك وانتصب يوم بما دل عليه ذلك يوم الخروج اي يوم ينادي
المنادي يخرجون من القبور وقيل مفعول اسمع محذوف تقديره نداء المنادي وقيل
تقديره هذا الكلام بالوحي والسور وقيل لا يحتاج الى مفعول اذ حذف اقتصارا
والمعنى كن مستمعا ولا تكن غافلا معرضا وقيل معنى واستمع وانتظر والخطاب لكل

سامع

سامع وقيل للرسول اي ارتقبه فان فيه تبين صحة ما قلته كما تقول لمن تعده بورود
فتح استمع كذا وكذا اي كن منتظرا له مستمعا فيوم منتصب على انه مفعول به
وقرا ابن كثير المنادي بالياء وصلا ووقفا ونافع وابو عمرو بحذفها وقفا وعيسى
وطلحة والاعمش وباقي السبعة بحذفها وصلا ووقفا اتباعا لخط المصحف ومن اثبتها
فعلى الاصل ومن حذفها وقفا فلان الوقف محل تغيير يبدل فيه من التنوين الفا
نصبا ومن الياء واوا ويشدد المخففة ويحذف الحرف في القوافي والمنادي جبريل
انه ملك ينادي من السما ايتها الاجسام الهامدة والعظام البالية والرمم الذاهبة
هلم الى الحشر والوقوف بين يدي الرحمن مكان قريب ووصفه بالقرب من حيث يسمع
جميع الخلق وقيل المنادي اسرافيل ينفخ في الصور وينادي وقيل المنادي جبريل
وقال كعب وقتادة وغيرهما المكان صخرة بيت المقدس قال كعب قربها من السما
ثمانية عشر ميلا وفي كتاب ابن عطية وفي كتاب الزمخشري باثني عشر ميلا
وهي وسط الارض انتهى ولا يصح ذلك الا بوحي يوم يسمعون بدل من يوم ينادي
والصيحة صيحة المنادي قيل يسمعون من تحت اقدامهم وقيل من تحت شعورهم وهي
النفخة الثانية وبالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر ذلك اي يوم النداء
والسماع يوم الخروج من القبور وقيل الاشارة بذلك الى النداء اي ذلك النداء واتسع
في الظرف فجعل خبرا عن المصدر او يكون على حذف اي ذلك النداء نداء يوم الخروج
وقرا نافع وابن عامر تشقق بشد الشين وباقي السبعة بتخفيفها وقرئ تشقق بضم التاء
مضارع شققت على البناء للمفعول وتنشق مضارع انشقت وقرا زيد بن علي
تتشقق بفك الادغام وحكى ابو علي الاهوازي ان قراءة زيد بن علي بالفك
ويوم الثاني قيل منصوب بالمصدر وهو الخروج وقيل بالمصير وانتصب سراعا
على الحال من الضمير في عنهم والعامل تشقق وقيل بمحذوف تقديره يخرجون فهو حال
من الواو في يخرجون قاله الحوفي ويجوز ان يكون هذا المقدر عاملا في يوم
تشقق ذلك حشر علينا يسير فصل بين الموصوف وصفته بمعمول الصفة وهو
علينا اي يسير علينا ويحسن ذلك لاجل كون الصفة فاصلة وقال الزمخشري
علينا يسير بتقديم الظرف يدل على الاختصاص يعني لا يتيسر مثل ذلك الامر

العظيم لا يعمل القادر الذات الذي لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم ولا
بعثكم الا كنفس واحدة انتهى وهو على طريقته في تقديم المفعول وما اشبهه
من دلالة ذلك على الاختصاص وقد بحثنا معه في ذلك في سورة الفاتحة
في اياك نعبد نحن اعلم بما يقولون تهديد لهم وتسلية
للرسول وما انت عليهم بجبار بمسلط حتى تجبرهم على الايمان قاله الطبري
وقيل اريد التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم فذكر بالقرآن من يخاف وعيد
لا من يخاف الوعيد لكونه غير مصدق بوقوعه لا يتذكر اذ لا ينفع فيه الذكرى
كما قال وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وختمت بقوله فذكر بالقرآن كما استفتح
بقاف والقرآن الحبك الطرائق مثل حبك الرمل والماء القائم اذا
ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره قال

مكلل باصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مائه حبك

والدرع محبوكة لان حلقها مطرق طرائق وواحدها حبيكة كطريقة
وطرق او حباك كمثال ومثل قال الراجز

كأنما جللها الحواك طنفسة في وشيها حباك

ويقال حباك للحظيرة التي تشد بخشبات القصب وكذا وهي مستطيلة
تضع في رحب القراسات المصطفة وقال ابن الاعرابي حبكت الشيء احكمته
واحسنت عمله قال الفراء الحبك تكسر كل شيء وقال ابن عرفة المحبوك الشديد الخلق
من فرس وغيره وقال امرؤ القيس

قد غدا يحملني في انفه لاحق الاطلين محبوك ممر

الهجوع النوم السمين معروف وهو المكتسي بالشحم واللحم يقال سمن
سمنا فهو سمين سموه بالمصدر واسم الفاعل في القياس سامن وسمن وقالوا
سامن اذا حدث له السمن الذنوب الدلو العظيمة قال الراجز

انا اذا نازلنا غريب له ذنوب ولنا ذنوب وان ابيتم فلنا القليب

وانشد الزمخشري ذنوب وكم ذنوب ويطلق ويراد به الحظ والنصيب
قال علقمة بن عبدة

وفي

وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نداك ذنوب

وانشده الزمخشري لعمرو بن شاس وهو وهم وفي ديوان علقمة ان الحارث
ابن ابي شمر الغساني اسر شاسا اخا علقمة فرحل اليه علقمة ومدحه بالقصيدة
التي فيها هذا البيت فلما وصل الى هذا البيت في الانشاد قال الحارث نعم واذنبه
وقال حسان

لا يبعدن ربيعة بن مكدم وسقى الغوادي قبره بذنوب

وقال الآخر

لعمرك والمنايا طارقات لكل بني اب منها ذنوب

بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا انما توعدون
لصادق وان الدين لواقع والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من افك
قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون يسألون ايان يوم الدين يوم هم على النار
يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون ان المتقين في جنات وعيون
آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
وبالاسحار هم يستغفرون وفي اموالهم حق للسائل والمحروم وفي الارض آيات
للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض
انه لحق مثل ما انكم تنطقون ن هذه السورة مكية ومناسبتها
لآخر ما قبلها انه قال فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقال اول هذه بعد القسم
انما توعدون لصادق وان الدين لواقع والذاريات الرياح والحاملات
السحاب والجاريات الفلك والمقسمات الملائكة وهذا تفسير علي على المنبر
وقد سأله ابن الكواء قاله ابن عباس وقال ابن عباس ايضا الحاملات هي السحب
الموقرة بالماء [illegible] وقيل الحوامل من جميع الحيوان وقيل السحب
بالريح وقيل الجواري من الكواكب وادغم ابو عمرو وحمزة تاء الذاريات
في الدال ذروا وذروها تفريقها للمطر وللتراب وقرئ وقرا بفتح الواو تسمية
للمحمول بالمصدر ومعنى يسرا جريا ذا يسر اي سهولة فيسرا مصدر وصف
به على تقدير محذوف فهو على راي سيبويه في موضع الحال امرا تقسم الامور من

الامطار والارزاق وغيرها وامرا مفعول به وقيل مصدر منصوب على الحال اى
مامورة ومفعول المقسمات محذوف وقال مجاهد يتولى امر العباد جبريل للغلظة
وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ وجاء في الملائكة انها
فالمقسمات على معنى الجماعات وقال الزمخشري ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها
تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف
السحاب انتهى فاذا كان المدلول متغايرا فتكون اقساما متعاقبة واذا
كان غير متغاير فهو قسم واحد وهو من عطف الصفات اى ذرت اول هبوبها
التراب والحصا فاقلت السحاب فجرت في الجو باسطة السحاب فقسمت المطر
فيظهر قوله ○ يالهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب ○
اى الذي صبح العدو فغنم منهم فآب الى قومه سالما غانما والجملة المقسم عليها
وهي جواب القسم هي انما توعدون وما موصولة بمعنى الذي والعائد محذوف اى
توعدونه ويحتمل ان تكون مصدرية اى ان وعدكم او وعيدكم اذ يحتمل توعدون
للامرين ان يكون مضارع وعد ومضارع اوعد ويناسب ان يكون مضارع اوعد
لقوله فذكر بالقران من يخاف وعيد ولانه المقصود التخويف والتهويل
ومعنى صدقه تحقق وقوعه والمتصف بالصدق حقيقة هو المخبر وقال تعالى ذلك
وعد غير مكذوب اى مصدوق فيه وقيل لصادق وضع اسم الفاعل موضع المصدر
عن مكذوب ولا حاجة الى هذا التقدير وقال مجاهد الاظهر ان الاية في الكفار
وانه وعيد محض وان الدين الجزاء لواقع اى صادر حقيقة على المكلفين من الانس
والجن والظاهر ان السما جنس اريد به جميع السموات وقال عبد الله بن
عمرو بن العاص هي السما السابعة وقيل السحاب التي تظل الارض ذات الحبك
اى ذات الخلق المستوى الجيد قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد والربيع
وقال الحسن وسعيد بن جبير ذات الحبك الزينة بالنجوم وقال الضحاك ذات الطرائق
يعني من المجرة التي في السما وقال ابن زيد ذات الشدة كقوله سبعا شدادا
وقيل ذات الصفاقة وقرا الجمهور الحبك بضمتين وابن عباس والحسن بخلاف عنه وابو
مالك الغفاري وابو حيوة وابن ابي عبلة وابو السمال ونعيم عن ابي عمرو باسكان

اليا

اليا وعكرمة بفتحهما جمع حبكة مثل طرفة وطرف وابو مالك الغفاري والحسن بخلاف
عنه بكسر الحاء والبا وابو مالك الغفاري والحسن ايضا وابو حيوة بكسر الحا واسكان
البا وهو تخفيف فعل المكسورهما وهو اسم مفرد لا جمع لانه فعل ليس من ابنية
الجموع فينبغي ان يعد مع ابل فيما جا من الاسما على فعل بكسر الفا والعين وابن
عباس ايضا وابو مالك بفتحهما قال ابو الفضل الرازي فهو جمع حبكة مثل عقبة
وعقب انتهى والحسن ايضا الحبك بكسر الحا وفتح البا وقرا ايضا كالجمهور
فصارت قراءته خمسا الحبك الحبك والحبك الحبك الحبك وقرا ابو مالك ايضا الحبك
بكسر الحا وضم البا وذكرها ابن عطية عن الحسن فيصير له ست قراءات قال صاحب
اللوامح وهو عديم النظير في العربية في ابنيتها واوزانها ولا ادري ما رواه انتهى
وقال ابن عطية هي قراءة شاذة غير متوجهة وكانه اراد كسرها ثم توهم الحبك
قراءة الضم بعد ان كسر الحا وضم البا وهذا على تداخل اللغات وليس في كلام العرب
هذا البنا انتهى وعلى هذا تاول النحاة هذه القراءة والاحسن عندي ان تكون
اتبع فيه حركة الحا لحركة الذات في الكسر ولم يعتد باللام الساكنة لان الساكن
حاجز غير حصين وجواب القسم السابق يسلمها واحله فهم كونهم مومنا بالرسول
وكتابه وكافر قال ابن زيد يخاطب الكفار تقول ساحر شاعر كاهن مجنون
وقال الضحاك قول الكفار لا يكون مستويا انما يكون متناقضا مختلفا وقيل اختلافهم
في الحشر فمنهم من يصدقه ومنهم من يشك فيه وقيل اختلافهم اقرارهم بان الله خالقهم
وعبادتهم غيره والاقوال التي يقولونها في الهتهم يؤفك اى يصرف عنه عن القران
او الرسول قاله الحسن وقتادة من افك اى من صرف الصرف الذي لا صرف اشد
منه واعظم لقوله لا يهلك على الله الا هالك وقيل من صرف في سابق علم الله انه مافوك
عن الحق لا يرعوي قال الزمخشري ويجوز ان يكون الضمير لما توعدون او للدين
اقسم بالسما على انهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك
عن الاقرار بامر القيامة من هو المافوك وقيل المافوك عنه محذوف وعن هنا للسبب
والضمير عايد على قول مختلف اى يصرف بسببه من اراد الاسلام بان يقول هو
سحر هو كهانة حكاه الزهراوي والزمخشري وابن عطية على عادته في ايراد ما هو محكي

عن غيب الله مخرعه وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون على قول مختلف والمعنى يصرف عنه
من صرف الله الى الاسلام من علمت سعادته وهذا على ان يكون في قول مختلف
للكفار الا ان عرف الاستعمال في افك الصرف من خير الى شر فلذلك لا تجده الا في
المذمومين انتهى وفيه بعض تلخيص وقرا ابن جبير وقتادة من افك مبنيا للفاعل اي
من افك الناس عنه وهم قريش وقرا زيد بن علي يافك عنه من افك اي يصرف الناس
عنه من هو مافوك في نفسه وعنه ايضا يافك عنه من افك اي يصرف الناس
عنه من هو افاك كذاب وقرئ يوفن عنه من افن بالنون فيهما اي يحرمه من حرم
من افن الضرع اذا انهكه حلبا قتل الخراصون دعا عليهم وهو راجع الى القول المختلف
مكذبو الرسول عليه السلام وقرئ قتل الخراصون اي قتل الله الخراصين وهم المقدرون
ما لا يصح وهم في غمرة جهل يغمرهم ساهون عما امروا به ايان يوم الدين
اي متى وقت الجزاء سؤال تكذيب واستهزاء وتقدمت قراءة من كسر الهمزة في قوله
ايان مرساها وايان يوم ظرف والظرف لا يقع في الظرف فيقدر على حذف اي ايان
وقوع يوم الدين فيكون الظرف خبرا للمصدر وانتصب يوم لمضمر تقديره هو كائن
اي الجزاء قاله الزجاج ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هو يوم هم والفتحة فيه
بناء لاضافته الى غير متمكن وهي الجملة الاسمية ويؤيده قراءة ابن ابي عبلة والزعفراني
يوم هم بالرفع واذا كان ظرفا جاز ان يكون الفتحة فيه حركة اعراب وحركة
بناء وتقدم الكلام على اضافة الظرف المستقبل الى الجملة الاسمية [illegible] في
قوله يوم هم بارزون وقال بعض النحاة يوم هم بدل من يوم الدين فيكون هذا
حكاية من كلامهم على المعنى ويقولون ذلك على سبيل الاستهزاء ولو حكى لفظ
قولهم لكان التركيب يوم نحن على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم اي يقال لهم ذوقوا
هذا الذي مبتدأ وخبر وقال الزمخشري ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم اي ذوقوا
هذا العذاب انتهى وفيه بعد والاستعجال المخبر عنه هو قولهم ومعنى يفتنون يعذبون
في النار قاله ابن عباس وعكرمة والناس واستعجالهم قولهم ايان يوم الدين ولما
ذكر حال الكفار ذكر حال المؤمنين وانتصب آخذين على الحال اي قابلين راضين به
وذلك في الجنة وقال ابن عباس آخذين اي ما آتاهم ربهم من انواع نعمه ونو

وَشرعه فالحال محكية لبعدها في الزمان على كونهم في الجنة والظاهر ان قليلا
ظرف وهو في الاصل صفة اي كانوا في قليل من الليل ويجوز ان نعت لمصدر
محذوف اي كانوا يهجعون هجوعا قليلا وما زائدة في كلا الاعرابين وفسر
انس بن مالك ذلك فقال كانوا يصلون بين المغرب والعشاء ولا يدل لفظ
الاية على الاقتصار على هذا التفسير وقال الربيع بن خثيم كانوا يصيبون من الليل
حظا وقال مطرف بن عبد الله ومجاهد وابن ابي نجيح قل ليلة اتت عليهم هجوعا
كلها وقال الحسن كابدوا قيام الليل لا ينامون منه الا قليلا وقال الضحاك
كانوا قليلا اي عددهم ثم ابتدأ كانوا من الليل ما يهجعون ما نافية وقليلا
وقف حسن وهذا القول فيه تفكيك للكلام وتقدم معمول العامل المنفي بما على
عامله وذلك لا يجوز عند البصريين ولو كان ظرفا او مجرورا وقد اجاز ذلك بعضهم
وجاء في الشعر قوله اذا هي قامت حاسرا مشمعلة نجيب الفؤاد راسها ما تقنع فقدم
راسها على ما تقنع وهو منفي بما وجوزوا ان تكون ما مصدرية في موضع رفع
بقليلا اذ كانوا قليلا هجوعهم وهو اعراب سهل حسن وان تكون ما موصولة
بمعنى الذي والعائد محذوف تقديره كانوا قليلا من الليل الوقت الذي يهجعون
فيه وفيه تكلف ووصف الليل يدل على انهم مشتغلون بالعبادة في اوقات الراحة
وسكون الانفس عن مشاق النهار وبالاسحار هم يستغفرون فيه ظهور
على ان تهجدهم متصل بالاسحار ماخذون في الاستغفار مما عسى ان يقع
فيه تقصير وكانهم اجرموا في تلك الليالي والاسحار مظنة الاستغفار وقال
ابن عمر والضحاك يستغفرون يصلون وقال الحسن يدعون في طلب المغفرة
والظاهر ان قيام الليل وهذا الحق الذي في المال هو من المندوبات واكثر ما
يقع زيادة الثواب بفعل المندوب وقال منذر بن سعيد هذا الحق هو الزكاة
المفروضة وضعف بان السورة مكية وفرض الزكاة كان بالمدينة وقيل كان
فرضا ثم نسخ وضعف بانه تعالى لم يشرع شيئا قبل الهجرة من اخذ الاموال و
السائل الذي يستعطي والمحروم لغة الممنوع من الشيء قال علقمة
ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه انى توجه والمحروم محروم

واما في الاية فالذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وقيل الذي يتعذر منه مكاسبه
الرزق بعد قدرته وقيل له الحرمان وقال ابن عباس المحارف الذي ليس له في الاسلام
سهم مال وقال [illegible] اسلم هو الذي اجتيحت ثمرته وقيل الذي ماتت ماشيته وقال
عمر بن عبد العزيز هو الكلب وقيل الذي لا ينمي له مال وقيل المحارف الذي لا يكاد
يكسب وقيل غير ذلك وكل هذه الاقوال على سبيل التمثيل لا التعيين والجمع
ان الذي لا مال له لحرمان اصابه وفي الارض ايات تستدل على الصانع وقدرته
وتدبيره من حيث كانت كالبساط لما فوقها وفيها الفجاج للسالك وهي متجزئة
من سهل ووعر وبحر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة وسبخة وتلقح
بانواع النبات وفيها العيون والمعادن والدواب المبثوثة في بحرها وبرها المختلفة
الاشكال وقد اشار انه على الافراد لكونهم هم الذين نظروا النظر الصحيح
وادام الى الايقان ما جاءت به الرسل فاتقوا الى من حل زينه وفي انفسكم حال
ابتدائها وانتقالها من حال الى حال وما اودع في شكل الانسان من لطائف الحواس
وما ترتب على العقل الذي اوتيه من بدائع العلوم وغرائب الصنائع وغير ذلك مما لا
ينحصر وفي السماء رزقكم قال الضحاك ومجاهد وابن جبير المطر والثلج لانه سبب الاقوات
وكل عين دائمة من الثلج وقال مجاهد ايضا وواصل الاحدب اراد القضاء والقدر
اي الرزق عند الله يأتي به كيف يشاء وما توعدون الجنة او هي النار او امر الساعة
او من خير وشر او من ثواب وعقاب اقوال المراد بها التمثيل لا التعيين وقرأ ابن
محيصن ارزاقكم على الجمع والضمير في انه عائد على القرآن او الى الدين الذي في قوله
وان الدين لواقع او الى اليوم المذكور في قوله ايان يوم الدين او الى الرزق او الى الله
او الى النبي عليه السلام اقوال منقولة والذي يظهر انه عائد على الاخبار السابقة
من الله تعالى فيما تقدم في هذه السورة من صدق الموعود ووقوع الجزاء وقوله
مثل ما وقيل الجزاء وكينونة المتقين في الجنة على ما وصف وذكر اوصافهم وما ذكر
بعد ذلك ولذلك شبهه في الحقيقة بما يصدر من نطق الانسان لجامع ما اشترك
فيه من الكلام وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر والحسن وابن ابي اسحق والاعمش بخلاف
عنه مثل بالرفع صفة لقوله لحق وباقي السبعة والجمهور بالنصب فقيل هي

فتحة بناء وهو نعت لحق في قراءة من رفع ولما اضيف الى غير متمكن بني وما على هذا الا عراب
زائدة للتوكيد والاضافة هي الى انكم تنطقون وقال المازني مثل مع ما لانه ركب مع
ما فصار شيئا واحدا وانشد مسلم وبقيا وانها قال حميد بن ثور
الا هيما مما لقيت وهيما ... ويحا لمن لم يدر ما هن ويحما
قال فلولا البناء لكان منونا وقال الشاعر
فاكرم بنا اما واكرم بنا ابنا انهم في هذا البحرج واينما البس ابنا بني مع ما ل
هذا في باب زيادة الميم فشرع اتباع ما قبل الاخير للذي الحقه الميم الاعراب تقول
هذا ابنم ومررت بابنم ورأيت ابنما ولمشبعها في البيت في ابنما مركبة مع ما كما قال
بل الفتحة في ابنما حركة اعراب وهو منصوب على التمييز والاكثر النحويون في بناء
الاسم مع الحرف قول الشاعر
اثور ما اصيدكم ام ثورين ... ام هذه الجمادات القرنين
وقيل هو نعت لمصدر محذوف تقديره انه لحق حقا مثل ما انكم وحركته حركة اعراب
وقيل انتصب على انه حال من الضمير المستكن في لحق وقيل حال من لحق وان كان
نكرة فقد اجاز ذلك الجرمي وسيبويه في مواضع من كتابه والنطق هنا عبارة عن
الكلام بالحروف والاصوات في ترتيب المعاني يقول الناس هذا حق كما انك هاهنا
وهذا حق كما انك ترى وتسمع وهذا كما في الاية وما ذكر من حبر الحلال ولا تخلط
حديثها مفعول وهذا حق كما انك هاهنا والكوفيون يجعلون مثل محلا فينصبونه
على الظرف ويجيزون زيد مثلك بالنصب فعلى مذهبهم يجوز ان تكون مثل
هنا منصوبا على الظرف واستدلوا لذلك والرد عليهم مذكور في علم النحو ومن كلام
بعض الاعراب من ذا الذي اغضب الخليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجاء
الى اليمين هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال
سلام قوم منكرون فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تاكلون فاوجس
منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فاقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها
وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم قال فما خطبكم ايها
المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة

عند ربك للمسرفين فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
وتركنا فيها اية للذين يخافون العذاب الاليم وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان
مبين فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم وفي
عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم وفي ثمود
اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن امر ربهم فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا
من قيام وما كانوا منتصرين وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين هل
اتاك تقرير لتحريك نفس المخاطب كما يبدا المرء اذا اردت ان تخبره بعجيب فتقول
هل سمعت بكذا ام لا فكانك تقتضي ان يقول لا و يستطعمك الحديث وفيه تفخيم الحديث
فتقول هل سمعت كذا ام لا فكانك تقتضي ان نعوته و تنبيه على انه ليس من علم رسول
الله وانما عرفه بالوحي و ضيف للواحد والجماعة لانه مصدر وبدا بقصة ابراهيم وان كانت متاخرة
على قصة عاد من العرب اذ كان اباؤهم الاول ولكون الرسل الذين وردوا عليه
جاءوا باهلاك قوم لوط او لكونه قبلة وعند العرب وبهم يدور الاتعاظ والتسلية للرسول
عما يجري عليهم من قومه ووصفهم بالمكرمين لكرامتهم عند الله كقوله في الملائكة
بل عباد مكرمون قاله الحسن فهي صفة سابقة فيهم او لاكرام ابراهيم اياهم اذ خدمهم
بنفسه وزوجته سارة وعجل لهم القرى وقيل لكونه رفع مجالسهم فهي صفة حادثة
وقرا عكرمة المكرمين بالتشديد واطلق عليهم ضيف لكونهم في صورة الضيف لما انهم
ابراهيم او لحسبانه كذلك وتقدم ذكر عددهم في سورة هود واذ معمول له
المكرمين اذ كانت صفة حادثة بفعل ابراهيم والا فبضيف من معنى الفعل
او باضمار اذكر وقد تقدم اقوال في مقوله وقرا الجمهور سلاما بالنصب على المصدر
الساد مسد فعله المستغنى به عنه قال سلام بالرفع وهو مبتدا محذوف الخبر تقديره
عليكم سلام وقصد ان يحييهم باحسن مما حيوه اخذا بادب الله اذ سلاما دعاء
وجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اي امري سلام وسلام جملة خبرية قد تحصل
مضمونها ووقع وقال ابن عطية ويتجه ان يعمل في سلاما قالوا على ان يجعل
سلاما في معنى قولا ويكون المعنى حينئذ انهم قالوا تحية وقولا معناه سلاما
قول مجاهد وقرا ابن وثاب والنخعي وابن جبير وطلحة وحمزة والكسائي قال

سلم بكسر السين واسكان اللام و سكونه لانه قوم منكرون قال ابو العالية انكر سلامهم في
تلك الارض وذلك الزمان وقيل لانه لا يعرفهم ولا عهد بمثلهم وقيل كان هذا سؤالا
لهم كانه قال انتم قوم منكرون فعرفوني بانفسكم وقوم خبر مبتدا محذوف قدروه انتم والذي
يناسبه حال ابراهيم عليه السلام انه لا يخاطبهم بذلك اذ فيه من عدم الانس
ما لا يخفى بل يظهر انه يكون التقدير هؤلاء قوم منكرون وقال ذلك مع نفسه
او لمن كان معه من اتباعه وغلمانه بحيث لا يسمع ذلك الملائكة فراغ الى
اهله اي مضى اليهم في خفية مستخفيا من ضيفه ومن ادب المضيف
ان يخفي امره وان يبادر بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا من ان يمنعه
انه يجيء بالضيافة وكونه عطف بالفاء على فراغ يدل على سرعة مجيئه بالقرى
وانه كان معدا عنده لمن يرد عليه وقال في سورة هود فما لبث ان جاء
بعجل حنيذ وهذا يدل ايضا على انه كان العجل سابقا شيه قبل مجيئهم وقال
سمين لانه كان غالب ماله البقر وفيه دليل على انه يحضر للضيف اكرم ما
يملك وكان عليه السلام مضيافا وحسبك انه وقف للضيافة اوقافا
تمضيها الامم على اختلاف اديانها واجناسها فقربه اليهم فيه ادب المضيف
من تقريب القرى لمن ياكل وفيه العرض على الاكل فان في ذلك تانيسا
للاكل بخلاف من وضع طعاما ولم يحث على اكله فان الحاضر قد يتوهم انه
قدمه على سبيل التجمل عسى ان يمتنع الحاضرون من الاكل وهذا موجود في طباع
بعض الناس حتى ان بعضهم اذا الح الحاضرون بما دي في الاكل اخذ احسن
ما احضر او احسنه فيغطيه لتناله مرة ثانية ويرفعه لوقت اخر يختص بتوفيره
[illegible]
للاكل فانكر عليهم ترك الاكل فقال الا تاكلون وروي في الحديث انهم قالوا انا
لا ناكل الا ما اديتنا ثمنه فقال لهم ان له ثمنا قالوا وما هو قال ان
تسموا الله عز وجل عند الابتداء وتحمدوه عند الفراغ من الاكل فقال بعضهم
لبعض يحق ان يتخذه الله خليلا فاوجس منهم خيفة اي لما امتنعوا عن الانبساط
الى الاكل اوجس منهم خيفة وذلك ان اكل الضيف امنة ودليل على انبساط

نفسه وللطعام حرمة وذمام والامتناع منه وحشة فخشي ابراهيم ان امتناعهم
من اكل طعامه انما هو لشر يريدونه فقالوا له لا تخف وعرفوه انهم ملائكة وعن ابن
عباس وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب وعلمهم بما اضمر في نفسه من الخوف اما
يكون باطلاع الله ملائكته على ما في نفسه او بظهور اماراته في الوجه فاستدلوا
بذلك على الباطن وعن يحيى بن شداد مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى
لحق بامه فعلم اى سكوت عليها وبه بشروه بغلام اى بشروه حتى يكون من الحلم
وعن الحسن عليم بنبوة والجمهور على ان المبشر به هو اسحق بن سارة وقال مجاهد هو
اسمعيل قيل علم انهم ملائكة من حيث بشروه بغيب ووصفت النساء بعد البا
والحلوس وكانت البشارة بذكر لانه اسر للنفس وابهج ووصفه بعلم لانها
الصفة التي يختص بها الانسان الكامل الا بالصورة الجميلة والقوة فاقبلت امرأته
في صرة اي الى بيتها وكانت في زاويته تنظر اليهم وتسمع كلامهم وقيل فاقبلت
اى شرعت في الصياح وقيل وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء والصح
قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وسفيان الصيحة وقال الشاعر

فالحقنا بالهاديات ودونه جواحرها في صرة لم تزيل

وقال قتادة وعكرمة الرنة قيل قالت اوه بصياح وتعجب وقيل صرة الجماعة اي
من نسوة تبادروا نظرا الى الملائكة وقال الجوهري الصرة الضجة والجماعة والشدة
فصكت وجهها اي لطمته قاله ابن عباس وذلك كما يفعله من يرد عليه امر يستهوله
ويتعجب منه وهو فعل النساء اذا تعجبن من شيء قال السدي وسفيان ضربت بكفها
جبهتها وهذا مستعمل في الناس حتى الان وقالت عجوز عقيم اي انا قد اجتمع فيها انها
عجوز وذلك مانع من الولادة وانا عقيم وهي التي لم تلد قط فكيف الد فتعجبت
من ذلك قالوا كذلك اي مثل القول الذي اخبرناك به قال لها انظري
الى سقف بيتك فنظرت فاذا اجذوعه مورقة مثمرة انه هو الحكيم اي ذو الحكمة العليم
بمصالح ولما علم ابراهيم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا باذن الله رسلا قال فما خطبكم
الى قوم مجرمين اي ذوي جرائم وهي كبائر المعاصي من كفر وغيره لنرسل عليهم اي لنهلكهم
بها حجارة من طين وهو السجيل طبخ كما يطبخ الاجر حتى صار في صلابة

الحجارة

الحجارة مسومة معلمة على كل واحدة منها اسم صاحبه وقيل معلمة انها من حجارة العذاب
وقيل معلمة انها ليست من حجارة الدنيا للمسرفين وهم المتجاوزون الحد في الكفر فاخرجنا
من كان فيها اي في القرية التي حل العذاب باهلها غير بيت هو بيت لوط عليه السلام
وهو لوط وابنتاه فقط وقيل بلد معه ثلاثة عشر نفسا وقال الرماني الاية تدل على ان
الايمان هو الاسلام وكذا قال الزمخشري وبعدها مفهومان ومتركنا فيها اي
في القرية اية علامة قال ابن جريج حجرا كبيرا منضودا وقيل ماء اسود منتن
ويجوز ان يكون فيها عائدا على الاهلاك الذي اهلكوا به فانه من اعاجيب الاهلاك
بجعل اعالي القرية اسافل وامطار الحجارة والظاهر ان قوله وفي موسى معطوف
على وتركنا فيها اي في قصة موسى وقال الزمخشري وابن عطية يكون معطوفا على
وفي الارض ايات للموقنين وفي موسى وهو بعيد جدا ينزه القران عن مثله وقال
الزمخشري ايضا وعلى قوله وتركنا فيها اية على معنى وجعلنا في موسى اية كقوله
علفتها تبنا وماء باردا اه ولا حاجة الى اضمار وجعلنا لانه قد امكن ان يكون العامل
في المجرور وتركنا فتولى بركنه اي اعرض واعرض كما قال ونأى بجانبه وقيل
بقومه بسلطانه وقال ابن زيد بجموعه وقال قتادة بقومه وقال ساحر او مجنون
ظن احدهما او تعمد الكذب وقد علم انه رسول الله حقا وقال ابو عبيدة او بمعنى الواو
ويدل على ذلك انه قد قالهما قال ان هذا لساحر عليم وقال ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون واستشهد ابو عبيدة بقول جرير

اثعلبة الفوارس او رياحا عدلت بهم طهية والخشابا

ولا ضرورة تدعو الى جعل او بمعنى الواو او يكون قالهما او ابهم على السامع ما قاله
وهو مليم اي اتى بما يلام عليه العقيم الذي لا خير فيها من انشاء
مطر او القاح شجر وفي الصحيح نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور ويقول من ذهب
الى انها الصبا او الجنوب او النكباء وهي ريح بين ريحين نكب عن سمت القبلة فسمي
نكباء ليس بصحيح لمعارضته النص الثابت عن الرسول لانها الدبور ما تذر من شيء
اتت عليه هو عام مخصوص كقوله تدمر كل شيء اي مما اراد الله تدميره واهلاكه
من ناس او ديار او شجر او نبات لم يرد الله بها اهلاك الجبال والاكام والصخور

وَلا العالم الذي لم يكن من قوم عاد الا جعلته كالرميم جاء خاليه وَالرميم بعدها
تفتت في نسيج بعضها قاله السدي التراب وقال الهشيم ومجاهد البالي
وطرب الرماد وابن عيسى المسحوق الذي لا يرم جعله الهمز في اول للسلب
وروي ان الريح كانت تمر بالناس فيهم الرجل من قوم عاد فتنزعه من بينهم و
تهلكه فتمتعوا حتى حين قال الحسن هذا كان حين بعث اليهم صالح امروا
بالايمان بما جاء به وَالتمتع الى ان تاتي اجالهم ثم انهم عتوا بعد ذلك ولهذا جاء العطف
بالفا المقتضية تاخر العتو عما امروا به فهو مطابق لفظا ووجودا وقال
الفرا هذا الامر بالتمتع كان بعد عقر الناقة وَالحين ثلاثة ايام التي اوعدوا
فيها بالعذاب فالعتو كان قد تقدم فكان قيل لهم تمتعوا امرا كان من امرهم
ان عتوا قبل ان قيل لهم تمتعوا ولا حرج ان يدعوا الى قول الفرا اذ هو غير مرتب
في الوجود وقرا الجمهور الصاعقة وعمر وعثمان رضي الله عنهما الصعقة الصيحة فيها وقرا
الحسن الصاعقة وزيد بن علي كقراة الكسائي وَهم ينظرون ينتظرون ذلك
في تلك الايام الثلثة التي اعلموا فيها وراوا علامة منه في وجوههم وَانتظار العذاب اشد
من العذاب فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين ونفي الاستطاعة
ابلغ من نفي القدرة وما كانوا منتصرين ابلغ من نفي الانتصار اي فما قدروا
على الهرب ولا كانوا ممن ينتصر لنفسه فيدفع ما حل به وقيل من قيام هو من
قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وليس المعنى انتصاب القامة قاله قتادة وقرا ابو
عمرو وحمزة والكسائي وقوم بالجر عطفا على ما تقدم اي وفي قوم نوح وهي قراة
عبد الله وقرا باقي السبعة في رواية بالنصب فقيل عطفا على الضمير في فاخذتهم وقيل
عطفا على فنبذناهم لان معنى كل منهما فاهلكناهم وقيل منصوب باضمار فعل تقديره
وَاهلكنا قوم نوح لدلالة معنى الكلام عليه وقيل فاذكر مضمرا وروى عبد الوارث
ومحبوب وَالاصمعي عن ابي عمرو وابو السمال وَابن مقسم وقوم نوح بالرفع على الابتدا
وَالخبر محذوف اي اهلكناهم وَالسما بنيناها بايد وَانا لموسعون
وَالارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شي خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا
الى الله اني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها اخر اني لكم منه نذير مبين كذلك ما

اتى

اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون اتواصوا به بل هم قوم طاغون
فتول عنهم فما انت بملوم وَذكر فان الذكرى تنفع المومنين وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وَما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة
المتين فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون فويل للذين كفروا
من يومهم الذي يوعدون اي وبنينا السما فهو من باب الاشتغال وَكذا وفرشنا
الارض وقرا ابو السمال وَابن مقسم برفع السما ورفع الارض على الابتدا بايد اي بقوة
قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وَهو كقوله داود ذا الايد وَانا لموسعون اي
بناوها فالجملة حالية اي بنيناها موسعها كقوله جاء زيد وَانه لمسرع اي مسرعا
فهي بحيث ان الارض وَما يحيط بها من الماء والهوا كالنقطة وسط الدائرة
وقال ابن زيد قريبا من هذا وهو ان الوسع راجع الى السما وقيل لموسعون قوم
قوم اي لقادرون من الوسع وَهو الطاقة وقال الحسن اوسع الرزق بالمطر
وَالماء فنعم الماهدون اي نحن خلقنا زوجين قال مجاهد اشار الى المتضادات
والمتقابلات كالليل وَالنهار وَالشقوة وَالسعادة وَالهدى وَالضلال وَالسما
وَالارض وَالسواد وَالبياض وَالصحة وَالمرض وَالكفر وَالايمان ونحو ذلك
ورجحه الطبري بانه ادل على القدرة التي توجد الضدين بخلاف ما يفعل
بطبعه فعلا وَاحدا كالتسخين وَالتبريد وقال الحسن باسما ما تقدم وقال
كل اثنين منها زوج وَالله تعالى فرد لا مثل له وَقال ابن زيد وغيره من كل
شي من نوعي الحيوان خلقنا زوجين ذكرا وانثى وقيل المراد بالشي الجنس وما يكون
تحت الجنس نوعان في كل جنس خلقنا نوعين من الجوهر مثل النامي وَالجامد
ومن النامي المدرك وَالنبات ومن المدرك الناطق وَالصامت وكل ذلك يدل
على انه فرد لا كثرة فيه لعلكم تذكرون اي بان السما وفارش الارض وخالق
الزوجين فرد لا نظير له ولا شبيه وانه لا يعجزه حشر الاجساد
وجمع الارواح وقرا ابي تتذكرون بتخفيف الذال وقيل اراد ان تتذكروا
فتعرفوا الخالق وتعبدوه ففروا الى الله امرنا بالدخول في الايمان وَطاعة الله
وجعل الامر بذلك بلفظ الفرار لينبه على ان وراء الناس عقابا وعذابا وامرا

حقه ان يفر منه مخفف لغلظه ففروا من التحذير والاستدعا وتنظر الى هذا المعنى
قول النبي عليه السلام لا ملجا ولا منجا منك الا اليك قاله ابن عطية وهو تفسير حسن
قال الزمخشري الى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه ولا تشركوا
به وكرر اني لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم ان الايمان
لا ينفع الا مع العمل انه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما الا ترى الى قوله لا ينفع
نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا والمعنى قل يا محمد ففروا الى
الله انتهى وهو على طريق الاعتزال وقد رددنا عليه في تفسير لا ينفع نفسا ايمانها في
موضع هذه الايه كذلك اي ان الامم السابقة تعجبت بمجي الرسل اليهم مثل الامر من
الكفار الذين بعثت اليهم وهو التكذيب ساحر او مجنون او للتفصيل اي قال بعض
ساحر وبعض مجنون وقال بعض كليهما الا ترى ان قوم نوح لم يقولوا عنه انه ساحر
بل قالوا به جنة فجمعوا في الضمير ذلك او على التفصيل اتواصوا به اي بهذا القول
وهو توبيخ وتعجب من توارد نفوس الكفرة على تكذيب الانبياء مع افتراق ازمانهم
بل هم قوم طاغون اي لم يتواصوا به لانهم لم يكونوا في زمان واحد بل جمعتهم علة واحدة
وهي كونهم طاغية فهم مستعلون في الارض مفسدون فيها عاتون فتول عنهم اي
اعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا فما انت بملوم اذ قد بلغت ونصحت
وذكر فوعظ فان الذكرى تنفع المؤمنين بزيادتهم وقيل يريد الله ان يؤمن ومال اليه الطاهر
من الموادعة منسوخ باية السيف ومن قال لما نزل فتول عنهم فما انت بملوم حزن
المسلمون وظنوا انه امر بالتولي عن الجميع وان الوحي قد انقطع حتى نزلت
وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فسروا بذلك الا ليعبدون اي وما خلقت
الجن والانس الطائعين قاله زيد بن اسلم وسفيان وهو قول رواه ابن عباس
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون
وقال علي وابن عباس الا ليعبدون الا لامرهم بعبادتي وليقروا لي بالعبادة
فعبر بقوله ليعبدون اذ العبادة هي مضمن الامر فعلى هذا الجن والانس عام وقيل
يحتمل ان يكون المعنى الا معدين ليعبدون وكان الاية تعديد نعمه اي خلقت
لهم حواسا وعقولا واجساما منقادة لنحو العبادة كما يقول هذا مخلوق لكذا

وان لم يصدر منه الذي خلق له كما تقول القلم مبري لان يكتب به وقد لا نكتب به
وقال الزمخشري الا لاجل العبادة ولم ارد من جميعهم الا اياها فان قلت لو كان
مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادا قلت انما اراد منهم ان يعبدوه مختارين
للعبادة لا مضطرين اليها لانه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه
مريدا لها ولو ارادها على القسر والالجاء لوجدت من جميعهم انتهى وهو على طريقة الا عتزال
وقال مجاهد الا ليعبدون ليعرفون وقال ابن زيد لاجعلهم في العبادة على الشقاوة
والسعادة وقال الربيع بن انس الا للعبادة قال وهو ظاهر اللفظ وقيل الا ليذلوا
لقضائي وقال الكلبي الا ليوحدون فالمؤمن يوحده في الشدة والرخاء والكافر
في الشدة وقال عكرمة ليطيعون فاثيب العابد واعاقب الجاحد وقال مجاهد
ايضا الا لامر وانهى ما اريد منهم من رزق اي ان يرزقوا انفسهم ولا غيرهم
وما اريد ان يطعمون اي ان يطعموا الخلق وهو على حذف مضاف فالاضافة الى
الضمير تجوز قاله ابن عباس وقيل ان يطعمون ان ينفعون فهو تجوز من النافع
وجعله دالا على الجمع وقال الزمخشري يريد ان شاني مع عبادي ليس كشان
السادة مع عبيدهم لان ملاك العبيد انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم
وارزاقهم فاما مجهز في تجارة ليبغي ربحا او مرتب في فلاحة ليغل ارضا او مسلم
في حرفة لينتفع باجرته او محتطب او محتش او مستق او طابخ او خابز وما اشبه
ذلك من الاعمال والمهن التي هي متصرف في اسباب المعيشة وابواب الرزق فاما
مالك ملاك العبيد فقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم في انفسكم ولا اريد ان اصرفكم في
تحصيل رزقي ولا رزقكم وانا غني عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم
وبما يصلحكم ويعيشكم من عندي فما هو الا انا وحدي ومنه قوله ويحطانه
وقرا ابن محيصن الرازق كما قرا في السما رزقكم اسم فاعل وقرا حميد وقرا
الاعمش وابن وثاب المتين بالجر صفة للقوة على معنى الاقتدار قاله الزمخشري
او كانه قال ذو الايد واجاز ابو الفتح ان يكون صفة لذو وخفض على الجوار
كقولهم هذا جحر ضب خرب فان للذين ظلموا هم اهل مكة وغيرهم من الكفار الذين
كذبوا الرسل ذنوبا اي حظا ونصيبا مثل ذنوب اصحابهم من الامم السابقة

التي كذبت الرسل والهلاك والعذاب ومن قال سجلا من عذاب الله مثل سجل
اصحابهم وقال الجوهري الذنوب الدلو الملأى ولا يقال لها ذنوب وهي فارغة وجمعها
في ادنى العدد اذنبة وفي الكثير ذنائب والذنوب الفرس الطويل الذنب والذنوب
النصيب والذنوب لحم اسفل المتن وقال ابن الاعرابي يقال يوم ذنوب اي
طويل الشر لا ينقضي فويل للذين كفروا من يومهم قيل يوم بدر وقيل
يوم القيامة الذي يوعدون اي بمجيئه يوعدون به الرق بالفتح والكسر
جلد رقيق يكتب فيه وجمعه رقوق والرق بالكسر الملك المملوك مار الشيء
ذهب وجاء وقال الاخفش وابو عبيدة تكفأ وانشد للاعشى

كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لا ريث ولا عجل

ويروى مر السحابة الدع الدفع في العنف بشدة واهانة السموم
الريح الحارة التي تدخل المسام وقد سم يومنا فهو مسموم والجمع سمائم وقال ثعلب
السموم شدة الحر او شدة البرد في النهار وقال ابو عبيدة السموم بالنهار وقد تكون
بالليل والحرور بالليل وقد تكون بالنهار وقد يستعمل السموم في لفح البرد وهو
في لفح الحر والشمس اكثر المنون الدهر وريبه حوادثه وقيل اسم للموت المسيطر
المسلط وحكى ابو عبيدة سطرت علي اذا اتخذتني خولا ولم يأت في كلام العرب
اسم على مفيعل الا خمسة مهيمن ومجيمر ومسيطر ومبيطر ومبيقر فالمجيمر جبل
والبواقي اسماء فاعلين ٤٠ ٤٠ ١٠

بسم الله الرحمن الرحيم والطور
وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور
ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل
يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار
التي كنتم بها تكذبون افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء
عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم
ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة
وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما

التناهم

ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون
يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون
واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا
ووقانا عذاب السموم انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم
السورة مكية ومناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة اذ في آخرها فان للذين ظلموا
ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم وقال هنا ان عذاب ربك لواقع الطور الجبل والظاهر
انه اسم جنس لا جبل معين وفي الشام جبل يسمى الطور وهو طور سيناء قال
نوف البكالي انه الذي اقسم الله به لفضله على الجبال قيل وهو الذي كلم الله
عليه موسى عليه السلام والكتاب المسطور القرآن او المنتسخ من اللوح المحفوظ
والتوراة او هو والانجيل والزبور او الكتاب الذي فيه اعمال الخلق او الصحف
الذي تعطى يوم القيامة بالايمان والشمائل اقوال آخرها للفراء والاسبق ان
يحمل شيء منها على التعيين انما يورد على الاحتمال وقرأ ابو السمال في رق منشور المنشور
اي مبسوط وقيل مفتوح لا ختم عليه وقيل منشور لائح وعن ابن عباس منشور
مفتوح ما بين المشرق والمغرب والبيت المعمور قال علي وابن عباس وعكرمة هو بيت
في السماء مسامت الكعبة يقال له الضراح والضريح ايضا وهو الذي ذكر في
حديث الاسراء قال جبريل هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك
لا يعودون اليه آخر ما عليهم وقال مجاهد وقتادة وابن زيد في كل سماء بيت
معمور وفي كل ارض كذلك وسال ابن الكواء عليا عنه فقال بيت فوق سبع
سموات تحت العرش يقال له الضراح وقال الحسن البيت المعمور الكعبة يعمره
الله كل سنة بستمائة الف فان عجز الناس اتمه الله بالملائكة والسقف
المرفوع السماء وقال ابن عباس هو العرش وهو سقف الجنة والبحر المسجور قال
مجاهد وشمر بن عطية والضحاك ومحمد بن كعب والاخفش هو البحر الموقد نارا
وروي ان البحر هو جهنم وقال [illegible] البحر المسجور المملوء وهذا معروف في اللغة ورجحه
الطبري بوجود ماء البحر كذلك ولا ينافي ما قاله مجاهد لان سجرت التنور معناه
ملأته للحرق وقال ابن عباس المسجور الذي ذهب ماؤه وروى ذو الرمة السا

عن ابن عباس قال خرجت امة لتستقي فقالت ان الحوض مسجور اي فارغ فيكون ولبس
لمن لم يفهم حديثه الاحمر يكون من الاضداد ويروى ان البحار تذهب ماوها
يوم القيامة وقال ابن عباس ايضا المسجور المحبوس ومنه ساجور الكلب وهي
القلادة من عود او حديد تمسكه ولولا ان البحر يمسك لفاض على الارض قال
الربيع المسجور المختلط العذب بالمالح وقيل المملوء وقيل المحمر ويدل عليه واذا البحار فجرت
والجمهور على ان البحر المقسم به هو بحر الدنيا ويؤيده واذا البحار سجرت وعن علي وابن
عمر انه في السما تحت العرش فيه ما غليظ يقال له بحر الحياة يمطر العباد منه بعد
النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون في قبورهم وقال منذر بن سعيد هو جهنم
وسماها بحرا لسعتها وتموجها كما في الفرس وان وجدناه لبحرا قيل ويحتمل ان يكون
الحكمة في القسم بالطور والبيت والبحر لكونها اماكن خلوة مع الله تعالى خاطب فيها
ربهم رسله فالطور قال فيه موسى رب ارني انظر اليك والبيت المعمور لمحمد صلى
الله عليه وسلم والبحر المسجور ليونس قال لا اله الا انت سبحانك فشرفت الاماكن
بهذه الاسباب والقسم بكتاب مسطور لان الانبيا كان لهم مع الله في هذه الاماكن
مع الله كلام واسراره بالطور كان على ذلك والقسم بالسقف المرفوع لبيان
رفعة البيت المعمور ايضا وتنكير كتاب شامل لكل كتاب انزله الله سمول له
البدل ويحتمل ان يكون سبيل العموم لقوله علمت نفس ما احضرت اي كل نفس وكونه
في رق يدل على ثبوته وانه لا يتطرق اليه الدروس ووصفه بمنشور يدل على وضوحه فليس
كالكتاب المطوي الذي لا يعلم ما انطوى عليه والمنشور يعلم ما فيه ولا يمنع من
مطالعة ما تضمنه والواو الاولى او للقسم وما بعدها للعطف والجملة المقسم
عليها هي قوله ان عذاب ربك لواقع وفي اضافة العذاب لقوله ربك لطيفة
ادمها الملك والناظر مصلحة العبد فبالاضافة الى الرب واضافته الى كاف
الخطاب امان له صلى الله عليه وسلم وان العذاب الواقع بمن كذبه ولواقع
يدل على الشدة وهو ادل عليها من لكائن الا ترى الى قوله اذا وقعت الواقعة
وقوله وهو واقع بهم كانه كان مهيا في مكان مرتفع فيقع على من حل به وعن
جبير بن مطعم قدمت المدينة لاسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسارى

بدر فوافقته يقرا في صلاة المغرب والطور الى ان عذاب ربك لواقع ما له من
دافع فكانما صدع قلبي فاسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت اظن ان اقوم
من مقامي حتى يقع بي العذاب وقرا زيد بن علي واقع بغير لام وقال مالك ويريد
عذاب الاخرة للكفار اي لواقع بالكفار ومن غريب ما حكي ان شخصا
راى في النوم في كفه مكتوبا خمس واوات فعبر له ذلك بخير فسأل ابن سيرين
فقال تهيأ لما لا يسر فقال له من اين اخذت فقال من قوله تعالى والطور
وكتاب الى ان عذاب ربك لواقع فما مضى يومان او ثلاثة حتى احيط
بذلك الشخص واصبح يوم مذ واقع قاله الحوفي وقال مكي يعمل فيه دافع ولم
يذكر دليل المنع وقيل هو منصوب بقوله لواقع ويبعد ان يكون قوله ما له
من دافع على هذا جملة اعتراض بين العامل والمعمول قال ابن عباس تمور تضطرب
وقال ايضا تشقق وقال الضحاك يموج بعضها في بعض وقال مجاهد تدور و
تسير الجبال يعني في اول الامر ثم تنسف حتى تصير امثال العهن المنفوش
فويل عطف جملة على جملة تتضمن ربط المعنى واكده والخوض التخبط في
الباطل وغلب استعماله في الاندفاع في الباطل يوم يدعون وذلك ان خزنة جهنم
يغلون ايدي الكفار الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم الى
النار دفعا على وجوههم وزجا في اقفيتهم وقرا علي والسلمي وابو رجا وزيد بن علي
يدعون بسكون الدال وفتح العين من الدعا اي يقال لهم هلموا الى النار وادخلوها
دعا مدعوعين فيقال لهم هذه النار لما قيل لهم ذلك وقفوا بعد ذلك على الجهة
التي كانت بها دخول الشك في انها النار وهي اما ان يكون ثم سحر يلبس ذات
المرئي واما ان يكون في نظر الناظر اختلال فامرهم بصليها على جهة التقريع
ثم قيل لهم على قطع رجائهم اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم عذابكم حتم فسواء صبركم
وجزعكم لا بد من جزاء اعمالكم قاله ابن عطية وقال الزمخشري افسحر هذا كنتم تقولون
للوحي هذا سحر فسحر هذا اي هذا المصداق ايضا سحر ودخلت الفا لهذا
المعنى ام انتم لا تبصرون كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني ام انتم عمي عن المخبر عنه كما
كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم فان قلت لم علل استوا الصبر وعدمه بقوله

المحزون بما كنتم تعملون وليس لات الصبر انما يكون لمن يرى فضل الجزع لمنفعة في العاقبة
بان يجازى عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب الذي هو الجزاء ولا عاقبة له
ولا منفعة فلا مزية له على الجزع انتهى وخبر الجزع محذوف وهذا مبتدأ وسواء مبتدأ والخبر
محذوف اي الصبر والجزع وقال ابو البقاء خبر سواء محذوف اي سواء عليكم وقوله سواء او لما
ذكر حال الكفار ذكر حال المؤمنين ليقع الترغيب والترهيب وهو اخبار عما يؤول
اليه حال المؤمنين الذين اتقوا الله ويجوز ان يكون من جملة القول للكفار اذ ذاك زيادة
في غمهم وتحسرهم والاول اظهر وقرا الجمهور فاكهين نصبا على الحال والخبر في جنات
ونعيم وقرا خالد بالرفع على انه خبر ان وفي جنات متعلق به وقيل الجار بعده الخبر
حال ان يكونا خبرين وبما هو معطوف على في جنات اذ المعنى استقروا في جنات اذكل
اتاهم وما مصدرية اي فاكهين باتيانهم ربهم النعيم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ويجوز ان تكون
الواو في ووقاهم واو الحال ومن شرط قد في الماضي قال ويجوز ان تكون اي وقد
وقاهم وقرا ابو حيوة ووقاهم بتشديد القاف كلوا واشربوا على اضمار القول اي يقال
لهم هنيئا قال الزمخشري اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي
لا تنغيص فيه ويجوز ان يكون مثله في قوله

هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت

اعني صفة استعملت استعمال المصدر القائم مقام الفعل الفاعل مرتفعا به ما
استحلت كما يرتفع بالفعل كانه قيل هنا عزة المستحل من اعراضنا وكذلك
معنى هنيئا هنا هنأكم الاكل والشرب او هنأكم ما كنتم تعملون اي
جزاء ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما في كفى بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا
اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب انتهى وتقدم لنا الكلام على هنيئا مستوفى في
سورة النساء واما تجويزه زيادة الباء فليست زيادتها مقيسة في الفاعل
الا في فاعل كفى على خلاف فيها فلا يجوز زيادتها في الفاعل هنا ولا يجوز ولما
قوله ان الباء متعلق بكلوا واشربوا فلا يصح الا على الاعمال فهي تتعلق بواحد منهما
وانتصب متكئين على ذلك قال ابو البقاء من الضمير في كلوا او من الضمير في وقاهم
او من الضمير في اتاهم او من الضمير في فاكهين او من الضمير في الظرف انتهى

والظاهر

والظاهر انه حال من الظرف وهو قوله في جنات وقرا ابو السمال على سرر بفتح الراء
وهي لغة لكلب في المضعف فرارا من توالي الضمتين مع التضعيف وقرا عكرمة بحور عين
على الاضافة والظاهر ان قوله والذين امنوا مبتدأ وخبره الحقنا واجاز ابو البقاء ان
يكون والذين في موضع نصب على تقدير واكرمنا الذين امنوا ومعنى الاية قال
الجمهور عن ابن عباس وابن جبير وغيرهما المعنى ان المؤمنين الذين تتبعهم ذريتهم في
الايمان يكونون في مراتب ابائهم وان لم يكونوا في التقوى والاعمال مثلهم كرامة لابائهم
فبايمان متعلق بقوله واتبعتهم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته وان كانوا
لم يبلغوا عمله لتقر بهم عينه ثم قرا الاية وقال ابن عباس ايضا والضحاك ان الله تعالى
يلحق الابناء الصغار وان لم يبلغوا الايمان باحكام الاباء المؤمنين انتهى فيكون
بايمان متعلقا بالحقنا اي الحقنا بسبب ايمان الاباء بهم ذرياتهم وهم الصغار الذين
ماتوا ولم يبلغوا التكليف فهم في الجنة مع ابائهم واذا كان ابناء الكفار الذين لم يبلغوا
حد التكليف في الجنة كما ثبت في صحيح البخاري فاحرى اولاد المؤمنين وقال الحسن
الاية في الكبار من الذرية لا في الصغار وقال منذر بن سعيد في الصغار لا في
الكبار وعن ابن عباس ايضا الذين امنوا المهاجرون والانصار والذرية التابعون
وعنه ايضا ان كان الاباء ارفع درجة رفع الله الابناء اليهم وان كان الابناء ارفع
درجة رفع الله الاباء اليهم فالاباء داخلون في اسم الذرية وقال النخعي المعنى اعطيناهم
اجورهم من غير نقص وجعلنا ذريتهم كذلك وقال الزمخشري والذين امنوا
معطوف على حور عين اي قرناهم بالحور وبالذين امنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم
كقوله اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة
الاخوان المؤمنين واتبعناهم ذرياتهم ثم ذكر حديث ابن عباس ثم قال فيجمع الله لهم
السرور بسعادتهم في انفسهم بمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الاخوان المؤمنين وباجتماع
اولادهم ونسلهم بهم ثم قال بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل
وهو ايمان الاباء الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستاهلونها تفضلا عليهم
وعلى ابائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم فان قلت ما معنى تنكير الايمان قلت معناه

الدالة على انه ايمان خاص عظيم المنزلة ويجوز ان يراد بايمان الذرية الداني المحل كانه
قال بشيء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الاباء الحقناهم بهم ولا يبخس اجر الاباء والذين
امنوا معطوف على حور عين عن هذه الرجال وهو تخيل اعجمي يخالف لنظم العرب
الحجة بن عباس رضي الله عنه والاحسن من هذه الاقوال قول ابن عباس ونقطع الحرف
الذي في روايات الاولى انهما في صفو احسانات الله تعالى الى اهل الجنة فنحكم حروفه
احسانه انه من على المحسن والمسي ولقطه الحقنا معتض ان للملحق بعض النقص
في الاعمال وقرا ابو عمرو واتبعناهم وباقي السبعة واتبعتهم وابو عمرو ذرياتهم جمعا نصبا
وابن عامر جمعا رفعا وباقي السبعة مفردا رفعا بهم ذرياتهم جمعا ابو عمرو ونافع وابن
عامر وباقي السبعة مفردا او اخبرنا واتبعتهم ذريتهم بالجر والرفع وقرا الجمهور
والتهم بفتح اللام من الات يليت او من الت وابن الحسن وابن كثير بكسرها
وابن هرمز التاهم بالمد من الت على وزن افعل وابن مسعود وابي لتناهم
من لات وهي قراءة طلحة والاعمش وروي عن شبل وابن كثير وعن طلحة
والاعمش ايضا لتناهم بفتح اللام قال سهل لا يجوز بفتح اللام من غير الف بحال وانكر
ايضا التناهم بالمد وقال لا يروي عن احد ولا يدل عليها تفسير ولا عربية وليس كما
ذكر بل قد نقل اهل اللغة الت بالمد كما قرا ابن هرمز وقرئ وما لتناهم ذكره (هارون)
قال ابن خالويه يكون هذا الحرف من لات يليت وولت يلت والت يالت وولت
يالت والات يليت وكلها بمعنى نقص ويقال الت بمعنى غلط وقام رجل الى عمر
رضي الله عنه فوعظه فقال رجل لا تالت امير المؤمنين اي تغلط عليه والظاهر
الضمير في التناهم عائد على المؤمنين والمعنى انه تعالى يلحق المقصر بالمحسن من اجره شيا
وهذا تاويل ابن عباس وابن جبير والجمهور وقال ابن زيد الضمير عائد على الابناء
نعليهم اي الحسن والقبح وكسب هذا الاحسان قوله كل امرئ بما كسب رهين
اي مرتهن وفيه وامددناهم اي ... سالهم شيا فشيا حتى يكثروا لا ينقطع يتنازعون
فيها اي يتعاطون قال الاخطل ٤٠ ٤٠

٤٠ نازعته طيب الراح الشمول وقد صاح الدجاج وحانت وقعة الساري ٤٠

او يتنازعون يتجاذبون تجاذب ملاعبة اذ اهل الدنيا لهم في ذلك لذة فكذلك

في الجنة وقرا الجمهور لا لغو فيها ولا تاثيم برفعهما وابن كثير وابو عمرو بفتحهما واللغو
السقط من الكلام كما يجري بين شراب الخمر في الدنيا والاثم الاثم الذي يلحق شارب
الخمر في الدنيا غلمان لهم اي مماليك مكنون اي في الصدف لم ينله الايدي قاله ابن جبير
وهو اذ ذاك رطب فهو احسن واصفى ويجوز ان يراد بمكنون مخزون لانه لا يخزن
الا الغالي الثمن والظاهر ان التساؤل هو في الجنة اذ هذه كلها معاطيف بعضها
على بعض اي يتساءلون عن احوالهم وما نال كل واحد منهم وقد لطف ... فمن الله علينا
اي بهذا النعيم الذي نحن فيه وعن ابن عباس يتساءلون اذا بعثوا في النفخة الثانية
حكاه الطبري عنه مشفقين رقيقي القلوب خاشين لله وقرا ابو حيوة ووقانا
بتشديد القاف والسموم هنا النار وقال الحسن اسم من اسماء جهنم من قبل اي من قبل
لقاء الله والمصير اليه ندعوه نعبده ونسأله الوقاية من عذابه انه هو البر المحسن
الرحيم الكثير الرحمة اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب او ندعوه من الدعاء وقرا الحسن
وابو جعفر ونافع والكسائي انه بفتح الهمزة اي لانه وباقي السبعة انه بالكسر
الهمزة وهي قراءة الاعرج وجماعة وفيها معنى التعليل فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن
ولا مجنون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من
المتربصين ام تامرهم احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون ام يقولون تقوله
بل لا يؤمنون فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ام خلقوا من غير شيء
ام هم الخالقون ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون ام عندهم خزائن ربك
ام هم المصيطرون ام لهم سلم يستمعون فيه فليات مستمعهم بسلطان مبين ام
له البنات ولكم البنون ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون
ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون ام لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون
وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم
الذي فيه يصعقون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا
عذابا دون ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وسبح بحمد
ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم لما تقدم اقسام الله تعالى على وقوع العذاب
وذكر اشيا من احوال المعذبين والناجين امره بالتذكير انذارا للكافر وتبشيرا

للمؤمن ودعا إلى الله بنفسه ورسالته ثم نفى عنه ما كان الكفار ينسبونه إليه من الكهانة
والجنون إذ كان طريقهما إلى الإخبار ببعض المغيبات وكان للجن بهما ملابسة
للإنس ومن كان ينسبه إلى الكهانة شيبة بن ربيعة ومن كان ينسبه إلى الجنون
عقبة بن أبي معيط وقال الزمخشري فذكر فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ولا يثبطنك
قولهم كاهن أو مجنون ولا تبال به فإنه قول باطل متناقض لأن الكاهن يحتاج في كهانته
إلى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله وما أنت بحمد الله وإنعامه عليك بصدق
النبوة ورجاحة العقل أحدهما انتهى وقال الحوفي بنعمة ربك متعلق بما دل عليه الكلام
وهو اعتراض بين اسم ما وخبرها والتقدير ما أنت في حال إذكارك بنعمة ربك بكاهن
وقال أبو البقاء الباء في موضع الحال والعامل فيه بكاهن أو مجنون والتقدير ما أنت
كاهنا ولا مجنونا ملتبسا بنعمة ربك انتهى ويكون حالا لازمة لأنه عليه
السلام ما زال ملتبسا بنعمة ربه وقيل بنعمة ربك مقسم به كأنه قيل ونعمة ربك
ما أنت بكاهن ولا مجنون فتوسط المقسم به بين الاسم والخبر كما تقول ما زيد
والله بقائم ولما نفى عنه الكهانة والجنون الذي كان بعض الكفار ينسبونه
إليه ذكر نوعا آخر مما كانوا يقولونه وروي أن قريشا اجتمعت في دار الندوة
وكثرت آراؤهم فيه عليه السلام حتى قال قائل منهم وهم بنو عبد الدار قاله الضحاك
تربصوا به ريب المنون فإنه شاعر سيهلك كما هلك زهير والنابغة والأعشى
فافترقوا على هذه المقالة فنزلت الآية في ذلك وقول من قال ذلك هو من بهت
الفطرة بحيث لا يدرك الشعر وهو الكلام الموزون على طريقة معروفة من التزام الروي
ليس هو على تلك الأعاريض ولا شك أن بعضهم كان يدرك ذلك إذ كان منهم شعراء
ولكن بالتوامع أو لتلك الناقص الفطرة على قولهم هو شاعر بحجر الآيات الله بعجيبها
استغرابا وقرأ زيد بن علي نتربص بالياء مبنيا للمفعول به ريب مرفوع والمنون
حوادث الدهر فإنه لا تدوم على حال قال الشاعر

تربص بها ريب المنون لعلها ... تطلق يوما أو يموت حليلها

وقال الأخطل

أمن المنون وريبه تتوجع ... والدهر ليس بمعتب من يجزع

قل

قل تربصوا فإني معكم من المتربصين هذا كلام تهديد أم تأمرهم أحلامهم
عقولهم بهذا أي بقولهم كاهن وشاعر ومجنون وهو قول متناقض وكانت قريش
تدعى أهل الأحلام وقيل لعمرو بن العاص رحمه الله ما بال قومك لم يؤمنوا وقد
وصفهم الله بالعقل فقال تلك عقول كادها الله أي لم يصحبها التوفيق أم تأمرهم قيل أم
بمعنى الهمزة أي تأمرهم وقدرها مجاهد ببل والصحيح أنها تقدر ببل والهمزة
أم هم قوم طاغون أي مجاوزون الحد في العناد مع ظهور الحق لهم وقرأ مجاهد بل هم
مكان أم هم وكون الأحلام آمرة مجاز لما أدت إلى ذلك جعلت آمرة كقوله أصلاتك
تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا وحكى الثعلبي عن الخليل أنه قال كل ما في سورة الطور
من أم فاستفهام وليس بعطف أم يقولون تقوله اختلقه من قبل نفسه كما قال ولو تقول
علينا بعض الأقاويل وقال ابن عطية تقوله معناه قال عن الغير إنه قاله فهو
عبارة عن كذب مخصوص انتهى بل لا يؤمنون أي لكفرهم وعنادهم ثم عجزهم بقوله
فليأتوا بحديث مثله أي مماثل للقرآن في نظمه ووصفه من البلاغة وصحة المعاني
والإخبار بقصص الأمم السالفة والمغيبات والحكم إن كانوا صادقين في أنه
تقوله فليقولوا مثله إذ هو واحد منهم فإن كانوا صادقين فليكونوا مثله
في القول وقرأ الجحدري وأبو السمال بحديث مثله على الإضافة أي بحديث
رجل مثل الرسول في كونه أميا لم يصحب أهل العلم ولا رحل عن بلده أو مثله في كونه
واحدا منهم فلا يعوزهم أن يكون في العرب مثله في الفصاحة فليأتوا بمثل ما أتى
به ولن يقدروا على ذلك أبدا أم خلقوا من غير شيء أي من غير شيء حي كالجماد
فهم لا يؤمرون ولا ينهون كما هي الجمادات عليه قاله الطبري وقيل من غير شيء أي
من غير علة ولا لغاية عقاب وثواب فهم لذلك لا يسمعون ولا يتشرعون وهذا
كما تقول فعلت كذا وكذا من غير علة أي لغير علة فمن للسبب وفي القول الأول (تبدا)
الغاية وقال الزمخشري أم خلقوا أم أحدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم
من غير شيء من غير مقدر أم هم الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق
بل لا يوقنون أي إذا سئلوا من خلقكم وخلق السماوات والأرض قالوا الله وهم
شاكون فيما يقولون لا يوقنون وقيل أم خلقوا من غير رب ولا خالق أي أم أحدثوا

وتزن والموجود من غير اله يعبدونه ويشتبهم ام هم الخالقون لانفسهم فلا يعبدون الله
فلا يأتمرون بأوامره ولا ينتهون عن مناهيه والقسمان باطلان وهم يعترفون
بذلك فدل على بطلانهم وقال ابن عطية وهذا على جهة التوبيخ على انفسهم ام الذين
خلقوا الاشيا فهم لذلك يتكبرون ثم خصص من تلك الاشيا السموات والارض لعظمها
وشرفها في المخلوقات ثم حكم عليهم بانهم لا يوقنون ولا ينظرون نظرا يوديهم الى اليقين
ام عندهم خزائن ربك قال الزمخشري خزائن الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاؤا
او عندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمه ومصلحة ام هم المسيطرون
الارباب الغالبون حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم وقال ابن
عطية ام عندهم الاستغنا عن الله في جميع الامور لان المال والصحة والقوة وغير
ذلك من الاشيا كلها من خزائن الله تعالى وقال الزهراوي يريد الخزائن العلم وهذا
قول حسن اذا تؤمل وبسط وقال الرماني خزائنه تعالى مقدوراته انتهى والمسيطر
قال ابن عباس المسلط القاهر وقرا الجمهور المصيطرون بالصاد وهشام وقنبل وحفص
بخلاف عنه بالسين وهو الاصل ومن ابدلها صادا فلاجل حرف الاستعلا وهو
الطا واشم خلف عن حمزة وخلاد عنه بخلاف عنه الزاي ام لهم سلم منصوب الى
السما يستمعون فيه اي عليه او منه او حروف الجر تتداخل بعضها مسد بعض وقدر
الزمخشري صاعدين فيه ومفعول يستمعون محذوف تقديره الخبر يسمعه مما يدعونه
وقدره الزمخشري ما يوحى اليه الملائكة من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من
تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون فليأت مستمعهم بسلطان مبين اي
بحجة واضحة بصدق استماع مستمعهم ام تسألهم اجرا على الايمان بالله وتوحيده واتباع
شرعه فهم من ذلك المغرم الثقيل اللازم مثقلون فاقتضى زهدهم في اتباعك
ام عندهم الغيب اي اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان
بعثنا لا نعذب قاله الزمخشري وقال ابن عطية ام عندهم الغيب فهم يكتبون اي
يكتبون ذلك للناس شرعا وذلك عبارة عن الاوثان وتسبيب الثواب وغير
ذلك من شرعهم وقيل المعنى انهم يعلمون متى يموت محمد الذي يتربصون به فهم يكتبون
يعني يحكمون وقال ابن عباس يعني ام عندهم اللوح المحفوظ يكتبون ما فيه ويخبرون

ام

ام يريدون كيدا اي بك وبشرعك وهو كيدهم بك في دار الندوة فالذين كفروا اي
هم واوقع الظاهر موقع المضمر تنبيها على العلة والذين كفروا اعم فيندرجون فيه هم المكيدون اي
الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر وسمي غلبتهم
كيدا اذ كانت عقوبة الكيد ام لهم اله غير الله يعصمهم ويدفع في صدر اهلاكهم
ثم نزه تعالى نفسه عما يشركون به من الاصنام والاوثان وان يروا كسفا كانت
قريش قد اقترحت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اقترحت قولهم او تسقط
السما كما زعمت علينا كسفا فاخبر تعالى انهم لو راوا ذلك عيانا لحسب اجراحهم
لبلغ بهم عتوهم وجهلهم ان يغالطوا انفسهم فيما عاينوه وقالوا هو سحاب
تراكم بعضه على بعض يمطرنا وليس بكسف ساقط للعذاب فذرهم امر موادعة
منسوخ بايه السيف وقرا الجمهور حتى يلاقوا وابو حيوة حتى يلقوا مضارع لقي
يومهم يوم موتهم واحدا واحدا والصعق العذاب او يوم بدر لانهم عذبوا فيه ويوم
القيامة اقوال ثالثها قول الجمهور لان صعقته تعم جميع الخلائق وقرا الجمهور يصعقون
بفتح اليا وقرا عاصم وابن عامر وزيد بن علي واهل مكة في قول شبل بن عباد وقيل
اهل مكة كالجمهور قول اسمعيل وقرا السلمي بضم اليا وكسر العين من اصعق رباعيا
وان للذين ظلموا اي لهولا الظلمة عذابا دون ذلك اي دون يوم القيامة
وقبله وهو يوم بدر والفتح قاله ابن عباس وغيره وقال البرا بن عازب وابن
عباس ايضا هو عذاب القبر وقال الحسن وابن زيد مصائبهم في الدنيا وقال
مجاهد الجوع والقحط سبع سنين باعيننا عبارة عن الحفظ والكلاءة وجمع
لانه اضيف الى ضمير الجماعة وحين كان الضمير مفردا افرد العين قال تعالى ولتصنع
على عيني وقرا ابو السمال باعينا بنون واحدة مشددة وسبح بحمد ربك قال الا
حوص
عوف بن مالك هو التسبيح المعروف وهو قول سبحان الله عند كل قيام وقال
عطا حين تقوم من كل مجلس وهو قول ابن جبير ومجاهد وقال ابن عباس حين
تقوم من منامك فقيل هو صلوة التطوع وقيل الفريضة وقال الضحاك حين تقوم الى
الصلوة تقول سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقال
زيد بن اسلم حين تقوم من نوم القايلة والتسبيح اذ ذاك هو صلوة الظهر

وقال ابن السائب اذكر الله بلسانك حين تقوم من فراشك الى ان تدخل في الصلاة من
الليل وتسبح قبل صلاة المغرب والعشاء وادبار النجوم صلاة الصبح وعن ابن عمر وعلي
وابي هريرة والحسن انها النوافل وادبار النجوم ركعتا الفجر وقرا سالم بن ابي الجعد
والمنهال بن عمرو ويعقوب وادبار بفتح الهمزة بمعنى واعقاب النجوم المرء
القوي من امررت الحبل اذا احكمت فتله وقال قطرب تقول العرب لكل جزل الراي
حصيف العقل انه لذو مرة قال

وانى لذو مرة اذا ركبت حالة حالها

تدلى العرق تدليا لم يعرض من علو الى جهة السفل ويستعمل في العرض من العلو
قاله الفراء وابن الاعرابي وقال ابو اسامة الهذلي

تدلى عليها وهو زرق حمامة له طحلب في منتهى القيظ هامد

القاب [illegible] والقيد المقدار القوس معروف وهو الذكر
من السهام ويختلف شكله السمهري [illegible]
الجاني من صان يصون اذا اصابه قال الشاعر

صادت سوا [illegible] اذ يحملون الراس كالذنب

واصلها صوزى [illegible] فعل نحو جبل وابى [illegible] ففعل بها ما يفعل ببعض [illegible]
الياء لا يوصر وفعل بجنس الفا في الصفات كذا قال [illegible] وحكى ثعلب مشية حيكى
ورجل كيصى وحكى عن امراة عزهى وامراة سعلى والمعروف عزهاة وسعلاة
وقال الكسائي يقال صار يصير وصار يصور [illegible] وصان يصان صانا
اللمم [illegible] اللحم [illegible] والم بالمكان قل لبثه فيه
والم بالطعام قل منه اكله وقال المبرد اصل اللمم ان يلم بالشيء من غير ان يركبه
يقال الم بكذا اذا قاربه ولم يخالطه وقال الازهري العرب تستعمل الالمام
في المقاربة والدنو يقال الم يفعل كذا بمعنى كاد يفعل وقال جرير

بنفسي من تجنبه عزيز علي ومن زيارته لمام

وقال اخر لقاء اخلاء الصفاء لمام

الاجنة جمع جنين وهو الولد في البطن سمي بذلك لاستتاره والاختباء

الاستتار

الاستتار اكدى اصله من الكدية يقال لمن يحفر بئرا ثم وصل الى حجر لا يتهيا
له فيه حفر قد اكدى ثم استعملته العرب لمن اعطى ولم يتمم ولمن طلب شيئا فلم يبلغ اخره وقال

فاعطى قليلا ثم اكدى عطاءه ومن يبذل المعروف في الناس يحمد

وقال الكسائي وغيره اكدى الحافر واجبل اذا بلغ الكدية او جبلا ولا يمكنه ان يحفر
وحفر فالذي بلغ الصلب ويقال كدت اصابعه اذا كلت من الحفر وكدى النبت
بلد ربيعه وقال ابو زيد اكدى الرجل قل خيره اقنى قال الجوهري قنا يقنى
قنا كغنى يغنى غنا [illegible] الحركة تقول قنيت المال اي كسبته نحو سترت
عن الرجل وسترتها اللهم تعدى بعد ذلك بالهمزة او التضعيف فتقول اقناه الله
مالا وقناه الله وقال الشاعر

كم من غني اصاب الدهر ثروته ومن فقير تقنى بعد اقلال

ويقال اقناه الله ارضاه [illegible] وقال ابو زيد تقول العرب لمن اعطى مائة من المعز
اعطى القنى ومن اعطى مائة من الضان اعطى الغنى ومن اعطى مائة من الابل اعطى المنى
الشعرى الكوكب المضيء الذي يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر ويقال له
مرزم الجوزاء وهما الشعريان العبور في الجوزاء والشعرى الغميصاء التي في الذراع وتزعم
العرب انهما اختا سهيل قال [illegible] وتسمى كلب الجبار وهما شعريان الغميصا
والعبور ومن حديث العرب ان سهيلا والشعرى كانا زوجين فانحدر سهيل
فصار يمانيا فاتبعته الشعرى العبور فعبرت المجرة فسميت العبور واقامت الغميصا
فبكت لفقد سهيل حتى غمصت عينيها فسميت الغميصاء لانها اخفى من الاخرى ازف
قرب قال كعب بن زهير

بان الشباب وهذا الشيب قد ازفا ولا ارى لشباب بائن خلفا

وقال النابغة الذبياني

ازف الترحل غير ان ركابنا لما تزل برحالنا وكان قد

ويروى ازف الرحيل السمر اللهو واللعب قال

الا ايها الانسان انك سامد كانك لا تفنى وانت هالك

وقال قيل قم فانظر اليهم ثم دع عنك السمودا

الحطيئة

وقال ابو عبيدة المشهور الغثاء بلغة حمير يقولون يا جارية اسمدي لنا اي غني لنا

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى

ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما راى افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة الماوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد راى من ايات ربه الكبرى افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى ان هي الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ام للانسان ما تمنى فلله الاخرة والاولى ٤٠ نص

السورة مكية ومناسبتها لاخر ما قبلها ظاهرة لانه قال ام يقولون تقوله اي اختلق القران وينسبونه الى الشعر وقال هو كاهن هو مجنون فاقسم تعالى انه عليه السلام ما ضل وان ما اتى به هو وحي من الله وهو اول سورة اعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرائتها في الحرم والمشركون يستمعون وفيها سجدة وسجد معه المومنون والمشركون والجن والانس غير ابي لهب فانه رفع حفنة من تراب الى جبهته وقال يكفي هذا وسبب نزولها قول المشركين ان محمدا اختلق القران واقسم تعالى بالنجم فقال ابن عباس ومجاهد والفراء ومنذر بن سعيد هو الجملة من القران اذا نزلت وقد نزل منجما في عشرين سنة وقال الحسن ومعمر بن المثنى هو هنا اسم جنس والمراد النجوم اذا هوت اي غربت قال ٤٠

فتانته بعد النجم مستحيرة سريع بايدي الاكلين جمودها

اي بعد النجوم وقال الحسن وابو حمزة الثمالي النجوم اذا انتثرت في القيامة وقال ابن عباس ايضا هو انقضاضها اثر الشياطين وهذا لساعد اللغة وقال الاخفش والنجم النبت اذا طلع وهويه سقوطه على الارض وقال جعفر الصادق هو النبي صلى الله عليه وسلم وهويه نزوله ليلة المعراج وقيل النجم معين وقال مجاهد وسفيان هو الثريا وهويها سقوطها مع الفجر وهو علم عليها بالغلبة ولا تقول العرب

النجم

النجم مطلقا الا للثريا ومنه قول العرب

طلع النجم عشاء فابتغى الراعي كساء ٤٠

طلع النجم غدية فابتغى الراعي كسية ٤٠

وقيل الشعرى واليها الاشارة بقوله وانه هو رب الشعرى والكهان والمنجمون يتكلمون على المغيبات عند طلوعها وقيل الزهرة وكانت تعبد وقيل والنجم من الصحابة ومن العلماء مهتدا وبه المجمع وهو في اللغة حرق الهواء ومقصده السفل او مصيره اليه وان لم يقصد اليه وقال ٤٠ ٤٠

يهوي الدلو اسلمها الرشا ومنه هوي العقاب ٤٠ ٤٠

صاحبكم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش اي هو مهتد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغي وما ينطق اي الرسول عن الهوى اي عن هوى نفسه ورايه ان هو الا وحي من عند الله يوحى اليه وقيل ما ينطق اي القران عن هوى وشهوة كقوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ان هو الا الذي ينطق به او ان هو القران علمه الضمير عائد على الرسول فالمفعول الثاني محذوف اي علمه الوحي او على القران فالمفعول الاول محذوف اي علمه الرسول شديد القوى هو جبريل وهو مما اضيف للاوصاف للمبالغة وقاله ابن عباس وقتادة والربيع وقال الحسن شديد القوى هو الله تعالى وهو بعيد ذو مرة ذو قوة ومنه لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي وقال هو ذو هيئة حسنة وقيل ذو حسن طويل حسن ولا يناسب بعد ان القوى الا اذا كان شديد القوى هو جبريل فاستوى الضمير لله في قول الحسن وكذا وهو بالافق الاعلى لله تعالى على معنى العظمة والقدرة والسلطان فاستوى اي جبريل في الجو وهو بالافق الاعلى اذ راه الرسول بحرا قد سد الافق له ستمائة جناح وحينئذ دنا من محمد حتى كان قاب قوسين وكذلك هو المرئي في النزلة الاخرى قاله الفراء والمعنى فاستوى جبريل وقوله وهو فهو محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذا التاويل العطف على الضمير المرفوع من غير فصل وهو مذهب الكوفيين وقيل الضمير في استوى للرسول وهو لجبريل والافق على لغة الراس وما جرى معه وقال الحسن وقتادة هو افق مشرق الشمس وقال الزمخشري

فاستوى فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط
الوحي وكان ينزل في صورة دحية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب ان يراه
في صورته التي جبل عليها فاستوى له بالافق الاعلى وهو افق الشمس فملأ الافق وقيل ما رآه
احد من الانبيا في صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم مرة في الارض ومرة في
السماء ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتدلى فتعلق عليه في الهوا وكان مسافة
قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال ابو علي في قوله

وقد جعلتني من حزيمة اصبعا اي ذا مقدار مسافة اصبع او ادنى على تقديركم

كقوله او يزيدون اوحى الى عبده اي الى عبد الله وان لم يجر لاسمه عز وجل ذكر لانه لا
يلبس كقوله على ظهرها ما اوحى تفخيم للوحي الذي اوحى اليه قيل اوحى اليه ... وقال ابن
عطية ثم دنا قال الجمهور اي جبريل الى محمد عليه السلام بعد ما قال ابن عباس وانس
في حديث الاسرا ما يقتضي ان الدنو يستند الى الله تعالى فيحمل ... كان الدنو
الى جبريل وقيل الى الرسول اي دنا وحيه وسلطانه وقدرته والصحيح ان جميع
ما في هذه الايات هو مع جبريل بدليل قوله ولقد رآه نزلة اخرى فانه يقتضي
نزلة متقدمة وما روي ان الرسول رأى ربه قبل ليلة الاسرا اي ... ودنا
اعم من تدلى فبين هيئة الدنو كيف كان قاب قدر قال قتادة وغيره
معناه من طرف العود الى طرفه الآخر وقال الحسن ومجاهد من الوتر الى العود في
وسط القوس عند المقبض وقال ابو رزين ليست بهذه القوس ولكن قدر
الذراعين وعن ابن عباس ان القوس هنا ذراع يقاس به الاطوال وذكر
الثعلبي انه من لغة الحجاز فاوحى اي الله الى عبده الى الرسول قاله ابن عباس
وقيل الى عبده جبريل ... على جهة التعظيم والتفخيم والذي عرف بذلك فرض
الصلوة وقال الحسن فاوحى جبريل الى عبد الله محمد ما اوحى كالاول في الابهام
وقال ابن زيد فاوحى جبريل الى عبد الله محمد ما اوحاه الله الى جبريل وقال
الزمخشري ما اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبيا حتى يدخلها او على الامم
حتى يدخلها امتك ما كذب فؤاد محمد ما رآه ببصره من صورة جبريل اي ما قال
فؤاده لما رآه لم اعرفك يعني انه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك ان ما رآه حق

اي

اي وقرأ الجمهور ما كذب مخففا على معنى لم يكذب قلب النبي الذي رأى بل
صدقه وكذبه مخففة نظرا وكذب شعري قال ابن عباس وابو صالح رأى محمد الله تعالى
بفؤاده وقيل ما رأى بعينه لم يكذب ذلك بقلبه بل صدقه وحققه ويحتمل ان يكون
التقدير فيما رآه وعن ابن عباس وعكرمة وكعب الاحبار ان محمدا رأى ربه بعيني رأسه
وابت ذلك عائشة وقالت انا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآيات
فقال لي هو جبريل فيهما كلاهما وقال الحسن المعنى ما رأى من مقدورات الله وسأل
ابو ذر رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك فقال نور انى اراه وحديث
عائشة قاطع بكل تأويل في اللفظات قول غيرها انما هو منتزع من الفاظ القرآن وليس
نصا في الرؤية بالبصر بل ولا بغيره وقرأ ابو رجا وابو جعفر وقتادة والجحدري وخالد
ابن الياس وهشام عن ابن عامر ما كذب مشددا وقال كعب الاحبار
ان الله قسم الرؤية والكلام بين محمد وموسى عليهما السلام فكلم موسى مرتين ورآه
محمد مرتين وقالت عائشة لقد وقف شعري من سماع هذا وقرأت لا تدركه
الابصار وهو يدرك الابصار وذهبت هي وابن مسعود وقتادة والجمهور
الى ان المرئي مرتين هو جبريل مرة في الارض ومرة عند سدرة المنتهى وقرأ
الجمهور افتمارونه اي اتجادلونه على شيء رآه وابصره وعدي بعلى لما في الجدال
من المغالبة وجاء بلفظ المضارع وان كانت الرؤية قد مضت اشارة الى
ما يمكن حدوثه بعد وقرأ علي وعبد الله وابن عباس والجحدري ويعقوب وابن
سعدان وحمزة والكسائي بفتح التاء وسكون الميم مضارع مريت اي جحدت
تقول مريته حقه اذا جحدته قال الشاعر

لئن هجرت اخا صدق ومكرمة لقد مريت اخا ما كان يمريكا

وعدي بعلى على معنى التضمين وذلك ان قريشا حين اخبرهم عليه السلام بامره في
الاسرا كذبوا واستعجبوا حتى وصف لهم بيت المقدس وامر عيرهم وغير ذلك
مما هو مستقصى في حديث الاسرا وقرأ عبد الله فيما حكى ابن خالويه والشعبي
فيما ذكر شعبة بضم التاء وسكون الميم مضارع امريت قال ابو حاتم وهو
غلط ولقد رآه النصب المصوب على جبريل قاله ابن مسعود وعائشة ومجاهد

والمرة نزلة اخرى في صورته نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج واخرى بمعنى
نزلة سابقة وهي المفهومة من قوله ثم دنى فتدلى وهو الهبوط والنزول من علو
وقال ابن عباس وكعب الاحبار الضمير عائد على الله فما سبق من قولهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم راى ربه مرتين وانتصب نزلة قال الزمخشري نصب
الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل وقال الحوفي وابن عطية
مصدر في موضع الحال وقال ابو البقا مصدر اي مرة اخرى او رؤية اخرى
عند سدرة المنتهى [illegible] شجرة نبق في السما السابعة وقيل في السادسة ثمرها
كقلال هجر وورقها كآذان الفيلة ينبع من اصلها الانهار التي ذكرها الله في
كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتها كأنه
ينتهي اليها علم كل عالم ولا يعلم ما وراها صعدا الا الله وينتهي اليها كل من مات
على الايمان من كل جيل او ينتهي اليها ما نزل من امر الله ولا يجاوزها ملائكة العلو
وما صعد من الارض [illegible] لا يتجاوزها ملائكة السفل او ينتهي اليها ارواح الشهدا
وكانها في منتهى الجنة وآخرها او ينتهي اليها الاعمال او لانتها من رفع اليها
في الكرامة اقوال تسعة عندها جنة المأوى اي عند السدرة قيل ويحتمل
عند النجم قال الحسن هي الجنة التي وعد الله المؤمنين وقال ابن عباس بخلاف
عنه وقتادة هي جنة تاوي اليها ارواح الشهدا وليست بالتي وعد المتقون جنة
النعيم وقيل هي جنة ماوى الملائكة وقرا علي وابو الدردا وابو هريرة وابن
الزبير وانس وزر ومحمد بن كعب وقتادة جنه ها الضمير وجن فعل ماض والها
ضمير النبي اي عندها ستره ايوا الله تعالى وجميل صنعه به وقيل المعنى ضمه المبيت
والليل وقيل جنه بظلاله ودخل فيه ورد عائشة وصحابة معها هذه القراة
وقالوا اجن الله من قراها واذا كانت قراءة قراها اكابر من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فليس لاحد ردها وقيل ان عائشة اجازتها وقراءة الجمهور
جنة المأوى كقوله في آية اخرى فلهم جنات المأوى نزلا اذ يغشى السدرة
ما يغشى فيه ابهام الموصول وصلته وهو تعظيم وتكثير للغاشي الذي يغشاها اذ ذاك
اشيا لا يعلم وصفها الا الله وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون
الله

الله عندها وقيل ما يغشى من قدرة الله وانواع الصفات التي يخترعها لها وقال
ابن مسعود وانس ومسروق ومجاهد وابراهيم ذلك جراد من ذهب كان يغشاها
وقال مجاهد ذلك تبدل اغصانها درا وياقوتا وروي في الحديث رايت على كل ورقة
من ورقها ملكا قايما يسبح الله وايضا يغشاها رفرف من طير خضر وايضا يغشاها
الوان لا ادري ما هي وعن ابي هريرة يغشاها نور الخلاق وعن الحسن غشيها
نور رب العزة فاستنارت ونحوه عن ابن عباس غشيها رب العزة اي امره كما في صحيح
مسلم مرفوعا فلما غشيها من امر الله ما غشي [illegible] وفي هذا الابهام للتعظيم ما اوحى
الى عبده ما اوحى وفي الموتفكة فغشاها ما غشى ما زاغ البصر قال ابن عباس
ما مال هكذا ولا هكذا وقال الزمخشري اي اثبت ما راه اثباتا مستيقنا صحيحا
من غير ان يزيغ بصره عنه او يتجاوزه او ما عدل عن رؤية العجايب التي امر برويتها
ويمكن منها وما طغى وما جاوز ما امر برؤيته بل وقع عليه وقوعا صحيحا وهذا
تحقيق للامر ونفي للريب عنه لقد راى من آيات ربه الكبرى قيل الكبرى مفعول
راى اي الآيات الكبرى والعظمى التي هي بعض آيات ربه اي حين رقى السما
راى عجايب الملكوت وتلك بعض آيات الله وقيل من آيات نعوت موضع المفعول
او الكبرى صفة لآيات ربه وقيل هذا الجمع يوصف بوصف الواحد وحسن
ذلك هنا كونها فاصلة كما في قوله لنريك من آياتنا الكبرى [illegible] من جملتها
صفة لآياتنا وقال ابن عباس وابن مسعود راى رفرفا اخضر من الجنة قد سد
الافق وقال ابن زيد راى جبريل في الصورة التي هو بها في السما افرايتم خطاب
لقريش ولما قرر الرسالة اولا واتبعه بما اتبعه من ذكر عظمة الله وقدرته
الباهرة ذكر التوحيد والمنع عن الاشراك فوبخهم على جهات معبوداتهم
وهي الاوثان وانها ليست لها قدرة واللات صنم كانت العرب تعظمه
قال قتادة كان بالطائف وقال ابو عبيدة وغيره كان في الكعبة وقال ابن
زيد كان بنخلة عند سوق عكاظ قال ابن عطية وقول قتادة ارجح ويؤيده قول الشاعر
وفرت ثقيف الى لاتها بمنقلب الخايب الخاسر
[illegible] ويمكن الجمع ان تكون اصناما سميت باسم اللات فاخبر عن كل صنم بمكانه والتاء

في اللات قيل اصله لاه الكلمه كالناس ناس والقه سعليه فيها يتطهرون بالاسماء
ما نعا اي ان موجود وات وحرت ما اف من لوت جاز ان تكون سعلبه من واو
وقيل لنا اللا منت دون بها فيله من لوى قيل لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون
للعباده او يلتوون عليها اي يطوفون تحدثت لانها وقرا الجمهور اللات بتخفيف
التا وابن عباس في مجاهد ومنصور ابن المعتمر وابو صالح وطلحه وابو الجوزا ويعقوب
وابن كثير في روايه لتشديدها قال ابن عباس كان هذا رجل لسوق عكاظ يلت
السمن والسويق عند صخره وقيل كان ذلك الرجل من بهز يلت السويق للحاج
على حجر فلما مات عبدوا الحجر الذى كان عنده اجلالا لذلك الرجل وسموه
باسمه وقيل سمي برجل كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعمه الحاج وعن
مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه
وثنا وفي البحر انه كان صنما تعظمه العرب وقيل حجر ذلك اللات وسموه
باسمه وعن ابن جبير صخرة بيضا كانت العرب تعبدها وتعظمها وعن مجاهد
شجرات تعبد وكان دها اسعل امرها الى صخره اسمه نخلة وفي البحر اللات
هو صنم ام حجر يلت عليه او صخره يلت عندها او قبر اللات او شجرات
او صخره او اللات نفسه اقوال والعزى صنم وقيل شجرة كانت لغطفان
واصلها تانيث الاعز بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
فقطعها وخرجت منها شيطانه ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة
يدها على راسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول يا عز كفرانك
لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك ورجع فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عليه السلام تلك العزى ولن تعبد ابدا وقال ابو عبيدة كانت العزى ومناة
بالكعبة ايضا ويدل على هذا قول ابي سفيان في بعض الحروب للمسلمين لنا العزى
ولا عزى لكم وقال ابن زيد العزى بالطائف وقال غيره كانت بنخلة ويمكن
الجمع بين هذه الاماكن بانه كان في كل مكان منها صنم يسمى بالعزى كما
ان الثلاث فاخبر كل واحد عن ذلك الصنم المسمى ومكانه ومناة قيل صخرة
كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس لثقيف وقيل بالمشلل من قديد

مكة

مكة والمدينة وكانت اعظم هذه الاوثان قدرا واكثرها عابدا وكانت الاوس والخزرج
تهل لها وهذا اضطراب كثير في هذه الاوثان ومواضعها والذي يظهر لنا انها كانت
ملبسة في الكعبة لان المخاطب مذكر في قوله افرايتم هم قريش وقرا الجمهور ومناة مقصورا
وقيل وربما فعله سميت مناة لان دما النسائك كانت تمنى عندها اي تراق وقرا
ابن كثير ومناءة بالمد والهمز فقيل واصلها مفعولة فالالف منقلبة عن واو ونحو مفالة
والهمزة اصل مشتقة من النوء كانوا يستمطرون عندها الانوا بركة بها
والقصر اشهر قال جرير

ازيد مناة توعد يا ابن تيم تامل اين تاه بك الوعيد

وقال الاخر في المد والهمز

الا هل اتى تيم بن عبد مناءة على النأي فيما بيننا ابن تميم

واللات والعزى ومناة منصوبة بقوله افرايتم وهي بمعنى اخبرني والمفعول الثاني
الذي لها هو قوله الكم الذكر وله الانثى على حذف ما يربط معمولي ارايت اذا كانت
بمعنى اخبرني ولم يعد ضمير من جملة الاستفهام على اللات والعزى ومناة لان قوله
وله الانثى هو في معنى وله هذه الايات فاغنى عن الضمير وكانوا يقولون في هذه
الاصنام هي بنات الله فالمعنى الكم النوع المستحسن المحبوب منكم وله النوع المذموم
منكم وهو المستثقل وحسن ابراز الانثى كونه نصبا في اعتقادهم انهن اناث
وانهن بنات الله وان كان في لحاق التانيث في اللات وفي مناة والف التانيث
في العزى ما يشعر بالتانيث لكنه قد يسمى الذكر بالمؤنث فكان في قوله الانثى
نص على اعتقاد التانيث فيها وحسن ذلك ايضا كونه جا فاصلة اذ لو اتى ضميرا
فقال الزمخشري الكم الذكر وله ضمن لم يقع فاصلة عندكم وقال الزجاج وجه تلفيق
هذه الاية مع ما قبلها فيقول اخبروني عن الهتكم هل لها شي من القدرة والعظمة
التي وصف بها رب العزة في الاي السالفة اه فجعل المفعول الثاني لارايتم جملة
الاستفهام التي قدرها وحذفت لدلالة الكلام السابق عليها وعلى تقديره يبقى قوله
الكم الذكر وله الانثى متعلقا بما قبله من جهة المعنى لا من جهة الاعراب كما قلناه نحن
ولا يحتاج قول الزجاج وجه تلفيق هذه مع ما قبلها ولو قال وجه اتصال هذه او وجه

اسم اللات معه مع ما قبلها لكان الجفوة الادب وان كان بمعنى هذه الفي قال ابن عطية
اثر اسم خطاب لقريش وهي من رؤية العين لانه احال على اجرام مرئية ولو كانت
ارأيت التي هي استفهام لم تتعد هكذا وتعني بالاجرام اللات والعزى ومناة وارأيت
التي هي استفهام تتعدى على الاجرام نحو ارأيت زيدا ما صنع وقوله ولو كانت ارأيت
استفهاما بمعنى الذي يقول النحاة فيها انها بمعنى اخبرني لم تتعد والتي هي بمعنى الاستفهام
تتعدى الى اسمين احدهما منصوب والآخر في الغالب جملة استفهامية وقد تقرر لنا
الكلام في ذلك اوله في سورة الانعام ودل كلام ابن عطية على انه لم يطالع ما قاله
الناس في ارأيت اذا كانت استفهاما على اصطلاحهم وهي التي بمعنى اخبرني والظاهر
ان الثالثة الاخرى صفتان لمناة وهما يفيدان التوكيد ولما كانت مناة
هي اعظم هذه الاوثان اكدت بهذين الصفتين كما تقول رأيت فلانا وفلانا
ثم تذكر اجلهما فتقول وفلانا الآخر الذي من امره وشأنه ولفظة آخر
واخرى يوصف به الثالث من المعدودات وذلك نص في الآخر ومنه قول ربيعة
ابن مكدم ⁂ ولقد شفعتهما باخر ثالث ⁂
ابى وقول ربيعة مخالف للآية لان بالثالثة بعد اخرى محل قوله فخوا القائل نصا
هو اعظم الاوثان تكون للتأكيد لاجل عظمها الاخرى التي تؤوله ثم تذكر بالثانية احلها
وقال الزمخشري والاخرى ذم وهي المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت اخراهم
لاولاهم اي وضعاؤهم لرؤسائهم واشرافهم ويجوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم
للات والعزى انتهى ولفظ آخر ومؤنثه اخرى لم توضع للذم ولا للمدح انما يدلان
على معنى غير الا ان من شرطهما ان يكونا من جنس ما قبلهما لو قلت مررت برجل وآخر
لم يدل الا على معنى غير لا على ذم ولا مدح وقال ابو البقاء والاخرى توكيد لان الثالثة
لا تكون الا اخرى انتهى وقيل الاخرى صفة للعزى لانها ثانية اللات والثانية
يقال لها الاخرى واخرت لموافقة رؤوس الآي وقال الحسين بن الفضل فيه تقديم
وتأخير تقديره والعزى الاخرى ومناة الثالثة وقال ابو عبد الله الرازي الاخرى
صفة ذم كأنه قال ومناة الثالثة الذليلة وذلك لان الاولى كان وثنا على صورة
آدمي والعزى صورة نبات ومناة صورة صخرة فالآدمي اشرف من

النبات

النبات والنبات اشرف من الجماد والجماد متأخر ومناة جماد فهي في اخريات المراتب والا
ستذلي فمنتهم وتقريعهم ان لهم الذكران ولله البنات وكانوا يقولون ان هذه الاصنام
والملائكة بنات الله قال ابن عباس وقتادة ضيزى جائرة وسفيان منقوصة وابن زيد مخالفة
ومجاهد ومقاتل عوجاء والحسن غير معتدلة وابن سيرين غير مستوية وكلها اقوال
متقاربة في المعنى وقرأ الجمهور ضيزى من غير همز والظاهر انه صفة على وزن فعلى
بضم الفاء كسرت لتصح الياء وجوز ان تكون مصدرا على وزن فعلى كذكرى
ووصف به وقرأ ابن كثير ضئزى بالهمز فتوجه على انه مصدر كذكرى وصف
به وقرأ زيد بن علي ضيزى بفتح الضاد وبالياء وتوجه على انه مصدر كدعوى
وصف به او وصف كسكرى وناقة حرمى ويقال ضوزى بالواو وبالهمز وتقدم
في المفردات حكاية لغة الهمز عن الكسائي وانشد الاخفش

شان — لغة

⁂ فان تنأ عنا ننتقصك وان تغب ... فسهمك مضئوز وانفك راغم ⁂

ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان تقدم تفسير نظيرها
في قصة هود في سورة الاعراف وقرأ الجمهور ان يتبعون بالياء للغيبة وعبد الله وابن
عباس وابن وثاب وطلحة والاعمش وعيسى بن عمر بتاء الخطاب الا الظن وما تهوى الانفس
للامر يعتقدون من غير تحقق وما تهوى الانفس اي تميل اليه بلذة وانما تهوى
ابدا ما هو عن الافضل لانها مجبولة على حب الملاذ وانما يسوقها الى حسن العاقبة
العقل ولقد جاءهم من ربهم الهدى توبيخ لهم اذ ذاك بهم علمه باطلا او اعتراض بين الجملتين
اي يفعلون هذه القبائح والاتباع والهدى قد جاءهم وكانوا اولى من يقبله
وترك عبادة من لا يجزي عبادته ام للانسان ما تمنى هو منقطع بمعنى بل وما هو
الانكار اي بل الانسان والمراد به الجنس ما تمنى اي ما يتعلق به امانيه
اي ليست الاشياء والشهوات تحصل بالاماني بل الامر لله ومنه قولكم ان الاصنام
تشفع وتقرب زلفى ليس لكم ذلك وقيل اشتهاء شفاعتهم وقيل ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده
للحسنى وقيل تمني الوليد بن المغيرة ان يؤتى مالا وولدا وقيل تمني بعضهم ان يكون
النبي فلله الآخرة والاولى اي مالكهما فيعطي منهما من يشاء ويمنع من يشاء وليس لاحد
ان يتمنى منهما الا ما شاء الله وقدم الآخرة في الذكر لتأخرها وكونهما واخرا الاولي

بالنا خبرها في ذلك ولكونها فاصلة فلم يراع الترتيب الوجودي كقوله وان لنا للآخرة
شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء
والاولى
ويرضى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى وما لهم به من
علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فاعرض عن من تولى
عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل
عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين
اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش
الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة في
بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وكم هي خبرية ومعناها
هنا التكثير وهي في موضع رفع بالابتداء والخبر لا تغني والغنا طلب النفع ودفع الضر
بحسب الامر الذي يكون فيه الغنا وكم لفظها مفرد ومعناها جمع وقرا الجمهور شفاعتهم
بافراد الشفاعة وجمع الضمير وزيد بن علي شفاعته بافراد الشفاعة والضمير وابن
مقسم شفاعاتهم بجمعهما وهو اختيار صاحب الكامل ابي القاسم الهذلي وافردت الشفاعة اذا
في قراءة الجمهور لانها مصدر ولانهم لو شفع جميعهم لواحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئا فاذا
كانت الملائكة المقربون لا تغني شفاعتهم الا بعد اذن الله ورضاه اي يرضاه اهلا
للشفاعة فكيف تشفع الاصنام لمن يعبدها ومعنى تسمية الانثى كونهم يقولون
انهم بنات الله والذين لا يؤمنون بالآخرة هم العرب منكروا البعث وان الظن
لا يغني من الحق شيئا اي ما يدركه العلم لا ينفع فيه الظن وانما يدرك بالعلم واليقين
قيل ويحتمل ان يكون المراد بالحق هنا هو الله تعالى اي الاوصاف الالهية
لا تستخرج بالظنون ويدل عليه ذلك بان الله هو الحق فاعرض عن من تولى عن ذكرنا
موادعة منسوخة باية السيف ولم يرد الا الحيوة الدنيا اي لم تتعلق ارادته بغيرها
فليس له فكر في سواها كالنضر بن الحرث والوليد بن المغيرة والذكر هنا القرآن
او الرسول اقوال وعن من تولى عن ذكرنا هو سبب الاعراض لان من لا يصغى
الى قول لا يفهم معناه فامره عليه السلام بالاعراض عمن هذه حاله ثم ذكر
سبب التولي عن الذكر وهو حصر ارادتهم في الحيوة الدنيا فالتولي عن الذكر

سبب

سبب الاعراض عنهم وايثار الدنيا سبب للتولي عن الذكر ذلك اشارة الى تعلقهم
بالدنيا وتحصيلها مبلغهم غايتهم ومنتهاهم من العلم وهو ما تعلقت به علومهم من
مكاسب الدنيا كالفلاحة والصنائع كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة
الدنيا ولما ذكر ما هم عليه اخبر تعالى انه عالم بالضال والمهتدي وهو مجازيهما و
قال الزمخشري وقوله ذلك مبلغهم من العلم اعتراض انتهى وكانه يقول هو اعتراض
بين فاعرض وبين ان ربك ولا يظهر هذا الذي يقوله من الاعتراض وقيل ذلك
اشارة الى جعلهم الملائكة بنات الله وقال الفراء صغر رايهم وسفه احلامهم اي غاية
عقولهم ونهاية علومهم ان اثروا الدنيا على الآخرة وقيل ذلك اشارة الى الظن اي
غاية ما يعقلون ان يأخذوا بالظن وقوله ان ربك هو اعلم الاية فيه معرض التسلية
اذ كان من تطلعه عليه السلام الحرص على ايمانهم وفي ذلك وعيد للكفار ووعد للمو
من
ولله ما في السموات وما في الارض اخبار عن قدرته وان العالم العلوي والعالم السفلي
ملك له تعالى يتصرف فيهما بما يشاء واللام في ليجزي متعلقة بما دل عليه معنى الملك
اذ يضل ويهدي ليجزي وقيل بقوله بمن ضل وبمن اهتدى واللام للصيرورة والمعنى
ان عاقبة امرهم جميعا للجزاء بما عملوا اي بعقاب ما عملوا والحسنى الجنة وقيل المعنى
بالاعمال الحسنى وحسن ذكر جزاء المسيء قال بما عملوا وحسن ذكر جزاء المحسن
اي بالصفة التي تقتضي التفضيل وتدل على الكرم والزيادة للمحسن كقوله
ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون والاحسن بالحسنى وقرا زيد بن علي ليجزي
ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون وكذا بالنون فيهما وتقدم الكلام في الاجتناب
في قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه في سورة النساء والذنوب تنقسم الى
كبائر وصغائر والفواحش معطوف على كبائر وهي ما فحش من الكبائر افرد
دها
بالذكر ليدل على عظم مرتكبها وقال الزمخشري والكبائر الذنوب التي لا يسقط
عقابها الا بالتوبة انتهى وهو على طريقة الاعتزال الا اللمم استثناء منقطع لانه لم
يدخل تحت ما قبله وهو صغار الذنوب او صفة اي كبائر الاثم غير اللمم كقوله
لو كان فيهما الهة الا الله اي غير الله لفسدتا وقيل يصح ان يكون استثناء متصلا
وهذا يظهر عند تفسير اللمم ما هو وقد اختلفوا فيه اختلافا كثيرا فقال الخدري

هو النظر والغمزة والقبلة وقال السدي الخطرة من الذنب وقال ابو هريرة وابن
عباس والشعبي والكلبي كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وقال ابن عباس
ايضا وابن زيد اللمم ما اتوه من الشرك والمعاصي في الجاهلية قبل الاسلام وعن ابن عباس
وزيد بن اسلم واتباعهما ان سبب الاية قول الكفار للمسلمين قد كنتم بالامس تعملون
اعمالنا فنزلت وهي مثل قوله وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف وقد نزلت
في نبهان التمار وحديثه مشهور وقال ابن عباس وعنه القبلة والسقطة ثم يتوب
منه وقال الحسن اللمم الزنا والسرقة والخمر ثم لا يعود وقال ابن المسيب ما خطر على القلب
وقال نفطويه ما ليس بمعتاد وقال الرماني الهم بالذنب وحديث النفس دون ان
تواقع وقيل نظرة الفجاءة ان ربك واسع المغفرة حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر
قال الزمخشري والكبائر بالتوبة انتهى وفيه نزعة الاعتزال هو اعلم بكم قيل نزلت في
قوم من اليهود عظموا انفسهم واذا مات طفل لهم قالوا هذا صديق عند الله وقيل في
قوم من المؤمنين فخروا باعمالهم والظاهر انه خطاب عام واعلم على بابها من
التفضيل وقال مكي بمعنى عالم بكم ولا ضرورة الى اخراجها عن اصل موضوعها
وكان مكيا راعى ان اعلم في الظرف الذي هو اذ انشاكم ويتعلق به في ذلك
الوقت لا مشاركة له في ذلك معه وهذا على انه قد يتعلق علم من الملائكة الله من الملائكة
عليه وبين الناصب لاذ محذوف تقديره واذكروا اذ انشاكم من الارض
والظاهر ان المراد انشاء اصلكم وهو ادم ويجوز ان يراد من فضله
الاغذية التي نشاها من الارض فلا تزكوا انفسكم اي لا تنسبوها الى زكاء
العمل والطهارة عن المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله منكم الزكي
والتقي قبل اخراجكم من صلب ادم وقبل اخراجكم من بطون امهاتكم وكثير مما ترى
من المتصلحين اذا اصبحوا يقولون صلينا وردنا البارحة كذا وصمنا كذا
من وردنا البارحة او فاتنا وردنا يوهمون الناس انهم يقومون بالليل وترى
لبعضهم في جبهته سوادا يوهم انه من كثرة السجود ولبعضهم احتقار للسنة حالة
الاحرام فيحرك يده مرارا ويصفق حتى يفزع من هو بجانبه وكانه يخطف شيئا
بيده وقت الحركة الاخيرة يوهم انه يحافظ على تحقيق النية وبعضهم يقول في

خلقه

خلقه وخفف السنة التي وردت بعدها انه حاج واذا الح له فلس يجب عليه ويتوب
الاسد على الفرسة ولا يخفيه شيء من الوسواس ولا من احضار النية في اخذ
وراه يجب الثناء عليه بالاوصاف الجميلة التي هو عار منها وقيل المعنى لا يزكي بعضكم
بعضا تزكية السمعة والمدح للدنيا او تزكية بالقطع واما التزكية لاثبات الحقوق فهي
جائزة للضرورة والجنين ما كان في البطن فاذا خرج سمي ولدا او سقطا وقوله في بطون
امهاتكم تنبيه على كمال العلم والقدرة فان بطن الام في غاية الظلمة ومن علم حاله وهو
مجتن لا يخفى عليه حاله وهو ظاهر بمن اعني قبل الترك وقال على عمل حسنة واعرض
عن معصيته افرايت الذي تولى واعطى قليلا واكدى اعنده علم الغيب فهو يرى
ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى وان
ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وان
الى ربك المنتهى وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا وانه خلق الز [وجين]
الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وان عليه النشاة الاخرى وانه هو اغنى
واقنى وانه هو رب الشعرى وانه اهلك عادا الاولى وثمود فما ابقى وقوم
نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى والمؤتفكة اهوى فغشاها ما غشى فباي
الاء ربك تتمارى هذا نذير من النذر الاولى ازفت الازفة ليس لها من دون الله
كاشفة افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون فاسجدوا
لله واعبدوا افرايت الاية قال مجاهد وابن زيد ومقاتل نزلت في الوليد بن
المغيرة كان قد سمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس اليه ووعظه فقرب
من الاسلام وطمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه عاتبه رجل من المشركين
وقال له اتترك ملة اباءك ارجع الى دينك واثبت عليه وانا اتحمل لك بكل شيء
تخافه في الاخرة لكن على ان تعطيني كذا وكذا من المال فوافقه الوليد على ذلك
ورجع عما هم به من الاسلام لكن على ان تعطيني كذا وكذا من المال فوافقه
الوليد على ذلك ورجع وضل ضلالا بعيدا واعطى بعض المال لذلك الرجل ثم امسك
عنه وشح وقال الضحاك هو النضر بن الحارث اعطى خمس قلائص لفقير من المهاجرين
حتى ارتد عن دينه وضمن له ان يحمل عنه اثم رجوعه وقال السدي نزلت في العاص بن

وابن السنهى كان ربما وافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقال محمد بن
كعب نزلت في ابي جهل بن هشام قال والله ما يأمر محمد الا بمكارم الاخلاق وروي
عن ابن عباس والسدي انها نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يتصدق
فقال له اخوه من الرضاعة عبد الله بن سعد بن ابي سرح نحوا من كلام القائل للوليد
ابن المغيرة الذي بدانا به وذكر القصة سماها الزمخشري ولم يذكر في سبب
النزول غيرها قال ابن عطية وهذا كله عندي باطل وعثمان رضي الله عنه منزه
عن مثله انتهى وافرايت هنا بمعنى اخبرني ومفعولها الاول الموصول والثاني الجملة
الاستفهامية وتعني اعنده علم الغيب وتولى اعرض عن الاسلام وقال الزمخشري
تولى ترك المركز يوم احد لما حمل الاية نزلت في عثمان رضي الله عنه فسر التولي
بهذا اذا ذكر التولي عن معين في القرآن فاكثر استعماله انما استعماله عن
عدم الدخول في الايمان واعطى قليلا واكدى قال ابن عباس اطاع قليلا ثم عصى
وقال مجاهد اعطى قليلا من نفسه بالاستماع ثم اكدى بالانقطاع وقال الضحاك قليلا
من ماله ثم منع وقال مقاتل اعطى قليلا من الخير بلسانه ثم قطعه اعنده علم الغيب
اي علم من الغيب ان من تحمل ذنوب اخر فان المتحمل عنه ينتفع بذلك فهو لهذا الذي
عليه يرى الحق وله فيه بصيرة ام هو جاهل وقال الزمخشري فهو يرى فهو يعلم
ان ما قاله اخوه من احتمال اوزاره حق وقيل يعلم حاله في الآخرة وقال الزجاج يرى
رفع ماثمه في الآخرة وقيل فهو يرى ان ما سمعه من القرآن باطل وقال الكلبي انزل
عليه قرآن فرأى ما صنعه وقيل فهو يرى انه لا جزاء واحتمل من يأن ان يكون بصرية
اي فهو ما يبصر ما خفي عنه مما هو غيب واحتمل من ان يكون بمعنى يعلم اي فهو
يعلم الغيب مثل الشهادة ام لم ينبأ اي بل الم يخبر بما في صحف موسى وهي التوراة
وابراهيم اي وفي صحف ابراهيم التي نزلت عليه وخصهما دون غيرهما من قبل الله
عليها فقيل لانه ما بين نوح وابراهيم كانوا يأخذون الرجل بابنه وابيه وعمه وخاله
والزوج بامرأته والعبد بسيده فاول من خالفهم ابراهيم ومن شريعة ابراهيم
الى شريعة موسى كانوا لا يأخذون الرجل بجريرة غيره الذي وفى قرأ الجمهور
وفى بتشديد الفاء وقرأ ابو امامة الباهلي وسعيد بن جبير وابو مالك الغفاري

وابن

وابن السميفع وزيد بن علي بتخفيفها ولم يذكر مفعول وفى ليتناول كل ما يصلح ان يكون
متعلقا له كتبليغ الرسالة والاستقلال باعباء الرسالة والصبر على ذبح ولده وعلى
فراق اسمعيل وامه وعلى نار نمرود وقيامه باضيافه وخدمته اياهم بنفسه وكان
يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفانا وامعه اكرمه والا نوى الصوم وعن الحسن
ما امره الله بشيء الا وفى به وعن عطاء بن السائب عهد ان لا يسأل مخلوقا وقال
ابن عباس والربيع وفى طاعة الله في امر ذبح ابنه وقال الحسن ايضا وفى تبليغ
الرسالة والمجاهدة في ذات الله وقال عكرمة وفى هذه العشر الايات الا تزر
وما بعدها وقال ابن عباس ايضا وفى ما افترض عليه من الطاعات على وجهها
وكملت له شعب الايمان والاسلام فاعطاه الله براءته من النار وقال
ابن عباس ايضا وفى شرائع الاسلام ثلاثين سهما يعني عشرة في براءة التائبون
وعشرة في قد افلح وعشرة في الاحزاب ان المسلمين وقال ابو امامة ورفعه الى
النبي صلى الله عليه وسلم وفى اربع صلوات في كل يوم وقال ابو بكر الوراق قام
بشرط ما ادعى وذلك ان الله تعالى قال له اسلم قال اسلمت لرب العالمين فطالبه
بصحة دعواه فابتلاه في ماله وولده ونفسه فوجده وافيا وانا اتينا للمفسرين اقوال
منها نقل وينبغي ان تكون هذه الاقوال امثلة لما وفى لا على سبيل التعيين وان
هي المخففة من الثقيلة وهي بدل من ما في قوله بما في صحف او في موضع رفع كأنه
قائل قال ما في صحفهما فقيل ان لا تزر اي انه لا تزر وتقدم شرح لا تزر وازرة
وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى الظاهر ان الانسان يشمل
المؤمن والكافر وان الحصر في السعي فليس له سعي غيره وقال عكرمة كان هذا
الحكم في قوم ابراهيم وموسى واما هذه الامة فلها سعي غيرها يدل عليه حديث
سعد بن عبادة هل لامي ان تطوع عنها قال نعم وقال الربيع الانسان
هنا الكافر واما المؤمن فله ما سعى وما سعي له غيره وسأل والي خراسان
عبد الله بن طاهر الحسين بن الفضل عن هذه الاية مع قوله والله يضاعف لمن
يشاء فقال ليس له بالعدل الا ما سعى وله بالفضل ما شاء الله فقبل عبد الله
راس الحسين وما روي عن ابن عباس انها منسوخة لا يصح لانه خبر لم يتضمن

وكلها ومنه الجمهور انها محكمة قال ابن عطية والمحرر عندي في هذه الاية ان ملاك
المعنى هو اللام من قوله للانسان فاذا حققت الشيء الذي هو حق الانسان
ان يقول فيه لي كذا لم يجده الا سعيه وما بعد من رحمة بشفاعة او رعاية
اب صالح وابن صالح او تضعيف حسنات او تعمد بفضل ورحمة دون هذا
كله فليس هو للانسان ولا يسعه ان يقول لي كذا وكذا الا على تجوز والحاق
بما هو حقيقة والحاق بما هو حقيقة ويحتج بهذه الاية من يرى انه لا يعمل
احد عن احد بعد موته ببدن او مال وفرق بعض العلما بين البدن والمال انتهى
والسعي التكسب ويرى مبني للمفعول اي سوف يراه حاضرا والفاعل وفي عرض
الاعمال تشريف للمحسن وتوبيخ للمسيء والضمير المرفوع في يجزاه عائد على الانسان
والمنصوب عائد على السعي والجزا مصدر قال الزمخشري ويجوز ان يكون الضمير
للجزاء ثم فسره بقوله الجزاء الاوفى او ابدله عنه كقوله واسروا النجوى الذين
ظلموا انتهى وقوله ثم فسره بقوله الجزاء واذا كان تفسيرا للضمير المنصوب
في يجزاه فعلى ماذا انتصب واما اذا كان بدلا فهو من باب بدل الظاهر
من المضمر الذي يفسره الظاهر وهي مسئلة خلاف والصحيح المنع وقرا الجمهور
وان الى ربك وما بعدها من وانه بفتح الهمزة عطفا على ما قبلها وقرا ابو السمال
بالكسر فيهن وفي قوله الاوفى وعد للمومن ووعيد للكافر المنتهى عامة وما يصل
اليه اي الى حساب ربك والحشر لاجله كما قال والى الله المصير اي الى جزائه وحسابه
او الى ثوابه من الجنة وعقابه من النار وهذا التفسير المناسب لما قبله الا انه
روي عن ابي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وان الى ربك المنتهى لا فكرة في الرب وروى
انس عنه عليه السلام اذا ذكر الرب فانتهوا به صوا اضحك وابكى والظاهر
حقيقة الضحك والبكا قال مجاهد اضحك اهل الجنة وابكى اهل النار وقيل كنى بالضحك
عن السرور وبالبكا عن الحزن وقيل اضحك الارض بالنبات وابكى السما بالمطر
وقيل احيا بالايمان وامات بالكفر وقال الزمخشري اضحك وابكى خلق
قوتي الضحك والبكا انتهى وهو دسيسة الاعتزال فلذلك قال خلق قوتي الضحك
والبكا وعندهما مخلوقة للعبد عندهم لا لله تعالى فلذلك قال خلق قوتي الضحك والبكا

وانه

وانه خلق الزوجين اي الصنفين من رجل وامراة وغيرهما من الحيوان من نطفة اذا
تمنى اذا تدفق وهو المني يقال امنى الرجل ومنى وقال الاخفش اذا تمنى اي تخلق وتقدر
من منى الماني اي قدر المقدر وان عليه النشاة الاخرى اي اعادة الاجسام الى
الحشر بعد البلا وجا لفظ عليه المشعر بالحتم لوجود الشيء لما كانت هذه النشاة
ينكرها الكفار بولغ بقوله عليه بوجودها لا محالة وكانه تعالى اوجب ذلك على
نفسه وتقدم الخلاف في قوله النشاة في سورة العنكبوت وقال الزمخشري قال
عليه لانها واجبة عليه في الحكمة ليجازي على الاحسان والاساءة انتهى وهو
على طريق الاعتزال وانه هو اغنى واقنى اي اكسب القنية يقال قنيت المال
اي كسبته واقنيته اياه اي اكسبته اياه ولم يذكر مفعولا اغنى واقنى لان المقصود
نسبة هذين الفعلين له تعالى وقد ذكر المفسرون مفعول ذلك وقالوا اغنى نفسه وفلانا
كقولهم اغنى نفسه وامر خليفته البه وكل قول منها لا دليل على تعيينه فينبغي
ان يجعلا ثابتة الشعرى التي عبدت هي العبور قال السدي كانت تعبدها
حمير وخزاعة وقال غيره اول من عبدها ابو كبشة احد اجداد النبي صلى الله عليه
وسلم من قبل امهاته وكانت اسمه عبد الشعرى ولذلك كان مشركو قريش
يسمونه عليه السلام ابن ابي كبشة ومن العرب من كان يعظمها ولا يعبدها
ويعتقد تاثيرها في العالم وانها من الكواكب الناطقة يزعم ذلك المنجمون ويتكلمون
على المغيبات عند طلوعها وهي تقطع السما طولا والنجوم كلها تقطعها
عرضا وقال مجاهد وابن زيد وهو مرزم الجوزاء وانه اهلك عادا الاولى
جا هنا انه وحرف الفصل هو وذلك في قوله وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات
واحيى وانه هو اغنى واقنى وانه هو رب الشعرى نفيا للمشاركة الاولى لما كان
قد يدعى ذلك بعض الناس كقول نمرود انا احيي واميت احتيج الى تاكيد
ان ذلك انما هو الله لا غيره فهو الذي يضحك ويبكي وهو المميت المحيي والمغني
والمقني حقيقة وان ادعى ذلك حقيقة له واما وانه هو رب الشعرى فلانها نفيا
لما عبدت من دون الله نص على انه تعالى هو ربها وموجدها ولما كان
خلق الزوجين والانشاة الاخرى واهلاك عاد ومن ذكر لا يمكن ان يدعى

وقال الامام المحتج الى ان يكون ولا يستصحب به تعالى هو ما على ذلك والاولى هم قوم هود
وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم اول الامم هلاكا بعد قوم نوح وقيل الاولى
المتقدمون في الدنيا الاشراف وقاله الزمخشري وقال ابن زيد والجمهور لانها في وجه
الدهر وقدمه فهي اولى بالاضافة الى الامم الماضين وقال الطبري وصفت بالاولى لان عادا
اخرى قبلها كما تقدم مع العمالقة وبنو لقيم بن هزال وقال المبرد عاد الاخرى هي ثمود
والدليل عليه قول زهير ۝ كاحمر عاد ثم ترضع فتفطم ۝
ذكره الزهراوي وقيل عاد الاخرى الجبارون وقيل قيل الاولى لانهم كانوا من قبل ثمود
وقيل ثمود من قبل عاد وقيل عاد الاولى هو عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح [illegible]
وعاد الثانية من ولده وعادا الاولى قرأ الجمهور عادا الاولى بتنوين عاد وكسره لالتقاء
الساكنين لام الاولى وتحقيق الهمزة بعد اللام وقرأ قوم كذلك الا انهم نقلوا
حركة الهمزة الى اللام وحذفوا الهمزة وقرأ نافع وابو عمرو بادغام التنوين في اللام المنقول
اليها حركة الهمزة المحذوفة وعاب هذه القراءة المازني والمبرد وقالت العرب في الابتداء
بعد النقل الاحمر ولحمر فهذه القراءة جاءت على لحمر فلا عيب فيها وهمز قالون بعد
بدل الواو الساكنة لما لم تكن من الضمة والواو حاملة لان الضمة على الواو
تنقلها كما قاله ۝ احب المؤقدين الى مؤسى ۝
وكان قرأ بعضهم على شذوذ وهي توجيه سيبويه ودور في حرف ابي عاد غير مصروف جعله اسم
قبيلة فمنعه الصرف للتانيث والعلمية والدليل على التانيث وصفه بالاولى
وقرأ الجمهور ثمودا مصروفا وقرأه غير مصروف الحسن وعاصم وعصمة فما ابقى
الظاهر انه متعلق ابقى يرجع الى عاد وثمود معا اي فما ابقى عليهم اي اخذهم بذنوبهم
وقيل فما ابقى منهم عينا تطرف وقال ذلك الحجاج بن يوسف فقيل له ان بعضها
من نسل ثمود فقال قال الله وثمودا فما ابقى وهؤلاء يقولون بقيت منهم بقية والظاهر
القول الاول لان ثمودا كان قد آمن منهم جماعة مع صالح عليه السلام [illegible]
مع الذين كفروا به وقوم نوح من قبل اي من قبل عاد وثمود وكانوا اول امة كذبت
من اهل الارض ونوح اول الرسل والظاهر ان الضمير في انهم عائد على قوم نوح وجعلهم
اظلم واطغى لانهم كانوا في غاية العتو والاذى لنوح يضربونه حتى لا يكاد يتحرك

ويشتمونه

ويشتمونه ولا يتناهون لشيء مما يدعوهم اليه قال ابن عباس دعاهم الف سنة الا خمسين
عاما كلما هلك قرن نشأ قرن حتى كان الرجل ياخذ بيد ابنه فيمشي اليه يحذره منه
ويقول يا بني ان ابي مشى بي الى هذا وانا مثلك يومئذ فاياك ان تصدقه فيموت
الكبير على الكفر وينشأ الصغير على وصية ابيه وقيل الضمير في انهم عائد على من
تقدم عاد وثمود وقوم نوح اي كانوا اكفر من قريش واطغى ففي ذلك تسلية للرسول
عليه السلام وهم يجوز ان يكون توكيدا للضمير المنصوب ويجوز ان يكون فصلا
لانه واقع بين معرفة وافعل التفضيل وحذف المفضول بعد الواقع خبرا لكان
لانه حال محل خبر المبتدا وحذفه فصيح فيه ذكر كان في خبر كان والمؤتفكة هي
قرى قوم لوط باجماع من المفسرين وسميت بذلك لانها انقلبت ومنه الافك
لانه قلب الحق كذبا اي كذبه وانقلبت بهم ويحتمل ان يراد بالمؤتفكة كل ما انقلبت
مساكنه ودثرت اماكنه اهوى اي خسف بهم بعد رفعها الى السماء رفعها جبريل
ثم اهوى بها الى الارض وقال المبرد جعلها وقرأ الحسن والمؤتفكات جمعا والظاهر
ان اهوى ناصب للمؤتفكة واخر العامل لكونه فاصلة ويجوز ان تكون المؤتفكة
معطوفا على ما قبله واهوى جملة في موضع الحال موضحة لكيفية اهلاكهم واهلك المؤتفكة
مهويا بها فغشاها ما غشى فيه تهويل للعذاب الذي حل بهم لما قلبها جبريل
اتبعه مطر حجارة عليهم واحتمل ان يكون التضعيف في غشاها للتعدية فيكون
ما مفعوله والفاعل ضمير يعود على الله تعالى واحتمل ان يكون فعل للمتجرد بمعنى
المجرد فيتعدى الى واحد فيكون الفاعل ما ومفعوله محذوف فغشيهم من اليم ما غشيهم فباي
الاء ربك تتمارى الباطرقية والخطاب للسامع وتتمارى تتشكك وهو استفهام
في معنى الانكار اي الاء وهي النعم لا تشكك السامع فيها سامع وقد سبق ذكر
نعم ونقم والحق عليها كلها الالاء لما في النقم من الزجر والوعظ لمن اعتبر وقرأ يعقوب
وابن محيصن ربك تمارى بتاء واحدة مشددة وقال ابو مالك الغفاري ان قوله
الا تزر الى قوله تتمارى هو في صحف ابراهيم وموسى هذا نذير قال ابن جريج ومحمد
ابن كعب وابو جعفر الاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح اول السورة
واختتم اخرها به وقيل الاشارة الى القرآن وقال ابو مالك الى ما سلف من الاخبار

من الأمم أي هذا إنذار من الإنذارات السابقة والنذير يكون مصدراً واسم فاعل
وكلاهما إن أريد النذر لا يعقل سابقاً بالعاقل بالمصدر إنذار وفي اسم الفاعل منذر والنذر
إما جمع للمصدر أو جمع لاسم الفاعل فإن كان اسم فاعل فيوصف النذر بالأولى
على معنى الجماعة ولما ذكر إهلاك من تقدم وكره وذكر قوله هذا نذير ذكر أن الآزفة
قريبة الوقوع فقال أزفت الآزفة أي قربت الموصوفة بالقرب في قوله
اقتربت الساعة وهي القيامة ليس لها من دون الله كاشفة أي نفس كاشفة
تكشف وقتها وتعلمه قاله الطبري والزجاج وقال سعيد بن جبير هو من كشف
الضر ودفعه أي ليس لها من يكشف خطبها وهو لها أي ويجوز أن يكون الهاء
في كاشفة للمبالغة قاله الرماني وجماعة ويحتمل أن تكون مصدراً كالعافية وجاء
الأمر أي ليس لها كشف من دون الله وقيل يحتمل أن تكون للعمر بحال كاشفة
أفمن هذا الحديث وهو القرآن تعجبون فتنكرون وتضحكون مستهزئين ولا
تبكون خوفاً من وعيده وأنتم سامدون قال مجاهد معرضون وقال عكرمة لاهون
وقال قتادة غافلون وقال السدي مستكبرون وقال ابن عباس متلهون
وقال المبرد خامدون وكانوا إذا سمعوا القرآن غنوا تشاغلا عنه وروي أنه
عليه السلام لم ير ضاحكاً بعد نزولها فاسجدوا لله أي صلوا لله واعبدوه وأفردوه دون
بالعبادة ولا تعبدوا اللات والعزى ومناة والشعرى وغيرها من الأصنام
وخرج البخاري بإسناد متصل إلى عبد الله قال أول سورة أنزلت فيها السجدة
النجم فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ
كفاً من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافراً وهو أمية بن خلف
وروي أن المشركين سجدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرف أبي وعبد الله
تضحكون بغير واو وقرأ الحسن تعجبون تضحكون بغير واو من ضم البابين وحسن
الختم والجاد في قوله ولا تبكون حض على البكاء عند سماع القرآن والسجود هنا عند
كثير من أهل العلم منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووردت به أحاديث صحاح
وليس يراها مالك هنا وعن زيد بن ثابت أنه قرأها عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم يسجد الحديث العمر وبه قال أبو ثور فأسقط حرف كما

ابدلوا في ذلك فقالوا انهمر الماء بنقوع عن بدا قال
راح تمرية الصبا ثم انتحى فيه شؤبوب جنوب منهمر
الدسر المسامير التي تشد بها السفينة وأحدها دسار نحو كتاب وكتب
ويقال دسرت السفينة إذا شددتها بالمسامير قاله الحسن وصاحب الصحاح
الدسر خيوط تشد بها ألواح السفينة الصرصر السرير الصوت أو البرد
أساس ضرب النبات وهو تصويته أو من الصر الذي هو البرد وهو شمال ساحل
علاوتت فقال عند الجمهور المحتضر موضع الشيء المنقعر المقلع من أصله
قعرت النخلة قلعتها من أصلها فانقعرت والشيء نزلت حتى انتهت إلى
قعرها والأول قعرت ما فيه حتى انتهى إلى قعره وأقعرت البئر جعلت لها قعرا
الأشر البطر وقد أشر بالكسر يأشر أشراً فهو أشر وأشر وأشران
وقوم أشارى مثل سكران وسكارى سقر علم لجهنم مشتق من
سقرته النار بالشمس وصقرته بالصاد إذا لوحته قال ذو الرمة

إذا ذابت الشمس اتقى صقراتها بأفنان مربوع الصريمة معبل

وامتنعت سقر من الصرف للعلمية والتأنيث من تحركه وسطه مثل الحرف
الرابع في زينب

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا
واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة
فما تغن النذر فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر خشعاً أبصارهم يخرجون
من الأجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم
عسر كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر فدعا ربه
أني مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء
على أمر قد قدر وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر
ولقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر تفسير السورة مكية في قول الجمهور وقيل هي مما نزل يوم

بدر وقال مقاتل مكثه الا ايات اياما او الايام يقولون نحن جميع واحدنا او هي امر وتبيت
نزولها ان مشركي قريش قالوا للرسول ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين ووعدوا
بالايمان ان فعل وكانت ليلة بدر فسأل ربه فانشق القمر نصف على الصفا
ونصفا على قيقعان فقال اهل مكة انه سحر ونظرنا الى السحر فقال ابو جهل اصبروا حتى ياتينا
اهل البوادي فان اخبروا بانشقاقه فهو صحيح وان لا فقد سحر محمد اعيننا فجاؤوا فاخبروا
بانشقاق القمر فاعرض ابو جهل وقال سحر مستمر وعن ابن عباس انشق القمر بنصفين
منسطح على السويداء وسطح على الخندمة وعنه انشق القمر بمكة مرتين وعنه انفلق
فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وتأبيده اول السورة لا خرها قيلها طاهر
وقال ان فيه الاشارة فقال اقتربت الساعة وممن عاين انشقاق القمر ابن مسعود وجبير
ابن مطعم واخبر به ابن عمر وانس وحذيفة وابن عباس وجمع لذلك الناس انشقاق
القمر قال للرسول اشهدوا وقال المشركون اذ ذاك سحر يا محمد وقال بعضهم سحر القمر
والامة مجمعة على خلاف من زعم ان قوله وانشق القمر معناه انه ينشق يوم القيامة
ويرد من الآية قوله وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ولا مناسب
هذا الكلام ان يأتي الا بعد ظهور ما سألوه معينا من انشقاق القمر وقيل سألوا
آية في الجملة فاراهم الله هذه الآية السماوية وهي من اعظم الآيات وذلك التأثير في
العالم العلوي ... وقد انشق القمر اي اقتربت ويقدم من آيات اقترابها
انشقاق القمر كما يقول اهل الامر ... المشتري ... بالمراد
ثم قال لان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهده صلى الله عليه وسلم ولا التفات
الى قول الحسن ان المعنى اذا جاءت الساعة انشق القمر بعد النفخة الثانية ولا
الى قوله
انشقاقه عبارة عن انشقاق الظلمة عند طلوعه في اثنائها كما يسمى الصبح فلقا
عند انفلاق الظلمة وقد يعبر عن الانفلاق بالانشقاق قال النابغة

فلما ادبروا ولهم دوي دعانا عند شق الصبح داعي

وهذه من اقوال فاسدة ولولا ان المفسرين ذكروها اضربت عن ذكرها
صفحا وان يروا آية يعرضوا وان يروا آية للمعقول اي من شأنهم وحالهم انهم متى

ما راوا

كذا

ما رأوا آية وجاءت الجملة شرطية لتدل على انهم في الاستقبال على مثل حالهم في الماضي
ويقولوا سحر مستمر اي دائم ومنه

الا انما الدنيا ليالي واعصر وليس على شيء قويم بمستمر

اي يدوم امرها او الآيات متوالية لا ينقطع قاله الزمخشري وقال ابو العالية والضحاك
وقتادة والاخفش مستمر ذاهب سيزول عن قريب اي سحر قد امر ومنه

حتى استمرت على شزر مريرته صدق العزيمة لا رثا ولا ضرعا

وقال انس ويمان ... ونحا نحوه الكسائي والفراء واختاره النحاس مستمر مارد
زائل عن قريب علقوا ذلك بتمنيهم وقيل مستمر مستبشع المرارة اي مستبشع عندنا
مر يقال مر الشيء وامر اذا صار مرا وامرّ غيره ومن يكون لازما ومتعديا وقيل
مستمر يشبه بعضه بعضا اي استمرت افعاله على هذا الوجه من التخييلات وقيل
مستمر مار من الارض الى السماء اي بلغ من سحره انه سحر القمر وكذبوا اي بالآيات
ولم يجانبها اي وقالوا وهذا سحر مستمر سحر يا محمد واتبعوا اهواءهم اي شهوات انفسهم
وما يهوونه وكل امر مستقر قرأ الجمهور مستقر بكسر القاف ورفع الراء مبتدأ وخبر
قال مقاتل اي له غاية ينتهي اليها وقال الكلبي مستقر له حقيقة فما كان في الدنيا فسيظهر
وما كان في الآخرة فسيعرف وقيل معناه ان الخير مستقر باهل الخير والشر
باهل الشر وقيل يستقر الحق ظاهرا ثابتا والباطل زاهقا ذاهبا وقيل وكل امر
من امرهم وامره مستقر على حالة اما نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة في
الآخرة وقرأ شيبة مستقر بفتح القاف ورويت عن نافع وقال ابو حاتم
لا وجه لفتح القاف انتهى وخرج على حذف مضاف اي ذو استقرار او زمان
استقرار وقال ابو جعفر وزيد بن علي مستقر بكسر القاف والراء صفة لامر
وخرجه الزمخشري على ان يكون وكل عطفا على الساعة اي اقتربت الساعة واقترب
كل امر مستقر يستقر ويتبين حاله وهذا بعيد لطول الفصل بجمل ثلاث وبعيد
ان يوجد مثل هذا التركيب في كلام العرب نحو اكلت خبزا وضربت خالدا
وان يجيء زيد اكرمه ورحل الى بني فلان ولحما فيكون ولحما عطفا على خبزا بل
لا يوجد مثله في كلام العرب وخرجه صاحب اللوامع على انه خبر لكل مرفوع لـ

الاسم

كلمة جرّ المجاور وهذا ليس بجيد لأن الخفض على الجوار في غاية الشذوذ ولأنه لم يعهد
في خبر المبتدأ إنما عهد في الصفة على الخلاف فيه كما تقدم في وجوه والأسهل أن يكون
الخبر مضمرًا لدلالة المعنى عليه والتقدير وكل أمر مستقر بالغوه لأن قبله وكذبوا
واتبعوا أهواءهم أي وكل أمر مستقر لهم في القدر من خير أو شر بالغوه وقيل الخبر
حكمة بالغة أي وكل أمر مستقر حكمة بالغة ويكون ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر
اعتراضًا بين المبتدأ وخبره قال الشاعر

ولقد جاءهم من الأنباء أي من الأخبار الواردة في القرآن في إهلاك من كذب الأنبياء وما يؤول
إليه في الآخرة ما فيه مزدجر أي ازدجار ردع لهم عن ما هم فيه أو موضع ازدجار وارتداع
أي ذلك موضع ازدجار ومظنة له وقرئ مزّجر بإبدال تاء الافتعال زايا وإدغام
الزاي فيها وقرأ زيد بن علي مزجر اسم فاعل من ازجر أي صار ذا زجر كأعشب أي
صار ذا عشب وقرأ الجمهور حكمة بالغة برفعهما وجوزوا أن تكون حكمة بدلا من مزدجر
من ما أو خبر مبتدأ محذوف وتقدم قول من جعله خبرا عن كل في قراءة من قرأ مستقر
بالجر وقرأ اليماني حكمة بالغة بالنصب فيهما حالا من ما سواء كانت موصولة أم موصوفة
تخصصت بالصفة ووصفت الحكمة بالبالغة لأنها بلغت من مقصد الوعظ والبيان
لمن له عقل فجعلها لا بلغ غيرها فما تغن النذر يجوز أن تكون ما نافية وأن تكون
استفهامية ما يراد به التقرير أي فأي شيء تغني النذر مع هؤلاء الكفرة ثم سلى رسوله
بقوله فتول عنهم أي أعرض عنهم فإن الإنذار لا يجدي فيهم ثم ذكر شيئا من أحوال
الآخرة وما يؤولون إليه إذ ذاك متعلقا بأهوال الساعة فقال يوم يدع الداع
والناصب ليوم اذكر مضمرًا قاله الرماني أو يخرجون وقال الحسن المعنى فتول عنهم
إلى يوم وهذا ضعيف من جهة اللفظ ومن جهة المعنى أما من جهة اللفظ فحذف
إلى وأما من جهة المعنى فإن توليه عنهم ليس مغيا بيوم يدع الداع وجوزوا أن يكون
منصوبا بقوله فما تغن النذر ويكون فتول عنهم اعتراضا وأن يكون منصوبا بقوله
يقول الكافرون ومنصوبا على إضمار انتظر ومنصوبا بقوله فتول وهذا أضعفها وجرا
ومنصوبا بمستقر وهو بعيد أيضا وحذفت الواو من يدع في الرسم اتباعا للمنطق
والياء من الداع تخفيفا أجريت الى مجرى ما عاقبها وهو التنوين فكما حذفت معه

حذفت

حذفت معها والداع هو إسرافيل أو جبريل أو ملك غيرهما وكل بذلك أقوال وقرأ الجمهور
نكر بضم الكاف وهو صفة على فُعُل وهو قليل في الصفات ومنه رجل شُلُل
أي خفيف في الحاجة وناقة أُجُد وسيف سُجُح وروضة أُنُف وقرأ الحسن وابن كثير
وشبل بإسكان الكاف كما قالوا شغل وشغل وعسر وعسر وقرأ مجاهد وأبو قلابة
والجحدري وزيد بن علي نُكِر فعلا ماضيا مبنيا للمفعول أي جُهل فنُكر قال الخليل النكر نعت
للأمر الشديد والرجل الداهية أي منكر الفعول لم يعهد مثله وهو يوم القيامة
وقال مالك بن عوف النضري

أقدم مجاح إنه يوم نكر ... مثلي على مثلك يحمي ويكر

وقرأ قتادة وأبو جعفر والحسن وشيبة والأعرج والجمهور خشعا جمع تكسير وابن عباس
وابن جبير ومجاهد والجحدري وأبو عمرو وحمزة والكسائي خاشعا بالإفراد وقرأ أبي
وابن مسعود خاشعة وجمع التكسير أكثر في كلام العرب وقال الفراء وأبو عبيدة
كله جائز انتهى ومثال الجمع المكسر قوله

بمطرد لون صحاح لعوبة ... يرون بعد الهوا نيسا

ومثال الإفراد قوله

ورجال حسن أوجههم ... من إياد بن نزار بن معد

وقال آخر

يرمي الفجاج به الركبان معترضا ... أعناق بزّالها مرخى لها الجدل

وانتصب خشعا أو خاشعا أو خاشعة على الحال من ضمير يخرجون والعامل فيه يخرجون
لأنه فعل متصرف وفي هذا دليل على بطلان مذهب الجرمي أنه لا يجوز تقدم الحال
على الفعل وإن كان متصرفا وقد قالت العرب شتى تؤوب الحلبة فشتى حال
وقد تقدمت على عاملها وهو تؤوب لأنه فعل متصرف وقال الشاعر

سريعا يهون الصعب عند أولي النهى ... إذا برجاء صادق قابلوا البأسا

فسريعا حال وقد تقدمت على عاملها وهو يهون وقيل هو حال من الضمير المجرور
عنهم من قوله فتول عنهم وقيل هو مفعول يدع أي قوما خشعا أو فريقا خاشعا وفيه
بعد أن ازدحاما معا وذكر فعل تقدم تخشع أبصارهم ومن قرأ خاشعة فلأنه

فعل بعده يخشع ومن قرا خشعا جاز تكسيره ولان الجمع موافق لما بعده وهو ابصارهم وموافق
للضمير الذي هو صاحب الحال في يخرجون وهو نظير قولهم مررت برجال كرام اباؤهم
وقال الزمخشري وخشعا على يخشعن ابصارهم وهي لغة من يقول اكلوني البراغيث وهم
طي انتهى ولا يجري جمع التكسير مجرى ذلك للافراد مذكرا او مونثا وجمع المكسر
قال لان الصفة متى تقدمت على الجماعة جاز فيها جميع ذلك والجمع موافق للفظها
وكان اشبه انتهى وانما يخرج على تلك اللغة اذا كان الجمع مجموعا بالواو والنون
نحو مررت بقوم كريمين اباؤهم والزمخشري قاس جمع المكسر على هذا الجمع
المسلم وهو قياس فاسد يرده النقل عن العرب ان جمع المكسر اجود من الافراد
كما ذكرناه عن سيبويه وكما دل عليه كلام الفرا ويجوز ان يكون في خشعا ضمير وابصارهم
بدل منه وقرى خشع ابصارهم وهي جملة في موضع الحال وخشع خبر مقدم وخشوع
الابصار كناية عن الذلة وهي في العيون اظهر منها في ساير الجوارح وكذلك افعال
النفس من ذلة وعزة وحيا وصلف وخوف وغير ذلك كانهم جراد منتشر جملة
حالية ايضا شبههم بالجراد في الكثرة والتموج ويقال جاوا كالجراد في الجيش
الكثير المتموج ويقال كالدبا وجا تشبيههم ايضا بالفراش المبثوث وكل من
الجراد والفراش في الخارجين يوم الحشر شبه بهما وقيل يكونون اولا كالفراش حين
يموجون فزعين لا يهتدون اين يتوجهون لان الفراش لا جهة له يقصدها
ثم كالجراد المنتشر اذا توجهوا الى المحشر والداعي فهما تشبيهان باعتبارين
قال معناه مكي بن ابي طالب مهطعين قال ابو عبيدة مسرعين ومنه

بدجلة دارهم ولقد اراهم بدجلة مهطعين الى السماع

زاد غيره بادي اعناقهم ورددد عينيه مع هز ورهق ومد بصر نحو المقصد اما لخوف
او طمع ونحوه وقال سفيان عامدين وقال الضحاك مقبلين وقال عكرمه فاتحين اذانهم الى
الصوت وقال ابن عباس ناظرين اليه ومنه قوله

تعبدني نمر بن سعد وقد ارى ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع

وقيل خافضين ما بين اعينهم وقال سفيان شاخصة ابصارهم الى السما يوم عسر
لما يشاهدون من مخايل هوله وما يرتقبون من سوء منقلبهم فيه كذبت قبلهم اي قبل

قريش

قريش قوم نوح وفيه وعيد لقريش وضرب مثل لهم ومفعول كذبت محذوف اي كذبت
الرسل فكذبوا عبدنا لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة راسا كذبوا
نوحا لانه من جملة الرسل ويجوز ان يكون المحذوف نوحا اول لمجيه اليهم فكذبوه تكذيبا
عقيب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب وفي لفظ عبدنا تشريف
وخصوصية بالعبودية كقوله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان سبحان الذي
اسرى بعبده وقالوا مجنون اي هو مجنون لما راوا الايات الدالة على صدقه قالوا هو مصاب
الجن لم يقنعوا بتكذيبه حتى نسبوه الى الجنون اي يقول ما لا يقبله عاقل وذلك
مبالغة في تكذيبهم وازدجر عطف على قالوا الظاهر ان قوله وازدجر من اخبار
الله تعالى اي انتهروه وزجروه بالسب والرجم والتخويف قاله ابن زيد ونحوه لين لم تنته
يا نوح لتكونن من المرجومين وقيل والمعنى انهم فعلوا به ما يوجب الانزجار من دعائهم
حتى ترك دعوتهم الى الايمان وعدل الى الدعا عليهم وقال مجاهد وازدجر من تمام
قولهم اي قالوا وازدجر اي استطير جنونا اي ازدجرته الجن وذهبت
بلبه وتخبطته وقرا ابن ابي اسحق وعيسى والاعمش وزيد بن علي ورويت عن
عاصم اني بكسر الهمزة على اضمار القول على مذهب البصريين او على اجرا الدعا
مجرى القول على مذهب الكوفيين وقرا الجمهور بفتحها اي باني مغلوب اي غلبني
قومي فلم يسمعوا مني ويئست من اجابتهم فانتصر اي فانتقم بعذاب تبعثه عليهم
وانما دعا عليهم بعدما يئس منهم وتفاقم امرهم وكان الواحد من قومه يخنقه الى
ان يخر مغشيا عليه وقد كان يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ومتعلق
فانتصر محذوف تقديره فانتصر لي منهم بان تهلكهم وقيل فانتصر لنفسك
اذ كذبوا رسولك فوقعت الاجابة وللصوفية قول في اني مغلوب فانتصر
حكاه ابن عطية يوقف عليه في كتابه ففتحنا بيان ان الله انتصر منهم وانتقم بالما جعل
الما كانه الة يفتح بها كما تقول فتحت الباب بالمفتاح وكان الما جا وفتح الابواب فجعل
المقصود وهو الما معدا في الوجود على فتح الباب المغلق ويجوز ان تكون البا للحال
اي ملتبسة بما منهمر وقرا ابن عامر وابو جعفر والاعرج ويعقوب ففتحنا مشددا
والجمهور مخففا ابواب السما هذا عند الجمهور مجاز وتشبيه لان المطر كثر كانه نازل

من السما كما تقول فتحت افواه القرب وجرت ميازيب السما وقال علي وسعد النقاش
يعني الابواب المجرة وهي شرج السما كشرج العيبة وذهب قوم الى انها حقيقة فتحت
في السما ابواب جرى منها الما ومثله مروي عن ابن عباس قال ابواب السما فتحت من غير سحاب
لم تقلع اربعين يوما وقال السدي منهمر اي كثير قال ـــــ

اعيني جودا بالدمع الهوامر على خير باد من معد وحاضر

وقرا الجمهور وفجرنا مشددا وعبد الله واصحابه وابو حيوة والمفضل عن عاصم بالتخفيف
والمشهور ان العين لفظ مشترك ميل والظاهر انه حقيقة في العين الباصرة
مجاز في غيرها وهو في عين الما مجاز مشهور غالب وانتصب عيونا على التمييز جعلت
كلها كانها عيون تتفجر وهو ابلغ من وفجرنا عيون الارض ومن منع مجي التمييز من المفعول
اعربه حالا ويكون حالا مقدرة واعربه بعضهم مفعولا ثانيا كانه ضمن وفجرنا
صيرنا بالتفجير الارض عيونا وقيل فجرت اربعين يوما وقرا الجمهور فالتقى الما
وهو اسم جنس والمعنى ما السما وما الارض وقرا علي والحسن ومحمد بن كعب والجحدري
الماآن وقرا الحسن ايضا الماوان وقال الزمخشري وقرا الحسن ماوان بقلب الهمزة
واوا كقولهم علباوان اي سبقه الهمزة التي بعد الالف في النسبة والالحاق
وعلا وعن الحسن ايضا الماان بقلب الهمزة ما وكلتا القراتين شاذة على امر
قد قدر اي على حالة ورتبة قد قضيت في الازل وقيل على مقادير قد رتبت ووقت
المعاينة فروي ان ما الارض كان على سبعة عشر ذراعا ونزل ما السما عليه تكملة
اربعين ذراعا وقيل كان ما الارض اكثر وقيل كانا متساويين نزل من
السما قدر ما خرج من الارض وقيل على امر قد قدر في اللوح انه يكون وهو هلاك قوم
نوح بالطوفان وهذا هو الراجح لان كل قصة ذكرت بعد هذه القصة ذكر
الله هلاك مكذبي الرسل فيها فيكون هذا كناية عن هلاك قوم نوح وكذلك
ذكر نجاة نوح بعدها في قوله وحملناه على ذات الواح ودسر وقرا ابو حيوة وابن
مقسم قدر بتشديد الدال والجمهور بتخفيفها وذات الالواح والدسر
هي السفينة التي انشاها نوح فهم من هذين الوصفين انها السفينة فقام مقام
الموصوف وناب عنه ونحو قميص مسرود من حديد اي درع وهذا من فصيح الكلام

كان

وبديعه

وبديعه ولو جمعت بين الموصوف والصفة فيه لم يكن بالفصيح والدسر المسامير قاله الجمهور
وقال ابن عباس والحسن مقادم السفينة لانها تدسر الما اي تدفعه والدسر الدفع وقال
مجاهد وغيره نطق السفينة وعنه ايضا عوارض السفينة وعنه ايضا اضلاع السفينة
تجري بذلك الما المعنى بحفظ منا وكلاءة بحيث كان فيها وعرف عرفهم وقال مقاتل
ابن سليمن باعيننا بوحينا وقيل بامرنا وقيل باوليائنا يقال مات عين من عيون الله اي
ولي من اوليائه وقيل بما عين لها من الما اسقياها وقيل بمن حفظها من الملائكة سماهم اعينا
وقرا زيد بن علي وابو السمال باعينا بالادغام والجمهور بالفك جزا اي مجازاة لمن كان كفر
اي لنوح عليه السلام اذ كان نعمة اهداها الله الى قومه لان يومنوا فكفروها المعنى ان
حملنا في السفينة ومن امن معه كان جزا على صبره على قومه المئين من سنين ومن جاء به
عن نوح قال معنى لمن كفر لمن جحد نبوته وقال ابن عباس ومجاهد من يراد به الله تعالى
كانه قال غضبا وانتصارا لله تعالى اي انتصر لنفسه فاغرق الكافرين وانجى المومنين
وبهذا التاويل نحى من علي قراة الجمهور كفر مبنيا للمفعول وقرا مسلمة بن محارب باسكان
الفا خففت فعل كما قال الشاعر

لو عصر منه البان والمسك انعصر

وقرا يزيد بن رومان وقتادة وعيسى كفر مبنيا للفاعل فمن يراد به قوم نوح
اي ان ما فعلنا من فتح ابواب السما وتفجير عيون الارض والتقا الماين غرق
قوم نوح كان جزا لهم على كفرهم وكفر هنا لكان بعد ذلك دليل على وقوع الماضي بعد
مدخول لكان وهو مذهب البصريين وغيرهم يقول لا بد من قد ظاهرة او مقدرة على انه يجوز
ان يكون كان هنا زائدة اي لمن كفر والضمير في تركناها عائد على الفعلة والقصة وقال
مكي والنقاش وغيرهما عائد على السفينة وانه تعالى ابقى خشبها حتى راه بعض
اوائل هذه الامة قال قتادة وكم من سفينة بعدها صارت رمدا وقرا الجمهور
ادغم بعد قلب التا دالا الاولى وقال صاحب كتاب اللوامح قتادة فعل من مدكر
فاعل من المذكر اي من يذكر نفسه او غيره بما مضى من القصص انتهى وروي مد
فكيف كان عذابي ونذر يقول للحاصل لقوم نوح من العذاب واعظام له اذ ادى استاصل
جميعهم وقطع دابرهم فلم ينسل منهم احد اي وكيف كانت عاقبة انذاري والنذر جمع

يدبر وهو الانذار وفيه توقيف لقريش على ما حل بالمكذبين امثالهم وكاين ان كانت قصه بالاستفهام
كانت كيف في موضع خبر كان وان كانت تامة كانت في موضع نصب على الحال والاول
هنا لا يراد به حقيقته بل المعنى على التذكير بما حل بهم ولقد يسرنا سهلنا القران للذكر
اي للادكار والاتعاظ لما تضمنه من المواعظ والوعد والوعيد فهل من مدكر قال
ابن زيد اي من متعظ وقال ابن سنان فهل من طالب خير وقال محمد بن كعب فهل من
منزجر عن المعاصي وقيل للذكر للحفظ اي يسرناه للحفظ لما اشتمل عليه من
حسن النظم وسلاسة اللفظ وعروه عن الحوشي وشرف المعاني وصحتها فله تعلق بالقلوب
فهل من مدكر فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويكون زواجره وعلومه حاضره
في النفس وقال ابن جبير لم يستظهر شي من الكتب الالهية عن ظهر قلب غير القران وقيل يسرنا
هيانا القران للذكر كقولهم يسرنا قته للسفر اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا اسرجه
والجمه قال الشاعر

وقمت اليه باللجام ميسرا هنالك يجزيني الذي كنت اصنع

كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس
مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القران
للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي
ضلال وسعر القي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب اشر سيعلمون غدا من الكذاب
الاشر انا مرسلوا الناقه محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي
ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القران
للذكر فهل من مدكر تقدمت قصة عاد مطولة ومتوسطة وهنا ذكرها
تعالى موجزة كما ذكر قصة نوح موجزة لما لم يكن لقوم نوح اسم علم ذكر قوم نوح ولما كان
عاد علما لقوم هود ذكر العلم لانه ابلغ في الذكر من التعريف بالاضافة وكرر التهويل
بالاستفهام قبل ذكر ما حل بهم وبعده لغرابة ما عذبوا به من الريح وانفرادهم
بهذا النوع من العذاب ولان الاختصار داعية الاعتبار والتدبر والصرصر
البارد قاله ابن عباس والضحاك وقتادة وقيل المصوته والجمهور على اضافة يوم
الى نحس وسكون الحاء وقرا الحسن بتنوين يوم وكسر الحاء جعله صفة لليوم كقوله

في ايام نحسات مستمر قال المستمر به حتى بلغهم جهنم وعن الحسن والضحاك كان
مرا عليهم وروي انه كان يوم الاربعاء والذي يظهر انه ليس يوما معينا بل اريد
به الزمان والوقت كانه قيل في وقت نحس ويدل على ذلك انه قال في سورة فصلت
فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات وقال في الحاقة سخرها عليهم سبع ليال وثمانية
ايام حسوما الا ان يكون ابتدا الريح من يوم الاربعاء فعبر بوقت الابتداء وهو يوم الاربعا
فيكون تنزع الناس يجوز ان يكون صفة للريح وان يكون حالا لانها وصفت
فقربت من المعرفة ويحتمل ان يكون تنزع مستانفا وجاء الظاهر مكان المضمر ليشمل
ذكورهم واناثهم اذ لو عاد بضمير المذكر لتوهم انه خاص بهم اي تقلعهم من اماكنهم
وقال مجاهد يلقي الرجل على راسه فيتفتت راسه وعنقه وما يلي ذلك من بدنه
وقيل كانوا يصطفون اخذي بعضهم بايدي بعض ويدخلون في الشعاب ويحفرون
الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتدق رقابهم والجملة التشبيهية حال من الناس وهي
حال مقدرة وقال الطبري في الكلام حذف تقديره فتتركهم كانهم اعجاز والكاف في
موضع نصب شبههم باعجاز النخل المنقعر اذ تساقطوا على الارض امواتا وهم جثث
عظام طوال والاعجاز الاصول بلا فروع قد انقلعت من مغارسها وقيل كانت الريح
تقطع رؤوسهم فتبقى اجسادا بلا رؤوس فاشبهت اعجاز النخل التي انقلعت من مغارسها
وقرا ابو نهيك اعجز على وزن افعل نحو ضبع واضبع والنخل اسم جنس يذكر ويونث
وانما ذكر هنا لمناسبة الفواصل وانث في قوله اعجاز نخل خاوية في الحاقة لمناسبة
الفواصل ايضا وقرا الجمهور ابشرا منا واحدا بنصب بشر على الاشتغال ونصب
واحدا صفة له وقرا ابو السمال فيما ذكر الهذلي في كتابه الكامل وابو عمرو الداني برفعهما
فابشر مبتدا وواحد صفته والخبر نتبعه ونقل ابن خالويه وصاحب اللوامح وابن
عطية رفع ابشر ونصب واحدا عن ابي السمال قال صاحب اللوامح فاما رفع
بشر فباضمار الخبر بتقدير ابشر منا يبعث الينا او يرسل او نحوهما واما انتصاب واحدا فعلى
الحال اما مما قبله بتقدير ابشر كائن منا في الحال موحدا واما مما بعده بمعنى نتبعه
في توحده او في حال انفراده وقال ابن عطية ورفعه اما على اضمار فعل مبني للمفعول
التقدير اينبا بشر واما على الابتدا والخبر في قوله نتبعه وواحدا على هذه القراءة حال

اما من الصنف في نفسه وَاما من المعنى ونحو بما كانه يقول البشر كان منا واحدا او
هذا ناظر وقولهم ذلك حسدا منهم وَاستبعادا ويكون البشر يتفضل بعضهم على بعض
بهذا الفضل فقالوا يكون جمعا واحدا ولم يعلموا ان الفضل بيد الله يؤتيه من
يشاء ويفيض جود الهدى على من يرتضيه انتهى قال الزمخشري فان قلت كيف
انكروا ان يتبعوا بشرا منهم واحدا قلت قالوا ابشرا انكارا لان يتبعوا مثلهم
في الجنسية وَطلبوا ان يكون من جنس اعلى من جنس البشر وهم الملائكة وقالوا منا
لانه اذا كان منهم كانت المماثلة اقوى وقالوا واحدا انكارا لان يتبع الا
رجل وَاحدا او ارادوا واحدا من افنائهم ليس باشرفهم ولا افضلهم ويدل عليه
قولهم أألقي الذكر عليه من بيننا اي انزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو احق
بالاختيار للنبوة انتهى وَهو حسن على ان فيه تحميل اللفظ ما لا يحتمله انا اذا
اي ان اتبعناه فنحن في ضلال اي بعد عن الصواب وسعر وقال الضحاك في ضلال
وقال ابو عبيدة في بعد عن الحق وسعر اي عذاب قاله ابن عباس وعنه وجنون يقال
ناقة مسعورة اذا كانت مفرطة في سيرها كانها مجنونة وقال الشاعر

كأن بها سعرا اذا العيس هزها ذميل وارخاء من السير متعب

وقال سفيان وسعر عناء وقال ابن بحر وسعر جمع سعير وهو وقود النار اي في
خطر كمن هو في النار انتهى وروي انه كان يقول لهم ان لم تتبعوني كنتم في ضلال
عن الحق وسعر اي نيران فعكسوا عليه وقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول
ثم زادوا في الانكار وَالاستبعاد فقالوا أألقي اي أأنزل قيل وكأنه يتضمن
العجلة في الفعل وَالعرب تستعمل هذا الفعل ومنه وَالقيت عليك محبة مني انا
سنلقي عليك قولا ثقيلا وَالذكر هنا الوحي وَالرسالة وما جاءهم به من الحكمة والموعظة
ثم قالوا ليس الامر كما يزعم بل هو كذاب اشر اي بطر متكبر يريد العلو علينا وان يقتادنا
ويتملك طاعتنا وقرأ ابو قلابة بل هو الكذاب الاشر بلام التعريف فيهما وفتح
الشين وشد الراء وكذا الاشر الحرف الثاني وقرأ الحرف الثاني مجاهد فيما ذكر
صاحب اللوامح وَابو قيس الاودي الاشر بثلاث ضمات وتخفيف الراء ويقال اشر
وَاشر كحذر وحذر فضمة الشين لغة وضم الهمزة تبع للشين وحكى الكسائي

عن

عن مجاهد بضم الشين وَقرأ ابو حيوة هذا الحرف الآخر الاشر افعل تفضيل وَاتمام
خير وشر في افعل التفضيل قليل وحكى ابن الانباري ان العرب تقول هو
اخير وَهو اشر وقال الراجز

بلال خير الناس وابن الاخير

وقال ابو حاتم لا تكاد العرب تتكلم بالاخير والاشر الا في ضرورة الشعر وَانشد
قول رؤبة بلال البيت وقرأ علي وَالجمهور سيعلمون بياء الغيبة وهو من اعلام
الله لصالح عليه السلام وَابن عامر وحمزة وَطلحة وَابن وثاب وَالاعمش بتاء الخطاب
اي قل لهم يا صالح وغدا يراد به الزمان المستقبل لا اليوم الذي يلي يوم
خطابهم وَاحتمل ان يكون يوم العذاب الحال بهم في الدنيا وان يكون يوم القيامة
وقال الطرماح

الا عللاني قبل نوح النوائح وقبل اضطراب النفس بين الجوانح
وقبل غد يا لهف نفسي على غد اذا راح اصحابي وَلست برائح

اراد وقت الموت وَلم يرد غدا بعينه وفي قوله سيعلمون غدا تهديد ووعيد ببيان
انكشاف الامر وَالمعنى انهم هم الكذابون الاشرون وَاورد ذلك مورد الابهام وَالاحتمال
وَان كانوا المعنيين كقوله تعالى حكاية عن قوم نوح عليه السلام فسوف تعلمون
من يأتيه عذاب يخزيه وَالمعني به قومه وَكذا قول شعيب عليه السلام سوف تعلمون
من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وقول الشاعر

فلئن لقيتك خاليين لتعلمن أيي وأيك فارس الاحزاب

وَانما عنى انه هو فارس الاحزاب لا الذي خاطبه انا مرسلوا الناقة فتنة لهم اي ابتلاء
وَاختبارا او اشير بذلك صالحا ولما هددهم بقوله سيعلمون غدا وكانوا قد ادعوا
انه كاذب قالوا ما الدليل على صدقك قال الله تعالى انا مرسلوا الناقة اي مخرجوها
من الهضبة التي سألوها فارتقبهم اي فانتظرهم وتبصر ما هم فاعلون وَاصطبر على
اذاهم ولا تعجل حتى يأتي امر الله ونبئهم ان الماء اي ماء البئر التي لهم قسمة بينهم اي
بين ثمود وبين الناقة غلب ثمود بالضمير منهم لهم وَالناقة اي لهم شرب يوم وَللناقة
شرب يوم وقرأ الجمهور قسمة بكسر القاف ومعاذ عن ابي عمرو بفتحها كل شرب
محتضر اي محظور لهم وَللناقة وتقدمت قصة الناقة مستوفاة فاغنى عن اعادتها
وهنا محذوف اي فكانوا على هذه الوتيرة من قسمة الماء فملوا ذلك وعزموا على

عقر الناقة فنادوا صاحبهم وهو قدار بن سالف فتعاطى فتعاطى وكان
يعني العقلة يراعيها الناس وعاطاها بعضهم بعضا فعاطاه قدار وتناول العقر
بسيفه لما كانوا راضين نسب اليهم ذلك في قوله فعقروا الناقة وفي قوله فكذبوه
فعقروها والصيحة التي ارسلت عليهم يروى ان جبريل صاح في طرف منازلهم
فتفتتوا وهمدوا وصاروا كهشيم المحتظر وهو ما يبس وتهشم من الشجر والمحتظر
الذي يعمل الحظيرة فانه يتفتت منه حالة العمل ويتساقط اجزاؤها بما يعمل به او
يكون الهشيم ما يبس من الحظيرة بطول الزمان بوطء البهائم فيتهشم وقرا الجمهور
بكسر الظاء والحسن وابو حيوة وابو السمال وابو رجاء وعمرو بن عبيد وهو موضع الاحتظار
وقيل مصدر اي كهشيم الاحتظار وهو ما تفتت حالة الاحتظار والحظيرة
يصنعها العرب واهل البوادي للمواشي والسكنى من الاغصان والشجر المورق
والقصب والحظر المنع وعن ابن عباس وقتادة ان المحتظر هو المحترق قال كهشيم
محرق وعن ابن جبير هو التراب الذي تسقط من الحائط البالي وقيل المحتظر بفتح
الظاء هو الهشيم نفسه فيكون من اضافة الموصوف الى صفته كمسجد الجامع على من
تاوله كذلك وكان هشيما قبل ان يصير هشيما كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم
حاصبا الا ال لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر ولقد انذرهم
بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابي
ونذر ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر
فهل من مدكر ولقد جاء ال فرعون النذر كذبوا باياتنا كلها فاخذناهم اخذ عزيز
مقتدر اكفاركم خير من اولئكم ام لكم براءة في الزبر ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم
الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر ان المجرمين في ضلال
وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر وما
امرنا الا واحدة كلمح بالبصر ولقد اهلكنا اشياعكم فهل من مدكر وكل شيء فعلوه في
الزبر وكل صغير وكبير مستطر ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك
مقتدر تقدمت قصة لوط عليه السلام وقومه والحاصب من الحصباء
وهو المعنى بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل الا ال لوط قيل الا ابنتاه وسحر

هو

هو بكرة فلذلك صرف وانتصب نعمة على انه مفعول من اجله اي نجيناهم لانعامنا عليهم
او على المصدر لان المعنى انعمنا عليهم بالنجاة انعاما كذلك نجزي اي مثل ذلك الانعام و
التنجية نجزي من شكر انعامنا وامن واطاع ولقد انذرهم بطشتنا اي اخذنا اياهم
بالعذاب فتماروا اي تشككوا وتجادلوا وذلك بالنذر اي بالانذار او يكون جمع نذير
فطمسنا قال قتادة الطمس حقيقة جر جبريل جناحه على اعينهم فاستوت مع وجوههم
قال ابو عبيدة مطموسة بلا شق كالوجه قيل لما صفقهم جبريل بجناحه تركهم يترددون
لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط عليه السلام وقال ابن عباس والضحاك هذه
استعارة وانما حجب ادراكهم فدخلوا المنزل ولم يروا شيئا فجعل ذلك كالطمس وقرا الجمهور
فطمسنا بتخفيف الميم وابن مقسم بتشديدها فذوقوا اي فقلت لهم على السنة الملائكة
ذوقوا ولقد صبحهم بكرة اي اول النهار وباكرهم كقوله مشرقين ومصبحين وقرا الجمهور
بكرة بالتنوين لانه لم يرد بها من يوم معين وقرا زيد بن علي بغير تنوين لانه اراد بكرة معروفة قصد
بها بكرة يوم بعينه عذاب مستقر اي لم يكشفه عنهم كاشف بل اتصل بموتهم ثم بما بعد
ذلك من عذاب القبر ثم عذاب جهنم فذوقوا عذابي ونذر توكيد ويوم ذلك عند
الطمس وهذا عند نضح العذاب وفائدة تكرار هذا وتكرار ولقد يسرنا
التجدد عند استماع كل نبا من انباء الاولين اتعاظ واستيناف تيقظ اذا سمعوا
الحث على ذلك لئلا تستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير كقوله فباي الاء ربكما تكذبان
عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل اية اوردها
في سورة والمرسلات وكذلك تكرير القصص في انفسها لتكون تلك العبر حاضرة
للقلوب مذكورة في كل اوان ولقد جاء ال فرعون النذر هم موسى وهرون وغيرهما
من الانبياء لانهما عرضا عليهم ما انذر به المرسلون او يكون جمع نذير المصدر
بمعنى الانذار كذبوا باياتنا هي التسع والتوكيد هنا كهو في قوله ولقد اريناه
اياتنا كلها والظاهر ان الضمير في كذبوا وفي فاخذناهم عائد على ال فرعون وقيل
هو عائد على جميع من تقدم من الامم ذكرهم وتم الكلام عند قوله النذر فاخذناهم
اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء اكفاركم خطاب لاهل مكة خير من اولئكم الا
الموصوفين نوح وهود وصالح ولوط وال فرعون والمعنى انهم خير في القوة والالات للحروب

في الدنيا او اقل كفرا وعنادا فلاجل كونهم خيرا لا يعاقبون على الكفر بالله وتكذيب الرسول ومعهم على نوح اي ليس كفاركم خيرا من اولئك بل هم مثلهم او شر منهم وقد علمتم ما لحق اولئك من الهلاك المستاصل لما كذبوا الرسل ام لكم براءة في الزبر اي الكتب الالهية براءة من عذاب الله قاله الضحاك وعكرمة وابن زيد ام يقولون نحن جميع اي امرنا مجتمع منتصر يقولون ذلك على سبيل الاعجاب بانفسهم وقرا الجمهور ام يقولون بالياء التفاتا وكذا ما بعده للغائب وقرا ابو حيوة وموسى الاسواري وابو البرهسم بالخطاب للكفار اتباعا لما تقدم من خطابهم وقرا سيهزم الجمع بفتح الياء وكسر الزاي ونصب الجمع خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم وابو حيوة ايضا ويعقوب بالنون مفتوحة وكسر الزاي وفتح العين والجمهور بالبناء للمفعول وضم العين وعن ابي حيوة وابن ابي عبلة ايضا بفتح الياء مبنيا للفاعل ونصب العين اي سيهزم الله الجمع والجمهور ويولون بالياء وابو حيوة وداود بن ابي سالم عن ابي عمرو بالخطاب والدبر هنا اسم جنس وجاء في موضع اخر ليولن الادبار وهو الاصل وحسن اسم الجنس هنا كونه فاصلة وقال الزمخشري اي الادبار كما قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقرى الادبار انتهى وليس مثله لان مجيء الدبر مفردا ليس بحسن ولا يحسن لافراد وبطنكم وفي قوله سيهزم الجمع عدة من الله تعالى لرسوله بهزيمة جمع قريش والجمهور على انها مكية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بها وقيل نزلت يوم بدر بل الساعة موعدهم اضل من ذلك كله وهو انهم السابعة التي عذابها اشد عليهم من كل هزيمة وقتل والساعة ادهى اي اعظم واشد والداهية الامر المنكر الذي لا يهتدى لدفعه وهي الرزية العظمى تحل بالشخص وامر من المرارة استعير لصعوبة الشيء على النفس ان المجرمين في ضلال اي حيرة وتخبط في الدنيا وسعر اي احتراق في الاخرة جعلوا فيه من حيث مصيرهم اليه وقال ابن عباس خسران وجنون والسعر الجنون وتقدم مثله في قصة صالح عليه السلام يوم يسحبون في النار وفي قراءة عبد الله الى النار على وجوههم ذوقوا اي مقولا لهم ذوقوا مس سقر وقرا محبوب عن ابي عمرو مسقر بادغام السين في السين قال ابن مجاهد ادغامه

حظا

خطئا لانه مستغفر ومس والجمهور ادغامه وكان ابو عمرو انه لم يدغم حتى حذف احد المثلين لاجتماع الامثال ثم ادغم انا كل شيء خلقناه بقدر قرا الجمهور كل شيء بالنصب وقرا ابو السمال قال ابن عطية وقوم من اهل السنة بالرفع قال ابو الفتح هو الوجه في العربية وقراءتنا بالنصب مع الجماعة وقال قوم اذا كان الفعل يتوهم فيه الوصف وان تعين ما يشغل المخبر واكان المعنى على ان يكون الفعل هو الخبر اختير النصب في الاسم الاول لتعين نسخ ان الفعل ليس بوصف ومنه هذا الموضع لان في قراءة الرفع تخيلا ان الفعل وصف وان الخبر بقدر وقد نازع اهل السنة والقدرية الاستدلال بهذه الاية ما اهل السنة كل شيء فهو مخلوق لله بقدر ودليلهم قراءة النصب لانه لا يفسر مثل هذا التركيب الا ما يصح ان يكون خبرا لو رفع الاول على الابتداء وقالت القدرية القراءة برفع كل شيء خلقناه في موضع الصفة لكل اي ان امرنا وشاننا كل شيء خلقناه فهو بقدر او بمقدار على حد ما في هيئته وزمنه وغير ذلك وقال الزمخشري كل شيء منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرى كل شيء بالرفع والقدر والقدر التقدير وقرى بها اي كل شيء مقدر محكم مرتب على حسب ما اقتضته الحكمة او مقدر مكتوب في اللوح المحفوظ معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه انتهى وهو قول القدرية وحمل اخرها ان يكون معنى بقدر انه في ذاته وفي صفاته والثاني القدر قال تقدر ما فيه العادرون وقال الشاعر

٤٠ وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر

اي ما نحن فعلناه وسواه العذاب الذي نهلك به الامم لا يكون الا كلمح بالبصر ذكره بعضهم الله وقد بين والمعنى ان القضاء في العلم والعذر في الاتيان ما لمح بالابصار خلقنا ه فقدر اي بقدر مع اراد انتهى وما امرنا الا واحدة اي الا كلمة واحدة لحصول ويعني كلح البصر سببه ما يجري في مثل هذا امر الله تعالى او حي في ذلك المعنى انه اذا اراد تكوين كل شيء لم يتاخر عن ارادته ولقد اهلكنا اشياعكم اي الفرق المشابهين في مذهب وكل شيء فعلوه اي فعلته الامم المكذبة محفوظ عليهم الى يوم القيامة قال ابن عباس والضحاك ومقاتل وابن زيد ومعنى في الزبر في دواوين الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال ومن كل ما هو كائن مستطر اي مسطور في اللوح

جماع

لال

يقولون

فقال سطرت واستطرت بمعنى وقرأ الاعمش وحمزة بن حبيب وعصمة عن ابي بكر عن عاصم
بكسر الشين استعارة لصاحب الالواح يجوز ان يكون من طول الثياب والشارب اذا طهر
ويعني بمعنى جعل شيء طاهرا في اللوح المحفوظ منشأ فيه ويجوز ان يكون من الاستطالة
الرفع والمراد اللواتي رفعن على لفظ مفعول جمعه وتفعل بالتشديد ومثنى اسم ويفعل
الموضحة الاول استفعل ومعنا لبارئ افتعال وقرأ الجمهور ومعز على الافراد والمهاجر
والاعرج ومجاهد وحميد وابو السمال والعباس عن ابي عمرو ان يسلكونها والمراد به
الجليس اي ارتدى به الابحار او يكون معنى ومعرفة سعة على الابواق والعارك
ومنه قول حسن بن الحلحم ٥٠

٥٠ ملكت بها كفي فانهر فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها ٥٠

اي اوسعت صعما وقرأ نصر العرقي والاعمش وابو بحيك وابو مجلز والعباس
بضم النون والهاجع مغر كوحد ورحا ومعر كانسر واسعد وهو جمع
خبات وقيل هو جمع نكار اذا لبلاء الخيد وهو بعيد في مقعد صدق يجوز ان يكون
ضد الكذب او في المقعد الذي صدقوا في الخبر به وان يكون من قولك رجل صدق
اي خير وجود وصلاح وقرأ الجمهور في مقعد على الافراد يراد به اسم الجنس وعثمان
البتي مقاعد على الجمع وعندي دال على قرب المكانة من الله تعالى النجم النبات
الذي لا ساق له منجم اي ظهر وطلع الانعام الحيوان العصف ورق الشجر
الزرع الريحان كل مشموم طيب الريح من النبات المرجان الخرز الاحمر
وقيل صغار الدر واللؤلؤ كباره واللؤلؤ ساعر بنبيل لا يحفظ فيه من كلام العرب
اكثر من خمسة اللؤلؤ والجوهر والدر والمرو طاهر والنور الاصل المصدر
الخرج من النبي مرعه الشواظ اللهب الخالص يعني دخان قال حسان

هجوتك فاختضعت لها بذل بقافية تاجج كالشواظ

وقال روبة ٥٠ ٥٠ ٥٠

ونار حرب تسعر الشواظا

ويضم سينه ويكسر النحاس قال الخليل والنحاس هو الذي لا لهب له وهو
معروف من كلام العرب قال نابغة بن جعدة

يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا

وقيل الكتابي النحاس هو النار الذي له ريح يشتد ويعمل الصفر المذاب وسمع بونه
ويكسر السور الشديد المحمر قال هي مثل وردة وجمع وردة الدهان
الجلد الاحمر انشد منذر بن سعد ٥٠

سعت الدهان الحمر كل عشيه بموسم بدرا وتسوقع كاظ ٥٠

الناصب الراسي انه مواسم في الحرا لا منا نجع ونحو العصي او جمع في ونحو
النوع وقال الشاعر ٥٠

ومنزل امنات اللذات والصبا المحبوب به والعيش المحض ناض

وقال نابغة بن دمان ٥٠

بكاحامه بدعو بهدبل مفجعة على فنن تغني ٥٠

الحمي ما يعطف من الحمي وهو فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى مقبوض قاصرات الطرف
قصرن الحاظهن على ازواجهن قال الشاعر

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لا ترا

الطمث دم الحيض ودم الافتضاض الياقوت حجر معروف قيل لا يوثر فيه
النار قال ٥٠

٥٠ وطالما اصلى الياقوت جمر غضا ثم انطفا الجمر والياقوت ياقوت

الادهمام السواد المنضح فوارات الماء المقصورات المحبوسة ويقال
قصيرة وقصورة اي محزونة قال كثير

وانت التي حببت كل قصيرة الي ولم تشعر بذاك القصائر
٥٠ عنيت قصيرات الحجال ولم ارد قصار الخطا شر النساء البحاتر

الخيمة معروفة وهي بيت المرتحل من خشب وثمام وسائر الحشيش واذا
كان من شعر فهو بيت ولا يقال له خيمة ويجمع على خيام وخيم قال جرير

متى كان الخيام بذي طلوح سقيت الغيث ايتها الخيام ٥٠

الرفرف ما تدلى من الاسرة من عالي الثياب قال الجوهري سابه حتى يتحد
فيها المجالس الواحد رفرفة واستقاقه من رف اذا ارتفع ومنه رفرفة الطائر

لتحريك جناحيه وارتفاعه في الهواء وسمي الطائر رفرافا ورفرف جناحيه حركهما ليقع على
الشيء ورفرف السحاب هدبه العبقري منسوب الى عبقر موضع تزعم العرب
انه بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب قال زهير

بخيل عليها جنة عبقرية جديرون يوما ان ينالوا فيستعلوا

وقال امرؤ القيس

كأن صليل المرو حين تشذه صليل زيوف ينتقدن بعبقرا

وقال ذو الرمة

حتى كأن رياض القف ألبسها من وشي عبقر تجليل وتنجيد

وقال الخليل العبقري كل جليل نفيس من الرجال والنساء وغيرهم الجلال
العظمة قال

حقرنا باستعظام جلالي دونه الاجل

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر
يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط
ولا تخسروا الميزان والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب
ذو العصف والريحان فباي آلاء ربكما تكذبان خلق الانسان من صلصال كالفخار
وخلق الجان من مارج من نار فباي آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فباي
آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فباي آلاء ربكما تكذبان
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فباي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام
فباي آلاء ربكما تكذبان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فباي
آلاء ربكما تكذبان يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن فباي آلاء ربكما
تكذبان هذه السورة مكية في قول الجمهور ومدنية في قول ابن مسعود
وعن ابن عباس القولان وعنه سوى آية فهي مدنية وهي يسأله من في السموات والارض
الآية وسبب نزولها فيما قال مقاتل انه لما نزل واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن الآية
فقالوا ما نعرف الرحمن فنزلت الرحمن علم القرآن وقيل لما قالوا انما يعلمه بشر

كذبهم

كذبهم الله وقيل الرحمن علم القرآن نزلت في اباية سهيل بن عمرو عن ان يكتب
في الصلح بسم الله الرحمن الرحيم ومناسبة هذه السورة لما قبلها انه لما ذكر مقر المجرمين
في ضلال وسعر ومقر المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر وذكر
شيئا من آلاء الملك وآثار القدرة ثم ذكر مقر المتقين على جهة الاسهاب اذ كان في
آخر السورة ذكر على جهة الاختصار والاعتبار ولما ذكر قوله عند مليك مقتدر
ما يأتي بعدها من الصيغتين بصورة الملك فكأنه قيل من المتصف بذلك فقال
الرحمن علم القرآن فذكر ما نشأ عن صفة الرحمة وهو تعليم القرآن الذي هو شفاء
للقلوب والظاهر ان الرحمن مرفوع على الابتداء وعلم القرآن خبره وقيل الرحمن آية
بمضمر اي الله الرحمن او الرحمن ربنا وذلك آية وعلم القرآن استيناف اخبار ولما
عدد نعمه تعالى بدأ من نعمه بما هو اعلى رتبها وهو تعليم القرآن اذ هو عماد الدين ونجاة
من استمسك به ولما ذكر تعليم القرآن ولم يذكر المعلم ذكره بعد في قوله خلق
الانسان ليعلم انه هو المقصود بالتعليم ولما كان خلقه من اجل الدين وتعليمه
القرآن كان كالسبب في خلقه تقدم على خلقه ثم ذكر تعالى الوصف الذي
يتميز به ليمكن قبول التعليم وهو البيان الا ترى ان الاخرس لا يمكن ان يتعلم شيئا
مما يدرك بالنطق وعلم متعد الى اثنين حذف اولهما لدلالة المعنى عليه وهو جبريل
او محمد صلى الله عليه وسلم او الانسان اقوال ومن هو ابو عبد الله الرازي كأن المحذوف
هو المفعول الثاني قال فان قيل لم ترك المفعول الثاني واجاب بان النعمة في التعليم
لا في تعليم شخص دون شخص كما يقال فلان يطعم الطعام اشارة الى كرمه ولا يبين
من يطعمه انتهى والمفعول الاول هو الذي كان فاعلا قبل النقل بالتضعيف
او الهمزة في علم واطعم والعرب ذهب الى ان معنى علم القرآن جعله علامة وآية
يعتبر بها وهذه جمل مترادفة فيه اعتبار كلها من الرحمن جعلت مستقلة لم
تعطف اذ هي تعداد لنعمه تعالى كما تقول زيد احسن اليك خولك اشار بذكرك
والانسان اسم الجنس وقال ابن عباس الانسان آدم عليه السلام وقال ابن كيسان
محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد والجمهور البيان المنطق والفهم والابانة
وهو الذي فضل الانسان به من سائر الحيوان وقال قتادة هو بيان الحلال

الحلال والحرام والشرائع وهذا اخر من البيان العام وقال محمد بن كعب ما يقول وما يقال له وقال الضحاك الخير والشر وقال ابن جريج الهدى وقال الكتابة ومن قال

الحسبانه ادم فالبيان اسما كل شى او التكلم باللغات كلها وافضلها العربية او الكلام بعد
انخلاعه او علم الدنيا والاخرة او الاسم الاعظم من تعليمه البيان ذكر ما يعتبر به من وجود
الشمس والقمر وما فيهما من المنافع العظيمة للانسان اذ هما يجريان على حساب معلوم وتقدير
سوى في بروجهما ومنازلهما والحسبان مصدر كالغفران وهو بمعنى الحساب قاله
قتادة وقال الضحاك وابو عبيدة جمع حسبانه كشهاب وشهبان قال ابن عباس وابو
مالك وقتادة لهما في طلوعهما وغروبهما وقطعهما البروج وغير ذلك حسبانات شتى وقال ابن زيد
لولا الليل والنهار لم يدر احد كيف يحسب شيئا من معادن الزمان وقال مجاهد
الحسبان الفلك المستدير شبهه بحسبانة الرحى وهو العود المستدير الذي ما
سدارته تستدير المطحنة وارتفع الشمس على الابتدا وخبره بحسبان فاما على حذف
اى يجرى الشمس والقمر بحسبان وبعلى الخبر محذوف اى يجريان بحسبان وبحسبان
متعلق بيجريان وعلى قول مجاهد يكون الباقى بحسبان ظرفية لان الحسبان عنده
الفلك ولما ذكر تعالى ما انعم به من منفعة الشمس والقمر وكان من الاثار العلوية
ذكر في مقابلتهما من الاثار السفلية النجم والشجر كانا رزقا للانسان واخبر انهما
جاريان على ما اراد الله بهما من تسخيرهما وكينونتهما على ما اقتضته حكمته تعالى كما
ذكر ما بحياة الارواح من تعلم القران ذكر ما به حياة الاشباح من النبات
الذى لا ساق له والنبات الذى له ساق وكان تقديم النجم وهو ما لا ساق له
لانه اصل القوت والذى له ساق ثمره يتفكه بها غالبا والظاهر ان النجم هو النبات
شرحناه ويدل عليه اقترانه بالشجر وقال مجاهد وغيره والحسن النجم اسم الجنس
من نجوم السما وسجودهما قال مجاهد والحسن ذلك النجم بالعروبة ونحو ذلك في الشجر بالظل
واستدارته وقال مجاهد ايضا والسجود تجوز وهو عبارة عن الخضوع والتذلل والجمل
الاول فيها ضمير ربطها بالمبتدا واما في هاتين الجملتين فاكتفى بالوصف المعنوى
عن الوصل اللفظى اذ معلوم ان الحسبان هو حسبانه وان السجود له لا لغيره وكانه
قيل بحسبانه ويسجدان له ولما اوردت هذه الجمل مورد تعديد النعم رد الكلام الى العطف

ـه وصل ما يناسب وصله والتناسب الذى بين هاتين الجملتين ظاهر لان الشمس والقمر
علويان والنجم والشجر سفليان والسما رفعها اى خلقها مرفوعة حيث جعلها مصدر قضاياه
ومسكن ملائكته الذين ينزلون بالوحى على انبيائه ونبه بذلك على عظم شانه وملكه
وقرا الجمهور والسما بالنصب على الاشتغال روعى مشاكلة الجملة التى تليه وهو يسجدان
وقرا ابو السمال والسما بالرفع راعى مشاكلة الجملة الابتدائية وقرا الجمهور ووضع الميزان
فعلا ماضيا الميزان اى اقره واثبته وقرا ابرهيم ووضع باسكان الضاد والميزان بالخفض
والظاهر انه كل ما توزن به الاشيا وتعرف مقاديرها واى اختلفت اشكاله
الالات قاله ابن عباس والحسن وقتادة جعله تعالى حاكما بالسوية فى الاخذ
والاعطا وقال مجاهد والطبرى والاكثرون الميزان العدل ويكون الالات من بعض
ما يندرج فى العدل بدا اولا بالانعام بذكر اشرف ما منه اشرف انواع العلوم وهو
القران ثم ذكر ما به التعديل فى الامور وهو الميزان كقوله وانزلنا معهم الكتاب والميزان
ليقوم الناس بالقسط ... ويعملوا ما امروا به الكتاب ان لا تطغوا فى الميزان اى لان لا تطغوا
فلا تطغوا منصوب بان وقال الزمخشرى او هى ان المفسرة وقال ابن عطيه ويحتمل ان
ان تكون ان مفسرة فيكون لا تطغوا جزما بالنهى قال ولا يجوز ما قاله من ان ان
مفسرة لانه فات احد شرطيها وهو ان يكون ما قبلها جملة فيها معنى القول ووضع
الميزان ليس جملة فيها معنى القول والطغيان فى الميزان هو ان يكون بالتعدى واما ما
لا يقدر عليه من التحرى بالميزان فمعفو عنه ولما كانت التسوية مطلوبة امر تعالى
فقال واقيموا الوزن وقرا الجمهور ولا تخسروا من اخسر اى افسد ونقص كقوله
واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون اى ينقصون وبلال بن ابى بردة وزيد بن على
تخسروا بفتح التاء يقال خسر يخسر واخسر يخسر بمعنى واحد كجبر واجبر وحكى ابن جنى
وصاحب اللوامح عن بلال فتح التاء والسين مضارع خسر بكسر السين وخرجها
الزمخشرى على ان يكون التقدير فى الميزان فحذف الجار ونصب ولا يحتاج الى هذا التخريج
الا ترى خسر جا متعديا كقوله تعالى خسروا انفسهم وخسر الدنيا والاخرة وقرئ ايضا
تخسروا بفتح التاء وضم السين لما منع من الزيادة وبالطغيان نفى من الخسران الذى
هو نقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية وتقوية للامر باستعماله

والحث عليه ولما ذكر السما ذكر مقابلها فقال والارض وضعها للانام اى خفضها مدحوة على الما لينتفع بها وقرا الجمهور والارض بالنصب وابو السمال بالرفع والانام قال ابن عباس بنو ادم فقط وقال ايضا هو وقتادة وابن زيد والشعبى الحيوان كله وقال الحسن الثقلان الجن والانس فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به وبدا بقوله فاكهة اذ هو من باب الابتدا بالادنى والترقى الى الاعلى ونكر لفظها لان الانتفاع بها دون الانتفاع بما ذكر بعدها ثم ثنى بالنخل فذكر الاصل ولم يذكر ثمرها وهو الثمر لكثرة الانتفاع بها من ليف وسعف وجريد وجذوع وجمار وثمر ثم اتى بالحب الذى هو قوام عيش الانسان فى اكثر الاقاليم وهو البر والشعير وكل ما له سنبل واوراق متشعبة على ساقه ووصفه بقوله ذو العصف تنبيها على انعامه عليهم بما يقوتهم به من الحب ويقوت بهائمهم من ورقه الذى هو التبن وبدا بالفاكهة وختم بالمشموم وبينهما النخل والحب ليحصل ما به يتفكه وما به يتقوت وما به تقع اللذاذة من الرائحة الطيبة وذكر النخل باسمها والفاكهة دون شجرها لعظم المنفعة بالنخل من جهات متعددة وشجرة الفاكهة بالنسبة الى ثمرتها حقيرة فنص على ما يعظم به الانتفاع من شجرة النخل ومن الفاكهة دون شجرتها وقرا الجمهور والحب ذو العصف والريحان برفع الثلثة عطفا على المرفوع قبله وابن عامر وابو حيوة وابن ابى عبلة بنصب الثلثة اى وخلق الحب والعصف التبن الذى تاكله الدواب او ورق النبات الذى له ساق الخارجة من جوانب الساق كورق السنبلة او ورق ما يوكل اقوال والريحان ما يشم او الورق او الذى يقع به الرزق فى الارض اقوال وجوزوا ان يكون والريحان حالة الرفع وحالة النصب على حذف مضاف اى وذو الريحان حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وحمزة والكسائى والاصمعى عن ابى عمرو والريحان بالجر والمعنى والحب ذو العصف الذى هو علف البهائم والريحان الذى هو مطعم الناس ويبعد هنا المشموم فى قراءة الجر وريحان من ذوات الواو واجاز ابو على ان يكون اسما وضع موضع المصدر وان يكون مصدرا على وزن فعلان كاللبان وابدلت الواو ياء كما ابدلوا الياء واوا فى اشاوى واما مصدرا شاذا فى المعتل كما شذ كينونة وبينونة فاصله ريوحان قلبت الواو ياء وادغمت فى اليا فصار ريحان ثم حذف عين الكلمة

كما قالوا ميت وهين ولما عدد تعالى نعمه خاطب الثقلين بقوله فباى الاء ربكما تكذبان اى ان نعمه كثيرة لا تحصى فباى نعمه تكذبان اى من هذه نعمه لا يمكن ان يكذب بشى منها وكان هذا الخطاب للثقلين لانهما داخلان فى الانام على اصح الاقوال ولقوله خلق الانسان وخلق الجان ولقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان وقد ذهب بعض من ذهب الى انه خطاب للذكر والانثى من بنى ادم وذهب بعض الى ان هذا مثل من قال انه خطاب على حد القيا فى جهنم ويا حرسى اضربا عنقه يعنى انه خطاب للواحد بصورة الاثنين وقرى فباى منونا فى جميع السورة كانه حذف منه المضاف اليه وابدل منه الاء ربكما بدل معرفة من نكرة والا لا يقدم فى اعراب ايها النعم واحدها الى والى خلق الانسان لما ذكر تعالى خلق العالم الاكبر من السما والارض وما اودع فيهما من النعم ذكر مبدا من خلقت له هذه النعم والانسان هو ادم وهو قول الجمهور وقيل للجنس وساغ ذلك لانهم مخلوقون من الصلصال واذا اريد الانسان ادم فقد جاءت غايات له مختلفة وذلك متفق فى المعنى وذلك انه خلقه اولا ترابا ثم طينا ثم حما مسنونا ثم صلصالا فانما ثبت نسبة خلقه لكل واحد منها والجان هو ابو الجن وهو ابليس قاله الحسن وقال مجاهد هو ابو الجن وليس بابليس وقيل الجان اسم جنس والمارج ما اختلط من اصفر واحمر واخضر واللهب او الخالص او الحمرة فى طرف النار او المختلط بسواد او المضطرب بلا دخان اقوال ومن الاولى لابتدا الغاية والثانية للتبعيض وقيل للبيان والتكرار فى هذه الفواصل للتاكيد والتنبيه والتحريك وهى موجودة فى مواضع من القران وذهب قوم منهم ابن قتيبة الى ان هذه التكرارات انما هى لاختلاف النعم فكرر التوقيف فى كل واحدة منها وقرا الجمهور رب بالرفع اى هو رب وابو حيوة وابن ابى عبلة بالخفض بدلا من ربكما وثنى المضاف اليه لانهما مشرقا الصيف والشتا ومغرباهما قاله مجاهد وقيل مشرقا الشمس والقمر ومغرباهما قاله مجاهد وعن ابن عباس للشمس مشرق فى الصيف مصعد ومشرق فى الشتا منحدر ينتقل فيهما مصعدة ومنحدرة انتهى فالمشرقان والمغربان للشمس وقيل المشرقان مطلع الفجر ومطلع الشمس والمغربان مغرب الشفق ومغرب الشمس ولسهل التسترى كلام فى المشرقين والمغربين شبيه بكلام الباطنية المحرفين مدلول كلام الله ضربنا عن ذكره صفحا وكذلك ما وقفنا عليه من كلام الغلاة الذين يسمون الصوفية لا نشتغل بنقل

بعلم شي منه وابدا اولع صاحب كتاب التحرير والتحبير بحشو ما قاله بقول الجهلاء في كل
آية آية وتسمى ذلك الحقائق وأرباب القلوب وما ادعوا فهمه في القرآن من ما علموا
أنه لم يفهمه عربي قط ولا أراد الله تعالى بتلك الألفاظ نعوذ بالله من ذلك مرج البحرين
تقدم الكلام على ذلك في الفرقان قال ابن عطية وذكر الثعلبي في مرج البحرين ألفاظا وأقوالا
ما طائل للبعث إلى شي منها انتهى والظاهر البحارها أي متجاوران فلا يتصل بين الما
في رؤية العين وقيل يلتقيان كل سنة مرة وقيل معدان للالتقا فحقهما أن يلتقيا لولا
البرزخ بينهما برزخ أي حاجز من قدرة الله لا يبغيان لا يتجاوزان حديهما ولا يبغي أحدهما
على الآخر بالممازجة وقيل البرزخ أجرام الأرض قاله قتادة وقيل لا يبغيان أي على الناس
والعمران وعلى هذا والذي قبله يكون من البغي وقيل هو من بغى أي طلب فالمعنى لا
يبغيان حالا غير الحال التي خلقا عليها وسخرا لها وقيل ما الأنهار لا يختلط
بالما الملح بل هو بذاته باق فيه قال ابن عطية والعبارة بالانتقاص أبين يعني أنه لا
لتناقص الما العذب يختلط بالملح فيبقى كله ملحا وقد يقال بالاختلاط طعمه جزءا
أجزاء العذب حتى لا يظهر بأن ذاك الإنسان من الملح المغيب فيه بالأجزاء
الدقيقة لم يحسن إلا الموجه والمعقول لمستند بالكلام بداخل الأجسام بحيث أن
لكن المعرفة إلا أنها متكررة وأنشد منذر بن سعيد البلوطي

٤٠ ومن وجد الامواه لا العذب غالب على الملح طيبا لا ولا الملح يعذب ٤٠

وقرأ الجمهور يخرج مبنيا للفاعل ونافع وأبو عمرو وأهل المدينة مبنيا للمفعول والجعفي
عن أبي عمرو بالياء مضمومة وكسر الراء أي الله وعنه وعن أبي عمرو عن ابن مقسم بالنون واللؤلؤ
والمرجان في هاتين القراءتين والظاهر منهما أن ذلك يخرج من الملح والعذب وقال
بذلك قوم حكاه الأخفش ورد الناس هذا القول قالوا والحس يكذبه فإنه لا يخرج
إلا من الملح وعابوا قول الشاعر ٤٠

٤٠ فجاء بها من مسيب لطمية على وجهها ما الفرات يموج ٤٠

وقال الجمهور إنما يخرج من الأجاج في المواضع التي تقع فيها الأنهار والمياه العذبة فناسب
إسناد ذلك إليهما وهذا مشهور عند الغواصين وقال ابن عباس وعكرمة تكون هذه
الأشياء في البحر بنزول المطر لأن الصدف وغيرها تفتح أفواهها للمطر فلذلك قال منهما وقال

ابو

أبو عبيدة إنما يخرج من الملح لكنه قال منهما تجوزا وقال الرماني العذب فيها كاللقاح
للملح فهو كما تقول الولد يخرج من الذكر والأنثى وقال ابن عطية وتبع الزجاج من
حيث هما نوع واحد فخروج هذه الأشياء إنما هي منهما وإن كانت تختص عند التفصيل
المتابع بأحدهما كما قال تعالى سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وإنما هو في إحداهن
وهي الدنيا إلى الأرض وقال الزمخشري نحوا من قول ابن عطية قال فإن قلت لم قال
منهما وإنما يخرجان من الملح قلت لما التقيا وصارا كالشي الواحد جاز أن يقال يخرج
منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت
من البلد وإنما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان
إلا من ملتقى الملح والعذب انتهى وقال أبو علي الفارسي هو من باب حذف المضاف و
المعنى يخرج من أحدهما كقوله تعالى على رجل من القريتين عظيم أي من إحدى القريتين
وقيل هما بحران يخرج من أحدهما اللؤلؤ ومن الآخر المرجان وقال أبو عبد الله الرازي كلام
الله أولى بالاعتبار من كلام بعض الناس ومن علم أن اللؤلؤ لا يخرج من الما العذب وهب
أن الغواصين ما أخرجوه إلا من المالح لكن لم قلتم إن الصدف لا يخرج بأمر الله من الما العذب
إلى الما الملح وكيف يمكن الجزم به والأمور الأرضية الظاهرة خفيت عن التجار الذين
قطعوا المفاوز وداروا البلاد فكيف لا يخفى أمر ما في قعر البحر عليهم واللؤلؤ قال
ابن عباس والضحاك وقتادة كبار الجواهر والمرجان صغاره وعن ابن عباس أيضا
وعلي ومرة الهمداني عكس هذا وقال أبو عبد الله وأبو مالك المرجان الحجر الأحمر وقال
الزجاج حجر شديد البياض وحكى القاضي أبو يعلى أنه ضرب من اللؤلؤ كالقضبان
والمرجان اسم أعجمي معرب قال ابن دريد لم أسمع فيه بفعل متصرف وقال الأعشى

من كل مرجانة في البحر أحرزها تيارها ووقاها طمها الصدف

قيل أراد اللؤلؤة الكبيرة وقرأ طلحة اللؤلؤ بكسر اللام الثالثة وهي لغة وعنه اللولي بقلب
الهمزة المتطرفة ياء ساكنة بعد كسرة ما قبلها وهي لغة قاله أبو الفضل الرازي وله الجوار
خص تعالى الجواري بأنها له وهو تعالى له ملك السموات والأرض وما فيهن لأنهم لما كانوا
هم منشئيها أسندها تعالى إليه إذ كان تمام منفعتها ضمونة تعالى فهو في الحقيقة
مالكها والجواري السفن وقرأ عبد الله والحسن وعبد الوارث عن أبي عمرو بضم الراء كما قالوا

في شال مقال. وقرأ الجمهور المنشآت بفتح الشين اسم مفعول اي انشأها الله او الناس
او المرفوعات الشرع، وقال مجاهد ما له شراع فهو من المنشآت وما لم يرفع له شراع فليس
من المنشآت، والشراع القلع. والاعمش وحمزة وزيد بن علي وطلحة وابو بكر بخلاف عنه
بكسر الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن او التي ينشئن
السير اقبالا وادبارا. وشدد الشين ابن ابي عبلة. والحسن المنشات وحد الصفة
ودل على الجمع الموصوف كقوله ازواج مطهرة، وقيل الهمزة الفا على حد قوله
ان السباع لتهدى في مرابضها   يريد لتهدأ. والتاء لتأنيث الصفة كتبت بالتاء على لفظها
في الوصل كالاعلام اي كالجبال والآكام، وهذا يدل على كبر السفن حيث شبهها
بالجبال، وان كانت المنشآت تنطلق على السفينة الكبيرة والصغيرة. وعبر بقوله كل
من عليها تغليبا لمن يعقل، والضمير في عليها قيل عائد على الارض وان لم يجر لها ذكر
كقوله حتى توارت بالحجاب انتهى. وقد تقدم ذكر الارض في قوله والارض وضعها
للانام فعاد الضمير عليها وان كان بعد لفظها. والفناء عبارة عن اعدام جميع الموجودات
من حيوان وغيره. والوجه يعبر به عن حقيقة الشيء والجارحة مستحيلة على الله تعالى ونحو
كل شيء هالك الا وجهه وتقول صعاليك مكة اين وجه عربي كريم يجود علي. وقرأ الجمهور
ذو بالواو صفة للوجه، وأبي وعبد الله ذي بالياء صفة للرب. والظاهر ان الخطاب
في قوله وجه ربك للرسول، وفيه تشريف عظيم له عليه السلام، وقيل الخطاب لكل سامع.
ومعنى ذو الجلال الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن افعالهم او الذي
يقال له ما اجلك، او الذي عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده. يسأله من في
السموات والارض اي حوائجهم، وهو ما يتعلق بمن في السموات من امور الدين
وما يستعدونه، ومن في الارض امر دينهم ودنياهم. وقال ابو صالح من في
السموات الرحمة ومن في الارض المغفرة والرزق. وقال ابن جريج الملائكة الرزق لاهل الارض
والمغفرة، واهل الارض يسألونهما جميعا. والظاهر ان قوله يسأله استئناف اخبار، وقيل حال
من الوجه والعامل فيه يبقى اي هو دائم في هذه الحال انتهى، وفيه بعد لان السائل بحاله
ينقض السؤال فيصح اسناد السؤال الى الجميع باعتبار القدر المشترك وهو الافتقار
اليه تعالى. كل يوم اي كل ساعة ولحظة، وذكر اليوم لان الساعات واللحظات

في ضمنه هو في شان. وقال ابن عباس في شان لقصده من الخلق والرزق والاحياء والاماتة
وقال عبيد بن عمير يجيب داعيا ويعطي سائلا ويتوب على قوم ويغفر لقوم. وقال سويد بن
غفلة يعتق رقابا ويعطي رغابا ويقحم عقابا. وقال ابن عيينة الدهر عند الله يومان
احدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشانه فيه الامر والنهي والاماتة والاحياء واليوم
الثاني القيامة فشانه فيه الجزاء والحساب. وعن مقاتل نزلت في اليهود قالوا ان الله لا يقضي
يوم السبت شيئا. وقال الحسين بن الفضل وقد سأله عبد الله بن طاهر عن قوله كل
يوم هو في شان وقد صح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة فقال شؤون يبديها
لا شؤون يبتديها. وقال ابن بحر هو في يوم الدنيا في الابتلاء وفي يوم القيامة في الجزاء
وانتصب كل يوم على الظرف والعامل فيه العامل في قوله في شان وهو مستقر المحذوف
نحو يوم الجمعة زيد قائم. **سنفرغ لكم ايها الثقلان** فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر
الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا
بسلطان فبأي آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فبأي آلاء ربكما
تكذبان فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فبأي آلاء ربكما تكذبان يعرف
المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب
بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فبأي آلاء ربكما تكذبان ف لما ذكر تعالى ما انعم
من تعليم العلم وخلق الانسان والسماء والارض وما اودع فيهما وفناء ما على الارض ذكر ما يتعلق
من احوال الآخرة والجزاء. فقال سنفرغ لكم اي ننظر في اموركم يوم القيامة لا انه تعالى كان له
شغل فيفرغ منه، وجرى هذا على كلام العرب في ان المعنى سنقصد لحسابكم فهو
استعارة من قول الرجل لمن يهدده سأفرغ لك اي سأتجرد للايقاع بك من كل ما شغلني
عنه حتى لا يكون لي شغل سواه، والمراد التوفر على الايقاع به. قال ابن عطية ويحتمل
ان يكون التوعد بعذاب في الدنيا والاول ابين انتهى يعني ان يكون ذلك يوم القيامة. وقال
الزمخشري ويجوز ان يكون سمة الدنيا وتبلغ آخرها تنتهي عند ذلك شؤون الخلق التي
ارادها بقوله كل يوم هو في شان فلا يبقى الا شان واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا
لهم على طريق المثل انتهى. والذي عليه ائمة اللغة ان فرغ يستعمل عند انقضاء الشغل الذي كان
الانسان مشتغلا به فلذلك احتاج قوله سنفرغ الى التأويل على انه قد ورد ان فرغ يكون بمعنى

قصدوا اهم واستشهد على ذلك ابن الانباري لجرير

الآن وقد فزعت الى نمير فهذا حين كنت لهم عذابا

اي قصدت واستشهد النحاس بقول فزعت الى العبد المقيد في الحجل

وفي الحديث فرغ ربكم من اربع وقوله لافرغن لك يا خبيث خاطبه به رسول الله صلى الله عليه وسلم
ازب العقبة يوم بيعتها اي لاقصدن ابطال امرك نقل هذا عن الخليل والكسائي والفرا
وقرا الجمهور سنفرغ بنون العظمة وضم الراء من فرغ بفتح الراء وهي لغة الحجاز وحمزة والكسائي
وابو حيوة وزيد بن علي بياء الغيبة وقتادة والاعرج بالنون وفتح الراء مضارع فرغ بكسر الراء
وهي تميمية وابو السمال وعيسى بكسر النون وفتح الراء مضارع فرغ بكسر الراء قال ابو حاتم هي
لغة سفلى مضر والاعمش وابو حيوة بخلاف عنهما وابن ابي عبلة والزعفراني بضم الياء وفتح
الراء مبنيا للمفعول وعيسى ايضا بفتح النون وكسر الراء والاعرج ايضا بفتح الياء والراء
وهي رواية يونس والجعفي وعبد الوارث عن ابي عمرو والثقلان الانس والجن سميا بذلك
لكونهما ثقلين على وجه الارض او لكونهما مثقلين بالذنوب او الثقل الانس وسمي الجن ثقلا
لمجاورة الانس والثقل الامر العظيم وفي الحديث اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي
سميا بذلك لعظمهما وشرفهما والظاهر ان قوله يا معشر الجن الاية خطاب الله اياهم
يوم القيامة يوم التناد وقيل يقال لهم ذلك قال الضحاك يفرون في اقطار الارض لما يرون
من الهول فيجدون الملائكة قد احاطت بالارض فيرجعون من حيث جاءوا فحينئذ يقال
لهم ذلك وقيل هو خطاب في الدنيا والمعنى ان استطعتم الفرار من الموت وقال ابن
عباس ان استطعتم باذهانكم وفكركم ان تنفذوا فتعلموا علم اقطار اي جهات السموات
والارض وقال الزمخشري يا معشر الجن والانس كالترجمة لقوله ايها الثقلان ان
استطعتم ان تنفذوا ان قدرتم ان تخرجوا من منكبي سمواتي وارضي فافعلوا ثم قال
لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان يعني بقوة وقهر وغلبة وانى لكم ذلك ونحوه
وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء انتهى فما تقدروا ان تحجروا وقال قتادة السلطان
هنا الملك وليس لهم ملك وقال الضحاك ايضا بينما الناس في اسواقهم انفتحت السماء
ونزلت الملائكة فتهرب الجن والانس فيحدق بهم الملائكة وقرا زيد بن علي ان
استطعتم لانه للاستاحة افراد كثير كقوله وان طائفتان من المؤمنين

اسلوا

اسلوا يرسل عليكما شواظ قال ابن عباس اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر
والشواظ لهب النار وقال مجاهد اللهب الاحمر المنقطع وقال الضحاك الدخان
الذي يخرج من اللهب وقرا الجمهور شواظ بضم الشين وعيسى وابن كثير وشبل
بكسرها والجمهور ونحاس بالرفع وابن ابي اسحق والنخعي وابن كثير وابو عمرو بالجر
والكلبي وطلحة ومجاهد بكسر نون نحاس والسين وقرا ابن جندب ونحس كما تقول
يوم نحس وقرا عبد الرحمن بن ابي بكرة وابن ابي اسحق ايضا ونحس فعلا مضارعا اما
حسه اي قتله اي ونحس بالعذاب وعن ابن ابي اسحاق ايضا ونحس بالحركات الثلاث
في الحا على التخيير وحنظلة بن مرة ونحس بفتح النون وكسر السين والحسن واسمعيل
ونحس بضمتين والكسر وقرا زيد بن علي يرسل بالنون عليكما شواظا بالنصب من نار
ونحاسا بالنصب عطفا على شواظا قال ابن عباس وابن جبير النحاس الدخان
وعن ابن عباس ايضا ومجاهد هو الصفر المعروف والمعنى يعجز الجن والانس اي
انتما حال من يرسل عليه فعذا انه لا يقدر على الامتناع مما يرسل عليه فاذا انشقت
السماء جواب اذا محذوف اي فما اعظم الهول وانشقاقها انفطارها يوم القيامة
فكانت وردة اي محمرة كالورد قال ابن عباس وابو صالح هي من لون الفرس
الورد فانثت لكون السماء مؤنثة وقال فتارة هي اليوم زرقاء ويومئذ تعلو
عليها الحمرة كلون الورد وهي النوار المعروف قاله الزجاج وغيره كلون الورد قال

فلو كنت وردا لونه لعشقتني ولكن ربي شانني بسواديا

وقال ابو الجوزاء وردة صفراء وقال اما سمعت العرب تسمي الخيل الورد قال الفراء اراد
لون الفرس الورد يكون في الربيع الى الصفرة وفي الشتاء الى الحمرة وفي اشتداد البرد
الى الغبرة فشبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل هذا قول الكلبي كالدهان
قال ابن عباس الاديم الاحمر ومنه قول الاعشى

واجرد من كرام الخيل طرف كأن على شواكله دهانا

وقال الحسن كالدهان المختلفة لانها تلون الوانا وقال الضحاك كالدهان خالصه
جمع دهن كقرط واقراط وقيل تصير حمرا من حرارة جهنم ومثل الدهن لذوبها ودورانها
وقيل شبهت بالدهان في لمعانها قال الزمخشري كالدهان كدهن الزيت كما قال

كالمهل وهو دردي الزيت وهو جمع دهن او اسم ما يدهن به كالحزام والادام قال

كانهما مزادتا متعجل فريان لما تسلقا بدهان

وقرأ عبيد بن عمير وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذي يسمى التجريد كقوله

فلئن بقيت لارحلن بغزوة تحوي الغنائم او يموت كريم

انتهى فيومئذ التنوين فيه للعوض من الجملة المحذوفة والتقدير فيوم اذ انشقت السماء والناصب ليومئذ لا يسئل ولم يعد على انسه من السؤال وهو نوع من المسؤول وعنى في الارائك على وقوع السؤال وقال عكرمة وقتادة هي مواطن يسئل في بعضها وقال ابن عباس حيث ذكر السؤال فهو سؤال توبيخ وتقرير وحيث نفى فهو استخبار محض عن الذنب والله تعالى عليم بكل شيء وقال قتادة انما قد كانت مسئلة ثم ختم على الافواه وتكلمت الايدي والارجل بما كانوا يعملون وقال ابو العالية وقال ابن عباس لا تسئل عن المحرم عن ذنب المجرم وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد ولا جأن بالهمز فرارا من التقا الساكنين وان كان التقاؤهما على حده وقرأ حماد بن ابي سليمان بسيمائهم والجمهور بسيماهم وسيما المجرمين سواد الوجوه وزرقة العيون قاله الحسن ويحتمل ان يكون غير هذا من التشويهات كالعمى والبكم والصمم فيوخذ بالنواصي والاقدام قال ابن عباس يوخذ بناصيته وقدميه فيطوى ويجمع كالحطب ويلقى كذلك في النار وقال الضحاك يجمع بينهما في سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة تارة تاخذ بالنواصي وتارة بالاقدام وقيل بعضهم سحبا بالناصية وبعضهم سحبا بالقدم ويوخذ متعد الى مفعول بنفسه ويحذف هنا الفاعل والمفعول به وأقيم الجار مقام الفاعل مضمنا معنى ما يعدى بالباء اي فيسحب بالنواصي والاقدام وال فيهما على مذهب الكوفيين عوض من الضمير اي بنواصيهم واقدامهم وعلى مذهب البصريين الضمير محذوف اي بالنواصي والاقدام منهم هذه جهنم اي يقال لهم ذلك على طريق التوبيخ والتقريع يطوفون بينها اي يترددون بين نارها وبين ما غلي فيها من مائع عذابها وقال قتادة الحميم يغلي منذ خلق الله جهنم وآن اي منتهى الحر والنضج فيعاقب بينهم بين تصليه النار وبين شرب الحميم وقيل اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم وقيل

يغمسون في واد في جهنم يجمع فيه صديد اهل النار فيغمسون فيه حتى يخرجون منه وقد احدث الله لهم خلقا جديدا وقرأ علي والسلمي يطافون والاعمش وطلحة وابن مقسم يطوفون بضم الياء وفتح الطاء وكسر الواو مشددة وقرئ يطوفون اي يتطوفون والجمهور يطوفون مضارع طاف ولمن خاف مقام ربه جنتان فباي آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فباي الاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فباي الاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان فباي الاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي الاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان فباي الاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان فباي الاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فباي الاء ربكما تكذبان مدهامتان فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فباي الاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فباي الاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان فباي الاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام فباي الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي الاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان فباي الاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام ش ولمن خاف مقام ربه قال ابن الزبير نزلت في ابي بكر ومقام ربه مصدر واحتمل ان يكون مضافا الى الفاعل اي قيام ربه عليه وهو مروي عن مجاهد وقال من قوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت اي حافظ مهيمن فالعبد مراقب لذلك فلا يجسر على المعصية وقيل الاضافة تكون بادنى ملابسة فالمعنى انه يخاف مقامه الذي يقف فيه العباد للحساب من قوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وفي الاضافة تنبيه على صعوبة الموقف وقيل مقام مقحم والمعنى ولمن خاف ربه كما تقول اخاف جانب فلان يعني فلانا والظاهر ان لكل فرد فرد من الخائفين جنتان وقيل احداهما منزله والاخرى منزل ازواجه وخدمه وقال مقاتل جنة عدن وجنة نعيم وقيل منزلان ينتقل من احدهما الى الاخر لتتوفر دواعي لذته وتظهر ثمار كرامته وقيل هما للخائفين والخطاب للثقلين فجنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني وقال ابو موسى الاشعري جنة من ذهب للسابقين وجنة من فضة للتابعين وقال الزمخشري ويجوز ان يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لان التكليف دائر عليهما وان يقال جنة لفعل الطاعات وحب الى ساحتها واخرى منضم الفاعل

وجه التفضيل كقوله وقال خص الافنان بالذكر جمع فنن وهي الغصون التي تتشعب
على فرع الشجر لانها هي التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجنى الثمار ومن الافنان
جمع فن وهي الوان النعم وانواعها وهو قول ابن عباس والضحاك والاول قال به
مجاهد وعكرمة وهو اولى لان افنانا لا يجمع فعلا لموسه في فعل بسكون العين من جمع
على فنون فيهما عينان تجريان قال ابن عباس فيهما عينان مثل الدنيا اضعافا مضاعفة
وقال تجريان بالزيادة والكرامة على اهل الجنة وقال الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما
التسنيم والاخرى السلسبيل وقال عطية احداهما من ماء والاخرى من خمر وقيل تجريان
في الاعالي والاسافل من جبل من مسك زوجان قال ابن عباس ما في الدنيا من شجرة حلوة
ولا مرة الا وهي في الجنة حتى شجر الحنظل الا انه حلو ومعنى زوجان قيل رطب ويابس
لا يقصر هذا عن ذاك في الطيب واللذة وقيل صنفان صنف معروف وصنف غريب
وجا الفصل بين قوله ذواتا افنان وبين قوله فيهما من كل فاكهة بقوله فيهما عينان تجريان
فالافنان عليها الفواكه والعين الداخل الى البستان يقدم الفرح بالنظر الى
خضرة الشجر وجري الانهار ثم بعد ما حصل في احسان النهار للاكل واستنبت تكلم على الحال
من قوله ولمن خاف وجمع حملا على معنى من وقيل العامل محذوف اي يتنعمون متكئين وقال
الزمخشري نصب على المدح والاتكا من صفات المتنعم على صحة الجسم وفراغ القلب والمعنى
متكئين في منازلهم على فرش وقرا الجمهور فرش بضمتين وابو حيوة بسكون الراء وفي
الحديث قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه البطائن من استبرق فما الظواهر
قال هي من نور يتلألأ ولو صح هذا لم يجز ان يفسر بغيره وقيل من سندس وقال
الحسن والفرا البطائن هي الظواهر وروي عن قتادة وقال الفرا قد تكون البطانة
الظهارة والظهارة البطانة لان كلا منهما يكون وجها والعرب تقول هذا ظهر
السما وهذا بطن السما وجنى الجنتين دان قال ابن عباس يجتنيه قائما وقاعدا ومضطجعا
لا يرد يده بعد ولا شوك وقرا عيسى بفتح الجيم وكسر النون كانه امال النون وان
كانت الالف قد حذفت في اللفظ كما امال ابو عمرو حتى نرى الله جهرة وقرى جنى بكسر
الجيم والضمير فيهن عائد على الجنان الدال عليهن جنتان اذ كل فرد له جنتان فصح
انها جنان كثيرة وان كان الجنان انما هي المقسمة كان لكل جنس

من الجنة والاتكا واحد فيهن يعود على ما اشتملت عليه الجنة من المجالس والقصور
والمنازل وقيل يعود على الفرش اي فيهن يعد الله سبعا وهذا قول حسن قريب
المأخذ وقال الزمخشري فيهن في هذه الالا المعدود من الجنتين والعينين والفاكهة
والفرش والجنى او فيها لانه يعود للجنان كل موضع من الجنة جنة فلذلك قال فيهن
والطرف اصله مصدر فلذلك وحد والظاهر ان اللواتي يقصرن اعينهن على ازواجهن
فلا ينظرن الى غيرهم قال ابن زيد تقول لزوجها وعزة ربي ما ارى في الجنة احسن منك
ونقل الطرف طرف عين [illegible] عن [illegible] الى غيرهن لم يطمثهن قال
ابن عباس لم يمسسهن قبل ازواجهن وقيل لم يطاهن على اي وجه كان الوطء
افتضاضا وغيره وهو قول عكرمة والضبي فلم [illegible] على ما عاد عليه الضمير في قبلهن
وقرا الجمهور لم يطمثهن بكسر الميم فيهما وطلحة وعيسى واصحاب عبد الله وعلي بالضم وقرا
بضم الاول وكسر الثاني وبالعكس ابن مصرف والجحدري بفتح الميم فيهما ونفي
وطئهن عن الانس ظاهر واما عن الجن فقال مجاهد الجن قد تجامع نسا البشر مع ازواجهن
اذا لم يذكر الزوج الله تعالى فنفى هنا جميع المجامعين وقال ضمرة بن حبيب الجن في الجنة لهم
قاصرات الطرف من الجن نوعهم فنفى الافتضاض عن البشريات والجنيات قال قتادة كانهن
على صفا الياقوت وبياض المرجان لو ادخلت في الياقوت سلكا ثم نظرت اليه لرايته
من ورائه وفي الترمذي ان المراة من نسا الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين
حلة حتى يرى مخها وقال ابن عطية الياقوت والمرجان من الاشيا التي برع حسنها فشبه
بها فيما يحسن التشبيه به فالياقوت في املاسه وشفوفه والمرجان في املاسه وجمال
منظره وبهذا النحو من النظر سمت العرب النسا بذلك كدرة بنت ابي لهب ومرجانه [جانه]
ام سعيد هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب وقيل
هل جزاء التوحيد الا الجنة وقرا ابن ابي اسحق الا الحسان يعني بالحسان الحور العين
ومن دونهما اي من دون تلك الجنتين في المنزلة والقدر جنتان لاصحاب اليمين والاوليان
للسابقين والاخريان قاله ابن زيد والاكثرون وقال الحسن الاوليان للسابقين
والاخريان للتابعين وقال ابن عباس من دونهما في القرب للمنعمين والمؤخرتا الذكر
افضل من الاوليين يدل على ذلك انه وصف عيني هاتين بالنضخ وتلك بالجري فقط

وهامش بالذهب من شجر الجنة مسك بالامان وكل جنة ذات افنان ورجح الزمخشري
هذا القول فقال لم يرتفع حسان عن دونهم من اصحاب اليمين اذ هاتان من يسير الجنتين
ورجح غيره القول الاول بذكر جري العينين والنضخ دون الجري وبقول فيهما من
كل فاكهة ومن المباهج الاتكاء على الرفرف ونحو كبش الجنا والفرش المحلى
للاتكاء افضل والعبقري الوشي والديباج اعلى منه والمشبه بالياقوت والمرجان
افضل في الوصف من خيرات حسان والظاهر النضخ بالماء وقال ابن جبير
حسن بالمسك والعنبر والكافور في دور اهل الجنة كما ينضح رش المطر وعنه ايضا بانواع
الفواكه والماء ونخل ورمان عطف على فاكهة فاقتضى العطف ان لا يندرجا في
الفاكهة قاله بعضهم وقال يونس بن حبيب وغيرها كررهما وهما من افضل الفاكهة
تشريفا لهما واشادة بهما كما قال تعالى وملائكته ورسله وجبريل وميكال وقيل لان
النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه خيرات جمع
خيرة وصف بني على فعلة من الخير كما بنوا من الشر فقالوا شرة وقيل مخففة من
خيرة وبه قرا بكر بن حبيب وابو عثمان النهدي وابن مقسم اي بشد الياء وروي
عن ابي عمرو بفتح الياء جمع خيرة على فعلات وفسر الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك فقال
خيرات الاخلاق حسان الوجوه حور مقصورات اي محبوسات اما كن البيض في
والنساء يمدحن بذلك اذ ملازمتهن البيوت يدل على صيانتهن كما قال قيس بن الاسلت

ويكرمها جاراتها فيزرنها ... وتعتل عن اتيانهن فتعذر

قال الحسن لسن بطوافات في الطرق وخيام الجنة بيوت اللؤلؤ قال عمر بن الخطاب
هي در مجوف ورواه عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يطمثهن انس قبلهم اي قبل
اصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين متكئين قال الزمخشري نصب على الاختصاص
على رفرف قال ابن عباس وغيره فضول المجالس والبسط وقال ابن جبير رياض الجنة
من رفرف النبت اذا ... وحسن قاله ابن عيينة الرداني وقال الحسن وابن كيسان
المرافق وقال الفراء وابن قتيبة المجالس وعبقري قال الحسن ... طنافس
فيها صور ومن ذلك يصنع بعبقر وقال ابن عباس الزرابي وقال مجاهد الديباج الغليظ
وقال ابن زيد الطنافس وقال الفراء المخاد ... وقال الجمهور على رفرف وصف بالجمع

لانه

لانه اسم جنس الواحد منه رفرفة واسم الجنس يجوز فيه ان يفرد نعته وان يجمع لقوله
والنخل باسقات وحسن جمعه هنا لمقابلة حسان الذي هو فاصلة وقال صاحب اللوامح
وروا عن عثمان ونصر بن عاصم والجحدري ومالك بن دينار وابن محيصن وزهير
الفرقبي وغيرهم على رفارف خضر بسكون الضاد وعباقري بكسر القاف
وفتح الياء مشددة وعنهم ايضا ضم الضاد وعنهم ايضا فتح القاف فاما منع الصرف من
عباقري وهي النسبة المنسوب الى عبقر وهو موضع يجلب منه الثياب على قديم الايام
فان لم يكن لمجاورته لرفارف الا فلا وجه لمنع الصرف باي الحسب وجه الا في ضرورة
الشعر انتهى وقال ابن خالويه على رفارف خضر وعباقري النبي صلى الله عليه وسلم
والجحدري وابن محيصن وقد روي عمن ذكرنا على رفارف خضر وعباقري بالصرف
كذلك روي عن مالك بن دينار وقرا ابو محمد المروزي وكان نحويا على رفارف
خضار يعني على وزن فعال وقال صاحب الكامل رفارف جمع عن ابن مصرف وابن
مقسم وابن محيصن والخذاء عن شبل وابو حيوة والجحدري والزعفراني وهو الاختيار
كقوله خضر وعباقري بالجمع وبكسر القاف من غير تنوين ابن مقسم وابن
محيصن وروي عنهما التنوين وقال ابن عطية وقرا زهير الفرقبي رفارف بالجمع
وترك الصرف وابو طعمة المدني وعاصم فيما روي عنه رفارف بالصرف وعن بعضهم
وعباقري بالجمع والصرف وعنه وعباقري بفتح القاف والياء على ان اسم الموضع عباقر
بفتح القاف والصحيح في اسم الموضع عبقر انتهى وقال الزمخشري وروى ابو حاتم عباقري
بفتح القاف ومنع الصرف وهذا لا وجه لصحته انتهى يعني فقال لا تمنع صرف رفارف
سالكه في عباقري كما قد سوغ ما لا ينصرف لمشاكلة فمنع الصرف لمشاكلة وقرا ابن
هرمز خضر بضم الضاد قال صاحب اللوامح وهي لغة قليلة انتهى ومنه قول
طرفة

ايها الفتيان في مجلسنا ... جردوا منها ورادا وشقر

وقال الاخر

وما انتميت الى خور ولا كشف ... ولا لئام غداة الروع اوزاع

يشتق جمع اشعر وكشف جمع اكشف وقرا الجمهور ذي الجلال صفة لربك وابن عامر
واهل الشام ذو صفة للاسم وفي حرف عبد الله اي ذي الجلال لقوله في الموضع

الاول والمراد هنا بالاسم المسمى وهل اسم مسمى كالوجه في ويبقى وجه ربك ويدل عليه
اسناد تبارك لغير الاسم في مواضع كقوله فتبارك الله احسن الخالقين الذي
بيده تبارك الذي بيده الملك ويرجح الاسناد الى الاسم بمعنى العلو فاذا علا الاسم
فما ظنك بالمسمى ولما ختم تعالى نعم الدنيا بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
وما يشبه ذلك ذكر البقاء والديمومة له تعالى اذ ذكر فنا العالم وما يشبههما ذكر
ما اشتق من البركة ونما الخير والزيادة اذ جاء ذلك عقيبهما اشتق بفعل المؤمنين
وما لهم في دار كرامته من الحبور وبقائه ودوامه وبذي الجلال والاكرام
من الصفات التي جاءت في الحديث ان يدعى الله بها قال عليه السلام الظوا بياذا
الجلال والاكرام رجت الارض زلزلت وحركت تحريكا شديدا
بحيث ينهدم الابنية وتكسر الجبال بست الجبال فتت الجبال وهو
سيرت من قولهم بس الغنم ساقها وتقال رجت الارض وبست الجبال لازمين
المستعد من الشوم او من اليد الشومى تعني الشمال المشأمة الجامعة لهم
او ملكة وقال الزمخشري الامم من الناس الجم قال

وجاءت اليهم لله خير منه تحشي كتيبا من السيل مزبد

الموضونة المنسوجة بترتيب بعض اجرائها على بعض كحلق الدرع
قال الاعشى ومن نسج داود موضونة تساق مع الحي عيرا فعيرا
ومنه وضين الناقة وهو حزامها لانه موضون اي مفتول قال
اليك يعدو قلقا وضينها معترضا في بطنها جنينها مخالفا دين النصارى دينها
الاباريق افعيل من البريق هو اناء الشرب له خرطوم وعروة
وهو من اواني الخمر عند العرب قال

كان ابريقهم ظبي على شرف مفدم بسبا الكتان ملثوم

وقال عدي بن زيد

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت قينة في يمينها ابريق

يصدعون بالخمر لحقهم الصداع لم يجدهم منها وقيل يصدعون لا يتفرقوا
السدر شجر النبق في سورة سبا المخضود المقطوع شوكه قال

امية

امية بن ابي الصلت ان الحدائق في الجنان ظليلة فيها الكواعب سدرها مخضود
الطلح شجر الموز وقيل شجر من العضاه كثير الشوك المسكوب المصبوب
المصبوب المنحدر الى حيث الشرب الذي ... في وقت واحد تسمّا
بذلك لتحسها الشراب في وقت واحد

بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها
كاذبة خافضة رافعة اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا
وكنتم ازواجا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب
المشأمة والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل
من الاخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون
باكواب واباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما
يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا
يعملون لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما واصحاب اليمين ما اصحاب
اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا
مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا
لاصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين مناسبة هذه السورة لما قبلها ومنها (margin: سببها)
لما قبلها انه لما ذكر العذاب للمجرمين ونعيم الجنة للمؤمنين وفاضل بين جنتي بعض
المؤمنين وجنتي بعض بقوله ومن دونهما جنتان قسم العالم هنا الى كافر ومؤمن
مفضول ومؤمن فاضل وهكذا جاء ابتداء هذه السورة من كونهم اصحاب ميمنة
واصحاب مشأمة وسابقين وهم المقربون واصحاب الميمنة والمكذبون المجرمون هم اهل (margin: اخر)
المشأمة وقال ابن عباس الواقعة من اسماء القيامة كالصاخة والطامة والازفة
وهذه الاسماء تقتضي عظم شانها ومعنى وقعت الواقعة اي وقعت التي لا بد من وقوعها (margin: ها)
كما تقول حدثت الحادثة وكانت الكائنة ووقوع الامر نزوله تعالى وقع ما كنت
اتوقعه اي نزل ما كنت اترقب نزوله وقال الضحاك الواقعة الصيحة وهي النفخة
في الصور وقيل الواقعة صخرة بيت المقدس تقع يوم القيامة والعامل في اذا
الفعل بعدها على ما قررناه في كتب النحو فهو في موضع نصب بوقعت ليس لوقعتها

اسما الشرط ومن ذهب الى ان الجملة بعدها في موضع خفض باضافة اذا اليها احتاج
الى تقدير عامل اذ الظاهر انه ليس ثم جواب ملفوظ به يعمل فيها قال الزمخشري فان
قلت بما انتصب اذا قلت بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل او بمحذوف يعني
اذا وقعت كان كيت وكيت او باضمار اذكر انتهى اما نصبها بليس فلا يذهب نحوي
او من شدا شيئا من صناعة الاعراب الى مثل هذا لان ليس في النفي كما وما لا تعمل
فكذلك ليس وذلك ان ليس مسلوبة الدلالة على الحدث والزمن والقول بانها فعل
هو على سبيل المجاز لان حد الفعل لا ينطبق عليها والعامل في الظرف انما هو ما يقع فيه
من الحدث فاذا قلت يوم الجمعة اقوم فالقيام واقع في يوم الجمعة وليس لا حدث لها
فكيف يكون لها عامل في الظرف والمثال الذي شبه به وهو يوم الجمعة ليس لي شغل
لا يدل على ان يوم الجمعة منصوب بليس بل هو منصوب بالعامل في خبر ليس وهو الجار
والمجرور فهو من تقديم معمول الخبر على ليس وتقديم ذلك مبني على جواز تقديم الخبر
الذي لليس عليها وهو مختلف فيه ولم يسمع من لسان العرب قائما ليس زيد وانما تدل
على نفي الحكم الخبري عن المحكوم عليه فقط فهي كما لكنه لما اتصلت بها ضمائر الرفع جعلها
ناس فعلا وهي في الحقيقة حرف نفي كما النافية ويظهر من تمثيل الزمخشري اذا
بقوله يوم الجمعة انه سلبها الدلالة على الشرط الذي هو غالب فيها ولو كانت شرطا
وكان الجواب الجملة المصدرة بليس لزمت الفا الا ان حذفت في شعر اذ ورد
ذلك فنقول اذا احسن اليك زيد فلست تترك مكافاته ولا يجوز لست بغير
فا الا ان اضطر الى ذلك واما تقديره اذا وقعت كان كيت وكيت فيدل
على ان اذا عنده شرطية ولذلك قدر لها جوابا عاملا فيها واما قوله او باضمار
اذكر فانه سلبها الظرفية وجعلها مفعولا بها منصوبة باذكر وكاذبة ظاهره
انه اسم فاعل من كذب وهو صفة لمحذوف فقدره الزمخشري ليس لوقعتها نفس كاذبة اي لا
تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة
صادقة واكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله فلما راوا باسنا قالوا آمنا
بالله وحده لا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم
الساعة واللام مثلها في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي او ليس لها نفس تكذبها

وتقول

وتقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها لن تكوني او هي من قولهم
كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت له انك
تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به على معنى انها وقعة لا تطاق شدة وفظاعة
وان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الامور وتزين له احتمالها واطاقتها
لانهم يومئذ اضعف من ذلك واذل الا ترى الى قوله كالفراش المبثوث والفراش
مثل في الضعف انتهى وهو تكثير واسهاب وقدر ابن عطية حال كاذبة قال ويحتمل
الكلام على هذا معنيين احدهما كاذبة اي مكذوب فيها والثاني حال كاذبة اي لا يمضي
وقوعها كما تقول فلان اذا حمل لم يكذب وقال قتادة والحسن المعنى ليس لها تكذيب
ولا رد ولا مثنوية وكاذبة على هذا مصدر كالعاقبة والعافية وخائنة الاعين والجملة
من قوله ليس لوقعتها كاذبة على ما قرره الزمخشري من ان اذا معمولة لليس تكون ابتدا
السورة الا ان اعتقد انها جواب لاذا او منصوبة باذكر فتكون ابتدا الكلام وقال
ابن عطية في موضع الحال والذي يظهر لي انها جملة اعتراض بين الشرط وجوابه وقرا
الجمهور خافضة رافعة برفعهما على تقدير هي ونصبهما زيد بن علي والحسن وعيسى وابو حيوة وابن
ابي عبلة وابن مقسم والزعفراني واليزيدي في اختياره نصبهما قال ابن خالويه قال الكسائي
لولا ان اليزيدي سبقني اليه لقرات به ونصبهما على الحال قال ابن عطية بعد الحال
التي هي ليس لوقعتها كاذبة ولك ان تتابع الاحوال كما لك ان تتابع اخبار المبتدا
القراة الاولى اشهر وابرع معنى وذلك ان موقع الحال من الكلام موقع ما لو لم يذكر
لاستغني عنه وموقع الجمل التي يجزم الخبر بها موقع ما يتم به انتهى وهذا الذي قاله
سبقه اليه ابو الفضل الرازي قال في كتاب اللوامح وذو الحال الواقعة والعامل وقعت
ويجوز ان يكون ليس لوقعتها كاذبة حالا اخرى من الواقعة بتقدير اذا وقعت صادقة
الواقعة فهذه ثلاثة احوال من ذي حال وجاز ان تكون احوال مختلفة عن ذي حال كما جاز عنه نعوت
مختلفة واخبار كثيرة عن مبتدا واحد واذا جعلت هذه كلها احوالا كان العامل
في اذا وقعت محذوفا يدل عليه الفحوى تقديره يحاسبون ونحوه انتهى وتعداد الاحوال
والاخبار فيه خلاف وتفصيل ذكر في النحو فليس ذلك مما اجمع عليه النحاة فالجمهور
القيامة تفطر السما والارض والجبال وانهدام هذه البنية ورفع طائفة من الاجرام

وخفض لحرته وكانها عبارة عن شدة الهول والاضطراب وقال ابن عباس رضي الله عنه
الضحاك العصي تخفض قوما الى السبع الادنى وترفعهم الى السبع الاقصى وقال قتادة وعمر بن
عبد الله بن سراقة المعنى تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما الى الجنة واصل الخفض
هذه الاقوال على عادته وكثيرا ما يعبر بعض الفاظ واتبعه ومال ترفع اقواما وتضع اخرين
اما وصفها بالشدة لان الواقعات العظام كذلك ترفع فيها ناس الى مراتب وتضع ناس
وايضا الاشقياء يحطون الى الدركات والسعداء يرفعون الى الدرجات واما ان يراد
الاشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضا وترفع بعضا حيث تسقط السما كسفا وتنتثر
الكواكب وتسكر وتسير الجبال فتمر في الجو مر السحاب اذا رجت الارض رجا
قال ابن عباس زلزلت وحركت تحريكا وقاله الضحاك وعكرمة ومجاهد وبست وقيل
سرت ومراد بيوت على رحبها وبست جبال المتقدم على واذا رجت بدل من اذا وقعت
جواب الشرط عندي فليعوظه وهو قوله فاصحاب الميمنة والمعنى اذا كان كذا وكذا
فاصحاب الميمنة ما اسعدهم وما اعظم ما يجازون به اي ان سعادتهم وعظم رتبهم عند الله
تظهر في ذلك الوقت لشرف الصعب على العالم وقال الزمخشري وجواب سبب محاصه
لو انها اي تخفض وترفع وتنتج الاثر ويسير الجبال لانه عند ذلك يخفض ما هو مرتفع
وترفع ما هو منخفض اعني انه لا جواب سبب بها اتمال باضمار لانه الحق مولات
على امر الهيبة وقال ابن جني وابو الفضل الرازي رجت في موضع رفع على انه خبر المبتدأ الذي
هو اذا وقعت والمعنى واحد ليسا شرطية بل جعلت بمعنى وقت وما بعد اذ احوال
بل بمعنى وقت وقوع الواقعة صادقة الوقوع خافضة قوم رافعة اخرين وقت رج الارض
وهكذا ادعى بت مالك ان اذا تكون مبتدا واستدل بهذا وقد ذكرنا في شرح التسهيل
ما نعني به اذا على مدلولها من الشرط وبعد شرح الصبا في سورة الزمر منثا منتشرا
وصفا الحجر يبسا سا تقطعت بول الما المتفرقة قراءة الجمهور اي متقطعا وكنتم خطاب للعالم
او لما يتمناه اصنافا مالك به ويعني ترتب الناس يوم القيامة فاصحاب الميمنة قال الحسن
والربيع هم المتاسرين على انفسهم وقيل الذين يؤتون صحايفهم بايمانهم وقيل اصحاب
المنزلة السنية كما تقول فلان مني باليمين وقيل المأخوذ بهم ذات اليمين او الذين يخرجون
الاسرار في الاسرون واصحاب المشئمة هم من قابل اصحاب الميمنة هذه الاقوال فاصحاب

مبتدا وما مبتدا ثان استفهام في معنى التعظيم واصحاب الميمنة خبر عن ما وما بعدها خبر عن
اصحاب ورابط الجملة هنا بالمبتدا تكرار المبتدا بلفظه واكثر ما يكون ذلك في موضع التهويل
وما تعجب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى اي شيء هم والسابقون السابقون
جوزوا ان يكون مبتدا وخبر كقولهم انت انت وقوله انا ابو النجم وشعري شعري
اي الذين انتهوا في السبق الى الطاعات وبرعوا فيها وعرفت حالهم وان يكون السابقون
تاكيد لفظيا والخبر ما بعد ذلك وان يكون السابقون مبتدا والخبر ما بعده ويعنى
يوقف والسابقون وان يكون متعلق السبق الاول مخالفا للسبق الثاني اي والسابقون
الى الايمان السابقون الى الجنة فعلى هذا اجزوا ان يكون السابقون خبرا للاول والسابقون
وان يكون صفة والخبر ما بعده والوجه القول الاول قال ابن عطية ومذهب سيبويه ان
السابقون خبر الابتداء يعني خبر السابقون وهذا كما تقول الناس الناس وانت انت وانا اب
فهذا على تفخيم الامر وتعظيمه ويرجح هذا القول انه ذكر اصحاب الميمنة متعجبا منهم في
سعادتهم واصحاب المشئمة متعجبا منهم في شقاوتهم فناسب ان يذكر السابقون مثبتا حالهم
معظما وذلك بالاخبار انهم نهاية في العظمة والسعادة والسابقون عموم في السبق الى اعمال
الطاعات والى ترك المعاصي وقال ــــــ عثمان اي سيرين هم السابقون الى المساجد
وقال ابن سيرين هم الذين صلوا القبلتين وقال مجاهد هم اهل القران وفي الحديث سئل
عن السابقين فقال هم الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس
كحكمهم لانفسهم اولئك اشارة الى السابقون المقربون الذين علت منازلهم وقربت درجاتهم
في الجنة من العرش وقرا الجمهور في جنات جمعا وطلحة في جنة مفردا والقسم السابقين المقربين
الى الله من الاولين بعد من الاخرين وقال الحسن السابقون من الامم والسابقون من هذه
الامة وقالت عائشة الفرقتان في امة كل نبي في صدرها ثلة وفي اخرها قليل وقيل لها
الاثنتان كانوا في صدور الناس اكثر وفي اخرها اقل وفي الحديث الفرقتان في امتي فسابق
اول الامة ثلة وسابق سائرها الى يوم القيامة قليل وارتفع ثلة على اضمار وقرا الجمهور
على سرر بضم الراء ونصب على الحال او السابقون منها ومن لغة بعض تميم وكلب يفتحون عين
فعل جمع فعيل المضعف نحو سرير وقد ذكرناه والظاهر موصوفة قال ابن عباس
من قولهم بالذهب وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت متكئين عليها اي على السرر متكئين

حال من الضمير المستكن في على سرر متقابلين ينظر بعضهم الى بعض ووصفوا بحسن العشرة
وتهذيب الاخلاق وصفا بواطنهم ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا يطوف عليهم ولدان
صغار الخدم مخلدون وصفوا بالخلود وان كان من في الجنة مخلد ليدل على انهم يبقون دائما
في سن الولدان لا يهرمون ولا يتحولون عن شكل الوصافة وقال مجاهد لا يموتون وقال الفرا
مقرطون بالخلدان وهي ضرب من الاقراط وكاس من معين قال ابن عباس من خمر سائلة
جارية معينة لا يصدعون عنها قال الاكثرون لا يلحقهم الصداع الذي يلحق من خمر
الدنيا وقراءة على اسنادها بالفعل هذا ابي جعفر بن الزبير رحمه الله قول علقمة في صفة الخمر

تشفي الصداع ولا يؤذيك صالبها ولا يخالطها في الراس تدويم

وقيل بعض ... الجنة ... لا يفرقون عنها بمعنى لا يقطع عنهم لذتهم بسبب من
الاسباب كما تفرق اهل خمر الدنيا بانواع من التفريق كما جاء فتصدع السحاب عن المدينة
اي تفرق وقرا مجاهد لا يصدعون بفتح اليا وشد الصاد اصله يتصدعون ادغم التا في
الصاد اي لا يتفرقون كقوله يومئذ يصدعون وقرا الجمهور بضم اليا وخف الصاد الجمهور
نحو وفاكهة ولحم ... على ترتيبها والسلمي اي ولهم وقرا الجمهور ولا ينزفون مبنيا للمفعول
قال مجاهد ... والضحاك لا تذهب عقولهم سكرا وابن ابي اسحق بفتح اليا وكسر
الزاي من نزف البئر استقى ماءها فالمعنى لا ينفد خمرهم وابن ابي اسحق ايضا وعبد الله والجحدري
والاعمش وطلحة وعيسى بضم اليا وكسر الزاي اي لا يفنى لهم شراب مما يتخيرون ياخذون
خيره وافضله مما يشتهون اي يتمنون وقرا الجمهور وحور عين وعلى مبتدا محذوف بعده
خبره بعده اي لهم هذا كله وحور عين ... على ... بفعل ... اي لهم حور او فيها حور
وقرا السلمي والحسن وعمرو بن عبيد وابو جعفر وشيبة والاعمش وطلحة والمفضل وابان
وعصمة عن عاصم وحمزة والكسائي بجرهما والنخعي وحير عين بقلب الواو يا وجرهما والجر
معطوف على المجرور اي يطوف عليهم ولدان بكذا وكذا وحور عين ... على معنى يتنعمون
بهذا كله وبحور عين وقال الزمخشري عطفا على جنات النعيم كانه قال هم في جنات النعيم
وفاكهة ولحم وحور اي وفي ... وهذا فيه بعد وتفكيك كلام مرتبط بعضه ببعض وهو فهم اعجمي وقرا
ابي وعبد الله وحورا عينا بنصبهما قالوا على معنى ويعطون هذا كله وحورا عينا وقرا
وحور بالرفع مضافا الى عين وابن مقسم بالنصب مضافا الى العين وعكرمة وحوراء عيناء

على

عطفا على المتوحد اسم جنس وفي شيخ منها فاحتمل ان يكون مجرورا عطفا على المجرور السابق واحتمل
ان يكون منصوبا كقراءة ابي وعبد الله وحورا عينا ووصف اللؤلؤ بالمكنون لانه اصفى وابعد
من التغير وفي الحديث صفاؤهن كصفاء الدر الذي لا تمسه الايدي وقال تعالى كانهن بيض
مكنون وقال الشاعر يصف امراة بالصون وعدم الابتذال فشبهها بالدرة المكنونة في صدفها

قالت [illegible] او درة صدفية غواصها بهج متى يرها يهل ويسجد

وقيل هذا البيت [illegible]

وامت ترائب ... كالشمس يوم طلوعها بالاسعد

جزاء بما كانوا يعملون ... المدارك والقسم في الجنة على قدر الاعمال ونفس دخول الجنة هو
برحمة الله تعالى وفضله لا بعمل عامل ودليله النص الصحيح الصريح لا يدخل احد الجنة بعمله قالوا ولا
انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله منه برحمة لغوا سقط القول وفحشه
ولا تاثيما ما يؤثم احدا والظاهر ان الا قيلا سلاما سلاما استثناء منقطع لانه لم يندرج
في اللغو ولا التاثيم وقيل متصل ... قيلا سلاما ... قال الزجاج هو مصدر وصفته
سلاما اي يقول بعضهم لبعض سلاما سلاما ... بدل ... او معمول لقيلا اي
قيلا اسلموا اسلموا سلاما ... ومن بعث لقيلا نعت بالمصدر
كانه قيل الا قيلا سالما من هذه العيوب في سدر الجنة شجر على خلقة السدر ... كحمل
هجر طيب الطعم والريح مخضود عار من الشوك قال مجاهد المخضود الموقر الذي تثني اغصانه
حمله من خضد الغصن اذا ثناه وقرا الجمهور وطلح بالحا وعلي وجعفر بن محمد وعبد الله
بالعين وقراها علي على المنبر وقال علي وابن عباس وعطاء ومجاهد الطلح الموز وقال
الحسن ليس بالموز ولكنه شجر له ظل بارد رطب وقيل شجر ام غيلان وله نوار كثير
طيب الرائحة وقال السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل والمنضود
الذي نضد من اسفله الى اعلاه فليست له ساق بارزة وظل ممدود اي منبسط
لا يتقلص ولا ... قال مجاهد هذا الظل من شجرها ... وماء مسكوب
... مستمرا لا ينقطع فيه ... ولا
مقطوعة اي هي دائمة لا تنقطع في بعض الاوقات كفاكهة الدنيا ولا ممنوعة
اي لا يمنع من تناولها بوجه ولا يحظر عليها كالتي في الدنيا وفرش وفاكهة كثيرة

بوفعتها اي وتصان فاكهة وفرش جمع فراش وقرا الجمهور بضم الرا وابو حيوة بسكونها مرفوعة
لنضد وحشي او بعضه او رفعت على الاسرة والفراش هو ما يفرش للجلوس عليه والنوم
وقال ابو عبيدة وغيره المراد بالفرش النسا لان المراة يكنى عنها بالفراش ورفعهن في
الاقدار والمنازل والضمير في انشاناهن عائد على الفرش على قول ابي عبيدة اذ هن النسا
عنده وعلى ما دل عليه الفرش اذ لو كان المراد بالفرش ظاهره ما دل عليه من الملابس
التي يفترش ويضطجع اي انا خلقناهن خلقا جديدا من غير ولادة والظاهر ان
الانشا هو الاختراع الذي لم يسبق بخلق ويكون ذلك مخصوصا بالحور اللاتي ليس
من نسل ادم ويحتمل ان يريد انشا الاعادة فيكون ذلك لبنات ادم فجعلناهن ابكارا
تعرف ايمان البكارة كلما وطئن وجدن ابكارا والعروب قال ابن عباس المتحببة
لزوجها وقاله الحسن وعن ابن عباس ايضا هي العواشق ومنه قول لبيد

وفي الحدوج عروب غير فاحشة ريا الروادف يعشى دونها البصر

وقال ابن زيد العروب المحسنة للكلام وقرا حمزة وناس منهم شجاع وعباس والاصمعي
عن ابي عمرو وناس منهم خارجة ولؤلؤ وابو حليمة عن نافع وناس منهم ابو بكر وحماد
وابان عن عاصم عربا بسكون الرا وهي لغة تميم وباقي السبعة بضمها اترابا في الشكل
والقدر والعدد ومن ذهب الى ان الضمير في انشاناهن عائد على الحور العين لانه قيل
لان تلك قصة قد انقضت وهي قصة السابقين وهذه قصة اصحاب اليمين واللام
في لاصحاب اليمين متعلقة بانشاناهن ثلة من الاولين اي من الامم الماضية وثلة من
الاخرين اي من امة محمد صلى الله عليه وسلم ولا تنافي بين قوله وقليل من الاخرين وقوله وثلة
من الاخرين لان قوله من الاخرين هو في السابقين وقوله وثلة من الاخرين
هو في اصحاب اليمين اليحموم الاسود البهيم الحنث قال الخطابي هو في كلام
العرب العدل الثقيل شبه الاثم به الهيم جمع اهيم وهيما والهيام داء معطش يصيب
الابل تشرب حتى تموت او تسقم سقما شديدا قال

فاصبحت كالهيما لا الما ابرد صداها ولا يقضي عليها هيامها

والهيم جمع هيام وهو الرمل بفتح الها وهو المشهور وقال ثعلب بضمها قال وهو الرمل
الذي لا يتماسك والهيم لسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع اهيم من قلب

خمسة

ضمته كسرة لتصح اليا والهيم يكون جمع على فعل كغر اذ يقول ... سكبت منه الرياضات
فعلا به مثل به ما فعل ببيض اسم ... الرجلة المضعفة وما اما قد لها من اطلقه من
المزن السحاب قال الشاعر

ونحن كما المزن ما في نصابنا كهام ولا فينا يعد بخيل

واحدته مزنة وهو اسم جنس قال الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها

تورون تقدحون النار من الزناد يقال ورى الزند بنفسه والزناد من شجر او حجر وحديد او من
شجر لا سيما في الشجر الرخو كالمرخ والعفار والكلخ والعرب تقدح بعودين تحك احدهما بالاخر
ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة المقوي الرجل يدخل في
الارض القواء وهي القفر كاصحر دخل الصحرا واقوى من ايام لم ياكل شيئا واقوت
الدار خلت من سكانها قال

يا دار مية بالعلياء فالسند اقوت وطال عليها سالف الابد

ادهن لاين وداهن وهيما لا يحمل عند المدهن قال

الحزم والقوة خير من الادهان والفهة والهاع

الحلقوم مجرى الطعام الروح الاستراحة الريحان
تقدم ذكره في سورة الرحمن واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم
لا بارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا
يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او اباؤنا الاولون قل ان الاولين
والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ثم انكم ايها الضالون المكذبون لاكلون من شجر
من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم
يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصدقون افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم
الموت وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشاة الاولى
فلولا تذكرون افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم
تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون افرايتم الماء الذي تشربون ءانتم انزلتموه من المزن ام
نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون افرايتم النار التي تورون ءانتم انشاتم

سيرًا ام نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم لما ذكر
حال السابقين واتبعهم باصحاب الميمنة ذكر اصحاب المشأمة فقال واصحاب الشمال ما
اصحاب الشمال وتقدم اعراب نظير هذه الجملة وفي هذا الاستفهام تعظيم مصابهم في سموم
شر حرها ما سد المسكونه وظل من يحموم قال ابن عباس ومجاهد وابو مالك وابن
زيد والجمهور دخان وقال ابن عباس ايضا هو سرادق النار المحيط باهلها يرتفع
من كل ناحية حتى يظلهم وقال ابن كيسان اليحموم من اسمائها وقال ابن زيد ايضا وابن
بريدة هو جبل في النار اسود يفزع اهل النار الى ذراه فيجدونه اشد شيء وامر لا بارد
ولا كريم صفتان للظل نفيا سمي ظلا وان كان ليس كالظلال ونفى عنه
برد الظل ونفعه لمن ياوي اليه ولا كريم نفى لصفة المدح فيه وتمحيق لما يتوهم
في الظل من الاستروح اليه عند شدة الحر او نفى لكرامة من يستروح اليه ونسب
اليه مجازا والمراد هم اي يستظلون اليه وهم مهانون وقد يحتمل المجلس الردي
لنيل الكرامة وبدا بالوصف الاصل الذي هو الظل وهو كونه يحموم فهو بعض
اليحموم ثم نفى عنه الوصف الاصل الذي هو الظل وهو كونه من يحموم ولا كريما وحزن
ان يكون لا بارد ولا كريم صفة ليحموم ويلزم منه ان يكون الظل موصوفا بذلك
وقرا الجمهور لا بارد ولا كريم بجرهما وابن ابي عبلة برفعهما اي لا هو بارد ولا كريم على حد قوله
فانه لا حرج ولا محروم اي لا انا حرج انهم كانوا قبل ذلك اي في
الدنيا مترفين منعمين في ذم الترف والتنعم في الدنيا والترف طريق الى البطالة وترك التفكر
في العواقب وكانوا يصرون اي يداومون ويواظبون على الحنث العظيم قال قتادة
والضحاك وابن زيد الشرك وهو الظاهر وقيل ما تضمنه قوله واقسموا بالله جهد
ايمانهم الاية من التكذيب بالبعث وقيل وكانوا يقولون فانه معطوف على
ما قبله ويعني الشعبي والحنث العظيم الشرك وقولهم ائذا متنا انكار للبعث والبعد
الشعبي في ان هذا الحنث هو اليمين الغموس ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
او اباؤنا الاولون تقدم الكلام عليه في الصافات وكرر الزمخشري هنا وهمه
فقال فان قلت كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تاكيد
قلت حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما اشركنا ولا

اباؤنا

اباؤنا بالفصل في لا المؤكدة للنفي انتهى ورددنا عليه ذلك وذكرنا هناك ان مذهب
الجمهور في انهم لا يعرضون بين همزة الاستفهام وحرف العطف فعلا لكن او لم يسيروا
ولا اسما في مثل او اباؤنا بل الواو والفاء للعطف ما بعدها على ما قبلها والهمزة في التقدير
متاخرة عن حرف العطف لكنه لما كان الاستفهام له صدر الكلام قدمت لما ذكر
قال اسقاطهم عن البعث على طريق الاستبعاد والانكار امر نبيه عليه السلام ان
يخبرهم ببعث العالم اولهم واخرهم للحساب وما يصل اليه المكذبون للبعث من العذاب
والميقات ما وقتت به الشيء اي حده الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة
من بمعنى من كخاتم حديد ثم انكم خطاب لكفار قريش ايها الضالون عن الهدى المكذبون
للبعث وخطاب ايضا لمن جرى مجراهم في ذلك لاكلون من شجر من زقوم من الاولى
لابتداء الغاية والثانية ان كان من زقوم بدلا فهي لابتداء الغاية وان
لم يكن بدلا فهي لبيان الجنس اي من شجر الذي هو الزقوم وقرا الجمهور من شجر
وعبد الله من شجرة فمالئون منها البطون ضمير منها عائد على شجر وهو اسم جنس يونث ويذكر
وعلى قراءة عبد الله فهو واضح فشاربون عليه قال الزمخشري ذكر على لفظ الشجر كما
انث على المعنى في منها ومن قرا من شجرة من زقوم فقد جعل الضمير للشجرة وانما ذكر
الثاني على تاويل الزقوم لانه يفسرها وهو في معناه وقال ابن عطية والضمير في عليه
عائد على الماكول او على الاكل انتهى فلم يجعله عائدا على شجر فشاربون شرب الهيم وعاصم وحمزة
شرب بضم الشين وهو مصدر وقيل اسم لما يشرب ومجاهد وابو عثمان النهدي
بكسرها وهو بمعنى المشروب اسم لا مصدر كالطحن والرعي والاعرج وابن المسيب وشعيب
وابن الحباب ومالك بن دينار وابن جريج وباقي السبعة بفتحها وهو مصدر مقيس
والهيم قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك جمع اهيم وهو الجمل الذي اصابه الهيام
وقد فسرناه في المفردات وقيل جمع هيماء وقيل جمع هائم وهائمة وجمع فاعل على فعل شاذ
كبازل وبزل وعائذ وعوذ والهيام ايضا من الهيام الابل الجمل اذا اصابه
ذلك هام على وجهه وذهب وقال ابن عباس ايضا وسفيان الهيم الرمال التي
لا تروى من الماء لعدم التماسك فمعنى اشرب الهيام في الطعام بالجحيم والمعنى انه
يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملوا امعاءهم

منه البطون فسلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم
فيشربونه شرب الهيم قال الزمخشري فان قلت كيف صح عطف
الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان وكان عطفا
للشيء على نفسه قلت ليستا بمتفقتين من حيث انهم شاربون للحميم على ما هو عليه
من تناهي الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب وشربهم له على ذلك كما تشرب الهيم
الماء امر عجيب ايضا فكانتا صفتين مختلفتين انتهى والفاء تقتضي التعقيب في الشربين
وانهم اولا لما عطشوا شربوا من الحميم ظنا انه يسكن عطشهم فازداد العطش
لحرارة الحميم فشربوا بعده شربا لا يقع به ري ابدا وهو مثل شرب الهيم فهما شربان
من الحميم لا شرب واحد اختلفت صفتاه فعطفت والمقصود الصفة والمشروب منه
في فشاربون شرب الهيم محذوف لفهم المعنى تقديره فشاربون منه شرب الهيم
وقرا الجمهور شرب بضم الشين وقرا ابن مسعود وخارجة عن نافع ونعيم ومحبوب وابو
زيد وهارون وعصمة وعباس كلهم عن ابي عمرو بالسكون وهو ايضا كله المصدر
وفيه تهكم بالكفار قال

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

يوم الدين يوم الجزاء نحن خلقناكم فلولا تصدقون حض على التصديق واشار الى النشاة
الاولى وهو خلقهم ثم قال فلولا تصدقون بالايمان وتوبيخ بها كما اقررتم بالنشاة
الاولى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله او فلولا تصدقون بالخلق وذلك انهم لما اتخذوا
من دون الله الهة جعلوا انهم كانوا غير مقرين بالخلق فحضوا على التصديق به ثم
حض على التصديق على وجه يعرفهم انه الحق الموجب للتصديق وكان كانه اقرا
قال افرايتم ما تمنون فقيل له ارايت اقرار ايتشكرا لان الانسان مطبوع
على الاقرار به فقال ارايتم ما تمنون وهو المني الذي يخرج من الانسان اذ ليس
له خلقة عمل ولا ادارة ولا صورة وقال الزمخشري تخلقونه تقدرونه وتصورونه
الخلق على التقدير والتصوير لا على الانشاء ويجوز في ءانتم ان يكون مبتدا وخبره
تخلقونه والاول ان يكون فاعلا بفعل محذوف كانه قال اتخلقونه فلما حذف
الفعل انفصل الضمير وجاء ارايتم هنا معرضا معمولها الاول وهي جملة الاستفهام

في موضع المفعول الثاني على ما هو المقرر فيها اذا كانت بمعنى اخبرني وجاء بعد ام فكان
ذلك على استعمال من جواب الاول لا وجوب الثاني نعم فيقدر على هذا ام نحن الخالقون
بجوابه نعم وقال قوم من النحاة ام منقطعة لان ما بعدها جملة وكان ما جاء من الخبر بعد نحن جيء به
على سبيل التوكيد اذ لو قال ام نحن لوقع الاكتفاء به دون ذكر الخبر ونظير ذلك جواب
من قال في الدار زيد في الدار بلى ان زيدا فيها ولو اقتصر في الجواب على زيد لاكتفي به وقرا
الجمهور ما تمنون بضم التاء وابن عباس وابو السمال بفتحها والجمهور قدرنا بشد الدال
وابن كثير بخفها اي قضينا او كتبنا او رسمنا في التقدم والتاخر فليس موت العالم في وقت
واحد بل على ما يقتضيه تقدير وتقول سبقته على الشيء اذا اعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه
منه والمعنى وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم اي نحن قادرون على ذلك لا تغلبونا
عليه ان اردنا ذلك وقال الطبري المعنى نحن قدرنا بينكم الموت على ان نبدل امثالكم اي
نموت طائفة ونبدلها طائفة هكذا قرنا بعد قرن انتهى فجعل على ان نبدل متعلقا بقوله
نحن قدرنا وعلى القول الاول تعلق بمسبوقين اي لا نسبق على ان نبدل امثالكم وامثالكم
جمع مثل وننشئكم فيما لا تعلمون من الصفات اي نحن قادرون على ان نعدمكم وننشئ امثالكم
ونغيركم او صادقكم فيما لا تحيط به فكركم الحسن من كونكم قردة وخنازير قال ذلك لان
الاية تنحو الى الوعيد ويجوز ان يكون امثالكم جمع مثل بمعنى الصفة اي نحن قادرون على ان
نغير صفاتكم التي انتم عليها خلقا وخلقا وننشئكم في صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشاة
الاولى اي علمتم انه هو الذي انشاكم اولا انشاءا ونشاة ادم وانه خلق من طين
ولا شكرها احد منكم ولكن فلولا تذكرون حض على التذكر المؤدي الى الايمان والاقرار
بالنشاة الاخرى وقرا الجمهور النشاة بسكون الشين وطلحة بفتحها وضم الكاف
قالوا وهذه الاية دالة على استعمال القياس والحض عليه انتهى ولا يدل الا على القياس الاعلى
قياس الاولى لا على جميع انواع القياس افرايتم ما تحرثون ما تبذرونه في الارض
وتبذرونه ءانتم تزرعونه اي تنبتونه وتنمونه حتى يبلغ به الحطام اليابس المتفتت
الذي لا ينتفع به فظلتم تفكهون قال ابن عباس ومجاهد وقتادة تعجبون
وقال عكرمة تلاومون وقال الحسن تندمون وقال ابن زيد تتفجعون وهذا كله تفسير
باللازم ومعنى تفكهون تطرحون الفكاهة عن انفسكم وهي المسرة ورجل فكه منبسط النفس

عن مثمرات بشيء ويعلمهم اخوانه يجرح ويحزن وقرأ الجمهور فظلتم بفتح الظاء واللام
وابو حيوة وابو بكر في رواية العتكي عنه بكسرها كما قالوا مسست بفتح الميم وكسرها
وحكاها الثوري عن ابن عباس وجاءت عن الاعمش وقرأ عبد الله والجحدري فظللتم على
الاصل بكسر اللام وقرأ الجحدري ايضا بفتحها والمشهور ظللت بالكسر وقرأ الجمهور
تفكهون بالهاء وابو حزام العكلي بالنون بدل الهاء قال ابن خالويه تفكه تعجب وتفكن
تندم انا لمغرمون قبله محذوف اي تقولون وقرأ الجمهور انا والاعمش والجحدري
وابو بكر ائنا بهمزتين لمغرمون من الغرام وهو اشد العذاب قال
ان يعذب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي
او لمحملون الغرم في النفقة اذ ذهبت وغنما غرم الرجل واغرمته بل نحن محرومون
هؤلاء صف بعد عن وصفه بالغرم لا نرى عماله وهو الاجاج منه لو نشاء
جعلناه حطاما وسقطت في قوله جعلناه اجاجا وكلاهما فصيح وطول الكلام
مسوغ ذلك وملحضات الحرف اذ كان في مكان معروف واشتهر ذلك
الكتاب حاز نحو فيه لشهرة امر وان اللام علم لارتباط الجملة الثانية بالاولى
جاز حذفه استغناء بمعرفة السامع وذكره في الاول ثم اي الثاني اسمع للسماع
الاول وليس كما ذكرنا انما يقول بعض المعربين والذي ذكرنا انها حرف
لما كان سيقع لوقوع الاول وبعضه قول ادلك الضعفاء توام لوكان
هذا الشأن لكان نحوا نافع احواته لا سمع لاسماع الاشبانية قال وقول
ان تقال ان هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فادخلت في اية المطعوم
دون اية المشروب وان الوعيد بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب
وهو ان قوله بحر بما المراد منه الشجر الذي يقدح منه النار وقيل المراد
بالشجر نفس النار كانه يقول نوعها وجنسها واستعار الشجر لذلك وهذا
قول متكلف نحن جعلناها تذكرة اي لنار جهنم ومتاعا للمقوين النازلين الارض
القوى وهي القفر وقيل المسافرين وهو قريب مما قبله وقيل من زنده ان بعض
ضعيف جدا وقيل من مواد النار وانواع الوراد من يذكرها ما رجعتم
ثم اتبعه معا ترتيبها في المائدة هذه الاربعة التي ذكرها الله تعالى وقدم علمها

من امر خلقهم وما به قوام عيشتهم من المطعوم والمشروب والنار من اعظم الدلائل
على البعث اذ فيها انتقال من شيء الى شيء واحداث شيء من شيء وكذلك
اخرها بقوله فسبح باسم ربك العظيم تعالى عما يقول الكافرون ووصف تعالى نفسه بالعظيم اذ من
معنى امثاله يدل على عظمته وكبريائه والانفراد بالخلق والانشاء فلا اقسم
بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا
يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون
رزقكم انكم تكذبون فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم
ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين فاما ان
كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام
لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم
ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم قرأ الجمهور فلا اقسم فقيل لا زائدة
مؤكدة مثلها في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب والمعنى فاقسم وقيل المنفي محذوف اي
فلا صحة لما يقول الكفار ثم ابتدأ اقسم قاله سعيد بن جبير وبعض النحاة ولا يجوز
لان في ذلك حذف اسم لا وخبرها وليس جوابا لسائل سأل فيحتمل ذلك نحو قولك لا لمن
قال هل من رجل في الدار وقد يكون مثل ما تقدم وليس كما سمعناه كلام مشبهه
في القسم الا في شائع الكلام القسم وعلى ومنه فلا وابي اعدائها لا اخونها
والاول لم يعتد به انشدت فيها قولت فيها الف لقوله ٤٠
٤٠ اعوذ بالله من العقراب ٤٠ وهؤلاء كان قلبك متحانطا في قوله
ما حمله اشفى من الناس بسامعه اليمين وذلك مراه ها سم والمعنى ولا اقسم لقراءة
الحسن وعيسى وحرح مراه الحسن ابو الفتح على مبتدأ محذوف اي فلانا اقسم
وتبعه على ذلك الزمخشري واما ذهبا الى ذلك لانه فعل حال وفي القسم عليه خلاف
والذي اختاره ابن عصفور وغيره ان فعل الحال لا يجوز ان يقسم عليه ما جاء
الا ان يصوروا المضارع خبر المبتدأ محذوف فيصير الجملة اسمية فيقسم عليها
وذهب بعض النحويين الى جواز القسم على فعل الحال وهذا الذي اختاره فيقول
والله ليخرج زيد وعليه قول الشاعر ٤٠

لئن تك قد ضاقت عليكم بيوتكم ليعلم ربي ان بيتي واسع
وقال الزمخشري في قراءة الحسن ولا يصح ان تكون اللام لام قسم لامرين احدهما
ان حقها ان يقرن بها النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني ان لافعلن
في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون للحال انتهى اما الامر
الاول فنقصه حال فيه فالذي ذهب اليه قول البصريين واما الكوفيون فيجيزون ذلك
وكلا يجيزون تعاقبهما فيجيزون لاضرب زيدا لاضربن عمرا واما الثاني فصحيح لكنه
يعني الذي رجح عندنا ان تكون هذه اللام في لاقسم لام القسم واقسم فعل حال
والقسم قد يكون جوابا للقسم كما قال تعالى وليحلفن ان اردنا الا الحسنى فاللام
وليحلفن جواب قسم وهو قسم لكنه لما كان حالا لا مستقبلا لم يؤت بالنون وفي
حاشية المضارع لكان مستقبلا وقرا الجمهور بمواقع جمعا وعمر وعبد الله بن عباس
واهل المدينة وحمزة والكسائي بموقع مفردا مرادا به الجمع قال ابن عباس وعكرمة
ومجاهد وغيرهم هي نجوم القرآن التي انزلت على الرسول ويؤيد هذا القول قوله
انه لقرآن فعاد الضمير على ما يفهم من قوله بمواقع النجوم اي نجوم القرآن او نجوم
الكواكب ومواقعها قال مجاهد وابو عبيدة عند طلوعها وغروبها وقال قتادة
مواقعها مواضعها من السماء وقال الحسن مواقعها عند الانكدار يوم القيامة
وقيل مواقعها الانقضاض اثر العفاريت ومن تاول النجوم على انها
الكواكب جعل الضمير في انه يفسره سياق الكلام كقوله حتى توارت بالحجاب
وفي اقسامه تعالى بمواقع النجوم سر في تعظيم ذلك لا نعلمه نحن وقد اعظم ذلك
تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم والجملة المقسم عليها قوله انه لقرآن كريم وفصل
بين القسم وجوابه فالظاهر انه باعتراضين احدهما ومنه اعتراض بين الصفة والموصوف
بقوله لو تعلمون وقال ابن عطية وانه لقسم تاكيد للامر وتنبيه بين المقسم به
والمقسم عليه اعتراض بين الكلام مبالغة وذا معنى قصده المهم وانما الاعتراض
قوله لو تعلمون انتهى كريم وصف مدح ينفي عنه ما لا يليق به وقال الزمخشري
كريم حسن مرضي في جنسه من الكتب او نفاع جم المنافع او كريم على الله
في كتاب مكنون اي مصون قال ابن عباس ومجاهد الكتاب الذي في السماء

وقال

وقال عكرمة التوراة والانجيل كانه قال ذكر في كتاب مكنون اي في مصاحف المسلمين
مصونا من التبديل والتغيير ولم يكن اذ ذاك مصاحف فهو اخبار بغيب والظاهر
ان قوله لا يمسه المطهرون صفة لقرآن كريم فالمطهرون هم الملائكة وقيل لا يمسه صفة
لكتاب مكنون فان كان الكتاب الذي في السماء فالمطهرون هم الملائكة ايضا لا يطلع
عليه من سواهم وكذا على قول عكرمة هم الملائكة وان اريد بكتاب مكنون المصحف فالمعنى
انه لا ينبغي ان يمسه الا من هو على طهارة من الناس واذا كان المطهرون هم الملائكة
فلا يمسه نفي ويؤيد النفي قراءة عبد الله ما يمسه واذا عني بهم المطهرون من الكفر والجنابة
فاحتمل ان تكون نفيا محضا ويكون حكمه انه لا يمسه الا المطهرون وان كان يمسه غير
المطهر كما جاء لا يعضد شجرها اي الحكم هذا وان كان قد يقع العضد واحتمل ان تكون
نفيا يراد به النهي فالضمة في السين اعراب واحتمل ان تكون نهيا فلو فك ظهر الجزم ولكنه
لما ادغم صار مجزوما في المعنى والضمة فيه لاجل ضمة الهاء كما جاء في الحديث انا لم نرده عليك
الا انا حرم وهو مجزوم ولم يحك سيبويه في نحو هذا من المجزوم المدغم المتصل بالهاء من المذكر
الا الضم قال ابن عطية والقول بان لا يمسه نهي قول فيه ضعف وذلك انه اذا كان خبرا فهو
في موضع الصفة وقوله بعد ذلك تنزيل صفة فاذا جعلناه نهيا جاء معناه اجنبيا معترضا
بين الصفات وذلك لا يحسن في رصف الكلام فتدبره وفي حرف ابن مسعود ما يمسه
وهذا يقوي ما رجحته من الخبر الذي معناه حقه وقدره انه لا يمسه الا طاهر انتهى
ولا يتعين ان يكون تنزيل صفة بل يجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف فيحسن اذ ذاك ان
يكون لا يمسه نهيا وقد ذكروا هنا حكم مس المصحف وذلك مذكور في كتب الفقه وليس
في الآية دليل على منع ذلك وقرا الجمهور المطهرون اسم مفعول من طهر مشددا وعيسى
كذلك مخففا من اطهر ورويت عن نافع وابي عمرو وقرا سلمان الفارسي المطهرون بخف
الطاء وشد الهاء وكسرها اسم فاعل من طهر اي المطهرين انفسهم وعنه ايضا المطهرون
بشدهما اصله المتطهرون فادغم التاء في الطاء ورويت عن الحسن وعبد الله بن عون
وعنه المطهرون وقرئ تنزيلا بالنصب اي نزل تنزيلا افبهذا الحديث اي القرآن
وانتم خطاب للكفار مدهنون قال ابن عباس مهاودون فيما لا يحل وقال ايضا مكذبون
وتجعلون رزقكم اي شكر ما رزقكم الله من انزال القرآن عليكم تكذيبكم اي تضعون مكان

السكر الكذب ومن هذا المعنى قول الراجز

وكان شكر القوم عند المنن كيّ الصحيحات وفقء الاعين

وقرأ علي وابن عباس وتجعلون شكركم وذلك على سبيل التفسير لمخالفته السواد وحكى الهيثم
بن عدي ان من لغة ازد شنوءة ما رزق فلان فلانا بمعنى ما شكره ونزلت
في الانواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق المطر اي وتجعلون شكر ما رزقكم الله من الغيث ابن عطية
اجمع المفسرون على ان الآية توبيخ للقائلين في المطر هذا بنوء كذا وكذا وهذا
بنوء الاسد وهذا بنوء الجوزاء وغير ذلك وقرأ الجمهور تكذبون من التكذيب
وعلي والمفضل عن عاصم من الكذب فالمعنى من التكذيب انه ليس من عند الله اي
القرآن او المطر حيث ينسبون ذلك الى النجوم ومن الكذب قولهم في القرآن سحر
وافتراء وفي المطر من الانواء فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون قال
الزمخشري ترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين
وفلولا الثانية مكررة للتوكيد والضمير في ترجعونها للنفس وقال ابن عطية توقيف
على موضع عجز يقتضي النظر فيه ان الله مالك كل شيء وانتم ايها الجمع البشر
حينئذ اذا بلغت الحلقوم تنظرون اي الى المنازع في الموت وقرأ عيسى حينئذ
بكسر النون اتباعا لحركة الهمزة في اذ ونحن اقرب اليه منكم بالعلم والقدرة ولكن لا تبصرون
من التبصر بالقلب او اقرب اليه ملائكتنا ورسلنا ولكن لا تبصرونهم من البصر بالعين
ثم عاد التوقيف والتقرير ثانية بلفظ التحضيض والترتيب المذكور قال الاخطل

ونب وربما تحرما ابن عوبنه

فلولا بلوك نفق عيدا ابن امه واخا البنا

براه على سحابه سوكلك

والمعنى فلولا ترجعون النفس البالغة الى الحلقوم ان كنتم عن عملكم غير مقهورين
ان كنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد اذ كانوا
ذهبوا اليه من ان القرآن سحر وافتراء وان ما نزل من المطر هو بنوء كذا تعطيل
للصانع وتعجيز له وقال ابن عطية وقوله ترجعونها سد مسد الاجوبة والبيانات
التي تقتضيها التحضيضات واذا من قوله فلولا اذا وان المكررة وحمل بعض القول

بعضا

بعضا الخارج ايضا بالاسهاب ونقول اذا المثبتة شرطية فليس ترجعونها مستقر جوابا
بل هي ظرف عن شرط مقول لترجعونها المحذوف بعد لولا الدالة ترجعونها في التحضيض
الثاني عليه فجاء التحضيض الاول مقيدا بوقت بلوغ الحلقوم وجاء التحضيض الثاني معلقا
على انتفاء مربوبيتهم وهم لا يقدرون على رجعها اذ مربوبيتهم موجودة فهم مقهورون لا قدرة
لهم فاما ان كان اي المتوفى من المقربين وهم السابقون وقرأ الجمهور فروح بفتح الراء وقرأ
عن النبي صلى الله عليه وسلم وابن عباس والحسن وقتادة ونوح القارئ والضحاك والاشهب
وشعيب بن الحجاب وسليمان التيمي والربيع بن خثيم ومحمد بن علي وابو عمران الجوني والكلبي
وفياض وعبيد وعبد الوارث عن ابي عمرو ويعقوب بن حسان وزيد ورويس عنه بضمها
قال الحسن الروح الرحمة لانها كالحياة للمرحوم وقال ايضا روحه تخرج في ريحان وقيل الروح
البقاء اي فهذان له معا وهو الخلود مع الرزق وقال مجاهد الريحان الرزق وقال
الضحاك الاستراحة وقال ابو العالية وقتادة والحسن ايضا الريحان هذا الشجر المعروف
في الدنيا يلقى المقرب ريحانا من الجنة وقال الخليل هو طرف كل بقلة طيبة فيها اوائل النور وقال
عليه السلام في الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا وقال ابن عطية الريحان ما
تنبسط اليه النفوس فروح فسلام مبتدأ والفاء جواب اما معها اما وفيه معنى الشرط
وان كان من المقربين وان كان من اصحاب اليمين وان كان من المكذبين الضالين
شرط واذا اجتمع شرطان كان الجواب للسابق منهما وجواب الثاني محذوف وله قول
موافق لمذهب سيبويه وذهب الاخفش الى ان الفاء جواب لاما والشرط معا وقد ابطلنا
مذهبه في المنهج الكبير المسمى بالتذييل والتكميل في شرح التسهيل والخطاب في لك
قيل للرسول عليه السلام اي لا ترى فيهم الا السلامة من العذاب ثم لكل معتبر من
امته عليه السلام وقيل لمن يخاطبه من اصحاب اليمين فقال الطبري المعنى
فسلام لك انه من اصحاب اليمين وقيل فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك
اصحاب اليمين اي يسلمون عليك كقوله الا قيلا سلاما سلاما والمكذبون الضالون
هم اصحاب المشأمة اصحاب الشمال وقرأ الجمهور وتصلية رفعا عطفا على نزل واحمد
ابن موسى والمنقري واللؤلؤي عن ابي عمرو بجر التاء عطفا على حميم ولما انقضى الاخبار بتقسيم
احوالهم وما آل اليه كل شخص منهم اكد ذلك بقوله ان هذا اي ان هذا الخبر المذكور في هذه

السورة لهو حق اليقين فقيل هو من اضافة المرادف على سبيل المبالغة كما يقول
هذا يقين اليقين وصواب الصواب بمعنى انه نهاية في ذلك فهما بمعنى واحد اضيف
على سبيل المبالغة وقيل هو من اضافة الموصوف الى صفته فجعل الحق مباينا لليقين
فكانه قال لهو الحق اليقين اي الثابت المتيقن ولما تقدم ذكر الاقسام الثلاثة
الكلام فيهم امر تعالى بتنزيهه عما لا يليق به من الصفات ولما اعاد التقسيم حوا
الكلام فيه امره ايضا بتنزيهه وتسبيحه والاقبال على عبادة ربه والاعراض عن اقوال
الكفرة المنكرين للبعث والحساب والجزاء وظهر ان سبح يتعدى بنفسه تارة
كقوله سبح اسم ربك الاعلى وتسبحوه وتارة بحرف الجر كقوله فسبح باسم ربك
العظيم ويجوز ان تكون صفة للاسم ويجوز ان تكون صفة لربك

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات
والارض وهو العزيز الحكيم له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شي قدير
هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شي عليم هو الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما
وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السموات والارض
والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور
قال النقاش هذه السورة مدنية باجماع من المفسرين وقال غيرهم هي
مكية وقال ابن عطية لا خلاف ان فيها قرانا مدنيا لكن يشبه صدرها ان يكون
مكيا ومناسبة اول هذه السورة لاخر ما قبلها واضحة لانه تعالى امر بالتسبيح
ثم اخبر ان التسبيح المامور به قد فعله واوقعه كل من في السموات والارض
اي سبح بلفظ الماضي ويسبح بلفظ المضارع وكله يدل على الديمومة والاستمرار
وان ذلك ديدن من في السموات والارض والتسبيح هنا بمعنى الاكثرين يعني
التنزيه المعروف في قولهم سبحان الله فقيل هو حقيقة في الجميع وقيل فيمن يمكن التسبيح
منهم وقيل مجاز بمعنى ان اثر الصنعة فيها تنبه الرائي على التسبيح وقيل التسبيح
هنا الصلوة فمن الجماد سجوده وفي الكافر سجود ظله صلوته وفي المومن ذلك سائغ
واللام في لله اما ان تكون بمنزلة اللام في نصحت لزيد اذ يقال سبح الله كما

يقال

يقال نصحت زيدا فجي باللام لتقوية وصول الفعل الى المفعول واما ان تكون
لام التعليل اي احدث التسبيح لاجل الله اي لوجهه خالصا يحيي ويميت
جملة مستقلة لا موضع لها من الاعراب كقوله له ملك السموات والارض لما
اخبر بانه له الملك اخبر عن ذاته بهذين الوصفين العظيمين اللذين بهما
التصرف في الملك وهي ايجاد ما يشا واعدام ما يشا ولذلك احتجت بالعدم التي
هي الاحيا والاماتة ويجوز ان يكون خبر مبتدا اي هو يحيي ويميت ويجوز ان يكون حالا
وذو الحال الضمير في له والعامل فيها العامل في الجار والمجرور هو الاول اي الذي
ليس لوجوده بداية فهو قبل كل شي والاخر اي الدائم الذي ليس له نهاية ينقضي عندها وقيل الاول
الذي كان قبل كل شي والاخر الذي يبقى بعد كل شي والظاهر بالادلة والباطن
عن العقول في صفته والباطن لكونه غير مدرك بالحواس وقال ابو بكر الوراق
الاول بالازلية والاخر بالابدية وقيل الظاهر العالي على كل شي
الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذي بطن كل شي اي علم باطنه
وقال الزمخشري فان قلت فما معنى الواو قلت الواو الاولى معناها الدلالة على
انه الجامع بين الصفتين الاولية والاخرية والثالثة على انه الجامع بين الظهور
والخفا واما الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين
الاخريين فهو المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية والاتية وهو في جميعها
ظاهر وباطن جامع الظهور بالادلة والخفا فلا يدرك بالحواس وفي هذا حجة
على من جوز ادراكه في الاخرة بالحاسة انتهى وقد تقدم تفسيره في الاعراف يعلم ما
يلج في الارض من المطر والاموات وما يخرج منها من النبات والمعادن وغيرها
وما ينزل من السما من الملائكة والرحمة والعذاب وغيره وما يعرج فيها من الملائكة
وصالح الاعمال وسيئها وهو معكم اينما كنتم اي بالقدرة والعلم قال الثوري
المعنى علمه معكم وهذه اية اجمعت الامة على هذا التاويل فيها وانها لا تحمل على ظاهرها
من المعية بالذات وهي حجة على من منع التاويل في غيرها مما يجري مجراها من استحالة
الحمل على الظاهر وقال بعض العلما فمن امتنع من تاويل ما لا يمكن حمله على ظاهره
وقد تاول هذه الاية وتاول الحجر الاسود يمين الله في الارض لو اتسع عقله

فعله ليناول عين هذا اما هو في معناه . وقرأ الجمهور رجع مبنيا للمفعول والحسن
وابن ابي اسحق والاعرج مبنيا للفاعل والامور عام في جميع الموجودات اعراضها
وجواهرها وتقدم شرح ما قبل هذا وما بعده فاغنى عن اعادته **آمنوا بالله ورسوله**
وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وما
لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين هو
الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤوف
رحيم وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لا يستوي منكم
من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا
وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
فيضاعفه له وله اجر كريم لما ذكر تعالى انه سبح له ما احتوى عليه من الملك
والتصرف وما وصف به نفسه من الصفات العلى وختمها بالعلم بخفيات الصدور
امر تعالى عباده المؤمنين بالثبات على الايمان وادامة النفقات في سبيل الله
قال الضحاك نزلت في غزوة العسرة غزوة تبوك مستخلفين فيه اي ليست لكم بالحقيقة
وانما اصلت اليكم من غيركم وكما وصلت اليكم تتركونها لغيركم وفيه تزهيد فيما
بيد الانسان اذ مصيره الى غيره وليس له منه الا ما جاء به الحديث يقول
ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت
او تصدقت فامضيت وسلك عز الدين بهذه الاية فقال يعني لله عندي اوليكون
المعنى انه تعالى استخلفكم الاموال بمعنى انه جعلكم خلفاء في التصرف فيها فانتم فيها
بمنزلة الوكلاء فانفقوا منها في حقوق الله ثم ذكر تعالى ما للمؤمن المنفق من الاجر
ووصفه بالكرم الموعود له بانواع الثواب قيل وفيه اشارة الى عثمان بن عفان حيث
تدنى بتلك النفقة في جيش العسرة ثم قال وما لكم لا تؤمنون بالله وهو استفهام
على سبيل الانكار ايشي لكم لا تعبون على الايمان ودواعي ذلك موجوده
وذلك ما ذكر فيه من دلائل العقل وموجب ذلك من السمع في قوله والرسول
يدعوكم لهذا الوصف الجليل وقد تقدم اخذ الميثاق عليكم بالايمان فدواعي
الايمان موجوده واسبابه حاصله فلا مانع منه ولا عذر في تركه ولا تؤمنون

حال

حال كما تقول ما لك لا تقوم مستكرا عليه استفهامه والرسول الواو واو الحال فالجملة حاليه
فبطالد قد اخذ حال بالبدو هذا الميثاق قيل هو الذي اخذ عليهم حين الاخراج
من ظهر آدم بمثله الميثاق وجوابه محذوف اي ان كنتم مؤمنين لموجب ما فهذا هو
الموجب لايمانكم وان كنتم ممن يؤمن فما لكم لا تؤمنون والحالة هذه وهي دعا
الرسول له واخذ الميثاق وقال الطبري ان كنتم مؤمنين في حال من الاحوال فالان ب
وقرأ الجمهور وقد اخذ مبنيا للفاعل ميثاقكم نصبا وابو عمرو مبنيا للمفعول ميثاقكم رفعا
وقال ابن عطية في قوله ان كنتم مؤمنين يقتضي ان يقدر بان اسم في
شريعته واعوان رفعه ان كنتم مؤمنين اي ان دمتم على ما بدأتم به ولما ذكر
توبيخهم على ترك موجب الايمان وذكر دعا الرسول المانع للايمان ذكر تعالى هو
المنزل على رسوله ما دعا به الى الايمان وذلك الايات البينات المعجزات ليخرجكم من
ظلمات الكفر الى نور الايمان اي الله تعالى او بقوله المخبر عنه او الرسول لانه امر
وروي من السبعة تنزل مشددا فبعض مثقل وبعض مخفف وقرأ الحسن بالوجهين
وزيد بن علي والاعمش انزل ماضيا ووصف تعالى نفسه بالرأفة والرحمة بالنسبة
لهم ولما كان قد امرهم بالايمان والانفاق ثم ذكرنا بهم على ترك الايمان مع حصول
موجبه بعثهم على قول الانفاق في سبيل الله مع قيام الداعي لذلك وهو انهم يموتون
مخلفونه وبعثه على هذا الموجب بقوله ولله ميراث السموات والارض وهذا
من ابلغ البعث على الانفاق وان لا تنفقوا تقدير مصدريه وقال الاخفش
في قوله وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله ان زائده عامله معدوم عنى وما لنا
لا نقاتل فكذلك على مذهبه في هذه تكون ان زائدة وما لكم لا تنفقوا
وفيه رد مذهبه في ليت النحو لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقال قيل
نزلت في ابي بكر اذ كان من اول من اسلم وهاجر وكثرا من تابعه في السعي
في ذلك وكذلك قال اولئك اعظم وقيل نزلت بسبب ان ناسا من الصحابة انفقوا
نفقات كثيرة حتى قال ناس اولئك اعظم اجرا من كل من انفق وهذه الجملة محذوفة
سابق ما بين المنفقين وقرأ الجمهور من قبل الفتح وزيد بن علي قبل بغير من والفتح
فتح مكة وهو المشهور وقول ابن عباس وزيد بن اسلم ومجاهد وقال ابو سعيد

الحديبية والشعبي بفتح الحديبية وقد تقدم في سورة الفتح لكونه فتحا ورفعه ابو
سعيد الى النبي صلى الله عليه وسلم ان فضل ما بين الهجرتين فتح الحديبية والظا
اهر فاعل لا يستوي من وحذف مقابله وهو من انفق من بعد الفتح وقاتل
لوضوح المعنى اولئك اي الذين انفقوا قبل الفتح وقبل انتشار الاسلام وفشو
واتساع المسلمين اعظم درجة وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار
الذين قال فيهم قوله عليه السلام لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم
ولا نصيفه والعبد من ذهب الى ان الفاعل بلا يستوي ضمير على الانفاق
لا يستوي هو اي الانفاق اي جنسه اذ منه ما هو قبل الفتح وبعده ومن انفق
مبتدأ واولئك مبتدأ خبره ما بعده والجملة في موضع خبر من وهذا فيه تفكيك للكلام
وخروج عن الظاهر لغير موجب وحذف المعطوف لدلالة المقابل كثير فاش لا
سيما المعطوف الذي يقتضيه وضع الفعل وهو لا يستوي وقرأ الجمهور وكلا بالنصب
وهو المفعول الاول لوعد وقرأ ابن عامر وعبد الوارث من طريق المادر
اني وكل بالرفع والظاهر انه مبتدأ والجملة بعده في موضع الخبر وقد اجاز ذلك
الفراء وهشام وورد في السبعة فوجب قبوله وان كان غيرهما من النحاة يخص
حذف الضمير الذي حذف من مثل وعد بالضرورة وقال الشاعر

وخالد يحمد ساداتنا بالحق لا يحمد بالباطل

يريد يحمده ساداتنا وبعضهم من جعل وعد صفة لكل خبر مبتدأ محذوف
واولئك كل وعد صفة وحذف الضمير المنصوب من الجملة الواقعة صفة اكثر من حذفه
منها اذا كانت خبرا كقوله

وما ادري اغيرهم تناء وطول العهد ام مال اصابوا

يريد اصابوه فما صابوا صفة لمال وقد حذف الضمير العائد على الموصوف والحسنى
الجنة والحسنى وقال مجاهد وقتادة الجنة والاولى يعني ذلك في الاخرة والنصر
والغنيمة في الدنيا والله بما تعملون خبير فيه وعد ووعيد وتقدم الكلام على مثل قوله
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اعرابا وقراءة وتفسيرا في سورة
البقرة وقال ابن عطية هنا الرفع يعني فيضاعفه على العطف او على القطع والا
ستيناف

وقرأ

وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب بالفاء على جواب الاستفهام وفي ذلك قلق قال ابو علي يعني
الفارسي لان السؤال لم يقع على القرض وانما وقع السؤال عن فاعل القرض وانما تنصب الفا
فعلا مردودا على فعل مستفهم عنه لكن هذه الفرقة من القراء حملت ذلك على المعنى كان
قوله من ذا الذي يقرض الله بمنزلة ان لو قال ايقرض الله احد فيضاعفه انتهى وهذا الذي
ذهب ابو علي من انه انما ينصب الفاء فعلا مردودا على فعل مستفهم عنه ليس بصحيح بل يجوز اذا
كان الاستفهام بادواته الاسمية نحو من يدعوني فاستجيب له واين بيتك فازورك ومتى
تسير فارافقك وكيف تكون فاصحبك فالاستفهام هنا وان كان عن ذات الداعي وعن ظرف
المكان وظرف الزمان والحال لا عن الفعل وحكى ابن كيسان عن العرب اين ذهب
زيد فنتبعه وكم مالك فنعرفه ومن ابوك فنكرمه بالنصب بعد الفاء وقراءة فيضاعفه عنه
بالنصب قراءة سوادة والفعل وقع صلة للذي والذي صفة لذا وذا خبر لمن واذا جاز
النصب في نحو هذا الحوار في الجمل السابقة فاحرى مع ان سماع ابن كيسان ذلك محكيا
عن العرب فوجب ذلك والظاهر ان قوله وله اجر كريم هو زيادة على التضعيف المرتب
على القرض اي له مع التضعيف اجر كريم يوم ترى المؤمنين والمؤمنات
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك
هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم
قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظا هر
من قبله العذاب ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم
الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا
ماواكم النار هي مولاكم وبئس المصير العامل في يوم ما يتعلق به لهم والتقدير ويستقر لهم
اجر كريم يوم ترى او اذكر يوم ترى اعظاما لذلك اليوم والرؤية هنا رؤية بصر والنور
حقيقة وهو قول الجمهور وروي عن ابن عباس وغيره ان كل مظهر للايمان
له نور فيطفأ نور المنافقين ويبقى نور المؤمنين وهم متفاوتون في النور فمنهم من يضيء
نوره كما بين مكة وصنعاء ومن نوره كالنخلة السحوق ومن يضيء له ما قرب قدميه
ومنهم يهم بالانطفاء مرة ويتبين مرة وذلك على قدر الاعمال وقيل المضي كلي النور استعارة
عن الهدى والرضوان الذي هم فيه والظاهر ان النور يتقدم لهم بين ايديهم ويكون ايضا

بايمانهم فتظهر ايمانهم نورا يوم يسعى بين ايديهم ويوقف بايمانهم فذلك من الجهة التي يومونها
وهو اسعى ما حولهم من الجهات وقال الجمهور النور اصله بايمانهم والذي بين ايديهم هو الضوء
المنبسط من ذلك النور وقيل الباء بمعنى عن اي عن ايمانهم والمعنى عن جميع جهاتهم وعبر عن ذلك
بالايمان تشريفا لها وقال الزمخشري وانما قال بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يوتون صحائف
اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء يوتونها من شمايلهم ووراء ظهورهم وقرا الجمهور
وبايمانهم جمع يمين وسهل بن شعيب السهمي وابو حيوة بكسر الهمزة وعطف هذا المصدر
على الظرف لان الظرف متعلق بمحذوف اي كاينا بين ايديهم وكاينا بسبب ايمانهم بشراكم
اليوم جنات جملة معمولة لقول محذوف اي يقول لهم الملايكة الذين يتلقونهم جنات اي دخول
جنات قال ابن عطية خالدين فيها الى اخر الاية مخاطبة لمحمد صلى الله عليه وسلم انتهى
ويعني والله اعلم انه تعالى افتتح الاية بقوله يوم ترى فظاهره الخطاب للرسول عليه
السلام وخاطبت بخطاب الجمع تعظيما له عليه السلام وخالدين منصوب على الحال والعامل
فيه المضاف المحذوف اذ تقدير الكلام بشراكم اليوم دخولكم جنات ودخولكم هو خبر بشراكم
بعد حذف العامل على المضاف اليه واضيف المصدر الخالي من حرف وهو مراد معنى الحال
ولا يجوز ان يكون العامل بشراكم لانه مصدر قد اخبر عنه قبل اخذ ما يتعلق به فلا
يجوز عنه فلا يكون معمولا له يوم يقول بدل من يوم ترى وقيل يوم يقول اذكر
قال ابن عطية ويظهر لي ان العامل فيه ذلك هو الفوز العظيم ويجيء معنى الفوز اعظم
كانه يقول ان المومنين يفوزون بالرحمة يوم يعتري المنافقين كذا وكذا لان ظهور
المرء يوم خمول عدوه ومضاده ابدع واخم ابهى فكانه فيه كلامه ويظهر ان يوم منصوب
بالفوز ولا يجوز لانه مصدر قد وصف قبل اخذ معمولاته فلا يجوز اعماله فلو اعمل وصفه
وهو العظيم لجاز اي الفوز الذي عظم اي قدره يوم القيامة انظرونا اي انتظرونا لانهم لما
سبقهم الى المرور على الصراط وقد طفيت انوارهم قالوا ذلك وقال الزمخشري انظرونا انتظرونا
لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف على ركاب ترف بهم وهولا مشاة او انظروا
الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور من بين ايديهم فيستضيون به
انتهى فجعل انظرونا بمعنى انتظرونا ولا يتعدى النظر هذا في لسان العرب الا باللام
لا بنفسه وانما وجد متعديا بنفسه في الشعر وقرا زيد بن علي وابن وثاب والاعمش

وطلحة

وطلحة وحمزة انظرونا من انظر رباعيا اي اخرونا اي امهلونا في اخرتكم ولا تسبقونا بحيث
تفوتونا ولا نلحق بكم نقتبس من نوركم اي نصب منه حتى نستضيء به يقال اقتبس الرجل
واستقبس اخذ من نار غيره قبسا قيل ارجعوا وراءكم القايل المومنون او الملايكة والظاهر
ان وراءكم معمول لارجعوا وقيل لا محل له من الاعراب لانه بمعنى ارجعوا فكانه قيل ارجعوا كقوله
وراءك اوسع لك اي ارجع تجد مكانا اوسع لك وارجعوا امر توبيخ وطرد اي ارجعوا الى الموقف
حيث اعطينا النور فالتمسوه هناك او ارجعوا الى الدنيا والتمسوا نورا اي بتحصيل سببه
وهو الايمان او تنحوا عنا فالتمسوا نورا غير هذا فلا سبيل لكم الى الاقتباس منه وقد علموا ان
لا نور وراءهم وانما هو اقناط لهم فضرب بينهم اي بين المومنين والمنافقين بسور حاجز قال
ابن زيد هو الاعراف وقيل حاجز غيره وقرا الجمهور فضرب مبنيا للمفعول وزيد بن علي وعمرو بن
عبيد مبنيا للفاعل اي الله وسعد قول من قال ان هذا السور هو الجدار الشرقي من بيت المقدس
وهو مروي عن عبادة بن الصامت وابن عباس وعبد الله بن عمرو وكعب الاحبار ولعله
لا يصح ذلك عنهم والسور هو الحاجز الذي على المدينة المحيط بها من غيره والظاهر باطنه ان يعود
الضمير عليه على الباب لقربه وقيل على السور وهو باطنه الشق الذي لاهل الجنة وظاهره ما
يدانيه من قبله من جهته العذاب ينادونهم اي ينادي المنافقون المومنين
الم نكن معكم اي في الظاهر قالوا بلى كنتم معنا في الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم اي محضتموها
للفتنة نفاقكم وتربصتم اي بايمانكم حتى وافيتم على الكفر او تربصتم بالمومنين الدوائر وقاله
قتادة وارتبتم شككتم في امر الدين وغرتكم الاماني وهو الاطماع مثل قولهم سيهلك محمد هذا
العام ستهزمه قريش سياخذه الاحزاب الى غير ذلك او طول الامال في امتداد الاعمار
حتى جاء امر الله وهو الموت على النفاق وغركم بالله الغرور الشيطان باجماع وقرا سماك بن حرب
الغرور وتقدم ذلك فاليوم لا يوخذ منكم فدية ايها المنافقون والناصب لليوم الفعل
المنفي بلا وفيه حجة على منع ذلك ولا من الذين كفروا في الحديث ان الله تعالى يقرر الكافر
فيقول له ارايت لو كان لك اضعاف الدنيا اكنت تفتدي بجميع ذلك من عذاب النار فيقول
نعم يارب فيقول الله تعالى قد سالتك ما هو ايسر من ذلك وانت في ظهر ابيك ادم ان لا تشرك
بي فابيت الا الشرك وقرا الجمهور لا يوخذ بالياء وابو جعفر والحسن وابن ابي اسحاق والاعرج وابن
عامر وهارون عن ابي عمرو بالتاء لتانيث الفدية هي مولاكم قيل اولى بكم وهذا تفسير معنى

وكانت سولاتهم من جهة اجانبهم وباشرتهم وفي تكون لكم مكان المولى ونحوه قول الشاعر

تحية بينهم ضرب وجيع

وقال الزمخشري ويجوز ان تكون هي ناصركم اي لا ناصر لكم غيرها والمراد نفي الناصر على البتات ونحوه
قولهم اصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وقيل تتولاكم كما توليتم
في الدنيا اعمال اهل النار **الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم** لذكر الله وما نزل
من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير
منهم فاسقون اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون ان
المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم والذين امنوا
بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر
في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الاخرة
عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور عن عبد الله مل
الصحابة مله فنزلت الم يان وعن ابن عباس عوتبوا بعد ثلاث عشرة سنة وقيل كثر المزاح
في بعض شباب الصحابة فنزلت وقرا الجمهور الم وقرا الحسن وابو السمال الما والجمهور يان مضارع
انى حان والحسن يئن مضارع آن حان ايضا والمعنى قرب وقت الشيء ان تخشع تطمئن وتخبت
وهو من عمل القلب ويظهر في الجوارح وفي الحديث اول ما يرفع من الناس الخشوع لذكر الله اي
لاجل ذكر الله لقوله اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقيل لتذكير الله اياهم وقرا الجمهور
وما نزل مشددا ونافع وحفص مخففا والجحدري وابو جعفر والاعمش وابو عمرو في
رواية يونس وعباس عنه مبنيا للمفعول مشددا وعبد الله انزل مبنيا للفاعل
للفاعل والجمهور ولا يكونوا بالياء عطفا على تخشع وابو حيوة وابن ابي عبلة
واسماعيل عن ابي جعفر عن شيبة ويعقوب وحمزة في رواية سليم عنه ولا تكونوا على سبيل
الالتفات اما نهيا واما عطفا على ان تخشع كالذين اوتوا الكتاب من قبل وهم معاصرو موسى
عليه السلام من بني اسرائيل حذرهم الموصوف ان يكونوا مثلهم في قساوة القلوب اذ كانوا
اذا سمعوا التوراة رقوا وخشعوا فطال عليهم الامد اي انتظار الفتح او انتظار القيامة
وقيل امد الحياة وقرا الجمهور الامد مخفف الدال وهي الغاية في الزمان وابن كثير

في رواية بشد الدال وهو الزمان بعينه الاطول فقست قلوبهم صلبت بحيث لا تنفعل للخير
والطاعة يحيي الارض بعد موتها ظاهره انه تمثيل لتليين القلوب بعد قسوتها ولتاثير ذكر الله فيها
كما يؤثر الغيث في الارض فتعود بعد اجدابها مخصبة كذلك تعود القلوب النافرة مقبلة مطيعة
بها اثار الطاعات والخشوع وقرا الجمهور المصدقين والمصدقات بشد الصاد فيهما وابن كثير وابو بكر
والمفضل وابان وابو عمرو في رواية هارون بخفها اي بتخفيف الصاد فيهما فقراءة الجمهور
من الصدقة والخفة من التصديق صدقوا رسول الله فيما بلغ عن الله قال الزمخشري فان قلت
علام عطف قوله واقرضوا قلت على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل
بمعنى اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا انتهى واتبع في ذلك ابا علي الفارسي ولا
يصح ان يكون معطوفا على المصدقين لان المعطوف على الصلة صلة وقد فصل بينهما بمعطوف
وهو قوله والمصدقات ولا يصح ايضا ان يكون معطوفا على صلة ال في المصدقات لاختلاف
الضمائر اذ ضمير المصدقات مؤنث وضمير واقرضوا مذكر فيتخرج هذا على حذف الموصول لدلالة
ما قبله عليه كانه قيل والذين اقرضوا فيكون مثل قول الشاعر

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

يريد ومن يمدحه وينصره ومن اسماء المبالغة قال الزجاج ولا يكون فيما احفظ الا من ثلاثي وقيل
يحيى بن عمر الملك في سكيت وليس بشيء لانه قال مسك وامسك فمسيك من مسك والشهداء
الظاهر انه مبتدا خبره ما بعده فيوقف على الصديقون اي شيء وهو من عطف الجمل
وهذا قول ابن عباس ومسروق والضحاك ان الكلام تم في قوله الصديقون واختلف
هؤلاء فبعض قال الشهداء هم الانبياء يشهدون للمؤمنين بالصديقية لقوله فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد الاية وبعض قال هم الشهداء في سبيل الله استانف الخبر عنهم فكانه
جعلهم صنفا مذكورا وحده لعظم اجرهم وقال ابن مسعود ومجاهد وجماعة والشهداء معطوف
على الصديقون والكلام متصل نعتوا بعطف المفردات فبعض قال جعل الله كل مؤمن
صديقا وشهيدا قاله مجاهد وفي الحديث من رواية البراء مؤمنوا امتي شهداء وانما ذكر
الشهداء السبعة تشريفا لهم لانهم في اعلى رتب الشهادة كالمقتول في سبيل الله
من السبعة تشريف تفرد به وبعض قال وصفهم بالصديقية والشهادة من قوله
لتكونوا شهداء على الناس لهم اجرهم خبر عن الشهداء فقط او عن جمع من الوصفين

مثل احوال الكهول والطاعنين ويورثهم انه حصيده وقال المجاهد وغيره عبارة عن الهدى
والكرامة والبشرى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب اخبر تعالى بامرها من اشتمالها على اشيا
لا تدوم كالخرجة اما ما كان من الطاعات وضروريات ما تقوم به الاود فليس منها حا
نه نعت الا يلعبه ولهو كحالة المترفين عن الملك وزينة تحسين لما هو خارج عن ذات الشي
وتفاخر بينكم قراة الجمهور بالتنوين ونصب بينكم والتمني بالاضافة وتكاثروا بالعدد والعدد
على ما كان في الجاهلية وهذه كلها محقرات بخلاف امر الاخرة فانها مستعملة على امور حقيقية
عطا وقال الزمخشري وشبه تعالى حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات
انبته الغيث فاستوى واعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم فبعث عليه العاهة
فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة وصاحب الجنتين
انتهى وقال ابن عطية كمثل في موضع رفع صفة لما تقدم وصورة هذا المثال ان الانسان
ينشا في حجر مملكة فما دون ذلك فيشب ويقوى ويكتسب المال والولد ويغشاه
الناس ثم ياخذ بعد ذلك في الانحطاط فيشيخ ويضعف ويسقم وتصيبه النوائب في
ماله وذريته ويموت ويضمحل امره وتصير امواله لغيره وتغير رسومه فامره مثل مطر
اصاب ارضا فنبت عن ذلك الغيث نبات معجب انيق ثم هاج اي يبس واصفر ثم تحطم
ثم تفرق بالرياح واضمحل انتهى والكفار الزراع من كفر الحب اي ستره في الارض
وخصوا بالذكر لانهم اهل البصر بالنبات والفلاحة فلا يعجبهم الا المعجب حقيقة وقيل
من الكفر بالله لانهم اشد تعظيما للدنيا واعجابا بمحاسنها وحطاما مبالغة في تحطم
ونرى مصفرا لما ذكر ما يؤول اليه امر الدنيا من الفنا ذكر ما هو ثابت دائم من
امر الاخرة من العذاب الشديد ومن رضاه الذي هو سبب النعيم سابقوا الى
مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السما والارض اعدت للذين امنوا بالله ورسله
ذلك فضل الله يؤتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم ما اصاب من مصيبة في الارض
ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها ان ذلك على الله يسير لكيلا تاسوا على ما فاتكم
ولا تفرحوا بما اتاكم والله لا يحب كل مختال فخور الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل
ومن يتول فان الله هو الغني الحميد لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان
ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله

بالغيب

بالغيب ان الله قوي عزيز لما ذكر تعالى ما في الاخرة من المغفرة امر بالمسابقة اليها
والمعنى سابقوا الى سبب مغفرة وهو الايمان وعمل الطاعات وقد مثل بعضهم
المسابقة في انواع فقال عبدالله كونوا في اول الصف في الامثال وقال انس اشهدوا
تكبيرة الاحرام مع الامام وقال علي كن اول داخل المسجد واخر خارج واستدل
بهذا السبق على ان اول اوقات الصلوات افضل وجا لفظ سابقوا كانهم
في مضمار يجرون الى غاية سابقوا اليها عرضها اي مساحتها في السعة كما قال ممدود عما
عرضه والعرض خلاف الطول فاذا وصف العرض بالبسطة عرف ان الطول ابسط
وامد اعدت يدل على انها مخلوقة وتكرر ذلك في القران فقوي ذلك والسنة
ناصة على ذلك وذلك رد على المعتزلة في قولهم انها الان غير مخلوقة وستخلق
ذلك اي الموعود من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه يؤتيه من يشاء وهم الموصوفون
ما اصاب من مصيبة اي مصيبة وذكر فعلها وهو جائز التذكير والتانيث
ومن التانيث ما تسبق من امة اجلها ولفظ مصيبة يدل على الشر لكن عرفها ذلك
قال ابن عباس ما معناه انه اراد عرف المصيبة وهو استعمالها في الشر وخصها بالذكر
لانها الاهم على البشر والمصيبة في الارض مثل القحط والزلزلة وعاهة الزرع وفي
الانفس الاسقام والموت وقيل المراد بالمصيبة الحوادث كلها من خير وشر الا في
كتاب هو اللوح المحفوظ اي مكتوبة فيه من قبل ان نبراها اي نخلقها والضمير في
نبراها الظاهر انه يعود على المصيبة لانها هي المحدث عنها وذكر الارض والانفس
هو على سبيل ذكر المصيبة وقيل يعود على الارض وقيل على الانفس قاله
ابن عباس وجماعة وذكر المهدوي جواز عود الضمير على جميع ما ذكر وقال ابن
عطية وهي كلها معان صحاح لان الكتاب السابق ازلي قبل هذه كلها انتهى ان
ذلك اي تحصيل كل ما ذكر في كتاب وتقديره على الله يسير اي سهل وان
كان عسيرا على العباد ثم بين تعالى الحكمة في اعلامنا بذلك الذي يفعله من تقدير ذلك
وعلمه ان ما فاته لم يكن ليصيبه وما اصابه لم يكن ليخطئه فلذلك لا يحزن على فائت
لانه ليس بصدد ان يناله ولا يفرح بما ناله لانه ليس بصدد ان يفوته فيهون عليه
امر حوادث الدنيا اذ قد وطن نفسه على هذا العقد وظاهر ان المراد

بقوله لكي لا تحزنوا على ما فاتكم ان يلحق الحزن الشديد على ما فات من الحزن فيحدث
عنه السخط وعدم الرضا بالمقدور ولا تفرحوا بما اتاكم ان يفرح الفرح المؤدي
به الى البطر المنهي عنه في قوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين فان الحزن قد ينشا
عنه السخط والفرح قد ينشا عنه البطر ولذا ختم بقوله ان الله لا يحب كل مختال
فخور فالفرح بما ناله من حطام الدنيا يلحقه في نفسه الخيلاء والافتخار والتكبر على
الناس فمثل هذا هو المنهي عنه واما الحزن على ما فات من طاعة الله والفرح بنعم الله
والشكر عليها والتواضع فهو مندوب اليه وقال ابن عباس ليس احد الا يحزن ويفرح
ولكن من اصابته مصيبة فجعلها صبرا ومن اصابه خير فجعله شكرا انتهى يعني
فهو المحمود قال الزمخشري فان قلت فلا احد يملك نفسه عند مضرة تنزل
به ولا عند منفعة ينالها ان لا يحزن ولا يفرح قلت المراد الحزن المخرج الى
ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الله الصابرين والفرح
المطغي الملهي عن الشكر فلا باس به انتهى وقرا الجمهور بما اتاكم اي اعطاكم وعبد الله
اوتيتم مبنيا للمفعول اي اعطيتم وابو عمرو بما اتاكم اي جاءكم الذين يبخلون اي هم
الذين يبخلون او يكون الذين مبتدا محذوف الخبر على جهة الابهام تقديره مذمومون
او موعودون بالعذاب او مستغنى عنهم او على اضمار اعني فهو في موضع نصب
صفة لكل مختال وان كان نكرة فهو يخصص نوعا ما فيسوغ لذلك وصفه بالمعرفه
قال ابن عطية وهذا مذهب الاخفش انتهى عظمت الدنيا في اعينهم فبخلوا ان يؤدوا
منها حقوق الله وما كفاهم ذلك حتى امروا الناس بالبخل ورغبوهم في الامساك
والظاهر انهم امروا الناس حقيقة وقيل كانوا قدوة فكانهم يامرون به
ومن يتول عما امر الله به وقرا الجمهور فان الله هو الغني وابن عامر باسقاط هو
وكذا في مصاحف المدينة والشام وكلتا القراءتين متواتر فمن اثبت هو فقال ابو علي
الفارسي يحسن ان يكون فصلا ولا يحسن ان يكون ابتداء لان حذف الابتداء غير
سائغ انتهى يعني انه في القراءة الاخرى حذف ولو كان مبتدا لم يجز حذفه لا ترى اذا قلت
ان زيدا هو الفاضل فاعربت هو مبتدا لم يجز حذفه لان ما بعده من قولك الفاضل
صالح ان يكون خبر الان فلا شي دليل على المحذوف وما ذهب اليه ابو علي ليس

بشيء لانه بنى ذلك على توافق القراءتين وتركب احداهما على الاخرى وليس كذلك الا
ترى انه يكون قراءتان في لفظ واحد ولكل منهما توجيه يخالف الاخر كقراءة من قرا
والله اعلم بما وضعت بضم التاء والقراءة الاخرى بما وضعت بالتاء الساكنة بضم التاء
فبعض الجملة من كلام ام مريم على قراءة وبعضها من كلام الله تعالى وهذا
لنوع القراءات المتواترة فكذلك يجوز ان يكون مبتدا في قراءة من اثبته وان كان لم يرد
في القراءة الاخرى ولكل من القراءتين في الاعراب حكم يخصه لقد ارسلنا رسلنا بالبينات
الظاهر ان الرسل هنا هم من بني ادم والبينات الحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب
اسم جنس ومعهم حال مقدرة اي وانزلنا الكتاب صائرا معهم اي مقدرا صحبته لانه
الرسل منزلين هم والكتاب ولما اشكل لفظ معهم على الزمخشري فسر الرسل بغيرها
فسرناه فقال لقد ارسلنا رسلنا يعني الملائكة الى الانبياء بالحجج والمعجزات وانزلنا
معهم الكتاب اي الوحي والميزان روي ان جبريل نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال
مر قومك يزنوا به وانزلنا الحديد ... نزل ادم من الجنة ومعه خمسة اشيا
من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة روي ومعه المر والمسحاه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله انزل اربع بركات من السما الى الارض انزل الحديد
والنار والماء والملح انتهى واكثر المتاولين على ان المراد بالميزان العدل وقال ابن زيد
وغيره اراد الموازين المصرفة بين الناس وهذا جزء من العدل ليقوم الناس بالقسط
الظاهر انه علة لانزال الميزان فقط ويجوز ان يكون علة لانزال الكتاب والميزان
معا لان القسط في جميع الاشيا من شارع التكاليف فانه لا جور في شي منها وكذلك
جا شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط وانزلنا الحديد
عبر عن الخلق بالانزال كما قال وانزل لكم من الانعام وايضا فان الامر يكون
الاشيا يتلقى من السما فجعل الكل نزولا منها قاله ابن عطية وقال الجمهور اراد
بالحديد جنسه من المعادن وقال ابن عباس نزل ادم من الجنة ومعه السندان والكلبتان
والميقعة فيه باس شديد اي السلاح الذي يباشر به القتال ومنافع للناس في
مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم فما من صناعة الا والحديد اله فيها وليعلم الله علة
لانزال الكتاب والميزان والحديد من ينصره ورسله بالحجج والبراهين المنبعثة من

الكتب المنزلة وبإقامة العدل وبما يعمل منه آلة الحرب للجهاد في سبيل الله قال ابن
عطية أي ليعلمه موجودا فالتغيير ليس في علم الله بل في هذا الحدث الذي خرج من العدم
إلى الوجود وقوله بالغيب معناه بما سمع من الأوصاف الغائبة عنه فآمن بها لقيام
الأدلة عليها ولما قال تعالى من ينصره ورسله ذكر تعالى أنه غني عن نصرتهم
بقوته وعزته وأنه إنما كلفهم الجهاد لمنفعة أنفسهم وتحصيل ما يترتب لهم
من الثواب وقال ابن عطية وضربت بمعنى الآية فإن الله تعالى أرسل رسله
وأنزل كتبا وعدلا مشروعا وسلاحا يحارب به من عاند ولم يهتد بهدى
الله فلم يبق عذر في الآية على هذا التأويل حجة على الضلال ولقد أرسلنا نوحا
وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون
ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب
الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان
الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم
نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على
شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
لما ذكر تعالى إرسال الرسل جملة أفرد منهم في هذه الآية نوحا وإبراهيم تشريفا
لهما بالذكر أما نوح فلأنه أول الرسل إلى من في الأرض وأما إبراهيم فلأنه انتسب
إليه أكثر الأنبياء وهو معظم في كل الشرائع ثم ذكر أشرف ما حصل لذريتهما وذلك
النبوة وهي التي بها هدى الناس من الضلالة والكتاب وهي الكتب الإلهية الأربعة
التوراة والزبور والإنجيل والقرآن وهي جميعها في ذرية إبراهيم عليه السلام وإبراهيم
من ذرية نوح فصدق أنها في ذريتهما وفي مصحف عبد الله والنبية مكتوبة بالياء عوض
الواو وقال ابن عباس والكتاب الخط بالقلم والظاهر أن الضمير في فمنهم عائد على الذرية
وثم قفينا يعود على الرسل الذين تقدم ذكر الإرسال والمرسلين عليهم ومع إرسال
المرسلين إنزال الكتب وإزاحة العلل بذلك فمنهم المهتد وفاسق وكثير بالفسق
من الكثير منهم ثم قفينا أي أتبعنا وجعلنا يقفو من تقدم على آثارهم على آثار الذرية

برسلنا

برسلنا وهم الرسل الذين جاءوا بعد الذرية وقفينا بعيسى ذكر تشريفا له ولانتسابه لأمه ولنسبته
إلى أمه على العادة في الإخبار عنه وتقدم الكلام في قراءة الحسن الإنجيل بفتح الهمزة في أول سورة
آل عمران قال أبو الفتح وهو مثال لا نظير له وقيل هي لفظة أعجمية فلا يلزم فيها أن تكون
على أبنية كلام العرب وقال الزمخشري أمره أهون من أمر البرطيل يعني أنه بفتح الباء وكأنه عرب
وأما الإنجيل فأعجمي وقرئ رآفة على وزن فعالة وجعلنا يحتمل أن تكون بمعنى خلقنا كقوله
وجعل الظلمات والنور ويحتمل أن تكون بمعنى صيرنا فيكون في قلوب في موضع المفعول الثاني
لجعلنا ورهبانية منصوب على ما قبله فيكون داخلا في الجعل ابتدعوها جملة في موضع الصفة لرهبانية
وخصت الرهبانية بالابتداع لأن الرأفة والرحمة في القلب لا تكسب للإنسان فيها بخلاف
الرهبانية فإنها أفعال بدن مع شيء في القلب ففيها موضع للتكسب قال قتادة الرأفة والرحمة
من الله والرهبانية هم ابتدعوها والرهبانية رفض الدنيا وشهواتها من النساء وغيرهن
واتخاذ الصوامع وجعل أبو علي الفارسي ورهبانية منقطعة من العطف على ما قبلها من
رأفة ورحمة فانتصب عنده ورهبانية على إضمار فعل يفسره ما بعده فهو من باب
الاشتغال أي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها واتبعه الزمخشري فقال وانتصابها بفعل
مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها يعني وأحدثوها من عند أنفسهم
ونذروها انتهى وهذا إعراب المعتزلة وكان أبو علي معتزليا وهم يقولون ما كان
مخلوقا لله لا يكون مخلوقا للعبد فالرأفة والرحمة من خلق الله والرهبانية من ابتداع
الإنسان فهي مخلوقة له وهذا الإعراب الذي لهم ليس بجيد من جهة صناعة العربية
لأن مثل هذا هو مما يجوز فيه الرفع بالابتداء ولا يجوز الابتداء هنا بقوله ورهبانية
لأنها نكرة لا مسوغ لها من المسوغات للابتداء بالنكرة وروي في ابتداعهم الرهبانية أنهم
افترقوا ثلاث فرق ففرقة قاتلت الملوك على الدين فغلبت وقتلت وفرقة قعدت
في المدن يدعون إلى الله ويبينونه ولم تقاتل فأخذها الملوك فنشروهم بالمناشير وقتلوا
وفرقة خرجت إلى الفيافي وبنت الصوامع والديارات وطلبت أن تسلم على أن تعتزل
فتركت والرهبانية معناها الفعلة المنسوبة إلى الرهبان وهو الخائف من فعلان
من رهب كالخشيان من خشي وقرئ ورهبانية بالضم قال الزمخشري كأنها نسبة
إلى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان انتهى والأولى أن يكون منسوبا إلى

لا رهبان وعن بعض الراسخين السنة باب معتبر ولو كان منسوبا الى برهان
الجمع لردا الى مفرد وكان تعالى ما يفيد الا ان مع صاحب كالعلم فانه بخشيته لبيه
على لفظه الاخبارية الظاهرات الا ابتغاء رضوان الله استثناء متصل مما هو
مفعول من اجله وصار المعنى انه تعالى كتبها عليهم ابتغاء مرضاته وهذا قول
مجاهد ويكون كتب بمعنى قضى وقال قتادة وجماعة والمعنى لم نفرضها عليهم ولكنهم
فعلوا ذلك ابتغاء رضوان الله فالا استثناء على هذا منقطع اي لكن ابتدعوها
لابتغاء رضوان الله والظاهر ان الضمير في رعوها عايد على ما عاد عليه في ابتدعوها
وهو ضمير الذين ابتدعوا اي لم يرعوها كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد
مع الله لا يحل نكثه وقال يحيى بن زيد قال لم يدوموا على ذلك ولا وفوا حقه بل
غيروا وبدلوا او على بعد من ان منهم من رعى يكون المعنى فما رعوها باجمعهم وقال
ابن عباس وغيره الضمير للملوك الذين حاربوهم واخرجوهم وقال الضحاك وغيره الضمير
للاخلاف الذين جاؤوا بعد المبتدعين لها فاتينا الذين امنوا وهم اهل الرافة
والرحمة الذين اتبعوا عيسى عليه السلام وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم
يحافظوا على نذرهم او فاتينا المؤمنين الذين منهم الرهبانية اجرهم وكثير منهم
فاسقون وهم الذين لم يرعوها يا ايها الذين امنوا الظاهر انه نداء لمن امن من امة
محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى امنوا دوموا واثبتوا او هذا المعنى لكل امر يكون المامور
ملتبسا بما امر به يؤتكم كفلين قال ابو موسى الاشعري كفلين ضعفين
بلسان الحبشة والمعنى انه يؤتكم مثل ما وعد من امن من اهل الكتاب كفلين
في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين انهم مسلمين الا بما تقدم لا يفرقون بين احد من رسله
وروي ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المومنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين
وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقيل النداء متوجه لمن امن من اهل الكتاب فالمعنى
يا ايها الذين امنوا بموسى وعيسى امنوا بمحمد يؤتكم الله كفلين اي نصيبين من رحمته
وذلك لايمانكم بمحمد وايمانكم بمن قبله من الرسل ويجعل لكم نورا تمشون به وهو النور
المذكور في قوله يسعى نورهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي ويؤيد هذا المعنى
ما ثبت في الصحيح ثلاثة يؤتيهم الله اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب امن بنبيه

وآمن

وامن بي الحديث لئلا يعلم اهل الكتاب الذين لم يسلموا انهم لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من
الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم
يكسبهم فضلا قط واذا كان النداء لمؤمني هذه الامة والامر لهم فروي انه لما نزل
هذا الوعد لهم حسدتهم اهل الكتاب وكانت اليهود يعظمون دينها وانفسها ويزعمون انهم
احباء الله واهل رضوانه فنزلت هذه الاية معلمة ان الله تعالى فعل ذلك واعلم به ليعلم
اهل الكتاب انهم ليسوا كما يزعمون وقرا الجمهور لئلا يعلم ولا زائدة كهي في قوله ما منعك
الا تسجد وفي قوله انهم لا يرجعون في بعض التاويلات وقرا خطاب بن عبد الله لان
يعلم وعبد الله بن عباس وعكرمة والجحدري وعبد الله بن سلمة على اختلاف ليعلم والحسن
والجحدري ليعلم اصله لان يعلم قلب الهمزة ياء لكسرة ما قبلها وادغم النون في الياء بغير
غنة لقراة خلف ان يضرب بعير عنه وروى ابن مجاهد عن الحسن ليلا مثل ليلى
اسم المراة يعلم برفع الميم اصله لان لا بفتح لام الجر وهي لغة فحذفت الهمزة اعتباطا
وادغمت النون في اللام فاجتمعت الامثال وثقل النطق به فابدلوا من الساكنة
ياء فصار ليلا ورفع الميم لان ان هي المخففة من الثقيلة لا الناصبة للمضارع اذ الاصل
لانه لا يعلم وقطرب عن الحسن ليلا بكسر اللام وتوجيهه كالذي قبله الا انه كسر اللام
على اللغة المشهورة في لام الجر وعن ابن عباس كي يعلم وعنه لكيلا يعلم وعن عبد الله بن جبير
وعكرمة لكي يعلم وقرا الجمهور انهم لا يقدرون بالنون فان هي المخففة من الثقيلة وعبد الله
يقدروا فان الناصبة للمضارع [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول
التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير الذين
يظاهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من
القول وزورا وان الله لعفو غفور والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا
فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام
شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك
لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم ان الذين يحادون الله ورسوله
كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد انزلنا ايات بينات وللكافرين عذاب مهين يوم

يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد الم تر ان الله
يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة
الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اين ما كانوا ثم ينبئهم بما
عملوا يوم القيامة هذه السورة مدنية قال الكلبي الا قوله ما يكون من
نجوى ثلثة الا هو رابعهم وعن عطاء العشر الاول منها مدني وما بعدها مكي وقرا الجمهور
قد سمع بالبيان وابو عمرو وحمزة والكسائي وابن محيصن بالادغام وقال خلف بن
هشام المقرئ سمعت الكسائي يقول من قرا قد سمع فبين الدال عند السين فلسانه اعجمي
ليس بعربي ولا يلتفت الى هذا القول فالجمهور على البيان والتي تجادلك هي خولة
بنت ثعلبة ويقال بالتصغير او خولة بنت خويلد او خولة بنت حكيم بنت دليج او جميلة
او خولة بنت الصامت اقوال للسلف واكثر الرواة على ان الزوج في هذه النازلة
اوس بن الصامت اخو عبادة وقال سلمة بن صخر البياضي ظاهر من امراته
قال ابو قلابة ويقال كان الظهار في الجاهلية يوجب عندهم فرقة مؤبدة ولما ظاهر
من امراته اوس قالت زوجته يا رسول الله اكل اوس شبابي ونثرت له بطني
فلما كبرت ومات اهلي ظاهر مني فقال لها ما اراك الا قد حرمت عليه فقالت يا رسول
الله لا تفعل فاني وحيدة ليس لي اهل سواه فراجعها بمثل مقالته فراجعته فهذا هو الجدال
وكانت في خلال ذلك تقول اللهم ان لي منه صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان
ضممتهم الي جاعوا فهذا اشتكاؤها الى الله فنزل الوحي عند جدالها قالت عائشة تبارك الذي
وسع سمعه الاصوات كان بعض كلام خولة يخفى علي وسمع الله جدالها فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اوس وعرض عليه كفارة الظهار العتق فقال ما املك
والصوم قال ما اقدر والاطعام قال لا اجد الا ان تعينني فاعانه عليه السلام
بخمسة عشر صاعا ودعا له فكفر بالاطعام وامسك اهله وكان عمر يكرم خولة اذا دخلت
عليه ويقول قد سمع الله لها قال الزمخشري معنى قد التوقع لانه عليه السلام
والمجادلة كانا يتوقعان ان يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج
عنها انتهى وقرا الحرميان وابو عمرو يظهرون بشد الظاء والهاء وابن عامر يظاهرون
مضارع اظاهر والحسن وابو جعفر وقتادة وعاصم وزر بن حبيش يظاهرون مضارع

ظاهر

ظاهر وابي يتظاهرون مضارع تظاهر وعنه يتظهرون مضارع تظهر والمراد به كلم الظهار وهو قول
الرجل لامراته انت علي كظهر امي يريد في التحريم اشار الى الركوب اذ يركب في ظهور الحيوان
والمعنى انه لا يعلونها كما لا يعلون امهاتهم ولذلك جاء في مقابله ذلك نزلت عن
امراتي اي طلقتها وقوله منكم اشارة الى توبيخ العرب وتهجين عادتهم في الظهار لانه
كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم وقرا الجمهور امهاتهم بالنصب
على لغة الحجاز والمفضل عن عاصم بالرفع على لغة تميم وابن مسعود بامهاتهم بزيادة الباء قال
الزمخشري في لغة من ينصب انتهى يعني انه لا تزاد الباء في لغة تميم والزمخشري تبع ذلك
ابا علي الفارسي انه لما كان معنى كظهر امي كامي في التحريم ولا يراد خصوصية الظهر
التي هي من الجسد جاء النفي بقوله ما هن امهاتهم ثم اكد ذلك بقوله ان امهاتهم اي حقيقة
الا اللائي ولدنهم والحق بهن في التحريم امهات الرضاع وامهات المؤمنين ازواج الرسول
عليه السلام والزوجات لسن بامهات حقيقة ولا ملحقات بهن فقول المظاهر منكر من
القول تنكره الحقيقة وتنكره الشرع وزور كذب باطل منحرف عن الحق وهو محرم تحريم
المكروهات جدا واذا وقع لزم وقد رجى الله تعالى بعده بقوله وانه لعفو غفور مع الكفارة
وقال الزمخشري وان الله لعفو غفور لما سلف منه اذا تاب عنه ولم يعد اليه ثم
قسمه اليه والظاهر ان الظهار لا يكون الا بالام وحدها فلو قال انت علي
كظهر اختي او ابنتي لم يكن ظهارا وهو قول قتادة والشعبي وداود ورواية ابي ثور
عن الشافعي وقال الجمهور والحسن والنخعي والزهري والاوزاعي والثوري وابو حنيفة
ومالك والشافعي في قول هو ظهار والظاهر ان الذمي لا يلزمه ظهار لقوله منكم
اي من المؤمنين وبه قال ابو حنيفة وقال الشافعي يصح ظهاره والظاهر ان قوله
من نسائهم يشمل المدخول بها وغير المدخول بها من الزوجات فلو ظاهر منها قبل عقد
نكاحها وبه قال ابو حنيفة والشافعي لكونها ليست من نسائه وقال مالك يلزمه
ظهار اذا نكحها ويصح من المطلقة الرجعية وقال المزني لا يصح وقال بعض العلماء لا يصح
ظهار غير المدخول بها ولو ظاهر من امته التي يجوز له وطؤها لزمه عند ذلك وقال ابو حنيفة
والشافعي لا يلزم وسبب الخلاف هل تندرج في نسائهم ام لا والظاهر صحة ظهار العنين
لدخوله في يظاهرون منكم لانه من جملة المسلمين وان يعوز منه العتق والاطعام فهو

فهو قادر على الصوم وحكى الثعلبي عن مالك انه لا يصح ظهار ولست المراة منه رجب في
الذين يظهرون فلو ظاهرت لم يلزمها شي وقال الحسن بن زياد تكون مظاهرة
وقال الاوزاعي وعطاء واسحق وابو يوسف اذا قالت لزوجها انت علي كظهر فلانة
فهي يمين تكفرها وقال الزهري ارى ان تكفر كفارة الظهار ولا يحول قولها هذا بينها
وبين زوجها ان يصيبها والظاهر ان قوله ثم يعودون لما قالوا اللفظ الذي سبق
منهم وهو قول الرجل لامراته انت علي كظهر امي فلا يلزم الكفارة بالقول الاول وانما تلزم
بالثاني وهو مذهب اهل الظاهر وروي ايضا عن بكير بن عبد الله بن الاشج وابي
العالية وابي حنيفة وهو قول الفراء وقال طاوس وقتادة والزهري والحسن ومالك
وجماعة لما قالوا اي للوطء والمعنى لما قالوا انهم لا يعودون اليه فاذا ظاهر ووطئ تلزمه
الكفارة وان طلق او مات وقال ابو حنيفة ومالك ايضا والشافعي وجماعة معناه يعودون
لما قالوا بالعزم على الامساك والوطء فمتى عزم على ذلك لزمته الكفارة طلق او مات وقال
الشافعي العود الموجب للكفارة ان يمسك عن طلاقها بعد الظهار ويمضي بعده زمن يمكن ان
يطلقها فيه فلا يطلق وقال قوم المعنى والذين يظهرون من نسائهم في الجاهلية اي كان
الظهار عادتهم ثم يعودون الى ذلك في الاسلام وقاله القتبي وقال الاخفش فيه تقديم وتاخير
والتقدير فتحرير رقبة لما قالوا وهذا قول ليس بشي لانه يفسد نظم الاية فتحرير رقبة
اي فعليهم تحرير رقبة والظاهر انه تحرير مطلق وبه يجزي الكافرة وقال مالك والشافعي
شرطها الاسلام كالرقبة في كفارة القتل والظاهر اجزاء المكاتب لانه عبد ما بقي
عليه درهم وبه قال ابو حنيفة واصحابه وان عتق نصف عبد ثم نصفا اخر اجزأ وقال الشافعي
يجزي من قبل ان يتماسا لا يجزي والظاهر ان المظاهر حتى يكفر ... ولا يسقط
عنه الكفارة وقال مجاهد يلزمه كفارة اخرى وقيل يسقط الكفارة الواجبة عليه
ولا يلزمه شي وحديث سلمة بن صخر البياضي يرد على هذا القول وسوا كانت الكفارة بالعتق
ام الصوم ام الاطعام وقال ابو حنيفة اذا كانت بالاطعام جاز له ان يطأ ثم يطعم وهو ظاهر
ذلك في العتق قوله فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا اذ لم يقل فيه من قبل ان يتماسا
وتقييد ذلك في العتق والصوم والظاهر في التماس الجمع فلا يجوز له تقبيلها او مضاجعتها
او غير ذلك من وجوه الاستمتاع وهو قول مالك واحد قولي الشافعي وقال الاكثرون هو

الوط

الوطء فيجوز له الاستمتاع بغيره قبل التكفير وقاله الحسن والثوري وهو الصحيح من مذهب
الشافعي والضمير في يتماسا عائد على ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها ذلكم توعظون
به اشارة الى التحرير اي فعل عظة لكم لتنتهوا عن الظهار فمن لم يجد اي الرقبة ولا ثمنها اذا وجدها
او ثمنها وكان محتاجا اليه لذلك فقال ابو حنيفة يلزمه العتق ولو كان محتاجا الى ذلك ولا ينتقل
الى الصوم وهو الظاهر وقال الشافعي ينتقل الى الصوم والشهران بالاهلة وان جاء احدهما ناقصا
او بالعدد او بالاهلة يصوم الى الهلال ثم شهرا بالهلال ثم يتم الاول بالعدد والظاهر وجوب
التتابع فان افطر لغير عذر استانف او لعذر من سفر ونحوه فقال ابن المسيب والحسن وعطاء
ابن ابي رباح وعمرو بن دينار والشعبي ومالك والشافعي في احد قوليه يبني وقال النخعي وابن جبير
والحكم بن عتيبة والثوري واصحاب الراي والشافعي في احد قوليه والظاهر انه ... الرقبة
بعد ان شرع في الصوم انه يصوم ويجزيه وهو مذهب مالك والشافعي وقال ابو حنيفة وا...
يلزمه العتق ولو وطئ في ليالي الصوم بطل التتابع ويستانف وبه قال مالك وابو حنيفة وقال
الشافعي يبطل ان جامع نهارا لا ليلا فمن لم يستطع اي الصوم لزمانة به او لكونه يضعف
به ضعفا شديدا كما في حديث اوس لما قال له فهل تستطيع ان تصوم شهرين متتابعين
فقال والله يا رسول الله اني اذا لم اكل في اليوم والليلة ثلاث مرات كل بصري وخشيت ان
تعشو عيني والظاهر مطلق الاطعام وتخصيصه بما كانت العادة في الاطعام وقت
النزول وهو ما يشبع من غير تحديد بمد وهو مذهب مالك انه مد ... بالمد النبوي وروي
عنه وهب مدين بالمد النبوي وقيل مدا وثلثا وقيل مد بالمد النبوي وكذا استيعاب
العدد ... عند مالك والشافعي وهو الظاهر وقال ابو حنيفة واصحابه لو اطعم مسكينا واحدا
كل يوم نصف صاع حتى يكمل العدد اجزأه ذلك لتؤمنوا قال ابن عطية اشارة الى الرخصة
والتسهيل في النقل من التحرير الى الصوم والاطعام ثم شدد تعالى بقوله وتلك حدود الله اي
فالزموها وقفوا عندها ثم توعد الكافرين بهذا الحكم الشرعي وقال الزمخشري ذلك البيان والتعليم
للاحكام والتنبيه عليها لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره
ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين الذين لا يتبعونها
ولا يعملون عليها عذاب اليم انتهى ان الذين يحادون الله ورسوله نزلت في مشركي قريش اخزوا يوم
الخندق بالهزيمة كما اخزي من قاتل الرسل من قبلهم ولما ذكر المؤمنين الواقفين عند حدود

صحابه

ذكر الحادين المخالفين لهما والمحادة المعاداة والمخالفة في الحدود كبتوا قال قتادة اخزوا وقال السدي
لعنوا قبلي وهي لغة مذحج وقال ابن زيد وابو روق ردوا مخذولين وقال الفراء غيظوا يوم الخندق
كما كبت الذين من قبلهم اي من قاتل الانبياء قبلهم يوم بدر وقال ابو عبيدة والاخفش اهلكوا وعن ابي
عبيدة والتاء بدل من الدال اي كبدوا اصابهم داء في اكبادهم وقد والذين من قبلهم منافقوا
الامم وقد كبت بمعنى سيكبتون وهي بشارة للمؤمنين بالنصر وعبر بالماضي لتحقق وقوعه وتقدم الكلام
على هذه في الاعراب وقد انزلنا ايات على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة ما جاء به وللكافرين
الذين يحادونه عذاب مهين اي يذلهم ويهينهم ويذلهم والناصب ليوم يبعثهم العامل في للكافرين
او مهين او اذكروا او يكون على انه جواب لمن سال متى يكون عذاب هؤلاء فقيل له يوم يبعثهم
اي يكون يوم يبعثهم وانتصب جميعا على الحال اي مجتمعين في صعيد واحد ومعناه كلهم اذ جميع يشمل
المعنى فينبئهم بما عملوا تخجيلا لهم وتوبيخا احصاه محيط بما صدر منهم بنيته وكيفيته وزمانه ومكانه
ونسوه لاستحقارهم اياه واعتقادهم انه لا يقع عليه حساب شهيد لا يخفى عليه شيء وقرا الجمهور
ما يكون بالياء وابو جعفر وابو حيوة وشيبة بالتاء لتانيث النجوى قال صاحب اللوامح وان
بالجار فهي بمنزلة ما جاءتني من امراة الا ان الاكثر في هذا الباب التذكير على ما في القراءة
يعني قراءة العامة قال لانه مسند الى من نجوى وهو بمعنى الجنس وذلك مذكر انتهى وليس
الاكثر في هذا الباب التذكير لانه من زائدة والفعل مسند الى مؤنث فالاكثر التانيث
وهو الفصيح قال الله تعالى وما تاتيهم من اية من ايات ربهم ما تسبق من امة اجلها ويكون هنا
تامة ونجوى احتمل ان يكون مصدرا مضافا الى ثلاثة اي من تناجي ثلاثة او مصدرا على
حذف مضاف اي من ذوي نجوى او مصدرا اطلق على الجماعة المتناجين ثلاثة على هذين
المعربين قال ابن عطية بدل او صفة وقال الزمخشري صفة وقرا ابن ابي عبلة ثلاثة
وخمسة بالنصب على الحال والعامل يتناجون مضمر يدل عليه نجوى قال الزمخشري او على
تاويل نجوى بمتناجين ونصبها من المستكن فيه وقال ابن عطية على سرار نجوى وقال
ابن سراقة السرار ما كان بين اثنين والنجوى ما كان بين اكثر قيل
نزلت في المنافقين واعتضها له والخمسة ان المنافقين كانوا يتناجون على مقربة
العدو من غائظة لاهل الايمان ولهذا بعد الا في المواضع الثلاثة في موضع الحال ولو ثبته
تعالى رابعهم وسادسهم ومعهم هو بالعلم وادراك ما يتناجون به وقال ابن عباس نزلت

في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان ابن امية تحدثوا فقال احدهم اترى الله يعلم ما نقول فقال الاخر
يعلم بعضا ولا يعلم بعضا فقال الثالث ان كان يعلم بعضا فهو يعلمه كله ولا ادنى من ذلك
اشارة الى الثلاثة والخمسة والادنى من الثلاثة الاثنين ومن الخمسة الاربعة ولا اكثر
يدل على الستة فصاعدا وقرا الجمهور ولا اكثر عطفا على لفظ المخفوض وعلى موضع
نجوى ان اريد به المتناجون وابو حيوة وسلام ويعقوب بالرفع عطفا على موضع
نجوى ان اريد به المتناجون ومن جعله مصدرا محضا كان على حذف مضاف اي ولا
نجوى ادنى ثم حذف واقيم المضاف اليه مقامه فاعرب باعرابه ويجوز ان يكون ولا
ادنى مبتدا والخبر الا هو معهم فهو من عطف الجمل وقرا الحسن ايضا ومجاهد والخليل
ابن احمد ويعقوب ايضا ولا اكبر بالباء الموحدة والرفع احتمل الاعرابين العطف على الموضع
والرفع بالابتداء وقرئ ينبئهم بالتخفيف والهمز وزيد بن علي بالتخفيف وترك الهمز وكسر
الهاء والجمهور بالتشديد والهمز وضم الهاء **الم تر الى الذين نهوا عن النجوى** ثم يعودون
لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك
به الله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير
يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا
بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان ليحزن
الذين امنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون يا ايها الذين
امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا
يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير يا ايها الذين
امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم واطهر فان لم
تجدوا فان الله غفور رحيم ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا
وتاب الله عليكم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون
نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون دون المؤمنين وينظرون
اليهم ويتغامزون باعينهم عليهم موهمين المؤمنين عن اقربائهم انهم اصابهم شر فلا يزالون
كذلك حتى يقدم اقرباؤهم فلما كثر ذلك منهم شكا المؤمنون الى الرسول فامرهم
ان لا يتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا فنزلت قاله ابن عباس وقال مجاهد نزلت في

اليهود وقال ابن عباس في المنافقين وقرأ الجمهور ويتناجون وحمزة وطلحة والاعمش عيسى
ويحيى بن وثاب ورويس وينتجون مضارع انتجى بما لم يحيك به الله كانوا يقولون
السام عليك يعنون الموت فيرد عليهم وعليكم وتحية الله لنبيه وسلام على عباده
الذين اصطفى لولا يعذبنا الله بما نقول اى ان كان نبيا فلم لا يدعو علينا حتى
نعذب بما نقول فقال تعالى حسبهم جهنم ثم نهى المؤمنين ان تكون مناجاتهم مثل
مناجاة الكفار وبدأ بالاثم لعمومه ثم بالعدوان لعظمته في النفوس اذ هي ظلامات
العباد ثم ترقى الى ما هو اعظم وهو معصية الرسول وفي هذا المعنى على المنافقين
اذا كان تناجيهم في ذلك وقرأ الجمهور فلا تتناجوا وابن محيصن فلا تناجوا
وقرأ الكوفيون والاعمش وابو حيوة ورويس فلا تنتجوا مضارع انتجى
والجمهور بضم عين العدوان وابو حيوة بكسرها حيث وقع والضحاك ومعصيات
الرسول على الجمع والجمهور على الافراد وقرأ عبد الله اذا انتجيتم فلا تنتجوا ال
انما النجوى المعهودة نجوى الكفار بالاثم والعدوان لكونها من الشيطان لانه
هو الذي يزينها لهم وكانها منه ليحزن الذين امنوا كانوا يوهمون المؤمنين ان
غزاتهم غلبوا او ان اقاربهم قتلوا وليس اى التناجي او الشيطان او الحزن بضارهم
المؤمنين شيئا الا باذن الله اى بمشيئته فيقضي بالقتل او الغلبة قال ابن زيد هو نجوى
قوم من المسلمين يقصدون مناجاة الرسول وليس لهم حاجة ولا ضرورة يريدون
التبجح بذلك فيظن المسلمون ان ذلك في اخبار بعدو قاصد نحوهم وقال عطية
العوفي نزلت في المنامات التي يراها المؤمن في النوم فيسوءه وكانه نجوى يناجى بها
انتهى ولا يناسب هذا القول ما قبل الاية ولا ما بعدها وبعدت الغرابات في نحو
الحزن بذوى بعض الناس لرائي فيقولون الذين ما بهم وفي الرائي يقولون ولما نهى
تعالى المؤمنين عما هو سبب للتباغض والتنافر امرهم بما هو سبب للتواد والتقارب
فقال يا ايها الذين امنوا الاية قال مجاهد وقتادة والضحاك كانوا يتنافسون
في مجلس الرسول فامروا ان يفسح بعضهم لبعض وقال ابن عباس المراد مجالس القتال
اذا اصطفوا للحرب وقال الحسن ويزيد بن ابي حبيب كان الصحابة يتشاحون على
الصف الاول فلا يوسع بعضهم لبعض رغبة في الشهادة فنزلت وقرأ الجمهور تفسحوا

والحسن

والحسن وداود بن ابي هند وقتادة وعيسى تفاسحوا والجمهور في المجلس وعاصم وقتادة
وعيسى في المجالس وقرئ في المجلس بفتح اللام وهو الجلوس اى توسعوا في جلوسكم
ولا تتضايقوا فيه والظاهر ان الحكم مطرد في المجالس التي للطاعات وان كان
السبب مجلس الرسول وكذا مجالس العلم ويؤيده قراءة من قرأ في المجالس
وقيل الاية مخصوصة بمجلس الرسول ومن قرأ بالجمع فلان لكل احد مجلسا في بيت الرسول
والجزم يفسح الله لكم جواب الامر اى في رحمته او في منازلكم في الجنة او في قبوركم او في
قلوبكم او في الدنيا والاخرة اقوال واذا قيل انشزوا اى انهضوا في المجلس للتفسح لان
مريد التوسعة على الوارد يرتفع الى فوق فيتسع الموضع امروا اولا بالتفسح ثم ثانيا
بامتثال الامر فيه اذا امروا وقال الحسن وقتادة والضحاك معناه اذا دعوا الى
القتال او عن مجلس الرسول فانهضوا اذ كان عليه السلام احيانا يؤثر الانفراد في امر
الاسلام وقرأ ابو جعفر وشيبة والاعرج وابن عامر ونافع وحفص بضم الشين في اللفظين
والحسن والاعمش وطلحة وباقي السبعة بكسرها والظاهر ان قوله والذين اوتوا العلم
معطوف على الذين امنوا والعطف مشعر بالتغاير وهو من عطف الخاص على العام
وقيل والذين اوتوا العلم من عطف الصفات والمعنى يرفع الله المؤمنين والعلماء
درجات فالوصفان لذات واحدة وقال ابن مسعود وغيره تم الكلام عند قوله منكم
وانتصب والذين اوتوا العلم بفعل مضمر تقديره ويخص الذين اوتوا العلم درجات
فللمؤمنين رفع وللعلماء درجات بين يدي نجواكم استعارة والمعنى قبل نجواكم وعن ابن
عباس وقتادة ان قوما من المؤمنين واغفالهم كثرت مناجاتهم للرسول عليه السلام
في غير حاجة الا لتظهر منزلتهم وكان عليه السلام سمحا لا يرد احدا فنزلت مشددة
عليهم امر المناجاة وهذا الحكم قيل نسخ قبل العمل به وقال علي عمل به ساعة من نهار
وقال مقاتل عشرة ايام وقال علي ما عمل به احد غيري اردت المناجاة ولي دينار فصرفته
بعشرة دراهم وناجيت عشر مرار اتصدق في كل مرة بدرهم ثم ظهرت مشقة ذلك
على الناس فنزلت الرخصة في ترك الصدقة وقرئ صدقات بالجمع وقال ابن عباس هي
منسوخة بالاية بعدها وقيل باية الزكاة أأشفقتم اخفتم من ذهاب المال في الصدقة
او من العجز عن وجود ما تصدقون به فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وتاب الله عليكم

ورحمكم فاذا لم تفعلوا فلا تفرطوا في الصلوة والزكوة وسائر الطاعات وقرا
عباس عن ابي عمرو وحيثما يتلون بالنا من تحت والجمهور بالنا الم تر الى الذين
تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون
اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل
الله فلهم عذاب مهين لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون
انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله
اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون
الله ورسوله اولئك في الاذلين كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز لا تجد قوما
يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم
او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله
هم المفلحون الذين تولوهم المنافقون والقوم المغضوب عليهم اليهود قاله السدي
ومقاتل انه عليه السلام قال لاصحابه يدخل عليكم رجل قلبه قلب جبار وينظر
بعيني شيطان فدخل عبد الله بن سلول وكان ازرق اسمر قصيرا خفيف
اللحية فقال عليه السلام علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال له
فعلت فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت والجمهور ما هم عائد على الذين
تولوا وهم المنافقون اي ليسوا منكم ايها المؤمنون ولا منهم اي ليسوا من الذين تولوهم
اليهود وما هم استيناف اخبار بانهم مذبذبون لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء كما قال عليه
السلام مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين [illegible] مع المؤمنين بقوله مع
الكفار بقلبه وقال ابن عطية يحتمل تاويلا آخر وهو ان يكون قوله ما هم [illegible] ليس
لانهم تولوا مغضوبا عليهم ليسوا من انفسهم فيلزمهم ذمامهم ولا من القوم المحقين
فيكون الموالاة [illegible] والظاهر التاويل الاول لان الذين تولوهم عنهم
والضمير ويحلفون عائد عليهم [illegible] لهم ولا يختلف على هذا التاويل
يكون ما هم استينافا وجاز ان يكون حالا من ضمير تولوا وعلى احتمال ابن عطية يكون

ما هم صفة لقوم ويحلفون على الكذب اما انهم ما شتموا كما روي في سبب النزول او على انهم مسلمون
والكذب هو ما ادعوه من الاسلام وهم يعلمون جملة حالية تفيد فعلهم اي حلفوا على ما يعلمون انه
ما اختلقوا فالمعنى وهم عالمون متعمدون له والعذاب الشديد المعد لهم في الآخرة وقرا الجمهور
ايمانهم جمع يمين والحسن ايمانهم بكسر الهمزة اي ما يظهرونه من الايمان جنة اي ما يستترون
به ويتقون المحذور وهو السيف وصدوا اي اعرضوا او صدوا الناس عن الاسلام
اذ كانوا يثبطون من لقوا عن الاسلام ويضعفون امر الايمان واهله او صدوا المسلمين
عن قتلهم باظهار الايمان فهو سبيل الله فيهم لكنهم ما اظهروه من الاسلام صدوا به المسلمين
عن ذلك لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا تقدم الكلام على هذه الجملة في
اوائل آل عمران فيحلفون له اي لله تعالى الا ترى الى قولهم والله ربنا ما كنا مشركين كما يحلفون
لكم انهم مؤمنون وليسوا بمؤمنين والمعنى انهم لشدة تمردهم ان كفرهم يخفى على عالم الغيب
والشهادة ويجرونه مجرى المؤمنين في عدم اطلاعهم على كفرهم ونفاقهم والمقصود انهم معتادون
على الكذب قد تعودوا حتى كان على السنتهم في الآخرة كما كان في الدنيا ويحسبون انهم على
شيء بانفعهم استحوذ عليهم الشيطان اي احاط بهم من كل جهة وغلب على نفوسهم واستولى عليها
وتقدمت هذه المادة في قوله الم نستحوذ عليكم في سورة النساء [illegible] الحمار العانة
اذا ساقها وجمعها غالبا ومنه كان احوذيا نسيج وحده وقرا عمر استحاذ اخرجه على الاصل
والقياس واستحوذ شاذ في القياس فصيح في الاستعمال فانساهم ذكر الله فهم لا يذكرونه
لا بقلوبهم ولا بالسنتهم وحزب الشيطان جنده قاله ابو عبيدة اولئك في الاذلين هو افعل
التفضيل اي في جملة من هو اذل خلق الله لا ترى احدا اذل منهم وعن مقاتل لما فتح الله مكة للمؤمنين
والطائف وخيبر وما حولها قالوا نرجوا ان يظهرنا الله على فارس والروم فقال عبد الله بن ابي
اتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها والله انهم لاكثر عددا واشد بطشا
ان تظنوا فيهم ذلك فنزلت كتب الله لاغلبن انا ورسلي كتب اي في اللوح المحفوظ او قضى وقال
قتادة بمعنى قال ورسلي اي من بعث منهم بالحرب ومن بعث منهم بالحجة ان الله قوي ينصر
حزبه عزيز يمنعه من ان يذل لا تجد قوما قال الزمخشري من باب التخييل خيل ان من الممتنع
المحال ان تجد قوما مؤمنين يوادون المشركين والغرض منه انه لا ينبغي ان يكون ذلك
وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته والتصلب في مجانبة

صح

عشيرتهم

اليهما الله وزاد ذلك تاكيدا بقوله ولو كانوا اباءهم الاية بدا بالاباء لانه الواجب عن الاولاد طا
عتها لهم من موادتهم وقال تعالى ان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما
في الدنيا معروفا ثم ثنى بالابناء لانهم اعلق بالقلوب ثم اتى بالاخوان لانهم هم الناصر
كما قال اخاك اخاك ان من لا اخا له كساع الى الهيجا بغير سلاح
ثم رابعا بالعشيرة لان بها التناصر بهم المقاتلة والغلب والتسرع اذا ما دعوا كما قال
لا يسالون اخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا
وقرا الجمهور كتب مبنيا للفاعل في قلوبهم الايمان نصبا اي كتب الله وابو حيوة والمفضل
عن عاصم كتب مبنيا للمفعول والايمان رفع والجمهور او عشيرتهم على الافراد وابو رجا
على الجمع والمعنى اثبت الايمان في قلوبهم وايدهم بروح منه اي من عند الله وهو الهدى والنور
واللطف وقيل الروح القران وقيل جبريل يوم بدر وقيل الضمير منه عائد على الايمان
والايمان في نفسه روح يحيى به المؤمن والاشارة باولئك تنبيه الى الذين لا يوادون من
حاد الله ورسوله وقيل ان الاية نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وقيل الظاهر انها
متصلة باية النجوى في المنافقين الموالين لليهود وقيل نزلت في ابي بكر الصديق وبعض
كان منه سب للرسول فصكه ابو بكر صكة سقط منها فقال له الرسول عليه السلام او فعلت
قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا منه لقتلته وقيل في ابي عبيدة بن
الجراح قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد وفي ابي بكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز وفي مصعب
ابن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد وقال ابن مسعود يوم بدر وفي عمر قتل خاله العا
ص بن هشام يوم بدر وفي علي وحمزة وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة
والوليد بن عتبة يوم بدر وقال الواقدي في قصة عبيدة انه قتل اباه قال وكذلك يقول
اهل الشام ولقد سالت رجلا من بني الحارث فقالوا توفي ابوه قبل الاسلام اي يعنون في
الجاهلية قبل الاسلام وقد ذكرت المعتزلة ولو كانوا اباءهم او اخوانهم او عشيرتهم على
قصة ابي عبيدة وابي بكر ومصعب وعمر وعلي وحمزة وعبيدة مع اقربائهم اللينة
قال الاخفش كانه لون من النخل اي ضرب منه واصلها لونة قلبوا الواو ياء لسكونها وانكسار
ما قبلها وانشد قد شجاني الاحباب حين تغنوا بفراق الاحباب من فوق لينه
انتهى وجمعها لين كتمرة وتمر وقد كسروه على ليان وتكسير ما بينه وبين واحده الهاء هذا الباب

شاذ كرطبة ورطب سدر وانشد مما لو اراطاب وقال الشاعر
وسالفة كسحوق الليان اضرم فيها الغوي السعر
وقال ابو الحجاج الاعلم الليان جمع لينة وهي النخلة الناعمة والاحوال المغيرين في
اللينة اوجف السير حمله على الوجيف وهو السير السريع يقول وجف
البعير يجف وجفا ووجيفا ووجفانا قال العجاج
ناج طواه الاين مما وجفا
وقال نصيب
الا رب ركب قد قطعت وجيفهم اليك ولولا انت لم يوجف الركب
وهو مثل الايضاع ودون التقريب
بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات
وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم
لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم
يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا
يا اولي الابصار ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب
النار ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ما
قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين وما افاء الله
على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء
والله على كل شيء قدير ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما اتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب هذه
السورة مدنية وقيل نزلت في بني النضير وبنو النضير بعد من المدينة
لتاريخها ونزلت في بني النضير وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على
ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التوراة
لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف
في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فاخبر جبريل الرسول بذلك

فامر بقتله كعب فقتله محمد بن مسلمة غيلة وكان اخاه من الرضاعة وكان عليه
السلام قد اطلع منهم على خيانة حين اتاهم في دية المسلمين اللذين قتلهما عمرو
ابن امية الضمري منصرفه من بئر معونة فهموا بطرح الحجر على الرسول فعصمه
الله فلما قتل كعب امر الرسول بالمسير الى بني النضير وكانوا بقرية يقال
لها الزهرة فسار وهو عليه السلام على حمار مخطوم بليف فوجدهم ينوحون
على كعب وقالوا ذرنا نبكي شجونا ثم ائتمر امرك فقال اخرجوا من المدينة فقالوا
الموت احب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا عشرة ايام ليتجهزوا
للخروج ودس المنافقون عبد الله بن ابي انه لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن
معكم ولننصرنكم ولئن اخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها ثم اجمعوا
على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اخرج في ثلاثين من اصحابك ويخرج
منا ثلاثون ليسمعوا منك فان صدقوك امنا كلنا ففعل فقالوا كيف نفهم ونحن
ستون اخرج في ثلاثة ويخرج اليك ثلاثة من علمائنا ففعل فاشتملوا على الخناجر
واردوا الفتك فارسلت امرأة منهم ناصحة الى اخيها وكان مسلما فاخبر
بما ارادوا فاسرع الى الرسول فساره بخبرهم قبل ان يصل الرسول اليهم فلما كان
من الغد غدا عليهم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم
الرعب وايسوا من نصر المنافقين فطلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان
يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاؤوا من المتاع فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات
الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فلحقوا بخيبر ولحقت
طائفة بالحيرة وقبض اموالهم وسلاحهم فوجد خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة
واربعين سيفا وكان ابن ابي قد قال لهم معي الفان من قومي وغيرهم وبنو قريظة
وحلفاؤكم من غطفان فلما نازلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتزلتهم قريظة وخذلهم
ابن ابي وحلفاؤهم من بني غطفان ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر حال المنافقين
واليهود وتولي بعضهم بعضا ذكر ايضا ما حل باليهود من غضب الله عليهم وطلبهم
وامكان الله ورسوله ممن حاد الله ورسوله ورام الغدر بالرسول واظهر العداوة
بحلفهم مع قريش وتقدم الكلام في تسبيح الجمادات التي يشملها العموم المدلول عليه

بما من اهل الكتاب هم بنو النضير وكانت قبيلة عظيمة توازن في القدر والمنزلة
بني قريظة فقال لهما الكاهنان لانهما من ولد الكاهن بن هارون نزلوا قرب
المدينة في فتن بني اسرائيل انتظارا لمحمد صلى الله عليه وسلم وكان من امرهم ما
قصه الله في كتابه من ديارهم متعلق باخرج ومن اهل الكتاب متعلق بمحذوف اي كائنين
من اهل الكتاب وصحت الاضافة اليهم لانهم كانوا نزلوا برية لا عمران فيها فبنوا
فيها وانشؤوا واللام في لاول الحشر متعلق باخرج وهي لام التوقيت كقوله لدلوك
الشمس والمعنى عند اول الحشر والحشر الجمع للتوجه الى ناحية ما والجمهور على انه
الذين اخرجوا هم بنو النضير وقال الحسن هم بنو قريظة ورد عليهم بان بني قريظة ما حشروا
ولا اجلوا وانما قتلوا وهذا الحشر هو بالنسبة لاخراج بني النضير وقيل الحشر هو
حشر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتائب لقتالهم وهو اول حشر منه لهم واول قتال
قاتلهم واول يقتضي ثانيا فقيل الاول هو حشر الجلاء والثاني حشر عمر لاهل خيبر
وجلاهم وقد اخبر عليه السلام بجلاء اهل خيبر بقوله عليه السلام لا يبقين
دينان في جزيرة العرب وقال الحسن اراد حشر القيامة اي هذا اوله والقيام
من القبور اخره قال عكرمة والزهري المعنى لاول موضع الحشر وهو الشام وفي الحديث
انه عليه السلام قال لبني النضير اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر
وقيل الثاني نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب وهذا الجلاء كان في ابتداء
الاسلام واما الان فقد نسخ فلا بد من القتل او السبي او ضرب الجزية ما ظننتم
ان يخرجوا لعظم امرهم ومنعتهم وثوق حصونهم وكثرة عددهم وظنوا
انهم تمنعهم حصونهم من امر الله وباسه ولما كان ظن المؤمنين منفيا هنا اجرى
مجرى نفي الرجاء والطمع فتسلط على ان الناصبة للفعل كما تسلط الرجاء والطمع ولما
كان ظن اليهود قويا جدا يكاد ان يلحق بالعلم تسلط على ان المشددة وهي التي
يصحبها غالبا فعل التحقيق كعلمت وتحققت وايقنت وحصونهم الوطيح والنطاة
والسلالم والكتيبة وقال الزمخشري فان قلت اي فرق بين قولك وظنوا ان
حصونهم تمنعهم او مانعتهم وبين النظم الذي جاء عليه قلت في تقديم الخبر على
المبتدا دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد

الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم
او يطمع في معادتهم وليس ذلك في قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم اي يعني ان حصونهم
هو المبتدا وما نعتهم الخبر ولا يتعين هذا بل يجوز ان يكون حصونهم فاعلا بمانعتهم
لان في توجيهه بعدها وما خبرا او في اجازة مثله من نحو قائم زيد على الابتدا والخبر خلاف
ومن نصب اهل الكوفة ينبغي فاتاهم الله اي باسه من حيث لم يحتسبوا اي لم يكن في
حسابهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف قاله السدي وابو صالح ومن خرج
وذلك مما اضعف قوتهم وقذف في قلوبهم الرعب فسلب قلوبهم الامن والطمانينة
حتى نزلوا على حكم الرسول يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين قال قتادة خرب
المؤمنون من خارج ليدخلوا وخربوا هم من داخل ليخرجوا ونحوه قال الضحاك والزجاج
وعن ... لما كانوا اهل حرب المسلمين من حصونهم هدموا هم من البيت وحرروا الحصن
وقال الزهري وغيره كانوا لما ابيح لهم ما يستقل به الابل لا يدعون خشبة ولا
... به الا قلعوها وخربوا البيوت عنها ... المؤمنين اسناد التخريب
المهاجرين حيث كان المؤمنون يحاصرونهم ... داعية الى ذلك و...
... عليها سلبه يخربونها افسادا وقرا ... والجحدري ومجاهد وابو حيوة
وعيسى وابو عمرو يخربون مشددا وباقي السبعة مخففا والقراءتان بمعنى واحد
عدى خرب اللازم بالتضعيف وبالهمزة وقال صاحب الكامل القراءة التشديد
الاختيار على التكثير وقال ابو عمرو بن العلاء خرب بمعنى هدم وافسد واخرب
ترك الموضع خرابا وذهب عنه فاعتبروا يا اولي الابصار ... من اخراجهم
وتسلط المؤمنين عليهم من غير قتال ... رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسلمين ان يورثهم الله ارضهم واموالهم بغير قتال فكان كما قال ولولا ان كتب
الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا اي لولا انه تعالى قضى انه سيجليهم عن ديارهم
... من يؤمن بعضهم ويولد لبعضهم من يؤمن لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي
كما فعل باخوانهم بني قريظة وكانوا بنو النضير من الجيش الذي عصى موسى
كونهم لم يقتلوا الغلام ابن ملك العماليق ... وكان موسى عليه
السلام قال لهم لا تستحيوا احدا فلما رجعوا الى بني اسرائيل في الشام وجدوا

موسى قد مات فقال لهم بنو اسرائيل انتم عصاة الله والله لا دخلتم علينا بلادنا فانصرفوا
الى الحجاز فكانوا فيه فلم يجر عليهم الجلاء الذي اجلاه بخت نصر على اهل الشام وكان الله
قد كتب على بني اسرائيل حظا منه فاتاهم هذا الجلاء على يد محمد صلى الله عليه وسلم ولولا ذلك
لعذبهم في الدنيا بالسيف والقتل كاهل بدر وغيرهم وقال ... القوم عن ديارهم ...
عزمهم ... والفرق بين الجلاء والاخراج ان الجلاء ما كان مع الاهل والولد
والاخراج قد يكون مع بقاء الاهل والولد وقال الماوردي الجلاء لا يكون الا لجماعة والاخراج
يكون لواحد ولجماعة وقرا الجمهور الجلاء ممدودا والحسن بن صالح واخوه علي بن صالح
مقصورا وطلحة مهموزا ... ولهم في الاخرة عذاب النار اي ان نجوا
من عذاب الدنيا لم ينجوا في الاخرة وقرا طلحة ومن يشاقق بالاظهار كالمتفق عليه
في الانفال والجمهور بالادغام وكان بعض الصحابة قد شرع في بعض نخل بني النضير
يقطع ويحرق وذلك في صدر الحرب فقالوا انما نقطع ...
عن الفساد ... ونزل ما قطعتم من لينة الاية ردا على بني النضير واخبارا
ان ذلك بتسويغ لهم الله ... واللينة النخلة ... بمعنى واحد
قاله الحسن ومجاهد ... وعمرو بن ميمون وقال الشاعر

كان قتودي فوقها عش طائر على لينة سوقاء تهفو جنوبها

وقال الاخر

طراق الخوافي واقع فوق لينة ندى ليله في ريشه يترقرق

وقال ابن عباس وجماعة من اهل اللغة هي النخلة ما لم تكن عجوة وقال الثوري الكريمة من
النخل وقال ابو عبيدة وسفيان ما تمرها لون وهي نوع من التمر يقال له اللون قال
سفيان وهو شديد الصفرة يشف عن نواه فيرى من خارج وقال ايضا ابو عبيدة اللين
الوان النخل المختلطة التي ليس فيها عجوة ولا برني وقال جعفر بن محمد هي العجوة وقيل
هي الفسيلات واستشهد

غرسوا لينة بمجرى معين ثم حفوا النخل بالاجام

وقيل هي اغصان الاشجار للينها فعلة من اللين اصل الياء الواو وقيل هي
النخلة القصيرة وقال الاصمعي هي الدقل وما ... لينة ...

ما وجواب الشرط فباذن الله اي فقطعها او تركها باذن الله وقرا الجمهور قائمة انث
قائمة والضمير في تركتموها على معنى ما وقرا عبد الله والاعمش وزيد بن علي قوما على
وزن فعل كضرب جمع قائم وقرى قائما اسم فاعل مذكر على لفظ ما وانث في على
اصولها وقرى اصلها بغير واو ولما جلا بنو النضير عن اوطانهم وتركوا رباعهم واموالهم
طلب المسلمون تخميسها كغنائم بدر فنزل ما افا الله على رسوله منهم بين ان اموالهم
لم يوجف عليها خيل ولا ركاب ولا قطعت مسافة وانما كانوا ميلين من المدينة
مشوا مشيا ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر بن الخطاب كانت
اموال بني النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ينفق منها على اهله نفقة سنته
ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله وقال الضحاك كانت له عليه السلام
خاصة فاثر بها المهاجرين وقسمها عليهم ولم يعط الانصار منها شيا الا ابا دجانة
وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة اعطاهم لفقرهم وما في قوله وما افا الله شرطية او
موصولة وافا بمعنى يفي ولا يكون ماضيا في اللفظ والمعنى اذ يجعل الشرط لا يكون
ماضيا في المعنى وكذلك صلة ما الموصولة اذا كانت الفا دخل في خبرها لانها اذ ذاك شبهت
باسم الشرط فان كانت الاية نزلت قبل حصول مالهم كانت مخبرة بغيب
وقع كما اخبر وان كانت نزلت بعد حصول اموالهم للرسول كان ذلك بيانا
لما يستقبل وحكم الماضي المتقدم حكمه ومن في من خيل زائدة في المفعول تدل على الاستغراق
والركاب الابل سلط الله عليهم رسوله عليهم وعلى ما في ايديهم كما كان يسلط رسله
على من يشا من اعدايه وقال بعض العلما كل ما فتح على الائمة مما لم يوجف عليه فهذه
الجملة لانها ثابتة لك وقال فدك منها عن اجتبه عنها بعض رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما يصنع بما افا الله عليه وامره ان يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على
الاقسام الخمسة انتهى وقال ابن عطية اهل القرى المذكورون في هذه الاية هم اهل
الصفرا وينبع ووادي القرى وما هنالك من قرى العرب التي تسمى قرى عرينة وحكمها
مخالف لبني النضير ولم يحبس من هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه شيا بل
امضاها لغيره وذلك انها في ذلك الوقت فتحت انتهى وقيل ان الاية الاولى خاصة
في بني النضير وهذه الاية عامة وقرا الجمهور كيلا يكون باليا وعبد الله وابو جعفر وهشام

باليا

باليا والجمهور دولة بضم الدال ونصب التا وابو جعفر وابو حيوة وهشام بخلف عنه وعلي
والسلمي بفتحها قال عيسى بن عمر هما بمعنى واحد وقال الكسائي وحذاق البصرة الفتح
في الملك بضم الميم لانها الفعلة في الدهر والضم في الملك بكسر الميم والضم يكون بالناس
عائد على ما اذ المراد به الاموال والمغانم وذلك الضمير هو اسم يكون وكذلك من قرا باليا
اما والضمير على لفظ ما اي يكون الفي وانتصب دولة على الخبر ومن رفع دولة فيكون
تامة ودولة فاعل وكيلا يكون تعليل لقوله فلله وللرسول اي فالفي وحكمه لله وللرسول
يقسمه على ما امر الله كيلا يكون الفي الذي حقه ان يعطى للفقرا بلغة يعيشون بها
متداولا بين الاغنيا يتكاثرون به او كيلا يكون دولة جاهلية بينهم كما كان رؤساهم
يستاثرون بالغنائم ويقولون من عزبز والمعنى كيلا يكون اخذه غلبة واثرة جاهلية
وروي ان قوما من الانصار تكلموا في هذه القرى المفتتحة وقالوا لنا منها سهمنا فنزل
وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وعن الكلبي ان روسا من المسلمين قالوا له يا رسول
الله خذ صفيك والربع ودعنا والباقي فهكذا كنا نفعل في الجاهلية فنزل وما اتاكم الاية
وهذا عام يدخل فيه قسمة ما افا الله والغنائم وغيرها حتى انه استدل بعموم هذا على تحريم الخمر
وحكم الواشمة والمستوشمة وتحريم المخيط للمحرم ومن غريب الحكايات في الاستنباط ان الشافعي
قال سلوني عما شئتم اخبركم به من كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عبد الله بن
محمد بن هرون ما تقول في المحرم يقتل الزنبور فقال قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا وحدثنا سفين بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن خراش عن
حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر
وحدثنا سفين بن عيينة عن مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن
عمر بن الخطاب انه امر بقتل الزنبور انتهى يعني في الاحرام بين انه يقتدي بعمر وان الرسول
امر بالاقتدا به وان الله امر بقبول ما يقول رسوله صلى الله عليه وسلم **للفقرا المهاجرين**
الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون
الله ورسوله اولئك هم الصادقون والذين تبوءو الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر
اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن
يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا

الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم ألم تر إلى
الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع
فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا
ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك
بأنهم قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدار بأسهم بينهم شديد تحسبهم
جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون للفقراء قال الزمخشري بدل من قوله ولذي
القربى والمعطوف عليه والذي   لا يبدل من لله وللرسول والمعطوف عليهما وإن كان
المعنى لرسول الله أن الله عز وجل أخرج رسوله من الفقراء في قوله وينصرون الله ورسوله وأنه
يترفع برسول الله صلى الله عليه وسلم عن التسمية بالفقير وأن الإبدال على ظاهر اللفظ من خلاف
الواجب في تعظيم الله عز وجل انتهى وإنما جعله الزمخشري بدلا من قوله ولذي القربى لأن الفقر
في الفقر شرط فيه على مذهب أبي حنيفة فتبع الزمخشري مذهبه وأما الشافعي فيرى
أن سبب الاستحقاق هو القرابة فيأخذ ذو القربى الغني والفقير وقال ابن عطية
للفقراء المهاجرين بيان لقوله والمساكين وابن السبيل وكررت لام الجر لما كانت الأولى
مجرورة باللام ليبين أن البدل إنما هو منها انتهى ويبتغون فضلا من الله حال دل عليه
قوله كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم أي ولكن يكون للفقراء ووصف تعالى المهاجرين
بما يقتضي فقرهم ويوجب الاستحقاق عليهم أولئك هم الصادقون أي في إيمانهم وجهادهم قولا
وفعلا والظاهر أن قوله والذين تبوءوا معطوف على المهاجرين وهم الأنصار فيكون قد
وقع بينهم الاشتراك فيما يقسم من الأموال وقيل هو مستأنف مرفوع بالابتداء والخبر
يحبون أثنى عليهم تعالى بهذه الخصال الجليلة كما أثنى على المهاجرين بقوله يبتغون فضلا
الدار والإيمان أي تبوءوا الإيمان وأخلصوا فيه قاله أبو علي فيكون كقوله

علفتها تبنا وماء باردا

أو يكون ضمن تبوءوا معنى لزموا واللزوم قدر مشترك في الدار والإيمان فيصح العطف أو لما
كان الإيمان قد شملهم صار كالمكان الذي يقيمون فيه لكن يكون ذلك جمعا بين الحقيقة
والمجاز وقال الزمخشري أو أراد دار الهجرة ودار الإيمان فأقام لام التعريف في الدار مقام
المضاف إليه وحذف المضاف من دار الإيمان ووضع المضاف إليه مقامه وسمى المدينة لأنها

دار

دار الهجرة ومكان ظهور الإيمان وقال ابن عطية تبوءوا الدار مع الإيمان معا وبهذا الاقتران
يصح معنى قوله من قبلهم فتأمله انتهى ومعنى من قبلهم من قبل هجرتهم حاجة هنا أي حسدا مما
أوتوا أي مما أعطي المهاجرون ويعم الحاجة جميع ما فعله الرسول من إعطاء المهاجرين من أموال
بني النضير والقرى ويؤثرون على أنفسهم من ذلك قصة الأنصاري مع ضيف الرسول
حيث لم يكن لهم إلا ما يأكل الصبية فأوهمه أنه يأكل حتى أكل الضيف فقال له الرسول
عجب الله من فعلكما البارحة بالآية مشيرا إلى ذلك وروي غير ذلك في إيثارهم والخصاصة
الفاقة مأخوذ من خصاص البيت وهو ما يبقى بين عيدانه من الفرج والفتوح فكأن حال
الفقير هي كذلك يتخللها النقص والاحتياج وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة ومن يوق
بفتح الواو وشد القاف وابن عمر وابن أبي عبلة شح بكسر الشين والجمهور بإسكان
الواو وتخفيف القاف وضم الشين والشح اللؤم وهو كزازة النفس على ما عندها
والحرص على المنع قال الشاعر

يمارس نفسا بين جنبيه كزة إذا هم بالمعروف قالت له مهلا

وأضيف الشح إلى النفس لأنه غريزة فيها قال تعالى وأحضرت الأنفس الشح وفي الحديث
من أدى الزكاة المفروضة وقرى الضيف وأعطى في النائبة فقد برئ من الشح والذين
جاءوا من بعدهم الظاهر أنه معطوف على ما قبله من المعطوف على المهاجرين وهم
الفرقة الثالثة من الصحابة وهي من آمن أو كثر إيمانه في آخر مدة النبي صلى الله عليه
وسلم وقال الجمهور أراد من يجيء من التابعين فعلى القول الأول يكون معنى من بعدهم
أي من بعد المهاجرين والأنصار السابقين بالإيمان وهموا بإحراز إيمانهم أو سبق
إيمانه وما جرت وفاته حتى انقرض معظم المهاجرين والأنصار وعلى القول الثاني يكون
معنى من بعدهم أي من بعد وفاة الصحابة مهاجريهم وأنصارهم وإذا كان
والذين معطوفا على المجرور قبله فالظاهر أنهم مشاركو من تقدم في حكم الفيء
وقال مالك بن أوس قرأ عمر إنما الصدقات للفقراء فقال هذه لهؤلاء ثم قرأ واعلموا
أنما غنمتم الآية فقال هذه لهؤلاء ثم قرأ ما أفاء الله على رسوله حتى بلغ للفقراء المهاجرين
والذين تبوءوا الدار والإيمان والذين جاءوا من بعدهم ثم قال لئن عشت ليأتين
الراعي وهو بسرو حمير نصيبه منها وفيه أيضا أنه استوعبا والمهاجرين والأنصار

وفيما فتح الله عليه من ذلك في كلام آخر انه بين ما افاء الله على رسوله الآية مما بلغ او لكد
ثم الصادقون قال ما لهم لم يحولا فقط وبل والذين جاؤا من بعدهم الى قوله رؤوف رحيم
ثم قال ما بقي احد من اهل الاسلام الا وقد دخل في ذلك وقال عمر لولا من يأتي من آخر
الناس ما فتحت قرية الا قسمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وقيل
والذين جاؤا من بعدهم مقطوع مما قبله معطوف عطف الجمل لا عطف المفردات
فاعرابه والذين مبتدأ يدعون بالدعاء للاولين والثناء عليهم وهم من يجيء بعد الصحابة
الى يوم القيامة والخبر يقولون اخبر تعالى عنهم انهم لايمانهم ومحبة اسلافهم يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا وعلى القول الاول يكون يقولون استئنافا اخبارا عن حال او
حال الم تر الى الذين نافقوا الآية نزلت في عبد الله بن ابي ورفاعة بن التابوت
وقوم من منافقي الانصار كانوا بعثوا الى بني النضير بما تضمنته الجمل المحكية
بقوله يقولون واللام في لاخوانهم للتبليغ والاخوة بينهم اخوة الكفر وموالاتهم
ولا نطيع فيكم اي في قتالكم احدا من الرسول والمومنين او لا نطيع فيكم اي في خذلانكم واخلاف
ما وعدناكم من النصر ولننصرنكم جواب قسم محذوف قبل ان الشرطية وجواب
ان محذوف والكثير في كلام العرب اثبات اللام المؤذنة بالقسم قبل اداة الشرط
ومن حذفها قوله وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن العزيز لئن لم ينته الكاذبون
اي مواعيدهم لليهود وفي ذلك دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيب وذلك
لم يخرجوا حين اخرج بنو النضير بل اقاموا في ديارهم وهذا اذا كان قوله لاخوانهم
انهم بنو النضير وقيل يهود المدينة والظاهر على نفس القول بمعنيه وقيل بها
احوال فاما لئن اخرج اليهود لا يخرج المنافقون ولئن قوتلوا اليهود لا ينصرهم
المنافقون ولئن نصر اليهود المنافقون ليولن اليهود الادبار وكان صاحب هذا
القول نظر الى قوله ولئن قوتلوا لا ينصرونهم فقد اخبر انهم لا ينصرونهم فكيف يأتي
ولئن نصروهم الا بعد اخبار تعالى انه لا يقع واذا كان الخبر يقعه فقال
الزمخشري معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله لئن اشركت ليحبطن
عملك وكما يعلم ما يكون لو كان كيف يكون وقال ابن عطية معناه ولئن خالفوا
ذلك فانهم ينهزمون انتهى والظاهر ان الضمير في ليولن الادبار عائد في انهم لا ينصرون

عائد

عائد على المفروض انهم لا ينصرون اي ولئن نصرهم المنافقون ليولن الادبار ثم لا ينصر
المنافقون وقيل الضمير في ليولن عائد على اليهود وكذا في لا ينصرون قال ابن عطية
وجاءت الافعال غير مجزومة في قوله لا يخرجون ولا ينصرون لانها راجعة على حكم القسم
لا على حكم الشرط وفي هذا نظر انتهى واي نظر في هذا وهذا جاء على القاعدة المتفق عليها
من انه اذا تقدم القسم على الشرط كان الجواب للقسم وحذف جواب الشرط وكان
فعله بصيغة الماضي او مجزوما بلم وله شرط وهو انه لا يتقدمه طالب خبر واللام
في لئن مؤذنة بقسم محذوف قبله فالجواب له وقد اجاز الفراء ان يجاب الشرط
وان تقدم القسم ورد عليه البصريون ثم خاطب المومنين بان بقوله لانتم اشد
من خيفة الله لانهم يتوقعون عاجل شركم ولعدم ايمانهم لا يتوقعون آجل عذاب الله
وذلك لقلة فهمهم ورهبة مصدر رهب المبني للمفعول كانه قال اشد مرهوبية
فالرهبة واقعة منهم لا من المخاطبين فالمخاطبون مرهوبون وهذا كما قال

فلهو اخوف عندي اذ اكلمه وقيل انك محبوس ومقتول
من ضيغم من ليوث الاسد مخدره ببطن عثر غيل دونه غيل

فالمخبر عنه محذوف اي لا يخافه والضمير في صدورهم قيل لليهود وقيل للمنافقين و
قيل للفريقين وجعل الصدور مقرا للرهبة دليل على تمكنها منهم بحشاشات
الصدور ومقرا لها والمعنى ورهبتهم منكم اشد من رهبتهم من الله لا يعلمونكم اي
سوء النظر وجميع اليهود وقيل اليهود والمنافقون جميعا اي مجتمعين متساندين
يعضد بعضهم بعضا الا في قرى محصنة لا في الصحراء لخوفهم منكم وتحصينها
بالدروب والخنادق او من وراء جدار يستترون به من ان تصيبوهم وقرأ
الجمهور جدر بضمتين جمع جدار وقرأ ابو رجاء والحسن وابن وثاب باسكان الدال تخفيفا
ورويت عن ابن كثير وعاصم والاعمش وقرأ ابو عمرو وابن كثير وكثير من المكيين
جدار بالالف وكسر الجيم وقرأ بعض المكيين وهرون عن ابن كثير جدر بفتح الجيم
وسكون الدال قال صاحب اللوامح وهو واحد بمعنى الجمع وقال ابن عطية معناه
اصل بنيان كالسور ونحوه قال ويحتمل ان يكون من جدر النخل اي من وراء
نخلهم اذ هي مما يتقى به عند المصافة باسهم بينهم شديد اي اذا اقتتلوا بعضهم

مع بعض كان باسهم شديد اما اذا قاتلوكم فلا يبقى لهم باس لان من حارب اولياء الله
خذله تحسبهم جميعا اى مجتمعين ذوى الفة واتحاد وقلوبهم شتى وانما هم متفرقة
وكذا حال المخذولين لا يستقر اهواؤهم على شيء واحد وموجب ذلك الشتات انهم قوم
لا يعقلون انهم كالبهائم لا يتفقون على حالة وقرا الجمهور شتى بالف التانيث ومبشر بن عبيد
شتى بالتنوين جعلها الفا للالحاق وفي مصحف عبد الله وقلوبهم اشتى اى اشد تفرقا ومن كلام العرب
شتى تؤوب الحلبة وقال الشاعر

الى الله اشكو نية شقت العصا ... هي اليوم شتى وهي امس جميع

كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم كمثل الشيطان اذ قال
للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما
انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس
ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله
فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب
الجنة هم الفائزون لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله
وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب
والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام
المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ
المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم كمثل
خبر مبتدا محذوف اى مثلهم اى بنى النضير كمثل الذين من قبلهم قريبا وهم بنو قينقاع
اجلاهم الرسول من المدينة قبل بنى النضير فكانوا مثلا لهم قاله ابن عباس او اهل
بدر الكفار فانه عليه السلام قتلهم ومثلهم في انهم غلبوا وقهروا او مثل الجميع من قبلهم للمنافقين
والذين من قبلهم منافقوا الامم الماضية غلبوا وذلوا على وجه الدهر فهؤلاء مثلهم
ويبعد هذا التاويل لفظة قريبا ان جعلته متعلقا بما قبله وقريبا ظرف زمان وان
جعلته معمولا لذاقوا اى ذاقوا وبال امرهم قريبا من عصيانهم اذ لم يتاخر عقوبتهم
في الدنيا كما لم تتاخر عقوبة هؤلاء ولهم عذاب اليم في الاخرة كمثل الشيطان اى مثلهم
قبلهم ذكر مثلهم مع المنافقين فالمنافقين كالشيطان وهم النضير كالانسان

والجمهور

والجمهور على ان الشيطان والانسان اسما جنس يتورطه في المعصية ثم يفر منه كذلك
اغوى المنافقين بني النضير وحرضوهم على الثبات ووعدوهم النصر فلما نشب بنو النضير
خذلهم المنافقون وتركوهم وتبرؤوا منهم وقيل المراد استغواء الشيطان قريشا يوم بدر وقوله
لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الى قوله اني بريء منكم وقيل التمثيل بشيطان مخصوص
مع عابد مخصوص استودع امراة فوقع عليها فحملت فخشي الفضيحة فقتلها ودفنها سول له الشيطان
ذلك ثم شهره فاستخرجت فوجدت مقتولة وكان قال انا اكتمك ما ثبت ودفنها فعلمها ذلك فعرض له
وقال اكفر واسجد لي فافعل ففعل وتركه وقال اني بريء منك وقول الشيطان اني اخاف الله
رياء ولا يمنعه الخوف عن سوء يوقع فيه ابن ادم وقرا الجمهور عاقبتهما بنصب التاء والحسن وعمرو
ابن عبيد وسليم بن ارقم برفعها والجمهور خالدين بالياء حالا وفي النار خبر ان وعبد الله وزيد بن
علي والاعمش وابن ابي عبلة بالالف فجاز ان يكون خبر ان والظرف ملغى وان كان قد
اكد بقوله فيها وذلك جائز على مذهب سيبويه ولما انقضى في هذه السورة وصف المنافقين
واليهود وعظ المؤمنين لان الموعظة بعد ذكر المصيبة موقع في النفس لرقة القلوب والحذر
مما يوجب العقاب وكرر الامر بالتقوى على سبيل التوكيد او لاختلاف متعلق التقوى فالاولى
في اداء الفرائض لانه مقرون بالعمل والثانية في ترك المعاصي لانه مقرون بالتهديد والوعيد
وقرا الجمهور ولتنظر امرا واللام ساكنة وابو حيوة ويحيى بن الحارث بكسرها وروى ذلك عن
حفص عن عاصم والحسن بكسرها وفتح الراء جعلها لام كي ولما كان امر القيامة كائنا لا محالة
عبر عنه بالغد وهو اليوم الذي يلي يومك على سبيل التقريب وقال الحسن وقتادة لم يزل يقربه
حتى جعله كالغد ونحوه كان لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضي وقيل عبر عن
الاخرة بالغد كان الدنيا والاخرة نهاران يوم وغد وقال ابن عطية ويحتمل ان يريد بقوله
لغد ليوم الموت لانه لكل انسان كغده وقال مجاهد وابن زيد الامس الدنيا وغد الاخرة
وقال الزمخشري اما تنكير النفس فاستقلال للانفس النواظر فيما قدمن للاخرة كانه قال
فلتنظر نفس واحدة في ذلك واما تنكير الغد فلتعظيمه وابهام امره كانه قيل لغد لا يعرف كنهه
لعظمه انتهى وقرا الجمهور ولا تكونوا بتاء الخطاب وابو حيوة بياء الغيبة على سبيل الالتفات وقال
ابن عطية كناية عن نفس التي هي اسم الجنس كالذين نسوا الله هم الكفار تركوا عبادة الله
وامتثال ما امر واجتناب ما نهى وهذا تنبيه على فرط غفلتهم واتباع شهواتهم فانساهم

انفسهم حسبما يسعوا لها في الخلاص من العذاب وتعذر من المجازات على الذنب بالذنب عوقبوا
على نسيانهم حقه الله بان انساهم انفسهم حتى لم يسعوا لخلاص انفسهم ذكر مباينة الفريقين
اصحاب النار في الجحيم واصحاب الجنة في النعيم كما قال افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون
وقال ام نجعل المتقين كالفجار لو انزلنا هذا القرآن هذا من باب التخييل والتمثيل كما مر في قوله انا
عرضنا الامانة ودل على ذلك وتلك الامثال نضربها للناس والغرض توبيخ الانسان على قسوة قلبه
وعدم تاثره لهذا الذي لو انزل على الجبل لتخشع وتصدع واذا كان الجبل على عظمه يتطامن
يعرض له الخشوع والتصدع فابن ادم كان اولى بذلك لكنه على حقارته وضعفه لا يتاثر وقرا
طلحة مصدعا بادغام التاء في الصاد وابو ذر وابو السمال وابو دينار الاعرابي القدوس بفتح القاف
والجمهور على الكسر والضم وقرا الجمهور المؤمن بكسر الميم اسم فاعل من امن بمعنى امن وقال ثعلب
المصدق المؤمنين انهم امنوا وقال النحاس او في شهادتهم على الناس يوم القيامة وقيل المصدق نفسه
في اقواله الازلية وقرا ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين وقيل ابو جعفر المدني المؤمن بفتح الميم قال ابو
حاتم لا يجوز ذلك لانه لو كان كذلك لكان المؤمن به وكان جائزا لكن المؤمن المطلق بلا حرف
الجار كما تقول في قوم موسى من قوله واختار موسى قومه المجاز المهيمن تقدم شرحه الجبار
القاهر الذي جبر خلقه على ما اراد وقيل الجبار الذي لا يدانيه شيء ولا يلحق وقيل نخلة جبار
اذا لم يلحق وقال

سو ابو حار اسعد وعه وعالمن سوا امن المسير لجميرا

وقال ابن عباس هو العظيم وجبروته عظمته وقيل هو من الجبر ومعنى الاصلاح جبرت العظم اصلحته
بعد الكسر قال الفراء من اجبره على الامر قهره قال ولم اسمع فعالا من افعل الا في جبار ودراك من
ادرك وسمع اسار فهو سار المتكبر المبالغ في الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر على ظلم عباده الخالق
المقدر لما يوجده البارئ المميز بعضه من بعض بالاشكال المختلفة المصور الممثل وقرا علي وحاطب
ابن ابي بلتعة والحسن وابن السميفع المصور بفتح الواو والراء والنصب مفعولا بالبارئ واراد به جنس
المصور وعن علي فتح الواو وكسر الراء على اضافة اسم الفاعل الى المفعول نحو الضارب الغلام

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي
وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا
بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم

على

وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم و
السنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله
بما تعملون بصير قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم
ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ~~الى يوم القيامة~~ ابدا
حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء ربنا عليك
توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم
لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر ومن يتول فان الله هو الغني
الحميد عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم لا ينهاكم الله
عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب
المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على
اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون هذه السورة مدنية نزلت بسبب
حاطب بن ابي بلتعة كان وجه كتابا مع امراة الى اهل مكة يخبرهم بان رسول الله متوجه
اليهم ليغزوهم فاطلع الله رسوله عليه ووجه الى المراة من اخذ الكتاب وهذه القصة مشهورة
في كتب الحديث والتفسير ومناسبة هذه السورة لما قبلها انه لما ذكر فيما قبلها حال المنافقين
والكفار افتتح هذه بالنهي عن موالاة الكفار والتودد اليهم واضاف في قوله عدوي تغليظا لجرمهم
واعلاما بحلول عقاب الله بهم والعدو ينطلق على الواحد وعلى الجمع واولياء مفعول لتتخذوا وتلقون
بيان لموالاتهم فلا موضع له من الاعراب او استئناف اخبار وقال الحوفي والزمخشري حال
من الضمير في لا تتخذوا او صفة لاولياء وهذا تقدمه اليه الفراء قال تلقون اليهم بالمودة
من صلة اولياء انتهى وعندهم ان النكرة توصل وعند البصريين لا توصل بل توصف والحال
والصفة قيد وهم قد نهوا عن اتخاذهم اولياء مطلقا والتقييد يدل على انه يجوز ان يتخذوا
اولياء اذا لم يكونوا في حال القاء المودة واذا لم يكن الاولياء متصفين بهذا الوصف وقد قال
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فدل على انه لا يعتبر تلك الحال
ولا ذلك الوصف والالقاء عبارة عن الايصال بالمودة مفعول تلقون محذوف اي تلقون
اليهم اخبار الرسول واسراره والباء في بالمودة للسبب اي بسبب المودة التي بينهم وقال
الكوفيون الباء زائدة كما قيل ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة اي ايديكم وقال الحوفي وقال البصريون

وفي

يعني تعلقه بالمصدر الذي دل عليه الفعل في كقوله بالحاد بظلم اي اراد به بالحاد انتهى
فعلى هذا تكون الباء متعلقة بالمصدر اي القاؤهم بالمودة وهذا ليس بجيد لان فيه حذف
المصدر وهو موصول وحذف الخبر اذ القاؤهم مبتدأ وبما يتعلق به وقد كفروا جملة حالية وذو
الحال الضمير في تلقون اي توادونهم وهذه حالهم وهي الكفر بالله ولا يناسب الكفر بالله ان
يودوا وجاز الزمخشري ان تكون حالا من فاعل لا تتخذوا وقرا الجمهور بما جاءكم والجحدري والمعلى
عن عاصم لما باللام مكان الباء اي لاجل ما جاءكم يخرجون الرسول استئناف كالتفسير
لكفرهم وعتوهم او حال من ضمير كفروا واياكم معطوف على الرسول وقدم على اياكم الرسول
لشرفه ولانه الاصل للمؤمنين به ولو تقدم الضمير لكان جائزا في العربية خلافا لمن
خص ذلك بالضرورة قال لانك قادر على ان تاتي به متصلا فلا تفصل الا في الضرورة
وهو محجوج بهذه الاية وبقوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم
ان اتقوا الله وقدم الموصول هنا على المخاطبين للسبق في الزمان وبعد ذلك من كلام
العرب وان تؤمنوا مفعول من اجله اي يخرجونكم لايمانكم او كراهة ايمانكم ان كنتم خرجتم
شرط جوابه محذوف لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله لا تتخذوا عدوي وانتصب جهادا
وابتغاء على المصدر في موضع الحال اي مجاهدين ومبتغين او على انه مفعول من اجله تسرون
استئناف اي تسرون وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان والمطلع الرسول على ذلك فلا
طائل في فعلكم هذا وقال ابن عطية تسرون بدل من تلقون انتهى وهو شبيه
بدل الاشتمال لان الالقاء يكون سرا وجهرا فهو ينقسم الى هذين النوعين وجاز ايضا
ان يكون خبر مبتدا محذوف تقديره وانتم تسرون والظاهر ان اعلم افعل تفضيل
ولذلك عداه بالباء واجاز ابن عطية ان يكون مضارعا وعدي بالباء وانا اعلم جملة حالية
والضمير ومن يفعله الظاهر انه الى اقرب مذكور اي ومن يفعل الاسرار وقال
ابن عطية يعود على الاتخاذ واسواء السبيل نصب على المفعول به على تقدير تعدي ضل او على الظرف
على تقدير اللزوم والسواء الوسط لما نهى المؤمنين عن اتخاذ الكفار اولياء وشرح ما به
الولاية من القاء المودة اليهم وذكر ما صنع الكفار بهم الامن اخراج الرسول والمؤمنين
ذكر صنيعهم ان لو قدروا عليهم من انهم ان يتمكنوا منهم يظهروا عداوتهم لكم ويبسطوا
ايديهم بالقتل والتعذيب والسنتهم بالسب وودوا لو ارتددتم عن دينكم الذي

هو احب

هو احب الاشياء اليكم وهو سبب اخراجهم اياكم قال الزمخشري فان قلت كيف اورد جواب
الشرط مضارعا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضي قلت الماضي وان كان يجري في
باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شيء كفركم
وارتدادكم يعني انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا انتهى وكان الزمخشري
فهم من قوله وودوا انه معطوف على جواب الشرط فجعل تقدم الودادة لكفرهم ليست مترتبة
على الظفر بهم والتسلط عليهم بل هم وادون كفرهم على كل حال سواء ظفروا بهم ام لم يظفروا
وانما هو معطوف على جملة الشرط والجزاء اخبر تعالى بخبرين احدهما اتضاح عداوتهم والبسط
اليهم ما ذكر على تقدير الظفر بهم والاخر ودادتهم كفرهم لا على تقدير الظفر بهم ولما كان
حاطب تداعيت بان له بمكة قرابة فكتب الى اهل مكة بما كتب ليرعوهم في قرابته قال تعالى
لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم اي قراباتكم الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون
اليهم محاباة عليهم ويوم معمول لتنفعكم او ليفصل وقرا الجمهور يفصل بالياء مخففا مبنيا
للمفعول وقرا الاعرج وعيسى وابن عامر كذلك الا انه مشددا والمرفوع اما بينكم
وهو مبني على الفتح لاضافته الى مبني واما ضمير المصدر المفهوم من يفصل اي يفصل
هو اي الفصل وقرا عاصم والحسن والاعمش يفصل بالياء مخففا مبنيا للفاعل وحمزة و الكسائي
وابن وثاب مبنيا للفاعل وبالياء مضمومة مشددا وابو حيوة وابن ابي عبلة كذلك
الا انه مخففه والنخعي وطلحة كذلك الا انه بالنون مشددا وهما ايضا وزيد بن علي
بالنون مفتوحة مخففا مبنيا للفاعل وابو حيوة ايضا بالنون مضمومة مخففا
فهذه ثماني قراءات ولما نهى عن موالاة الكفار ذكر قصة ابراهيم عليه السلام وان
لتقتدوا به في ذلك وتتأسوا وقرا الجمهور اسوة بكسر الهمزة
وعاصم بضمها وهما لغتان والذين معه قيل من امن به وقال الطبري وغيره عنى الا نبيا
معاصروه او كانوا قريبا من عصره لانه لم يروى انه كان له اتباع مؤمنون في مكافحته
لنمرود الا تراه قال لسارة حين رحل الى الشام مهاجرا من بلد نمرود ما على الارض
من يعبد الله غيري وغيرك والتاسي بابراهيم عليه السلام هو في التبري من الشرك وهو
في كل ملة وبرسولنا عليه السلام على الاطلاق في العقائد واحكام الشرع وقرا الجمهور
براء جمع بري كظريف وظراف وابو جعفر بضم الباء كتوام وطوار فهو اسم جمع الوا حد

مثل قوم وظئر وظؤار وشيخ وشيوخ قال ابو حاتم زعموا ان عيسى الهمداني رفعه
براء على فعال كقوله انني براء مما تعبدون في الزخرف وهو مصدر على فعال يوصف
به المفرد والجمع وقال الزمخشري وبراء على ابدال الضم من الكسر كرخال ورباب
والضمة في ذلك ليست بدلا من كسرة بل هي ضمة اصلية وهو وزن من اوزان الجموع
وليس جمع تكسير فتكون الضمة بدلا من الكسرة الا قول ابراهيم لابيه استثنا من قوله
اسوة حسنة قاله قتادة والزمخشري وقال مجاهد وقتادة وعطا الخراساني وغيرهم
المعنى ان الاسوة لكم في هذا الوجه لا في هذا الاخر لانه كان لعلة ليست في
نازلتكم وقال الزمخشري فان قلت فان كان قوله لاستغفرن لك مستثنى من القول
الذي هو اسوة حسنة فما بال قوله وما املك لك من الله من شي وهو غير حقيق بالاستثنا
الا ترى الى قوله قل فمن يملك من الله شيا قلت اراد استثنا قوله جملة لا بعض القصد
الى موعد الاستغفار له وما بعده مبني عليه وتابع له كانه قال انا استغفر لك وما
في طاقتي الا الاستغفار انتهى وقال الزمخشري ايضا فان قلت ان ذكر الاستثنا هو من
قوله اسوة حسنة قلت لانه اراد بالاسوة الحسنة قولهم الذي حق عليهم
ان ياتسوا به ويتخذوه سنة يستنون بها انتهى والذي يظهر انه مستثنى من مضاف
لابراهيم تقديره اسوة حسنة في مقالات ابراهيم ومحاوراته لقومه الا قول ابراهيم لابيه
لاستغفرن لك فليس فيه اسوة حسنة فيكون على هذا استثنا متصلا واما ان يكون
قول ابراهيم مندرجا في اسوة حسنة لان معنى الاسوة هو الاقتدا والتاسي والقول
ليس مندرجا تحته لكنه مندرج تحت مقالات ابراهيم وقال ابن عطية ويحتمل
ان يكون الاستثنا من التبري والقطيعة التي ذكرت لم تبق صلة الا كذا انتهى
وقيل هو استثنا منقطع المعنى لكن قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فلا تاتسوا به
فتستغفروا او تفدوا اباكم الكفار بالاستغفار ربنا عليك توكلنا وما بعده الظاهر
انه من تمام قول ابراهيم متصلا بما قبل الاستثنا وهو من جملة ما يتاسى به وفصل بينهما
بالاستثنا اعتنا بالاستثنا اذ هو من جملة ما يتاسى به ولقربه من الاستثنا ويحتمل
ان يكون امرا من الله للمومنين بان يقولوا ربنا عليك توكلنا تعليما منه لهم وقطعا للعلائق التي
بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا فتنة قال ابن عباس لا تسلطهم علينا فيفتنونا ويعذبونا

وقال

وقال مجاهد لا تعذبنا بايديهم او بعذاب من عندك فيظنوا انهم محقون وانا مبطلون
فيفتنوا لذلك وقال قريبا منه قتادة وابو مجلز وقول ابن عباس ارجح لانه دعا لانفسهم
وعلى قول غيره دعا للكفار والفتنة في قوله بما دعا على ابراهيم والذين معه وكررت الاسوة
توكيدا واكد ذلك بالقسم ايضا ولمن يرجوا بدل من ضمير الخطاب بدل بعض من كل
وروي انه لما نزلت هذه الايات عزم المسلمون على اظهار عداوات اقربائهم الكفار ولحقهم
هم لم يومنوا حتى يوادوا فنزل عسى الله الاية مونسة ومرجية واسلم الجميع عام الفتح
وصاروا اخوانا ومن ذكر ان هذه المودة هي تزوج النبي صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي
سفيان وانها كانت بعد الفتح فقد اخطا لان تزوجها كان وقت هجرة الحبشة
وهذه الايات نزلت سنة ست من الهجرة ولا يصح ذلك عن ابن عباس الا ان يسوقه
مثالا وان كان متقدما لهذه الاية لانه استمر بعد الفتح كسائر ما نشا من المودات
قال ابن عطية وعسى من الله واجبة الوقوع والله قدير على تقليب القلوب وتيسير العسير
والله غفور رحيم لمن اسلم من المشركين لا ينهاكم الله الاية قال مجاهد نزلت في قوم بمكة
امنوا ولم يهاجروا فكانوا في رتبة سوء لتركهم فرض الهجرة وقيل في مومنين من اهل مكة وغيرها
تركوا الهجرة وقال الحسن وابو صالح في خزاعة وبني الحرث بن كعب وكنانة ومزينة وقبائل
من العرب كانوا مظاهرين للرسول محبين في ظهوره
من العرب محبين فيه وفي ظهوره وقيل فيمن لم يقاتل ولا اخرج ولا اظهر سوءا من كفار
قريش وقال مرة الهمداني وعطية العوفي في قوم من بني هاشم منهم العباس وقال عبد الله بن
الزبير النسا والصبيان من الكفرة وقال النحاس والثعلبي اراد المستضعفين من المومنين
الذين لم يستطيعوا الهجرة وقيل قدمت اسما بنت ابي بكر على ابنتها قتيلة بنت عبد
وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها قال ابن عطية وكانت المراة خالتها فيما
روي فسمتها اما وفي التحرير ان ابا بكر الصديق طلق امراته قتيلة في الجاهلية وهي
ام اسما بنت ابي بكر فقدمت في المدة التي فيها المهادنة فاهدت الى اسما قرطا واشيا فكرهت
ان تقبل منها فنزلت الاية ان تبروهم وان تقسطوا بدل لا مما قبلها بدل اشتمال
فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مومنات

فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم
أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسألوا
ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم
فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون يا أيها
النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا
يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف
فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب
الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور يا أيها الذين آمنوا لما كان
صلح الحديبية قد تضمن أن من أتى مكة من المسلمين لم يرد إليهم ومن أتى المسلمين من أهل مكة رد
إليهم فجاءت أم كلثوم وهي بنت عقبة بن أبي معيط وهي أول امرأة هاجرت بعد هجرة رسول
الله صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية فخرج في أثرها أخواها عمارة والوليد فقالا يا محمد
أوف لنا بعهدنا فقالت يا رسول الله حال النساء إلى الضعف كما قد علمت فتردني
إلى الكفار يفتنوني عن ديني ولا صبر لي فنقض الله العهد في النساء وأنزل فيهن
الآية وحكم بحكم رضوه كلهم وقيل سبب نزولها سبيعة بنت الحارث الأسلمية
جاءت الحديبية مسلمة فأقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال
يا محمد اردد علي امرأتي فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طينة
الكتاب لم تجف بعد فأنزل الله أن الشرط إنما كان في الرجال دون النساء وذكر أبو نعيم
الأصبهاني أن سبب نزولها أميمة بنت بشر بن عمرو بن عوف امرأة حسان
ابن الدحداحة وسماهن تعالى مؤمنات قبل أن يمتحن وذلك لنطقهن بالشهادتين ولم
يظهر منهن ما ينافي ذلك أو لأنهن مشارفات لثبات إيمانهن بالامتحان وقوله
مهاجرات بالرفع على البدل من المؤمنات فامتحنوهن قالت عائشة رضي الله عنها بالمبايعة
وقيل تشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال ابن عباس بالحلف
أنها ما خرجت إلا حبا لله ورسوله ورغبة في دين الإسلام وقال ابن عباس أيضا
ومجاهد وقتادة وعكرمة كانت تستحلف أنها ما هاجرت لبغض زوجها ولا
لجريرة جرتها ولا لسبب من أعراض الدنيا سوى حب الله ورسوله والدار الآخرة الله أعلم

بإيمانهن

بإيمانهن فإنه تعالى هو المطلع على أسرار القلوب ومخبآت العقائد فإن علمتموهن مؤمنات
أي الممكن لكم العلم بمعنى الظن الغالب بالحلف وظهور الأمارات والخروج من الوطن والحلول
في قوم ليسوا من قومها وبين بلده فلا ترجعوهن إلى الكفار أي أزواجهن فإن ذلك هو التحريم
بين المسلمة والكافر وقرأ طلحة لاهن يحللن لهم وأفاد التحريم بقوله لا هن حل لهم وجاء قوله
ولا هم يحلون لهن على سبيل التأكيد وتشديد الحرمة لأنه إذا لم تحل المؤمنة للكافر علم
أنه لا حل بينهما البتة وقيل أفاد قوله ولا هم يحلون لهن استمرار الحكم بينهم فيما
يستقبل كما هو في الحال ما دام الزوج كافرا وآتوهم ما أنفقوا أي على زوجته إذا أسلمت ولا
يجمع عليه خسران الزوجة والمالية قال ابن عباس أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد امتحانها زوجها الكافر ما أنفق عليها فتزوجها عمر وكان إذا امتحنهن أعطى
أزواجهن مهورهن وقال بيان الحكم في رد الصداق والأمر كما قال ابن عادل ثم نفى الحرج
في نكاح المؤمنين إياهن إذا آتوهن مهورهن ثم أمر تعالى بفراق نساء من الكوافر عوابد
الأوثان وقرأ الجمهور تمسكوا مضارع أمسك كأكرم وأبو عمرو ومجاهد بخلاف
عنه وابن جبير والحسن والأعرج مضارع مسك مشددا والحسن أيضا وابن
أبي ليلى وابن عامر في رواية تمسكوا بفتح الثلاثة مضارع تمسك محذوف التاء
أي تتمسكوا والحسن أيضا تمسكوا بكسر السين مضارع مسك بالتخفيف وقال الكرخي
الكوافر يشمل الرجال والنساء فقال له الفارسي النحويون لا يرون هذا إلا في
النساء جمع كافرة فقال أليس يقال طائفة كافرة وفرقة كافرة قال أبو علي فبهت
وقلت هذا تأييد والكرخي هذا معتزلي فقيه وأبو علي معتزلي لغوي فحكى هذا
الصحيح ولست أرى أنه لا يقال كافرة في وصف الرجال إلا تابعا لموصوفها أو يكون
محذوفا مرادا أما منفردا فلا يجمع فاعلة على فواعل إلا أن يكون المؤنث والعصم جمع
عصمة وهو سبب البقاء في الزوجية واسألوا ما أنفقتم أي واسألوا الكافرين ما أنفقتم
على أزواجكم إذا فروا إليهم وليسألوا أي الكفار ما أنفقوا على أزواجهم إذا فروا إليهم
ولما تقرر هذا الحكم قالت قريش لا نرضى بهذا الحكم ولا نلتزمه ولا ندفع لأحد
صداقا فنزلت بسبب ذلك هذه الآية الأخرى وإن فاتكم فأمر تعالى المؤمنين أن
يدفعوا إلى من فرت زوجته من المسلمين فذهبت بنفسها إلى الكفار وانقلبت من

الاسلام وما كان امرهم قال الزمخشري فان قلت هل لاتباع شيء في هذا الموضع
فائدة قلت نعم الفائدة فيه انه لا يغادر شيء من هذا الجنس الا تعلق
حقه بعوض منه تغليظا في هذا الحكم وتشديدا فيه انتهى واللاتي ارتددن من
نساء المهاجرين ولحقن بالكفار ام الحكم بنت ابي سفيان زوج عياض بن شداد الفهري
واخت ام سلمة فاطمة بنت ابي امية زوج عمر بن الخطاب وعبدة بنت عبد العزى زوج
هشام بن العاص وام كلثوم بنت جرول زوج عمر ايضا وذكر ان زوجها عمرو بن
عبد ود وكلثوم وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وهند بنت ابي
جهل كانت تحت هشام بن العاص اعطى ازواجهن رسول الله صلى الله عليه وسلم مهورهن
من الغنيمة وقرا الجمهور فعاقبتم بالف ومجاهد والزهري والاعرج وعكرمة وحميد وابو
حيوة والزعفراني بشد القاف والنخعي والاعرج ايضا وابو حيوة ايضا والزهري
ايضا وابن وثاب بخلاف عنه بخف القاف مفتوحة ومسروق والنخعي ايضا والزهري
ايضا بكسرها ومجاهد ايضا فاعقبتم على وزن افعل ويقال عاقب الرجل صاحبه في كذا
اي جاء فعل كل واحد منهما يعقب فعل الآخر ويقال اعقب قال

وحاردت النكد الجلاد ولم يكن لعقبة قدر المستعيرين معقب

وعقبا صار تعيين يعقبه عن وابن عمرو وعقب بفتح القاف وكسرها مخففا
وقال الزمخشري فعاقبتم من العقبة وهي النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين
من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون
فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من اداء المهر فآتوا من فاتته
امراته الى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر وهكذا
عن الزهري يعطى من صداق من لحق بهم ومعنى اعقبتم دخلتم في العقبة وعقبتم من عقبه
اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين يقفي صاحبه وكذلك اعقبتم بالتخفيف وقال
عقبه يعقبه انتهى وقال الزجاج فعاقبتم فاصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم وفسر
غيرها من القراءات فكانت العقبى لكم اي كانت الغلبة لكم حتى غنمتم والكفار من قوله
الى الكفار كانت العقبى لكم ظاهر العموم في جميع الكفار وقاله قتادة ومجاهد
والحسن ثم نسخ هذا الحكم وقال ابن عباس يعطى من الغنيمة قبل ان تخمس وقال الزهري

من

من مال الفيء وعنه من مهر صداق من لحق بنا وقيل الكفار مخصوص باهل العهد وقال
الزهري انقطع هذا يوم الفتح وقال الثوري لا يعمل به اليوم وقال قوم كان في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطية نحو الآية كلها قد ارتفع حكمها وقال الحافظ
ابو بكر بن العربي كان هذا حكم الله مخصوصا بذلك الزمان في تلك النازلة خاصة باجماع
الامة وقال القشيري قال قوم هو ثابت الحكم الى الآن

يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك كانت بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على جبل
الصفا بعد ما فرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا وعمر اسفل منه فبايعهن بامره و
يبلغهن عنه وما مست يده يد امراة قط وقالت اسماء بنت يزيد بن السكن
كنت في النسوة المبايعات فقلت يا رسول الله ابسط يدك نبايعك فقال لي عليه السلام
اني لا اصافح النساء لكن آخذ عليهن ما اخذ الله عليهن وكانت هند بنت عتبة في النساء
متنكرة فقرا عليهن الآية فلما قررهن على ان لا يشركن بالله شيئا قالت هند وكيف نطمع ان
يقبل منا ما لم يقبله من الرجال يعني بهذا عبادة الاوثان فلما وقف على السرقة
قالت والله اني لاصيب الهنة من مال ابي سفيان لا ادري ايحل لي ذلك فقال ابو
سفيان ما اصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي
الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت او تزني الحرة فقال ولا يقتلن اولادهن
فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قد قتل يوم
بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا ياتين ببهتان
فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ولا يعصينك
في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء
ويعني قول هند او تزني الحرة انه كان في قريش الزنا في الاماء غالبا والاماء البغايا
بادوات الرايات مذكر حرام وقرا الحسن والسلمي ولا يقتلن مشددا وقتلهن هو
اجل الفقر والفاقة وكانت العرب تفعل ذلك والبهتان قال الاكثرون ان تنسب
الى زوجها ولدا ليس منه وكانت المراة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك

بين يديه من لان وطئها الذي يلحقه فيه بين اليدين والرجلين الذي يلد به بين الرجلين
وروى الضحاك البهتان المعصية لانها اذا قذفت المراه غيرها فقد بهتت ما بين يديها
المعروفه وبطنها اذ بعثت عنها وكذلك اذا ولدته او الحقت بها ولدا لم تلده وقيل البهتان
السحر وقيل بين ايديهن السنتهن بالنميمه وارجلهن فروجهن وقيل بين ايديهن
قبله او حبسه وارجلهن الجماع من البهتان القذفيه بالقول يحمل احدهن للناس والكذب
فيما او بما عليه من حمل وحيض والمعروف الذي نهى عن العصيان فيه قال بن عباس
وانس وزيد بن اسلم هو النوح وشق الجيوب وخمش الوجوه ووصل الشعر وغير ذلك
من اوامر الشريعه فرضها وندبها وروى ان قوما من فقراء المسلمين يواصلون اليهود ليصيبوا
من ثمارهم فقيل لهم لا تتولوا قوما غضب الله عليهم والاكثر على انهم اليهود وقال الحسن وابن
زيد ومنذر بن سعيد لانه غضب الله قد صار عرفا لهم وقال ابن عباس هم كفار
قريش لان كل من عليه غضب من الله وقيل اليهود والنصارى قد يئسوا من الاخرة
قال ابن عباس من خيرها وثوابها والظاهر ان من في القبور لابتداء الغاية
اي من لقاء اصحاب القبور في الخاتمة كالاولى من الاخرة فالمعنى انهم لا يلقونهم في
دار الدنيا بعد موتهم وقال ابن عكرمه وابن زيد قالوا ما يهلكنا الا الدهر اسهم والكفار
على هذا كفار مكه لانهم اذا مات لهم حميم قالوا هذا اخر العهد به لن يبعث ابدا وهذا
تاويل ابن عباس وقتاده والحسن وقيل من لبيان الجنس اي الكفار الذين هم
اصحاب القبور والمايوس منه محذوف اي كما يئس الكفار المقبورون من رحمة الله
لانه اذا كان حيا لم يقبر كان يرجى له ان لا ييئس من رحمة الله وهو متوقع لما
وهذا تاويل مجاهد وابن جبير وابن زيد وقال ابن عطيه وبيان الجنس اظهر
وقد ذكرنا ان الظاهر فيه ان من لابتداء الغاية اذ لا يحتاج الكلام الى تقدير محذوف
ومراتب الى الزيادة كما يئس الكافر على الافراد والجمهور على الجمع ولما اسس هذه السوره
بالنهي عن اتخاذ الكفار اولياء ختمها بمثل ذلك تاكيدا لترك موالاتهم وتنفيرا للمسلمين عن
توليهم والقاء المودة اليهم المرصوص قال الفراء ومنذر بن سعيد هو المعقود بالرصاص
وقال المبرد هو من التلاؤم اي تلاصقت بناه وتداخلت حتى صار قطعة واحدة قال
الراعي ما لقي البيض من الحرقوص يفتح باب المغلق المرصوص

الحرقوص

الحرقوص دويبة مولع بالنساء الابكار وقيل هو من الرصيص وهو انضمام الاسنان

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما
في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله
ان تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص
واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم فلما زاغوا ازاغ الله
قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله
اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراه ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات
قالوا هذا سحر مبين ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا
يهدي القوم الظالمين يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ورويـ
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا ايها
الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في
سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من
تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها نصر من
الله وفتح قريب وبشر المؤمنين يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم
للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فامنت طائفة من بني
اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين هذه السوره مدنيه
في قول الجمهور ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمه وقتاده وقال ابن يسار مكيه وروى
ذلك عن ابن عباس ومجاهد وسبب نزولها قول المنافقين للمؤمنين نحن منكم ومعكم
ثم يظهر من افعالهم خلاف ذلك او قول شباب من المسلمين فعلنا في الغزو كذا ولم يفعلوا
او قول ناس وددنا ان نعرف احب الاعمال الى ربنا حتى نعمل به ففرض الله الجهاد
واعلم ان الله يحب المجاهدين فكرهه قوم وفر بعضهم يوم احد هذان القولان الاولان لابن
زيد والثالث لعباس والضحاك والرابع لابن عباس وابي صالح ومناسبتها لاخر
السوره ان في اخرها يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم واقتضى ذلك
اثبات العداوه بينهم فحض تعالى على الثبات اذا لقي المؤمنون في الحرب اعداءهم والنداء يا ايها
الذين امنوا ان كان للمؤمنين حقيقه فالاستفهام يراد به التلطف في العتب

وان كان المنافقين فالمعنى يا ايها الذين امنوا اي بالسنتهم والاستفهام يراد به الانكار
والتوبيخ والتهكم بهم في اسناد الايمان اليهم ولم تتعلق بالفعل بعده واذا وقف عليه
فبالهاء او بسكون الميم ومن اسكن في الوصل فلاجراء مجرى الوقف والظاهر
انتصاب مقتا على التمييز وما عمل كبر ان تقولوا وهو من التمييز المنقول من
الفاعل على التقدير لئن مقت قولكم ما لا تفعلون ويجوز ان يكون من باب نعم
وبئس فيكون في كبر ضمير مبهم مفسر بالتمييز وان تقولوا هو المخصوص بالذم اي
بئس مقتا قولكم كذا والخلاف الجاري في المرفوع في بئس رجلا زيد جار اي
يقولوا هنا ويجوز ان يكون ضمير يعود على المصدر المفهوم من قوله لم تقولون
اي كبر هو اي القول مقتا وان تقولوا بدل من الضمير او خبر ابتدا محذوف وقيل
هو من باب التعجب اي ما اكبره مقتا ومثله كبرت كلمة اي ما اكبرها كلمة وقال
الزمخشري وقصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله

غلت ناب كليب بواوها

ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شيء
خارج عن نظائره واشكاله واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره
دلالة على ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن
المقت منه واختير لفظ المقت لانه اشد البغض ولم يقتصر على ان جعل
البغض كبيرا حتى جعل اشده وافحشه وعند الله ابلغ من ذلك لانه اذا ثبت كبر
مقته عند الله فقد تم كبره وشدته انتهى وقال ابن عطية والمقت البغض من
اجل ذنب او ريبة او دناءة يصنعها الممقوت انتهى وقال المبرد رجل ممقوت ومقيت
اذا كان يبغضه كل احد انتهى وقرا زيد بن علي يقاتلون بفتح التاء وقرئ
يقتلون وانتصب صفا على الحال اي صافين انفسهم او مصفوفين كانهم في
تراصهم من غير فرجة ولا خلل بنيان رص بعضه الى بعض والظاهر تشبيه الذوات
في التحام بعضهم ببعض بالبنيان المرصوص وقيل المراد استواء نياتهم في
الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص وقيل فيه دليل على
فضل القتال راجلا لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة صفا وكانهم

قال الزمخشري حالا اي متراصين وقال الحوفي كانهم في موضع النعت لصفا انتهى
ويجوز ان يكون حالا من ضمير يقاتلون ولما ذكر ان في المؤمنين من لا يفعل
وهو راجع الى الكذب كان ذلك في معنى الاذاية للرسول اذ كان في اتباعه
من هو على الكذب فناسب ذكر قصة موسى وقوله لقومه لم تؤذونني واذاهم
له انهم كانوا يتنقصونه في نفسه وجحود ايات الله واقتراحاتهم عليه ما ليس
لهم اقتراحه وقد تعلمون جملة حالية تقتضي تعظيمه وتكريمه من نبوا على علمهم انه رسول
الله اليهم لا انه يتبع الحق وهو الاذاية وقد تدل على التحقيق في الماضي والتوقع في المضارع
والمضارع هنا معناه المضي اي وقد علمتم كقوله قد يعلم ما انتم عليه اي قد علم وقد ترك
تغلب ويعبر عنه بالمضارع يدل على استصحاب الفعل فلما زاغوا عن الحق ازاغ
الله قلوبهم قال الزمخشري بان منع الطافه والله لا يهدي القوم الفاسقين وقال
غيره اشتد الزيغ اليهم ثم قال ازاغ الله كقوله تعالى نسوا الله فانساهم انفسهم
وهو من العقوبة على الذنب بالذنب كان فقولهم تاب الله عليهم ليتوبوا ولما
ذكر شيئا من قصة موسى مع بني اسرائيل ذكر ايضا شيئا من قصة عيسى عليهما
السلام وهناك قال يا قوم لانه من بني اسرائيل وهنا قال عيسى يا بني اسرائيل من
حيث لم يكن له فيهم اب وان كانت امه منهم ومصدقا ومبشرا حالان والعامل
رسول اي مرسل وباسمه احمد جملة في موضع الصفة لرسول اخبر انه مصدق
لما تقدم في كتب الله الالهية ولمن تاخر من النبي المذكور ان البشارة بانه رسول
مصدق برسالته وروي ان الحواريين قالوا يا روح الله هل بعدنا من امة قال
نعم امة احمد حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير
من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل واحمد يحتمل ان يكون من المضارع المسمى
او من احمد افعل التفضيل وقال حسان

صلى الاله ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك احمد

وقال العسري بشر كل نبي قومه بنبينا صلى الله عليه وسلم والله افرد
عيسى بالذكر في هذا الموضع لانه اخر نبي قبل نبينا صلى الله عليه وسلم فبين ان
البشارة عمت جميع الانبياء واحدا بعد واحد حتى انتهت الى عيسى عليه السلام

والظاهر أن الضمير المرفوع في جاءهم يعود على عيسى لأنه المحدث عنه وقيل يعود على أحمد
لما فرغ من كلام عيسى تطرق إلى الإخبار عن أحمد عليه السلام وذلك على سبيل
الإخبار للمؤمنين أي فلما جاءهم الكفار بالمعجزات الواضحة قالوا هذا سحر مبين
وقرأ الجمهور سحر أي ما جاء به من البينات وقرأ عبد الله وطلحة والأعمش وابن وثاب
ساحر أي هذا الجائي ساحر وقرأ الجمهور يدعى مبنيا للمفعول وطلحة يدعي مضارع
ادعى مبنيا للفاعل وادعى يتعدى بنفسه إلى المفعول به لكنه لما ضمن معنى الانتماء
والانتساب عدي باللام قال الزمخشري يدعى بمعنى يدعو كلمسه والتمسه يريدون
الآية تقدم تفسير نظيرها في سورة التوبة وقال الزمخشري أصله يريدون أن
يطفئوا كما جاء في سورة براءة وكأن هذه اللام زيدت مع فعل الإرادة تأكيدا
له لما فيها من معنى الإرادة في قولك جئتك لإكرامك كما زيدت اللام في لا أبا لك
تأكيدا لمعنى الإضافة في لا أباك انتهى وقال ابن عطية واللام في قوله
ليطفئوا لام مؤكدة دخلت على المفعول لأن التقدير يريدون أن يطفئوا و
أكثر ما تلزم هذه اللام المفعول إذا تقدم تقول لزيد ضربت ولرؤيتك قصدت
انتهى وما ذكره ابن عطية من أن هذه اللام أكثر ما تلزم المفعول إذا تقدم ليس
بأكثر بل الأكثر زيدا ضربت من لزيد ضربت وأما قولهما إن اللام للتأكيد وأن
التقدير أن يطفئوا بالإطفاء مفعول يريدون فليس بمذهب سيبويه وأصحابه بل مذهبه
أن اللام دخلت لتعليل الفعل وعلقها بالمصدر من غير سابك المقدر إرادتهم
ليطفئوا ثم القراءات العرب تجعل لام كي في موضع أن في أرادوا وأمروا وإليه
ذهب الكسائي والفراء واللام عندهم هي الناصبة وذهب بعض النحويين إلى زيادتها
كما ذهب إليه الزمخشري وابن عطية والذي اخترناه هو أن مفعول أرادوا
محذوف وأن اللام لام العلة وأن ما بعدها والتقدير يريدون من الكفر
والافتراء لأن يطفئوا وحذف لفهم المعنى وقد استوفينا الكلام على هذه المسألة
في شرح التسهيل وقال ابن عباس وابن زيد هنا يريدون إبطال القرآن وتكذيبه
بالقول وقال ابن [illegible] السدي يريدون دفع الإسلام بالكلام وقال الضحاك
هلاك الرسول صلى الله عليه وسلم بالأراجيف وقال ابن بحر إبطال حجج الله بتكذيبهم

وعن

وعن ابن عباس سبب نزولها أن الوحي أبطأ أربعين يوما فقال كعب بن الأشرف يا معشر
يهود أبشروا أطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه وما كان ليتم أمره فحزن
الرسول فنزلت واتصل الوحي وقرأ العربيان ونافع وأبو بكر والحسن وطلحة والأعرج
وابن محيصن متم بالتنوين نوره بالنصب وباقي السبعة والأعمش بالإضافة وقرأ
الجمهور تنجيكم مخففا والحسن وابن أبي إسحاق والأعرج وابن عامر مشددا والجمهور تؤمنون
وتجاهدون وعبد الله آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا أمرين وزيد بن علي بالتاء
فيهما بحذف النون فأما توجيه قراءة الجمهور فقال المبرد هو بمعنى آمنوا على الأمر
ولذلك جاء يغفر مجزوما انتهى فصورته صورة الخبر ومعناه الأمر ويدل عليه
قراءة عبد الله ونظيره قولهم اتقى الله امرؤ وفعل خيرا يثب عليه أي ليتق الله وجيء
به على صورة الخبر قال الزمخشري للإيذان بوجوب الامتثال وكأنه
امتثل فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين ونظيره قول الداعي غفر الله لك
ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كأنها كانت ووجدت انتهى
وقال الأخفش هو عطف بيان على تجارة وهذا لا يتخيل إلا على تقدير أن
يكون الأصل أن تؤمنوا حتى يتقدر بمصدر ثم حذف أن فارتفع الفعل كقوله

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى

يريد أن أحضر فلما حذف أن ارتفع الفعل وكأن التقدير الآية هل أدلكم على تجارة تنجيكم
من عذاب أليم إيمان بالله ورسوله وجهاد وقال ابن عطية تؤمنون فعل مرفوع تقديره
ذلك أنه تؤمنون انتهى وهذا ليس بشيء لأن فيه حذف المبتدأ وحذف أنه وإبقاء
الخبر وذلك لا يجوز وقال الزمخشري وتؤمنون استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل فقال
تؤمنون وأما المبرد فقال هو خبر في معنى الأمر ولهذا أجيب بقوله يغفر لكم
انتهى وأما قراءة عبد الله فظاهرة المعنى وجواب الأمر يغفر لكم وأما قراءة زيد فعلى
حذف لام الأمر التقدير لتؤمنوا كقوله

قلت لبواب على بابها تيذن لنا إني من أحبابها

يريد لتأذن ويغفر مجزوم على جواب الشرط في قراءة عبد الله وقراءة زيد وعلى تقدير
المبرد وقال الفراء هو مجزوم على جواب الاستفهام وهو قوله هل أدلكم واستبعد

بغير التحريج قال الزجاج ليسوا اذا لهم على ما ينفعهم يغفر لهم انما يغفر لهم اذا امنوا
وجاهدوا وقال المبرد انما ينتصب جوابا على المعنى وهو ان تكونوا تؤمنون وتجاهدون
عطف بيان على قوله هل ادلكم كان التجارة لم يدر ما هي فبينت بالايمان والجهاد
فهي هما في المعنى وكانه قال هل تؤمنون وتجاهدون قالوا نعم لو نعلم هذا التقدير
لم يصح لانه يصير ان دللتم يغفر لكم والغفران انما يجب بالقبول والايمان لا بالدلالة
وقال الزمخشري يجوز وجه ان يتعلق الدلالة هو التجارة والتجارة
مفسرة بالايمان والجهاد فكانه قيل هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر
لكم ايضا ومقدمة سبح تعقيبه الايه ولما ذكر تعالى ما لهم من الثواب في الاخرة
ذكر ما يسرهم في العاجلة وهو ما يفتح عليهم من البلاد واخرى صفة لمحذوف
اي وكم مثوبة اخرى او نعمة اخرى عاجلة الى هذه النعمة الاجلة واخرى مبتدا
وخبره المقدر لكم وهو قول الفراء ورجحه ابن الدل منه بقوله نصر من الله وتحبونها
صفة اي محبوبة لكم وقال قوم واخرى في موضع نصب باضمار فعل اي ويمنحكم
اخرى ونصر خبر مبتدا اي ذلك او هو نصر وقال الاخفش واخرى في موضع خبر عطفا
على تجارة وضعف هذا القول لان هذه الاخرى ليست مما دل عليه انما هي من
الثواب الذي يعطيهم الله على الايمان والجهاد بالنفس والمال وقرا الجمهور نصر
بالرفع ونصرا وفتح قريب وابن ابي عبلة بالنصب فيها بلا منها ووصف اخرى
بتحبونها لان النفوس مولعة بحب العاجل وفي ذلك تحريض على ما يحصل
ذلك وهو الايمان والجهاد وقال الزمخشري وفي تحبونها شيء من التوبيخ على محبة
العاجل فان قلت لم نصب عطف من قرا نصرا من الله وفتحا قريبا قلت
يجوز ان ينصب على الاختصاص او على تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا او على يغفر لكم
ويدخلكم جنات ويؤتكم اخرى نصرا وفتحا فان قلت علام عطف قوله وبشر المومنين
قلت على تؤمنون لانه في معنى الامر كانه قيل امنوا وجاهدوا يثبكم وينصركم
وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك انتهى كونوا انصار الله ندب المؤمنين الى النصرة
ووضع لهم هذا الاسم وان كان قد صار عرفا للاوس والخزرج وسماهم الله به وقرا
الابناء وعيسى وابو عمرو والحرميان انصار الله بالتنوين والحسن والجحدري وباقي

الشيعة بالاضافة الى الله والظاهر ان كما في موضع نصب على اضمار اي قلنا لكم ذلك كما قال
عيسى وقال مكي نعت لمصدر محذوف والتقدير كونوا كونا وقيل معناه انصار
اي كونوا انصارا مثل انصار عيسى وقال الزمخشري التشبيه محمول على المعنى وعليه
يصح والمراد كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين قال لهم من انصاري
الى الله انتهى والحواريون اثنا عشر رجلا وهم اول من امن به بعثهم عيسى في الافاق
بعث بطرس وبولس الى رومية والدراسة ومتى الى الارض التي يا كل
اهلها الناس وتوماس الى ارض بابل وفيلبس الى قرطاجنة وهي افريقية ويحنس
الى افسوس قرية اصحاب الكهف ويعقوب الى بيت المقدس وابن يلمن الى ارض
الحجاز وشمعون الى ارض البربر وما خولفا في بعض اسمائهم اشكال من جهة الضبط
فلننشر ذلك من مظانه فايدنا الذين امنوا يعني على عدوهم وهم الذين كفروا
بعيسى فاصبحوا ظاهرين اي ظاهرين لهم مستعولين عليهم وقال زيد بن علي وقتادة
ظاهرين غالبين بالحجة والبرهان وقيل ايدنا المسلمين على الفرق الضالة من اليهود
الكتاب لجمع الاوراق مفصل

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما
في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم
يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين
واخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو
الفضل العظيم مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم
الذين كذبوا بايات الله والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم
انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت
ايديهم والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون
الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة
من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت
الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم
تفلحون واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من

من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين هذه السورة مدنية وقيل مكية وهو خطأ
لأن أمر اليهود واعتصام الناس في الجمعة لم يكن إلا بالمدينة ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى
لما ذكر تأييد من آمن على أعدائهم أتبعه بذكر التنزيه لله تعالى وسعة ملكه وتقديسه
وذكر ما أنعم به على أمة محمد صلى الله عليه وسلم من بعثته عليه السلام إليهم وتلاوته
عليهم كتابه وتزكيتهم فصارت أمته غالبة سائر الأمم قاهرة لها منتشرة الدعوة كما انتشرت
دعوة الحواريين في زمانهم وقرأ الجمهور الملك بجر وما بعده وأبو وائل ومسلمة بن
محارب ورؤبة وأبو دينار الأعرابي بالرفع على إضمار هو وحسنه الفصل الذي
فيه طول بين الموصوف والصفة وحكاها عن يعقوب وقرأ أبو الدينار وزيد بن
علي القدوس بفتح القاف والجمهور بالضم هو الذي بعث الآية تقدم الكلام في نظ
يرها آل عمران وفي نسبة الأمي وآخرين الظاهر أنه معطوف على الأميين أي في آخرين
من الأميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون قال وآخرين منصوب عطفا على الضمير
في ويعلمهم أسند تعليم الآخرين إليه عليه السلام مجازا لما نشأ التعليم إلى آخر الزمان
وذلك بعضه بعضا وكأنه عليه السلام أخذ منه وقال أبو هريرة وغيره وآخرين هم
فارس وجاء نصا عنه عليه السلام في صحيح البخاري ومسلم ولو فهم منه الحصر في فارس
لم يجز أن يعمم الآية ولكن فهم المفسرون منه أنه تمثيل فقال مجاهد وابن جبير الروم والعجم
وقال مجاهد أيضا وعكرمة ومقاتل لما يعني من أبناء العرب لقوله منهم أي في النسب وقال
مجاهد أيضا والضحاك وابن حبان طوائف الناس وقال ابن عمر أهل اليمن وعن مجاهد
أيضا أبناء الأعاجم وعن ابن زيد أيضا هم التابعون وعن الضحاك أيضا العجم وعن أبي
روق الصغار بعد الكبار وينبغي أن تحمل هذه الأقوال على التمثيل كما حملوا قول
الرسول فارس وهو العزيز الحكيم في تمكينه رجلا أميا من ذلك الأمر العظيم وتأييده
واختياره من سائر البشر ذلك فضل الله أي إيتاء النبوة وجعله خير خلقه وأشياء
منه وسر خلقه مثل الذين حملوا التوراة هم اليهود المعاصرون للرسول كلفوا القيام
بأوامرها ونواهيها ولم يطيقوا القيام بها حين كذبوا الرسول وهي ناطقة بنبوته
وقرأ الجمهور حملوا مشددا مبنيا للمفعول ويحيى بن يعمر وزيد بن علي مخففا للفاعل
شبه صفتهم بصفة الحمار الذي يحمل كتبا فهو لا يدري ما عليه أكتب هي أم

صخر أم غير ذلك وإنما يدركه من ذلك ما يلحقه من التعب بحملها وقال الشاعر
في نحو ذلك

زوامل للأشعار لا علم عندهم ... بجيدها إلا كعلم الأباعر
لعمرك ما يدري المطي إذا غدا ... بأوساقه أو راح ما في الغرائر

وقرأ عبد الله حمار منكرا والمأمون بن هارون يحمل مشددا مبنيا للمفعول والجمهور
الحمار معرفا ويحمل بالتخفيف مبنيا للفاعل ويحمل في موضع نصب على الحال قال الزمخشري
أو الجر على الوصف لأن الحمار كاللئيم في قوله

ولقد أمر على اللئيم يسبني

انتهى هذا الذي قاله قد ذهب إليه بعض النحويين من أن مثل هذا من المعارف توصل
بالجمل وحملوا عليه وآية لهم الليل نسلخ منه النهار وهذا وأمثاله عند المحققين في موضع
الحال لا في موضع الصفة ووصفه بالمعرفة ذي اللام دليل على تعريبه مع ما في ذلك
المذهب من هدم ما ذكره المتقدمون من أن المعرفة لا تنعت إلا بالمعرفة والجمل
نكرات بئس مثل القوم قال الزمخشري بئس مثلا مثل القوم انتهى
فخرجه على أن يكون التمييز محذوفا وفي بئس ضمير يفسره مثلا الذي ادعى حذفه
وقد نص سيبويه على أن التمييز الذي يفسر المضمر المستكن في نعم وبئس
وما أجري مجراهما لا يجوز حذفه وقال ابن عطية والتقدير بئس المثل مثل القوم
انتهى وهذا ليس بشيء لأن فيه حذف الفاعل وهو لا يجوز والظاهر أن مثل القوم
فاعل بئس والذين كذبوا هو المخصوص بالذم على حذف مضاف أي مثل الذين كذبوا
بآيات الله وهم اليهود أو يكون الذين كذبوا صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوف
التقدير بئس مثل القوم المكذبين مثلهم أي مثل الذين حملوا التوراة وقد روي أنه
لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبت يهود المدينة ليهود خيبر إن اتبعتموه أطعناه
وإن خالفتموه خالفناه فقالوا لهم نحن أبناء خليل الرحمن ومنا عزير بن الله حتى كانت
النبوة في العرب نحن أحق بها من محمد ولا سبيل إلى اتباعه فنزلت قل يا أيها الذين
هادوا وكانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه أي إن كان قولكم حقا فتمنوا
أن تنقلوا سريعا إلى دار كرامته المعدة لأوليائه وتقدم تفسير نظير هذه
الآية في سورة البقرة وقرأ الجمهور فتمنوا الموت بضم الواو وابن يعمر وابن أبي

انتهى وابن السميفع بكسرها وقرا ابن السميفع ايضا بفتحها وحكى الكسائي عن بعض الاعراب
انه قرا بالهمز مضموما بدل الواو وهذه القراءة من قرا يلوون بالهمز بدل الواو وقال الزمخشري
لا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن تاكيدا وتشديدا ليس في لا فاتى
مرة بلفظ التاكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه انتهى وهذا منه رجوع عن مذهبه
ان لن تقتضي النفي على التابيد الى مذهب الجماعة في انها لا تقتضيه واما قوله الا ان في
لن تاكيدا وتشديدا ليس في لا فيحتاج الى نقل عن مستقرئ اللسان وقرا الجمهور فانه والفا
دخلت في خبر ان اذ اجري الموصول مجرى صفته وكان ان باشرت الذين وفي الذين معنى
الشرط فدخلت الفا في الخبر وقد منع هذا قوم منهم الفرا وجعلوا الفا زائدة وقرا زيد بن علي
انه بغير فا وخرجه الزمخشري على الاستئناف وخبر ان هو الذي كانه قيل ان
الموت الذي تفرون منه انتهى ويحتمل ان يكون خبر ان هو قوله انه ملاقيكم فالجملة خبر ان ويحتمل
ان تكون انه توكيدا لان الموت وملاقيكم خبر ان لما طال الكلام اكد الحرف مصحوبا بضمير
الاسم الذي يليه ان اذا نودي اي اذن وكان الاذان عند قعود الامام على المنبر وكذا
كان في زمن الرسول كان اذا صعد على المنبر اذن على باب المسجد فاذا نزل بعد الخطبة
اقيمت الصلاة وكذا كان في عهد ابي بكر وعمر الى زمان عثمان كثر الناس وتباعدت المنازل
فزاد مؤذنا اخر على داره التي تسمى الزوراء فاذا جلس على المنبر اذن الثاني فاذا نزل من المنبر
اقيمت الصلاة ولم يعب احد ذلك على عثمان رضي الله عنه وقال الزمخشري ما نصه ——
من في قوله من يوم الجمعة بيان لاذا وتفسير له انتهى وقرا الجمهور
الجمعة بضم الميم وابن الزبير وابو حيوة وابن ابي عبلة ورواية عن ابي عمرو وزيد بن علي والاعمش
بسكونها وهي لغة تميم ولغة بفتحها لم يقرا بها وكان هذا اليوم يسمى عروبة ويقال العروبة
—— قيل اول من سماه الجمعة كعب بن لؤي واول جمعة صليت جمعة سعد بن زرارة
صلى ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله اية الجمعة فهي اول جمعة
جمعت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما قدم المدينة
نزل قباء على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلثا والاربعا والخميس واسس
مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم
فخطب وصلى الجمعة والظاهر وجوب السعي لقوله فاسعوا الى ذكر الله وانه يكون الى الجمع

بحو

دال

بحثه ومذا روى الحسن وقتادة ومالك وغيرهم انما هو الى الصلاة بالسكينة والسعي هو بالنية والاخلاص
والعمل قيل وليس الاسراع في المشي كالسعي بين الصفا والمروة وانما هو بمعنى قوله وان ليس للانسان
الا ما سعى فالقضاء والوضوء ولبس الثوب والمشي كله سعي والظاهر ان الخطاب بالامر بالسعي
للمؤمنين عموما واستثنى منه على الاعيان بعض الناس فقيل فرض كفاية وعن مالك رواية
شاذة انها سنة وقال الحافظ ابو بكر بن العربي يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
الرواح الى الجمعة واجب على كل مسلم وقال المامور بالسعي المؤمن الصحيح الحر الذكر المقيم فلو خرجوا
اجزاهم انتهى والمسافة التي يسعى فيها الى صلاة الجمعة لم يتعرض لها الا انه لها واختلف الفقهاء في ذلك
فقال عمر وابو هريرة وانس والزهري ستة اميال و —— خمسة وقال ربيعة اربعة
وروي ذلك عن الزهري وابن المنكدر وقال مالك والليث ثلثة وقال ابو حنيفة واصحابه على من في
المصر سمع النداء او لم يسمع لا على من هو خارج المصر وان سمع النداء وعن ابن عمر وابن المسيب
والزهري واحمد واسحق على من سمع النداء وعن ربيعة على من اذا سمع النداء وخرج من بيته ماشيا
ادرك الصلاة وقرا اكابر الصحابة والتابعين فامضوا بدل فاسعوا وينبغي ان يحمل على

لعلها

التفسير من حيث انه لا يراد بالسعي هنا الاسراع في المشي فتفسيره بالمضي ولا يكون قرانا لمخالفته
سواد ما اجمع المسلمون عليه وذكر الله هو الخطبة قاله ابن المسيب وهي شرط انعقاد
الجمعة عند الجمهور وقال الحسن هي مستحبة والظاهر انه يجزي من ذكر الله ما يسمى ذكرا قال
ابو حنيفة لو قال الحمد لله او سبحان الله واقتصر عليه جاز وقال —— عنه لا بد من كلام
يسمى خطبة وهو قول الشافعي وابي يوسف ومحمد بن الحسن والظاهر تحريم البيع وانه لا ينعقد وقال
ابن العربي يفسخ وهو الصحيح وقال الشافعي ينعقد ولا يفسخ وكل ما يشغل من العقود
كلها فهو حرام شرعا مفسوخ ردعا انتهى وانما ذكر البيع من سائر المحرمات لانه اكثر
ما يشتغل به اصحاب الاسواق او يكثر الوافدون الى الامصار من القرى مجتمعون للتجارة
اذا تعالى النهار فامروا بالبدار الى الجامع ونهوا عن تجارة الدنيا ووقت التحريم من الزوال
الى الفراغ من الصلاة قاله الضحاك والحسن وعطا وقال ناس عن غيرهم من وقت اذان الخطبة
الى الفراغ والاشارة بذلكم الى السعي وترك البيع والامر بالانتشار والابتغا امر اباحة
وفضل الله هو ما يبتغيه من خالص حسنة كعيادة مريض وصلة صديق واتباع جنازة
واخذ في بيع وشرا ومعروفه دينية ودنيوية وامر مع ذلك باكثار ذكر الله وقال مكحول

والحسن وان المسبب المفضل للامور ما سبقه هو العلم وقال جعفر الصادق يعني ان تكون
يحرص صبح يوم السبت ويعني ان تكون بقيه يوم الجمعه في عباده وروي انه كان اصاب
اهل المدينه جوع وغلا سعر فقدم دحيه بتجاره من الشام وقال مجاهد كان من عرفهم
ان يدخل بالطبل والمعازف والصياح سرورا بها فدخلت بذلك فانفضوا الى
رويه ذلك وسماعه وتركوه عليه السلام قائما على المنبر في اثني عشر رجلا قال
جابر انا احدهم قال ابو بكر غالب بن عطيه هم العشره المشهود لهم بالجنه والحادي
عشر قيل عمار وقيل ابن مسعود وقيل بلال ثمانيه قالوا فنزلت واذا راوا او قرا الجمهور
اليها يعني التجاره وابن ابي عبله اليه يعني اللهو وكل منهما جائز يضرب عليه الاكثر
من العرب وقال ابن عطيه وقال المهدوي لم يقل اليهما تهمما بالاهم اذ هي كانت
سبب اللهو ولم يكن اللهو سببها وتامل ان قدمت التجاره على اللهو في الرويه لانها
اهم واخرت مع التفضيل ليقع النفس اولا على الاعلى لانه اهم وقوله اليها ولم يقل
اليهما ليس يصح لان العطف باو لا يثنى فيه الضمير بل يفرد وقد تاولوا قوله تعالى
ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما وفي قوله قائما دلاله على مشروعيه القيام في
الخطبه واول من استراح في الخطبه عثمان واول من خطب جالسا معاويه وقرى [illegible]
ما التسميه للجمع كقولنا ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما وتخريجه على ان يكون
او فيكون بمعنى الواو وقد تقدم عن بعض النحو في قوله فالله اولى بهما في موضعه
في سوره النساء وناسبتها [illegible] القران من انهم كانوا قد مسهم شيء من غلا
الاسعار كما تقدم في سبب النزول وقد ملا المفسرون كتبهم اوراقهم باحكام
وفلاسفه في مسائل الجمعه مما لا تعلق لها بلفظ القران الحسن [illegible] الخشب
معروفات استندت ظهري الى الحائط امالته واصغيته اليه وسانيد القوم
اصطفوا وتعالوا للقتال

٤٥ ٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
اتخذوا ايمانهم جنه فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم امنوا
ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا

تسمع

تسمع لقولهم كانهم خشب مسنده يحسبون كل صيحه عليهم هم العدو فاحذرهم
قاتلهم الله انى يؤفكون واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورايتهم
يصدون وهم مستكبرون سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر
الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند
رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون
يقولون لئن رجعنا الى المدينه ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزه ولرسوله وللمؤمنين ولكن
المنافقين لا يعلمون يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله
ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم
الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين
ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون هذه السوره مدنيه
نزلت في غزوه بني المصطلق كانت من عبد الله بن ابي سلول واتباعه فيها
اقوال فنزلت وسبب نزولها من كونه قصه طويله مختصرها ان اثنين
من الصحابه ازدحما على ماء وذلك في غزوه بني المصطلق فسح احدهما الاخر فدعا
[illegible] للانصار [illegible] بالمهاجرين فقال عبد الله بن ابي سلول ما حكى الله
في قوله لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقوله ليخرجن الاعز منها الاذل
وعنى بالاعز نفسه وكلاما قبيحا فسمعه زيد بن ارقم ونقل ذلك الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله فحلف ما قال
شيئا من ذلك فاتهم زيدا فانزل الله اذا جاءك المنافقون الى قوله لا يعلمون تصديقا
لزيد وتكذيبا لعبد الله بن ابي ومناسبه هذه السوره لما قبلها انه لما كان سبب
الانفضاض عن سماع الخطبه ربما كان حاصلا عن المنافقين واتبعهم ناس كثير
من المؤمنين في ذلك وذلك لسرورهم بالعير الذي قدمت بالميره اذ كان وقت
مجاعه جاء ذكر المنافقين وما هم عليه من كراهه اهل الايمان واتبعه بقبائح افعالهم
وقولهم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا اذ كانوا هم اصحاب اموال
والمهاجرون فقراء قد تركوا اموالهم ومتاجرهم وهاجروا الى الله قالوا نشهد
تجري مجرى اليمين ولذلك يتلقى بما يتلقى به القسم وكذا فعل العرب والعلم يجري

جرى الفشم بقوله انك لرسول الله واصل الشهادة ان يواطئ اللسان القلب هذا بالنطق
وذلك بالاعتقاد فاكذبهم الله وفضحهم بقوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
اي لم يواطئ قلوبهم السنتهم على تصديقك واعتقادهم انك غير رسول فهم كاذبون
عند الله وعند من خبر حالهم او كاذبون عند انفسهم اذ كانوا يعتقدون ان قولهم
انك لرسول الله كذب وجاءت شهادتهم ويكذبهم قوله والله يعلم انك لرسوله ابدا بانا
ان الامر كما لفظوا به من كونه رسول الله حقا واثبات هذه الجملة لئلا يتوهم ان قولهم
هذا كذب فتوسطت الجملة بينهما ليزول ذلك التوهم اتخذوا ايمانهم جنة سمى شهادتهم
تلك ايمانا وقرا الجمهور ايمانهم بفتح الهمزة جمع يمين وقرا الحسن بكسرها مصدر امن ولما
ذكر انهم كاذبون اتبعه بموجب كذبهم واتخاذ ايمانهم جنة يستترون بها ويذبون
بها عن انفسهم واموالهم وكذلك ايمانهم الذين اظهروه ولبس جنته يستروا به
وصانوا به انفسهم واموالهم كما قال بعض الشعرا

وما انتسبوا الى الاسلام الا لصون دمائهم ان لا تسالا

ومن ايمانهم ايمان عبد الله ومن حلف معه من قومه انه ما قال ما نقله زيد بن ارقم
الى الرسول فجعلوا تلك الايمان جنة تقي من القتل وقال الاعشى [illegible]

اذا انت لم تجعل لعرضك جنة من المال سار الذم كل مسير

وقال الضحاك يحزوا حلفهم الله انهم لمنكم وقال قتادة كلما ظهر على شيء منهم
يوجب مؤاخذتهم حلفوا كاذبين عصمة لاموالهم ودمائهم وقال السدي جنة
من سيف القتل عليهم اذا ماتوا فصدوا اي اعرضوا وصدوا اليهود
والمشركين عن الدخول في الاسلام ذلك اي ذلك الحلف الكاذب والصد المقبح
لهم ساء العمل بسبب انهم كفروا وقال ابن عطية ذلك اشارة الى فعل
الله بهم في فضيحتهم وتوبيخهم ويحتمل ان يكون الاشارة الى سوء ما عملوا فالمعنى ساء عملهم
بان كفروا وقال الزمخشري ذلك القول الشاهد عليهم بانهم اسوا الناس اعمالا بسبب
انهم امنوا ثم كفروا او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالايمان
اي ذلك كله بسبب انهم امنوا ثم كفروا وقرا الجمهور فطبع مبنيا للمفعول وزيد بن علي
مبنيا للفاعل اي فطبع الله وكذا قرا الاعمش وزيد في رواية مصرحا بالله

ويحتمل

ويحتمل على قراءة زيد الاولى ان يكون الفاعل ضميرا يعود على المصدر المفهوم مما قبله اي
فطبع هو اي تلعابهم بالدين ومعنى امنوا نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل المسلمون
ثم كفروا اي ظهر كفرهم بما نطقوا به بعد من قولهم لئن كان ما يقوله محمد حقا فنحن
شر من الحمير وقولهم اتطمع هذا الرجل ان يفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات او
نطقوا بالايمان عند المؤمنين وبالكفر عند شياطينهم او في ذلك فيمن امن ثم ارتد
واذا رايتهم تعجبك اجسامهم الخطاب للرسول او للسامع اي لحسنها ونضارتها
وكان ابن ابي رئيس المنافقين وان يقولوا تسمع لقولهم وذلك لفصاحة السنتهم وجهارة
اصواتهم فكان منظرهم يروق ومنطقهم يحلو وقرا الجمهور تسمع بتاء الخطاب وعكرمة
وعطية العوفي بالياء مبنيا للمفعول ولقولهم الجار والمجرور هو المفعول الذي لم يسم فاعله
ولتسمع اللام زائدة بل ضمن تسمع معنى تصغ وتميل فعدي باللام وليست زائدة ومقول
قولهم هو المسموع وشبهوا بالخشب لعزوب افهامهم وفراغ قلوبهم من الايمان ولم
يكف حتى جعلها مسندة الى الحائط لا انتفاع بها لانها اذا كانت في سقف او
مكان ينتفع بها واما اذا كانت غير منتفع بها فانها تكون مهملة مسندة الى
الحيطان او ملقاة على الارض قد صففت او شبهوا بالخشب التي هي
الاصنام وقد اسندت الى الحيطان او شبهوا في اصطفافهم في الاندية بالخشب
المصطفة الى الحيطان والجامع بينهما مستندا نفعه او على اضارته وقرا الجمهور خشب
بضم الخاء والشين والبراء بن عازب والنحويان وابن كثير باسكان الشين
تخفيف خشب المضموم وقيل جمع خشبا كجمر جمع جمرة وهي الخشبة التي نخر جوفها
شبهوا بها في نفاذ بواطنهم وقرا ابن المسيب وابن جبير خشب بفتحتين
اسم جنس الواحد خشبة وانث وصفه كقولهم نخل خاوية اشباح بلا
ارواح واجسام بلا احلام وذكر من كان ذا بها وفصاحة عبد الله بن ابي
والجد بن قيس ومعتب بن قشير وقال الشاعر مثل هؤلاء

لا يخدعنك اللحى ولا الصور تسعة اعشار من ترى بقر
تراهم كالسحاب منتشرا وليس فيها لطالب مطر
في شجر السرو منهم شبه له رواء وما له ثمر

وتلك الجملة المشبهة وصفهم بالجبن والخور ويدل عليه يحسبون كل صيحة عليهم في
موضع المفعول الثاني ليحسبون اي واقعة عليهم وذلك لجبنهم وما في قلوبهم من الرعب
قال مقاتل كانوا متى سمعوا بنشدون ضالة او صايحا باي وجه كان او اخبروا
بنزول وحي طارت عقولهم حتى يسكن ذلك ويكونون في غمر شأنهم وكانوا يخافون ان
ينزل الله فيهم ما يباح به دماؤهم واموالهم ونحو قول الشاعر

يروعه السرار بكل ارض ... مخافة ان يكون به السرار

وقال جرير

ما زلت تحسب كل شيء بعدهم ... خيلا تكر عليهم ورجالا

انشده ابن عطية لجرير ونسب هذا البيت الزمخشري للاخطل وقال ويجوز ان يكون
هم العدو المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير فان قلت فحقه ان يقول هي العدو قلت
منظور فيه الى الخبر كما ذكر في هذا ربي وان يقدر مضاف محذوف على يحسبون
كل اهل صيحة انتهى وتخريج هم العدو على انه مفعول ثان ليحسبون تخريج متكلف بعيد
عن الفصاحة بل المتبادر الى الذهن السليم ان يكون هم العدو اخبارا منه تعالى بانهم وان
اظهروا الاسلام واتباعهم هم المبالغون في عداوتك ولذلك جاء بعده امره تعالى
اياه بحذرهم فقال فاحذرهم والامر بالحذر متسبب عن اخباره بانهم هم العدو
قاتلهم الله دعاء يتضمن ابعادهم وتعليم للمسلمين ان يدعوا عليهم المؤمنين بذلك اني يؤفكون
كيف يصرفون عن الحق وفيه تعجب من ضلالهم وجهلهم ولما اخبر تعالى بعداوتهم
امر بحذرهم فلا تثق باظهار مودتهم ولا بلين كلامهم وقاتلهم الله كلمة ذم لانه تعالى
هو القاهر لكل معاند وانى استفهام اي كيف يصرفون عن الحق ولا يرون رشد
انفسهم قال ابن عطية ويحتمل ان يكون اني ظرفا لقاتلهم كانه قال قاتلهم الله كيف
انصرفوا او صرفوا فلا يكون في القول استفهام على هذا انتهى ولا يصح ان يكون
اني لمجرد الظرف بل لابد ان يكون ظرفا استفهاما اما بمعنى اين او بمعنى متى
او بمعنى كيف او شرطا بمعنى اين وعلى التقادير لا يعمل فيها ما قبلها ولا يتجرد
لمطلق الظرفية بحال من غير اعتبار ما ذكرناه فالقول بذلك باطل ولما صدق
الله زيد بن ارقم فيما اخبر به عن ابن سلول مقت الناس ابن سلول ولامه

المؤمنون من قومه فقال له بعضهم امض الى رسول الله واعترف بذنبك يستغفر لك فلوى
راسه انكارا لهذا الراي وقال لهم لقد اشرتم علي بالايمان فآمنت واشرتم علي بان
اعطي زكوة مالي ففعلت ولم يبق لكم الا ان تامروني بالسجود لمحمد ويستغفر مجزوم
على جواب الامر ورسول الله يطلبه عاملان احدهما يستغفر والاخر تعالوا فاعمل
الثاني على المختار عند اهل البصرة ولو اعمل الاول لكان التركيب تعالوا يستغفر
لكم الى رسول الله وقرأ مجاهد ونافع واهل المدينة وابو حيوة وابن عبلة والمفضل
وابان عن عاصم والحسن ويعقوب بخلاف عنهما لووا بتخفيف الواو وابو جعفر
والاعمش وطلحة وعيسى وابو رجاء والاعرج وباقي السبعة بشدها للتكثير ولي رؤوسهم
هو على سبيل الاستهزاء واستغفار الرسول لهم هو استتابتهم من النفاق وليستغفر
لهم اذ كان استغفاره مسببا عن استتابتهم يتوبون وهم يصدون يعرضون عن المجي
واستغفار الرسول وقرئ يصدون ويصدون جملة حالية واتى المضارع ليدل
على استمرارهم وهم مستكبرون جملة حالية ايضا ولما سبق علمه تعالى انهم لا يؤمنون
البتة سوى بين استغفاره لهم وعدمه وحكى مكي انه عليه السلام كان استغفر
لهم لانهم اظهروا له الاسلام وقال ابن عباس نزلت هذه بعد قوله في براءة ان
تستغفر لهم سبعين مرة وقوله عليه السلام سوف استغفر لهم زيادة على السبعين
فنزلت هذه فلم يبق للاستغفار لهم وجه وقرأ الجمهور استغفرت بهمزة التسوية
التي اصلها همزة الاستفهام وطرح الف الوصل وابو جعفر بمدة على الهمزة فقيل هو
عوض من همزة الوصل وهي مثل المد في قوله تعالى قل آلذكرين حرم ولكن هذه
المدة في الاسم لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر ولا يحتاج ذلك في الفعل لان همزة الوصل
فيه مكسورة وعن ابي جعفر ايضا ضم الميم عليهم اذ اصلها الضم ووصل الهمزة وروى
معاذ بن معاذ العنبري عن ابي عمرو كسر الميم على اصل التقاء الساكنين ووصل الهمزة
فتسقط من اللفظ وتكون اللفظ خبرا والمعنى على الاستفهام والمراد التسوية وجاز
حذف الهمزة لدلالة ام عليها كما دلت على حذفها في

بسبع رمين الجمر ام بثمان

يريد ابسبع وقال الزمخشري وقرأ ابو جعفر آستغفرت اشباعا لهمزة الاستفهام للاظهار

والسين للطلب والهمزة للوصل ألفا كما في السحر والله أعلم وقال ابن عطية وقرأ أبو جعفر
ابن القعقاع استغفرت بمدة على الهمزة وهي ألف التسوية وقرأ أيضا بوصل
الألف دون همز على الخبر وفي هذا كله ضعف لأنه في الأول أثبت همزة الوصل
وقد أغنت عنها همزة الاستفهام وفي الثانية حذف همزة الاستفهام وهو يريدها
وهذا مما لا يستعمل إلا في الشعر هم الذين يقولون إشارة إلى ابن سلول ومن
وافقه من قومه سفه أحلامهم في أنهم ظنوا أن رزق المهاجرين بأيديهم وما علموا
أن ذلك بيد الله لا تنفقوا على من عند رسول الله إن كان تعالى حكى نص كلامهم
فقولهم على من عند رسول الله هو على سبيل الهزء كقولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر
إنك لمجنون أو لكونه جرى عندهم مجرى اللقب أي هو معروف بإطلاق هذا اللفظ عليه
إذ كانوا مقرين برسالته فأصدر منهم ما صدر والظاهر أنهم لم يتلفظوا بنفس ذلك
اللفظ ولكنه عبر تعالى بذلك عن رسوله إكراما له وإجلالا وقرأ الجمهور ينفضوا
أي يتفرقوا عن الرسول والفضل بن عيسى الرقاشي ينفضوا من أنفض القوم فني
طعامهم فنفض الرجل وعاءه والفعل من باب ما يعدى بغير الهمزة وبالهمزة لا
يتعدى قال الزمخشري وحقيقته حان لهم أن ينفضوا مزاودهم وقرأ الجمهور ليخرجن
الأعز منها الأذل فالأعز فاعل والأذل مفعول وهو من كلام ابن سلول كما
تقدم ويعني بالأعز نفسه وأصحابه وبالأذل المؤمنين والحسن وابن أبي عبلة
والمسيبي لنخرجن بالنون ونصب الأعز والأذل فالأعز مفعول والأذل
حال وقرأ الحسن فيما ذكر أبو عمرو الداني لنخرجن بنون الجماعة مفتوحة وضم الراء
ونصب الأعز على الاختصاص كما قال نحن العرب أقرى الناس للضيف ونصب الأذل
على الحال وحكى هذه القراءة أبو حاتم وحكى الكسائي والفراء أن قوما قرءوا ليخرجن بالياء
مفتوحة وضم الراء فالفاعل الأعز ونصب الأذل على الحال وقرئ ليخرجن مبنيا للمفعول
وبالياء الأعز مرفوع به الأذل نصبا على الحال ومجيء الحال بصورة المعرفة متأول عند
البصريين بما كان فيها بال فعلى زيادتها لا أنها معرفة ولما سمع عبد الله بن عبد الله
ابن أبي هذه الآية جاء إلى أبيه فقال أنت والله يا أبت الذليل ورسول الله العزيز
فلما دنا إلى المدينة جرد السيف عليه ومنعه الدخول حتى يأذن له رسول الله وكان

فيما

فيما قال له وراءك والله لا تدخلها حتى يقول رسول الله الأعز وأنا الأذل فلم يزل
حبيسا في يده حتى أذن له الرسول بتخليته وفي هذا الحديث أنه قال لئن لم تقر
لله ولرسوله بالعزة لأضربن عنقك قال أما فاعل قال نعم فقال أشهد أن العزة لله
ولرسوله وللمؤمنين وسئل الحسن بن علي عن زعم الناس أن فيك تيها فقال ليس بتيه ولكنه
عزة وتلا هذه الآية لا تلهكم لا تشغلكم أموالكم بالسعي في نمائها والتلذذ بجمعها ولا او لادكم
بسروركم به وبالنظر في مصالحهم في حياتكم وبعد مماتكم عن ذكر الله تعالى وهو عام في
الصلاة والثناء على الله بالتسبيح والتحميد وغير ذلك والدعاء وقال نحوا منه الحسن وجماعة
وقال الضحاك وعطاء الذكر هنا الصلاة المكتوبة وقال الحسن أيضا جميع الفرائض وقال
الكلبي الجهاد مع الرسول وقيل القرآن ومن يفعل ذلك أي الشغل عن ذكر الله بالمال
والولد فأولئك هم الخاسرون حيث آثروا الآجل على العاجل والفاني على الباقي وأنفقوا
مما رزقناكم قال الجمهور المراد الزكاة وقيل عام في مفروض ومندوب وعن ابن
عباس نزلت في مانعي الزكاة والله لو رأى خيرا ما سأل الرجعة فقيل له أما تتقي الله
يسأل المؤمنون الكرة قال نعم أنا أقرأ عليكم به قرآنا يعني أنها في المؤمنين وهم المخاطبون
بها لولا أخرتني أي هلا أخرت موتي إلى زمان قليل وقرأ الجمهور فأصدق وهو
منصوب على جواب الرغبة وأبي وعبد الله وابن جبير فأتصدق على الأصل وقرأ جمهور
السبعة وأكن مجزوما قال الزمخشري عطفا على محل فأصدق كأنه قيل إن أخرتني
أصدق وأكن وقال ابن عطية عطفا على الموضع لأن التقدير إن تؤخرني أصدق
وأكن هذا مذهب أبي علي الفارسي فأما ما حكاه سيبويه عن الخليل فهو غير هذا
وهو أنه جزم وأكن على توهم الشرط الذي يدل عليه التمني ولا موضع هنا لأن الشرط
ليس بظاهر وإنما يعطف على الموضع حيث يظهر الشرط كقوله تعالى من يضلل الله
فلا هادي له ويذرهم فمن قرأ بالجزم عطفا على موضع فلا هادي له لأنه لو وقع هنالك
فعل كان مجزوما وما اسمه الفرق بين العطف على الموضع والعطف على التوهم أن العامل
في العطف على الموضع موجود دون مؤثره والعامل في العطف على التوهم مفقود وأثره
موجود وقرأ الحسن وابن جبير وأبو رجاء وابن أبي إسحاق ومالك بن دينار والأعمش
وابن محيصن وعبيد الله بن الحسن العنبري وأبو عمرو وأكون بالنصب عطفا على فأصد ق

وكذا في مصحف عبد الله وأبي وقرأ عيسى بن عمر وأكون بفتح النون على الاستئناف
أي وأنا أكون وهو وعد بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا تحريض على المبادرة بأعمال الطاعة
حذارا أن يجيء الأجل وقد فرط ولم يستعد للقاء الله وقرأ الجمهور تعملون بالخطاب للناس
كلهم وأبو بكر بالياء خص الكفار بالوعيد ويحتمل العموم التغابن تفاعل من الغبن وليس
من اثنين بل هو من واحد كتواضع وتحامل والغبن أخذ الشيء بدون قيمته أو بعضه
كذلك وقيل الغبن الإخفاء ومنه غبن الشيء استخفاؤه ويقال غبنت الثوب وخبنته
إذا أخذت ما طال منه عن مقدار فمعناه النقص

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله
ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير هو الذي خلقكم
فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير خلق السموات والأرض بالحق وصوركم
فأحسن صوركم وإليه المصير يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون
والله عليم بذات الصدور ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم
عذاب أليم ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا
واستغنى الله والله غني حميد زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن
ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما
تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر
عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير
هذه السورة مدنية في قول الأكثرين وقال ابن عباس وغيره مكية إلا آيات
من آخرها يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم إلى آخرها فإنها نزلت بالمدينة وقال الكلبي
مدنية ومكية ومناسبة هذه السورة لما قبلها أن ما قبلها مشتمل على حال المنافقين
وفي آخرها خطاب للمؤمنين وأتبعها بما يناسبه من قوله هو الذي خلقكم فمنكم كافر
ومنكم مؤمن وهذا تقسيم في الإيمان والكفر بالنظر إلى الاكتساب عند جماعة
من المتأولين كقوله كل مولود يولد على الفطرة وقوله تعالى فطرت الله التي
فطر الناس عليها وقيل ذلك في أصل الخلقة بدليل ما في حديث النطفة من قول الملك

اشقي

اشقي أم سعيد والغلام الذي قتله الخضر إنه طبع يوم طبع كافرا وما روى ابن
مسعود أنه عليه السلام قال خلق الله فرعون في البطن كافرا وخلق الله يحيى بن زكريا
مؤمنا وعن عطاء بن أبي رباح فمنكم كافر بالله مؤمن بالكوكب ومؤمن بالله كافر
بالكوكب وقدم الكافر لكثرته الأكثر إلى قوله وقليل من عبادي الشكور وحين ذكر
الصالحين قال وقليل ما هم وقال الزمخشري فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالإ
يمان وفاعل له كقوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون
والدليل عليه قوله والله بما تعملون بصير أي عالم بكفركم وإيمانكم اللذين هما من عملكم
والمعنى هو الذي تفضل عليكم بأصل النعم الذي هو الخلق والإيجاد عن العدم فكان
يجب أن تنظروا النظر الصحيح وتكونوا بأجمعكم عبادا شاكرين [illegible]
الاعتزال وقيل أيضا وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخالق وهم الدهرية ومنكم مؤمن
به وعن الحسن في الكلام حذف دل عليه ما تقدم ومنكم فاسق أبو حيان كأنه [illegible]
المعتزلة على الحسن وتقديم الجار والمجرور في قوله له الملك وله الحمد قال الزمخشري
ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لأن الملك على الحقيقة
له لأنه مبدئ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لأن أصول
النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمد غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت
على يده وقرأ الجمهور صوركم بضم الصاد والأعمش وزيد بن علي وأبو رزين بكسرها وهو
القياس في فعل وهذا اعتداد بالنعمة في حسن الخلقة لأن أعضاء بني آدم متصرفة بجميع
ما تتصرف به أعضاء الحيوانات وبزيادات كثيرة فضل بها مع حسن الوجه وجمال
الجوارح كما قال تعالى لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وقيل النعمة هنا إنما هي
صورة الإنسان من حيث هو إنسان مدرك عاقل فهذا هو الذي حسن له
حتى لحقته كمالات كثيرة ويكاد لا تعرف الصورة إلا الشكل لا المعنى القائم بالصورة
ونبه تعالى بعلمه ما في السموات والأرض ثم بعلمه ما يسر العباد وما يعلنونه ثم بعلمه
ما أكنته الصدور على أنه تعالى لا يعزب عن علمه شيء لا من الكليات ولا من الجزئيات
فابتدأ بالعلم الشامل للعالم كله ثم بخاص العباد من سرهم وإعلانهم ثم بما خص
منه وهو ما تنطوي عليه صدورهم من خفي الأشياء وكامنها وكأنه كله في معنى

الوعيد اي فهو تعالى المجازي على جميع ذلك بالثواب والعقاب وقرا الجمهور ما تسرون
وما تعلنون بتاء الخطاب وعبيد عن ابي عمرو وابان عن عاصم بالياء الم ياتكم نبأ
الخطاب لقريش ذكروا بما حل بالكفار قبلهم عاد وثمود وقوم ابراهيم وغيرهم ممن
صرح بذكرهم في سورة براءة وغيرها وقد سمعت قريش اخبارهم فذاقوا وبال امرهم
اي مكروهه وما يسوؤهم منه ذلك اي الوبال بانه اي بان الشان والحديث استبعدوا
ان بعث الله من البشر رسولا كما استبعدت قريش فقالوا على سبيل الاستغراب
ابشر يهدوننا وذلك انهم يقولون نحن متساوون في البشرية فانى يكون لهؤلاء
تميز علينا بحيث يصيرون هداة لنا وارتفع ابشر عند الحوفي وابن عطية على
الابتداء والخبر يهدوننا والاحسن ان يكون مرفوعا على الفاعلية لان همزة الاستفهام
تطلب الفعل فالمسألة من باب الاشتغال فكفروا العطف بالفاء يدل على تعقيب
كفرهم مجيء الرسل بالبينات اي لم ينظروا في تلك البينات ولا تدبروها بل عقبوا
مجيئها بالكفر واستغنى الله بمعنى الفعل المجرد وغنى تعالى لا بمعنى انه ظهر تعالى
غناه عنهم اذ اهلكهم وليس استفعل هنا للطلب وقال الزمخشري معناه وظهر
استغناء الله حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك انتهى
وفيه دسيسة الاعتزال والزعم تقدم تفسيره والذين كفروا اهل مكة وبلى
اثبات لما بعد حرف النفي وذلك على الله يسير اي لا يصرفه عنه صارف فامنوا
بالله ورسوله وهو محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا وهو القران وانتصب
يوم يجمعكم بقوله لتنبؤن او بخبير لما فيه من معنى الوعيد والجزاء او باذكر مضمرا
قاله الزمخشري والاول عن النحاس والثاني عن الحوفي وقرا الجمهور يجمعكم بالياء وضم
العين وروي عنه سكونها واشمامها الضم وسلام ويعقوب وزيد بن علي والشعبي
بالنون ليوم الجمع يجمع فيه الاولون والاخرون وذلك ان كل واحد يبعث طامعا
في الخلاص ورفع المنزلة ذلك يوم التغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة
وهو ان يغبن بعضهم بعضا لان السعداء نزلوا منازل الاشقياء لو كانوا سعداء
ونزل الاشقياء منازل السعداء لو كانوا اشقياء وفي الحديث ما من عبد يدخل
الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري

مقعده

مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة وذلك معنى يوم التغابن وعن مجاهد وغيره
اذا وقع الجزاء غبن المؤمنون الكافرين لانهم يحوزون الجنة ويحصل الكفار في النار
وقرا الاعرج وشيبة وابو جعفر وطلحة ونافع وابن عامر والمفضل عن عاصم وزيد
ابن علي والحسن بخلاف عنه نكفر وندخله بالنون فيهما والاعمش وعيسى والباقي
بالياء فيهما **ما اصاب من مصيبة الا باذن الله** ومن يؤمن بالله يهد قلبه
والله بكل شيء عليم واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ
المبين الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم انما
اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا
وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا
حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم
الظاهر اطلاق المصيبة على الرزية وهي ما يسوء العبد في نفس او مال
او ولد او قول او فعل وخصت بالذكر وان كانت جميع الحوادث لا تصيب الا
باذن الله وقيل يحتمل ان يريد بالمصيبة الحادثة من خير وشر اذ الحكم في كونهما
باذن الله واحد باذنه ومفعول اصاب محذوف اي ما اصاب احدا والفاعل من مصيبة
ومن زائدة ولم يلحق التاء اصاب وان كان الفاعل مؤنثا وهو فصيح والاثبات
كقوله ما تسبق من امة اجلها وقوله وما ياتيهم من اية الا باذن الله اي بارادة
الله وعلمه وتمكينه ومن يؤمن بالله اي يصدق بوجوده ويعلم ان كل حادثة بقضائه
وقدره يهد قلبه يلطف به على طريق الخير والهداية وقرا الجمهور يهد بالياء مضارعا
لهدى مجزوما على جواب الشرط وقرا ابن جبير وطلحة وابن هرمز والازرق عن
حمزة بالنون والسلمي والضحاك وابو جعفر يهد مبنيا للمفعول قلبه رفع وعكرمة
وعمرو بن دينار ومالك بن دينار يهدأ بهمزة ساكنة قلبه بالرفع والمعنى
يطمئن قلبه ويسكن بايمانه ولا يكون فيه اضطراب وعمرو بن فائد يهدا بالف
بعد الدال بدلا من الهمزة الساكنة وابدال الهمزة الفا في مثل يهدا ويقرا وليس
بقياس خلافا لمن اجاز ذلك قياسا وبنى عليه جواز حذف تلك الالف للجازم

وخرج عليه قول زهير بن ابي سلمى

جري متى يظلم يعاقب بظلمه سريعا وان لا يبد بالظلم يظلم

اصله يبدا ثم ابدل من الهمزة الف ثم حذفها للجازم تشبيها بالف يخشى اذا دخل الجازم
وقال تعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ثم امر بطاعة الله وطاعة رسوله
حذر مما يلحق الرجل من امراته وولده بسبب ما يصدر من بعضهم من العداوة ولا اعدى
على الرجل من زوجه وولده اذا كانا عدوين وذلك في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فباذهاب
ماله وعرضه واما في الاخرة فبما يسعى في اكتسابه من الحرام لهما وبما يكتسبانه منه بسبب
جاهه وكم من امراة قتلت زوجها وهجرته وافسدت عقله وكم من ولد قتل اباه وفي التواريخ
وفيما شاهدناه من ذلك كثير وعن عطاء بن ابي رباح ان عوف بن مالك الاشجعي اراد
الغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم فاجتمع اهله واولاده فثبطوه وتشكوا اليه فراقه فرق
ولم يغز ثم انه ندم وهم بمعاقبتهم فنزلت يا ايها الذين امنوا الاية وقيل ان قوما بالمدينة ثبطهم
ازواجهم واولادهم عن الهجرة ولم يهاجروا الا بعد مدة فوجدوا غيرهم قد تفقهوا في الدين
فهموا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فنزلت وان تعفوا وقال ابو العالية
اي يدعون ويدعون ملككم وعشيرتكم واموالكم فيعصوا امرهم وقال ابو الخير جمعا
الله في دار الهجرة فاصبتكم بحزن فلما هاجروا امنعهم الخير فحثوا ان يعفوا عنهم ويردوا
لهم البر والصلة ومن ثم لمن ان واكم واولادكم السعد من بعد يوصد روحه من زوجها
ويعينه على معاص في دنياه ودينه وكذلك الولد وقال الشعب العشري ولي
رباطا اذا كيف اولاد الرجال حزانة وان الحلال الحلو البارد العذب

لنا جانب منه دميث وجانب اذا رامه الاعداء مركبه صعب

وتاخذه عند المكارم هزة كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب

وقال سوار من الاعراب في ابنه ولده كان عاقا له قصيدة فيها بعض طول منها

وربيته حتى اذا ما تركته اخا القوم واستغنى عن المسح شاربه

فلما رآني احسب الشخص اشخصا بعيدا وذو الشخص البعيد اقاربه

تعمد حقي ظالما ولوى يدي لوى يده الله الذي هو غالبه

انما اموالكم واولادكم فتنة اي بلاء ومحنة لانهم يوقعون في الاثم والعقوبة ولا بلاء اعظم

منها

منها باب العداوة جابه من البلاء بعض العبض وفي الفتنة حكم بها على الاموال والاولاد
لا على بعضهم ولذلك لغلبة الفتنة بها وكفى بالمال فتنة قصة ثعلبة بن حاطب حين نزل فيه
وفيهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله الايات وقد شاهدنا من ذكرناه تشغله بالكسب
والتجارة في امواله حتى يصلي كثيرا من الصلوات الخمس فايته وقد شاهدنا من كان موصوفا
عند الناس بالديانة والورع فحين لاح له منصب وجاه استباب من يلوذ به من اهل الدين واخذ
تابكان بعض من انتسابه منصب اليسير مثل العلم سيء الطريقة ونعوذ بالله من الغدر
وقدمت الاموال على الاولاد لانها اعظم فتنة كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى
سعلسا اموالنا واهلونا والله عنده اجر عظيم تزهيد في الدنيا وترغيب في الاخرة
والاجر العظيم الجنة فاتقوا الله ما استطعتم قال ابو العالية جهدكم وقال مجاهد هو
ان يطاع فلا يعصى واسمعوا ما توعظون به واطيعوا فيما امرتم به ونهيتم عنه وانفقوا
فيما وجب عليكم ولا تبخلوا وزعم قتادة ان هذه ناسخ في الاية ويعني حق تقاته ما استطعتم وقال
ابن عطية يكون هذا فيما للوثاق كله كانه يقول جهدكم
دام العمل بها اسمي ومتر استعمل منتصب بفعل محذوف وتقديره وائتوا خيرا او على اخبار يكن
يكون خيرا او على انه نعت لمصدر محذوف اي انفاقا خيرا او على انه حال او على انه مفعول
بانفقوا خيرا اي مالا لا اموال الاول من باب وكلما امر بالانفاق ذكر بقوله ان تقرضوا
الله قرضا حسنا ورتب عليه تضعيف القرض وغفران الذنب وفي لفظ القرض تلطف
في الاستدعاء وفي لفظ المضاعفة تاكيد للبذل لوجه الله ثم اتبع جواب الشرط بوصفين
احدهما عائد الى المضاعفة اذ شكوره تعالى يقابل بالمضاعفة وكلمة يقابل بالعفو والصفح وهذا
الحض هو في الزكاة المفروضة ويشمل المندوب اليه تقع الحالة في العفو في قوله
ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون في نفقته

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا
طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن
من بيوتهن ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد
حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فاذا بلغن
اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوي عدل منكم

وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو
حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا ــــ السورة مع منه
فصل وسبب نزولها طلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة قاله فان
عن السدي وقال السدي طلاق عبد الله بن عمر وقيل فعل ناس مثل ما فعله منهم
عبد الله بن عمرو بن العاص وعمرو بن سعيد بن العاص وعتبة بن غزوان
فنزلت وقال الحافظ ابو بكر بن العربي وهذا كله لم يصح فالقول الاول امثل والاصح
فيه انه بيان لشرع مبتدا ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر الفتنة بالمال والولد
اشار الى الفتنة بالنساء وانهن قد يعرض الرجال للفتنة حتى لا يجد مخلصا منها
الا بالطلاق فذكر انه ينفصل منهن على الوجه الجميل بان لا يكون بين
اتصالها بالطلاق وقد ولا حمل بالنبي خطابا على سبيل التكريم والتنبيه
اذا طلقتم خطابا له عليه السلام وخاطب الجمع على سبيل التعظيم او لامته على
سبيل تلوين الخطاب ابتدا عليه اولا ثم رجع اليهم بالخطاب او على اضمار القول
اي قل لامتك اذا طلقتم او له ولامته وكانه ثم محذوف تقديره يا ايها النبي
وامة النبي فالخطاب له ولهم اي انت وامتك اي واله وقال الزمخشري خص
النبي صلى الله عليه وسلم وعم بالخطاب لان النبي امام امته وقدوتهم كما يقال
لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا
لترؤسه وانه مدره قومه ولسانهم والذي يصدرون عن رأيه ولا يستبدون
بامر دونه فكان هو وحده في حكم كلهم وسادا مسد جميعهم انتهى وهو كلام
حسن ومعنى اذا طلقتم اذا اردتم تطليقهن والنساء يعني المدخول بهن فطلقوهن
اي اوقعوا الطلاق لعدتهن هو على حذف مضاف اي لاستقبال عدتهن واللام
للتوقيت نحو كتبته لليلة بقيت من شهر كذا وتقدير الزمخشري مستقبلات لا
يجوز فانه قدر عاملها المتعلق به المجرور اي مستقبلات لعدتهن ليس مجرورا لانه
قدر عاملها خاصا ولا يحذف العامل في الظرف والجار والمجرور اذا كان خاصا
بل اذا كان كونا مطلقا لو قلت زيد عندك او في الدار يريد ضاحكا عندك

او ما حل في الدار لم يجز فتعلق اللام بقوله فطلقوهن ويكون على حذف مضاف
هو الصحيح وثمانية عن جماعة من الصحابة والتابعين انهم قرؤوا فطلقوهن
في قبل عدتهن وعن بعضهم في قبل عدتهن وعن عبد الله لقبل طهرهن وهو على
سبيل التفسير لا على انه قرآن لخلافه سواد المصحف الذي اجمع عليه المسلمون
شرقا وغربا ومن اوهم ان العدة بالنسبة الى الاطهار او الحيض تقدم ذلك في البقرة
في قوله ثلاثة قروء والمراد ان يطلقوهن في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن
فان شاء ردها قبل ان تنقضي عدتها يكون مهما التسريح وهذا الطلاق ادخل في
السنة وقال مالك لا اعرف طلاق السنة الا واحدة وكره الثلاث مجموعة او متفرقة
وابو حنيفة ذكر ما زاد على الواحدة في طهر واحد فاما مفرقا في الاطهار فلا وقال
الشافعي لا باس بارسال الثلاث وقال لا اعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو
مباح راعى في السنة الوقت فقط وابو حنيفة التفريق والوقت ومالك الواحدة
والوقت وقوله فطلقوهن يقتضي لا يعترض فيه لعدد ولا لوصف من تفريق
او جمع والجمهور على انه لو طلق لغير السنة وقع وعن ابن المسيب وجماعة من التابعين
انه لو طلق في حيض او ثلاث لم يقع والظاهر ان الخطاب في واحصوا العدة
للازواج اي اضبطوا بالحفظ وفي الاحصاء فوائد مراعاة الرجعة وزمان
النفقة والسكنى وتوزيع الطلاق على الاقراء او اراد ان يطلق ثانيا والعلم
بانها قد بانت فيتزوج باختها او باربع سواها ومعنى تعالى لا تخرجوهن من
مساكنهن حتى تنقضي العدة ومعنى من إضافتها اليهن واضافة البيوت
اليهن لما كان سكناهن فيها ونهيهن عن الخروج لا يبيح اذن الازواج
اذ لا اثر لاذنهم والاسكان على الزوج فان كان ملكه فذاك او ملكها
فلها مطالبة اجرته وسواء في ذلك الرجعية والمبتوتة ونبه ذلك انه لا يبيح
لها ولا تخرج منه نهارا الا لضرورة وذلك لحفظ النسب والاحتياط بالسنة
الا ان يأتين بفاحشة مبينة قال ابن عباس والحسن والشعبي وزيد
ابن اسلم والضحاك وعكرمة وحماد والليث ورواه مجاهد عن ابن عباس هو الفحش
للحدود وعن ابن عباس البذاء على الاحماء فيخرج ويسقط حقها من السكنى ويلزم

الا ثامه ان تسكن بحيث حفظا للنسب وعن ابضا جميع المعاصي من صدوه
او من مقدماتها او عند ذلك واصابه الطبرسي فيسقط حقها في السكنى وعن
ابن عمر والسدي وابن السائب هو خروجها من بيتها خروج انتقال فيسقط
حقها في السكنى وعن ما يه ايضا نشوزها عن الزوج فيطلق بسبب ذلك
فلا تكون لها سكنى واذا سقط حقها من السكنى امتنع العدد لا تدري ايها
المخاطب السامع لعل الله يحدث بعد ذلك امرا قال المفسرون الامر هنا الرغبة في
ارتجاعها والميل اليها بعد انحراف قلبه عنها او ظهور حال مراجعها من اهله ونصب
لا تدري على جملة الترجي فلا تدري معلقه عن العمل ويصح لنا الكلام على قوله
وان ادري لعله فتنة لكم وذكرنا انه يسعى ان يزيد في المعلقات لعل والجملة
المترجاة في موضع نصب بلا تدري فاذا بلغن اجلهن اي اشرفن على انقضاء
العدة فامسكوهن اي راجعوهن بمعروف اي بغير ضرار او فارقوهن بمعروف
اي سرحوهن باحسان والمعنى اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن انفسهن
مسائل
وقرا الجمهور لطلقهن على الامر وقرا الضحاك وابن سيرين لاجالهن على الجمع والا
بمعروف هو حسن العشرة فيما للزوجة على الزوج والمفارقة بمعروف هو اداء
المهر والمتعة والحقوق للزوجة والوفاء بالشرط واشهدوا الظاهر وجوب
الاشهاد على ما يقع من الامساك وهو الرجعة او الفراق وهو الطلاق وبهذا
الاشهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي
واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وفي ... واشهدوا راجع الى
الرجعة فقط والاشهاد شرط في صحتها فلها منعه من نفسها حتى يشهد وقال
ابن عباس الاشهاد على الرجعة وعلى الطلاق يرفع النوازل انه كالاتيه
كحين وتقييده بالاشهاد لا شهاد قبل وقيل الاشهاد انه لا يقع بينهما
التجاحد وان لا يتهم في امساكها ولئلا يموت احدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية
ليرث اشهدوا ذوي عدل منكم قال الحسن من المسلمين وقال قتادة من الاحرار واقيموا
الشهادة لله هذا امر للشهود اي لوجه الله خالصا لا للرياء مشهود له
مشهود عليه لا يلاحظ سوى اقامة الحق ذلكم اشارة الى اقامة الشهادة اذ

نوازل

نوازل لاشيا يدور عليها وبها يتميز المبطل من المحق ومن يتق الله قال علي
ابن ابي طالب وجماعة يعني في معنى الطلاق اي ومن لا يتعدى في طلاق السنة
الى طلاق الثلاث وغير ذلك يجعل الله له مخرجا ان ندم بالرجعة ويرزقه
ما يطعم اهله وسموح المشترط انه اذا لم يتق الله وطلق ثلاثا لم يكن
له مخرج وزال عنه رزق زوجته وقال ابن عباس للمطلق ثلاثا انك لم تتق
الله بانت منك امراتك فلا ارى لك مخرجا وقال لا يجعل له مخرجا يخلصه من كرب
الدنيا والاخرة والظاهر ان قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ... في احكام
الطلاق وروي انها نزلت في عوف بن مالك الاشجعي كان اسر ابن يسمى سالما لعوف بن
مالك الاشجعي فشكا ذلك للرسول فامره بالتقوى فقبل لم يلبث ان تغلت
ولده واستاق مائة من الابل ذكره في الكشاف وقطيعا من الغنم في الوجيز
كانت للذين اسروه وجاء ابا فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايطيب
له فقال نعم ونزلت الاية وقال الضحاك ويرزقه من حيث لا يحتسب امراة اخرى
وقيل ومن يتق الحرام يجعل له مخرجا الى الحلال وقيل مخرجا من الشدة الى الرخا
وقيل من النار الى الجنة وقيل من العقوبة ويرزقه من حيث لا يحتسب من
الثواب وقال الكلبي ومن يتق الله عند المصيبة يجعل له مخرجا الى الجنة ومن يتوكل
على الله اي يفوض امره اليه فهو حسبه اي كافيه ان الله بالغ امره قال
مسروق اي لا بد من نفوذ امر الله توكلت ام لم تتوكل وقرا الجمهور بالغ بالتنوين
امره بالنصب حفص والمفضل وابان وجبلة وابن ابي عبلة وجماعة عن ابي
عمرو ويعقوب بالغ منونا امره اي رفع اي نافذ امره والمفضل ايضا بالغا
بالنصب امره بالرفع فخرجه الزمخشري على ان بالغا حال وخبر ان هو قوله قد
جعل الله ويكون ان يكون هذه القراءة على قول من ينصب بان الجزئين كقوله
اذا اسود جنح الليل فلتات ولتكن خطاك خفافا ان حراسنا اسدا
ومن رفع امره فمفعول بالغ محذوف تقديره بالغ امره ما شاء قد جعل الله لكل
شيء قدرا اي تقديرا او مقدارا لا يتعداه وهذه الجمل تحض على التوكل وقرا جناح
ابن حبيش قدرا بفتح الدال والجمهور باسكانها واللائي يئسن من المحيض

من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن واولات الاحمال
اجلهن ان يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ذلك امر الله
انزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا اسكنوهن من حيث سكنتم
من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن
حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن واتمروا بينكم بمعروف وان
تعاسرتم فسترضع له اخرى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق
مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا روي
انهم او منهم ابي بن كعب وخلاد بن النعمان لما سمعوا قوله تعالى والمطلقات
يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قالوا يا رسول الله فما عدة من لا قرء لها من صغر او كبر
فنزلت هذه الآية فقال قائل فما عدة الحامل فنزلت واولات الاحمال وقرأ الجمهور
يئسن فعلا ماضيا وقرئ ييئسن مضارعا ومعنى ان ارتبتم في انها يئست ام لا
لاجل امكان ظهور حمل وان كان قد انقطع دمها وقيل ان ارتبتم في دم البالغات
مبلغ اليأس اهو دم حيض او استحاضة واذا كانت هذه عدة المرتاب بها
فغير المرتاب بها اولى بذلك وقدر بعضهم مبلغ اليأس بستين سنة وبعضهم بخمس
وخمسين وقيل بغالب سن يأس نساء المرأة وقيل اقصى عادة
امرأة في العالم وقال مجاهد الآية واردة في المستحاضة المتحيرة لا تدري
اهو دم حيض او دم علة وقيل ان ارتبتم شككتم في حالهن وحكمهن فلم تدروا ما
حكمهن فالحكم ان عدتهن ثلاثة اشهر واختار الطبري ان معنى ان ارتبتم شككتم
فلم تدروا ما الحكم وقيل ان ارتبتم اي ان تيقنتم اياسهن وهو من الاضداد
وقال الزجاج المعنى ان ارتبتم في حيضها وقد انقطع عنها الدم وكانت تحيض مثلها
وقال مجاهد ايضا ان ارتبتم هو للمخاطبين اي ان لم تعلموا عدة الآيسة واللائي
لم يحضن فالعدة هذه فعلى هذا في قوله ان ارتبتم قولان احدهما انه على ظاهر
مفهوم اللغة فيه وهو حصول الشك والآخر ان معناه التيقن للاياس والقول
الاول معناه ان ارتبتم اقوال والظاهر ان قوله واللائي لم يحضن يشمل من
لم يحض لصغر ومن لا يكون لها حيض البتة وهو موجود في النساء وهو انها

تعيش الى ان تموت فلا تحيض ومن اتى عليها زمان الحيض وما بلغت به ولا تحيض
وقيل معناه فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن معطوف على واللائي يئسن فاعربا
مبتدأ كاعرابه وقيل اللائي لم يحضن وقدر احسن خبره من جنس خبر الاول اي فعدتهن
ثلاثة اشهر والاولى ان يقدر مفردا اي كذلك لكون المحذوف مفردا الاجل
واولات الاحمال عام في المطلقة والمتوفى عنها زوجها وهو قول عمر وابن مسعود
وابي مسعود البدري وابي هريرة وفقهاء الامصار وقال علي وابن عباس آخر الاجلين
الاحمال في المطلقات واما المتوفى عنها فعدتها اقصى الاجلين فلو وضعت قبل اربعة
اشهر وعشر صبرت الى آخرها والحجة عليهما حديث سبيعة وقال ابن مسعود من شاء
باهلته ما نزلت واولات الاحمال الا بعد آية المتوفى عنها زوجها وقرأ الجمهور حملهن مفردا
والضحاك احمالهن جمعا ذلك امر الله يريد ما علم من حكم المعتدات وقرأ الجمهور يعظم
بالياء مضارع اعظم والاعمش بالنون خروجا من الغيبة للتكلم وابن مقسم بالياء
والتشديد مضارع عظم مشددا ولما كان الكلام في امر المطلقات واحكامهن
من العدد وغيرها وكن لا يطلقن الا عن بغض لهن وكراهة جاء عقيب
بعض الجمل الامر بالتقوى من حيث المعنى مبرزا في صورة شرط وجزاء في قوله
ومن يتق الله اذ الزوج المطلق قد ينسب الى مطلقته بعض ما يشينها
به وينفر الخطاب عنها ويوهم انه انما فارقها لامر ظهر له منها فلذلك تكرر قوله
تعالى ومن يتق الله اي ومن يتق الله في الطلاق اتى له من هذه الاشكال وحافظ
على الحقوق الواجبة عليه من ترك الضرار والنفقة على المعتدات وغير ذلك مما
يلزمه رتب له تكفير السيئات واعظام الاجر ومن في من حيث سكنتم للتبعيض
اي بعض مكان سكناكم وقال قتادة ان لم يكن له الا بيت واحد اسكنها في
بعض جوانبه قال الزمخشري وقال الحوفي من لابتداء الغاية وكذا قال ابو البقاء
ومن وجدكم قال الزمخشري فان قلت فقوله من وجدكم قلت هو عطف بيان
لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كانه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما
تطيقونه والوجد الوسع والطاقة انتهى ولا نعرف عطف بيان يعاد فيه
العامل انما هذا طريقة البدل مع حرف الجر ولذلك اعربه ابو البقاء بدلا من

قوله من حيث سكنتم وقرأ الجمهور من وجدكم بضم الواو والحسن والأعرج وابن أبي عبلة وأبو حيوة
بفتحها والفياض بن غزوان وعمرو بن ميمون ويعقوب بكسرها وذكرها المهدوي عن الأعرج
وعمرو بن ميمون لغات بمعنى الوسع والوجد بالضم يستعمل في الحزن والغضب والحب ويقال
وجدت في المال وجدا وعلى الرجل وجدا وموجدة ووجدت الضالة وجدانا والوجد بالضم
الغنى والقدرة قاله ابن عباس بعد وجد وقد تعالى بانه كان المطلقات لا ولهن
نحو ذلك في الرجعية والمبتوتة اما فقال ابن المسيب فقال ابن المسيب وسليمان بن يسار
وعطا والشعبي والحسن ومالك والاوزاعي وابن أبي ليلى والشافعي وأبو عبيد لها السكنى
ولا نفقة لها وقال الثوري وأبو حنيفة لها السكنى والنفقة وقال الحسن وحماد واحمد واسحق
وأبو ثور لا سكنى لها ولا نفقة ولا تضاروهن ولا تستعملوا معهن الضرار لتضيقوا عليهن
في السكن ببعض الأسباب من إنزال من لا يوافقهن أو يشغل مكانهن أو غير ذلك حتى يضطروهن
إلى الخروج وقيل هو أن يراجعها إذا بقي من عدتها قليل ثم يطلقها ليطول حبسها
في عدة البائنة وقيل الجاء ما إلى يفتدي منه وإن كن أولات حمل فأنفقوا في وجوب
سكناها ونفقتها سبب أولى بيت وإن كانت متوفى عنها إما يحتمل لعلى عمل بها لا نفقة
لها وعن علي وابن مسعود تجب نفقتها في التركة فإن أرضعن لكم أي أولادكم وارضعن
المولود وجب لها النفقة وهي الأجرة والكسوة وسائر المؤن على ما قررت في كتب
الفقه ولا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه الاستئجار إذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند
الشافعي في نعم المطلقات بالسكنى وتخصيص أولات الأحمال بالنفقة دليل على
أن غيرها من المطلقات لا يشاركها في النفقة وتشاركهن في السكنى وائتمروا افتعلوا
من الأمر يقال ائتمر القوم وتأمروا إذا أمر بعضهم بعضا والخطاب للآباء والأمهات أي
وليأمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والأمهات أي وليأمر بعضكم بعضا بمعروف
أي في الأجرة والإرضاع والمعروف الجميل بأن يسامح الأم ولا يماكس الأب لأنه ولدهما
معا وهما شريكان فيه وفي وجوب الإشفاق عليه وقال الكسائي ائتمروا تشاوروا
ومنه قوله إن الملأ يأتمرون بك وقول امرئ القيس
ويعدوا على المرء ما يأتمر ٤٠
وتشاكل المعروف الكسوة والدثار وإن تعاسرتم أي تضايقتم وتشاكستم

فلم ترض الأم بما ترضى به الأجنبية وأبى الزوج الزيادة أو أبى الزوج الإرضاع إلا مجانا
وأبت هي إلا بعوض فسترضع له أخرى أي فستوجد ولا تعوز مرضعة غيرها وليس له إكراهها فإن لم يقبل
الولد إلا ثدي أمه أجبرت على الإرضاع بأجرة مثلها ولا يختص هذا الحكم من وجوب أجرة الرضاع
بالمطلقة بل المنكوحة في معناها وقيل فسترضع خبر في معنى الأمر أي فلترضع له أخرى
وفي قوله فسترضع له أخرى تستر معاتبة للأم إذا تعاسرت كما تقول لمن تستقضيه
حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد لن تبقى غير مقضية وأنت ملوم والضمير في
له عائد على الأب كما تقول في قوله فإن أرضعن لكم أي للأزواج لينفق المولود والمعدود
عليه ما يليق وسعه أي على المطلقات والمرضعات ولا تكلفوا ما لا تطيقه والظاهر أن
المأمور بالإنفاق الأزواج وهذا أصل في وجوب نفقة الولد على الوالد دون الأم وقال
محمد بن المواز إنها على الأبوين على قدر الميراث وفي الحديث يقول لك ابنك إلى من تكلني
إلى من تكلني ذكره في صحيح البخاري وقرأ الجمهور لينفق بلام الأمر وحكى أبو معاذ لينفق
بلام كي ونصب الفاء ويتعلق بمحذوف تقديره شرعنا ذلك لينفق وقرأ الجمهور قدر
مخففا وابن أبي عبلة مشددا الدال سيجعل الله وعدا لفقراء الأزواج بفتح أبواب
الرزق ولا يختص بهذا الوقت بمقدار ذلك الوقت ولا بنفقة الأزواج بل هو عام في الكل
ما قدر بالعسر والمعسر ولو عجز عن نفقة امرأته فقال أبو هريرة والحسن وابن المسيب
ومالك والشافعي وأحمد وإسحاق يفرق بينهما وقال عمر بن عبد العزيز وجماعة لا يفرق بينهما
وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها ها
عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا أعد الله لهم عذابا شديدا
فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات
الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن
بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله
له رزقا الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن
الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما نعيم الطالع على كان
في العمران وعلى نكرا في الكهف عتت أعرضت عن أمر ربها على سبيل العناد والتكبر
والظاهر في فحاسبناها الجمل الأربعة إذ ذاك في الزمن القول بعدها أعد الله لهم

ﻓﻠ

عذابا شديدا وظاهر ان المعنى عذاب الآخرة والحساب الشديد هو الاستقصاء والمناقشة
فلم يغتفر لهم زلة بل اخذوا بالدقائق من الذنوب وقيل الجمل الاربعة من الحساب والعذاب
والذوق والخسر في الآخرة وجي به على لفظ الماضي كقوله ونادى اصحاب ويكون قوله
اعد الله لهم تكريرا للوعيد وبيانا لقوله مشيرا كانه قال اعد الله لهم هذا العذاب وقال
الكلبي الحساب في الآخرة والعذاب في الدنيا الجوع والقحط والسيف ولما ذكر
ما حل بهذه القرية العاتية امر المؤمنين بتقوى الله تحذيرا من عقابه ونبه على ما يحض
على التقوى وهو انزال الذكر والظاهر ان الذكر هو القرآن وان الرسول هو محمد صلى
الله عليه وسلم فاما ان يجعل نفس الذكر مجازا لكثرة ما صدر عنه الذكر وكانه هو
الذكر او يكون بدلا على حذف مضاف اي ذكر رسول ويكون رسولا نعتا على حذف
مضاف اي ذكرا ذا رسول وقيل المضاف محذوف من الاول اي
واذكر رسولا ويكون رسولا نعتا لذلك المحذوف او بدلا وقيل رسولا بمعنى
رسالة فيكون بدلا من ذكرا او بمعنى قوله يتلو عليكم والرسالة تسند التلاوة
اليها وقيل الذكر اسم من اسماء النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الذكر الشرف لقوله وانه لذكر
لك ولقومك فيكون رسولا بدلا منه وبيانا له وقال الكلبي الرسول هنا جبريل
وتبعه الزمخشري فقال رسولا هو جبريل صلوات الله عليه ابدل من ذكرا لانه وصف
بتلاوة آيات الله وكان انزاله في معنى انزال الذكر فصح ابداله منه انتهى ولا يصح لتباين
المدلولين ولكونه لا يكون بدل بعض ولا بدل اشتمال وهذه الاعاريب على ان يكون ذكرا ورسولا
لشيء واحد وقيل رسولا منصوب بفعل محذوف اي بعث رسولا او ارسل رسولا وحذف
لدلالة انزل عليه ونحا الى هذا السدي واختاره ابن عطية وقال الزجاج وابو علي الفارسي
يجوز ان يكون رسولا معمولا للمصدر الذي هو الذكر انتهى فيكون المصدر مقدرا بان
والفعل تقديره ان ذكر رسولا وعمل منونا كما عمل اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وكما قال

بضرب بالسيوف رؤس قوم ازلنا هامهن عن المقيل

وقرئ رسول بالرفع على اضمار هو ليخرج يحتمل ان يتعلق بيتلو وبانزل الذين آمنوا اي الذين
قضى وقدر ارادة ايمانهم او اطلق عليهم آمنوا باعتبار ما آل اليه امرهم وقال الزمخشري
ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح لانهم كانوا وقت انزاله غير مؤمنين

وانما آمنوا بعد الانزال والتبليغ انتهى والضمير في ليخرج عائد على الله او على الرسول او الذكر
ومن يؤمن راعى اللفظ اولا في الشرطية فافرد الضمير يؤمن ويعمل ويدخله ثم راعى المعنى في خالدين
فجمع ثم راعى اللفظ في قد احسن الله له فافرد واستدل النحويون بهذه الآية على مراعاة
اللفظ اولا ثم مراعاة المعنى ثم مراعاة اللفظ واورد بعضهم ان ليس هذا كما ذكروا لان
الضمير في خالدين ليس عائدا على من بخلاف الضمير في يؤمن ويعمل ويدخله وانما هو عائد على
مفعول يدخله وخالدين حال منه والعامل فيها يدخله لا فعل الشرط الله الذي خلق سبع
سموات لا خلاف ان السموات سبع بنص القرآن والحديث كما في حديث الاسراء وقوله
عليه السلام لسعد حكمت بحكم الملك من فوق سبعة ارقعة وغيره من نصوص الشريعة وقرأ
الجمهور مثلهن بالنصب والمفضل عن عاصم وعصمة عن ابي بكر مثلهن بالرفع فالنصب قال
الزمخشري عطفا على سبع سموات انتهى وفيه الفصل بالجار والمجرور بين حرف العطف
وهو الواو والمعطوف وهو مختص بالضرورة عند ابي علي الفارسي واضمر بعضهم العامل
بعد الواو ولدلالة ما قبله عليه اي وخلق من الارض مثلهن فمثلهن مفعول للفعل المضمر
لا معطوف وصار ذلك من عطف الجمل والرفع على الابتداء ومن الارض الخبر والمثلية تصدق
بالاشتراك في بعض الاوصاف فقال الجمهور المثلية في العدد اي مثلهن في كونها سبع
ارضين وفي الحديث طوقه من سبع ارضين ورب الارضين السبع وما اقللن فقيل سبع
طباق من غير فتوق وقيل بين كل طبقة وطبقة مسافة كما بين السماء والارض وفيها سكان
من خلق الله قيل ملائكة وجن وعن ابن عباس بسند رواته الواقدي الكذاب قال
في كل ارض آدم كآدم ونوح كنوح ونبي كنبيكم وابراهيم كابراهيمكم وعيسى كعيسى
وهذا حديث لا شك في وضعه وقال ابو صالح انها سبع ارضين منبسطة ليس بعضها
فوق بعض تفرق بينها البحار وتظل جميعها السماء يتنزل الامر بينهن قال مجاهد يتنزل
الامر من السموات السبع الى الارضين السبع وقال مقاتل وغيره الامر هنا الوحي بينهن
اي بين هذه الارض التي هي ادناها وبين السماء السابعة وقال الاكثرون
الامر القضاء والقدر فبينهن اشارة الى بين الارض السفلى التي هي اقصاها وبين السماء
السابعة التي هي اعلاه وقيل يتنزل الامر بينهن بحياة وموت وغنى وفقر وقيل
هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره وقرأ الجمهور يتنزل مضارع تنزل وقرأ عيسى

وابو عمرو في رواية تنزل مضارع نزل مشددا الامر بالنصب والجمهور لتعلموا بتاء الخطاب
وقرئ بيا الغيبة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك
تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم
الحكيم واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا فلما نبأت به واظهره الله عليه عرف بعضه
واعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ان تتوبا الى الله فقد
صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة
بعد ذلك ظهير عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات
تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها
الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون هذه السورة مدنية
وسبب نزولها ما يذكر في تفسيرها والمناسبة بينها وبين السورة قبلها
انه لما ذكر جملة من احكام زوجات المؤمنين ذكر هنا ما جرى من بعض زوجات رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي نداء اقبال وتشريف وتنبيه بالصفة على عصمته مما يقع
من ليس بمعصوم لم تحرم سؤال تلطف ولذلك قدم قبله يا ايها النبي كما جاء في قوله عفا الله عنك
لم اذنت لهم ومعنى تحرم تمنع وليس التحريم المشروع بوحي من الله وانما هو امتناع لتطييب
خاطر بعض من يحسن معه العشرة ما احل الله هو مباشرة مارية جاريته وكان
الم بها في بعض بيوت نسائه فغارت من ذلك صاحبة البيت فطيب خاطرها بامتناعه
منها واكتمها ذلك وافشته الى بعض نسائه وقيل هو عسل كان شربه
عند بعض نسائه وكان يحب لذلك فغار بعضهن من خولة بنت التي عندها
العسل وتواصين على ان يذكرن له ان رائحة ذلك العسل ليس بطيب فقال لا اشربه
ولا تحركه فيما حال لانه اضرب عنه صفحا كما اضرب عن كلامه في قوله عفا الله عنك لم اذنت
لهم وكلامه بهذا ونحو تحقق قولى منه ٤٠ ٤٠ ٤٥
ويعصوا الى المعصوم ما ليس لائقا ٤٠ ٤٠
فلو حرم الانسان على نفسه شيئا احله الله لم يحرم كشرب عسل او وطء سريته واختلفوا

اذا قال لزوجته انت علي حرام او الحلال علي حرام ولا يستثني زوجته فقال جماعة منهم الشعبي
ومسروق وربيعة وابو سلمة واصبغ هو كتحريم الماء والطعام فلا يلزمه شيء وقال تعالى
لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم والزوجة من الطيبات ومما احله الله وقال ابو بكر وعمر وزيد
وابن مسعود وابن عباس وعائشة وابن المسيب وعطاء وطاوس وسليمان بن يسار وابن
يسار وابن جبير وقتادة والحسن والاوزاعي وابو ثور وجماعة هو يمين يكفرها وقال ابن
مسعود وابن عباس ايضا في احدى روايتيه والشافعي في احد قوليه فيه تكفير وليس بيمين
وقال ابو حنيفة وسفيان والكوفيون هو ما اراد من الطلاق فان لم يرد طلاقا فليس بشيء
وقال اخرون كذلك فان لم يرد شيئا فهو في التحريم قال ابو حنيفة واصحابه ان نوى الطلاق
فواحدة بائنة او اثنتين فواحدة او ثلاثا فثلاث او لم ينو شيئا فيمين وهو مول او الظهار
فظهار وقال ابو القاسم لا تنفعه نية الظهار ويكون طلاقا وقال يحيى بن عمر يكون طلاقا
ارتجعها فلا يحل له وطؤها حتى يكفر كفارة الظهار فان اراد تحريما فان نوى واحدة فرجعية
وهو قول الشافعي وقال الاوزاعي وسفيان وابو ثور اي شيء نوى به من الطلاق وقع وان
لم ينو شيئا فقال سفيان لا شيء عليه وقال الاوزاعي وابو ثور يقع واحدة وقال الزهري له نيته
ولا يكون اقل من واحدة فان لم ينو فلا شيء وقال ابن شجرة عليه عتق رقبة وان لم يجعلها ظهارا
وقال ابو قلابة التحريم ظهار ففيه كفارته وقال الشافعي ان نوى انها محرمة كظهر امه فظهار
او تحريم عينها بغير طلاق او لم ينو فكفارة يمين وقال مالك هي ثلاث في المدخول بها وينوي
في غير المدخول بها فهو ما اراد من واحدة او اثنتين او ثلاث وقيل في المدخول بها ثلاث وبه قاله
علي ايضا وزيد بن اسلم والحكم وابن ابي ليلى وقال عبد الملك بن الماجشون
هي ثلاث في الوجهين ولا ينوي في شيء وروى ابن خويز منداد عن مالك وقاله زيد وحماد
ابن ابي سلمة انها واحدة بائنة في المدخول بها وغير المدخول بها وقال الزهري وعبد العزيز
ابن الماجشون هي رجعية واحدة وقال ابو مصعب ومحمد بن عبد الحكم هي في التي لم يدخل بها
واحدة وفي المدخول بها ثلاث وفي الكشاف فلا يراه الشافعي يمينا ولكن سببا في الكفارة
في النساء وحدهن وان نوى الطلاق فهو رجعي وعن عمر اذا نوى الطلاق فهو رجعي وعن
علي ثلاث وعن زيد واحدة بائنة وعن عثمان ظهار انتهى وقال اصحابنا لم ينسب عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما احله هو حرام علي وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت

منه وَنحو قوله وَالله لا اقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اى لم تمتنع منه بسبب
اليمين يعنى اقدم على ما حلفت عليه وكفر ونحو قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع اى منعناه
منها تبتغى وَ تبتغى موضع الحال وقال الزمخشرى تفسير لتحرم او استيناف مرضات
رضى ازواجك اى بالامتناع مما احله الله لك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم الظاهر انه كان
حلف على انه يمتنع من وطئ مارية او من شرب ذلك العسل على الحلال فى السبب وفرض
احلاله تحليل العقود وكفر مواخذكم بالعقد الايمان الانه وتحلة مصدر حلل كتكرمة من كرم
وليس مصدرا مقيسا وَ المقيس التحليل وَالتكريم لان قياس فعل الصحيح العين غير المهموز
هو التفعيل وَاصل تحلة تحللة فادغم وعن مقاتل اعتق رقبة فى تحريم مارية وعن الحسن لم يكفر
انه قد لا على انه لم يكن يمين و بعض ازواجه حفصة وَالحديث هو بسبب مارية قيل
بيات به اى اخبرت عائشة وقيل الحديث هو انما شربت عسلا وقال يتوب
استجهرات هو اسراره الى حفصة ان ابابكر وعمر يملكان امر امتى من بعدى خلافة
وقرا الجمهور فلما نبات به وطلحة انبات وَ العامل فى اذا ذكر وذكر ذلك على سبيل
التاديب وَالعتب لمن اسر له وافشاه وساوا انبا الاصل ان يتعديا الى وَ اخر ما نفسها
وَالى الباقى بحرف الجر ويجوز حذفه فقوله نبات به المفعول الاول محذوف اى غيرها ومن انباك
هذا اصله بهذا قال نبانى الخبير بان او سا انبه فاذا ضمنت معنى اعلم تعدت الى ثلثة

مفاعيل كقول الشاعر

نبئت زرعة وَالسفاهة كاسمها يهدى الى غرائب الاشعار

وَاظهره الله اى اطلعه عليه اى على افشائه وَكان قد تكلم فيه وَ ذلك باخبار جبريل عليه
السلام وكانت الكنايه هنا عن التفشية وَ الحرف لمعنى الكنايها بالسرها هو وضو نا
عن التصحيح بالاسم اذا تعلق بالتصحيح بالاسم غرض وقرا الجمهور عرف بتشديد الرا وَالمعنى اعلم
به وَ انب عليه وقرا السلمى وَالحسن وقتادة وَ طلحة وَالكسائى وَ ابوعمرو فى رواية هرون
عنه بخف الرا اى جازى بالعتب وَ اللوم كما تقول لمن يوذيك لاعرفن لك ذلك اى لاجازينك
وقيل انه طلق حفصة وامره الله بمراجعتها وقيل عاتبها وَلم يطلقها وقرا ابن المسيب وعكرمة
عراف بالف بعد الرا وَهى اشباع وقال ابن خالويه ويقال انها لغة يمانية ومثال الاشباع
بالالف قوله اعوذ بالله من العقراب وَاعرض عن بعض اى تكرما وحيا وحسن عشرة

قال الحسن ما استقصى كريم قط وقال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام وَمفعول
عرفه المشدد محذوف اى عرفها بعضه اى اعلم ببعض الحديث وقيل المعرف حديث
الخلافة وَالذى اعرض عنه حديث مارية وَلما افشت حفصة الحديث لعائشة
وَاكتمتها اياه ونباها الرسول به ظنت حفصة ان عائشة فضحتها فقالت من انباك
هذا على سبيل التثبت فاخبرها ان الله الذى نباه به فسكتت وسلمت ان تتوبا
الى الله التفات من غيبة الى خطاب وَ يسمى الالتفات وَالخطاب لحفصة وعائشة فقد
صغت مالت عن الصواب وفى حرف عبد الله زاغت وَ اتى بالجمع فى قوله قلوبكما وحسن اضافته
الى مثنى وَ هو ضميرهما والجمع فى مثل هذا اكثر استعمالا من المثنى وَ التثنية دون
الجمع كما قال

فتخالسا نفسيهما بنوافذ كنوافذ العبط التى لا ترقع

وَهذا كان القياس وذلك ان يعبر عن المثنى بالمثنى لكن كرهوا اجتماع تثنيتين
فعدلوا الى الجمع لان التثنية جمع فى المعنى بالمثنى لكن كرهوا الاجتماع وَ الافراد لا يجوز
عند اصحابنا الا فى الشعر كقوله

حمامة بطن الواديين ترنمى

يريد بطنى الواديين وَغلط ابن مالك فقال فى كتاب التسهيل ونختار لفظ الافراد
على لفظ التثنية وقرا الجمهور تظاهرا بشد الظا واصله تتظاهرا وادغمت التا
فى الظا وبالاصل قرا عكرمة وَ بتخفيف الظا وَالها دون الف قرا ابوعمرو فى رواية
وَالحسن وَ طلحة وَعاصم ونافع فى رواية وَبشد الظا والها دون الالف قرا ابو
عمرو فى رواية وَالمعنى وَان تتعاونا عليه اى فى افشا سره وَ الافراط فى الغيرة
فان الله هو مولاه اى ناصره وَمعينه وَالاحسن الوقف على قوله مولاه ويكون
وجبريل مبتدا او ما بعده معطوف عليه وَالخبر ظهير فيكون ابتدا الجملة بجبريل وهو
امين وحى الله وَاختتامها بالملائكة وَبدا بجبريل وَافرده بالذكر تعظيما له وَاظهارا
لمكانته عند الله وَيكون قد ذكر مرتين مرة بالخصوص ومرة فى العموم وَالسلف
صالح المومنين جبريل وَالملائكة تشريفا لهم وَاعتنا بهم اذ جعلهم بين الذين يسبحون
الليل وَالنهار لا يفترون وقيل هذا جبريل داخل فى الظهرا الا فى الولاية ويختص

الرسول بأن الله مولاه ويجوز أن يكون وجبريل وصالح المؤمنين عطفا على اسم الله
فيدخلان في الولاية ويكون والملائكة مبتدأ والخبر ظهير فيكون جبريل له اختلاف في
الولاية بالتخصيص وفي الظهير بالعموم والظاهر عموم وصالح المؤمنين فيشمل كل صالح
وقال قتادة والعلاء بن زياد هم الأنبياء ويكون مظاهرتهم له كونهم قدوة فهم
ظهراء بهذا المعنى وقال ـــــ عكرمة والضحاك وابن جبير ومجاهد المراد أبو بكر
وعمر وزاد مجاهد وعلي بن أبي طالب وقيل الصحابة وقيل الخلفاء وعن ابن جبير من
بري من النفاق وصالح يحتمل أن يراد به الجمع وإن كان مفرد اللفظ كالسا
مر في قوله مستكبرين به سامرا أي سمارا ويحتمل أن يكون جمعا حذفت منه الواو
خطا لحذفها كقوله سندع الزبانية وأفرد ظهير لأن المراد فوج ظهير وجمع
ظهير وكثيرا ما يجيء نحو هذا للمفرد والمثنى والمجموع بلفظ المفرد كأنهم في
المظاهرة يد واحدة على من يعاديه فما ورد من ظاهر أمر اثنين على من يعول ظهير أو
وذلك إسنادا إلى مظاهرهما أو إلى الولاية وفي الحديث أن عمر قال يا رسول الله
لا تكترث بأمر نسائك والله معك وجبريل معك وأبو بكر معك وأنا معك فنزلت
وروي عنه أنه قال لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم عسى ربه إن طلقكن الآية
فنزلت وقرأ الجمهور طلقكن بفتح القاف وأبو عمرو في رواية عباس بإدغامها
في الكاف وتقدم ذكر الخلاف في أن يبدله في سورة الكهف والمبدل به محذوف
لدلالة المعنى عليه تقديره أن يبدله خيرا منكن ولا يعني إذا طلقهن كان طلا[قه]
لسوء عشرتهن والله تعالى يبدله بهذه الأوصاف يكن خيرا منهن وصفهن بالإسلام
وهو الانقياد ثم بالإيمان وهو التصديق ثم بالقنوت وهو الطواعية ثم بالتوبة
وهو الإقلاع عن الذنب ثم بالعبادة وهو التذلل ثم بالسياحة وهي كناية عن
الصيام قاله أبو هريرة وابن عباس وقتادة والضحاك وسئل الرسول عليه السلام
فسره بذلك وقاله أيضا الحسن وابن جبير وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن وقال الفرا
والقتبي سمي الصائم سائحا لأن السائح لا زاد معه وإنما يأكل من حيث يجد الطعام وقال
زيد بن أسلم ويمان مهاجرات وقال ابن زيد ليس في الإسلام سياحة إلا الهجرة
وقيل ذاهبات في طاعة الله وقرأ الجمهور سائحات وعمرو بن فائد سيحا

وهذه

وبعض الصفات يجتمع وأما الثيوبة والبكارة فلا يجتمعان فلذلك عطف أحدهما على
الآخر ولو لم يأت بالواو لاختل المعنى وذكر الجنسين لأن في أزواجه عليه السلام
من تزوجها ثيبا ومن تزوجها بكرا والسبب الراجع بعد رزق إلى العذر تعالى بأن
يتوب توبوا وزينة تبتغي فتستبرئ ولما وعظ أزواج الرسول موعظة خاصة أتبع
ذلك بموعظة عامة للمؤمنين وأهليهم وعطف وأهليكم على أنفسكم لأن رب المنزل راع
وهو مسؤول عن أهله ومعنى وقايتهم حملهم على طاعة الله وإلزامهم أداء ما فرض عليهم قال
عمر يا رسول الله نقي أنفسنا فكيف لنا بأهلينا قال تنهونهن عما نهاكم الله عنه وتأمرونهن
بما أمركم الله به فيكون ذلك وقاية بينهن وبين النار ودخل الأولاد في قوا أهليكم وقيل
دخلوا في أنفسكم لأن الولد بعض من أبيه فيعلمه الحلال والحرام ويجنبه المعاصي
وقرئ وأهلوكم بالواو وهو معطوف على الضمير في قوا وحسن العطف للفصل بالمفعول
وقال الزمخشري فإن قلت أليس التقدير قوا أنفسكم وليق أهلوكم أنفسهم قلت
لا ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو وأنفسكم واقع بعده فكأنه قيل قوا أنتم
وأهلوكم أنفسكم أي جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه فجمعت ضميرهما معا على لفظ
المخاطب انتهى وتقدم الخلاف في فتح الواو وضمها في وقودها في البقرة وتفسير وقودها
الناس والحجارة عليها ملائكة هم الزبانية التسعة عشر وأعوانهم وصفهم بالغلظ
إما الشدة أجسامهم وقوتها وإما الفظاظة كقوله ولو كنت فظا غليظ القلب أي
ليس فيهم رقة ولا حنو على العصاة وانتصب ما أمرهم على البدل أي لا يعصون أمر الله
كقوله أفعصيت أمري أو على إسقاط حرف الجر أي فيما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون
قيل كرر المعنى توكيدا وقال الزمخشري فإن قلت أليست الجملتان في
معنى واحد قلت لا فإن معنى الأولى أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ولا يأبونها
ومعنى الثانية أنهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه لا تعتذروا
خطاب لهم عند دخولهم النار أي لأنه لا ينفعكم الاعتذار فلا فائدة فيه يا أيها الذين
آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم
جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم
وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير يا أيها النبي جاهد

الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ذكروا في التوبة النصوح اربعة وعشرين قولا ورد كعب عن عمر وعبد الله وابي ومعاذ الها التي لا عود لها بعدها كما لا يعود اللبن الى الضرع ورفعه معاذ الى النبي صلى الله عليه وسلم وقرا الجمهور نصوحا بفتح النون وصفا للتوبة وهو من امثلة المبالغة كضروب وقتول وقرا الحسن والاعرج وعيسى وابو بكر عن عاصم وخارجة عن نافع بضمها وهو مصدر وصف به وصفها بالنصح على سبيل المجاز اذ النصح صفة التائب وهو ان ينصح نفسه بالتوبة فياتي بها على طريقها وهي خلوصها من جميع الشوائب المفسدة لها من قولهم عسل ناصح اي خالص من الشمع او من النصاحة وهي الخياطة اي قد احكمها واوثقها كما يحكم الخياط الثوب بخياطته وتوثيقه وتبع على امرانا يقول اللهم اني استغفرك واتوب اليك فان هذا اي سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية حذيفة بحسب الرجل من الشر ان يتوب من الذنب ثم يعود فيه انتهى وتوصف بالنصح مجازا وهو الظاهر ان تكون التوبة تنصح نفس التائب واحتمل ان تكون تبعث الناس على ان يعودوا اليها لظهور اثرها على صاحبها وقرأ زيد بن علي توبا بغير تاء ومن قرأ بالضم جاز ان يكون مصدرا وصف به كما قدمنا وجاز ان يكون مفعولا له اي توبوا لنصح انفسكم وقرأ الجمهور ويدخلكم عطفا على ان يكفر وقرأ ابن ابي عبلة ويدخلكم عطفا على محل عسى ان يكفر كانه قيل توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم انتهى والاولى ان يكون حذف الحركة تخفيفا وشبهها لما هو من كلمتين بالكلمة الواحدة نحو قول

في قمع قمع ونطع نطع يوم لا يخزي الله النبي منصوب بيدخلكم ولا يخزي تعريض بمن اخزاهم الله من اهل الكفر والنبي هو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديث انه عليه السلام تضرع في امر امته فاوحى الله تعالى اليه ان شئت جعلت حسابهم اليك فقال يا رب انت ارحم بهم فقال تعالى اذا لا اخزيك فيهم وجاز ان يكون والذين معطوفا على النبي فيدخلون في انتفاء الخزي وجاز ان يكون مبتدا والخبر نورهم يسعى ويكون النبي مخصوصا بانه لا يخزى بالنص عليه وتقدم في الحديد نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم وقرا سهل بن شعيب السهمي وابو حيوة وبايمانهم بكسر الهمزة وتقدم في الحديد يقولون ربنا اتمم لنا نورنا قال ابن عباس والحسن يقولون ذلك اذا طفئ نور المنافقين وقال الحسن يدعونه تقربا اليه كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل تقوله من يمر على الصراط زحفا وحبوا وقيل يقوله من يعطى من النور بمقدار ما يبصر موضع قدميه يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين تقدم نظير هذه الاية في التوبة ضرب الله مثلا للذين كفروا ضرب تعالى المثل لهم بامراة نوح وامراة لوط في انهم لا ينفعهم مع كفرهم لحمة نسب ولا وصلة صهر اذ الكفر قاطع العلائق بين الكافر والمؤمن وان كان المؤمن في اقصى درجات الصلاح الا ترى الى قوله انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح كما لم ينفع تينك المراتين مع كونهما زوجتي نبيين وكانت الكناية من اسمهما العلمين بقوله عبدين من عبادنا لما في ذلك من التشريف بالاضافة الله تعالى ولما ان التركيب بالنص عليهما فيكون تحتهما لما قصد من ذكر وصفهما بقوله صالحين لان الصالح هو الوصف الذي يمتاز به تعالى كقوله في حق ابراهيم عليه السلام وانه في الاخرة لمن الصالحين وفي قول يوسف عليه السلام والحقني بالصالحين وقول سليمان عليه السلام وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين فخانتاهما وذلك بكفرهما وقول امراة نوح فهو مجنون ونميمة امراة لوط بمن ورد عليه من الاضياف قال ابن عباس ما بغت امراة نبي قط ولا ابتلي الانبياء في نسائهم بالزنا قال في التحرير وهذا اجماع من المفسرين وفي كتاب ابن عطية وقال الحسن في كتاب النقاش فخانتاهما بالكفر والزنا وعن بعضهم والتحريض على الجواز ان يراد بالخيانة الفجور لانه قبيح في الطباع نقيصة عند كل احد بخلاف الكفر فان الكفار لا يستقبحونه

وتسمونه حنفا وقال الضحاك خيانتهما النميمة كانت اذا اوحي اليه بشي افشتاه الى المشركين
وقيل خانتاهما بنفاقهما وقال مقاتل اسم امراة نوح والهة واسم امراة لوط
والعة فلم يغنيا اي نوح ولوط عنهما اي عن امراتيهما من الله اي من عذاب الله
وقرا الجمهور يغنيا بيا الغيبة والالف ضمير نوح ولوط اي على قربهما منهما من قرب شيا
الحيلولة وقيل ادخلا النار اي وقت موتهما او يوم القيامة مع الداخلين الذين
لا وصلة بينهم وبين الانبيا او مع من دخلها من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط وقرا مبشر
ابن عبيد تغنيا بالتاء والالف ضمير المراتين ومعنى عنهما عن نفسيهما ولا بد من هذا المضاف
الا ان يجعل عن اسما كهي في دع عنك لانه ان كانت حرفا كان في ذلك تعدية
الفعل الرافع للضمير المتصل الى الضمير المجرور وهو يجري مجرى المنصوب المتصل
وذلك لا يجوز وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون مثل تعالى
حال المومنين ان وصلة الكفار لا تضرهم ولا تنقصهم من ثوابهم بحال امراة فرعون
واسمها اسية بنت مزاحم ولم يضرها كونها كانت تحت فرعون عدو الله والمدعي
الالوهية بل نجاها منه ايمانها وبحال مريم اذ اوتيت من كرامة الدنيا والاخرة والاصطفا
على نسا العالمين مع ان قومها كانوا كفارا اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في
الجنة هذا يدل على ايمانها وتصديقها بالبعث قيل كانت عمة موسى عليه السلام
وامنت حين سمعت بتلقف عصاه ما افك السحرة طلبت من ربها القرب من
رحمته وكان ذلك اهم عندها فقدمت الظرف وهو عندك ثم بينت
مكان القرب فقالت في الجنة وقال بعض الظرفا وقد سيل اين في القران مثل
قولهم الجار قبل الدار قال قوله تعالى ابن لي عندك بيتا في الجنة فعندك هو المجاور
وبيتا في الجنة هو الدار وقد تقدم عندك على قوله بيتا ونجني من فرعون قيل
دعت بهذه الدعوات حين امر فرعون بتعذيبها لما عرف ايمانها بموسى وذكر المفسرون
انواعا مضطربة في تعذيبها وليس في القران انها عذبت وقال الحسن لما دعت بالنجاة
نجاها الله اكرم نجاة ورفعها الى الجنة فهي فيها تاكل وتشرب وتنعم وقيل
لما قالت ابن لي عندك بيتا في الجنة اريت بيتها في الجنة يبنى وعمله قيل كفره
وقيل عذابه وظلمه وشماتته وقال ابن عباس الجماع ونجني من القوم الظالمين

ن القبط اهل مصر وقال مقاتل القبط وفي هذا دليل على الالتجا الى الله عند المحن
وسوال الخلاص منها وان ذلك من سنن الصالحين والانبيا ومريم معطوف
على امراة فرعون ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا تقدم تفسير
نظير هذه في سورة الانبيا وقرا الجمهور ابنة عمران بفتح التا وايوب السختياني ابنه
ابنه بسكون الها وصلا اجراه مجرى الوقف وقرا الجمهور فنفخنا فيه اي في الفرج وعبد الله
فيها كما في سورة الانبيا اي في الجملة وجمع تعالى في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج
لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن وقرا الجمهور وصدقت بشد الدال ويعقوب
وابو مجلز وقتادة وعصمة عن عاصم بخفها اي كانت صادقة بالخبر بكلمات ربها من
عيسى وما اظهر الله لها من الكرامات وقرا الجمهور بكلمات جمعا واحتمل ان يكون
الصحف المنزلة على ادريس عليه السلام وغيره وسماها كلمات لقصرها وتكون المراد
بكتبه الكتب الاربعة واحتمل ان تكون الكلمات ما كلم الله به ملائكته وغيرهم وبكتبه
ما كتب في اللوح وغيره واحتمل ان تكون الكلمات ما صدر في امر عيسى وقرا الحسن ومجاهد
والجحدري بكلمة على التوحيد فاحتمل ان تكون اسم جنس واحتمل ان يكون كناية عن عيسى
لانه قد اطلق عليه انه كلمة الله القاها الى مريم وقرا ابو جعفر وكتبه جمعا ورواه
خارجة عن نافع وقرا ابو عمرو في السبعة وكتابه على الافراد فاحتمل ان يراد به الجنس وان
يراد به الانجيل لا سيما ان فسرت الكلمة بعيسى وقرا ابو رجا وكتبه قال ابن عطية بسكون
التا وكتبه وذلك كله مراد به التوراة والانجيل وقال صاحب اللوامح ابو رجا وكتبه
بفتح الكاف وهو مصدر اقيم مقام الاسم قال سهل وكتبه اجمع من كتابه لان فيه
وضع المضاف موضع الجنس فالكتب عام والكتاب هو الانجيل فقط انتهى وكانت
من القانتين غلب الذكورية على التانيث فالقانتين شامل للذكور والاناث
ومن للتبعيض وقال الزمخشري ويجوز ان تكون لابتدا الغاية على انها ولدت من
القانتين لانها من اعقاب هرون اخي موسى صلوات الله عليهما وقال يحيى بن سلام
مثل ضربه الله يحذر به عايشة وحفصة في المخالفة حين تظاهرتا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم ضرب لهما مثلا بامراة فرعون ومريم ابنة عمران ترغيبا في التمسك بالطاعة
والثبات على الدين انتهى واخذ الزمخشري كلام ابن عباس وحسنه وزمكه بفصاحته

فقالوا وإن لم يعرفن المسلمين بعرض بأمي المؤمنين المذكورتين في أول السورة وما
فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على
أغلظ وجه وأشده لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه في التغليظ قوله ومن كفر فإن
الله غني عن العالمين وإشارة إلى أن من حقهما أن تكونا في الإخلاص كالكاملتين
فيهما من المؤمنين وأن لا تتكلا على أنهما زوجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك
الفضل لا ينفعهما إلا مع كونهما مخلصتين والتعريض بحفصة أرجح لأن امرأة لوط
أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسرار التنزيل
ورموزه في كل باب بالغة من اللطف حدا يدق عن تفطن العالم
ومن كلام ابن عطية وقال بعض الناس إن في المثلين عبرة لزوجات
النبي صلى الله عليه وسلم حين تقدم عتابهن وفي هذا بعد لأن النص أنه للكفار
فيبعد هذا

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك
وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور
الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من
فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير ولقد زينا السماء الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير وللذين كفروا بربهم عذاب
جهنم وبئس المصير إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ كلما
ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل
الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب
السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير إن الذين يخشون ربهم بالغيب
لهم مغفرة وأجر كبير وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم
من خلق وهو اللطيف الخبير هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا
من رزقه وإليه النشور هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها أنه لما
ضرب للكفار مثلا بتينك المرأتين المحتوم لهما بالشقاوة وإن كانتا تحت نبيين
ومثلا للمؤمنين بآسية ومريم وهما محتوم لهما بالسعادة وإن كان أبواهما كافرين

كان

كان ذلك تصرفا في ملكه على ما سبق به قضاؤه ومعنى تبارك تعالى وتعاظم الذي
بيده الملك وهو كناية عن الإحاطة والقهر وكثيرا ما جاء نسبة اليد إليه تعالى
كقوله فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء يد كناية عن الحوز وذلك في حقه تعالى
استعارة لتحقق الملك إذ كانت في عرف الآدميين آلة للتملك والملك هنا على
الإطلاق لا يبيد ولا يختل وعن ابن عباس ملك الملوك قل اللهم مالك الملك وناسب
الملك ذكر وصف القدرة والحياة ما يصح بوجوده الإحساس ومعنى خلق الموت والحياة
إيجاد ذلك المصحح وإعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون وسمي علم الواقع
منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة استعارة من فعل المختبر وفي الحديث أنه فسر
أيكم أحسن عملا أيكم أحسن عقلا وأشدكم لله خوفا وأحسنكم في أمره ونهيه نظرا
وإن كانوا أقلكم تطوعا وعن ابن عباس والحسن والثوري أيكم أزهد في الدنيا
وقيل كنى بالموت عن الدنيا إذ هو واقع فيها وعن الآخرة بالحياة من حيث لا موت
فيها وكأنه قال هو الذي خلق الدنيا والآخرة وصفهما بالمصدر وقدم الموت لأنه أهيب
في النفوس وليبلوكم متعلق بخلق أيكم أحسن عملا مبتدأ وخبر وقدر الحوفي قبلها فعلا
تكون الجملة في موضع معموله وهو معلق عنها تقديره فينظر وقدر ابن عطية فينظر
أو فيعلم وقال الزمخشري فإن قلت من أين تعلق قوله أيكم أحسن عملا بفعل البلوى
قلت من حيث أنه تضمن معنى العلم فكأنه قال ليعلمكم أيكم أحسن عملا
وإذا قلت علمته أزيد أحسن عملا أم هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني
من مفعوليه كما تقول علمته هو أحسن عملا فإن قلت أتسمي هذا تعليقا قلت لا إنما التعليق أن يوقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا
كقولك علمت أيهما عمرو وعلمت أزيد منطلق ألا ترى أنه لا فصل بعد سبق أحد
المفعولين بين أن يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان
تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت أزيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا
انتهى وأصحابنا يسمون ما منعه الزمخشري تعليقا فيقولون في الفعل إذا عدي إلى
اثنين ونصب الأول وجاءت بعده جملة استفهامية أو بلام الابتداء أو بحرف نفي
كانت الجملة معلقا عنها الفعل وكانت في موضع نصب كما لو وقعت في موضع المفعولين
وفيهما ما يعلق الفعل عن العمل وقد تقدم الكلام على مثل هذه الجملة في الكهف في قوله

لملوك انهم احسنت عمله واستوطا فاعل الوصف لسبع واما ان يكون مصدر طابق مطابقة وطباقا كقولهم طابق النعل خصفها طبقا على طبق ووصف به على سبيل المبالغة او على حذف مضاف اى ذات طباق واما جمع طبق كجمل وجمال او جمع طبقة كرحبة ورحاب والمعنى بعضها فوق بعض وما ذكر من مواد هذه السموات فالاولى من موج مكفوف والثانية من درة بيضا والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من زبرجدة بيضا يحتاج الى نقل صحيح وقد كان بعض من ينتمي الى الصلاح وكان اعمى لا يبصر موضع قدمه يخبر انه شاهد السموات على بعض اوصاف ما ذكرنا من تفاوت قال ابن عباس من تفرق وقال السدي من عيب وقال عطا بن يسار من عدم استوا وقال بعضهم من العوج وتفاوت تفوت شى شيا مع الخلل وقيل من اضطراب وقيل من اعوجاج وقيل من تناقض وقيل من اختلاف وقيل عدم التناسب والتفاوت تجاوز الحد الذى يجب له زيادة او نقصا قال بعض الادبا

تناسبت الاعضا منه فلا ترى بهن اختلافا بل اتين على قدر

وقرا الجمهور من تفاوت بالف مصدر تفاوت وعبد الله وعلقمة والاسود وابن جبير وطلحة والاعمش وحمزة والكسائى بشد الواو مصدر تفوت وحكى ابو زيد عن العرب تفاوتا بضم الواو وفتحها وكسرها والفتح والكسر شاذان والظاهر عموم خلق الرحمن من الاشيا وعن انه لا تفاوت فيه ولا فطور بل كل جار على الاتقان وقيل المراد فى خلق الرحمن السموات فقط واياها اراد بقوله ما ترى فيها انه ليس فى ان يدرك فى خلقه تعالى تفاوت وجعل الزمخشرى هذه الجملة صفة متابعة كقوله طباقا اصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو انه خلق الرحمن وانه بباهر قدرته هو الذى يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب فى ترى لكل مخاطب او للرسول عليه السلام ولما اخبر تعالى انه لا تفاوت فى خلقه امر بترديد النظر فى الخلق المناسب فقال فارجع البصر والمعنى ان العيان يطابق الخبر والفطور قال مجاهد الشقوق فطر ناب البعير شق اللحم وظهر قال

بنا لكم بلا عمد سما وسواها فما فيها فطور

وقال ابو عبيدة صدوع وانشد لعبيد الله بن عتبة بن مسعود

شققت القلب ثم ذررت فيه هواك فليط فالتام الفطور

وقال السدى خروق وقال قتادة خلل ومنه التفطر والانفطار وقال ابن عباس وهن وهذه تفاسير متقاربة والجملة فى قوله هل ترى من فطور فى موضع نصب بفعل معلق محذوف اى فانظر هل ترى ويكون معلقا ثم ارجع البصر كرتين اى ثنتين وليس به السقع الواحد بل يراد بها التكرار لكن بعدد كرات كثيرة كقولهم لبيك يريد اجابات كثيرة بعضها اثر بعض واريد بالتثنية التكثير كما اريد بما هو اصل لها التكثير وهو مفرد عطف على مفرد نحو قوله

لو عد قبر وقبر كان اكرمهم بيتا وابعدهم عن منزل الذام

يريد لو عدت قبور كثيرة وقال ابن عطية وعن كرتين معناه مرتين ونصبها على المصدر وقيل الاولى ليرى حسنها واستواها والثانية ليبصر كواكبها فى سيرها وانتهائها وقرا الجمهور ينقلب جزما على جواب الامر والخوارزمى عن الكسائى برفع اليا اى فينقلب على الحذف او على انه فى موضع حال مقدرة اى راجعا خاسئا اى البصر كرة النظر لطلب فطور وشقوق او خلل او عيب رجع اليك مبعدا عن ان يطلبه لا يجد ذلك عيانا وهو كال من كثرة النظر وكلاله يدل على ان المراد بالكرتين ليس شفع الواحد لانه لا يكل البصر بالنظر مرتين والحسير الكال قال الشاعر

لهن الوجى لم كن عونا على النوى ولا زال منها ظالع وحسير

يقال حسر بعيره يحسره حسورا اى كله واتعبه فهو حسير ومحسور وقال يصف ناقة

ومنظرها نظر العينين محسور

اى نصفها وقد جمع حسير بمعنى اعيا وكل قال

بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض

السما الدنيا هى التى يشاهدها والدنو امر نسبى والا فليست قريبة عن سما الدنيا

ليستضاء بها مصابيح وجعلناها رجوما للشياطين أي جعلنا منها لأن السماء ذاتها ليست
الرجوم فعاد الى كان الضمير في قوله وجعلناها عائدا على السماء والظاهر عوده على مصابيح و
الرجم بها أن الشهاب المتبع للمسترق منفصل من نارها والكوكب باق فكله على حاله فالشهاب
كقبس يؤخذ من النار والنار باقية لا تنقص والظاهر أن الشياطين هم مسترقو السمع وأن
الرجم هو حقيقة يرمون بالشهب كما تقدم في سورة الحجر وسورة والصافات وقيل معنى
رجوما ظنونا لشياطين الإنس وهم المنجمون ينسبون الى النجوم أشياء على سبيل الظن
من جهالتهم والتمويه والاختلاق من أذكيائهم ولهم في ذلك تصانيف تشتمل على خرافات
وترهات يموهون بها على الملوك وضعفاء العقول ويعملون مواليد المخلوقين فيها ما نشأ
لم يصح منها شيء وقد وقفنا على أشياء من كذبهم في تلك المواليد وما يحكونه عن أبي معشر
وغيره من شيوخ السوء كذب يعرفه الناس الجهال وقال قتادة خلق الله تعالى النجوم
زينة للسماء ورجوما للشياطين ليهتدى بها في البر والبحر فمن قال غير هذه الخصال الثلاث
فقد تكلف وأذهب حظه من الآخرة والضمير في لهم عائد على الشياطين وقرأ الجمهور عذاب جهنم
برفع الباء والضحاك والأعرج وأسيد بن أسيد المزني والحسن في رواية هارون عنه بالنصب
عطفا على عذاب السعير أي وأعتدنا للذين كفروا عذاب جهنم إذا ألقوا فيها أي طرحوا
كما يطرح الحطب في النار العظيمة ويرمى به ومنه حصب جهنم سمعوا لها أي لجهنم شهيقا
أي صوتا منكرا كصوت الحمار تصوت مثل ذلك لشدة توقدها وغليانها ويحتمل أن
تكون على حذف مضاف أي سمعوا لأهلها كما قال تعالى لهم فيها زفير وشهيق وهي تفور
تغلي بهم غلي المرجل تكاد تميز أي ينفصل بعضها من بعض لشدة اضطرابها ويقال فلان
يتميز من الغيظ إذا وصفوه بالإفراط بالغضب وقرأ الجمهور تميز بتاء واحدة خفيفة والبزي
بشدها وطلحة بتاءين وأبو عمرو بإدغام الدال في التاء والضحاك تمايز على وزن تفاعل وأصله
تتمايز بتاءين وزيد بن علي وابن أبي عبلة تميز من مار من الغيظ على الكفرة جعلت كالمغتاظة
عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون في التجوز و[illegible] في غضب تشتد في جريه تكاد
تخرج من إهابه ويقولون غضب فلان فطارت منه شقة في الأرض وشقة في السماء إذا أفرط
في الغضب ويجوز أن يراد من غيظ الزبانية كلما ألقي فيها فوج أي جمع من الكفار
سألهم خزنتها سؤال توبيخ وتقريع وهو مما يزيدهم عذابا الى عذابهم وخزنتها مالك وأعوانه

ألم يأتكم نذير منذركم هذا اليوم قالوا بلى اعتراف بمجيء النذر إليهم قال الزمخشري اعتراف
منهم بعدل الله وإقرار بأن الله عز وجل أزاح عللهم ببعثة الرسل وإنذارهم ما وقعوا فيه
وأنهم لم يؤتوا من قدرة كما تزعم المجبرة وإنما أتوا من قبل أنفسهم واختيارهم خلاف ما اختار
الله وأمر به وأوعد على ضده انتهى وهو على طريقة المعتزلة والظاهر أن قوله إن أنتم إلا
في ضلال كبير من قول الكفار للرسل الذين جاءوا نذرا إليهم أنكروا أولا أن الله نزل
شيئا واستجهلوا من أخبر بأنه تعالى أرسل إليهم الرسل وأن ما جاء به من الله في غاية
غلطه ويجوز أن يكون من قول الخزنة للكفار إخبارا لهم وتقريعا لما كانوا عليه في الدنيا
أو أرادوا بالضلال الهلاك الذي هم فيه أو سموا عقاب الضلال ضلالا لما كان ناشئا
عن الضلال وقال الزمخشري أو من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة أي قالوا لنا هذا فلم نقبله
انتهى فإن كان الخطاب في إن أنتم للرسل فقد ذكر أن أريد به الجنس ولذلك جاء الخطاب
بالجمع وقالوا أي الخزنة حين حاوروهم لو كنا نسمع سماع طالب للحق أو نعقل عقل متأمل
لم نستوجب الخلود في النار فاعترفوا حين لا ينفعهم الاعتراف بذنبهم أي بتكذيب
الرسل فسحقا أي فبعدا لهم وهو دعاء عليهم والسحق البعد وانتصابه على المصدر أي
سحقهم الله سحقا قال الشاعر

يجول بأطراف البلاد مغربا ... وتسحقه ريح الصبا كل مسحق

والفعل منه ثلاثي وقال الزجاج أي أسحقهم الله سحقا أي باعدهم بعدا وقال أبو علي الفارسي
القياس إسحاقا فجاء المصدر على الحذف كما قيل

وإن أهلك فذلك كان قدري

أي تقديري انتهى ولا يحتاج الى ادعاء الحذف في المصدر لأن فعله قد جاء ثلاثيا كما أنشد

وتسحقه ريح الصبا كل مسحق

وقرأ الجمهور بسكون الحاء وعلي وأبو جعفر والكسائي بخلاف عن أبي الحارث عنه بضمها قال
ابن عطية فسحقا نصبا على جهة الدعاء عليهم وجاز ذلك فيه وهو من قبل الله تعالى من حيث
هذا القول فيهم مستقر أولا ووجوده لم يقع ولا يقع إلا في الآخرة فكأنه لذلك في حيز
المتوقع الذي يدعى فيه كما تقول سحقا لزيد وبعدا والنصب في هذا كله بإضمار فعل
وأما ما وقع وثبت فالوجه فيه الرفع كما قال تعالى ويل للمطففين وسلام عليكم وغير هذا

من الاملاء اى يخشون ربهم بالغيب الذين اخبروا به من امر المعاد واحواله او غائبين
عن اعين الناس اى فى خلواتهم كقوله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه واسروا قولكم
خطاب لجميع الخلق قال ابن عباس وسببه ان بعض المشركين قال لبعض اسروا قولكم لا يسمعكم
اله محمد الا يعلم من خلق الهمزة للاستفهام ولا للنفى والظاهر ان من مفعوله والمعنى اينتفى
علمه بمن خلق وهو الذى لطف علمه ودق واحاط بخفيات الامور وجلياتها واجاز
بعض النحاة ان يكون من فاعلا والمفعول محذوف كانه قال الا يعلم الخالق سركم
وجهركم وهو استفهام معناه الانكار اى كيف لا يعلم ما تكلم به من خلق الاشياء واوجدها
من العدم الصرف وحاله انه اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن
هو الذى جعل لكم الارض ذلولا منه منه تعالى بذلك والذلول بمعنى مفعول
المذلول فهو كركوب وحلوب اى وليس بمعنى مفعول لان فعله قاصر وانما تعدى
بالهمزة كقوله وتذل من تشاء واما بالتضعيف كقوله وذللناها لهم وقوله اى
مذلوله يظهر انه خطا فامشوا فى مناكبها امر بالتصرف فيها والاكتساب ومناكبها
قال ابن عباس جبالها وبشر بن كعب اطرافها وهى الجبال وقال الفراء والكلبى ومنذر
ابن سعيد جوانبها ومنكب الرجل جانباه وقال الحسن والسدى طرقها ومجاهد
قال الزمخشرى والمشى فى مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لان المنكبين
وملتقاهما من الغارب ارق شىء من البعير وانباه عن ان يطاه الراكب بقدمه ويعتمد
عليه فاذا جعلها فى الذل بحيث يمشى فى مناكبها لم يترك شيئا قال الزجاج سهل لكم
السلوك فى جبالها فهو ابلغ التذليل واليه النشور اى البعث فيسالكم عن شكر
نعمه النعم عليكم ءامنتم من فى السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هى تمور ام امنتم من فى
السماء ان يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف
كان نكير اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل
شىء بصير امن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا فى غرور
امن هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه بل لجوا فى عتو ونفور افمن يمشى مكبا على
وجهه اهدى امن يمشى سويا على صراط مستقيم قل هو الذى انشاكم وجعل لكم السمع
والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون قل هو الذى ذراكم فى الارض واليه تحشرون

ويقولون

ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله وانما انا نذير
مبين فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذى كنتم
به تدعون قل ارايتم ان اهلكنى الله ومن معى او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب
اليم قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو فى ضلال مبين قل ارايتم
ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين قرا نافع وابو عمرو والبزى ءامنتم بتحقيق
الاولى وتسهيل الثانية وادخل ابو عمرو وقالون بينهما الفا وقنبل بابدال الاولى
واوا لضمة ما قبلها وعنه وعن ورش اوجه غير هذه والكوفيون وابن عامر بتحقيقهما
من فى السماء هذا مجاز وقد قام البرهان العقلى على انه تعالى ليس بمتحيز فى جهة
ومجازه ان ملكوته فى السموات لان فى السماء هو صلة من ففيه الضمير الذى كان
فى العامل فيه وهو استقر اى من فى السماء هو اى ملكوته فهو على حذف مضاف
وملكوته فى كل شىء لكن خص السماء بالذكر لانها مسكن ملائكته وثم عرشه
وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه وامره ونهيه وجاء هذا
على طريق اعتقادهم اذ كانوا مشبهة فكانوا المعنى اامنتم من تزعمون انه فى السماء
وقيل من هم الملائكة وقيل جبريل وهو الملك الموكل بالخسف وغيره
وقيل فى بمعنى على ويراد بالعلو القهر والقدرة لا بالمكان وفى التحرير الاجماع
منعقد على انه تعالى ليس فى السماء بمعنى الاستقرار لان من قال من المشبهة و
المجسمة انه على العرش لا يقول بانه فى السماء ان يخسف بكم الارض وهو ذهابها بهم
على العرش لا يقول ~~بانه فى السما~~ سفلا فاذا هى تمور اى تذهب وتجىء كما يذهب
التراب فى الريح وقد تقدم شرح الحاصب فى سورة الاسرا والنذير والنكير مصدر
اى عاقبة انذارى وانكارى تعالى حسان
ما ثبت ملكا نعما فريشا من الرحمن فلنت نذير
واثبت ورش ياء نذيرى ونكيرى وصلا فى السبعة ولما حذرهم ما يمكن احلاله
بهم من الخسف وارسال الحاصب نبههم على الاعتبار بالطير وما احكم من خلقها وعلى
عجز الهتهم عن شىء منه لكن وناسب ذكر الاعتبار بالطير ادوار ما تقدمه الحاصب
الذى رميهم به معنه اركان قريش بعض القصة وانه تعالى لو شاء لاهلكهم

بخاصيته يرمى به الطير كما يفعل باجنحة الطير صافات باسطة اجنحتها صافتها
حتى كانها ساكنة ويقبضن يضممن الاجنحة الى جوانبهن وهما حالتان للطائر
الطائر يستريح من احداهما الى الاخرى وعطف الفعل على الاسم لما كان في معناه
ومثله قوله تعالى فالمغيرات صبحا فاثرن عطف الفعل على الاسم لما كان المعنى
فاللاتي اغرن صبحا فاثرن ومثل هذا العطف فصيح وعكسه ايضا جائز الا عند
السهيلي فانه قبح كقوله

بات يعشيها بعضب باتر يقصد في اسوقها وجائر

اي قاصد في اسوقها وجائر وقال الزمخشري صافات باسطات اجنحتهن
في الجو عند طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها
اذا ضربن بها جنوبهن فان قلت لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات قلت
لان اصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران في الهواء كالسباحة في
الماء والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على البسط
للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل على معنى انهن صافات
ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح انتهى وملخصه ان الغالب
هو البسط فكانه هو الثابت فعبر عنه بالاسم والقبض متجدد فعبر عنه بالفعل
ما يمسكهن الا الرحمن بقدرته قال الزمخشري وبما دبر لهن من القوادم والخوافي
وبنى الاجسام على شكل وخصائص قد تأتى معها الجري في الجو انه بكل شيء بصير
يعلم كيف يخلق وكيف يقول ان ابطل الا شيئا اذا اراد امساكها في الهوا
واستعلاها الى العرش كان ذلك واذا اراد انزالها ما هو اخف سفلا الى
منتهى ما نزل كان وليس ذلك معروفا لشكل لا من ثقل ولا خفة وقرا
الجمهور ما يمسكهن مخففا وقرا الزهري مشددا وقرا الجمهور امن بادغام ميم ام
في ميم من اذ الاصل ام من وام هنا بمعنى بل خاصة لان الذي بعدها هو اسم
استفهام في موضع رفع على الابتداء وهذا خبر والمعنى من هو ناصركم ان ارسل عليكم
عذابه وكذلك من هو الذي يرزقكم ان امسك رزقه والمعنى لا احد ينصركم ولا يرزقكم
وقرا طلحة امن بتخفيف الميم وثقلها في الثانية قال صاحب اللوامح ومعناه

اهذا

اهذا الذي هو جند لكم ينصركم ام الذي يرزقكم فلفظه لفظ الاستفهام ومعناه التقريع
والتوبيخ انتهى بل لجوا تمادوا في عتو في تكبر وعناد ونفور شرود عن الحق لثقله عليهم
وقيل هذا اشارة الى اصنامهم افمن يمشي مكبا على وجهه افمن يمشي مكبا قال قتادة نزلت
تخبر عن حال القيمة وان الكفار يمشون فيها على وجوههم والمومنون يمشون على استقامة
وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم كيف يمشي الكافر على وجهه فقال ان الذي امشاه في الدنيا
على رجليه قادر ان يمشيه في الاخرة على وجهه فالمشي على قول قتادة حقيقة وقيل هو
مجاز ضربه مثلا للكافر والمؤمن في الدنيا فقيل عام وهو قول ابن عباس ومجاهد والضحاك
نزلت فيهما وقال ابن عباس ايضا نزلت في ابي جهل والرسول وقيل في ابي جهل وحمزة
والمعنى ان الكافر في اضطرابه وتعسفه في عقيدته وتشابه الامر عليه كالماشي
في انخفاض وارتفاع كالاعمى يعثر كل ساعة فيخر لوجهه واما المؤمن فانه لطمانينة
قلبه بالايمان وكونه قد وضح له الحق كالماشي صحيح البصر مستويا لا ينحرف على طريق
واضح الاستقامة لا حزن فيها فاله نظر صحيح ومسلكه لا صعوبة فيه ومكبا حال
من اكب وهو لا يتعدى وكب متعد قال تعالى فكبت وجوههم في النار والهمزة فيه للدخول
في الشيء او للصيرورة ومطاوع كب انكب تقول كببته فانكب وقال الزمخشري ولا شيء
من بناء افعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا الا حملة كتاب سيبويه انتهى وهذا الرجل
كثير التبجح بكتاب سيبويه وكم من نص في كتاب سيبويه عمي بصره وبصيرته عنه
حتى ان الامام ابا الحجاج يوسف بن معزوز صنف كتابا يذكر فيه ما غلط فيه
الزمخشري وما جهله من نصوص كتاب سيبويه واهدى افعل تفضيل من الهدى في
الظاهر ويقرب نحو العسل احلى من الخل وهذا الاستفهام لا يراد حقيقته بل المراد
منه ان كل سامع يجيب بان الماشي سويا على صراط مستقيم اهدى وانتصب قليلا على
انه نعت لمصدر محذوف وبارزا في وتشكرون مستانف او حال مقدرة اي
تشكرون شكرا قليلا وقال ابن عطية ظاهره انهم يشكرون قليلا وما عسى ان يكون
للكافر من شكر وهو قليل غير نافع واما ان يريد به نفي الشكر جملة فعبر بالقلة كما
تقول العرب هذه ارض قلما تنبت كذا وهي لا تنبته البتة انتهى وتقدم نظير قوله
والرد عليه فيه ذراكم بثكم والحشر البعث والوعد المشار اليه هو وعد يوم

القيامة التي تجازيهم بهذا الوعد فلما راوه زلفة اى راوا العذاب وهو الموعود به
زلفة اى قريبا اى ذا قرب وقال الحسن عيانا وقال ابن زيد حاضرا وقيل التقدير
مكانا ذا زلفة فانتصب على الظرف سيئت اى سآت رؤيته وجوههم وظهر
بها السوء والكآبة وغشيها السواد كما يساق الى القتل واظهر الجمهور كسر السين
واشمها الضم ابو جعفر والحسن وابو رجاء وشيبة وابن وثاب وطلحة بن عامر
ورافع والكسائي وقيل لهم اى تقول الزبانية ومن يوبخهم وقرا الجمهور تدعون بشد
الدال مشدد له تفعل من الدعوى قال الحسن تدعون انه لا جنة ولا نار وقيل تطلبون
وتستعجلون وهو من الدعاء وتقول بهذا القول قراءة اى رجاء والضحاك والحسن وقتادة
وابن عبد الله بن مسلم وسلام ويعقوب تدعون بسكون الدال وهى قراءة (بساد)
ابن ابى عبلة وابى زيد وعصمة عن ابى بكر والاصمعى عن نافع روى ان الكفار كانوا
يدعون على الرسول واصحابه بالهلاك فقيل كانوا يسرون بهم باب
يهلكوهم بالقتل ونحوه فامران يقول ان اهلكنى الله كما يريدون او رحمنا بالنصر
عليكم فمن يجيركم من العذاب الذى سببه كفركم ولما قال او رحمنا قال هو الرحمن ذكر
ما به النجاة وهو الايمان والتوكل على الله وقرا الجمهور فستعلمون بتاء الخطاب
والكسائي بالياء نظرا الى قوله فمن يجير الكافرين ولما ذكر العذاب وهو مطلق
ذكر بعد ما به حياة الانفس وهو الماء وهو عذاب مخصوص والغور مشروح فى الكهف
والمعين فى قد افلح وجواب ان اهلكنى فمن يجير وجواب ان اصبح فمن ياتيكم وتليت
هذه الاية عند بعض المستهزئين فقال تجى به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينه
المهين قال الرمانى الوضيع لاكثاره من القبيح المهانة وهى القلة الهمز
اصله فى اللغة الضرب طعنا باليد او بالعصا او كوها ثم استعير للذى ينال بلسانه
قال منذر بن سعيد وبعينه واشارته النميم والنميمة مصدران النم وهو
نقل ما يسمع كرش النقوش وقيل النميم جمع النميمة نريدون به اسم الجنس عتل
المعتدى قال الكلبى والفراء الشديد الخصومة بالباطل وقال معمر هو الفاحش اللئيم قال
بعيد من الرجال ترى عنده تحن وعز كريم
وقيل الذى يعتل الناس اى يجرهم الى الحبس او عذاب ومنه خذوه فاعتلوه قال ابن

السكيت يعتله وعتله بالقوم والموت الزنيم الدعى قال حسان
زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد فى عرض الاديم الاكارع
وقال ايضا
وانت زنيم نيط فى ال هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد
والزنيم من الزنمة وهى الهنية من جلد الماعز تقطع فتخلى معلقة فى حلقها سمى
الدعى بذلك لانه زياد معلقة بغير اهله وسمة حبل له سمة وهى العلامة يدل
على شئ قال جرير
لما وضعت على الفرزدق ميسمى وعلى البعيث جدعت انف الاخطل
الخرطوم الانف والخرطوم من صفات الخمر قال
فظل يشهد الشرب منهم من هو ثم والقوم تصرعهم صهباء خرطوم
قال المبرد او لخروجها من الدن ويقال لها الانف ايضا وذلك لصفى لها
وارق وقال النضر بن شميل الخرطوم الخمر وانشد
تظل يومك فى لهو وفى لعب وانت بالليل شراب الخراطيم
الصرام جداد النخل الحرد المنع من قولهم حاردت الابل اذا منعت البانها
وحاردت السنة منعت مطرها وحرها قاله ابو عبيد والقتبى والحرد الغضب قال
ابو نصر احمد بن حاتم صاحب الاصمعى وهو مخفف وانشد
اذا جياد الخيل جاءت تردى مملوءة من غضب وحرد
وقال الاشهب بن رميلة
اسود شرى لاقت اسود خفية تساقوا على حرد دماء الاساود
وقال ابن السكيت وقد يحرك تقول حرد بالكسر حردا فهو حركات ومنه قيل اسد
حارد وليوث حوارد والحرد الانفراد حرد يحرد حرودا انتحى عن قومه ومن له منفرد لم
يخالطهم وكوكب حرود معتزل عن الكواكب وقال الاصمعى المنحرد المنفرد فى لغة هذيل
اسمه والحرد القصد حرد يحرد بالكسر قصد ومنه حردت حردك اى قصدت قصدك ومنه
اقبل سيل جاء من عند الله يحرد حرد الجنة المغلة
بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم وما يسطرون

ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون
بايكم المفتون ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين فلا تطع
المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم
مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا
قال اساطير الاولين سنسمه على الخرطوم انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا
ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فاصبحت
كالصريم فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين فانطلقوا وهم
يتخافتون ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين فلما راوها قالوا
انا لضالون بل نحن محرومون قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان
ربنا انا كنا ظالمين فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين
عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب
الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ه سورة ن مكية قال ابن عطية ولا
خلاف فيها بين احد من اهل التاويل وبعضها انزل في الوليد بن المغيرة وابي
جهل ومناسبتها لما قبلها انه فيما قبلها ذكر اشياء من احوال السعداء والاشقياء
وذكر قدرته الباهرة وعلمه الواسع وانه تعالى لو شاء لخسف بهم او لارسل عليهم حاصبا
وكان ما اخبر تعالى به هو ما تلقفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحي
وكان الكفار ينسبونه مرة الى الشعر ومرة الى السحر ومرة الى الجنون فبدا تعالى
هذه السورة ببراءته مما كانوا ينسبونه اليه من الجنون وتعظيم اجره على صبره
على اذاهم وبالثناء على خلقه ن حرف من حروف المعجم نحو ص وق وهو غير معرب
كبعض الحروف التي جاءت مع غيرها مهملة من العوامل والحكم على موضعها بالاعراب
تخرص وما روي عن ابن عباس ومجاهد انه اسم الحوت الاعظم الذي عليه الارضون
السبع وعن ابن عباس ايضا والحسن وقتادة والضحاك انه اسم الدواة وعن معوية
ابن قرة يرفعه انه لوح من نور وعن ابن عباس ايضا انه اخر حرف من حروف الرحمن
قال الر وحم ونون حروف مقطعة وعن جعفر الصادق انه نهر
من انهار الجنة لعله لا يصح شيء من ذلك وقال ابو نصر عبد الرحيم القشيري في تفسيره

نون

نون حرف لم يعرف والمعروف انه حرف من حروف المعجم فلو كان كلمة تامة اعرب كما اعرب
القلم فهو اذا حرف هجاء كما في سائر مفاتح السور انتهى ومن قال انه الدواة او
الحوت وزعم انه مقسم به كالقلم فان كان علما فينبغي ان يجر وان كان مؤنثا منع
الصرف او مذكرا صرف وان كان جنسا اعرب ونون وليس فيه شيء من ذلك
فضعف القول فيه وقال ابن عطية اذا كان اسما للدواة فاما ان يكون لغة لبعض
العرب او لفظة اعجمية عربت قال الشاعر
اذا ما الشوق برح بي اليهم … القت النون بالدمع السجوم
فمن جعله اسما للدواة جعل القلم هو الذي خطه الله وامره فكتب الكائنات وجعل الضمير
في يسطرون للملائكة ومن قال هو اسم للدواة جعل القلم المتعارف بايدي الناس
نص على ذلك ابن عباس وجعل الضمير في يسطرون للناس فجاء القسم على هذا
المجموع امر الكتاب الذي هو قوام للعلوم والامور الدنيا والاخرة فان القلم اخو
اللسان ومطيته الفطنة ونعمة من الله عامة انتهى وقرا الجمهور بسكون النون
وادغامها في واو والقلم بغنة وبغير غنة واظهرها حمزة وابو عمرو وابن كثير
وقالون وحفص وقرا ابن عباس وابن ابي اسحق والحسن وابو السمال بكسر
النون لالتقاء الساكنين وسعيد بن جبير وعيسى بخلاف عنه بفتحها فاحتمل ان
يكون حركة اعراب وهو اسم للسورة اقسم به وحذف حرف الجر فانتصب ومنع
الصرف للعلمية والتانيث ويكون والقلم معطوفا عليه واحتمل ان يكون لالتقاء الساكنين
واوثر الفتح تخفيفا كاين وما يحتمل ان تكون موصولة ومصدرية والضمير في
يسطرون عائد على الكتاب لدلالة القلم عليهم فاما ان يريد بهم الحفظة واما ان
يريد كل كاتب وقال الزمخشري ويجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير في
يسطرون لهم كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم او وسطرهم انتهى فيكون
مثل قوله او كظلمات في بحر لجي اي كذي ظلمات ولهذا اعاد عليه الضمير في قوله يغشاه
موج وجواب القسم ما انت بنعمة ربك بمجنون والظاهر ان بنعمة ربك قسم اعترض به
بين المحكوم عليه والحكم على سبيل التوكيد والتشديد والمبالغة في انتفاء الوصف
الذميم عنه عليه السلام وقال ابن عطية بنعمة ربك اعتراض كما تقول للانسان

انتفى بحمد الله ما ضلل اليهود لم يبين ما يتعلق به الباء في بنعمة وقال الزمخشري
يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل مثبتا في قولك انت بنعمة الله عاقل مستويا
في ذلك الاثبات والنفي استواءهما في قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمروا
بعمل الفعل مثبتا ومنفيا اعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كأنه قيل ما انت
مجنونا منعما عليك بذلك ولم يمنع الباء ان تعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتاكيد
النفي والمعنى استبعاد ما كان ينسبه اليه كفار مكة عداوة وحسدا وانه
من انعام الله عليه بحصافة العقل والشهامة التي يقتضيها التأهيل للنبوة
بمعزل انتهى وما ذهب اليه الزمخشري من ان بنعمة ربك متعلق بمجنون وانه في
موضع الحال يحتاج الى تامل وذلك انه اذا تسلط النفي على محكوم به وذلك له معمول
ففي ذلك طريقان احدهما ان النفي مسلط على ذلك المعمول فقط والاخرى ان يتسلط
النفي على المحكوم به فينتفي معموله لانتفائه بيان ذلك تقول ما زيد قائم مسرعا فالمتبادر
الى الذهن انه منتف اسراعه دون قيامه فيكون قد قام غير مسرع والوجه
الاخر انه انتفى قيامه فانتفى اسراعه اي لا قيام ولا اسراع وهذا الذي قررناه لا يتأتى
معه قول الزمخشري بوجه بل يؤدي الى ما لا يجوز ان ينطق به في حق المعصوم عليه
السلام وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة لربك كقولهم سبحانك
اللهم وبحمدك اي والحمد لله ومنه قول لبيد

وافردت في الدنيا بفقد عشيرتي ... وفارقني جار بأربد نافع

اي وهو اربد انتهى وهذا تفسير معنى لا تفسير اعراب وفي المنتخب ما ملخصه
المعنى انتفى عنك الجنون بنعمة ربك اي حصول الصفة المحمودة وزوال الصفة المذمومة
بواسطة انعام الله ثم قرر هذه الدعوى بما هو كالدليل القاطع على صحتها لان
نعمه كانت ظاهرة في حقه من كمال الفصاحة والعقل والسيرة المرضية والبراءة
من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة فحصول ذلك وظهوره جار مجرى اليقين
كونهم كاذبين في قولهم انه مجنون وان لك لأجرا في احتمال طعنهم وفي دعائهم الخلق
الى الله فلا يمنعك ما قالوا عن الدعاء الى الله وانك لعلى خلق عظيم هذا كالتفسير
لما تقدم من قوله بنعمة ربك وتعريف لمن رماه بالجنون انه كذب واخطأ وان

من كان متصفا بتلك الاخلاق المرضية لا يضاف الجنون اليه ولفظة على يدل على الاستعلاء
والاستيلاء انتهى وان لك لأجرا اي على ما تحملت من اثقال النبوة ومن اذاهم
بما يسمعونك مما انت لا تلبس من المعايب غير ممنون اي غير مقطوع مننت
الحبل قطعته وقال

غبس كواسب ما يمن طعامها

اي لا يقطع وقال مجاهد غير محسوب وقال الحسن غير مكدر بالمن وقال الضحاك
بغير عمل وقيل غير مقدر وهو بمعنى قول مجاهد وقال الزمخشري او غير ممنون
عليك لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل
لا الاجور على الاعمال انتهى وفيه دسيسة الاعتزال وانك لعلى خلق عظيم قال ابن
عباس ومجاهد دين عظيم ليس دين احب الى الله منه وقالت عائشة ان خلقه كان
القرآن وقال هو ما ادب القرآن وقال قتادة ما كان يأتمر به من امر الله وقيل
سمي عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه من كرم السجية ونزاهة القريحة والملكة
الجميلة وجودة الضرائب ما دعاه احد الا قال لبيك وقال ان الله بعثني لاتمم
مكارم الاخلاق ووصى ابا ذر فقال يا ابا ذر خالق الناس بخلق حسن وعنه عليه السلام
ما من شيء يوضع في الميزان اثقل من خلق حسن وقال احبكم الى الله احسنكم اخلاقا
والظاهر تعلق بأيكم المفتون بما قبله وقال ابو عثمان المازني تم الكلام في قوله
ويبصرون ثم استأنف قوله بأيكم المفتون انتهى فيكون قوله بأيكم المفتون استفهاما
يراد به التردد بين امرين ومعلوم نفي الحكم عن احدهما ويعينه الوجود وهو
المؤمن ليس بمفتون ولا به فتنة واذا كان متعلقا بما قبله وهو قول الجمهور
فقال قتادة وابو عبيدة معمر الباء زائدة والمعنى ايكم المفتون وزيدت الباء في
المبتدأ كما زيدت في قولهم بحسبك درهم اي حسبك وقال الحسن والضحاك والاخفش
الباء ليست زائدة والمفتون بمعنى الفتنة اي بأيكم هي الفتنة والفساد الذي
سموه جنونا وقال الاخفش ايضا بأيكم فتن المفتون حذف المضاف واقام المضاف
اليه مقامه ففي قوله الاول جعل المفتون مصدرا وهنا ابقاه اسم مفعول وتأوله
على حذف مضاف وقال مجاهد والفراء الباء بمعنى في اي في اي فريق منكم المفتون

المفتون المبتلى فالباء ظرفية كقولك زيد بالبصرة اي في البصرة وظهر من هذا القول ان
الباء في القول قبله ليست ظرفية بل هي سببية وقال الزمخشري المفتون المجنون
لانه فتن اي محن بالجنون او لان العرب يزعمون انه من تخبيل الجن وهم الفتان للفتاك
منهم انتهى وقوله ان ربك اي فعليه في انكم المفتون ان ربك هو اعلم وعيد للضال وهو المجانين
على الحقيقة حيث كانت لهم عقول لم ينتفعوا بها ولا استعملوها فيما ينجيهم في اتباع ما جاءت به
الرسل او تكون اعلم كناية عن الجزاء بعين فلا تطع المكذبين اي الذين كذبوا
ما انزل الله عليك من الوحي وهذا نهي عن طواعيتهم في شيء مما دعوك اليه من تعظيم
الهتهم ودوا لو تدهن لو هنا على رأي البصريين مصدرية بمعنى اي ودوا
ادهانك وتقدم الكلام في ذلك في قوله يود احدهم لو يعمر الف سنة ومذهب الجمهور
ان مفعول ودوا محذوف اي ودوا ادهانك وحذف لدلالة ما بعده عليه ولو
باقية على بابها من كونها حرفا لما كان سيقع لوقوع غيره وجواب لو محذوف تقديره
لسروا بذلك وقال ابن عباس والضحاك وعطية والسدي لو تدهن لو تكفر
فيتمادون على كفرهم وعن ابن عباس ايضا لو ترخص لهم فيرخصون لك وقال
قتادة لو تذهب عن هذا الامر فيذهبون معك وقال الحسن لو تصانعهم في
دينك فيصانعونك في دينهم وقال زيد بن اسلم لو تنافق وترائي فينافقونك و
يراؤونك وقال الربيع بن انس لو تكذب فيكذبون وقال ابو جعفر
لو تضعف فيضعفون وقال الكلبي والفراء لو تلين فيلينون وقال ابان بن
تغلب لو تحابي فيحابون وقال العتبي هذه الاقوال وقال الفراء الادهان التليين
وقال المفضل النفاق وترك المناصحة وهذا نقل اهل اللغة وما قالوه
لا يخرج عن ذلك لان من خالف ذلك فهو مشتبه بالادهان وفيدهنون عطف على
تدهن وقال الزمخشري عدل به الى طريق اخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف
اي فهم يدهنون كقوله فمن يؤمن بربه فلا يخاف بمعنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون
حينئذ او ودوا ادهانك فهم الان يدهنون لطمعهم في ادهانك انتهى وجمهور
المصاحف على اثبات النون وقال هارون انه في بعض المصاحف فيدهنوا
بالنصب وفيه وجهان احدهما انه جواب ودوا لتضمنه معنى ليت والثاني انه على توهم

انه نطق بان اي ودوا ان تدهن فيدهنوا فيكون عطفا على التوهم ولا يجيء هذا
الوجه الا على قول من جعل لو مصدرية بمعنى ان ولا تطع كل حلاف مهين
تقدم تفسير مهين وما بعده في المفردات وجاءت هذه الصفات صفات مبالغة
ونوسب فيها فجاء حلاف وبعده مهين لان النون فيها مع الميم ثم جاء هماز
مشاء بنميم بصفتي المبالغة ثم جاء مناع للخير معتد اثيم صفات مبالغة والظاهر
ان الخير هنا يراد به العموم فيما يطلق عليه خير وقيل الخير هنا المال
يريد مناع للمال عبر به عن الشح معتد متجاوز الحد في الظلم في حديث شداد بن
اوس قلت يعني لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما العتل الزنيم قال الرحب
الجوف الوثير الخلق الاكول الشروب الغشوم الظلوم وقرا الحسن عتل برفع اللام
والجمهور بجرها بعد ذلك قال الزمخشري بعد ما عدد له من المثالب والنقائص ثم انه اذا
جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترا على كل معصية ولان الغالب ان النطفة
اذا خبثت خبث الناشئ منها وبعد ذلك نظير ثم في قوله ثم كان من الذين
امنوا وقرا الحسن عتل رفعا على الذم وبعض القراء نصبه على الذم بعد ذلك
انتهى وقال ابن عطية بعد ذلك اي بعد ما وصفناه به فهذا الترتيب انما هو
في قول الواصف لا في حصول تلك الصفات في الموصوف والا فكونه عتلا هو قبل
كونه صاحب خير يمنعه انتهى والزنيم الملصق في القوم وليس منهم قال ابن عباس
وعنه وقيل الزنيم المريب القبيح الافعال وعن ابن عباس ايضا الزنيم
الذي له زنمة في عنقه كزنمة الشاة وما كنا نعرف المشار اليه حتى نزلت فعرفناه
بزنمته انتهى وروي ان الاخنس بن شريق كان بهذه الصفة كان له زنمة
وروى ابن جبير عن ابن عباس ان الزنيم هو الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة
بزنمتها وعنه ايضا انه المعروف بالابنة وعنه ايضا انه الظلوم وعن عكرمة
هو اللئيم وعن مجاهد وعكرمة وابن المسيب انه ولد الزنا الملحق في النسب
بالقوم وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة
من مولده وقال مجاهد كانت له ستة اصابع في يده في كل ابهام
اصبع زائدة والذي يظهر ان هذه الاوصاف ليست لمعين الا ترى الى قوله كل

كل حلاف وقوله انا بلوناهم يعني بما وقع النهي عن طواعيته من بعض هذه الصفات قال ابن عطية
ما لخصه قرأ النحويان والحرميان وحفص عن عاصم ان كان على الخبر وابن مسعود والحسن
وابن ابي اسحق وابو جعفر على الاستفهام وحقق الهمزتين حمزة وسهل الثانية باقيهم واما على الخبر
فقال ابو علي الفارسي يجوز ان يعمل فيها عتل وان كان قد وصف انتهى وهذا قول كوفي ولا
يجوز ذلك عند البصريين وقيل زنيم لاشتماله على قبح الافعال قال الزمخشري
متعلق بقوله ولا تطع يعني ولا تطعه مع هذه المثالب لان كان ذا مال اي ليساره وحظه
من الدنيا ويجوز ان يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولا مستظهرا بالبنين كذب اياتنا
ادلت عليه الجملة من معنى التكذيب انتهى واما على الاستفهام فيتعلق بمضمر عامل يدل
عليه ما قبله اي اتكون طواعيته لان كان او عامل
يدل عليه ما بعده اي اكذب او جحد لان كان وقرا نافع في رواية اليزيدي عنه ان كان
بكسر الهمزة قال الزمخشري والشرط للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا
اطاع الكافر لغناه فكأنه اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط الى المخاطب صرف الترجي
اليه في قوله لعله يتذكر انتهى واقول ان كان شرط واذا ابلي شرط فهو مما اجتمع
فيه شرطان وليسا من الشروط المترتبة الوقوع فالمتأخر لفظا هو المتقدم والمتقدم
لفظا هو شرط في الثاني فهو كقوله

فان عثرت بعدها ان وألت نفسي من هاتا فقولا لا لعا

لان الحامل على تدبر ايات الله كونه ذا مال وبنين فهو مشغول القلب بذلك غافل عن النظر
والفكر قد استولت عليه الدنيا وابطرته وقرأ الحسن اذا على الاستفهام وهو استفهام
تقريع وتوبيخ على قوله القرآن اساطير الاولين لما تتلى عليه ايات الله لما ذكر قبائح
افعاله واقواله ذكر ما يفعل به على سبيل التوعد فقال سنسمه على الخرطوم والسمة العلامة
ولما كان الوجه اشرف ما في الانسان والانف اكرم ما في الوجه لتقدمه ولذلك
جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا حمي الانف شامخ العرنين وقالوا في
الذليل جدع انفه ورغم انفه وكان ايضا مما تظهر السمات فيه لعلوه قال سنسمه على الخرطوم
وهو غاية الاذلال والاهانة والاستذلال اذ صار كالبهيمة لا يملك الدفع عن وجهه وفي الانف
واذا كان الوسم في الوجه شينا فكيف به على اكرم عضو فيه وقد قيل الجمال

في الانف وقال بعض الادباء

وحسن الفتى في الانف والانف عاطل فكيف اذا ما الخال كان له حليا

وسنسمه فعل مستقبل لم يقع زمانه فقال ابن عباس هو الضرب بالسيف اي يضرب
به في وجهه وعلى انفه فيجيء ذلك كالوسم على الانف وحل به ذلك يوم بدر وقال المبرد ذلك
في عذاب الآخرة في جهنم وهو تعذيب بنار على انوفهم وقال آخرون ذلك في يوم
القيامة اي نوسم على انفه بسمة يعرف بها كفره وانحطاط قدره وقال قتادة وغيره معناه
سنفعل به في الدنيا من الذم له والمقت والاشتهار بالشر ما يبقى فيه ولا يخفى به فيكون ذلك
كالوسم على الانف ثابتا بينا كما تقول ساطوقك طوق الحمامة اي اثبت لك الامر بسامل
وكذا هذا اراد جرير بقوله

لما وضعت على الفرزدق ميسمي

وفي لفظ الانف يشوبه مجاز استعارة في المرمان بلعه جرا قال ابن عطية واذا تاملت
حال ابي جهل ونظرائه وما ثبت لهم في الدنيا من سوء الاحدوثة رايت انهم قد وسموا على
الخراطيم انتهى وقال ابو العالية ومقاتل والفراء المراد انه يسود وجهه قبل دخول النار
وذكر الخرطوم والمراد الوجه لان بعض الوجه يؤدي عن بعض وقال ابو عبد الله الرازي
انه بالغ الكافر في عداوة الرسول بسبب الانفة والحمية فلما كان منشأ هذا الانكار هو الانفة
والحمية عبر عن هذا الاختصاص بقوله سنسمه على الخرطوم انتهى وفي استعارة الخرطوم
مكان الانف استهانة واستخفاف لان حقيقة الخرطوم هو للسباع وللخنزير من بعد ان
قوله سنسمه على الخرطوم اهو حقيقة ام مجاز واذا كان حقيقة فهو ذلك في الدنيا
او في الآخرة وابعد النضر بن شميل في تفسير الخرطوم هنا بالخمر وان معناه سنحده
على شربها ولما ذكر المصنف تلك الاوصاف الذميمة وهو كفار قريش اخبر تعالى بما
حل بهم من الابتلاء بالقحط والجوع بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك
على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف الحديث كما ابلوا اصحاب الجنة المعروف خبرها
عندهم كانت بارض اليمن بالقرب منهم قريبا من صنعاء لرجل كان يؤدي حق الله منها فلما
صارت الى ولده منعوا الناس خيرها وبخلوا بحق الله فاهلكها الله من حيث لم يمكنهم
دفع ما حل بها وقيل كانت بصوران على فرسخ من صنعاء الناس بعد رفع عيسى

عليه السلام وكان يترك للمساكين ما أخطأه المنجل وما في أسفل الأكداس وما أخطأه
القطاف من العنب وما بقي على البساط تحت النخلة إذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير
فلما مات قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن أولو عيال فحلفوا ليصرمنها
مصبحين في السدف خفية من المساكين ولم يستثنوا في يمينهم والكاف في كما بلونا في موضع نصب
وما مصدرية وقيل بمعنى الذي وإذ معمول لبلوناهم ليصرمنها جواب القسم لا
على حكاية منطوقهم إذ لو كان على منطوقهم لكان لنصرمنها بنون المتكلمين والمعنى ليجذ
ثمرها إذا دخلوا في الصباح قبل خروج المساكين إلى عادتهم معهم ولا يستثنون أي ولا
يستثنون ثمرها عما عزموا عليه من منع المساكين وقال مجاهد معناه لا يقولون إن شاء الله
بل عزموا على ذلك عزم من ملك أمره وقال الزمخشري متبعا لقول مجاهد ولا يقولون إن شاء الله
فإن قلت لم سمي استثناء وإنما هو شرط قلت لأنه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث إن قولك
لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد انتهى فطاف عليها طائف وقرأ النخعي
طيف قال الفراء والطائف الأمر الذي يأتي بالليل ورد عليه بقوله إذا مسهم طيف من الشيطان
ثم يختص بالليل وطائفتهم قيل هو جبريل عليه السلام اقتلعها وطاف بها حول
البيت ثم وضعها حول مدينة الطائف اليوم ولذلك سميت بالطائف وليس في أرض الحجاز
بلدة فيها الماء والشجر والأعناب غيرها وقال ابن عباس طائف أمر من ربك وقال قتادة عذاب
من ربك وقال ابن جريج عنق من نار خرج من وادي جهنم فأصبحت كالصريم قال ابن عباس
كالرماد الأسود والصريم الرماد الأسود بلغة خزيمة ومنه أيضا الصريم رملة باليمن لا تنبت
شيئا وقال الحسن صرم عنها الخير أي قطع فالصريم بمعنى مصروم وقال الثوري كالصبح
من حيث ابيضت كالزرع المحصود وقال المؤرج كالرملة انصرمت من معظم الرمل والرملة
لا تنبت شيئا ينفع وقال الأخفش كالصبح انصرم من الليل وقال المبرد كالنهار فلا شيء فيها
وقال شمر الصريم الليل والصريم النهار أي ينصرم هذا عن ذاك وذاك عن هذا وقال
الفراء وغيره وحاملة الصريم بالليل كالصريم لسواد حبهم فتنادوا ودعا بعضهم بعضا إلى
المضي إلى ميعادهم أن اغدوا على حرثكم قال الزمخشري فإن قلت هلا قيل اغدوا إلى
حرثكم وما معنى على قلت لما كان الغدو إليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول
غدا عليهم العدو ويجوز أن يضمن الغدو معنى الإقبال كقولهم يغدى عليه بالجفنة ويراح أي

فاقبلوا

فاقبلوا على حرثكم باكرين انتهى واستلطف الزمخشري أن غدا يتعدى بإلى وصحح ذلك
إلى تعديه بعلى لكن ذلك يقتضي لصحة فيه وساق لفظها لغة والذي يحفظ أنه يتعدى
بعلى كقول الشاعر

وقد اغدو على ثبة كرام ... نشاوى واجدين لما نشاء

وكذا غدا مرادفه قال

بكرت عليه غدوة فرأيته ... قعودا لديه بالصريم عواذله

إن كنتم صارمين الظاهر أنه من صرام النخل ويحتمل أن يريد إن كنتم أهل عزم وإقدام على
رأيكم من قولك سيف صارم يتخافتون يخفون كلامهم خوفا من أن يشعر بهم المساكين
أن لا يدخلنها أي يتخافتون بهذا الكلام وهو لا يدخلنها وأن مصدرية ويجوز أن تكون
تفسيرية وقرأ عبد الله وابن أبي عبلة لا يدخلنها بإسقاط أن على إضمار يقولون أو على إجراء
يتخافتون مجرى القول إذ معناه يتسارون القول والنهي عن الدخول نهي عن التمكين
أي لا تمكنوهم من الدخول فيدخلوا وغدوا على حرد قادرين أي على قصد وقوة في أنفسهم
يظنون أنهم تمكنوا من مرادهم قال معناه ابن عباس أي قاصدين إلى جنتهم بسرعة قادرين
عند أنفسهم على صرامها وقال أبو عبيدة والقتبي على حرد على منع أي قادرين في أنفسهم على
منع المساكين من خيرها مجازا من باب منع خيرها وقال الحسن على حرد أي حاجة وفاقة وقال
السدي وسفيان على حرد على غضب أي لا يقدروا إلا على حنق وغضب بعضهم على بعض
وقيل على حرد على انفراد أي انفردوا دون المساكين وقال الأزهري حرد اسم قريتهم وقال
السدي اسم جنتهم أي غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند أنفسهم أو مقدرين أن يتم
لهم مرادهم من الصرام قيل ويحتمل أن يكون من التقدير بمعنى التضييق كقوله ومن قدر عليه
رزقه أي مضيقين على المساكين إذ حرموهم ما كانوا يسلمون منها فلما رأوها
أي على غير الحالة التي كانوا عهدوها عليها من هلاكها وذهاب ما فيها من الخير قالوا
إنا لضالون أي عن الطريق إليها قاله [illegible] وذلك في أول وصولهم أنكروا أنها هي واعتقدوا
أنهم أخطأوا الطريق إليها ثم وضح لهم أنها هي وأنه أصابها من عذاب الله ما أذهب خيرها
بل الضالون عن الصواب في غدونا على نية منع المساكين فقالوا بل نحن محرومون
حرمنا خيرها بجنايتنا على أنفسنا قال أوسطهم أي أفضلهم وأرجحهم عقلا ألم أقل لكم

لولا تسبحون اي هلا ونحتم على تركهم ما حضهم عليه وهو تسبيح الله اي ذكره وتنزيهه عن السوء
ولو ذكروا الله واحسانه اليهم لامتثلوا ما امرهم به من مواساة المساكين واقتفوا سنة ابيهم
في ذلك فلما غفلوا عن ذكر الله تعالى وعزموا على منع المساكين ابتلاهم الله وقيل هذا يدل على
ان اوسطهم كان نهاهم وحرضهم على ذكر الله تعالى وقيل قال مجاهد وابو صالح كان
استثناؤهم سبحان الله قال النحاس جعل مجاهد التسبيح موضع ان شاء الله لان المعنى تنزيه الله
ان يكون شيء الا بمشيئة الله وقال الزمخشري لالتقائهما في معنى التعظيم لان الاستثناء تفويض
اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم انتهى وقيل لولا
تسبحون تستغفرون ولما انبهم رجعوا الى ذكر الله واعترفوا على انفسهم بالظلم وبادروا
الى تسبيح الله فقالوا سبحان ربنا قال ابن عباس اي نستغفر الله من ذنبنا ولما اقروا
بظلمهم لام بعضهم بعضا وجعل اللوم في حيز غيره اذ كان منهم من زين ومنهم من قبل ومنهم من
امر بالكف ومنهم من عصى الامر ومنهم من سكت على رضى منه ثم اعترفوا بانهم طغوا ورجوا انتظار
الفرج في ان يبدلهم خيرا منها وتقدم في الكهف الخلاف في تخفيف يبدلنا وتثقيلها منسوبا
للقراء انا الى ربنا راغبون اي طالبون ايصال الخير الينا منه والظاهر ان اصحاب هذه الجنة
كانوا مؤمنين اصابوا معصية وتابوا وكانوا من اهل الكتاب وقال عبد الله بن
مسعود بلغني ان القوم دعوا الله واخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال
لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها العنقود وقال ابو خالد اليماني رأيت تلك الجنة وكل عنقود
منها كالرجل الاسود القائم وعن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وقال القشيري المعظم يقول
انهم تابوا واخلصوا انتهى وتوقف الحسن في كونهم مؤمنين وقال ان كان قولهم انا الى ربنا راغبون
ايمانا او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة كذلك العذاب فقد خاطب الرسول
في امر قريش قال ابن عطية والاشارة بذلك الى العذاب الذي نزل بالجنة اي كذلك العذاب
الذي ينزل بقريش بغتة ثم عذاب الاخرة بعد ذلك اشد عليهم من عذاب الدنيا وقال كثير من
المفسرين العذاب النازل بقريش المماثل لامر الجنة هو الجدب الذي اصابهم سبع سنين
حتى رأوا الدخان واكلوا الجلود انتهى وقال الزمخشري مثل ذلك العذاب الذي بلونا به
اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الاخرة اشد واعظم منه انتهى وتشبيه بلاء قريش
ببلاء اصحاب الجنة هو ان اصحاب الجنة عزموا على الانتفاع بثمرها وحرمان المساكين فقلب

الله

الله عليهم قضيتهم وان قريشا حين خرجوا الى بدر حلفوا على قتل الرسول وصحبه فاذا فعلوا
ذلك رجعوا الى مكة طافوا بالكعبة وشربوا الخمور فقلب الله عليهم بان قتلوا واسروا ولما
عذبهم بذلك في الدنيا قال ولعذاب الاخرة اكبر **ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم**
افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ام لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون
ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون سلهم ايهم بذلك زعيم ام لهم شركاء فليأتوا
بشركائهم ان كانوا صادقين يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون
خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون فذرني ومن
يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين ام تسألهم
اجرا فهم من مغرم مثقلون ام عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب
الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه
ربه فجعله من الصالحين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر
ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين ش لما ذكر تعالى ما لكفار قريش وشبه
بلاهم ببلاء اصحاب الجنة اخبر بحال اضدادهم وهم المتقون فقال ان للمتقين اي الكفر جنات
النعيم اضافها الى النعيم لان النعيم لا يفارقها اذ ليس فيها الا هو فلا يشوبه كدر كما يشوب
جنات الدنيا وروي انه لما نزلت هذه قالت قريش ان كان ثم جنة فلنا فيها اكبر
الحظ فنزلت افنجعل المسلمين كالمجرمين وقال مقاتل قالوا فضلنا الله عليكم في الدنيا فهو
يفضلنا عليكم في الاخرة وان لا فالمشاركة فاجاب تعالى بقوله افنجعل اي لا يستوي
المطيع والعاصي وهو استفهام فيه توقيف على خطا ما قالوا وتوبيخ ثم التفت اليهم فقال
ما لكم اي اي شيء لكم فيما تزعمونه وهو استفهام انكار عليهم ثم قال كيف تحكمون وهو استفهام
ثالث على سبيل الانكار عليهم استفهم عن هيئة حكمهم ثم اضرب عن هذا اضراب انتقال لشيء
اخر لا ابطال لما قالوا فقال ام لكم بل الكم كتاب اي من عند الله فيه تدرسون اي ما تختارونه
يكون لكم وقرا الجمهور ان لكم بكسر الهمزة فقيل هو استئناف قول على معنى ان كان لكم كتاب
فلكم فيه متخير وقيل ان معمول لتدرسون اي تدرسون في الكتاب انكم لما
تخيرون اي تختارون من النعم وكسرت الهمزة من ان لدخول اللام في الخبر وهي
بمعنى ان بفتح الهمزة وقاله الزمخشري وبدا به قال ويجوز ان يكون حكاية للمدروس

كما هو كقوله وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح انتهى وقرأ طلحة والضحاك أن لكم بفتح
الهمزة واللام في لما زائدة في قراءة من قرأ الا انهم لياكلون بفتح همزة انهم وقرأ
الاعرج آن لكم على الاستفهام ام لكم ايمان اي اقسام علينا بالغة اي متناهية
في التوكيد يقال لفلان علي يمين اذا حلفت له على الوفا بما حلفت عليه والى
يوم القيامة متعلق بما تعلق به الخبر وهو لكم اي ثابتة لكم الى يوم القيامة او ببالغة
اي تبلغ الى ذلك اليوم وتنتهي اليه وقرأ الجمهور بالغة بالرفع على الصفة والحسن
وزيد بن علي بالنصب على الحال من الضمير المستكن في علينا وقال ابن عطية حال من
نكرة لانها مخصصة بعلينا ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا
ام اقسمنا لكم قاله الزمخشري وقرأ الاعرج آن لكم كالتي قبلها على الاستفهام سلهم
ايهم بذلك زعيم اي ضامن بما يقولونه ويدعون صحته وسل تعلقه عن المطلوب
الثاني لما كان السؤال سببا لحصول العلم جاز تعليقه كالعلم والمطلوب الثاني
اصله اي يتعدى بعن او بالبا كما قال يسألونك عن الشهر الحرام وقال

فان تسألوني بالنسا

ولو كان غير اسم استفهام لتعدى اليه بعن او بالبا
كما تقول سل زيدا عمن ينظر كذا ولكنه يعلق سلهم فالجملة في موضع نصب وقرأ
الجمهور ام لهم شركا فليأتوا بشركائهم وعبد الله وابن ابي عبلة شرك فليأتوا بشركهم
وقيل المراد في الآية الاصنام او ناس يشاركونهم في قولهم ويوافقونهم
فيه اي لا احد يقول بقولهم كما انه لا كتاب لهم ولا عهد من الله ولا زعيم بذلك فليأتوا
بشركائهم هذا استدعا وتوقيف في الدنيا اي ليحضروهم حتى يرى هل هم بحال من يضر
وينفع ام لا وقيل في الآخرة على ان يأتوا بهم يوم يكشف عن ساق وعلى هذا القول
الناصب ليوم فليأتوا وقيل اذكر وقيل التقدير يوم يكشف عن ساق كان كيت
وكيت وحذف للتهويل العظيم بما يكون فيه من الحوادث والظاهر قول الجمهور
ان هذا اليوم هو يوم القيامة وقال ابو مسلم هذا اليوم هو في الدنيا
لانه قال ويدعون الى السجود ويوم القيامة ليس فيه تعبد ولا تكليف بل المراد منه
اما آخر ايام الرجل في دنياه لقوله يوم يرون الملائكة لا بشرى ثم يرى الناس يدعون
الى الصلوة اذا حضرت اوقاتها فلا يستطيع الصلوة لانه الوقت الذي لا ينفع

فيه

نفسا ايمانها واما حال المرض والهرم والعجز وقد كانوا قبل ذلك اليوم يدعون
الى السجود وهم سالمون مما بهم الان من الشدة اما الشدة النازلة بهم من هول ما عاينوا
عند الموت واما من العجز والهرم واحتمال الدعا الى السجود ليس على سبيل
التكليف بل على سبيل التقريع والتخجيل وعند ما يدعون الى السجود سلبوا القدرة
عليه وحيل بينهم وبين الاستطاعة حتى تزداد حسرتهم وندامتهم على ما فرطوا فيه حين
دعوا اليه وهم سالموا الاطراف والمفاصل وقرأ الجمهور يكشف بالياء مبنيا للمفعول
وقرأ عبد الله وابن ابي عبلة بفتح الياء مبنيا للفاعل وابن عباس وابن مسعود
ايضا وابن هرمز بالنون وابن عباس ايضا تكشف بفتح التاء مبنيا للفاعل وعنه
ايضا بالتاء مضمومة مبنيا للمفعول وعنه تكشف بالتاء مضمومة وكسر الشين من
اكشف اذا دخل في الكشف ومنه اكشف الرجل انقلبت شفته العليا وكشف
الساق كناية عن شدة الامر وتفاقمه قال مجاهد اول ساعة من يوم
القيامة وهي افظعها وما جاء في الحديث من قوله فيكشف لهم عن ساق محمول ايضا
على الشدة في ذلك اليوم وهو مجاز سائغ مشهور في لسان العرب قال حاتم

اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها ... وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال الراجز

عجبت من نفسي ومن اشفاقها ... ومن طرادي الخيل عن ارزاقها
في سنة قد كشفت عن ساقها ... حمرا تبري اللحم عن عراقها

وقال الراجز

قد شمرت عن ساقها فشدوا ... وجدت الحرب بكم فجدوا

وقال الراجز

صبرا امام انه شر باق ... وقامت الحرب بنا على ساق

وقال الشاعر

كشفت لهم عن ساقها ... وبدا من الشر البواح

ويروى الصراح وقال ابن عباس يوم يكشف عن شدة وقال ابو عبيدة هذه كلمة تستعمل
في الشدة يقال كشف عن ساقه اذا شمر قال ومن هذا تقول العرب سنة

الحرب كشفت عن ساقها ونكر ساق للدلالة على انه امر مبهم في الشدة منكر خارج عن
المألوف كقولهم يوم يدع الداع الى شيء نكر وكانه قيل يوم يقع امر فظيع هائل ويدعون
الى السجود فلا يستطيعون ظاهره انهم يدعون ويعلم ان ذلك على سبيل التوبيخ
لا على سبيل التكليف وقيل الداعي ما يرونه من سجود المؤمنين فيريدون هم السجود فلا
يستطيعون كما ورد في الحديث الذي طال وفيه فيقول الله تعالى انهم يقولون انت ربنا
ويخرون للسجود فيسجد كل مؤمن وتصير اصلاب المنافقين والكفار كصياصي البقر
عظما واحدا فلا يستطيعون سجودا انتهى ونفي الاستطاعة للسجود في الاخرة لا يدل
على ان لهم استطاعة في الدنيا كما ذهب اليه الجبائي وخاشعة حال وذو الحال الضمير
في يدعون وخص الابصار بالخشوع وان كانت الجوارح كلها خاشعة لانه يتبين
منه في كل جارحة ترهقهم تغشاهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود فيما هو مبان
عن جميع الطاعات وخص بالذكر من حيث هو اعظم الطاعات ومن حيث امتحنوا به
في الاخرة وقال النخعي والشعبي اراد بالسجود الصلوات المكتوبة وقال ابن جبير كانوا
يسمعون حي على الصلاح وحي على الفلاح فلا يجيبون فذرني ومن يكذب بهذا الحديث
المعنى خل بيني وبينه فاني ساجازيه وليس ثم مانع منه وهذا وعيد شديد لمن يكذب
بما جاء به الرسول من امر الاخرة وغيره وكان تعالى قد قدم اشياء من حال السعداء
والاشقياء ومن في موضع نصب اما عطفا على الضمير في ذرني واما على انه مفعول
معه سنستدرجهم الى متين تكلم عليه في الاعراف ام تسألهم اجرا الى يكتبون
تكلم عليه في الطور وروي انه عليه السلام اراد ان يدعو على الذين انهزموا باحد
حين اشتد بالمسلمين الامر وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف فنزلت فاصبر لحكم
ربك وهو امهالهم وتاخير نصرك عليهم وامتحانك بما امرت به من التبليغ واحتمال الاذى
ولا تكن كصاحب الحوت هو يونس عليه السلام اذ نادى اي في بطن الحوت وهو قوله
ان لا اله الا انت سبحانك وليس النهي متعلقا على الذوات انما المعنى لا يكن حالك
مثل حاله اذ نادى فالعامل في اذ هو المحذوف المضاف اي كحال او كقصة صاحب
الحوت اذ نادى وهو مكظوم مملوء غيظا على قومه اذ لم يؤمنوا لما دعاهم الى الايمان
واحوجوه الى استعجال مفارقته اياهم وقال ذو الرمة

وانت

وانت من حب مي مضمر حزنا عاني الفؤاد قريح القلب مكظوم

وقد تقدمت مادة الكظم في قوله والكاظمين الغيظ وقرا الجمهور تداركه ماضيا ولم يلحق علامة
التانيث لمجاز التانيث وللحسن الفصل وقرأ ابي وعبد الله وابن عباس تداركته بتاء
التانيث وابن هرمز والحسن والاعمش بشد الدال قال ابو حاتم ولا يجوز ذلك والا
في ذلك تتداركه لانه مستقبل انتصب بان الخفيفة قبله وقال بعض المتأخرين هذا
يخرج على حكاية الحال الماضية المقتضية اي لولا ان كان يقال فيه تتداركه ومعناه
لولا هذه الحال الموجودة كانت له من نعمة الله لنبذ بالعراء كقوله تعالى فوجد
فيها رجلين يقتتلان وجواب لولا قوله لنبذ بالعراء وهو مذموم اي لكنه نبذ به وهو
غير مذموم كما قال فنبذناه بالعراء والمعتمد فيه على الحال لا على النبذ مطلقا لانه قد نبذ
الحال الحالة فيما لو نبذ بالعراء انما هو مذموما ويدل عليه فلولا انه كان من المسبحين
للبث في بطنه الى يوم يبعثون ثم ذكر تعالى انه اجتباه اي اصطفاه وجعله من الصالحين
اي الانبياء وعن ابن عباس رد الله اليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه ولما امره
تعالى بالصبر قال وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك اي ليزلقون قدمك ويرمونك بنظرهم
الحاد الدال على العداوة المفرطة او ليهلكونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني
ويكاد ياكلني اي لو امكنه بنظره الصرع والاكل لفعله وقال الشاعر

يتقارضون اذا التقوا في موطن نظرا يزل مواطئ الاقدام

وقال الكلبي ليزلقونك ليصرعونك وقرا الجمهور ليزلقونك بضم الياء من
ازلق ونافع بفتحها من زلقت الرجل عدي بالفتحة من زلق الرجل بالكسر كحزن وشترت
عينه بالكسر وشترها الله بالفتح وقرا عبد الله وابن عباس والاعمش وعيسى ليزهقونك
بالهاء بدل اللام وقيل معنى ليزلقونك بابصارهم لياخذونك بالعين وذكر ان العين
بالعين كانت في بني اسد قال ابن الكلبي كان رجل من العرب يمكث يومين او ثلاثة
لا ياكل ثم يرفع جانب خبائه فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فما
تذهب الا قريبا حتى يسقط طائفة او عدة فقال الكفار لهذا الرجل ان يصيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابهم وانشد

قد كان قومك يحسبونك سيدا واخال انك سيد معيون

اي يصيبونك بالعين فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وانزل عليه هذه الآية قال
وقال نزلت لدفع العين حين ارادوا ان يصيبوه به عليه السلام وقال الحسن دواء
من اصابته العين ان يقرأ هذه الآية وقال المفسرون الاصابة بالعين انما تكون
مع الاستحسان لا مع الكراهة والبغض قال ويقولون انه لمجنون وقال القرطبي
ولا يمنع كراهة الشيء من ان يصاب بالعين عداوة حتى يهلكه وقد تكون
في المعين وان يكون مبغضا عند العائن صفة يستحسنها العائن فيعينه من
من حيث تلك الصفة لا من حيث يكون منه صفات كما قال ولما سمعوا الذكر على قول
من يقول لما ظرف يكون العامل فيه ليزلقونك وان كان حرف وجوب لوجوب
وهو الصحيح كان الجواب محذوفا لدلالة ما قبله عليه اي لما سمعوا الذكر
كادوا يزلقونك والذكر القرآن ويقولون انه لمجنون حسدا منهم وقد علموا
انه عليه السلام اتمهم فضلا وارجحهم عقلا وما هو الا القرآن الا ذكر موعظة
وعبرة للعالمين اي للجن والانس فكيف ينسبون الى الجن من جاء به الحسوم
قال الفراء التباع من حسم الداء اي تابع بالمكواة عليه قال الشاعر

ففرق بين بينهم زمان تتابع فيه اعوام حسوم

وقال المبرد حسمت الشيء فصلته عن غيره ومنه الحسام قال

فارسلت ريحا دبورا عقيما فدارت عليهم وكانت حسوما

وقال الليث الحسوم الشؤم يقال هذه ليالي الحسوم اي تحسم الخير عن اهلها وقال في
الصحاح صرعى هلكى الواحد صريع ونفى الشيء صعف وندى كله
السقوط وقال ابن سحق من قولهم وهى السقاء اذا انخرق ومن امثالهم قول الراجز

خل سبيل من وهى سقاؤه ومن هريق بالفلاة ماؤه

الارجاء الجوانب واحدها رجا اي جانب من حائط او بئر وكذلك وهو من ذوات الواو
وكذلك وردت في التثنية قال الشاعر

كأن لم ترى قبلي اسيرا مقيدا ولا رجلا يرمى به الرجوان

وقال الآخر

فلا يرمى بي في الرجوان اني اقل القوم من يغني مكاني

ها بمعنى خذ وفيها لغات ذكرناها في شرح التسهيل وقال الكسائي وابن السكيت العرب
تقول هاء يا رجل وللاثنين رجلين او امرأتين هاؤما وللرجال هاؤم وللمرأة هاء
بمعنى مكسورة من غير ياء وللنساء هاؤن فعل ومعنى هاؤم خذوا ومنه الخبر في الربا
الا هاء وهاء اي يقول كل واحد لصاحبه خذ وقيل تعالوا وزعم القتيبي
ان الهمزة بدل من الكاف وهذا ضعيف الا ان كان عنى انها تحل محلها في لغة من قال
هاك وهاكِ وهاكما وهاكم وهاكن فيمكن الا انه بدل صناعي لان الكاف لا تبدل من الهمزة
ولا الهمزة منها وقيل هاؤم كلمة وضعت لاجابة الداعي عند الفرح والنشاط وفي
الحديث انه عليه السلام ناداه اعرابي بصوت عالٍ فجاوبه عليه السلام هاؤم بطولة
صوته وزعم قوم انها مركبة في الاصل وان اصلها اموا هولاء فخففت بالاستعمال
وزعم قوم ان هذه الميم ضمير جماعة المذكر القطوف جمع قطف وهو ما يجتنى
من الثمر ويقطف السلسلة معروفة وهي حلق منتظم بعضها في بعض الطول الذراع
مؤنث وهو معروف قال

ارمي عليها وهي فرع اجمع وهي ثلاث اذرع واصبع

حض على الشيء حمله على فعله سويد العسلي قال اللغويون ما يجري من الجراح
اذا غسلت الوتين عرق يعلق به القلب اذا انقطع مات صاحبه وقال الكلبي
عرق بين العلباء والحلقوم والعلباء عصب العنق وهما علباوان بينهما العرق وقيل
عرق غليظ تصادفه شفرة الناحر ومنه قول الشماخ

اذا بلغتني وحملت رحلي عرابة فاشرقي بدم الوتين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود فاهلكوا
بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما
فترى القوم فيها صرعى كأنهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية وجاء فرعون ومن
قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية انا لما طغى الماء حملناكم
في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض
والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية

والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية
هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر شأن احوال السعداء والاشقياء
وقال ذرني ومن يكذب بهذا الحديث ذكر هنا شأن الحاقة وما اعده الله تعالى فيها
لاهل السعادة واهل الشقاوة وادرج فيها شأن احوال الذين كذبوا الرسل
كعاد وثمود وفرعون ليزدجر بذكرهم وما جرى عليهم الكفار الذين عاصروا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكانت [illegible] لما كان عاد وثمود وفرعون [illegible] عليهم لذلك
الحاقة المراد بها القيامة والبعث قاله ابن عباس وغيره لانها حقت لكل عامل
عمله وقال ابن مسعود وابن عباس وغيره لانها تبدي حقائق الاشياء وقيل سميت بذلك
لان الامر يحق فيها فهي من باب ليل نائم والحاقة اسم فاعل من حق الشيء اذا ثبت ولم
يشك في صحته وقال الازهري حاققته فحققته احققه اي غالبته فغلبته فالقيامة
حاقة لانها تحق كل محاق في دين الله بالباطل اي كل مخاصم فتغلبه وقيل الحاقة
مصدر كالعاقبة والعافية والحاقة مبتدأ وما مبتدأ ثان والحاقة خبره والجملة
خبر عن الحاقة والرابط تكرار المبتدأ بلفظه نحو زيد ما زيد وما استفهام لا يراد
به حقيقته بل التعظيم واكثر ما يربط بتكرار المبتدأ اذا اريد معنى التعظيم والتهويل
وما ادراك ما الحاقة مبالغة في التهويل والمعنى ان فيها ما لم يدر ولم يحط به وصف
من امورها الشاقة وتفصيل اوصافها وما استفهام ايضا مبتدأ وادراك الخبر والعائد
على ما ضمير الرفع في ادراك وما مبتدأ والحاقة خبره والجملة في موضع نصب بادراك
وادراك معلقة واصل دري ان يعدى بالباء وقد يحذف على قلة فاذا دخلت همزة
النقل تعدى الى واحد بنفسه والى الاخر بحرف الجر فقوله ما الحاقة بعد ادراك في موضع
نصب بعد اسقاط حرف الجر والقارعة من اسماء القيامة لانها تقرع القلوب بهولها
وقال الزمخشري تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق
والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار
ووضعت موضع الضمير ليدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها ولما
ذكرها وفخم امرها ذكر ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب
تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم اهـ وقرأ الجمهور فاهلكوا بالطاغية

مبنيا

مبنيا للمفعول وزيد بن علي فهلكوا مبنيا للفاعل على لغة من قال بالطاغية بالصيحة التي خرجت
عن حد كل صيحة وقال مجاهد وابن زيد بسبب الفعلة الطاغية التي فعلوها وقال
ابن عباس وابن زيد ايضا وابو عبيدة ما معناه الطاغية مصدر كالعاقبة
وكأنه قال بطغيانهم ويدل عليه كذبت ثمود بطغواها وقيل الطاغية عاقر الناقة
والهاء فيه للمبالغة كرجل راوية واهلكوا كلهم لرضاهم بفعله وقيل بسبب الفئة الطاغية
واختار الطبري وغيره ان الطاغية هي الصيحة ويرجح ذلك مقابلته بسبب واختار
الطبري وغيره ان الطاغية هي الصيحة ويرجح ذلك مقابلته سبب الهلاك في ثمود بسبب
الهلاك في عاد وهو قوله بريح صرصر والعدم المقابلة صرصر شديدة الصوت عاتية عتت
على خزانها فخرجت بغير مقدار او على عاد فما قدروا ان يستتروا منها او لا صعب
[illegible] لشدة عصفها والتسخير هو استعمال الشيء باقتدار عليه يعني سخرها
عليهم اي اقامها وادامها سبع ليال بدت عليهم صبح الاربعاء لثمان بقين من شوال الى
اخر الاربعاء تمام الشهر حسوما قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وابو عبيدة [illegible]
لم [illegible] متتابعة وقال الخليل شؤما ونحسا وقال ابن زيد حسوما جمع حاسم اي تلك
الايام قطعتهم بالاهلاك ومنه حسم العلة والحسام وقال الزمخشري وانتصابه مصدرا
[illegible] فعل مضمر اي تحسم حسوما بمعنى استئصالا او [illegible]
صفة كقولك ذات حسوم او يكون مفعولا له اي سخرها عليهم للاستئصال [illegible]
السدي حسوما بالفتح حالا من الريح اي سخرها عليهم مستأصلة وقيل هي ايام العجوز
وهي اخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر والامر والمؤتمر والمعلل ومطفئ
الجمر وقيل مكفئ الظعن فترى القوم فيها اي في الليالي والايام او في ديارهم او في مهاب الريح
احتمالات اظهرها الاول لانه اقرب مذكور وصرعى [illegible] وقرأ ابو نهيك [illegible] وزن افعل
واصبع وحكى الاخفش انه يذكر ويؤنث [illegible]
[illegible] كانت تدخل من افواههم فتخرج ما في اجوافهم من الحشو من ادبارهم فصاروا كالنخل
الخاوية وقال يحيى بن سلام [illegible] ابن جريج كانوا في سبعة ايام الا
[illegible] عذاب ثم في الثامن ماتوا والقتهم الريح في البحر فذلك قوله فهل ترى لهم من باقية وقال
ابن الانباري من باقية والهاء للمبالغة وقال ايضا من فئة باقية وقال ابن الانباري

وقيل من باقيه من بقا مصدر جا على فاعله كالعاقبه وقرا ابو رجا وطلحه والجحدري
والحسن بخلاف عنه وعاصم في روايه ابان والنحوي وابان ومن قبله بكسر
القاف وفتح البا اي اجناده واهل طاعته وتقول زيد قبلك اي فيما يليك من المكا
ن وكثر استعماله فيما حتى صار بمنزله عندك وفي جهتك وما يليك باي وجه وقرا باقي
السبعه وابو جعفر وشيبه والسلمي ومن قبله ظرف زمان اي الامم الكافره التي
كانت قبله كقوم نوح وقرا [illegible] بعد بعدا والموتفكات قرى
قوم لوط وقرا الحسن والموتفكه على الافراد بالخاطيه اي بالفعله او الفعلات
قاله مجاهد الخاطيه او بالخطا فيكون مصدرا جا على فاعله كالعاقبه قاله الجرجاني
فعصوا رسول ربهم رسول الجنس وهو من جاهم من عند الله كموسى ولوط عليهما
السلام وقيل لوط عليه السلام اعاده على اقرب مذكور وقيل رسول
الموتفكات وقال الكلبي موسى عليه السلام اعاده على الاسبق فهو رسول بمعنى رساله
رابيه اي ناميه قال مجاهد شديده ربت اي زادت على عذاب الامم من الاحداث
وفي الغرق وقلب المداين انا لما طغى الما اي ارتفع وعلا على اعلى جبل في الدنيا
خمسه عشر ذراعا قال ابن جبير طغا من الخزان كما طغت الريح على خزانها حملناكم
اي اصلاب ابايكم او حملنا اباكم في الجاريه هي سفينه نوح عليه السلام وكثر
استعمال الجاريه في السفينه ومنه قوله تعالى ومن اياته الجوار كالاعلام وقال

يسعون جاريه في بطن جاريه

وقال المهدوي المعنى في السفن الجاريه يعني ان ذلك على سبيل الامتنان والمحمولون هم
الذين نجوا لنجعلها لكم اي سفينه نوح لكم تذكره وما جرى لقومه الهالكين وقومه
الناجين عبره وعظه قال قتاده ادركها اوايل هذه الامه وقال ابن جريج كانت الواحها
على الجودي وقيل لنجعل الله الجمله في سفينه نوح لكم عظه تذكرون بها نجاه
ابايكم واغراق مكذبي نوح عليه السلام وتعيها اي تحفظ قصتها اذن من شانها
ان تعي المواعظ وتعتبر بها يقال وعيت لما حفظ في النفس واوعيت لما حفظ في غير
النفس من الاوعيه وقال قتاده الواعيه التي عقلت عن الله وانتفعت بما سمعت من كتاب
الله وفي الحديث انه عليه السلام قال لعلي اني دعوت الله تعالى ان يجعلها اذنك يا علي

قال علي فما سمعت بعد ذلك شيئا فنسيته وقرا الجمهور وتعيها بكسر العين وابن مصرف
وابو عمرو في روايه هرون عنه وخارجه وقنبل بخلاف عنه باسكانها وجه باخفا
الحركه ووجه الاسكان التشبيه في الفعل بما كان على وزن فعل في الاسم والفعل نحو كبد
وعلم وتعي وتشبه كلمه على وزن فعل لانه مضارع وعي فصار الى فعل بحذف واوه وروي
عن عاصم وعن حمزه الازرق وتعيها بتشديد اليا قيل وهو خطا وينبغي ان يتاول
على انه اريد به شده بيان اليا احترازا ممن سكنها لا انه احرف في حرف وينبغي ان يحمل
ذلك من باب التضعيف في الوقف ثم اجري الوصل مجرى الوقف وان كان قد ذهب الى
ذلك بعضهم وروي عن حمزه وعن موسى بن عبد الله العبسي وتعيها باسكان اليا فاحتمل
الاستيناف وهو الظاهر واحتمل ان يكون مثل قراه من اوسط ما تطعمون اهاليكم
بتسكين اليا وقال الزمخشري فان قلت لم قيل اذن واعيه على التوحيد والتنكير قلت
للايذان بان الوعاه فيهم قله ولتوبيخ الناس بقله من يعي منهم وللدلاله على ان الاذن
الواحده اذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الاعظم عند الله وان ما سواها لا يبالي
بهم باله وان ملوا ما بين الخافقين انتهى ولما ذكر تعالى ما فعل بمكذبي الرسل
من العذاب في الدنيا ذكر امر الاخره وما يعرض فيها لاهل السعاده واهل الشقاوه وبدا
باحوال يوم القيامه فقال فاذا نفخ في الصور نفخه واحده وهذه النفخه
هي نفخه الفزع قال ابن عباس وهي النفخه الاولى التي يحصل عنها خراب العالم ويتوجه ذلك
قوله وحملت الارض والجبال وقال ابن المسيب ومقاتل هي النفخه الاخيره ويحمل هذا
لا يكون الدك بعد النفخ والواو لا ترتب وروي ذلك عن ابن عباس ايضا ولما كانت
النفخه مره اكدت بقوله واحده وقرا الجمهور نفخه واحده برفعهما ولم يلحق التا الفعل لان
تانيث النفخه مجازي ووقع الفصل وقال ابن عطيه لما نعت صح رفعه انتهى ولو لم ينعت
لصح لان نفخه مصدر محدود لا نعته ليس بنعت تخصيص انما هو نعت توكيد وقرا
ابو السمال بنصبهما اقام الجار والمجرور مقام الفاعل وقرا الجمهور وحملت بتخفيف الميم
وابن ابي عبله وابن مقسم والاعمش وابن عامر في روايه يحيى بتشديدها فالتخفيف
على ان تكون الارض والجبال حملتها الريح العاصف او الملايكه او القدره من غير واسطه
مخلوق ويبعد قول من قال انها الزلزله لان الزلزله ليس فيها حمل انما هي اضطراب

والسير عليها يكون للتكثير او يكون التضعيف للنقل مجازا ان يكون الارض والجبال
المفعول الاول اقيم مقام الفاعل والثاني محذوف اي دكتا بعضها او ملكه او بريح
ودكا ان يكون الثاني اقيم مقام الفاعل والاول محذوف وهو واحد من التثنية
المفرد وفي الحضرة قد تقدم وان كان قد تقدم ما يعود عليه ضمير الجمع لان المراد
جملة الارض وجملة الجبال اي ضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كما قال تعالى
كثيبا مهيلا والدك فيه تفرق الاجزاء كقوله هباء منبثا والدق فيه اختلاط
الاجزاء وقد يسقط فيصير ارضا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وقيل فدكتا لم يصير اذكل
وناقة دكا اذا ضعفا فلم يرتفع لها سنامها واستوت حرفتها مع ظهرها فيومئذ
معطوف على فاذا نفخ في الصور وهو منصوب بوقعت كما اذا منصوب بنفخ
على ما اخترناه وقررناه واستدللنا له في ان العامل في اذا هو الفعل الذي يليها
لا الجواب وان كان مخالفا للقول الجمهور والتنوين فيه للعوض عن الجملة المحذوفة
وهي النفخ مفهوم اذ نفخ في الصور وحملت كذا وقعت الواقعة قامت القيامة
وقد تقدم في اذا وقعت الواقعة ان بعضهم قال هي صخرة بيت المقدس وانشقت
السماء اي تفطرت وتميز بعضها من بعض فهي يومئذ واهية ضعيفة
لتشققها بعد ان كانت شديدة الاسر ام السماء او محرقة كما قال وفتحت
السماء فكانت ابوابا وقيل النزول الملائكة وقال ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل
الملائكة تنزيلا وقيل انشقاقها لهول يوم القيامة والملك على ارجائها قال ابن عباس
على حافاتها حين تنشق والظاهر ان الضمير في ارجائها عائد على السماء وقال ابن جبير
والضحاك على حافات الارض ينزلون اليها يحفظون اطرافها وان لم يجر لها ذكر
قريب كما روي ان الله يأمر ملائكة السماء الدنيا فيقفون صفا على حافات الارض
ثم ملائكة الثانية فيصفون حولهم ثم ملائكة كل سماء فكلما ند احد من الجن والانس
وجد الارض قد احيط بها والملك اسم جنس يراد به الملائكة وقال الزمخشري فان قلت
ما الفرق بين قوله والملك وبين ان يقال والملائكة قلت ——— الملك اعم من
الملائكة الا ترى ان المفرد المحلى بالالف واللام الجنسية قصاراه ان يراد به الجمع المحلى
بهما ولذلك صح الاستثناء منه فقصاراه ان يكون كالجمع المحلى بهما واما دعواه انه اعم

منه

منه فبعيد الا ترى ان قولك ما من ملك يدل على دعواه بان في ملك يكفي معرد شيئا في الذي
قد دخلت عليها من الجملة لاستغراق فصار كل ملك واندرج تحتها الجمع لوجود
المفرد فيه فاستغرق كل فرد فرد بخلاف من ملائكة فانها دخلت على جمع منكر فعم كل جمع من الملائكة
ولا يلزم من ذلك استغراق كل فرد فرد من الملائكة لو قلت ما في الدار من رجال جاز ان يكون
فيها واحد لان النفي انما انسحب على جمع ولا يلزم في انتفاء الجمع ان ينتفي المفرد والملك لا يدله
ليس في سياق نفي دخلت عليه من فيكون اعم من جمع دخلت عليه وانما جيء به مفردا لانه
اخف ولان قوله على ارجائها يدل على الجمع لان الواحد بما هو واحد لا يمكن ان يكون على
ارجائها لانه ملك واحد يحل في وقت واحد في اوقات والمراد والله اعلم ان الملائكة
على ارجائها لا انه ملك واحد يحل على ارجائها في اوقات وقال الزمخشري يعني انها
تنشق وهي مسكن الملائكة فينضوون الى اطرافها وما حولها من حافاتها انتهى والظاهر
ان فوقهم عائد على الملائكة الحاملين على المعنى اذ يراد به الجنس وقال الزمخشري وقيل
يعود على الملائكة الحاملين فوق رؤوسهم وقيل على العالم كلهم والظاهر ان الثمانية محذوف
في قوله ثمانية املاك انه اشخاص من الملائكة وعن الضحاك ثمانية صفوف وعن الحسن
الله اعلم كم هم اثمانية صفوف ام ثمانية اشخاص وذكروا في صفات هؤلاء الثمانية اشكالا
متكاذبة ضربنا عن ذكرها صفحا يومئذ اي يوم اذ كان ما ذكر تعرضون اي للحساب
وتعرضون هو جواب قوله فاذا نفخ فان كان النفخ هي الاولى فجاز ذلك لانه اتسع
اليوم فجعل ظرفا للنفخ ووقوع الواقعة وجميع الكائنات بعدها وان كانت النفخة
هي الثانية فلا يحتاج الى اتساع لان قوله يومئذ معطوف على فاذا ويومئذ تعرضون
بدل من فيومئذ وما بعدها من الظروف واوقع في يوم القيامة الخطاب في تعرضون
لجميع العالم المحاسبين وعن عبد الله وابي موسى في القيامة عرضتان فيهما معاذير
وخصومات والثالثة تتطاير فيها الصحف للايمان والشمائل وقرأ الجمهور لا تخفى
بتاء التأنيث وعلي وابن وثاب وطلحة والاعمش وحمزة والكسائي وابن مقسم عن
عاصم وابان بعده بالياء خافية سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا فاما من
اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه فهو
في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام

نوقف
تكه

في الأيام الخالية. وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما
حسابيه يا ليتها كانت القاضية ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه خذوه فغلوه
ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه إنه كان لا يؤمن بالله
العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم هاهنا حميم ولا طعام إلا من غسلين
لا يأكله إلا الخاطئون. أما حرف تفصيل فصل بها ما وقع في يوم العرض وظاهر
أن من تحتم عليه دخول النار من الموحدين أنه في يوم العرض يأخذ كتابه بشماله مع
المأخوذين إلى النار ويكون ذلك بأنه من العذاب وقيل لا يأخذه حتى يخرج من النار
وإما أنه أيس من العذاب فيقرأ هذا أظهر لأن من يسار به إلى النار كيف يقول
هاؤم اقرؤوا كتابيه وهل هذا إلا استبشار وسرور فلا يناسب دخول النار
وهاؤم إن كان مدلولها خذ فتسلطه على كتابيه بغير واسطة وإن كان مدلولها
تعالوا فهي متعدية إليه بواسطة إلى وكتابيه يطلبه هاؤم واقرؤوا والبصريون
يعملون اقرؤوا والكوفيون يعملون هاؤم وفي ذلك دليل على جواز التنازع بين اسم
الفعل والفعل وقرأ الجمهور كتابيه وحسابيه في موضعيهما وماليه وسلطانيه وفي
القارعة ماهيه بإثبات هاء السكت وقفا ووصلا لمراعاة خط المصحف وقرأ ابن
محيصن بحذفها وصلا ووقفا وإسكان الياء في ذلك كتابي وحسابي ومالي وسلطاني
ولم يسقط ذلك فيما وقفت عليه في ماهيه في القارعة وابن أبي إسحاق والأعمش بطرح الهاء
فيهما في الوصل لا في الوقف وطرحها حمزة في ماليه وسلطانيه وماهيه في الوصل لا في
الوقف وفتح الياء فيهن وما قاله الزهراوي من أن إثبات الهاء في الوصل لحن لا يجوز
عند أحد علمته ليس كما قال بل ذلك منقول نقل التواتر فوجب قبوله. إني ظننت
أي أيقنت ولو كان ظنا فيه تجويز لكان كفرا. فهو في عيشة راضية أي
ذات رضى وقال أبو عبيدة والفراء راضية مرضية كقوله من ماء دافق أي مدفوق
في جنة عالية أي مكانا وقدرا. قطوفها أي ما يجتنى منها دانية قريبة التناول يدركها
القائم والقاعد والمضطجع بفيه من شجرها. كلوا واشربوا أي يقال لهم هنيئا تقدم
الكلام عليه في أول النساء وقال الزمخشري هنيئا هنيئا أكلا وشربا هنيئا أو هنئتم هنيئا
على المصدر انتهى فقوله أكلا وشربا هنيئا يظهر منه أنه جعل هنيئا صفة للمصدر

ولا يجوز ذلك إلا على مذهب الأخفش عند من يجيز ذلك أي أكلا هنيئا وشربا هنيئا فيظهر
منه أنه جعل هنيئا صفة للمصدر ولا يجوز ذلك إلا على مذهب الأخفش عند من يجيز ذلك أي
أكلا هنيئا وشربا هنيئا بما أسلفتم أي قدمتم من العمل الصالح في الأيام الخالية يعني أيام الدنيا وقال
مجاهد وابن جبير ووكيع وعبد العزيز بن رفيع أيام الصوم أي بدل ما أمسكتم عن الأكل والشرب
لوجه الله والظاهر العموم في قوله بما أسلفتم أي من الأعمال الصالحة. يا ليتني لم أوت كتابيه
لما رأى فيه قبائح أفعاله وما يصير أمره إليه تمنى أنه لم يعطه وتمنى أنه لم يدر حسابه
فإنه انجلى عنه حسابه عن ما يسوءه فيه إذ كان عليه لا له. يا ليتها أي الموتة التي متها في الدنيا
كانت القاضية لأمري فلم أبعث ولم أعذب أو يا ليت الحالة التي انتهيت إليها الآن
كانت الموتة التي متها في الدنيا حيث رأى أن الحالة التي صار إليها أمر مما ذاقه من الموتة
وكثيرا ما أمل إلى العذاب لا يستطيع. ما أغنى عني ماليه يجوز أن يكون نفيا محضا أخبر
بذلك متأسفا على ماله حيث لم ينفعه ويجوز أن يكون استفهاما وبخ به نفسه وقررها عليه.
هلك عني سلطانيه أي حجتي قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وعكرمة والسدي وقال ابن
زيد يعني بذلك ملوك الدنيا وكان عضد الدولة بن بويه لما تسمى بملك الأملاك غلاب
القدر لم يفلح وجن فكان لا ينطلق لسانه إلا بقوله هلك عني سلطانيه. خذوه
أي يقال للزبانية خذوه فغلوه أي اجعلوا في عنقه غلا ثم الجحيم صلوه قال الزمخشري ثم لا
تصلوه إلا الجحيم وهي النار العظمى لأنه كان سلطانا يتعظم على الناس يقال صلي النار
وصليه النار انتهى وإنما قدر لا تصلوه إلا إشارة إلى أنه يزعم أن تقديم المعمول يدل على الحصر
وقد تكلمنا معه في ذلك في إياك نعبد وليس ما قاله مذهبا لسيبويه ولا لحذاق النحاة. وأما قوله
لأنه كان سلطانا يتعظم على الناس فهذا قول ابن زيد وهو مرجوح والراجح قول ابن
عباس ومن ذكر معه أن السلطان هنا هو الحجة التي كان يحتج بها في الدنيا لأن من
أوتي كتابه بشماله ليس مختصا بالملوك بل هو عام في جميع أهل الشقاوة. ثم في سلسلة
ذرعها أي قياسها ومقدار طولها سبعون ذراعا يجوز أن يراد ظاهره من العدد ويجوز
أن يراد المبالغة في طولها وإن لم يبلغ هذا العدد قال ابن عباس وابن جريج ومحمد بن المنكدر
بذراع الملك وقال نوف البكالي وغيره الذراع سبعون باعا في كل باع كما بين مكة
والكوفة وهذا يحتاج إلى نقل صحيح وقال الحسن الله أعلم بأي ذراع هو وقيل بالذراع المعروفة

وانما خاطبنا تعالى بما نعرفه ونحصله وقال ابن عباس لو وضع منها حلقة على جبل لذاب كالرصاص
فاسلكوه اى ادخلوه كقوله فسلكه ينابيع في الارض والظاهر انه يدخل في السلسلة ولطولها
تلتوي عليه من جميع جهاته فيبقى داخلا فيها مضغوطا حتى تعمه وشرح الكشاف وقلب السلسلة
يدخل عنقه فيها ويخرج من دبره فمعنى الحقيقة التي يسلك فيه والآخرون يدعوا الى اخراج الكلام
عن ظاهره الا ان دل الدليل الصحيح على خلافه قال الزمخشري والمعنى في تقديم السلسلة على
السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية اى لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كأنها افظع من سائر
مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها
وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة انتهى وتقدم ان من مذهبه الحصر في تقديم المعمول
واما ثم فيمكن بقاؤها على موضوعها من المهلة وانه اولا يؤخذ فيغل ثم بعد ذلك بالعجلة
صارت له اسرا ثم جاء بتصلية الجحيم فكان ذلك ابلغ في عذابه انجاء ذلك وقد سلب
نفسه ثم سلكه بعد ذلك بعد كونه مغلولا معذبا في النار لكنه كان له انتقال
من مكان الى مكان فيجد بذلك بعض تنفس فلما سلك في السلسلة كان ذلك اشد ما
عليه من العذاب حيث صار لا حراك له ولا انتقال وانه مضيق عليه بما يه فهذا يصح فيه
ان تكون ثم على موضوعها من المهلة الزمانية انه كان لا يؤمن بالله باقوى اسباب تعذيبه
وهو كفره بالله وانه يعلل مستشعا نفسه فقال لم يعذب هذا العذاب البليغ
تعليلا انه كان لا يؤمن بالله ولا يحض على طعام المسكين اطلح العلة وذلك يدل على
عظم ذنب من لا يحض على طعام المسكين اذ جعل قرينا للكفر وهذا حكم ترك الحض فكيف
يكون ترك الاطعام والتقدير على اطعام طعام المسكين واضاف الطعام الى المسكين من
حيث له نسبة اليه اذ يستحق المسكين حقه في مال الغني الموسر ولو بادنى يسار وفي العرب
في مكارمهم واثارهم اثار عرفته كما لا يوجد في غيرهم وما احسن ما قال القائل فيهم

٤٠ على مكثريهم رزق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل ح

وكان ابو الدرداء يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة
بالايمان افلا نخلع نصفها ... هو منع الكفار وقولهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه
يعني انه اذا نفي الحض انتفى الاطعام بجهة الاولى كما صرح به في قوله قالوا لم نك من المصلين
ولم نك نطعم المسكين فليس له اليوم هاهنا حميم اى صديق يحميه ... واذا الاخلاء يومئذ

بعضهم

بعضهم لبعض عدو وليس ثم قريب ينتفع به ولا طعام الا من غسلين قال ابن عباس هو صديد اهل
النار وقيل غيره قال ابن زيد هو والزقوم هو اخبث شيء واشنعه وقال الضحاك والربيع هو
شجر يأكله اهل النار وقيل هو شيء يجري من ضريع اهل النار يدل على هذا قوله في الغاشية ليس
لهم طعام الا من ضريع فهما شيء واحد او متداخلان ويجوز ان يكونا متباينين واخبر بكل
واحد منهما عن طائفة غير الطائفة التي الاخرى طعامها وله خبر ليس وقال المهدوي ولا يصح
ان يكون هاهنا ولم يبين المانع من ذلك وتبعه القرطبي في ذلك وقال لان المعنى يصير ليس هاهنا هنا
طعام الا من غسلين ولا يصح ذلك لان ثم طعاما غيره وهاهنا متعلق بما في له من معنى الفعل
انتهى واذا كان ثم غيره من الطعام وكان الاكل منه اكلا صح الحصر بالنسبة الى
اختلاف الآكلين واما ان كان الضريع هو الغسلين كما قال بعضهم فلا تنافي في الحصر
في الاستثناء ... شيء واحد ويجوز ان يكون له الخبر ويتعلق اليوم وهاهنا بما في له من معنى
الفعل ويجوز ان يكون هاهنا الخبر وله واليوم يتعلقان بما يتعلق به الخبر وهو العامل
في هاهنا وهو العامل عامل معنوي ويجوز ان يتعلق بمحذوف يدل عليه في نحو هذا كما لو كان العامل
لفظيا كقوله ولم يكن له كفوا احد فله متعلق بكفوا وهو خبر يكن وقرأ الجمهور الخاطئون
بالهمز اسم فاعل من خطئ وهو الذي يفعل ضد الصواب متعمدا لذلك والمخطئ الذي يفعله
عن غير تعمد وقرأ الحسن والزهري والعتكي وطلحة في رواية الخاطيون بالياء من الهمز وقرأ
ابو جعفر وشيبة وطلحة ونافع بخلاف عنه بضم الطاء دون همز فالظاهر اسم فاعل من خطى
لقراءة من همز وقال الزمخشري ويجوز ان يراد الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون
حدود الله انتهى فيكون اسم فاعل من خطا يخطو كقوله لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن
يتبع خطوات الشيطان تخطى الى المعاصي **فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون**
انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون
تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين
فما منكم من احد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه لحسرة على
الكافرين وانه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم تقدم الكلام في لا قبل القسم في قوله فلا اقسم
بمواقع النجوم وقرأ الحسن لاقسم بجعلها لاما دخلت على اقسم ... ولا ينبغي القسم انه لا
يحتاج الى هذا القسم لوضوح الحق في ذلك وعلى هذا فجوابه جواب القسم قال ... شيئ

ذلك قال الوليد قال ان محمدا ساحر وقال ابو جهل شاعر وقال عقبة كاهن فرد
الله عليهم بقوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون قال قتادة عام في جميع مخلوقاته وقال
عطا بما تبصرون من آثار القدرة وما لا تبصرون من اسرار القدرة وقيل وما لا تبصرون
الملائكة وقيل الاجساد والارواح انه اي القرآن لقول رسول كريم هو محمد صلى الله عليه
وسلم في قول الاكثرين ويؤيده قوله وما هو بقول شاعر وما بعده ونسب القول اليه لانه هو
مبلغه والعامل به وقال ابن السائب ومقاتل ان رسوله هو جبريل عليه السلام اذ هو
الرسول عن الله ونفى تعالى ان يكون قول شاعر لمباينته لضروب الشعر ولا قول كاهن لانه
ورد بسب الشياطين وانتصب قليلا على انه صفة لمصدر محذوف او لزمان محذوف
اي يؤمنون ايمانا قليلا او زمانا قليلا وكذا التقدير في قليلا ما تذكرون والقلة
هو اقرارهم اذا سئلوا من خلقهم قالوا الله وقال ابن عطية ونصب قليلا بفعل مضمر
يدل عليه قوله تؤمنون وما يحتمل ان تكون نافية فينتفي ايمانهم البتة ويحتمل ان تكون ما مصدرية
ويتصف بالقلة فهو الايمان اللغوي لانهم قد صدقوا باشياء يسيرة لا تغني عنهم شيئا اذ
كانوا يصدقون ان الخير والصلة والعفاف الذي كان يامر به رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو حق وصواب انتهى اما قوله ونصب قليلا بفعل مضمر يدل عليه تؤمنون فلا يصح
لان ذلك الفعل الدال عليه تؤمنون اما ان تكون ما نافية او مصدرية كما ذهب اليه
فان كانت نافية فذلك الفعل المضمر الدال عليه تؤمنون المنفي بما يكون منفيا فيكون
التقدير ما تؤمنون قليلا ما تؤمنون والفعل المنفي بما لا يجوز حذفه ولا حذف ما لا يجوز
زيدا ما اضربه على تقدير ما اضرب زيدا ما اضربه وان كانت مصدرية كانت اما في موضع
رفع على الفاعلية بقليلا اي قليلا ايمانكم ويبقى قليلا لا يتقدمه ما يعتمد عليه حتى يعمل ولا ناصب
له واما في موضع رفع على الابتداء فيكون مبتدأ لا خبر له لان ما قبله منصوب لا مرفوع
وقال الزمخشري والقلة في معنى العدم اي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة والمعنى ما اكفركم
وما اغفلكم انتهى ولا يراد بقليلا هنا النفي المحض كما زعم وذلك لا يكون الا في اقل نحو اقل
رجل يقول ذلك الا زيد وفي قل نحو قل رجل يقول ذلك الا زيد وقد يستعمل في قليل وقليلة
اذا كانا مرفوعين نحو ما جوزوا في قول الشاعر

قليل بها الاصوات الا بغامها

اما اذا كان منصوبا نحو قليلا ضربت او قليلا ما ضربت على ان تكون ما مصدرية فلا
فذلك لا يجوز لانه في قليلا ضربت منصوب بضربت ولم تستعمل العرب قليلا اذا انتصب
بالفعل نفيا بل مقابلا لكثيرا واما في قليلا ما ضربت على ان تكون ما مصدرية فتحتاج
الى رفع قليلا لان ما المصدرية في موضع رفع على الابتداء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو
وبخلاف عنهما والحسن والجحدري يؤمنون يذكرون بالياء فيهما وباقي السبعة بتاء الخطاب
وابان وقرأ الجمهور تنزيل بالرفع وابو السمال تنزيلا بالنصب وقرأ الجمهور ولو تقول
والتقول ان يقول الانسان عن آخر انه قال شيئا لم يقله وقرأ ذكوان وابنه محمد يقول
مضارع قال وهذه القراءة معرضة بما صرحت به قراءة الجمهور وقرئ ولو تقول مبنيا للمفعول
فحذف الفاعل وقام المفعول مقامه وهو بعض ان كان قرئ مرفوعا وان كان قرئ
منصوبا فعلينا قام مقام الفاعل والمعنى ولو تقول علينا متقول ولا يكون الضمير في تقول
عائدا على الرسول لاستحالة وقوع ذلك منه فنحن نمنع ان يكون ذلك على سبيل الفرض في حقه
عليه السلام والاقاويل جمع الجمع وهو اقوال كبيت وابيات قال الزمخشري وسمى الاقوال
المتقولة اقاويل تصغيرا بها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع افعولة من
القول والظاهر ان قوله باليمين المراد به الجارحة فقال الحسن لقطعناه عضوا وكذلك
الباء على هذا زائدة وقيل الاخذ على ظاهره وقال الزمخشري المعنى ولو ادعى علينا
شيئا لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام
فصور قتل الصبر بصورته ليكون اهول وهو ان يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص
اليمين عن اليسار لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا اراد
ان يوقعه في جيده وان يكفحه بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ
بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه كما ان قوله لقطعنا منه الوتين لقطعنا
وتينه انتهى وهو قول للشعراء حسنه الزمخشري بكثرة الفاظه ومصاحباتها وقالوا المعنى
لاخذنا بيده التي هي اليمين على جهة الاذلال كما يقول السلطان اذا اراد عقوبة
رجل يا غلام خذ بيده وافعل كذا قاله ابو جعفر الطبري وقيل اليمين هنا مجاز
فقال ابن عباس باليمين بالقوة ومعناه لنلنا منه عقابه بقوة منا وقال مجاهد بالقدرة
وقال السدي بعقابه بالحق ومن على هذا صلة وقال نفطويه لقبضنا بيمينه عن التصرف

وصل لبرعا منه وتينه وقيل لاذللناه واهجزناه ثم لقطعنا منه الوتين قال ابن عباس هو
نياط القلب وقال مجاهد حبل القلب الذي في الظهر وهو النخاع والموتون الذي قطع
وتينه والمعنى لو تقوّل علينا لاذهبنا حياته معجلا والضمير في عنه انه يعود على الذي تقول
وقيل يحوز ان يعود على القتل اي لا يقدر احد منكم ان يحجز عنه ذلك ويدفعه عنه والخطاب
في منكم للناس والظاهر في حاجزين ان يكون خبرا لما على لغة الحجاز لان حاجزين هو محط
الفائدة ويكون منكم لو تأخر لكان صفة لاحد فلما تقدم صار حالا ولا يجوز ان يكون حاجزا
ويكون من السنان او يتعلق بحاجزين كما تقول ما فيك زيد راغبا ولا يمنع هذا الفصل من انتصاب
خبر ما وقال الحوفي والزمخشري حاجزين نعت لاحد على اللفظ وجمع على المعنى لانه في معنى
الجماعة يقع في النفي العام للواحد والجمع والمذكر والمونث ومنه لا نفرق بين احد من رسله
لسن كاحد من النساء مثل بهما الزمخشري وقد تكلما على ذلك في موضعهما وفي الحديث
لم تحل الغنائم لاحد سود الرؤوس قبلكم واذا كان حاجزين نعتا لاحد فمن احد مبتدا والخبر منكم
ويضعفه هذا القول لان النفي يتسلط على الخبر وهو كينونته منكم فلا يتسلط على
الحجز واذا كان حاجزين خبرا تسلط النفي عليه وصار المعنى ما احد منكم يحجزه عما يريد به
من ذلك وانه لتذكرة اي وان القرآن او ان الرسول وانا لنعلم ان منكم مكذبين
وعيد لمكذبي بالقرآن او بالرسول وانه لحسرة اي القرآن من حيث كفروا به ويرون
من امن به ينعم وهم يعذبون وقال مقاتل وان تكذيبهم بالقرآن لحسرة عليهم وعاد الضمير على
المصدر المفهوم من قوله مكذبين كقوله اذا نهي السفيه جرى اليه اي الى السفه وانه
اي وان القرآن لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم وسبق الكلام على اضافة حق الى اليقين
في اخر الواقعة العهن الصوف دون تقييد او الاحمر او المصبوغ الوانا اقوال
الفصيلة قال ثعلب الابا الادنون وقال ابو عبيدة الفخذ وقيل عشيرته الاقربون
لظى اسم لجهنم او للدركة الثانية من دركاتها وهو علم منقول من اللظى وهو اللهب ومنه
للعلمية والتانيث الشوى جمع شواة وهي جلدة الراس وقال الاعشى

قالت قتيلة ماله قد جللت شيبا شواته

والشوى جلد الانسان والشوى قوائم الحيوان والشوى كل عضو ليس بمقتل ومنه رمى
فاشوى اذا لم يصب المقتل والشوى رذال المال والشوى الشيء الهين اليسير الهلع

الفزع والاضطراب السريع عند مس المكروه والمنع السريع عند مس الخير من قولهم ناقة هلواع
سريعة السير وقال ابو عبيدة الهلع في اللغة اشد الحرص واسوأ الجزع الجزوع
الجزوع قال

جزعت ولم اجزع من البين مجزعا

عزين جمع عزة قال ابو عبيدة جماعات في تفرقة ومن الجمع السنين كما له بالهاء واربعة
اربعه وقال الاصمعي الراعي عزين اي اصناف من الناس قال عنترة

وقرن قد تركته لدى ولي عليه الطير كالعصب العزين

وقال الراعي

اخليفة الرحمن ان عشيرتي امسى سوامهم عزين فلولا

وقال الكميت

ونحن وجندع ماغ تركنا كتائب جندل شتى عزينا

وقال اخر

ترانا عنده والليل داج على ابوابه حلقا عزينا

وقال اخر

فلما ان اتين على اضاخ ضرحن حصاه اشتاتا عزينا

وعزة مما حذفت لامه فقيل هي واو واصله عزوة كان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي
اليه الاخرى فهم مفترقون ويقال عزاه يعزوه اذا اضافه الى غيره وقيل لامها هاء والاصل
عزهة وجمعت عزة بالواو والنون كما جمعت سنة واخواتها بذلك وتكسر العين في الجمع
وتضم وقالوا عزى على فعل ولم يقولوا عزات

بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل
بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في
يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا يوم
تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي
من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا ثم ينجيه
كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعو من ادبر وتولى وجمع فاوعى ان الانسان خلق هلوعا
اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون

والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من
عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مأمون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون اولئك في
جنات مكرمون هذه السورة مكية قال الجمهور نزلت في النضر بن الحارث حين قال اللهم ان
كان هذا هو الحق من عندك الاية وقال الربيع بن انس في ابي جهل وقيل في جماعة من قريش
قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق الاية وقيل السائل نوح سأل العذاب على الكافرين
وقيل السائل رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل الله ان يشدد وطأته على مضر الحديث فاستجاب
الله دعوته ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر وانا لنعلم ان منكم مكذبين اخبر عن ما صدر
عن بعض المكذبين ... وان كان السائل نوحا او الرسول فناسب ... المكذبين
ان دعا عليهم رسولهم حتى يصابوا فيعرفوا صدق ما جاءهم به وقرأ الجمهور سأل بالهمز اي
دعا داع من قولهم دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه فالباء على اصلها وقيل المعنى بحث باحث
واستفهم ... بمعنى عن وقرأ نافع وابن عامر سال بالف فجوز ان يكون قد ابدلت
همزته الفا وهو بدل على غير قياس وانما قياس هذا بين بين وجوز ان يكون على لغة من
قال سلت اسال ... وقال الزمخشري هي لغة قريش يقولون
سلت تسال وهما يتسايلان ... في قوله انها لغة قريش لان ما جاء
في القران من باب السؤال يهمزونه او اصله الهمز ... قراءة من قرأ واسألوا الله اذ
لا يجوز ان يكون من سال التي عينها واو اذ كان يكون ذلك وسلوا الله اذ لا
يجوز ... الا من ... ان يجيء ذلك كله على لغة قريش وهم الذين نزل القران
بلغتهم الا يسيرا فيه لغة غيرهم ... في كلام الزمخشري وهما يتسايلان بالياء
والظاهر انه من الناسخ وانما هو يتساولان قال ... حكاه ابو زيد عن العرب هما يتساولان
فان يوافق الكسر بالياء ... من الزمخشري وعلى تقدير انه من السؤال
فسايل اسم فاعل منه وتقدم ذكر الخلاف في السائل من هو وقيل سال
من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل وقال زيد بن ثابت في جهنم واد يسمى
سائلا واخبر هنا عنه قال ابن عطية ويحتمل ان لم يصح امر الوادي ان يكون الاخبار

عن

عن نفوذ القدر بذلك العذاب فاستعير له السيل لما عهد من نفوذ السيل وتصميمه
وقال الزمخشري والسيل مصدر في معنى السائل كالغور بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم
وادي عذاب فذهب بهم واهلكهم انتهى واذا كان السائل هم الكفار فسؤالهم انما كان
على ... عنهم فاخبر تعالى انه واقع وقرأ ابي وعبد الله سال سايل مثل مال
بالف صورة الهمزة وقيل الياء من الخط ... والمراد سائل الهمزة ...
... بالهمز وباسقاطها ... فان قرأ بالهمز فظاهر وان قرأ بحذفها فهو مثل
سال في سايل حذفت عينه واللام جرت فيها الاعراب والظاهر تعلق بعذاب
بسال وقال ابو عبد الله الرازي يتعلق بمصدر دل عليه فعله كانه قيل ما سؤاله فقيل
سؤاله بعذاب والظاهر اتصال للكافرين بواقع فيكون متعلقا به واللام للعلة
اي نازل بهم لاجلهم اي لاجل كفرهم او على ان اللام بمعنى على قاله بعض النحاة ويؤيده
قراءة ابي على الكافرين او على انه في موضع صفة اي واقع كائن للكافرين وقال قتادة
والحسن المعنى كان قائلا قال لمن هذا العذاب الواقع فقيل للكافرين انتهى وقال
الزمخشري او بالفعل اي دعا للكافرين ثم قال وعلى الثاني وهو ثاني ... ذكرهم في وجهه
في الكافرين فهو كلام مبتدأ جواب للسائل اي هو للكافرين وكان قد
قرئ سأل ضمن معنى دعا فعدي تعديته كانه قال دعا داع بعذاب من قولك
دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة انتهى
فعلى ما قرره انه متعلق بدعا يعني بسال ولا يكون كلاما مبتدأ جوابا للسائل
اي هو للكافرين وهذا لا يصح اخذ قول قتادة والحسن ... والاجود ان
يكون من الله متعلقا بقوله واقع وليس له دافع جملة اعتراض بين العامل والمعمول
وقيل يتعلق بدافع اي ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته ذي المعارج المعارج لغة الدرج وهنا
استعارة قال ابن عباس وقتادة في الرتب والفواضل والصفات الحميدة وقال
ابن عباس ايضا المعارج السموات تعرج فيها الملائكة من سماء الى سماء وقال الحسن هي
المراقي الى السماء وقيل المعارج الغرف اي جعلها لاوليائه في الجنة تعرج قراءة الجمهور بالتاء
على التأنيث وعبد الله والكسائي وابن مقسم وزائدة عن الاعمش بالياء والروح قال
الجمهور هو جبريل خص بالذكر تشريفا واخر هنا بعد الملائكة وقدم في قوله يوم يقوم الروح

والملائكة صفا وقال مجاهد ملائكة حفظة للملائكة الحافظين لبني آدم لا من اسم الحفظة
كما لا نرى نحن حفظتنا وقيل ملك عظيم من أعظم الخلق وقال أبو صالح خلق كهيئة الناس
وليسوا بالناس وقال قبيصة بن ذؤيب روح الميت حين يقبض إليه العروج عائد على الله تعالى
أي إلى عرشه وحيث يهبط منه أمره تعالى وقيل إليه أي إلى المكان الذي هو محلهم وهو
السماء لأنها محل بره وكرامته والظاهر أن المعنى أنها تعرج في يوم من أيامكم هذه ومقدار
المسافة أن لو عرجها آدمي خمسون ألف سنة قاله ابن عباس وابن إسحاق وجماعة
من الحذاق منهم منذر بن سعيد فإن كان العارج ملائكة فقال مجاهد المسافة هي
من قعر الأرض السابعة إلى العرش ومن جعل الروح جنسا من أنواع الحيوان وقال وهب
المسافة من وجه الأرض إلى منتهى العرش وقال عكرمة والحكم أراد مدة الدنيا فإنها
خمسون ألف سنة لا يدري أحد ما مضى منها وما بقي أي تعرج في مدة الدنيا وبقاء هذه
البنية وقال ابن عباس أيضا هو يوم القيامة فقيل طوله ذلك العدد وهذا ظاهر
ما جاء في الحديث في حديث مانع الزكاة فإنه قال في يوم كان مقداره خمسين
ألف سنة وقال ابن عباس وأبو سعيد الخدري قدره في رزاياه وشدته
للكفار ذلك العدد وفي الحديث يخفف على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة
وقال عكرمة مقدار ما ينقضي فيه من الحساب قدر ما يقضى بالعدل خمسين ألف
سنة من أيام الدنيا وقال الحسن نحوه وقيل لا يراد حقيقة العدد
إنما أريد به طول الموقف يوم القيامة وما فيه من الشدائد والعرب تصف أيام
الشدة بالطول وأيام الفرح بالقصر قال الشاعر يصف أيام الفرح والسرور
ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر
والظاهر أن قوله في يوم متعلق بتعرج وقيل بدافع والجملة من قوله تعرج اعتراض
ولما كانوا قد سألوا استعجال العذاب وكان السؤال على سبيل الاستهزاء
والتكذيب وكانوا قد وعدوا به أمره تعالى بالصبر وجعله من السلب
فالمعنى أنه أشرف على الوقوع والضمير في يرونه عائد على العذاب أو على اليوم
إذا أريد به يوم القيامة وهذا الاستبعاد على سبيل الإحالة منهم ونراه قريبا
أي هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر وكل ما هو آت قريب والبعد

والقرب

والقرب في الإمكان لا في المسافة يوم تكون يوم منصوب بإضمار فعل أي يقع
يوم تكون أو نحوه تكون السماء كالمهل كان كيت وكيت أو بقريبا أو بدل من ضمير
نراه إذا كان عائدا على يوم القيامة وقال الزمخشري أو هو بدل من في يوم
فيمن علقه بواقع انتهى ولا يجوز هذا لأن في يوم وإن كان في موضع نصب
لا يبدل منه منصوب لأن مثل هذا ليس من المواضع التي تراعى في التوابع لأن
حرف الجر فيها ليس بزائد ولا محكوم له بحكم الزائد كرب وإنما يجوز مراعاة المواضع
في حرف الجر الزائد كقوله

يا بني لبيني لستما بيد إلا يدا ليست لها عضد

ولذلك لا يجوز مررت بزيد الخياط على مراعاة موضع بزيد ولا مررت بزيد وعمروا
ولا غضبت على زيد وجعفرا ولا مررت بعمرو وأخاك على مراعاة الموضع فإن قلت
الحركة في يوم تكون حركة بناء لا حركة إعراب فهو مجرور مثل يومئذ قلت لا يجوز
بناؤه على مذهب البصريين لأنه أضيف إلى معرب لكنه يجوز على مذهب الكوفيين
فيمشي كلام الزمخشري على مذهبهم إن كان استحضره وتقدم كالمهل وتقدم
الكلام عليه في سورة الدخان وتكون الجبال كالعهن يعني المنفوش كما في القارعة
لما نسفت طارت في الجو كالصوف المنفوش إذا طيرته الريح قال الحسن
تسير الجبال مع الريح ثم تنهد ثم تصير كالعهن ثم تنسف فتصير هباء وقال الجمهور
ولا يسأل مبنيا للفاعل أي لا يسأله نصره ولا منفعته لعلمه أنه لا يجد ذلك
عنده وقال لا يسأله عن حاله لأنها ظاهرة وقيل لا يسأله أن
يحمل عنه من أوزاره شيئا ليأسه عن ذلك وقيل يسأل عنه وعلى هذا حميما منصوب
على إسقاط من أي عن حميم لشغله بما هو فيه وقرأ أبو حيوة وشيبة وأبو جعفر والبزي
بخلف عنه ولا يسأل مبنيا للمفعول أي لا يسأل إحضاره كل من المؤمن والكافر له
سيما يعرف بها وقيل عن ذنوب حميمه ليؤخذ بها يبصرونهم استئناف كلام
قال ابن عباس يبصر الحميم حميمه ثم يفر عنه لشغله بنفسه وقيل يبصرونهم
في النار وقيل يبصرونهم ولا يتحاجون إلى السؤال والطلب وقال الزمخشري ويجوز
أن يكون يبصرونهم صفة أي حميما مبصرين معرفين إياهم إلى حميما حميما

نكرتان في سياق النفي ولذلك جمع الضمير وقرأ يبصرونهم مخففا مع كسر الصاد
اي يبصر المومن الكافر في النار قاله مجاهد وقال ابن زيد يبصر الكافر من اضله في النار
عبرة وانتقاما وحزنا يود المجرم اي الكافر وقد يندرج فيه المومن العاصي الذي يعذب
وقرأ الجمهور من عذاب يومئذ مضافا وابو حيوة منونا والجمهور بكسر ميم يومئذ والاعرج وابو حيوة
بفتحها وصاحبته زوجته وفصيلته اقرباؤه الادنون تؤويه تضمه انتماء اليها او
لياذا بها في النوائب ثم ينجيه عطف على يفتدي اي ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد كلا
انه لا ينفع انها الضمير للقصة ولظى نزاعة خبر ان تفسير لها او للنار الدال عليها عذاب
يومئذ ولظى بدل من الضمير ونزاعة خبر ان او خبر مبتدأ ولظى خبر ان اي هي نزاعة
او بدل من لظى او خبر بعد خبر كما مر ذكره وذلك على قراءة الجمهور برفع نزاعة
وقال الزمخشري ويجوز ان تكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر انتهى ولا ادري
ما هذا المضمر الذي ترجم عنه الخبر وليس هذا من المواضع التي يفسر فيها المفرد الضمير
ولولا انه ذكر بعد هذا او ضمير القصة لحملت كلامه عليه وقرأ ابن ابي عبلة وابو
حيوة والزعفراني وابن مقسم واليزيدي في اختياره نزاعة بالنصب فتعين ان
تكون لظى خبر ان والضمير في انها عائد على النار الدال عليها عذاب وانتصب نزاعة
على الحال المؤكدة او المنتقلة والعامل فيها لظى وان كان علما لما فيه من معنى
التلظي كما عمل العلم في الظرف في قوله انا ابو المنهال بعض الاحيان
اي المشهور بعض الاحيان وعلى الاختصاص للتهويل قاله الزمخشري وكانه يعني
القطع بالنصب فيها كالرفع فيها اذا اضمرت هو ونصب باضمار اعني قال الزمخشري
والشوى الشوى لمكارم وجهه وقال ثابت لمكارم خلقه وقال ابو العالية
لمحاسن وجهه وقال الضحاك تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئا
وقال الحسن ايضا الشوى الهام تدعو اي حقيقة يخلق الله فيها الكلام كما يخلقه في
الاعضاء قاله ابن عباس وغيره تدعوهم باسمائهم واسماء ابائهم قال الزمخشري
وكلاهما لغة في السحق انتهى فلم يرد مذهب الاعتزال وقال الخليل مجاز عن استنباذ انها
منهم وما تولعه بهم مخبرا عنها وقال ثعلب يهلك تقول العرب دعاك الله اي اهلكك
الله حكاه الخليل عن العرب وقال الشاعر

ليالي

ليالي يدعوني الهوى فاجيبه واعين من اهوى الي روانا
وقال الاخطل ... امرع للعيان وكل فج طباه الرعي منه والخلاء
طباه اي دعاه فيصف ظلما والهوى والرعي لا يدعو ان حقيقة ولكنه لما كان
فيها ما يكون مرادا عبر بالدعاء مجازا او تدعو زبانيتها فيجذبونهم اضيف دعاؤهم اليها
من ادبر عن الحق وتولى وجمع فاوعى اي جمع المال فجعله وعاء وكنزه ولم يؤد حق الله
منه وهذا اشارة الى كفار اغنياء وقال الحكم كان عبد الله بن حكيم لا يربط كيسه
ويقول سمعت الله يقول وجمع فاوعى ان الانسان جنس ولذلك استثنى منه الا
المصلين ومثل الانسان الكبار وقال ثعلب قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر
ما الهلع فقلت قد فسره الله ولا يكون تفسير ابين من تفسيره وهو الذي اذا
ناله شر اظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس انتهى ولما كان سبق
الجزع والمنع متمكنا في الانسان جعل كانه خلق مجبولا عليها كقوله خلق الانسان
من عجل والخير المال الا المصلين استثناء من الانسان والذين وصفهم الله
وصفهم به من الصبر على المكاره والصفات الجميلة التي علموا بها وقرأ الجمهور على
صلاتهم بالافراد والحسن جمعا دائمون قال الجمهور المواظبين عليها وقال ابن مسعود
صلاتهم لوقتها وقال عقبة بن عامر يقرون فيها ولا يلتفتون يمينا ولا شمالا وهو من الماء
الدائم وقال الزمخشري دوامهم عليها ان يواظبوا على ادائها ولا يشتغلون
عنها بشيء ومحافظتهم عليها ان يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا اركانها
او يكملوها لسننها وادائها ويحفظوها من الاحباط باقتراف المآثم فالدوام يرجع
الى انفس الصلوات والمحافظة الى احوالها انتهى وهو جواب لسؤاله فان قلت
كيف قال على صلاتهم دائمون ثم على صلاتهم يحافظون واقول ان الديمومة على الشيء
والمحافظة عليه شيء واحد لكنه لما كانت الصلوة هي عمود بولغ في التوكيد فيها
فذكرت اول الخصال الاسلامية المذكورة في هذه السورة واخرها ليعلم مرتبتها
في الاركان التي بني الاسلام عليها والصفات التي بعد هذه تقدم تفسيرها ونظيرها
في سورة قد افلح وقرأ الجمهور بشهادتهم على الافراد والسلمي وابو عمرو وحفص على الجمع
فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين ايطمع كل امرئ

ثم ان يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا
لقادرون على ان نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا
يومهم الذي يوعدون يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون
خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون كان عليه السلام
يصلي عند الكعبة ويقرا القرآن فكانوا يحتفون به حلقا حلقا يسمعون ويستهزئون
بكلامه ويقولون ان دخل هولاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت [illegible]
[illegible] مهطعين مسرعين [illegible] اليه عليه السلام ومعنى قبلك اي الجهة التي تليك عن
اليمين وعن الشمال اي عن يمينك وعن شمالك و عزين [illegible] في المستهزئين
الحبشة وقرا الجمهور ان يدخل مبنيا للفاعل وابن يعمر والحسن وابو رجا وزيد بن
علي وطلحة والمفضل عن عاصم مبنيا للمفعول كلا رد وردع لطماعيتهم اذا طمعوا في دخولها
وان كانوا لا يعتقدون صحة البعث ولا ان ثم جنة ولا نار انا خلقناهم مما يعلمون
اي انشاناهم من نطفة مذرة فنحن قادرون على اعادتهم وبعثهم يوم القيامة وعلى
الاستبدال بهم خيرا منهم فقيل والمعنى بعض الخلق ومنه علمهم بذلك يعطي الجنة بل بالايمان
والعمل الصالح وقال قتادة في تفسيرها انما خلقت من قذر يا ابن ادم وقال انس
كان ابو بكر اذا خطبنا ذكر مناتن ابن ادم ومروره في مجرى البول مرتين وكونه
نطفة في الرحم ثم علقة ثم مضغة الى ان يخرج فيتلوث في نجاسته طفلا فلا يقلع
ابو بكر حتى يقذر احدنا نفسه وكان قيل اذا كان خلقكم من نطفة مذرة فمن اين
تتشرفون وتدعون دخول الجنة قبل المؤمنين وابهم في قوله مما يعلمون وان كان
قد صرح به في عدة مواضع احالة على تلك المواضع ورأى مطرف بن عبد الله ابن الشخير
المهلب بن ابي صفرة يتبختر في مطرف خز وجبة خز فقال له يا عبد الله ما هذه
المشية التي يبغضها الله تعالى فقال له اتعرفني قال نعم اولك نطفة مذرة واخرك
جيفة قذرة وانت تحمل عذرة فمضى المهلب وترك مشيته وقرا الجمهور فلا اقسم
برب المشارق والمغارب جمعا وجمعهما [illegible] دون الف وعبد الله بن مسلم
وابن محيصن والجحدري المشرق والمغرب مفردين اقسم تعالى بمخلوقاته على انه قادر
قدرته على ان يبدل خيرا منهم وانه لا يسبقه شي الى ما يريد فذرهم يخوضوا ويلعبوا

وعيد

وعيد وما فيه من معنى المهادنة منسوخ باية السيف وقرا ابو جعفر وابن محيصن
يلقوا مضارع لقي والجمهور يلاقوا مضارع لاقي والجمهور يخرجون مبنيا للفاعل
قال ابن عطية وروى ابو بكر عن عاصم مبنيا للمفعول ويوم بدل من يومهم وقرا الجمهور
نصب بفتح النون وسكون الصاد وابو عمران الجوني ومجاهد بفتحهما وابن
عامر وحفص بضمهما والحسن وقتادة بضم النون وسكون الصاد والنصب
ما نصب للانسان فهو يقصده مسرعا اليه من علم او بناء او صنم وغلب في الاصنام
حتى قيل الانصاب وقال ابو عمرو هو شبكة يقع فيها الصيد فيسارع اليها
صاحبها مخافة ان يفلت الصيد منها وقال مجاهد بضمهما ومن قرا بضمهما قال
ابن زيد اي اصنام منصوبة كانوا يعبدونها وقال الاخفش هو جمع نصب كرهن
ورهن والانصاب جمع الجمع يوفضون يسرعون قال ابو العالية يستبقون الى
غاياتهم قال الشاعر

فوارس ذبيان تحت الحديد كالجن يوفضن من عبقر

وقال الشاعر في معنى الاسراع

لانعتن نعامة ميفاضا خرجاء ظلت تطلب الاضاضا

وقال ابن عباس يوفضون يسعون وقال الضحاك ينطلقون وقال الحسن يبتدرون
وقرا الجمهور ذلة منونا ذلك اليوم برفع الميم مبتدا وخبر وقرا عبد الرحمن بن خلاد
عن داود بن هند عن يعقوب والحسن بن عبد الرحمن عن التمار ذلة بغير تنوين
مضافا الى ذلك اليوم بخفض الميم الاطوار الاحوال المختلفة قال

فان افاق فقد طارت عمايته والمرء يخلق طورا بعد اطوار

ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر اسما لاصنام قوم نوح [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا
الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان
اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل
الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم
دعاءي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم

وأصروا واستكبروا استكبارا ثم إني دعوتهم جهارا ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم
إسرارا فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم
بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا
هـ سورة نوح مكية ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما أقسم على أن نبدل خيرا
منهم وكانوا قد سخروا من المؤمنين وكذبوا بما وعدوا به من العذاب ذكر قصة
نوح وقومه معه وكانوا أشد تمردا من المشركين فأخذهم الله أخذ استئصال
حتى إنه لم يبق لهم نسل على وجه الأرض وكانوا عباد أصنام كمشركي مكة فحذر
تعالى قريشا أن يصيبهم عذاب يستأصلهم إن لم يؤمنوا نوح عليه السلام أول
نبي رسل ويقال له شيخ المرسلين وآدم الثاني وهو نوح بن لمك بن متوشلخ
ابن اخنوخ وهو إدريس عليه السلام وهو ابن يرد بن مهلائيل بن أنوش
ابن قينان بن شيث بن آدم عليه السلام أن أنذر قومك يجوز أن تكون
مصدرية وأن تكون مفسرة عذاب أليم قال ابن عباس عذاب النار في
الآخرة وقال الكلبي ما حل بهم من الطوفان من ذنوبكم من للتبعيض
لأن الإيمان إنما يجب ما قبله من الذنوب لا ما بعده وقيل لابتداء الغاية وقيل زائدة
وهو مذهب كوفي قال ابن عطية كوفي وأقول أخفشي لا كوفي لأنهم يشترطون
أن تكون بعد نفي ولا يبالون بما بعدها من واجب أو نفي والأخفش يجيز
مع الواجب ونفي وقبل النكرة والمعرفة وقيل لبيان الجنس ورد بأنه ليس قبلها
ما يبينه قال الزمخشري فإن قلت كيف قال ويؤخركم مع إخباره بامتناع تأخير
الأجل وهل هذا إلا تناقض قلت قضى الله مثلا أن قوم نوح إن آمنوا
عمرهم ألف سنة وإن بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا
يؤخركم إلى أجل مسمى أي إلى وقت سماه الله وضربه أمدا تنتهون إليه لا تتجاوزونه
وهو الوقت الأطول تمام الألف ثم أخبر أنه إذا جاء ذلك الأجل الأمد لا يؤخر
كما يؤخر هذا الوقت ولم يكن لهم حيلة فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير انتهى
وقال ابن عطية ويؤخركم إلى أجل مسمى مما تعلقت به المعتزلة في قولهم إن للإنسان
أجلين قالوا لو كان واحدا محددا لما صح التأخير إن كان الحد قد بلغ ولا المعاجلة

ان كان

كان لم يبلغ قاله وليس لهم فيه حجة لأنه يتعلق بأن المعنى أن نوحا عليه السلام لم يعلم هل هم ممن
يؤخر أو ممن يعاجل ولا قال لهم إنكم تؤخرون عن أجل قد حان لكن قد سبق في الأزل
أنهم ممن قضي له بالإيمان والتأخير وأن غيرهم ممن قضي عليه بالكفر والمعاجلة ثم تشرد هذا
المعنى ولاح بقوله إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر وجواب لو محذوف تقديره لو كنتم
تعلمون لبادرتم إلى العبادة وتقواه وطاعته فيما أمركم به منه تعالى ولما لم يجبه
قومه شكا إلى ربه شكوى من يعلم أن الله عالم بحاله مع قومه لما أمرهم بالإيمان
فلم يجيبوه فقال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا أي في جميع الأوقات من غير فتور ولا
تعطيل وقت ولما ازدادوا إعراضا ونفارا عن الحق جعل الدعاء هو الذي زادهم
إذ كان سبب الزيادة ومثله فزادتهم رجسا إلى رجسهم وإني كلما دعوتهم لتغفر
لهم أي ليتوبوا فتغفر لهم ذكر المسبب الذي هو حظهم خالصا ليكون أقبح
إعراضهم عنه جعلوا أصابعهم في آذانهم الظاهر أنه حقيقة سدوا مسامعهم حتى لا
يسمعوا ما دعاهم إليه وتغطوا بثيابهم حتى لا ينظروا إليه كراهة وبغضا من سماع
النصح ورؤية الناصح ويجوز أن يكون ذلك كناية عن المبالغة في إعراضهم عن
ما دعاهم إليه فهو بمنزلة من سد سمعه ومنع بصره ثم كرر صفة دعائه بيانا وتوكيدا
لما ذكر دعاءه عموم الأوقات ذكر عموم حالات الدعاء وكلما دعوتهم يدل على تكرار الدعوات
فلم يبين حالة دعائه أولا وظاهره أن يكون دعاؤه إسرارا لأنه يكون ألطف بهم
ولعلهم يقبلون منه كحال من ينصح في السر فإنه يجدر أن يقبل منه فلما لم يجد له الإسرار
انتقل إلى أشد منه وهو دعاؤهم جهارا صلتا بالدعاء إلى الله لا يحاشي أحدا فلما لم
يجد عاد إلى الإعلان والإسرار قال الزمخشري ومعنى ثم الدلالة على تباعد الأحوال
لأن الجهار أغلظ من الإسرار والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما انتهى وتكرر
كثيرا للزمخشري أن ثم للاستبعاد ولا نعلمه من كلام غيره واستعجب جهارا بعد دعوتهم
وهو لصرف في الدعاء وتحيينه ويجوز أن يكون صفة لمصدر دعاء أي دعاء جهارا أي مجاهرا
به أو مصدرا في موضع الحال أي مجاهرا ثم أخبر أنه أمرهم بالاستغفار وأنهم إذا استغفروا
در لهم الرزق في الدنيا فقدم لهم ما يسرهم وما هو أحب إليهم إذ النفس متشوقة إلى
الحصول على العاجل كما قال تعالى وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وقوله ولو أن أهل

الذين امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل الاية وان لو
استقاموا على الطريقة لاسقيناهم فان قيل ان كانوا اهل حب للدنيا فاستدعاهم
الى الاخرة من الطريق التي يحصل بها وصل لما كذبوه بعد طول تكرار الدعا
حبس الله عنهم القطر واعقم نساءهم فنداهم في وعدهم بالمطر بين بالاموال والبنين ومدرارا
الدر وهو صفة يستوي فيها المذكر والمؤنث ومفعال للمبالغة الا ان الادرار ومسير له
فيه المذكر والمؤنث يقول رجل محزامة ومطرابة وامرأة محام بغير مطرابة والسما
المظلة فان المطر ينزل منها الى السحاب ويجوز ان يراد السحاب او المطر كقوله

اذا نزل السماء بارض قوم

الرجاء بمعنى الخوف وبمعنى الامل فقال ابو عبيدة ومن ثم لا ترجون لا تخافون لوا
والوقار بمعنى العظمة والسلطان والكلام على تقدير وعيد وتخويف وقيل لا تاملون
له توقيرا اي تعظيما قال الزمخشري والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تاملون فيها
تعظيم الله اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة او لا تخافون
لله حلما وترك معاجلة بالعقاب فتؤمنوا وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وعن ابن
عباس لا تخافون لله عاقبة لان العاقبة حال استقرار الامور وثبات الثواب
والعقاب من وقر اذا ثبت واستقر انتهى وقيل ما لكم لا تجعلون رجاءكم الله
وتلقاه وقال ابو كون على هذا منهم كانه يقول عوده سكر وهكذا في النظر ان الكفر
مظنة الخفة والطيش وركوب الراس انتهى وفي البحر والمحرر قال سعيد بن
جبير ما لكم لا ترجون لله ثوابا ولا تخافون عقابا وقاله ابن جبير عن ابن عباس وقال
العوفي عنه ما لكم لا تعلمون لله عظمة وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله
عظمة قال قطرب هذه لغة حجازية وهذيل وخزاعة ومضر يقولون لم ارج لم ابال
انتهى لا ترجون حال وقد خلقكم اطوارا جملة حالية تحمل على الايمان بالله واقرار
بالعبادة اذ في هذه الجملة الحالية تنبيه على تدرج الانسان في اطوار لا يمكن ان
يكون من خلقه تعالى قال ابن عباس ومجاهد من النطفة والعلقة والمضغة وقيل
اختلاف في الوان الناس وخلقهم وخلقهم وملكهم وقيل صبيانا ثم شبانا ثم شيوخا
وضعفاء ثم اقوياء وقيل معنى اطوارا انواعا صحيحا وسقيما وبصيرا وضريرا وغنيا وفقيرا

الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا
والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا والله جعل لكم الارض بساطا
لتسلكوا منها سبلا فجاجا قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا
خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق
ونسرا وقد اضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا
لهم من دون الله انصارا وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم
يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين
والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا لما نبههم نوح عليه السلام على الفكر في انفسهم وكيف
انتقلوا من حال الى حال وكانت الانفس اقرب ما يفكرون فيه منهم ارشدهم الى الفكر في
العالم علويه وسفليه وما اودع تعالى فيه اي العالم العلوي من هذين النيرين اللذين بهما قوام
الوجود وتقدم شرح طباقا في سورة الملك الضمير فيهن عائد على السموات وقال القمر
وهو في السماء الدنيا وصح كون السموات ظرفا للقمر لانه لا يلزم من الظرف ان يملأه •
المظروف يقول زيد في المدينة وهو في جزء منها ولم يقيد الشمس بظرف وقيل في الرابعة
وقيل في الخامسة وقيل في الشتاء في الرابعة وفي الصيف في السابعة وهذا شيء لا يوقف
على معرفته الا من علم الهيئة وتذكر اصحاب هذا العلم انه يقوم عليه البراهين القاطعة
على صحة ما يدعونه ولا في معرفته ذلك دلالة واضحة على قدرة الله وتدبيره وانه مصنوعها
سراجا يستضيء به اهل الدنيا كما يستضيء الناس بالسراج في بيوتهم ولم يبلغ القمر مبلغ الشمس
في الاضاءة ولذلك جاء هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء اقوى من النور والا نبات
استعارة في الانشاء انشأ ادم من الارض وصارت ذريته منه فصح نسبتهم كلهم الى
انهم انبتوا منها وانتصب نباتا بانبتكم مصدرا على حذف الزوائد اي انباتا او على
اضمار فعل اي فنبتم نباتا وقال الزمخشري المعنى انبتكم فنبتم نباتا او نصب بانبتكم لتضمنه
معنى نبتم انتهى ولا اعقل معنى هذا الوجه الثاني ثم يعيدكم فيها اي يقبركم
فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا اي يوم القيامة واكده بالمصدر اي ذلك واقع لا محالة
بساطا يتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه وظاهره ان الارض ليست كرية
بل هي مبسوطة سبلا طرقا فجاجا متسعة وتقدم الكلام على الفج في سورة الحج ولما

ولما أصروا على العصيان وعاملوه بأقبح الأقوال والأفعال قال نوح رب إنهم عصوني
الضمير للجميع وكان قد دعاهم وأنهم لا يتبعون وكان أقام فيهم ما قص تعالى عليه ألف
سنة إلا خمسين عاما وكانوا قد وسع عليهم في الرزق بحيث كانوا يزرعون في الشهر مرتين
واتبعوا أغنياءهم وسفلتهم أنه لا يبيح عون على الجمع في عبادة الأصنام من لم يزده ماله وولده
ذكرهم ربهم الذين كان ما ملكوا من المال وما ظفروا به من الولد سببا في خسارتهم
الأخروي وكان سبب لهم ما كسبوا في الدنيا وقرأ ابن الزبير والحسن والنخعي والأعرج ومجاهد
والأخوان وابن كثير وأبو عمرو ونافع في رواية خارجة عنه وولده بضم الواو وسكون
اللام والسلمي والحسن أيضا وأبو رجاء وابن وثاب وأبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم
وابن عامر بفتحهما وهما لغتان كبخل وبخل والحسن أيضا والجحدري وقتادة وزر وطلحة
وابن أبي إسحاق وأبو عمرو في رواية بكسر الواو وسكون اللام وقال أبو حاتم يمكن أن يكون الولد
بالضم جمع الولد كخشب وخشب وقال حسان بن ثابت

يا بكر آمنة المبارك بكرها من ولد محصنة بسعد الأسعد

ومكروا الظاهر أنه معطوف على صلة من وجمع الضمير على معنى من وقالوا على الجميع ومكرهم احتيالهم
في الدين وتحريش الناس على نوح وقرأ الجمهور كبارا بشد الباء وهو بناء فيه مبالغة كثيرة
وقال عيسى بن عمر هي لغة يمانية وعليها قول الشاعر

والمرء يلحقه بفتيان الندى خلق الكريم وليس بالوضاء

وقول الآخر

بيضاء تصطاد القلوب وتستبي بالحسن قلب المسلم القراء

ويقال حسان وطوال وجمال وقرأ عيسى وابن محيصن وأبو السمال بخف الباء وهو
بناء مبالغة أيضا دون الأول وقرأ زيد بن علي وابن محيصن فيما روى عنه أبو الأخريط وهب بن
واضح كبارا بكسر الكاف وفتح الباء قال ابن الأنباري هو جمع كبير كأنه جعل مكرا
مكان ذنوب أو أفاعيل يعني فلذلك وصفه بالجمع وقالوا أي كبراؤهم لأتباعهم أو
قالوا أي جميعهم بعضهم لبعض لا تذرن آلهتكم أي أصنامكم وهو عام في جميع أصنامهم
ثم خصوا بعد أكابر أصنامهم وهو ود ومن عطف عليه وروي أن هذه أسماء رجال صالحين
كانوا في صدر الزمان فالعرب من الزمن كانوا بين آدم ونوح وكان ود أكبرهم وأبرهم

به وقال محمد بن كعب ومحمد بن قيس كانوا بين آدم ونوح فصورت أشكالهم لتذكر أفعالهم
الصالحة ثم هلك من صورهم وخلفت من بعدهم ثم كذلك حتى عبدت ثم انتقلت تلك
الأصنام بأعيانها وقيل بل الأسماء فقط إلى قبائل من العرب وكان ود لكلب بدومة الجندل
وسواع لهذيل وقيل لهمدان ويغوث لمراد وقيل لمذحج ويعوق لهمدان وقيل لمراد
ونسر لحمير وقيل لذي الكلاع من حمير ولذلك سمت العرب بعبد ود وعبد
يغوث وما وقع من هذا الخلاف في سواع ويغوث ويعوق ونسر يمكن أن يكون لكل واحد منها

٤٧

صنم يسمى بهذا الاسم إذ يبعد بقاء أعيان تلك الأصنام وإنما بقيت الأسماء فسموا أصنامهم
بها قال أبو عثمان النهدي رأيت يغوث وكان من رصاص يحمل على جمل أجرد يسيرون
معه لا يهيجونه حتى يكون هو الذي يبرك فإذا برك نزلوا وقالوا قد رضي لكم المنزل
فينزلون حوله ويضربون عليه بناء وقال الثعلبي كان يعوق لكهلان
من سبأ ثم توارثوه حتى صار في همدان وفيه يقول مالك بن نمط الهمداني

يريش الله في الدنيا ويبري ولا يبري يعوق ولا يريش

وقال الماوردي أول ... يعبد ... ود سمي ودا لودهم له
وكان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق
على صورة فرس ونسر على صورة نسر وهذا مناف لما تقدم من أنهم صور ناس
صالحين وقرأ نافع وأبو جعفر وشيبة بخلاف عنهم ودا بضم الواو والحسن والأعمش وطلحة
وباقي السبعة بفتحها قال الشاعر

حياك ود فإنا لا يحل لنا لهو النساء وإن الدين قد عزما

وقال آخر

فحياك ود من هداك لفتية وخوص بأعلى ذي فضالة هجد

أراد ذلك الصنم وقرأ الجمهور ولا يغوث ويعوق بغير تنوين فإن كانا عربيين فمنع
الصرف للعلمية ووزن الفعل وإن كانا عجميين فللعجمة والعلمية وقرأ الأشهب ولا يغوثا
ويعوقا مصروفين قال صاحب اللوامح جعلهما فعولا فلذلك صرفهما فأما في العامة فإنهما
صفتان من الغوث والعوق يفعل منهما وهما معرفتان فلذلك منع الصرف لاجتماع الفعلين
اللذين هما تعريف ومشابهة الفعل المستقبل انتهى وهذا تخبيط أما أولا فلا يمكن أن

يكونا فعولا لان مادة يغث معقودة وكذلك مادة يعوق اما يا بسا فليسا منصرفين
من الصوت والعوق بان يعالا لجاسا ولا صفة وانما امتنعا من الصرف لما ذكرناه وقال
ابن عطية وقرا الاعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف وذلك وهم لان التعريف لازم ووزن الفعل
انتهى وليس ذلك بوهم ولم ينفرد الاعمش بذلك بل قد قرا معه الاشهب العقيلي على ذلك
وتخريجه على وجهين احدهما انه جا على لغة من يصرف جميع ما لا ينصرف عند عامة العرب
وذلك لغة وقد حكاها الكسائي وغيره والثاني انه صرف لمناسبة ما قبله وما بعده من
المنون اذ قبله ودا ولا سواعا وبعده ونسرا كما قالوا في صرف سلاسلا وقوارير قواريرا
ان صرف ذلك لمناسبته وقال الزمخشري وهذه قراءة مشكلة لانهما ان كانا عربيين او عجميين
ففيهما منع الصرف ولعله قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته اخواتهما منصرفات ودا
وسواعا ونسرا كما قرى وضحاها بالامالة لوقوعه مع الممالات للازدواج انتهى كان الزمخشري
لم يدر ان ثم لغة لبعض العرب يصرفون كل ما لا ينصرف عند عامتهم فلذلك استشكلهما
وقد اضلوا اى الرؤسا المتبوعون كثيرا من اتباعهم وعامتهم وهذا اخبار من نوح عليه
السلام عنهم بما جرى على ايديهم من الضلال وقال الحسن وقد اضلوا اى الاصنام عاد الضمير
عليها كما يعود على العقلاء كقوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس وحسنه عوده على
اقرب مذكور ولكن عوده على الرؤسا اظهر اذهم المحدث عنهم والمعنى فيهم امكن وقال
اخبر انهم قد اضلوا كثيرا ودعا عليهم بالضلال فقال ولا تزد ونحو معطوفه وقد اضلوا
ادعى به وقال وقد اضلوا كثيرا يعني معطوف على قال المتضمن المحكي بالقول وقد اضلوا
ولا يشترط التناسب في عطف الجمل بل يجوز عطف جملة الانشا على جملة الخبر والعكس
خلافا لمن يدعي التناسب وقال الزمخشري ما محصله عطف ولا تزد على رب انهم
عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال قال الزمخشري فان قلت كيف
جاز ان يريد لهم الضلال ويدعو الله بزيادته قلت المراد بالضلال ان يخذلوا
ويمنعوا الالطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع اليأس من ايمانهم وذلك حسن جميل يجوز الدعا
به بل لا يحسن الدعا بخلافه انتهى وذلك على مذهبه الاعتزالي قال ويجوز ان
يريد بالضلال الضياع والهلاك كما قال ولا تزد الظالمين الا تبارا انتهى وقال ابن بحر الا
ضلالا الا عذابا قال كقوله ان المجرمين في ضلال وسعر هل الاحسن ان وقيل الا

ضلالا

ضلالا في امر دنياهم وترويج مكرهم وحيلهم وقرا الجمهور مما خطيئاتهم جمعا بالالف والتا
مهموزا وابو رجا كذلك الا انه ابدل الهمزة يا وادغم فيها يا المد والجحدري وابو
عبيد عن ابي عمرو على الافراد مهموزا والحسن وعيسى والاعرج بخلاف عنهم وابو
عمرو خطاياهم جمع تكسير وهذا اخبار من الله تعالى للرسول عليه السلام بحال قوم
نوح عليه السلام وما صلة وما زائدة للتوكيد ومن قال ابن عطية لابتدا الغاية
وابن الطهر الا انها للسبب وقرا عبد الله من خطيئاتهم ما اغرقوا فزاد ما بين اغرقوا
وخطيئاتهم وقرا الجمهور اغرقوا بالهمزة وزيد بن علي غرقوا بالتشديد وهو
كلاهما للنقل وخطيئاتهم الشرك وما انجر معه من الجرائم فادخلوا نارا اى جهنم وعبر
عن المستقبل بالماضي لتحققه وعطفه بالفا على ارادة الحكم او عبر بالدخول عن عرضهم
على النار غدوا وعشيا كما قال النار يعرضون عليها غدوا وعشيا قال الزمخشري او
عذاب القبر انتهى وقال الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون بالنار
من جانب فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض بانها ما قدرت الهتهم على
نصرهم ودعا نوح عليه السلام عليهم بعذاب اوحى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من
قد امن قال قتادة وغيره انما دعا عليهم الا بعد ان اخرج الله كل مؤمن من الاصلاب
واعقم ارحام نسائهم وهذا لا يظهر لانه قال انك ان تذرهم الاية بقوله ولا يلدوا الا
فاجرا كفارا يدل على انه لم يعقم ارحام نسائهم وقال ايضا محمد بن كعب والربيع بن
زيد لا يظهر كما قلنا وقد كان قبل ذلك طامعا في ايمانهم عاطفا عليهم وفي الحديث
ضربه ناس منهم احيانا حتى يغشى عليه فاذا افاق قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا
يعلمون وديارا من الفاظ العموم التي تستعمل في النفي وما اشبهه ووزنه فيعال
اصله ديوار اجتمعت اليا والواو وسبقت احداهما بالسكون فادغمت
وقال فيه دوار وزنه فعال ولو كان فعالا كان دوارا كما قالوا قيام وقوام والمعنى
معنى واحد وهو السكون من سكن دارا وقال الزمخشري وهو فيعال من الدور
او من الدار انتهى والدار ايضا من الدور والفها منقلبة عن واو ولا يلدوا
الا فاجرا كفارا وصفهم بهم حالة الولادة بما يصيرون اليه من الفجور والكفر
ولما دعا على الكفار استغفر للمؤمنين فبدا بنفسه ثم بمن وجب بره عليه ثم للمؤمنين

وكان نوح والله اعلم دعا للمؤمنين والمؤمنات وقرا الجمهور ولوالدي والدا‌ه صح
اسما ابوه لمك بن متوشلخ وامه شمخا بنت انوش وقيل هما ادم وحوا وقرا ابن
جبير والجحدري ولوالدي بكسر الدال فاما ان يكون خص اباه الاقرب او اراد
جميع من ولدوه الى ادم وقال ابن عباس لم يكفر لنوح اب ما بينه وبين ادم عليه
السلام وقرا الحسين بن علي ويحيى بن يعمر والنخعي والزهري وزيد بن علي ولولدي
يعنيه ولدين سام وحام ولمن دخل بيتي قال ابن عباس والجمهور ومسجدي
وعن ابن عباس ايضا بيتي يعني شريعتي استعار لها بيتا كما قالوا قبة الاسلام وفسطاط
الدين وقيل سفينته وقيل دار والمؤمنين والمؤمنات دعا لكل مؤمن
ومؤمنة في كل امة والتبار الهلاك الجد العظمة والجلال وجد في عيني ظم
وجل وقال ابو عبيدة والاخفش الملك والسلطان والجد الحظ والجدات الا
الحرس اسم جمع الواحد حارس كخدم وواحده خادم وقد جمع على احراس قال
تجاوزت احراسا واهوال معشر الشاهد والشهاد والحارس الحافظ للشي
وفيه ترقبه الفرد السير الحلقة الواحد منه قال الشاعر
القاصد للقاسط الهادي بطاعته في سنة الناس ادا اهتوا وهم ورد
قال الكميت
جهنت بالراب منهم كل رافضة اذ هم طرائق اهواهم قدد
يحري الشي طلبه باجتهاد وتوخاه وقصده العرق الكسر المتدحج لبدن وهو ما
يركب بعضه على بعض ومنه لبد الاسد وقال للجراد الكثير لبد ومنه اللبد وهو
الذي يفرش لتداخل صوفه ودخل بعضه في بعض
بسم الله الرحمن الرحيم
قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به
ولن نشرك بربنا احدا وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وانه كان يقول
سفيهنا على الله شططا وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا وانه
كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وانهم ظنوا كما ظننتم
ان لن يبعث الله احدا وانا لمسنا السما فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا

كنا

كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا وانا لا ندري اشر اريد
بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق
قددا وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا وانا لما سمعنا الهدى امنا
به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا وانا منا المسلمون ومنا القاسطون
فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا هذه السورة
مكية ومناسبتها لما قبلها انه لما حكى تمادي قوم نوح في الكفر وعكوفهم على عبادة الاصنام
وكان اول رسول الى الارض كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم اخر رسول الى الارض
والعرب الذين هو منهم صلى الله عليه وسلم كانوا عبادا اصنام كقوم نوح حتى انهم عبدوا
اصناما مثل اصنام اولئك في الاسما وكان ما جا به محمد صلى الله عليه وسلم من
القران هاديا الى الرشد وقد سمعته العرب وتوقف عن الايمان به اكثرهم انزل الله
سورة الجن اثر سورة نوح تبكيتا لقريش والعرب في كونهم تباطوا عن الايمان
اذ كانت الجن خيرا منهم واقبل للايمان هذا وهم من غير جنس الرسول عليه السلام
ومع ذلك فبمجرد ما سمعوا القران استعظموه وامنوا به للوقت وعرفوا انه ليس
من نمط كلام الناس بخلاف العرب فانه نزل بلسانهم وعرفوا كونه معجزا وهم مع ذلك
مكذبون له ولمن جا به حسدا وبغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده
قرا الجمهور قل اوحي رباعيا وابو ثعلبة العتكي عن ابي عمرو وابو اناس جؤبة
ابن عائذ الاسدي وحي ثلاثيا يقال وحي واوحي بمعنى واحد قال العجاج
وحي لها القرار فاستقرت وقرا زيد بن علي وجؤبة فيما روى عنه الكسائي وابن
ابي عبلة احي بابدال الواو همزة كما قالوا في وعد اعد وقال الزمخشري وهو
من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة انتهى وليس كما ذكر بل في ذلك تفصيل
وذلك ان الواو المضمومة قد تكون اولا وحشوا واخرا ولكل منها احكام وفي بعضها
خلاف وتفصيل مذكور في كتب النحو قال الزمخشري وقد اطلقه المازني في المكسورة
ايضا كاشاح واسادة واعاء اخيه انتهى يعني انه يقيس ذلك وكان ذكر هذا في
وعاء اخيه في سورة يوسف عليه السلام ومن المازني في ذلك قولان احدهما القياس
كما قاله الزمخشري والجن فقد دل ذلك على السماع وانه استمع في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله

اي استمع نفر من الجن والمشهور ان هذا الاستماع هو المذكور في الاحقاف في قوله
تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن وهي قصة واحدة وقيل
قصتان والجن الذين اتوه بمكة جن نصيبين والذين اتوه بنخلة جن نينوى
والسورة التي استمعوها قال عكرمة اقرأ باسم ربك وقيل سورة الرحمن ولم
يتعرض الآية هنا ولا في سورة الاحقاف الى انه رآهم وكلمهم عليه السلام
وبظاهر من الحديث ان ذلك كان مرتين اخذا مما في مسند اسمعي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويصون الوقت الذي اخبرنه عبد الله بن مسعود انه لم يكن معهم
ليلة الجن وقد كانوا يفقدونه عليه السلام فالتمسوه في الاودية والشعاب
فلم يجدوه فلما اصبح اذ هو جاء من قبل حراء فقيل اتاني داعي الجن فذهبت معه
فقرأت عليهم القرآن فانطلق بنا وارانا آثارهم وآثار نيرانهم والمرة الاخرى كان معه
ابن مسعود وقد استبعد الرسول بعض القوم منهم الى ان يتلوا القرآن على الجن
فلم يمر احد غير عبد الله فذهب معه الى الحجون عند الشعب فخط عليه خطا وقال
لا تجاوزه فانحدر عليه كذا عليه السلام امثال الحجل يحدرون الحجارة باقدامهم
يمشون في دفوفهم كما يمشي النسوة في دفوفهن حتى غشوه فلا اراه فقمت
فاومى الي بيده اذا جلس وتلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا بالارض
حتى ما اراهم الحديث —— وقد تقدم انهما قصتان اختلف فيهم في العدد
فقد سبعة وقيل تسعة وعن زر كانوا اثني عشر من اهل حران واربعة من اهل
نصيبين وقرية باليمن الغربة التي بالعراق وعن عكرمة كانوا اثني عشر الفا
من جزيرة الموصل وان شيعة من اثني عشر الفا فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا اي
قالوا لقومهم لما رجعوا اليهم ووصفوه بانه يقولهم عجبا وصفا بالمصدر على سبيل
المبالغة اي هو عجب في نفسه لفصاحة كلامه وحسن مبانيه ودقة معانيه وغرابة
اسلوبه وبلاغة مواعظه وكونه مباينا لسائر الكتب ما خرج عن حد اشكاله
ونظائره يهدي الى الرشد اي يدعو الى الصواب وقيل الى التوحيد والايمان
وقرأ الجمهور الرشد بضم الراء وسكون الشين وعيسى بفتحهما وعنه ايضا ضمهما
فآمنا به اي بالقرآن ولما كان الايمان به متضمنا الايمان بالله وبوحدانيته وبراءته

من

من الشرك قالوا ولن نشرك بربنا احدا وقرأ الحرميان والابوان بفتح الهمزة
من قوله وانه تعالى جد ربنا وما بعده وهي اثنا عشر حرفا وانا منا المسلمون وباقي
السبعة بالكسر فاما الكسر فواضح لانها معطوفات على قوله انا سمعنا فهي
داخلة في معمول القول واما الفتح فقال ابو حاتم على اوحي فهو كله في موضع رفع
على ما لم يسم فاعله انتهى وهذا لا يصح لان من المعطوف ما لا يصح دخوله تحت اوحي
وهو كل ما كان فيه ضمير المتكلم كقوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الا ترى انه
لا يلائم اوحي الي انا كنا نقعد منها مقاعد وكذلك باقيها وخرجت قراءة الفتح على ان
تلك كلها معطوفة على الضمير المجرور في به من قوله فآمنا به اي وبانه وكذلك
باقيها وهذا جائز على مذهب الكوفيين وهو الصحيح وقد تقدم احتجاجنا على صحة
ذلك في قوله وكفر به والمسجد الحرام قال مكي هو اجود في ان منه في غيرها لكثرة حذف
حرف الجر مع ان وقال الزجاج وجهه ان يكون محمولا على آمنا به لان معناه صدقنا
وعلمناه فيكون المعنى فآمنا انه تعالى جد ربنا وسبقه الى نحو هذا الفراء قال فتحت ان
لوقوع الايمان عليها وانت تجد الايمان يحسن في بعض ما فتح دون بعض فلا يمنعك
ذلك من امضائهن على الفتح فانه يحسن فيه ما يجب فيه ان يحسن صدقنا وشهدنا
واشار الفراء الى ان بعض ما فتح مناسب تسلط آمنا عليه نحو قوله وانا ظننا ان لن
تقول الجن والانس على الله كذبا وسبقهما الزمخشري فقال ومن فتح كلهن فعطفا على
محل الجار والمجرور في آمنا به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا وانه كان
يقول سفيهنا وكذا البواقي انتهى ولم يتفطن لما تفطن له الفراء من ان بعضها لا يحسن
ان يعمل فيه آمنا وقرأ الجمهور جد ربنا بفتح الجيم ورفع الدال مضافا الى ربنا اي عظمته قاله
الجمهور قال السدي والحسن غناه وقال مجاهد ذكره وقال ابن عباس قدرته وامره وقرأ
عكرمة جد منونا ربنا مرفوع الباء كانه قال عظيم هو ربنا فربنا بدل والجد في اللغة العظيم
وقرأ حميد بن قيس جد بضم الجيم مضافا ومعناه العظيم حكاه سيبويه وهو من اضافة الصفة
الى الموصوف والمعنى تعالى ربنا العظيم وقرأ عكرمة ايضا جدا ربنا بفتح الجيم والدال ورفع
ربنا وانتصب جدا على التمييز المنقول من الفاعل اصله تعالى جد ربنا وقرأ قتادة وعكرمة
ايضا جدا بكسر الجيم والتنوين نصبا ربنا رفع قال ابن عطية نصب على الحال ومعناه

تعالى جده وغناه وقال عكرمة هو صفة لمصدر محذوف تقديره تعاليا جدا ربنا
مرفوع بتعالى وقرأ ابن السميفع جدا ربنا اي جدا ربنا وتعظيما وقال الجمهور يقول سفيهنا
هو ابليس وقيل هو اسم جنس لكل سفيه وابليس مقدم السفهاء والشطط التعدي
ومجاوزة الحد قال الاعشى

اتنتهون ولن ينهى ذوي شطط كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

ويقال اشط في السوم اذا ابعد فيه اي قولا هو في نفسه شطط وهو نسبة الصاحبة
والولد الى الله تعالى وانا ظننا الآية اي كنا حسنا الظن بالانس والجن واعتقدنا
ان احدا لا يجترئ على ان يكذب على الله فينسب اليه الصاحبة والولد فاعتقدنا صحة
ما اغوانا به ابليس ومردته حتى سمعنا القرآن فتبينا كذبهم وقرأ الجمهور ان لن
تقول مضارع قال وقرأ الحسن والجحدري وعبد الرحمن بن ابي بكرة ويعقوب وابن مقسم
تقول مضارع تقول حذف احدى التاءين وانتصب كذبا في قراءة الجمهور بتقول
لان الكذب نوع من القول او على انه صفة لمصدر محذوف اي قولا كذبا اي مكذوبا
فيه وفي قراءة التقول على انه مصدر لتقول لانه هو الكذب فصار كقعدت جلوسا
وانه كان رجال روى الجمهور ان الرجل اذا اراد المبيت او الحلول في واد نادى
باعلى صوته يا عزيز هذا الوادي اعوذ بك من السفهاء الذين في طاعتك فيعتقد
بذلك ان الجني الذي بالوادي يمنعه ويحميه وروي ان الجن كانت تقول عند
ذلك انا لا نملككم ولا انفسنا من الله شيئا قال مقاتل اول من تعوذ بالجن قوم من اليمن
ثم بنو حنيفة ثم فشا ذلك في العرب والظاهر ان الضمير المرفوع في فزادوهم عائد
على رجال من الانس لانهم المحدث عنهم وهو قول مجاهد والنخعي وعبيد بن عمير فزادوهم
اي الانس رهقا اي جراة وانتحا وطغيانا وغشيانا للمحارم واعجابا بحيث قالوا
سدنا الانس والجن وفسر قوم الرهق بالاثم وانشد الطبري في ذلك بيت الاعشى

لا شيء ينفعني من دون رؤيتها هل يشتفي وامق ما لم يصب رهقا

قال معناه ما لم يغش محرما فالمعنى زادت الانس الجن ما يحل لانهم
عظموهم فزادوهم استحلالا لمحارم الله وقال قتادة وابو العالية والربيع وابن زيد
فزادوهم اي الجن زادت الانس بحيث انه يتخيلون لهم بمنتهى طاقتهم ويغوونهم لما راوا

من

من خفته لحلاهم وان زادوهم واجتروا عليهم وقال ابن جبير رهقا كفرا ولا يطلق
لفظ الرجال على الجن فالمعنى وانه كان رجال من الانس يعوذون من شر
الجن برجال من الانس وكان الرجل يقول مثلا اعوذ بحذيفة بن بدر من جن
هذا الوادي وهذا قول غريب وانهم اي كفار الانس ظنوا كما ظننتم
ايها الجن خطاب من بعضهم لبعض وظنوا وظننتم كل منهما يطلب ان لن يبعث
فالمسئلة من باب الاعمال وان هي المخففة من الثقيلة والضمير وانهم يعود
على الجن والخطاب في ظننتم لقريش وهذا والذي قبله هو من الموحى به لا من كلام الجن
ان لن يبعث الله احدا الظاهر انه بعثة الرسالة الى الخلق وهو انسب لما تقدم من
الآية ولما جاء وقيل بعثه للقيامة وانا لمسنا السماء اصل اللمس المس ثم استعير
للطلب والمعنى طلبنا بلوغ السماء لاستماع كلام اهلها فوجدناها ملئت الظاهر ان وجد
بمعنى صادف واصاب وتعدت الى واحد والجملة من ملئت في موضع الحال واجيز
ان تكون تعدت الى اثنين فملئت في موضع المفعول الثاني وقرأ الاعرج ملئت بالياء
دون همز والجمهور بالهمز وحرسا اسم مفرد في معنى الحرس على اللفظ لانه اسم جمع كما قال

اخشى رجيلا او ركيبا غاديا

ولو لحظ المعنى لقال شدادا بالجمع والظاهر
ان المراد بالحرس الملائكة الحفظة اي حافظين من ان تقربها الشياطين وشهبا جمع شهاب وهو
ما يرجم به الشياطين اذا استمع قيل ويحتمل ان يكون الشهب هو الحرس وكرر
المعنى كما اختلف اللفظ كقوله

وهند اتى من دونها النأي والبعد

وقوله فوجدناها ملئت يدل على انها كانت قبل لا تحفظ من السماء ولا يحرسها
قد ملئت فلما رجم تعقد ومن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة قعود الجن
انهم كانوا واحدا فوق واحد فمتى احترق الاعلى طلع الذي تحته مكانه فكانوا يسترقون
الكلمة فيلقونها الى الكهان ويزيدون معها ثم يزيد الكهان للكلمة مائة كذبة فمن يستمع
الآن ظرف زمان للحال ويستمع مستقبل فاتسع في الظرف واستعمل للاستقبال
كما قال

سأسعى الآن اذ بلغت اناها

فالمعنى فمن يقع منه استماع
في الزمان الآتي يجد له شهابا رصدا اي يرصده فيحرقه هذا لمن استمع واما السمع فقد
انقطع كما قال تعالى انهم عن السمع لمعزولون والرجم كان في الجاهلية ولكنه زجر

في شعر اهل الجاهلية وقول عليه الحرس فمن راى عليه السلام الجاهلين رمى به قال
ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية قالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم
وقال اوس بن حجر وانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا
وقال عوف بن الخرع
فرد علينا العير من دون الفه او الثور كالدري يتبعه الدم
قال بشر بن ابي خازم
والعير يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب
قال الشيخ وهولاء الشعراء كلهم جاهليون ليس فيهم مخضرم وقال معمر قلت للزهري
اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت افرايت قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد
للسمع فقال غلظت وشدد امرها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الجاحظ
القول بالرمي اصح لقوله فوجدناها ملئت وهذا اخبار عن الجن انه زيد في حرس السماء
حتى امتلات ولما روي عن ابن عباس ذكر الحديث السابق وقال الزمخشري ما معناه
وفي قوله ملئت دليل على ان الحادث هو الملء والكثرة وكذلك نقعد منها مقاعد
اي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والان ملئت المقاعد كلها انتهى
وهذا كله يبطل قول من قال ان الرجم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم و
احدى اياته والظاهر ان رصدا على معنى راصد وقال الزمخشري والرصد مثل الحرس
اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب
ويمنعونهم من الاستماع ولما راوا ما حدث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قالوا انا
لا ندري اشر اريد بمن في الارض وهو كفرهم بهذا النبي فينزل بهم الشر ام اراد بهم
ربهم رشدا فيؤمنون به فيرشدون وحين ذكروا الشر لم يسندوه الى الله تعالى
وحين ذكروا الرشد اسندوه اليه تعالى وانا منا الصالحون اخبروا بما هم عليه
من صلاح ومنهم منا دون ذلك اي دون الصالحين ويقع دون في مواضع موقع
غير وكانه قيل ومنا غير صالحين ويجوز ان يريد ومنا دون ذلك اي الصالح
الذي فيهم ابرار ومنهم من هو غير كامل في الصلاح ودون في موضع الصفة لمحذوف
اي ومنا قوم دون ذلك ويجوز حذف هذا الموصوف في التفصيل بمن حتى

في الجمل قالوا منا ظعن ومنا اقام يريدون منا فريق ظعن ومنا فريق اقام والجملة من قوله كنا
طرائق قددا تفسير للتقسيم المتقدم وقال ابن عباس وعكرمة وقتادة اهواء مختلفة وقيل
فرقا مختلفة وقال الزمخشري اي كنا ذوي مذاهب مختلفة كقوله
كما عسل الطريق الثعلب او كانت طرائقنا طرائق قددا على حذف المضاف
الذي هو الطرائق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه انتهى فقدر
الاول بحذف المضاف من طرائق واقامة المضاف اليه مقامه انتهى قدر في ومثل
واما التقدير الاول وهو انه ينتصب على اسقاط في فلا يجوز ذلك الا في الضرورة وقد نص
سيبويه على ان عسل الطريق شاذ فلا يخرج القرآن عليه وانا ظننا اي ايقنا ان لن نعجز الله اي
ايضا في الارض اي كائنين في الارض ولن نعجزه هربا اي من الارض الى السماء وفي الارض
وهربا حالان اي فارين او هاربين وانا لما سمعنا الهدى وهو القرآن امنا به اي
بالقرآن فمن يؤمن بربه فلا يخاف اي فهو لا يخاف وقرا ابن وثاب والاعمش فلا
يخف وخرجت قراءتهما على النهي ودخول الفاء اذ ذاك لا معنى وليس بشيء وكان الجواب
بالفاء اجود من المجيء بالفعل مجزوما دون الفاء لانه اذا كان بالفاء كان على اضمار
مبتدا اي فهو لا يخاف والجملة الاسمية ادل واكد من الفعلية على تحقيق مضمون الجملة
بخسا قال ابن عطية نقصا من الحسنات ولا رهقا قال زيادة في السيئات وقيل
ولا رهقا لحمل ما لا يطاق وقال الزمخشري اي جزاء بخس ولا رهق لانه لم يبخس احدا
حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاءهما ذلك من قوله عز وجل ترهقهم ذلة وقرا الجمهور بخسا بسكون
الخاء وابن وثاب بفتحها ومنا القاسطون اي الكافرون الجائرون عن الحق قال مجاهد وقتادة
والقاسط الظالم ومنه قول الشاعر
قوم هم قتلوا ابن هند عنوة عمرا وهم قسطوا على النعمان
وجاء هنا التقسيم وانما كان قد تقدم وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك ليتحرر حال
الفريقين من النجاة والهلكة ويرغب من يدخل في الاسلام والظاهر ان فمن اسلم الى اخره
المتوسطين من كلام الجن وقال ابن عطية الوجه ان يكون فمن اسلم مخاطبة من الله تعالى لمحمد
صلى الله عليه وسلم ويؤيده ما بعده من الآيات وقرا الاعرج رشدا بضم الراء وسكون الشين
والجمهور بفتحهما وقال الزمخشري وقد زعم من لا يرى للجن ثوابا ان الله تعالى اوعد قاسطيهم

وما ذكر مسلمهم وكفى به ذكرا ان ذلك تحروا رشدا اذ ذكر سبب الثواب وموجبه
والله اعدل من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد انتهى وفيه دسيسة الاعتزال في
قوله وموجبه

وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه
عذابا صعدا وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون
عليه لبدا قال انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن
يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله
فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل
عددا قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه
احدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا
رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شيء عددا وان لو استقاموا هذا من جملة الموحى
المندرج تحت اوحي الي وان مخففة من الثقيلة والضمير في استقاموا قال الضحاك والربيع بن
انس وزيد بن اسلم وابو مجلز وهو عائد على قوله فمن اسلم والطريقة طريقة الكفر لو كفر
من اسلم من الناس لاسقيناهم املاء لهم واستدراجا واستعارة الاستقامة للكفر ولعله لا
يناسب وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جبير هو عائد على القاسطين والمعنى على
طريقة الاسلام والحق لانعمنا عليهم نحو قوله ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا الاية وقيل
الضمير في لو استقاموا عائد على الخلق كلهم وان هي المخففة من الثقيلة لاسقيناهم ماء غدقا
كناية عن توسعة الرزق لانه اصل المعاش وقال بعضهم المال [illegible] وقرا الجمهور غدقا
بفتح الدال وعاصم في رواية الاعشى بكسرها ويقال غدقت العين تغدق فهي غدقة
اذا كثر ماؤها لنفتنهم فيه اي لنختبرهم كيف يشكرون ما انعم عليهم به او لنمتحنهم ولنستدرجهم
وذلك على الخلاف فيمن يعود عليه الضمير في استقاموا وقرا الاعمش وابن وثاب [illegible] والجمهور
بكسرها وقرا الكوفيون يسلكه بالياء والباقون نسلكه بالنون يقال سلك واسلك قال
حتى اذا اسلكوهم في قتائدة وقرا الجمهور صعدا بفتحتين فهو مصدر صعد وصف به العذاب
اي يعلو المعذب ويغلبه وفسر بشاق يقال فلان في صعد من امره اي في مشقة وقال
عمر ما تصعدني شيء ما تصعدني خطبة النكاح اي ما شق علي وقال ابو سعيد الخدري

وابن

وابن عباس صعد جبل في النار قال الخدري كلما وضعوا ايديهم عليه ذابت وقال عكرمة هو صخرة في
جهنم يكلفهم تطلع صعودها فاذا انتهوا الى اعلاها حدروا الى جهنم فعلى هذا يجوز ان يكون بدلا
من عذابا على حذف مضاف اي عذاب صعد ويجوز ان يكون صعدا مفعول يسلكه وعذابا مفعول
من اجله وقرا قوم صعدا بضمتين وابن عباس والحسن بضم الصاد وفتح العين قال الحسن معناه لا
راحة فيه وقرا الجمهور وان المساجد بفتح الهمزة عطفا على انه استمع فهو من جملة الموحى وقال
الخليل معنى الاية لان المساجد لله فلا تدعوا اي لهذا السبب وكذلك عنده لايلاف قريش
فليعبدوا وكذلك وان هذه امتكم امة واحدة وقرا ابن هرمز وطلحة وان المساجد بكسرها
على الاستئناف وعلى تقدير الخليل فالمعنى لا تدعوا مع الله احدا في المساجد لانها لله خاصة ولعبادته
والظاهر ان المساجد هي البيوت المعدة للصلاة والعبادة في كل ملة وقال الحسن كل موضع
سجد فيه كان مخصوصا بذلك او لم يكن اذ الارض كلها مسجد لهذه الامة وقال ابن جبير وعطا ان
المراد بها الاراب التي يسجد عليها واحدها مسجد بفتح الجيم وهي الجبهة والانف واليدان
والركبتان والقدمان نعم الجبهة والانف واحد وقال ابن عباس المراد المسجد الحرام
لانه قبلة المساجد ومن قال انه جمع مسجد وهو السجود وروي انها نزلت حين تغلبت قريش
على الكعبة فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم المواضع كلها لله فاعبد حيث شئت وقال ابن جبير
نزلت لان الجن قالت يا رسول الله كيف نشهد الصلاة معك على نائينا عنك فنزلت الاية
ليخاطبهم بها على معنى ان عبادتكم حيث كنتم مقبولة وعن قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا
كنائسهم اشركوا بالله فامرنا ان نخلص لله الدعوة اذا دخلنا المساجد وقرا الجمهور وانه
لما قام بفتح الهمزة عطفا على انه استمع وان المساجد بالفتح وقرا ابن هرمز وطلحة
ونافع وابو بكر بكسرها على الاستئناف وعبد الله هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو
اي يدعو الله كادوا اي كاد الجن قاله ابن عباس والضحاك يتقصفون عليه لاستماع القران
وقال الحسن وقتادة الضمير في كادوا لاصحابه الذين يطوعون له ويقتدون
به في الصلاة قال الزمخشري فان قلت هلا قيل رسول الله او النبي قلت لان تقديره واوحي
الي انه لما قام عبد الله فلما كان واقعا في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه جيء به على
ما يقتضيه التواضع والتذلل او لان المعنى ان عبادة عبد الله لله ليست بامر مستبعد عن العقل
ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا ومعنى قام يعبده يريد قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين اتاه الجن فاستمعوا القراءة

كادوا يكونون عليه لبدا أي يزدحمون عليه متراكبين تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء أصحابه به قائما وراكعا وساجدا وإعجابا بما تلا من القرآن لأنهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه يكونون عليه جماعات ... وقرأ الجمهور لبدا بكسر اللام وفتح الباء جمع لبدة نحو كسرة وكسر وهي الجماعات شبهت بالشيء المتلبد بعضه فوق بعض ومنه قول عبد مناف بن ربع

صافوا بستة أبيات وأربعة حتى كأن عليهم جابيا لبدا

وقال ابن عباس أعوانا وقرأ مجاهد وابن محيصن وابن عامر بخلاف عنه بضم اللام جمع لبدة كزبرة وزبر وعن ابن محيصن وابن عامر أيضا تسكين الباء وضم اللام لبدا وقرأ الحسن والجحدري وأبو حيوة وجماعة عن أبي عمرو بضمتين جمع لبد كرهن ورهن أو جمع لبود كصبور وصبر وقرأ الحسن والجحدري بخلاف عنهما لبدا بضم اللام وشد الباء جمع لابد وأبو رجاء بكسرها وشد الباء وقال الحسن وقتادة وابن زيد لما قام الرسول للدعوة تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه فأبى الله إلا أن ينصره ويتم نوره واختار الطبري ... وقيل عبد الله هنا نوح عليه السلام كاد قومه يقتلونه حتى استنقذه الله منهم قاله الحسن وأبعد منه قول من قال إنه عبد الله بن سلام وقرأ الجمهور قال إنما أدعو ربي أي قال للمتظاهرين عليه إنما أدعو ربي يعني لم آتكم بأمر منكر إنما أعبد ربي وحده وليس ذلك مما يوجب إطباقكم على عداوتي أو قال للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادة الله بأمر يتعجب منه إنما يتعجب ممن يعبد غيره أو قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا كله مبني على أن الضمير في عبد الله ... وقرأ عاصم وحمزة وأبو عمرو بخلاف عنه قل على الأمر ... وأما المتظاهرون عليه فيما ... أمره تعالى أن يقول لهم ما يدل على تبريه من القدرة على إيصال خير أو شر إليهم وجعل الضر مقابلا للرشد تعبيرا به عن الغي إذ ثمرة الضلال هو الضر ... أن يكون المعنى ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فحذف من كل ما يدل عليه مقابله وقرأ الأعرج رشدا بضمتين ولما تبرأ عليه السلام من قدرته على نفعهم وضرهم أمر أن يخبرهم أنه مربوب لله يفعل فيه ما يريد وأنه لا يمكنه أن يجيره منه أحد ولا يجد من دونه ملتحدا يركن إليه قال ... ملجأ وقال السدي حرزا وقال الكلبي مدخلا في الأرض وقيل ناصرا وقيل مذهبا ومسلكا ومنه قول الشاعر

يا لهف

يا لهف نفسي ونفسي غير مجزية عني وما من قضاء الله ملتحد

وقيل في الكلام حذف وهو قالوا له اترك ما تدعو إليه ونحن نجيرك فقيل له قل إني لن يجيرني وقيل هو جواب لقول وردان سيد الجن وقد ازدحموا عليه قال وردان أنا أرحلهم عنك فقال إني لن يجيرني من الله أحد ذكره الماوردي إلا بلاغا قال الحسن هو استثناء منقطع أي لن يجيرني أحد لكن إن بلغت رحمني بذلك والإجارة للبلاغ مستعارة إذ هو سبب إجارة الله تعالى ورحمته والإجارة للبلاغ مستعارة إذ هو سبب لإجارة الله تعالى ورحمته وقيل على هذا المعنى هو استثناء متصل والمعنى لن أجد شيئا أميل إليه وأعتصم به إلا أن أبلغ وأطيع فيجيرني الله فيجوز نصبه على الاستثناء من ملتحدا أو على البدل وهو الوجه لأن قبله نفيا وعلى البدل خرجه الزجاج وقال أبو عبد الله الرازي هذا الاستثناء منقطع لأنه لم يقل ولن أجد أحدا ملتحدا بل قال لن أجد من دونه ملتحدا والبلاغ من دونه لا يكون داخلا تحت قوله من دونه ملتحدا لأنه لا يكون من دون الله بل يكون من الله وبإعانته وتوفيقه وقال قتادة إن المعنى لا أملك إلا بلاغا إليكم فأما الإيمان والكفر فلا أملكه انتهى وفيه بعد لطول الفصل بينهما وقيل إلا في تقدير إن لا فتكون إن شرطية ولا نافية وحذف الفعل بعدها لدلالة المصدر عليه والتقدير إن لا أبلغ بلاغا من الله ورسالاته وهذا كما تقول إن لا قياما فقعودا أي إن لم تقم قياما فاقعد قعودا وحذف هذا الفعل قد يكون لدلالة عليه قبله أو بعده كما حذف هنا في قوله

فطلقها فلست لها بكفء وإلا يعل مفرقك الحسام

التقدير وإلا تطلقها فحذف تطلقها لدلالة فطلقها عليه ... مانعا العامل أي لا أملك إلا إبلاغا من الله وقوله إني لن يجيرني جملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى أن الله إن أراد به سوءا من مرض أو موت أو غيرهما لم يصح أن يجيره منه أحد أو يجد من دونه ملاذا يأوي إليه انتهى ورسالاته قيل عطف على بلاغا أي إلا أن أبلغ عن الله أو أبلغ رسالاته عطف على الله أي إلا أن أبلغ عن الله وعن رسالاته ومن يعص الله ورسوله أي بالشرك والكفر ويدل عليه قوله خالدين فيها أبدا وقراءة الجمهور فإن له بكسر الهمزة وقرأ طلحة بفتحها والتقدير فجزاؤه أن له قال ابن خالويه وسمعت ابن مجاهد يقول ما قرأ به أحد وهو لحن لأنه بعد فاء الشرط وسمعت ابن الأنباري يقول هو صواب

وَمعنا. محراو ان له نار جهنم انتهى وكان ابن مجاهد اماما في القراات ولم يكن متسع النقل
فيها كابن مسعود وكان ضعيفا في النحو وكيف يقول ما قرا به احد وهذا طلحة بن
مصرف قرا به وكيف يقول وهو لحن والنحويون قد نصوا على ان بعد فاء الشرط
يجوز فيها الفتح والكسر وجمع خالدين حملا على معنى من وذلك بعد الحمل على لفظ قوله بعض
فان له حتى اذا راوا حتى هنا حرف ابتدا اى يصلح ان يجي بعدها جملة الابتدا والخبر ومع
ذلك فيها معنى الغاية قال الزمخشري فان قلت بم تعلق حتى وجعل ما بعده غاية له قلت
بقوله يكونون عليه لبدا على انهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون انصاره ويستقلون
عدده حتى اذا راوا ما يوعدون من يوم بدر واظهار الله له عليهم او من يوم القيامة فسيعلمون
حينئذ انهم اضعف ناصرا واقل عددا ويجوز ان يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف
الكفار واستقلالهم لعدده كانه قال لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون قال
المشركون متى يكون هذا الموعود انكارا له فقيل قل انه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه
فان الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد واما وقته فما ادري متى يكون لان الله لم يبينه
لما راى في اخفاء وقته من المصلحة انتهى وقوله بم تعلق يعني تعلق حرف الجر فليس بصحيح
لانها حرف ابتدا ما بعدها ليس في موضع جر خلافا للزجاج وابن درستويه فانهما زعما انها
اذا كانت حرف ابتدا فالجملة الابتدائية بعدها في موضع جر وان عنى بالتعلق اتصال ما بعدها
بما قبلها وكون ما بعدها غاية لما قبلها فهو صحيح واما تقديره انها تتعلق بقوله يكونون عليه
لبدا فهو بعيد جدا لطول الفصل بينهما بالجمل الكثيرة وقال التبريزي حتى جاز ان تكون غاية
لمحذوف ولم يبين ما [illegible] حتى اذا راوا ما يوعدون من الساعة فسيعلمون من اضعف ناصرا
واقل عددا هم ام اهل الايمان والذي يظهر انها غاية لما تضمنته الجملة التي قبلها من الحكم
بكينونة النار لهم كانه قيل ان العاصي يحكم له بكينونة النار له والحكم بذلك هو وعيد حتى اذا
راوا ما حكم بكينونته لهم فسيعلمون فقوله فان له نار جهنم هو وعيد لهم بالنار ومن اضعف
مبتدا محذوف [illegible] والجملة صلة لمن [illegible] هو اضعف وحسن حذفه طول الصلة بالمعمول
وهو ناصرا قال [illegible] مكحول لم ينزل هذا الا في الجن اسلم منهم من وفق وكفر من خذل
كالانس قال وبلغ من بايع النبي صلى الله عليه وسلم من الجن سبعين الفا وفرغوا عند
انشقاق الفجر امره تعالى ان يقول لهم انه لا يدري وقت حلول ما وعدوا به اهو قريب

ام

ام بعيد قال الزمخشري فان قلت ما معنى قوله ام يجعل له ربي امدا والامد يكون قريبا
وبعيدا الا ترى الى قوله تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا قلت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يستقرب الموعد فكانه قال ما ادري اهو حال متوقع في كل ساعة ام مؤجل ضربت
له غاية اى هو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول يعني انه
لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى وفي هذا ابطال
للكرامات لان الذين تضاف اليهم وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص
الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة والسحر والتنجيم لان اصحابها
ابعد شيء من الارتضاء وادخله في السخط انتهى وقال الحسن ما غاب عن خلقه وعن الساعة
وقال ابن عباس الا بمعنى لكن فجعله استثناء منقطعا وقيل الا بمعنى ولا اى ولا من
ارتضى من رسول وعالم الغيب خبر مبتدا محذوف اى هو عالم الغيب او بدل من ربي وقرئ عالم
بالنصب على المدح وقرا السدي علم الغيب فعلا ماضيا ناصبا الغيب والجمهور عالم اسم
فاعل مرفوعا وقرا الجمهور فلا يظهر من اظهر والحسن يظهر بفتح اليا والها من ظهر احدا
من ارتضى من رسول [illegible] رصدا اى حفظة [illegible] على من [illegible] ذلك فانه
يسلك الله من بين يدي ذلك الرسول ومن خلفه [illegible] ومن الضحاك ما بعث نبي الا ومعه
ملائكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا بصورة الملك وقال الفخر قال العلماء لما
تمدح سبحانه بعلم الغيب واستاثر به دون خلقه كان فيه دليل على انه لا يعلم الغيب
احد سواه ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فاودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي اليهم وجعله
معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم [illegible] ذكر استثنا لابطال ان ما يقوله المنجم
قال باستدلاله ذم المنجم وقال الواحدي هذا دليل على ان من ادعى ان النجوم تدل على ما
يكون من حياة او موت او غير ذلك فقد كفر بما في القران قال ابو عبد الله الرازي يجوز الوا حرب
تجوز الكرامات وان الله يعرف اولياءه وقوع الوقائع في المستقبل ونسبة الاية الى
الصورتين واحد فان جعل الاية دالة على المنع من احكام النجوم فليجعلها دالة على الكرامات
على ما قال صاحب الكشاف فجعلها تدل على المنع من الاحكام النجومية ولا يدل على الالهامات
لمجرد التشهي وعندي ان الاية لا تدل على شيء مما قالوه لان قوله على غيبه ليس فيه صفة عموم
فيكفي في العمل بمقتضاها انه لا يظهر خلقه تعالى على غيب واحد من غيوبه ونحمله على

وبتمام القصة فلا يبقى دليل في الآية على انه لا يظهر شيئا من الغيوب لاحد ويدل
انه ذكر هذه الآية عقيب قوله ان ادري اقريب ما توعدون الآية اي لا ادري
وقت وقوع القيمة اذ هي من الغيب الذي لا يظهره الله لاحد والانبيا يعرفون اشراطها
فمقطع كلامه قال فلا يظهر على غيبه المخصوص احدا الا من ارتضى من رسول فانه يحفظه
يحفظونه من شر مردة الانس والجن ثم قال ابو عبد الله الرازي رحمه الله واعلم انه لا بد
من القطع بانه ليس المراد من هذه الآية انه لا يطلع احدا على شيء من الغيب الا الرسل
والذي يدل عليه وجوه احدها انه ثبت بالاخبار القريبة من التواتر ان شقا وسطيحا
كانا كاهنين يخبران بظهور محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل زمان ظهوره
وكانا في العرب مشهورين بهذا النوع من العلم حتى رجع اليهما كسرى في تعرف
اخبار رسولنا عليه السلام وثانيها اطباق الامم على صحة علم التعبير فيخبر المعبر
عما ياتي في المستقبل ويكون صادقا وثالثها ان الكاهنة البغدادية التي نقلها
السلطان سنجر بن ملكشاه من بغداد الى خراسان سالها عن اشيا في
المستقبل فاخبرت بها ووقعت على وفق كلامها وقد رايت اناسا محققين في علم
الكلام والحكمة ذكروا عنها انها اخبرت عن الاشيا الغائبة على سبيل التفصيل
وكانت كذلك وبالغ ابو البركات صاحب المعتبر في شرح حالها في كتاب التعبير
وقال تفحصت عن حالها مدة ثلثين سنة حتى تيقنت انها كانت تخبر
عن المغيبات اخبارا مطابقة موافقة ورابعها انا نشاهد اصحاب الالهامات
الصادقة وليس هذا مختصا بالاوليا فقد يوجد في السحرة وفي الاحكام النجومية
ما يوافق الصدق وان كان الكذب يقع منهم كثيرا واذا كان ذلك مشاهدا
محسوسا فالقول بان القران يدل على خلافه مما يجر الطعن الى القران وذلك باطل
فعلمنا ان التاويل الصحيح ما ذكرناه انتهى وفيه بعض التلخيص واقول اما اورده فكلام
هذا الرجل في هذه المسئلة ليس لطرفيها ذكر من تلك الوجوه الا قصة شق وسطيح
وليس فيها شيء من الاخبار بالغيب لانه ما اخبر به رئي الكهان من الشياطين
مسترقة السمع كما جاء في الحديث انهم يسمعون الكلمة ويكذبون ويلقون الى الكهنة ويزيد
الكهنة للكلمة مائة كذبة وليس هذا من علم الغيب اذ تكلمت به الملائكة وتلقفها

الجن

الجن والمعقول منه الكاهن فالكاهن لا يعلم الغيب واما تعبير المنامات فالمعبر غير المعصوم
في تعبيره بذلك على سبيل اليقين والقطع بل على سبيل الحدس والتخمين فقد يقع ما يعبر
وقد لا يقع واما الكاهنة البغدادية وما حكي عنها فحسبه عقلا ان يستدل باحوال
امراة لم يشاهدها ولو شاهد ذلك لكان في عقله ما يحكونه انه ليس عليه هذا وهو
العالم المصنف الذي طبق بذكره الافاق وهو الذي يشكك في دلائل العلماء سفهه
وسائر المتقشف واما حكاية صاحب المعتبر فهو يهودي لم اسلام وهو
طريقة العلماء سفه واما مشاهدة اصحاب الالهامات الصادقة فلم نر العمر كونه كلام
وتبعتهم سنة صحب العلما واهد والى من سمي الصالح فلم ار منهم صاحب الهام
صادق واما الكرامات فانى لا اشك في صدور شيء منها لكن ذلك على سبيل الندرة وذلك
فيمن سلف من صلحا هذه الامة وربما قد يكون في اعصارنا من يصدر منه الكهانة لكرامة
والله تعالى ان يخص من يشا بما يشا وقرا الجمهور ليعلم مبنيا للفاعل قال قتادة ليعلم محمد
صلى الله عليه وسلم ان الرسل قبله قد بلغوا رسالات ربهم وحفظوا وقال ابن جبير
ليعلم محمد ان الملائكة الحفظة الرصد النازلين بين يدي جبريل وخلفه قد ابلغوا رسالات
ربهم وقال مجاهد ليعلم من اشرك او كذب ان الرسل قد بلغت وهذا القول لا يقع
لهم هذا العلم الا في الآخرة وقيل ليعلم الله رسله مبلغة خارجة الى الوجود
لانه علمه بكل شيء قد سبق واجاب ابن عطية بهذا القول الآخر فقال ليعلم الله ان قد
ابلغوا رسالات ربهم يعني الانبيا وحد اولا على اللفظ في قوله من بين يديه ومن خلفه
ثم جمع على المعنى كقوله فان له نار جهنم خالدين على المعنى ليبلغوا رسالات ربهم كاملة
محروسة من الزيادة والنقصان وذكر له نظيرا في قوله حتى نعلم المجاهدين منكم
وقيل ليعلم اي ابليس لعنه الله ان الرسل سواه بلغوا وقيل ليعلم الملبس
ان الرسل قد بلغوا رسالات ربهم سليمة من تخليطه واستراق اصحابه وقيل ليعلم الرسل
ان الملائكة بلغوا رسالات ربهم وقيل ليعلم محمد ان قد بلغ جبريل ومن معه اليه رسالة
ربه وقيل ليعلم الجن ان الرسل قد بلغوا ما انزل اليهم ولم يكونوا هم المبلغين باستراق
السمع وقرا ابن عباس وزيد بن علي ليعلم بضم اليا مبنيا للمفعول وقرا الزهري وابن ابي
عبلة بضم اليا وكسر اللام اي ليعلم الله اي من شا ان يعلمه ان الرسل قد ابلغوا

رسالات ربه وقرأ الجمهور رسالات على الجمع وأبو حيوة رسالة على الإفراد وقرأ الجمهور وأحاط
بما لديهم مبنيا للفاعل أي الله وأحصى مبنيا للفاعل أي الله كل منصوبا وابن أبي عبلة
وأحيط وأحصي مبنيا للمفعول كل رفع ولما كان ليعلم مضمنا معنى علم صار المعنى قد
علم ذلك فعطف وأحاط على ذلك المضمر والمعنى أحاط بما عند الرسل من الحكم والمواعظ
والشرائع لا يفوته منها شيء وأحصى كل شيء عددا أي معدودا محصورا وانتصابه على
الحال من كل شيء وإن كان نكرة لاندراج المعرفة في العموم ويجوز أن ينتصب نصب
المصدر لأحصى لأنه في معنى أحصى وقال أبو البقاء ويجوز أن يكون تمييزا ويكون
منقولا من المفعول إذ أصله وأحصى عدد كل شيء وفي كونه تمييزا منقولا من المفعول في لسان العرب
خلاف. مزمل هو به التف في ثيابه قال امرؤ القيس

كبير أناس في بجاد مزمل

وقال ذو الرمة

وكائن تخطت ناقتي من مفازة ومن نائم عن ليلها متزمل

تبتل إلى كذا انقطع إليه ومنه عيسى بتلة وطلقة بتلة والبتول وتبتل الحبل
قال الليث التبتل تمييز الشيء والبتول المرأة المنقطعة عن الرجال لا شهوة لها ولا حاجة
لها فيهم والمتبتل ترك النكاح والزهد فيه ومنه قول امرئ القيس

تضيء الظلام بالعشاء كأنها منارة ممسى راهب متبتل

ومنه النهي عن التبتل أي الانقطاع عن التزويج ومنه قيل للراهب متبتل لانقطاعه
عن الناس الغصة الشرق في الحلق الغصة الشجى وهو ما ينشب بالحلق من عظم أو غيره
وجمعها غصص والفعل غصصت فأنت غاص وغصان قال

كنت كالغصان بالماء اعتصاري

الكثيب الرمل المجتمع وجمعه كثب وكثبان في الكثرة وأكثبة في القلة.

قال ذو الرمة

فقلت لها لا إن أهلي لجيرة لأكثبة الدهنا جميعا وماليا

المهيل الذي يحرك أسفله فينهال عليه التراب من أعلاه وقال الكلبي المهيل إذا
وطئته القدم زل من تحتها وإذا أخذت أسفله انهال والمهيل في ... الشيب

جمع أشيب. سورة المزمل بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا
نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا
إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا إن لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك
وتبتل إليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا واصبر على ما
يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا إن لدينا
أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما يوم ترجف الأرض والجبال وكانت
الجبال كثيبا مهيلا إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا
فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا. هذه السورة مكية كلها في قول
الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة إلا آيتين منها واصبر على ما
يقولون والتي تليها ذكره الماوردي وقال الجمهور هي مكية إلا قوله تعالى إن ربك يعلم
إلى آخرها فإنه نزل بالمدينة وسبب نزولها فيما ذكر الجمهور أنه عليه السلام لما جاءه
الملك في غار حراء وحاوره رجع إلى خديجة فقال زملوني زملوني فنزلت
يا أيها المدثر وعلى هذا نزلت يا أيها المزمل وقالت عائشة والنخعي وجماعة نودي بذلك
لأنه كان في وقت نزول الآية متزملا بكساء وقال قتادة كان يتزمل في ثيابه للصلاة
واستعد فنودي على معنى يا أيها المستعد للعبادة وقال عكرمة معناه يا أيها المزمل للنبوة
وأعبائها أي المتشمر المجد فعلى هذا يكون المزمل مجازا وعلى ما سبق يكون حقيقة
وما روي أن عائشة سئلت ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله أربع عشرة
ذراعا نصفه علي وأنا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي إلى آخر الرواية كذب صراح لأن
نزول يا أيها المزمل بمكة في أوائل مبعثه وتزويجه عائشة كان بالمدينة ومناسبة هذه
السورة لما قبلها أن في آخر ما قبلها عالم الغيب الآيات فأتبعه بقوله يا أيها المزمل
إعلاما بأنه صلى الله عليه وسلم ممن ارتضاه من الرسل وخصه بخصائص وكفاه
شر أعدائه وقرأ الجمهور المزمل بشد الزاي وكسر الميم أصله المتزمل فأدغمت التاء
في الزاي وقرأ أبي المتزمل على الأصل وعكرمة بتخفيف الزاي أي المزمل جسمه أو نفسه
وقرأ بعض السلف بتخفيف الزاي وفتح الميم أي الذي لفه غيره وللزمخشري في تفسيره
نداء الله له بهذا الوصف كلام ضربت عنه صفحا فلم أذكره في كتابي وقال السهيلي

ليس المزمل باسم من أسمائه عليه السلام يعرف به وإنما هو مشتق من حالته التي كان
التبس بها حالة الخطاب والعرب إذا قصدت الملاطفة بالمخاطب وترك المعاتبة نادوه
باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه
ولصق بجنبه التراب قم أبا تراب إشعارا بأنه ملاطف له فقوله يا أيها المزمل فيه تأنيس
وملاطفة وقرأ الجمهور قم الليل بكسر الميم على أصل التقاء الساكنين وأبو السمال بضمها
اتباعا لحركة القاف وقرئ بفتحها طلبا للتخفيف قال أبو الفتح الغرض بالحركة الهرب من التقاء الساكنين
فبأي حركة تحرك الحرف حصل الغرض وقم طلب ... الجمهور فهو على جهة الندب
وقيل كان فرضا على الرسول خاصة وقيل عليه وعلى الجميع قال قتادة ودام عاما أو عامين
وقالت عائشة إنه استمر ثم رحمهم الله فنزلت إن ربك يعلم الآيات فخفف عنهم
قم الليل إلا قليلا من الاستثناء أن القيام المأمور به يستغرق جميع الليل ولذلك
صح الاستثناء منه إذ لو كان غير مستغرق لم يصح الاستثناء منه واستغراق
جميعه بالقيام على الدوام غير ممكن فلذلك استثني منه القليل لراحة الجسد
وهذا عند البصريين منصوب على الظرف وإن استغرقه الفعل وهو عند الكوفيين
مفعول به وفي قوله إلا قليلا دليل على أن المستثنى قد يكون مبهم المقدار كقوله ما
فعلوه إلا قليل منهم في قراءة من نصب ثم توليتم إلا قليلا منكم قال
وهب بن منبه القليل ما دون المعشار والسدس وقال الكلبي ومقاتل الثلث وقيل
ما دون النصف وجوزوا في نصفه أن يكون بدلا من الليل ومن قليلا فإذا كان
بدلا من الليل كان الاستثناء منه وكان المأمور به قيام نصف الليل إلا قليلا
منه والضمير في منه وعليه عائد على نصف الليل فيكون قوله أو انقص من الليل قليلا
تكرارا لقوله إلا قليلا من نصف الليل وذلك تركيب غير فصيح ينزه القرآن عنه
قال الزمخشري نصفه بدل من الليل وإلا قليلا استثناء من النصف كأنه قال
قم أقل من نصف الليل والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين أمرين بين
أن يقوم أقل من نصف الليل على البت وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان
من النصف والزيادة عليه انتهى فلم يتنبه للتكرار الذي يلزمه في هذا القول لأنه يكون
تعالى قم أقل من نصف الليل كان قوله أو انقص من نصف الليل تكرارا وإذا كان

نصفه

نصفه بدلا من قوله إلا قليلا فالضمير في نصفه إما أن يعود على المبدل منه أو على
المستثنى منه وهو الليل لا جائز أن يعود على المبدل منه لأنه يصير استثناء مجهول
من مجهول إذ التقدير إلا قليلا نصف القليل وهذا لا يصح له معنى البتة وإن عاد الضمير
على الليل فلا فائدة في الاستثناء من الليل إذ كان يكون أخصر وأوضح وأبعد
عن الإلباس أن يكون التركيب قم الليل نصفه وقد أبطلنا قول من قال إلا قليلا استثناء
من البدل وهو نصفه وأن التقدير قم الليل نصفه إلا قليلا منه أي من النصف
وأيضا ففي دعوى أن نصفه بدل من إلا قليلا والضمير في نصفه عائد على الليل إطلاق
القليل على النصف ويلزم أيضا أن يصير التقدير إلا نصفه فلا تقمه أو انقص
من النصف الذي لا تقومه أو زد على النصف الذي لا تقومه وهذا معنى لا يصح وليس المراد
من الآية قطعا قال الزمخشري وإن شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا
فكان تخييرا بين ثلاث من قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد
عليه وإنما وصف النصف من الليل ثم أقل من النصف وكأنه قيل قم أقل من نصف الليل
أو قم أنقص من ذلك الأقل أو أزيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء
النصف بينه وبين الثلث ويكون إذا أبدلت نصفه من قليلا وفسرته به أن يجعل
قليلا الثاني بمعنى نصف النصف وهو الربع كأنه قيل أو زد عليه قليلا نصفه ويجوز
أن تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع
انتهى وما أوسع خيال هذا الرجل فإنه يجوز ما يقرب وما يبعد والقرآن لا ينبغي
بل لا يجوز أن يحمل إلا على أحسن الوجوه التي تأتي في كلام العرب كما ذكرناه في
خطبة هذا الكتاب وما سبق الحوفي أن يكون نصفه بدلا من الليل أو من قليلا الزمخشري
كما ذكرنا وابن عطية أورده مورد الاحتمال وأبو البقاء قال الأشبه بظاهر
الآية أن يكون بدلا من قليلا لأنه قال أو انقص منه قليلا أو زد عليه والهاء فيهما للنصف
فلو كان الاستثناء من النصف لصار التقدير قم نصف الليل إلا قليلا أو انقص
منه قليلا والقليل المستثنى غير مقدر فالنقصان منه لا يتحصل انتهى أما الحوفي
فأجاز أن يكون بدلا من الليل ولم يذكر غيره وقال ابن عطية وقد يحتمل عندي
قوله إلا قليلا أن يكون استثناء من القيام فيجعل الليل اسم جنس ثم قال إلا قليلا

اي الذات التي تحل بقيامها عند العبد السنة وتحي وبقوا النظر تحسن مع القول بالتدبر
انتهى وهذا حمله على الظاهر وقيل المعنى او نصفه كما تقول لحظة درهم او درهمين تلك
او درهمين ثلث او ثلاثه انتهى وفيه حذف العطف من غير دليل عليه وقال التبريزي
الامر بالقيام والتخيير بالزيادة والنقصان وقع على الثلثين من اخر الليل لان
الثلث الاول وقت العتمة والاستثناء وارد على المأمور به وكانه قال قم ثلثي الليل
الا قليلا ثم جعل نصفه بدلا من قليلا فصار القليل مفسرا بالنصف من الثلثين
وهو قليل من الكل بقوله او انقص منه اي من المأمور به وهو قيام الثلث
قليلا اي ما دون نصفه او زد عليه اي على الثلثين وكان التخيير في الزيادة
والنقصان قال ابو عبد الله الرازي وقد اكثر الناس في تفسير هذه الاية
وعندي فيه وجها ملخصا وذكر كلاما طويلا ملخصا يوقف عليه من كتابه
رحمه الله ويعزى تفسير الترتيل في اواخر الانعام [illegible] القرآن بقوله
بما استهل عليه من التكاليف الشاقه كالجهاد ومداومة الاعمال الصالحة
قال الحسن اذ [illegible] ولكن العمل به وقال ابو العالية والقرطبي
ثقله على الكفار والمنافقين بإعجازه ووعيده وقيل ثقله ما كان يحل بجسمه
عليه السلام حالة تلقيه الوحي حتى كانت ناقته تبرك به ذلك الوقت وحتى كادت
فخذه ان ترض فخذ زيد بن ثابت وقيل كلام له وزن
ورجحان ليس بالسفساف قال ابن عباس كلاما عظيما وقيل ثقيل في الميزان
يوم القيامة وهو الاشارة الى العمل به وقيل كناية عن بقائه على وجه
الدهر لان الثقيل من شانه ان يبقى [illegible] ناشئة الليل قال ابن
عمر وانس بن مالك وعلي بن الحسين هو ما بين المغرب والعشاء وقال عكرمة
ومجاهد هي القيام بعد النوم ومن قام اول الليل قبل النوم فلم يقم ناشئة الليل وقال
ابن جبير وابن زيد هي لفظة حبشية نشأ الرجل قام من الليل فناشئة على
جمع ناشئ اي قائم وقال ابن جبير [illegible] ناشئة الليل ساعاته
لانها تنشأ شيئا بعد شيء وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن وابو مجلز ما كان
بعد العشاء فهو ناشئة وما كان قبلها فليس بناشئة قال ابن عباس كانت

صلاتهم

صلاتهم اول الليل وقال ابن عباس ايضا [illegible] الليل كله ناشئة وقال الكسائي ناشئة
الليل اوله وقال الزمخشري ناشئة الليل النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من
مضجعها الى العبادة اي تنهض وترتفع من نشأت السحابة اذا ارتفعت ونشأ من
مكانه ونشز اذا نهض قال

نشأنا الى خوص برى نيها السرى ... والصق منها مشرفات القماحد

او قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة كالعاقبة
انتهى وقرأ الجمهور وطأ بفتح الواو وسكون الطاء وابن عباس وابن الزبير ومجاهد وابو العالية
بكسر الواو وفتح الطاء ممدودا وقرأ قتادة وشبل عن اهل مكة بكسر الواو وسكون الطاء
والهمزة مقصورا وقرأ ابن محيصن بفتح الواو ممدودا والمعنى انها اشد مواطأة
اي يواطئ القلب فيها اللسان او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص
ومن قرأ وطأ اي اشد ثبات قدم وابعد من الزلل او اثقل واغلظ على المصلي من صلاة
النهار كما جاء اللهم اشدد وطأتك على مضر وقال الاحوص فاشدد [illegible]
قال العدا [illegible] قراءة و[illegible] وقال الكلبي اشد نشاطا للمصلي لانه في زمان راحته
وقيل اثبت للعمل وادوم لمن اراد الاستكثار من العبادة والليل وقت فراغ فالعبادة
تدوم واقوم قيلا اي اشد استقامة على الصواب لان الاصوات هادئة والدنيا ساكنة فلا
يضطرب على المصلي ما يقرؤه وقال قتادة ومجاهد اصوب للقراءة واثبت للقول
لانه زمان التفهم وقال عكرمة اتم نشاطا واخلاصا وبركة وعن ابن جبير اجدر ان
يتفقه وقال ابن زيد اسلم [illegible] وقال الجمهور سبحا اي تصرفا
وتقلبا في المهمات كما يتردد السابح في الماء وقال الشاعر

٤٠ اباحوا لكم شرق البلاد وغربها ... ففيها لكم يا صاح سبح من السبح ٤٠

وقيل سبحا سبحة اي نافلة وقرأ ابن يعمر وعكرمة وابن ابي عبلة سبخا بالخاء المنقوطة
ومعناه خفة لك من التكاليف والتسبيخ التخفيف وهو استعارة من سبخ الصوف
اذا نفشه ونشر اجزاءه بمعنى انتشار الهم وتفرق الخاطر بالشواغل وقيل فراغا وسعة
لنومك وتصرفك في حوائجك وقيل المعنى ان فاتك حزب الليل بنوم او عذر فليخلف
بالنهار فان فيه سبحا طويلا قال صاحب اللوامح وفسر ابن يعمر وعكرمة سبخا بالخاء

بيان

مجيء وقال الاصمعي نوما اى سام الليل لتسبحن فيه على تمام الليل وتدخل فيه مع القراء
عن هذا المعنى لكنها فسرا ها فلا تجاوزن عنه انتهى وفي الحديث لا تسبخي عنه اى لا تخففي
وقال الشاعر

فسبح بحمد اللهم واعلم بانه اذا قدر الرحمن شيئا وكان

وقال الاصمعي يقال سبخ الله عنك الحمى اى خففها وقيل التسبيخ المد يقال سبخي قطنك اى مديه ويقال
لقطع القطن اذا ندف سبائخ الواحدة سبيخة ومنه قول الاخطل

فارسلوهن يذرين التراب كما يذري سبائخ قطن ندف اوتار

واذكر اسم ربك اى دم على ذكره وهو يتناول كل ذكر من تسبيح وتهليل وتحميد وانتصب تبتيلا
على انه مصدر على غير الصدر لحسن موقعه فاصلة وقرأ الاخوان وابن عامر وابو بكر ويعقوب
رب بالخفض على البدل من ربك وباقي السبعة بالرفع وزيد بن علي بالنصب والجمهور المشرق
والمغرب موحدين وعبد الله واصحابه وابن عباس بجمعهما وقال الزمخشري وعن ابن عباس
على القسم يعني خفض رب قال باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن وجوابه لا اله
الا هو كما تقول والله لا احد في الدار الا زيد انتهى ولعل هذا التخريج لا يصح عن ابن عباس
اذ فيه اضمار الجار في القسم ولا يجوز عند البصريين الا في لفظة الله ولا يقاس عليه
ولان الجملة المنفية في جواب القسم اذا كانت اسمية فانها تنفى الا بما وحدها ولا تنفى
بلا الا الجملة المصدرة بمضارع كثيرا او بماض في معناه قليلا نحو قول الشاعر

ردوا فوالله لا ذدناكم ابدا ما دام في مائنا ورد لوراد

والزمخشري اورد ذلك على سبيل التجويز والتسليم والذي ذكره النحويون نفيها بما كقوله

لعمرك ما سعد بخلة آثم ولا نأنأ يوم الحفاظ ولا حصر

واتخذه وكيلا لانه من انفرد بالالوهية يجب ان يكل الامور اليه واصبر قيل منسوخ
بآية السيف وذرني والمكذبين قيل نزلت في صناديد قريش المستهزئين وقيل في المطعمين
يوم بدر وهم عشرة وتقدم ذكرهم في سورة الانفال وتقدم شرح مثل هذا في فذرني ومن
يكذب بهذا الحديث اولي النعمة اى غضارة العيش وكثرة المال والولد والنعمة بالفتح
التنعم وبالكسر الانعام وما ينعم به وبالضم المسرة يقال نعم ونعمه عين ومهلهم قليلا
لم يكن الا يسيرا حتى كانت وقعة بدر ان لدينا اى ما يضاد

نعمهم

تنعمهم انكالا اى قيودا فانها تحلهم قال الشعبي لم يجعل في ارجلهم خوفا من هربهم ولكن اذا ارادوا ان
يرتفعوا استفلت بهم وقال الكلبي الانكال والانكال الاغلال والاول اعرف في اللغة ومنه قول الخنساء

دعاك فقطعت انكاله وقد كن قبلك لا تقطع

وجحيما نارا تتسعر بهم الاعداء وطعاما ذا غصة قال ابن عباس شوك من نار يعترض في حلوقهم لا
يخرج ولا ينزل وقال مجاهد وغيره شجر الزقوم يوم منصوب بالعامل في لدينا وقيل بذرني وقيل بصفة
يضطرب وقرأ الجمهور ترجف بفتح التاء مبنيا للفاعل وزيد بن علي بضمها مبنيا للمفعول كثيبا
اى رملا مجتمعا مهيلا اى رخوا لينا ويقال مهيل ومهيول ومكيل ومكيول ومدين
ومديون لغة تميم في ذوات الياء والجزء كثير لكثير العرب ولما هدد المكذبين باهوال القيامة
ذكرهم بحال فرعون وكيف اخذه الله اذ كذب موسى عليه السلام وانه تعالى اذ دام
تكذيبهم اهلكهم الله فقال انا ارسلنا اليكم والخطاب عام للاسود والاحمر وقيل لاهل مكة
رسولا شاهدا عليكم كما قال وجئنا بك شهيدا على هؤلاء وشبه ارساله الى اهل مكة بارسال موسى
الى فرعون على التعيين لان كلا منهما اتى قومه واستحقروه وكان عندهم انه احرى من عرف فرعون
فاستأنى بسبب الارسال بالارسال وقيل الرسول للعهد لكنه تقدم ذكره فاحيل
عليه كما تقول لقيت رجلا فضربت الرجل فانه يفهم ان المضروب هو الملقى **فكيف تتقون
ان كفرتم يوما يجعل** الولدان شيبا السماء منفطر به كان وعده مفعولا ان هذه
تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه
وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقرأوا ما تيسر
من القرآن علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون
يقاتلون في سبيل الله فاقرأوا ما تيسر منه واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واقرضوا الله قرضا
حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا واستغفروا الله ان الله
غفور رحيم يوما منصوب بتتقون نصب المفعول به على المجاز اى كيف تستقلون
هذا اليوم العظيم الذي من شانه كذا وكذا والضمير في يجعل لليوم اسند اليه الجعل لما كان
واقعا فيه على سبيل المجاز وقال الزمخشري يوما مفعول به اى فكيف تتقون انفسكم يوم
القيامة وهوله ان بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحا انتهى تتقون مضارع اتقى واتقى
ليس بمعنى وفي حرف يتعدى به اتقى يتعدى الى واحد وفي تعديه الى اثنين قال تعالى وقاهم

عذاب الجحيم وكذلك قدره الزمخشري فكيف تتقون انفسكم يوم القيامة لكنه ليس بتقون بمعنى تخافون فلا يتعدى بنفسه وقد شرع قوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات للاعتزال قال ويجوز ان يكون ظرفا اي فكيف لكم بالتقوى في يوم القيامة ان كفرتم في الدنيا قال ويجوز ان ينتصب بكفرتم على تاويل جحدتم اي فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيامة والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه وقرا الجمهور يوما منونا يجعل بالياء والجملة من قوله يجعل صفة ليوم فان كان الضمير يجعل عائدا على اليوم فواضح وهو الظاهر وان عاد على الله كما قال بعضهم فلا بد من حذف ضمير يعود الى اليوم اي يجعل فيه كقوله يوما لا تجزي نفس وقرا زيد بن علي يوم نجعل بالنون فالظرف مضاف الى الجملة والشيب مفعول ثان ليجعل اي يصير الصبيان شيوخا وهو كناية عن شدة هول ذلك اليوم وبغالة الهموم المشتركة يوم تشيب النواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم تعالى اسرعت بالشيب قال المتنبي

والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم

وقيل هو في حقيقته بسبب رؤيتهم من شدة الهول كما قد يرى الشيب في الدنيا من الهم المفرط كهول البحر ونحوه وقال الزمخشري ويجوز ان يوصف اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة وقال السدي الولدان هنا اولاد الزنا وقيل اولاد المشركين والظاهر العموم اي بسبب الصغير من غير كبيرة وذلك حين يقال لادم يا ادم قم فابعث بعث النار وقيل هذا وقت الفزع قبل ان ينفخ في الصور نفخة الصعق السماء منفطر به قال الفراء السماء تذكر وتؤنث فجاء منفطر على التذكير ومنه قول الشاعر

فلو رفع السماء اليه قوما لحقنا بالسماء وبالسحاب

وعلى القول بالتانيث فقال ابو علي الفارسي هو من باب الجراد المنتشر والشجر الاخضر واعجاز نخل منقعر اسمه يعني انها من باب اسم الجنس الذي بينه وبين مفرده التاء والسماء وان مفرده سماءة واسم الجنس يجوز فيه التذكير والتانيث فجاء منفطر على التذكير وقال ابو عمرو بن العلاء وابو عبيدة والكسائي ذهب سيبويه مذهب تشبيهه مجازها السقف فجاء عليه منفطر ولم يقل منفطرة وقال ابو علي ايضا التقدير ذات انفطار كقولهم امراة مرضع اي ذات رضاع فجرى على طريق النسب وقال الزمخشري او السماء شيء منفطر فجعل منفطر صفة لخبر محذوف مقدر بشيء والانفطار التصدع والانشقاق والضمير في به الظاهر انه يعود على اليوم والباء

الشيب

الشيب اي بسبب شدة ذلك اليوم وهوله وقال مجاهد يعود على الله اي بامره وسلطانه والظاهر ان الضمير في وعده عائد على اليوم فهو من اضافة المصدر الى المفعول اي انه تعالى وعدعباده هذا اليوم وهو يوم القيامة فلا بد من انجازه ويجوز ان يكون عائدا على الله تعالى فيكون من اضافة المصدر الى الفاعل وان لم يجر له ذكر قريبا لانه معلوم ان الذي يفعل المواعيد هو الله تعالى ان هذه اي السورة او الانكال وما عطف عليه او الاخذ الوبيل او ايات القران المتضمنة شدة يوم القيامة تذكرة اي موعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا بالتقرب اليه بالطاعة ومفعول شاء محذوف يدل عليه الشرط لان من شرطية اي فمن شاء ان يتخذ سبيلا اتخذ الى ربه وليست المشيئة هنا على معنى الاباحة بل تتضمن معنى الوعد والوعيد ان ربك يعلم انك تقوم اي تصلي كقوله قم الليل لما كان اكثر احوال المصلي القيام عبر به عنها وهذه الاية نزلت تخفيفا لما كان استمر استعماله من امر قيام الليل اما على الوجوب واما على الندب على الخلاف الذي سبق ادنى من ثلثي الليل اي زمانا هو اقل من ثلثي الليل واستعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك وقرا الجمهور من ثلثي بضم اللام والحسن وشيبة وابو حيوة وابن السميفع وهشام وابن مجاهد عن قنبل فيما ذكر صاحب الكامل باسكانها وجاء ذلك عن نافع وابن عامر فيما ذكر صاحب اللوامح وقرا العربيان ونافع ونصفه وثلثه بجرهما عطفا على ثلثي الليل وباقي السبعة وزيد بن علي بالنصب عطفا على ادنى لانه منصوب على الظرف اي وقتا ادنى من ثلثي الليل وقراءة النصب مناسبة للتقسيم الذي في اول السورة لانه اذا قام الليل الا قليلا صدق عليه ادنى من ثلثي الليل لان الزمان الذي لم يقم فيه يكون الثلث وشيئا من الثلثين فيصدق عليه الا قليلا واما قوله ونصفه فهو مطابق لقوله او انقص منه واما وثلثه فان قوله او انقص قد ينتهي النقص في القليل الى ان يكون الوقت ثلث الليل واما قوله او زد عليه فانه اذا زاد على النصف قليلا كان الوقت اقل من الثلثين فيكون قد طابق قوله ادنى من ثلثي الليل ويكون قوله تعالى ادنى من ثلثي الليل ويكون قوله تعالى نصفه او انقص منه قليلا شرحا لمبهم ما دل عليه قوله قم الليل الا قليلا وعلى قراءة النصب قال الحسن وابن جبير معنى تحصوه تطيقوه اي علم ربك انهم يقدرون الزمان على ما مر في اول السورة فلم يطيقوا قيامه لكثرته وشدته فخفف تعالى عنهم فضلا منه لا لعلة جهلهم بالتقدير واحصاء الاوقات واما قراءة الجر فالمعنى

فالمعنى انه قيام مختلف مرة ادنى من الثلثين ومرة ادنى من النصف ومرة ادنى من الثلث وذلك
لتعذر معرفة البشر بمقادير الزمان مع عذر النوم وتقدير الزمان حقيقة انما هو لله والبشر
لا يحصون ذلك اي لا يحيطون بمقادير ذلك فتاب عليكم اي رجع لكم من الثقل الى الخفة وامركم
بقيام ما تيسر عليكم والقرآن يكون علمه تعالى بذلك على حسب الوقوع منهم لانهم قاموا تلك
المقادير في اوقات مختلفة قاموا ادنى من الثلثين بعضا [illegible] وقاموا ادنى من النصف وادنى
من الثلث [illegible] الجمهور ونصفه [illegible] وابن كثير في رواية شبل باسكانها
وطائفة معطوف على الضمير المستكن في تقوم وحسنه الفصل بينهما وقوله وطائفة من الذين معك
دليل على انه لم يكن فرضا على الجميع اذ لو كان فرضا عليهم لكان التركيب والذين معك الا انهم
ان اعتقدنا انهم كان منهم من يقوم في بيته ومنهم من يقوم معه فيمكن اذ ذاك الفرضية في
حق الجميع والله يقدر الليل والنهار هو وحده تعالى العالم بمقادير الساعات قال الزمخشري
وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير انتهى
وهذا مذهبه وانما استفيد الاختصاص من سياق الكلام لا من تقديم المبتدأ لو قلت زيد
يحفظ القرآن او يتفقه في سيبويه لم يدل تقديم المبتدأ على الاختصاص وان يحصوه من [illegible]
والضمير في تحصوه الظاهر انه عائد على المصدر المفهوم من يقدر اي انه لن تحصوا تقدير ساعات
الليل والنهار لا تحيطوا بها على الحقيقة وقيل الضمير يعود على القيام المفهوم من قوله تقوم
فتاب عليكم فيه دليل على انه كان فيهم من ترك بعض ما امر به وقيل رجع
بكم من ثقل الى خفة ومن عسر الى يسر ورخص لكم في ترك القيام المقدر فاقرءوا ما تيسر
من القرآن عبر بالقراءة عن الصلاة لانها بعض اركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود
اي فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخا جميعا
بالصلوات الخمس وهذا الامر بقوله فاقرءوا وفي الجمهور امر اباحة وقال ابن جبير وجماعة
هو فرض لا بد منه ولو خمسين آية وقال الحسن وابن سيرين قيام الليل فرض ولو
قدر حلب شاة وقيل هو امر بقراءة القرآن بعينها لا كناية عن الصلاة واذا كان
المراد فاقرءوا في الصلاة ما تيسر فالظاهر انه لا يتعين بفاتحة اذا قرأ ما تيسر له
وسهل عليه اجزأه وبه قال ابو حنيفة بانه حكاه عنه الماوردي وقيل حكاه ابن العربي
وقيل ثبت حكاه عن العربي وعن مالك والشافعي ما تيسر الا وهو فاتحة الكتاب لا يعدل

عنها

عنها ولا يقتصر على بعضها علم ان سيكون منكم مرضى بيان لحكمة النسخ وهي تعذر القيام
على المرضى والضاربين في الارض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر
منه كرر ذلك على سبيل التوكيد ثم امر بعمودي الاسلام البدني والمالي ثم قال
واقرضوا الله قرضا حسنا العطف يشعر بالتغاير فقوله وآتوا الزكاة باداء الواجب
واقرضوا امر بالصدقة التي تطوع وقرأ الجمهور هو خيرا واعظم اجرا بنصبهما واحتمل
هو ان يكون فصلا وان يكون تاكيدا للضمير المنصوب في تجدوه وكلام ابن [illegible] في المحرر
وابن عطية في اعراب [illegible] الفصل وقال ابو البقاء هو فصل او بدل او توكيد
فقوله او بدل وهم لو كان بدلا لطابق في النصب وكان يكون اياه وقرأ ابو
السمال وابن السميفع هو خير واعظم برفعهما على الابتداء والخبر قال ابو زيد هي
لغة بني تميم يرفعون ما بعد الفاصلة يقولون كان زيد هو العاقل بالرفع وهذا
البيت لقيس بن ذريح

تحن الى ليلى وانت تركتها … وكنت عليها بالملا انت اقدر

قال ابو عمرو الجرمي انشدني سيبويه هذا البيت شاهدا للرفع والقول في المرفوعة [illegible]
[illegible] وقال الزمخشري وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه
في امتناعه من حرف التعريف المعرفة وليس ما ذكره متفقا عليه ومنهم من اجاز ولس
افعل من احكام الفصل ومسائله والخلاف الوارد فيها كثير جدا وقد
جمعنا فيه كتابا سميناه بالقصد [illegible] في احكام الفصل واودعنا معظمه شرح التسهيل
[illegible] المدثر من لبس الدثار وهو الثوب الذي فوق الشعار والشعار
والثوب الذي يلي الجسد ومنه قوله عليه السلام الانصار شعار والناس دثار
النقر الصوت قال الشاعر

احفظه بالنفر لما جلوبه ويرفع طرفا غير جاف مغضض

نقر

انا ابن ماوية اذا جد النقر … [illegible] فعل الحركة والناقور
فاعول منه كالجاسوس ماخوذ من التجسس عبس يعبس عبسا وعبوسا
قطب وجهه [illegible] بادنا [illegible] من تعارها وابوالها قال ابو النجم قال

كأن فاه إذا ما صفق الشول من عبس الصيف قرون الإيل

بسر بسر ما من عبسه وازبد وجهه

قال

صحبانهما غراه الحجاب سهبا ملومه بأسرع

بأهل اليمن يقولون بسر ارتجب وابسر اذا وقف وبدا السير أو يقول العرب وجه باسر

من السوء اذا تغير واسود ولاحه الشئ غير جلسته

قال

يقول ما لاحك يا مسافر يا ابنة عمى لاح جنى الهواجر

وقال آخر

ولعجب بصدد يا ابنة عمى لاح جنى الهواجر

اللوح بشدة العطش لاح العطش يلوحه

قال الشاعر

سقتني على لوح من الماء شربة سقاها به الله الرهام الغواديا

وتقال المناح اي عطش لمسوره الرماة والصبيا دون قاله بن لبيد والأسد

قاله حاتمه من اللغويين

قال

معمر يحدث الا بطالكانه المسوره الرماك

او الرجال الشداد قال لبيد

اذا ما هتفنا هتفة في ندينا أتانا الرجال العائدون القساور

او ظلمه اول الليل لا ظلمه آخره قاله ابن الاعرابي وثعلب

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك

فاصبر فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير

ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا

ثم يطمع ان أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا انه فكر وقدر

فقتل

فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان

هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر وما ادراك ما سقر لا تبقي

ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا

عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا

ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض

والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا هذه السورة مكية قال ابن عطية

باجماع وقال التحرير الا قوله تعالى الا آية وهي وما جعلنا عدتهم الا فتنة ومناسبتها

لما قبلها ان في ما قبلها ذرني والمكذبين وفيه ان عندنا انكالا فناسب يا ايها

المدثر قم فانذر وناسب ذكر يوم القيامة وذكر بعض المكذبين في قوله ذرني

ومن خلقت وحيدا قال الجمهور لما فرغ من رؤيته جبريل على كرسي بين السماء والارض

رعب منه ورجع الى خديجة فقال دثروني وملوني فنزلت يا ايها المدثر قال النخعي

وقتادة وعائشة نودي وهو في قطيفة قد تدثر بها من احواله وروي انه كان يوم

في حلقة ... وكان سمع من قريش ما كرهه فاغتم وتغطى بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم

فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه واذوه وقال عكرمة معناه يا ايها المدثر للنبوة واثقالها قال

في المزمل وقرأ الجمهور المدثر بشد الدال واصله المتدثر فادغم وكذا هو في حرف ابي

على الاصل وقرأ عكرمة بتخفيف الدال كما قرأ بتخفيف الزاي في المزمل اي دثر نفسه وعن عكرمة

اسم مع التاء اسم مفعول دثرت هذا الامر وعصب بك ثم فانذر اي قم من مضجعك

او قم بمعنى الاخذ في الشئ كما تقول قام زيد يضرب عمرا اي اخذ كما قال

على ما قام يشتمني لئيم اي اخذ والمعنى قم فانذر عمم فانذر اي فاحذر اي خوف

وعذاب الله ووقائعه والانذار عام لجميع الناس وبعثه الى الخلق وربك فكبر اي فعظم

كبرياءه وقال الزمخشري واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وان يقال الله اكبر

انتهى وهذا على مذهبه من ان تقديم المفعول على الفعل يدل على الاختصاص وقد دخلت

الفاء لمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره انتهى وهو قريب مما قدره

النحاة في قولك زيدا فاضرب قالوا تقديره تنبه فاضرب زيدا فالفاء هي جواب الامر

وهذا الامر اما مضمن معنى الشرط واما الشرط فمحذوف على الخلاف الذي فيه

عند المحاورة وثيابك فطهر الظاهر انه امر بتطهير الثياب من النجاسات لان طهارة
الثياب شرط في صحة الصلوة ويصح ان تكون ثياب المؤمن نجسة والقول بانها
الثياب حقيقة هو قول ابن سيرين وابن زيد والشافعي ومن قال انه ذهب
الشافعي الى وجوب غسل النجاسة من ثياب المصلي وقيل تطهيرها تقصيرها
ومخالفة العرب في تطويل الثياب وجرهم الذيول على سبيل الفخر والكبر قال

ثم راحوا عبق المسك بهم يلحفون الارض هداب الازر

لا يؤمن ان اصابها النجاسة وفي الصحيح ازرة المؤمن الى انصاف ساقيه لا جناح عليه فيما
بينه وبين الكعبين ما كان اسفل من ذلك ففي النار وذهب الجمهور الى ان الثياب هنا
مجاز فقال ابن عباس والضحاك تطهيرها ان لا تكون ثياب بالغدر والفجور وقال
ابن عباس وابن جبير ايضا كنى بالثياب عن القلب كما قال

فسلي ثيابي من ثيابك تنسل اي قلبي من قلبك

وعلى الحقيقة من الغدر استشهد بقول غيلان بن سلمة الثقفي

فاني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة اتقنع

وقيل كناية عن طهارة الاهل المعنى وعملك فاصلح قاله مجاهد وابن زيد وقال
ابن زيد اذا كان الرجل خبيث العمل قالوا فلان خبيث الثياب واذا كان حسن
العمل قالوا فلان طاهر الثياب ونحو هذا عن السدي ومنه قول الشاعر

لا هم ان عامر بن جهم اوذم حجا في ثياب دسم

اي دنسة بالمعاصي وقيل كنى عن النفس بالثياب قاله ابن عباس قال

فشككت بالرمح الطويل ثيابه

قال

ثياب بني عوف طهارى نقية واوجههم عند المشاهد غران

اي انفسهم وقيل كنى بها عن الجسم قال ليلى

وقد ركبت ... رموها باثواب خفاف فلن ترى لها شبها الا النعام المنفرا

اي ركبوها فرموها بانفسهم وقيل كنى به عن الاهل قال تعالى هن لباس لكم وانتم
لباس لهن والتطهير فيهن اختيار المؤمنات العفائف وقيل وطيهن في القبل
لا في الدبر وفي الطهر لا في الحيض حكاه ابن بحر وقيل كناية عن الخلق اي وخلقك فحسن

قاله

قاله الحسن والقرطبي ومنه قول الشاعر

ويحيى ما يلام بسوء خلق ويحيى طاهر الاثواب حر

اي حسن الاخلاق وقرأ الجمهور والرجز بكسر الراء وهي لغة قريش والحسن ومجاهد
والسلمي وابو جعفر وشيبة وابن محيصن وابن وثاب وقتادة والنخعي وابن ابي اسحق
والاعرج وحفص بضمها فقيل هما بمعنى واحد ويراد بها الاصنام والاوثان وقيل الكسر
للنقائص والفجور والضم لصنمين اساف ونائلة قاله عكرمة ومجاهد والزهري
وللاصنام عموما وقال ابن عباس الرجز السخط اي اهجر ما يؤدي اليه وقال الحسن
الرجز كل معصية والمعنى في الامر اثبت على هجره لانه عليه السلام كان
بريئا منه وقال النخعي الرجز الاثم وقال القتبي الرجز العذاب اي اهجر ما يؤدي اليه وقرأ
الجمهور ولا تمنن بفك التضعيف والحسن وابو السمال بشد النون قال ابن عباس وغيره
لا تعط عطاء لتعطى اكثر منه كانه من قولهم اذا اعطى قال الضحاك هذا خاص به
عليه السلام ومباح ذلك لامته لكنه لا اجر لهم وعن ابن عباس ايضا لا تقل دعوت فلم
اجب وعن قتادة لا تدل بعملك وعن ابن زيد لا تمنن بنبوتك تستكثر باجر او كسب تطلبه
منهم وقال الحسن لا تمنن على الله بجدك تستكثر اعمالك ويقع لك بها اعجاب وهذه الاقوال
كلها من المن تعداد اليد وذكرها وقال مجاهد لا تضعف تستكثر ما حملناك
من اعباء الرسالة او تستكثر من الخير من قولهم حبل متين اي ضعيف وقيل لا تعط مستكثرا
رائيا لما تعطيه وقرأ الجمهور تستكثر برفع الراء والجملة حالية اي مستكثرا قال الزمخشري
ويجوز في الرفع ان يحذف ان ويبطل عملها كما روي احضر الوغى بالرفع انتهى وهذا
لا يجوز ان يحمل القرآن عليه لانه لا يجوز ذلك الا في الشعر ولنا مندوحة عنه مع صحة
معنى الحال اي مستكثرا وقرأ الحسن وابن ابي عبلة بجزم الراء ووجهه انه بدل من تمنن
اي لا تستكثر كقوله يضاعف له العذاب في قراءة من جزم بدلا من قوله يلق وكقوله

متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا

ويكون من المن الذي في قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لان من شان
المنان ان يستكثر ما يعطي اي يراه كثيرا ويعتد به واجاز الزمخشري فيه وجها
اخر وهو ان تسكن الراء تشبيها لثرو بعضد فتسكن تخفيفا وايضا ان يعتبر حال الوقف يعني يحرك

الوصل بجريه مجرى الوقف وهذا انه لا يجوز ان يحمل القرآن عليها مع وجود ما هو راجح عليها وهو البدل
وقرأ الحسن ايضا والاعمش تستكثر بنصب الراء ايضا بحذفها وقرأ ابن مسعود ان تستكثر
المخاطبات ولربك فاصبر اي لوجه ربك امره بالصبر فيتناول الصبر على تكاليف
التبليغ وعلى اذى الطاعات لله وعلى اذى الكفار وقال ابن زيد وعلى حرب
الاحمر والاسود فكل مصبور عليه ومصبور عنه يندرج في الصبر وقال الزمخشري
والفاء في قوله فاذا نقر للتسبيب كانه قيل واصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم عسير
يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه وقال الزمخشري الفاء في قوله فذلك للجزاء
فان قلت بم انتصب اذا وكيف صح ان يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير قلت
انتصب اذا بما دل عليه الجزاء لان المعنى فاذا نقر في الناقور عسر الامر على الكافرين
والذي اجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير ان المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير
لان يوم القيامة يأتي ويقع حين ينقر في الناقور ويجوز ان يكون يومئذ مبنيا مرفوع
المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر كانه قيل فيوم النقر يوم عسير فان قلت
فما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت لما قال على الكافرين فقصر العسر
عليهم قال غير يسير ليؤذن بانه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا هينا ليجمع بين
وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ويجوز ان يراد انه عسير
لا يرجى ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من امور الدنيا انتهى وقال الحوفي
فاذا الى اسم تعلقه بما ندرهم اي فانذرهم اذا نقر في الناقور وقال ابو البقاء يجري على
قول الاخفش ان اذا مبتدأ والخبر فذلك والفاء زائدة فاما يومئذ فظرف لذلك و
اجاز ابو البقاء ان يتعلق على الكافرين بيسير اي غير يسير اي سهل على الكافرين
بان لا يجوز لان فيه تقديم معمول العامل المضاف اليه على العامل على الصحيح وقد اجاز
بعضهم معمول انا غير ضارب زيدا ذرني ومن خلقت وحيدا لا خلاف في انها نزلت في الوليد
ابن المغيرة المخزومي وروي انه كان يلقب بالوحيد اي لا نظير له في ماله وشرفه
في بيته والظاهر انتصاب وحيدا على الحال من الضمير المحذوف العائد على من اي خلقته منفردا
ذليلا قليلا لا مال له ولا ولد فاتاه الله المال والولد فكفر نعمته واشرك به واستهزأ
بدينه وقيل حال من ضمير النصب في ذرني قاله مجاهد اي ذرني وحدي معه فانا اجزيك

في الانتقام منه او حال من التاء في خلقت اي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد فانا اهلكه
لا احتاج الى ناصر في اهلاكه وقيل وحيدا لا يتبين ابوه وكان الوليد معروفا بانه
دعي كما تقدم في قوله عتل بعد ذلك زنيم واذا كان يدعى وحيدا فيقبل لا يجوز ان ينتصب
على الذم لانه لا يجوز ان يصدقه الله في انه وحيد لا نظير له ورد ذلك بانه لما لقب بذلك
صار علما والعلم لا يعتبر فيه المعنى صفة وايضا فيمكن حمله على انه وحيد في الكفر والخبث
والدناءة وجعلت له مالا ممدودا قال ابن عباس كان له بين مكة والطائف
ابل وخيول ونعم وجنات وعبيد وجوار وقيل كان صاحب زرع وتجارة وقال النعمان
ابن بشير المال الممدود هو الارض لانها مدت وقال عمر بن الخطاب هو الريع المستغل
مشاهرة فهو مدد في الزمان لا ينقطع وقيل هو مقدار معين واضطربوا في تعيينه
فقيل الف دينار وقيل اربعة الاف وقيل الف الف دينار وقيل هذا الحكم وبنين شهودا اي حضورا معه
بمكة لا يظعنون عنه لغناهم فهو مستأنس بهم او شهودا اي رجالا يشهدون معه المجامع
والمحافل وتسمع شهادتهم فيما يتحاكمون فيه واختلف في عددهم فذكر منهم خالد وهشام
وعمارة وقد اسلموا والعاص والوليد وقيس وعبد شمس قال مقاتل فما زال الوليد بعد
نزول هذه الاية في نقص من ماله وولده حتى هلك ومهدت له تمهيدا اي وطأت وهيأت
وبسطت له بسطا حتى اقام ببلدته مطمئنا يرجع الى رأيه وقال ابن عباس وسعت له
ما بين اليمن الى الشام وقال مجاهد مهدت له المال بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش ثم
يطمع ان ازيد اي على ما اعطيته من المال والولد كلا اي لست ازيده كذلك مع كفره
بالنعم قال الحسن وغيره ثم يطمع ان ادخله الجنة لانه كان يقول ان كان محمد صادقا فما
خلقت الجنة الا لي ثم يطمع قال الزمخشري استبعاد لطمعه واستنكار اي لا مزيد
على ما اوتي كثرة وسعة كلا قطع لرجائه وردع انتهى وطمعه في الزيادة دليل
على حرصه وحب الدنيا انه كان لآياتنا عنيدا تعليل للردع على وجه الاستئناف
كان قائلا قال لم لا يزاد فقال انه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق
المزيد وانما جعلت الآيات بالنسبة الى الانعام لمناسبة قوله وجعلت له مالا ممدودا
الى آخر ما آتاه الله والاحسن ان يحمل على آيات القرآن لحديثه في القرآن وزعمه انه
سحر سأرهقه اي سأكلفه وأغشيه بمشقة وعسر صعودا عقبة في جهنم كلما

ووضع علمها سين من الانسان ذاهبهم بعوده والصعود في اللغة العقبة الشاقة ومعنى شرح عسيرك
شوون امر ابهم عليه السلام انه فكر وقدر روي ان الوليد حاج ابا جهل وجماعة من قريش في
امر القران وقال ان له لحلاوة وان اصله لمعذق وان فرعه لجناة وانه ليحطم ما تحته وانه ليعلو
وما يعلى وما هو من الكلام نحا الغي فقالوا له هو شعر فقال والله ما هو بشعر قد عرفنا الشعر
هزجه وبسيطه قالوا فهو كاهن قال والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان قالوا هو مجنون
قال والله ما هو بمجنون لقد رأينا المجنون وخنقه قالوا هو سحر قال اما هذا فيشبه انه سحر
ويقوله اقوام بنفسه وروي بهذا اللفظ عن بعض ويقرب من حيث المعنى وفيه ومنه وتزعمون انه
كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا قالوا فما هو فقال ما
هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر
يأثره عن مسيلمة وعن اهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا متعجبين بقوله منه وروي
ان الوليد سمع من القران ما المجيد وتمدحه فسمع ذلك من احد كان ان يقارب الاسلام
ودخل الى ابي بكر الصديق مرارا فجاءه ابو جهل فقال له يا وليد اشعرت ان قريشا قد ذمتك
بدخولك الى ابن ابي قحافة وزعمت انك انما تقصد ان تأكل طعامه وقد ابغضتك لمقاربتك
امر محمد وما يجلسك عنده الا ان تقول في هذا الكلام قولا يرضيهم فمشيه ابو جهل يا فتش
وقال تعالى انه فكر تعليل للوعيد في قوله سارهقه صعودا او بيان للعناد ولحوت ان تكون
بدلا من قوله انه كان لاياتنا عنيدا اناسا لكنه عيان وفكر في القران ونال في نفسه وقدر
راي تفسيه ما يقول فيه فقتل كيف قدر تعجب من تقديره وقيل غلب وقهر وذلك من قوله
بسهميك في اعشار قلب مقتل
اي فتك المتعجب بالجيب بدعا عليه بالطرد والابعاد وغلب ذلك احيانا بعض وذلك كيف
عن معناه كيف قدر مالا يصح تقديره وملا يسوغ ان يقدره عاقل وقيل ما يعتمد على
الاستحسان والتعجب وعليه ذلك لمن قبله الاول خصه القران وفي نسبه السحر والكهانة
والحسن ومنه الحديث ومنه قول عبد الملك بن مروان قال الله كيف اطابه مرارا ما حسن ذكرا
وقد نطق في ذلك الا ما شبه ما طلبت قريش منه وقيل كذلك سيدنا عليه على جهة الاستهزاء به
ومنه ولذلك خفا به لما ارزوه من قولهم قيل كنت قد ساعدتهم واعطاهم سعوده واستعظامهم
كقوله وهذا ابيه بعد قولهم لله الله مشهور كلام العرب انه قال عند استعظام الامر

والتعجب

والتعجب منه ومعناه انه قد بلغ المبلغ الذي يحسد عليه ويدعى عليه من حساده والا سفهام
في كيف قدر في معنى ما العجب يعدس وما اعزه كقولهم اي رجل من ابرو ما اعظمه وحا الكرا
بهم تدل على ان الثانية ابلغ من الاولى للتراخي الذي بينهما كانه دعا عليه اولا ورجع ان يعلع
ماكان ترويه فلم يفعل فدعى عليه ثانيا ثم نظر اي فكر ثانيا وقيل نظر الى وجوه الناس ثم عبس
وبسر اي قطب وكلح لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول وقيل قطب في وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم ادبر اي رجع مدبرا وقيل ادبر عن الحق واستكبر فقال لنشاوش متنكرا
وقيل تشاوس عن الحق وصفه بالهيات التي تشكل بها حين اراد ان يقول ما قال في كل ذلك
على سبيل الاستهزاء به وان ما يقوله كذب وافترا اذ لو كان محقا لكان له بعمات عن هذه
من ريح القلب وظهور السرور والحزن والبشر في وجهه ولو كان محقا لم يحتج الى هذا الفكر في
الحق البلغ سهم بكاد بعينه من غير اكراه فكر ولا ابطا تاويل الا ترى ان ذلك الرجل وقوله
حين رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمت انه وجهه ليس بوجه كذاب واسم من عون
وقيل ثم نظر فما يحتج به القران فراى انه ما فيه من الاعجاز والاعلام لمرسله الرسول عليه
السلام ثم دار ونظر في ذلك ثم عبس وبسر لذلك وكان العطف بثم في قوله ثم نظر ثم عبس وبسر
ثم ادبر واستكبر دلالة على انه تباطأ في تامله اذ بين ذلك بزاح وساعة وكان العطف في وبسر
وفي واستكبر لان البسور قريب من العبوس فهو كانه على سبيل التوكيد والاستكبار انه
سبب الادبار اذ الاستكبار معنى في القلب والادبار حقيقة من فعل الجسم فهما سبب ومسبب
فلا يعطف بثم وقدم المسبب على السبب لانه الظاهر المحسوس بسبب العطف بالواو وكان
العطف بالفاء دلالة على التعقيب لانه لما خطر بباله هذا القول نعم بتطلبه لما امكنه
ان نطق به من غير تلبث ومعنى يوثر اي يروى ويتعلم فقال
لعلك من القول الذي اراده بوعدي بذا المسجد
وقيل يؤثر اي تختاره في حق على غير من السحر وهو من الايثار ومعنى الاستحواذ
شبه البشر اي هذا الا قول البشر يا محمد انه اي ملقوط من اقوال الناس ويظهر ان
كفر الوليد انما هو عناد الا تراه بناه على الفرار ونفيه عنه جميع ما نسبوا اليه من الشعر والكهانة
والجنون وقصته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرأ عليه السلام اوائل فصلت وقرأ
فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقفت ناشدتك بالله والرحم

يتشكل بما خلق فيه سقر انتهى وقال الزمخشري بدل من بشار وفيه ضعف انتهى ونظيره بما حاب الحجب
كل ما احد منهما على سبيل التوسعة والعصيان الذي في كل واحد منهما بنو ... على كونه عند الاثبات
الله بارها في صعود وعلى قوله بان الراى ينحر يومئذ باصله يد وتعد عن الكلام على سقر او اخر
سورة القمر وما ادراك ما سقر تعظيم لهولها وشدتها لا تبقي ولا تذر اي لا تبقي على من الف
تقتله ولا تذر غاية من العذاب الا وصلته اليه لواحة للبشر قال ابن عباس ومجاهد وابو رزين
والجمهور معناه مغيرة للبشرات محرقة للجلود مسودة لها والبشر جمع بشرة ويقول العرب لاحت
النار الشيء اذا احرقته وسودته وقال الحسن وابن كيسان لواحة بناء مبالغة من لاح اذا ظهر
والمعنى انها تظهر للناس وهم البشر من مسيرة خمس مائة عام وذلك لعظمها وهولها وزجرها
كقوله لترون الجحيم وقوله وبرزت الجحيم لمن يرى وقرأ الجمهور لواحة بالرفع اي هي لواحة وعطية
العوفي وزيد بن علي والحسن وابن ابي عبلة لواحة بالنصب على الحال المؤكدة لان النار التي
لا تبقي ولا تذر ولا يكون الا مغيرة للابشار وقال الزمخشري منصوبا على الاختصاص للتهويل
عليها تسعة عشر التمييز محذوف والمتبادر الى الذهن انه ملك الا ترى العرب وهم الفصحاء كيف
فهموا منه ان المراد ملك حين سمعوا ذلك وقال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي
كبشة يخبركم ان النار تسعة عشر وانتم الدهم افيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال
ابو الاسود بن اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني
انتم اثنين فانزل الله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اي ما جعلناهم رجالا فتقاتلونهم
فتطيقون ما انزل الله في ابي جهل اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى الى قوله من المنذر وفيه انه الملائكة
وقيل صنفا وقيل نفسا وقيل نقيبا ومعنى عليها اي يتولون امرها والمتسلط عليها فالذي يدل عليه من العدد
ومن الآية نعوذ بالله ومن الحديث ان يكونوا هم النقباء الا من الى قوله وما يعلم جنود ربك الا
هو وقوله عليه السلام يؤتى بجهنم لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها
وتعدد ذكر المفسرين من نعوت هؤلاء الملائكة وخلقهم وقوتهم وما اعد الله عليه من الاعمال
ما ابهم صحته وقد ذكر ابو عبد الله الرازي هنا ما يدعيه في كون هؤلاء الملائكة على هذا العدد المحصور
توقف عليها في تصنيفه وقرأ الجمهور تسعة عشر بفتح العين على مشهور اللغة في هذا العدد وقرأ
ابو جعفر وطلحة بن سليمان العين كراهة توالي الحركات وقرأ انس بن مالك وابن عباس
وابن قطيب وابراهيم ابن عنه بضم التاء وهي حركة بناء عدل اليها عن الفتحة لتوالي خمس حركات

ولا سيما انها حركة اعراب لانها لو كانت اعرابا لاعربت عشر وقرأ انس ايضا تسعة بالضم اعشر
بالفتح قال صاحب اللوامح يجوز انه جمع العشرة على اعشر ثم اجراه مجرى تسعة عشر وعنه ايضا
تسعة وعشر بالضم وقلب الهمزة من اعشر واوا خالصة تخفيفا والتاء فيهما مضمومة فيهما لانهما
معا بنيه للفتحة فرارا من الجمع بين خمس حركات على جهة واحدة وعن سليمان بن عتبة وهو اخو انس انه
قرأ تسعة اعشر بضم التاء اعراب واضافته الى العشرة اعشر مجرور منون وذلك على فك التركيب
قال صاحب اللوامح وهي على هذه القراءة وهي قراءة من قرأ اعشر تسعة او بعيرا من حيث هو جمع ان
الملائكة الذين هم على سقر تسعون ملكا انتهى وفيه بعض تحريف وقال الزمخشري وقرئ تسعة
اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن انتهى وسليمان بن عتبة هذا هو الذي مدح اهل بيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو القائل

مررت على ابيات آل محمد فلم ارها امثالها يوم حلت

وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اي جعلناهم خلقا لا قبل لاحد من الناس بهم وما جعلنا عدتهم
الا فتنة للذين كفروا اي سبب فتنة مفعول ثان لجعلنا اي جعلنا تلك العدة وهي تسعة عشر
سببا لفتنة الكفار فليس فتنة مفعولا من اجله وفتنتهم هي كونهم اظهروا استهزاء وتهكما والطماعية
في مغالبتهم وذلك كله بسبب الاستهزاء فانهم مكذبون بالبعث والنار وقد يجوز ان يكون ليستيقن
هنا مفعولا من اجله وهو متعلق بجعلنا لا بفتنة فليست الفتنة معلولة للاستيقان بل
المعلول جعل العدة سببا للفتنة الذين اوتوا الكتاب وهم اليهود والنصارى ان هذا القرآن
هو من عند الله اذ هم يجدون هذه العدة في كتبهم المنزلة ويعلمون ان الرسول لم يقرأها ولا قرأها
عليه احد ولكن كتابه يصدق كتبهم لا سيما اذ كل حق يعاضد من عند الله ويزداد كل ذي ايمان
ايمانا ومن ولي الى ما سبق عن المقصودين من اهل الكتاب ومن المؤمنين وقيل لهما ان جعلها فتنة
لانهم يستهزئون ويقولون ان يكونوا في مدى ما المعنى بخصص هذا العدد بالوجود ويقولون
هذا العدد القليل كيف يقوى على تعذيب ذكر العالم من الجن والانس من اول ما خلق الله الى قيام
الساعة وقال الزمخشري فان قلت كيف جعل استيقان الكافرين بعدة الزبانية
سببا لاستيقان اهل الكتاب وزيادات ايمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين
ما وجه صحة ذلك قلت ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وانما العدة نفسها هي التي
جعلت سببا وذلك ان المراد بقوله وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر موضع فتنة للذين كفروا

موضع تسعة عشر لان حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين ان يفتتن بها من
لا يومن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن اذعان المومن وان خفي عليه وجه الحكمة
كانه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شانها ان يفتتن بها لاجل استيقان المومنين وحيرة
الكافرين انتهى وهو سوال عجيب وجواب فيه تحريف كتاب الله اذ زعم ان معنى الا فتنة
للذين كفروا الا تسعة عشر وهذا لا يذهب اليه عاقل ولا من له ادنى ذكا وكفى
ردا عليه تحريفه كتاب الله ووضعه الفاظا مخالفة لالفاظ ومعنى مخالفا لمعنى بل
ليستيقن متعلق بفعل مضمر اي فعلنا ذلك ليستيقن ولا يرتاب موكد لقوله
اذ اثبات اليقين ونفي الارتياب ابلغ واكد في الوصف لسكون النفس السكون التام
والذين في قلوبهم مرض قال الحسين بن الفضل السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق
فالمرض في الاية الاضطراب وضعف الايمان وقيل هو اخبار بالغيب
اي وليقول المنافقون الذين يحدثون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة ما
ذا اراد الله بهذا مثلا لما سمعوا هذا العدد لم يصدقوا وحاروا فاستفهم بعضهم
بعضا بمعنى ذلك استبعادا ان يكون هذا من عند الله وسموه مثلا استعارة من
المثل المضروب استغرابا منهم لهذا العدد والمعنى اي شي اراد الله بهذا العدد العجيب
ومرادهم انكار اصله وانه ليس من عند الله وتقدم اعراب مثل هذه الجملة في اوائل البقرة
كذلك يضل الله من يشا ويهدي من يشا وما يعلم جنود ربك الا هو وما
هي الا ذكرى للبشر كلا والقمر والليل اذا دبر والصبح اذا اسفر انها لاحدى الكبر نذيرا
للبشر لمن شا منكم ان يتقدم او يتاخر كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين
في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم
المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين فما تنفعهم
شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل
يريد كل امرئ منهم ان يوتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون الاخرة كلا انه تذكرة فمن
شا ذكره وما يذكرون الا ان يشا الله هو اهل التقوى واهل المغفرة الكاف
في محل نصب وذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى اي مثل ذلك المذكور
من الضلال والهدى يضل الكافرين فيشكون ويزيدهم كفرا وضلالا ويهدي

المومنين فيزيدهم ايمانا وما يعلم جنود ربك الا هو اعلام بان الامر فوق ما يتوهم وان الخبر انما
هو عن بعض القدرة لا عن كنهها والسما عامرة بانواع من الملائكة وفي الحديث اطت السما
وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا وما هي اي النار
قاله مجاهد او المخاطبة والنذارة او نار الدنيا او الايات التي ذكرت او العدة التسعة عشر
او الجنود اقوال راجحها الاول وهي سقر ذكرها للبشر ليخافوا فيطيعوا وقد جرى
ذكر النار وايضا في قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ذكرى للبشر اي
الذين اهلوا للتذكر والاعتبار كلا قال الزمخشري كلا انكار بعد
ان جعلها ذكرى ان تكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون انتهى ولا يسوغ هذا في حق الله تعالى
ان يخبر انها ذكرى للبشر ثم ينكر ان تكون لهم ذكرى وانما قوله للبشر عام مخصوص وقال
الزمخشري او ردع ان ينكر ان تكون احدى الكبر نذيرا وقيل ردع لقول ابي جهل واصحابه
انهم يقدرون على مقاومة خزنة جهنم وقيل ردع عن الاستهزاء بالعدة المخصوصة قال الفرا
هي صلة للقسم وقدرها بعضهم حقا وبعضهم بالا الاستفتاحية وقد تقدم الكلام عليها في اواخر
سورة مريم عليها السلام والقمر والليل اذ دبر اي ولى وقال دبر وادبر بمعنى واحد اقسم
تعالى بهذه الاشيا تشريفا لها وتنبيها على ما يظهر بها وفيها من عجائب الله وقدرته وقوام
الوجود بايجادها وقرا ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وعطا وابن يعمر وابو جعفر وشيبة
وابو الزناد وقتادة وعمر بن عبد العزيز والحسن وطلحة والنحويان والابنان وابو بكر
اذا ظرف زمان مستقبل دبر بفتح الدال وابن جبير والسلمي والحسن بخلاف عنهم وابن
سيرين والاعرج وزيد بن علي وابو شيخ وابن محيصن ونافع وحمزة وحفص اذ ظرف
زمان ماض ادبر رباعيا والحسن ايضا وابو رزين وابو رجا وابن يعمر ايضا والسلمي
ايضا وطلحة ايضا والاعمش ويونس بن عبيد ومطر اذا بالف ادبر بالهمزة وكذا هو
في مصحف عبد الله وابي وهو مناسب لقوله اذا اسفر وقالوا كامس الدابر وامس
المدبر بمعنى واحد وقال يونس بن حبيب دبر انقضى وادبر تولى وقال قتادة دبر
الليل ولى وقال الزمخشري ودبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل وقيل هو من دبر الليل
النهار اذا خلفه وقرا الجمهور اسفر رباعيا وابن السميفع وعيسى بن الفضل سفر
ثلاثيا والمعنى طرح الظلمة عن وجهه انها لاحدى الكبر الظاهر ان الضمير في انها يعود على

النار قبله ويحتمل أن يكون للنيران وأمر الآخرة فهو للحال والقصة وقيل إن قيام الساعة
لإحدى الكبر بعاد الضمير إلى غير مذكور ومعنى إحدى الكبر أي لا نظير لها كما تقول هو
أحد الرجال وهي إحدى النساء والكبر العظائم قال الراجز

يا ابن المعلى نزلت إحدى الكبر ‌ داهية الدهر وصماء الغير

والكبر جمع الكبرى طرحت ألف التأنيث في الجمع كما طرحت همزته في قاصعاء فقالوا قواصع
وفي كتاب ابن عطية والكبر جمع كبيرة ولعله من غلط الناسخ وقرأ الجمهور لإحدى بالهمز
وهي منقلبة عن واو أصله لوحدى وهو بدل لازم وقرأ نصر بن عاصم وابن محيصن
ووهب بن جرير عن ابن كثير بحذف الهمزة وهو حذف لا ينقاس وتخفيف مثل هذه
الهمزة أن تجعل بين بين والظاهر أن هذه الجملة جواب القسم وقال الزمخشري أو
تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد انتهى وقرأ الجمهور نذيرا واحتمل أن يكون مصدرا
بمعنى الإنذار كالنكير بمعنى الإنكار فيكون تمييزا أي لإحدى الكبر إنذارا كما تقول هي
إحدى النساء عفافا وأما لما تضمن إحدى من معنى أعظم كأنه قيل العظمى وقال الفراء هو مصدر نصب
بإضمار فعل أي أنذر إنذارا واحتمل أن يكون اسم فاعل بمعنى منذر وقال الزجاج حال من
الضمير في إنها وقيل حال من الضمير في إحدى وقيل متصل بقم في أول السورة
أو بفأنذر في أول السورة وحالا من الكبر أو حالا من ضمير الكبر فهو بمعنى ... الصوت
قال أبو البقاء والمختار أن يكون حالا مما دلت عليه الجملة تقديره عظمت
نذيرا انتهى وهو قول لا بأس به وقال النحاس حذفت الهاء من نذيرا وإن كان للنار
على معنى النسب يعني ذات إنذار وقال ابن سليمان يعني نذيرا وقال الحسن لا نذير
أدهى من النار وقال ابن عطية وهذا القول يقتضي أن نذيرا حال من الضمير في إنها
أو من قوله لإحدى وقال أبو رزين نذير هنا هو الله تعالى فهو منصوب بإضمار فعل
أي ادعوا نذيرا وقال ابن زيد نذير هنا هو محمد صلى الله عليه وسلم فهو منصوب
بفعل مضمر أي ناد أو بلغ أو أعلن وقرأ أبي وابن أبي عبلة نذير بالرفع فإن كان من وصف
النار جاز أن يكون خبرا بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف أي هي نذير وإن كان من وصف
الله أو الرسول فهو على إضمار هو والظاهر أن لمن بدل من للبشر بإعادة الجار ولمن شاء
مفعول شاء والفاعل بيتقدم يعود على من وقيل الفاعل ضمير يعود على الله تعالى

أي

أي لمن شاء هو أي الله تعالى وقال الحسن هو وعيد نحو قوله تعالى فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر قال ابن عطية هو بيان في النذارة وإعلام أن كل أحد يسلك
طريق الهدى والحق إذا حقق النظر إذ هو بعينه يتأخر عن هذه الرتبة لغفلته وسوء
نظره ثم قوى هذا المعنى بقوله كل نفس بما كسبت رهينة وقال الزمخشري أن يتقدم
في موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم عليه كقولك لمن توضأ أن يصلي ومعناه
مطلق لمن شاء التقدم أو التأخر أن يتقدم أو يتأخر والمراد بالتقدم والتأخر السبق إلى
الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انتهى وهو على معنى لا يساعد
عليه الذهن وقيل متعلق التقدم الإيمان والتأخر الكفر وقال السدي أن يتقدم
إلى النار المتقدم ذكرها أو يتأخر عنها إلى الجنة وقال الزجاج أنه يتقدم إلى المأمورات أو يتأخر
عن المنهيات والظاهر العموم في كل نفس وقال الضحاك كل نفس حق عليها العذاب ولا
يرتهن تعالى أحدا من أهل الجنة ورهينة بمعنى رهن كالشتيمة بمعنى الشتم وليست بمعنى
مفعول إذ لو كانت بمعنى مفعول لاستوى فيه المذكر والمؤنث نحو رجل قتيل وامرأة قتيل فالمعنى كل نفس بما كسبت
رهن ومنه قول الشاعر

أبعد الذي بالنعف نعف كويكب ‌ رهينة رمس ذي تراب وجندل

أي رهن رمس والمعنى أن كل نفس رهن عند الله غير مفكوك وقيل الهاء في رهينة
للمبالغة وقيل على تأنيث اللفظ لا على معنى الإنسان والذي أختاره أنها مما دخلت فيه
التاء وإن كان بمعنى مفعول في الأصل كالنطيحة ويدل على ذلك أنه لما كان خبرا عن المذكر
أتى بغير تاء كما يخبر به عن المؤنث أتى بالتاء كما في هذه الآية فأما الذي في
البيت فأنث على معنى النفس إلا أصحاب اليمين قال ابن عباس هم الملائكة وقال علي
هم أطفال المسلمين فعلى هذين القولين يكون استثناء منقطعا أي لكن أصحاب اليمين في
جنات وقال الحسن وابن كيسان هم المسلمون المخلصون ليسوا بمرتهنين لأنهم
أدوا ما كان عليهم وهذا كقول الضحاك الذي تقدم وقال الزمخشري إلا أصحاب
اليمين فإنهم فكوا عنه رقابهم بما أطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه بأداء
الحق انتهى فظاهر هذا أنه استثناء متصل في جنات أي هم في جنات يتساءلون أي يسأل
بعضهم بعضا أو يكون يتساءل بمعنى يسأل أي يسألون عنهم غيرهم كما يقال دعوته وتداعوا

معناه وعلى هذين التقريرين كيف جاء ما سلككم بالخطاب للمجرمين وفي الكلام حذف المعنى ان
اصحاب اليمين يسأل بعضهم بعضا ويتساءلون عنهم عن غائب من معارفهم فاذا عرفوا
انهم مجرمون في النار قالوا لهم او قال الملك لهم هكذا بدرتم بعضهم والاقرب ان يكون السؤال
يتساءلون عن المجرمين فالمسئول لهم بعد التساؤل ما سلككم في سقر وقال الزمخشري فان قلت
كيف طابق قوله ما سلككم وهذا سؤال للمجرمين وهو سؤال عنهم وانما كان يطابق ذلك
لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم قلت ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما
هو حكاية قول المسئولين عنهم لان المسئولين يلقون الى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين
فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الا ان الكلام جيء به على الحذف والاختصار
كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه انتهى وفيه تعسف والاظهر ان السائلين هم المسائلون وما
سلككم على اضمار القول كما ذكرنا وسؤالهم ما سلككم سؤال توبيخ لهم وتحسير والا فهم عالمون ما
الذي ادخلهم النار والجواب انهم لم يكونوا متصفين بخصائل الاسلام من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة
ثم انتقلوا من ذلك الى الاعظم وهو الكفر والتكذيب بيوم الجزاء فقوله [?] العقيدة قال ثم
من الذين امنوا [?] اي بعضا على [?] يوم الجزاء الى ان [?] الموت وقال ابن عطية واليقين عندي
صحة ما كانوا يكذبون به من الرجوع الى الله تعالى والدار الاخرة وقال المفسرون اليقين الموت وذلك
عندي هنا متعقب لان نفس الموت يقين عند الكافر وهو حي فانما اليقين الذي عنوا في
هذه الاية الشيء الذي كانوا يكذبون به وهم احياء في الدنيا فيتيقنونه بعد الموت وانما يفسر
اليقين بالموت في قوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين ليس المعنى
انهم يشفع لهم فلا تنفع شفاعة من يشفع لهم وانما المعنى نفي الشفاعة لهم فانتفى النفع اي لا شافعين
لهم فتنفعهم من باب على لاحب لا يهتدى بمناره اي لا منار له فيهتدى به
وتخصيصهم بانتفاء شفاعة الشافعين يدل على انه يكون من شفاعات وينتفع بها وورد في
احاديث في صحة ذلك فما لهم عن التذكرة وهي مواعظ القران التي تذكر الاخرة معرضين اي
والحال المنتظم هذه الموصوفة ثم شبههم بالحمر المستنفرة في شدة اعراضهم ونفارهم عن الايات
[illegible] وقرأ الجمهور حمر بضم الميم والاعمش باسكانها قال ابن عباس المراد الحمر الوحشية شبههم
تعالى بالحمر مستنفرة وبكسر الفاء قرأ نافع وابن عامر والمفضل عن عاصم مستنفرة بفتح الفا
والمعنى يستنفرها فزعها من القسورة وباقي السبعة بكسرها اي نافرة يقال نفر واستنفر بمعنى

تعجب

مثل عجب واستعجب وسخر واستسخر ومنه قول الشاعر
امسك حمارك انه مستنفر ... في اثر احمرة عمدن لغرب
ويناسب الكسر قوله فرت فعلت كانهم حمر [?] افعال مستنفرة طردها قسورة فقلبت [?]
تقول فرت من قسورة قال [?] مستنفرة اذن قال ابن عباس وابو موسى الاشعري
[?] وعكرمة القسورة الرماة وقال ابن عباس ايضا وابو هريرة وجمهور من اللغويين الاسد
وقال ابن جبير رجال القنص وهو قريب من القول الاول وقال ابن عباس ايضا وقال ابن الاعرابي
القسورة اول الليل والمعنى فرت من ظلمة الليل ولا شيء اشد نفارا من حمر الوحش ولذلك
شبهت بها العرب الابل في سرعة سيرها وخفتها بل يريد كل امرئ منهم اي من المعرضين عن
عظات الله ان يؤتى صحفا منشرة اي منشورة وغير مطوية تقرأ كالكتب التي يتكاتب
بها او كتبت [?] انهم قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تؤتي كل واحد منا كتبا من السماء عنوانها من رب العالمين الى
فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحوه لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وروي ان
بعضهم قال ان كان يكتب في صحف ما يعمل كل انسان فلتعرض تلك الصحف علينا فنزلت هذه
الاية وقرأ الجمهور صحفا بضم الحاء منشرة مشددة وقرأ ابن جبير باسكانهما منشرة مخففا
ونشر وانشر مثل نزل وانزل شبه نشرت الصحيفة بانشر الله الموتى فعبر عنه بمنشرة
من انشرت والمحفوظ في الصحيفة والثوب نشر مخففا ثلاثيا ويقال في الميت انشر الله
ونشره ويقال نشر الله فنشر هو اي احياه فحيي كلا ردع عن ارادتهم تلك وزجر لهم عن اقتراح
الايات بل لا يخافون الاخرة ولذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف وقرأ
الجمهور يخافون بياء الغيبة وابو حيوة بتاء الخطاب [?] كلا ردع عن اعراضهم عن التذكرة انه
تذكرة فمن شاء ذكره [?] التذكرة ذكره وقرأ نافع وسلام
ويعقوب تذكرون بتاء الخطاب ساكنة الذال وباقي السبعة وابو جعفر والاعمش وطلحة
وعيسى والاعرج بالياء وروي عن ابي حيوة يذكرون بياء الغيبة وشد الذال وروي عن ابي جعفر
تذكرون بالتاء وادغام التاء في الذال هو اهل التقوى اي اهل ان يتقى ويخاف واهل ان يغفر
وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر هذه الاية فقال يقول ربكم جلت
جلت قدرته وعظمته انا اهل ان اتقى فلا يجعل معي الاها غيري ومن اتقى ان يجعل معي الها

عنه كما من اتقى ان يحمل معنى الطاعة فانا اعطاه وقال الزمخشري في قوله تعالى وما
يذكرون الا ان يشاء الله يعني الا ان يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه لانهم مطبوع على قلوبهم
معلوم انهم لا يؤمنون اختيارا برق بالكسر فزع ودهش واصله من برق الرجل
اذا نظر الى البرق فدهش بصره ومنه قول ذي الرمة

ولو ان لقمان الحكيم تعرضت لعينيه مي سافرا كاد يبرق

قال الاعشى

وكنت ارى في وجه مية لمحة فابرق مغشيا على مكانيا

وبرق نعت الراشق بصره دموما لمريض اي لم يطرف من شدة شخوصه الوزر ما يلجا
اليه من حصن او جبل او غيرهما قال

لعمرك ما للفتى من وزر من الموت يدركه والكبر المعضر المنعه وحال السبع

والمراد بالفاقرة الداهية التي تقصم فقار الظهر وفي العنق الحز والماير

قال

ابالي بعد لا ازال مقاتلي وحزبه فاقرة فوق راسي فاقره

اي موت التراقي جمع ترقوة وهي عظام الصدور ولكل انسان ترقوتان وهو موضع
الحشرجة قال دريد بن الصمة

ورب عظيمة دافعت عنها وقد بلغت نفوسهم التراقي

وقيل من راق يرقي رقيا والمراد به الطبيب من الكلام المعروف ثم يمطى يتبختر في
مشيته ويمد منكبيه قلب الطاء تاء حرف علة كراهة اجتماع الامثال كما قالوا تمطى
من التمطط واصله يتمطط والمطيطا التبختر ومد اليدين في المشي والمطيط الماء
الخاثر في اسفل الحوض لانه يتمطط فيه اي يمتد وعلى هذا الاشتقاق يكون اصله
من المطا الذي هو الظهر لانه يلويه اذا ما ده المطاط ومادة تمطط مط سدى
مهملا يقال ابل سدى اي مهملة ترعى حيث شاءت بلا راع واسديت الشيء
اهملته واسديت حاجتي ضيعتها قال

فاقسم بالله جهد اليمين ما خلق الله شيئا سدى

قال ابو بكر بن دريد

لها

لم ار كالمرء ينتو اما ثلاثة يحسبها مرعيه وهي تستدى

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيامة
ولا اقسم بالنفس اللوامة ايحسب الانسان الن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوي بنانه
بل يريد الانسان ليفجر امامه يسأل ايان يوم القيامة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس
والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر كلا لا وزر الى ربك يومئذ
المستقر ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره لا
تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه كلا بل
تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة
تظن ان يفعل بها فاقرة كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن انه الفراق والتفت الساق
بالساق الى ربك يومئذ المساق فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله يتمطى
اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى
ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيي
الموتى هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها ان اواخر ما قبلها كلا بل لا يخافون
الآخرة كلا انه تذكرة وفيها كثير من احوال القيامة فذكر هنا يوم القيامة وجملا من احوالها
وتقدم الكلام في لا اقسم والخلاف في لا وفي قراءة لاقسم فقط في اواخر الواقعة اقسم
تعالى بيوم القيامة لعظمه وهوله ولا اقسم بل لا نافية نفي ان يقسم بالنفس اللوامة
واقسم بيوم القيامة نص عليه هذا الحسن والجمهور على ان الله تعالى اقسم بالامرين واللوامة
قال الحسن هي التي تلوم صاحبها في ترك الطاعة ونحوها فهي على هذا ممدوحة ولذلك اقسم الله
بها وروي نحوه عن ابن عباس وعن مجاهد قال المجاهد تلوم على ما فات وتندم على الشر لم
فعلته وعلى الخير لم تستكثر منه وقيل النفس المعنية التي تلوم النفس يوم القيامة على تقصيرها
في الدنيا وقال ابن عباس ايضا وقتادة هي الفاجرة الجشعة اللوامة لصاحبها على ما فاته من سعي
الدنيا واعراضها فهي على هذا ذميمة وحسن نفي القسم بها والنفس اللوامة اسم جنس لهذا الوصف
وقيل هي نفس معينة وهي نفس آدم عليه السلام لم تزل لائمة عليه على فعله الذي اخرجه
من الجنة قال ابن عطية وكل نفس متوسطة ليست بمطمئنة ولا امارة بالسوء فانها لوامة
في الطرفين مرة تلوم على ترك الطاعة ومرة تلوم على فوت ما تشتهي فاذا اطمأنت خلصت وصفت

اي وانما ناسبه بين القسمين من حيث احوال النفس من سعادتها وشقاوتها وظهور ذلك
في يوم القيامة وجواب القسم محذوف يدل عليه يوم القيامة المقسم به وما بعده من قوله
ايحسب الانسان تقديره لتبعثن وقال الزمخشري فان قلت قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون
والابيات التي انشدتها المقسم عليه فيها منفي وكان كذا انشد قول امرئ القيس

فلا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر

وقول ــــ غوير بن سلمى

الا نادت امامة باحتمال ليحزنني فلا بك ما ابالي

قال فهلا زعمت ان لا التي للقسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه
المحذوف ههنا منفيا نحو قولك لا اقسم بيوم القيامة لا تتركون سدى قلت ــــ
لو قصروا الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر الا ترى
كيف لقي لا اقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان في كبد وكذلك فلا اقسم بمواقع
النجوم بقوله انه لقرآن كريم قال الزمخشري وجواب القسم ما دل عليه قوله ايحسب
الانسان ان لن نجمع عظامه وهو لتبعثن انتهى وهو تقدير النحاس في قول من قال جواب
القسم ايحسب الانسان وما روي عن الحسن ان الجواب بلى قادرين وما قيل ان لا
في القسمين لنفيها اي لا اقسم على شيء وقال المبرد ولكن اسألك ايحسب الانسان اقوال
لا يصلح ان تذكر بل تطرح ولا تسود بها الورق ولولا انهم سطروها في الكتب لم اذكرها
والانسان هنا الكافر المكذب بالبعث روي ان عدي بن ربيعة قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يا محمد لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك ولم اومن به او يجمع الله
العظام فنزلت وقيل نزلت في ابي جهل كان يقول ايزعم محمد ان يجمع الله هذه العظام
بعد بلاها وتفرقها فيعيدها خلقا جديدا وقرأ الجمهور نجمع عظامه نصبا وقتادة بالنون
مبنيا للمفعول عظامه رفعا والمعنى بعد تفرقها واختلاطها بالتراب وتطيير الرياح
اياها في اقاصي الارض وقوله ايحسب استفهام تقرير وتوبيخ حيث ينكر قدرة الله على اعادة
المعدوم بلى هو جواب الاستفهام المنسحب على النفي اي بلى نجمعها وذكر العظام وانما
المعنى اعادة الانسان وجمع اجزائه المتفرقة لان العظام هي قالب الخلق وقرأ الجمهور قادرين
بالنصب على الحال من الضمير الذي في الفعل المقدر وهو نجمعها وابن ابي عبلة وابن السميفع قادرون

اي

اي نحن قادرون على ان نسوي بنانه وهي الاصابع اكثر العظام تفرقا وادقها اجزاء
وهي العظام التي في الانامل ومفاصلها وهذا عند البعث وقال ابن عباس والجمهور المعنى
نجعلها في حياته هذه بضعة او عظما واحدا كخف البعير لا تفاريق فيه اي في الدنيا فيقل انتفاعه
بها وهذا القول فيه توعد والمعنى الاول هو الظاهر والمقصود من رصف الكلام وذكر
الزمخشري هذين القولين بالفاظ منه على عادته في حكاية اقوال المتقدمين وقيل قادرين
منصوب على خبر كان اي كنا قادرين في الابتداء بل يريد الانسان بل اضراب
وهو اضراب من كلام الى كلام من غير ابطال والظاهر ان يريد اخبار عن ما يريد الانسان
وقال الزمخشري بل يريد عطف على ايحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما وان يكون
ايجابا على ان يضرب عن مستفهم عنه الى اخر او يضرب عن مستفهم عنه الى موجب انتهى
وهذه التقادير الثلاثة لا تظهر وهي مدخولة بل المعنى الاضراب على الانسان لما ذكر الاحياء
بقوله بلى قادرين اي نجمعها قادرين انتقل من هذا الاخبار الى الاخبار عن الانسان
من غير ابطال لمضمون الجملة السابقة وهو نجمعها قادرين لبيان ما هو عليه الانسان من عدم
الفكر في الاخرة وانه معنى بشهواته ومفعول يريد محذوف يدل عليه التعليل في ليفجر
قال مجاهد والحسن وعكرمة وابن جبير والضحاك والسدي يعني بالآية ان الانسان
انما يريد شهواته ومعاصيه ليمضي فيها ابدا وركوبا راسه ومطيعا امله ومسوفا
بتوبته وقال السدي ايضا ليظلم على قدر طاقته وعلى هذا فالضمير في امامه عائد على الانسان
وهو الظاهر وعن ابن عباس ما يقتضي ان الضمير عائد على يوم القيامة اذ الانسان في
زمان وجوده امام يوم القيامة وبين يديه ويوم القيامة خلفه فهو يريد شهواته
ليفجر في تكذيبه بالبعث وغير ذلك بين يدي يوم القيامة ولا يعرف قدر العرض الذي
هو بين يديه والامام ظرف مكان استعير هنا للزمان اي ليفجر فيما بين يديه ويستقبله
من زمان حياته يسأل ايان اي متى يوم القيامة سؤال استهزاء وتكذيب وتعنت
وقرأ الجمهور برق بكسر الراء وزيد بن ثابت ونصر بن عاصم وعبد الله بن ابي اسحق وابو
حيوة وابن ابي عبلة والزعفراني وابن مقسم ونافع وزيد بن علي وابان عن عاصم وهرون
ومحبوب كلاهما عن ابي عمرو والحسن والجحدري بخلاف عنهما بفتحها قال ابو عبيدة
برق بالفتح شق وقال ابن اسحق شخص عند الموت قال مجاهد هذا عند الموت

وقال الحسن هو يوم القيامة وقرأ ابو السمال بلق باللام عوض الراء اي انفتح وانفرج يقال
بلق الباب وابلقته وبلقته فتحته هكذا قال اهل اللغة الا الفراء فانه يقول بلقه وابلقه
اذا اغلقه وقال ثعلب اخطأ الفراء في ذلك انما هو بلق الباب وابلقه اذا فتحه انتهى
ويمكن ان تكون اللام بدلا من الراء فهما يتعاقبان في بعض الكلام نحو قولهم نثر ونثل ووجر ووجل
وقرأ الجمهور وخسف مبنيا للفاعل وابو حيوة وابن ابي عبلة ويزيد بن قطيب وزيد
ابن علي مبنيا للمفعول يقال خسف القمر وخسفه الله وكذلك الشمس قال
ابو عبيدة وجماعة من اهل اللغة الخسوف والكسوف بمعنى واحد وقال ابن ابي اويس الكسوف
ذهاب بعض الضوء والخسوف ذهاب جميعه وجمع الشمس والقمر لم تلحق علامة التانيث
لان تانيث الشمس مجاز او لتغليب التذكير على التانيث وقال الكسائي حمل على المعنى
والتقدير جمع النوران او الضياءان ومعنى الجمع بينهما قال عطاء بن يسار يجمعان ثم يقذفان
في البحر فيكونان نار الله الكبرى وقيل
يجمع بينهما في الطلوع من المغرب فيطلعان اسودين مكورين وقال علي وابن عباس
يجعلان في نور الحجب وقيل يجمعان ولا يفترقان ويقربان من الناس فيلحقهم العرق لشدة
الحر وكان المعنى يجمع حرهما وقيل يجمع بينهما في ذهاب الضوء فلا يكون ثم تعاقب ليل
ولا نهار وقرأ الجمهور المفر بفتح الميم والفاء مصدرا اي الفرار وقرأ الحسن بن علي بن
ابي طالب والحسن بن زيد وابن عباس والحسن وعكرمة وايوب السختياني وكلثوم
ابن عياض ومجاهد وابن يعمر وحماد بن سلمة وابو رجاء وعيسى وابن ابي اسحق وابو
حيوة وابن ابي عبلة والزهري بكسر الفاء وهو موضع الفرار وقرأ الحسن بكسر الميم
وفتح الفاء ونسبها ابن عطية للزهري اي الجيد الفرار واكثر ما يستعمل هذا الوزن
في الالات وفي صفات الخيل نحو قوله

مكر مفر مقبل مدبر معا

والظاهر ان قوله كلا لا وزر الى
ربك يومئذ المستقر من تمام قول الانسان وقيل هو من كلام الله تعالى لا حكاية عن
الانسان كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ وعبر المفسرون عنه بالجبل قال
مطرف بن الشخير هو كان وزر فرار العرب في بلادهم فلذلك استعمل والحقيقة
انه الملجأ من جبل او حصن او سلاح او رجل او غير ذلك يومئذ اي الى حكمه مد

اي

اي تنتهي الى المستقر اي الاستقرار او موضع استقرار من جنة او نار اي بمشيئته تعالى
يدخل من شاء الجنة ويدخل من شاء النار بما قدم واخر قال عبد الله وابن
عباس بما قدم في حياته واخر من سنة يعمل بها بعده وقال ابن عباس ايضا بما قدم من
المعاصي واخر من الطاعات وقال زيد بن اسلم بما قدم من ماله لنفسه وبما اخر منه للوارث
وقال النخعي ومجاهد باول عمله واخره وقال الضحاك بما قدم من فرض واخر من فرض
والظاهر حمله على العموم اي يخبر بكل ما قدم وكل ما اخر مما ذكره المفسرون ومما
لم يذكروه والظاهر ان بصيرة خبر عن الانسان اي شاهد قال قتادة والهاء للمبالغة
وقال الاخفش هو كقولك فلان عبرة وحجة وقيل انث لانه اراد به جوارحه من نفسه
شهيد وقيل بصيرة صفة لمحذوف الموصوف اي عين بصيرة وعلى نفسه المجرور والجملة
في موضع خبر عن الانسان والتقدير عين بصيرة واليه ذهب الفراء وانشد

كان على ذي العقل عينا بصيرة بمقعده او منظر هو ناظره
يحاذر حتى يحسب الناس كلهم من الخوف لا تخفى عليهم سرائره

وعلى هذا يجوز ان تكون بصيرة فاعلا بالجار والمجرور وهو الخبر عن الانسان الا
انه قد اعتمد بوقوعه خبرا عن الانسان وعلى هذا ما قاله ابن عباس البصيرة
الجوارح الملائكة الحفظة والمعاذير عند الجمهور الاعذار اي ولو جاء بكل معذرة
يعتذر بها عن نفسه فانه هو الشاهد عليها والحجة البينة عليها معاذيره والمعاذير جمع
معذرة وقال الزمخشري فان قلت اليس قياس معذرة ان تجمع معاذر قلت المعاذير ليس بجمع معذرة انما هو اسم جمع لها ونحوه
المناكير في المنكر انتهى وليس هذا البناء من ابنية اسماء الجموع وانما هو من ابنية جمع
التكسير فقوله انه اسم جمع وان المفرد منها معذرة وذكر ثم مذهب ليصل الى انها من ابنية
الجموع بل قيل هو جمع للمعذرة على غير قياس او جمع لمفرد لم ينطق به وهو معذار
وقال السدي والضحاك المعاذير الستور بلغة اليمن واحدها معذار وهو يمنع
رؤية المحتجب كما يمنع المعذرة عقوبة الذنب وقاله الزجاج ايضا اي وان ارخى ستوره
يريد ان يخفي عمله فنفسه شاهدة عليه والاصل في ان المعاذير الستور قول الشاعر

ولكنها ضنت بمنزل ساعة علينا واطت فوقها بالمعاذر

وقيل البصيرة الكاتبان يكتبان ما يكون من خير او شر اي ان تستر

بالستور فاذا كانت من العذر فجمع ولو القى اي نطق بمعاذيره وقالها وقيل ولو
رمى باعذاره فاستسلم وقال المعترض لو اراد الجمع لقال معاذر وقيل لو اجاب بعضهم
على بعض لقوله لولا انتم لكنا مؤمنين والعذر والعذرى والمعذرة قال

ها ان ذا عذرة ان لا تكن نفعت قال

ولا عذرى لمحدود لا تحرك به لسانك الظاهر والمنصوص الصحيح في سبب النزول
انه خطاب للرسول عليه السلام وعلى ما سيذكره ان شاء الله تعالى وقال القفال هو خطاب
للانسان المذكور قوله ينبؤ الانسان وكذلك تحصل تبيينه بقبائح افعاله يعرض عليه
كتابه فيقال له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فاذا اخذ في القراءة تلجلج
لسانه من شدة الخوف وسرعة القراءة فقيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به فانه يجب
علينا بحكم الوعد او بحكم الحكمة ان نجمع اعمالك وان نقراها عليك فاذا قراناه عليك فاتبع
قراءته بالاقرار انك فعلت تلك الافعال ثم ان علينا بيانه اي بيان امره وشرح عقوبته
وحاصل هذا القول انه تعالى يقرر على الكافر جميع اعماله على التفصيل وفيه اشد
الوعيد في الدنيا واشد التهويل في الاخرة وفي صحيح البخاري عن ابن عباس انه عليه
السلام كان يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه مخافة ان يذهب
عنه ما يوحى اليه فنزلت وقال الضحاك السبب انه عليه السلام كان
يخاف ان ينسى القران فكان يدرسه حتى غلب ذلك عليه وشق فنزلت وقال
الشعبي كان لحرصه عليه السلام على اداء الرسالة والاجتهاد في ذات الله ربما اراد
النطق ببعض ما اوحي اليه قبل كمال ايراد الوحي فامر ان لا يعجل بالقران من قبل
ان يقضى اليه وحيه وجاءت هذه الاية في هذا المعنى والضمير في به للقران ودل عليه
مساق الاية ان علينا جمعه اي في صدرك وقرانه اي قراءته اي قراءتك اياه والقران
مصدر كالقراءة قال

ضحوا باشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرانا

وقيل وقرانه تاليفه في صدرك فهو مصدر من قرات اي جمعت ومنه قولهم
للمراة التي لم تلد ما قرات سلا قط وقال

ذراعي بكرة ادماء بكر هجان اللون لم تقرا جنينا

فاذا

فاذا قراناه اي الملك المبلغ عنا فاتبع ايه بذهنك وفكرك اي فاستمع قراءته قاله ابن عباس
وقال ايضا معروفها ه وقال الضحاك فاتبع في الاوامر والنواهي كذا في كتاب ابن عطية وقرا ابو
العالية قرته فاذا قرته فاتبع قرته بفتح القاف والراء والتاء من غير همز ولا الف في الثلاثة ولم
يتكلم على توجيه هذه القراءة الشاذة ووجه اللفظ الاول انه مصدر اي ان علينا جمعه وقراه
بنقل حركة الهمزة الى الراء الساكنة وحذفها فبقي قره كما ترى واما الثاني فانه فعل ماض
اصله فاذا قراته اي اردت قراءته فسكن الهمزة فصار قراته ثم حذف الالف على جهة الشذوذ
كما حذفت في قول العرب ولو ترما الصبيان يريدون ولو ترى ما الصبيان وما زائدة
واما اللفظ الثالث فتوجيهه بوجه اللفظ الاول اي فاذا قراناه اي اردت قراءته فاتبع
قراءته بالدرس او بالعمل ثم ان علينا بيانه قال قتادة وجماعة ان نبينه لك ونحفظكه و قيل
ان نبينه انت وقال ايضا ان نبين لك حرامه وحلاله ومفسره وفي التحرير والتحبير
قال ابن عباس ان علينا جمعه اي نحفظه لك فاذا قراناه فاتبع قراءته بالعمل على لسانك وقال
الضحاك نثبته في قلبك بعد جمعه لك وقيل جمعه بايحاء جبريل عليه السلام مرة اخرى الى ان
يثبت في صدرك فاذا قراناه قال ابن عباس اذا تلاه الملك فاستمع قراءته ومنه انصاتا ذا
ثم ان علينا بيانه فاتبع ما فيه وقال قتادة فاتبع حلاله واجتنب حرامه وقد نحا الزمخشري بحسن
ايراده بتفسير هذه الاية فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع
جبريل القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت منه فامر
بان يستنصت له ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضى اليه وحيه ثم يقفيه بالدراسة
الى ان يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل يقرا لتعجل به لتاخذه
على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله ان علينا جمعه في صدرك واثبات ت
قراءته في لسانك فاذا قراناه جعل قراءة جبريل قراءته والقران القراءة فاتبع قراءته فكن
مقفيا له فيه ولا تراسله وطامن نفسك انه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه
ثم ان علينا بيانه اذا اشكل عليك شيء من معانيه كانه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى
جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك
وحيه انتهى وذكر ابو عبد الله الرازي في تفسيره ان جماعة من قدماء الروافض زعموا ان
القران قد غير وبدل وزيد فيه ونقص عنه واحتجوا بانه لا مناسبة لهذه الاية وما

وما قبلها انه تعالى لما ذكر منكر القيامة والبعث معرضا عن ايات الله تعالى ومعجزاته وانه قاصر
شهواته على الفجور غير مكترث بما يصدر منه ذكر حال من يبادر الى تعلم ايات الله وحفظها
وتلقفها والنظر فيها وعرضها على من ينكرها رجاء قبوله اياها فظهر بذلك تباين من يرغب في
تحصيل ايات الله ومن يرغب عنها وبضدها تتبين الاشيا ولما كان عليه السلام
لمثابرته على ذلك كان يبادر للحفظ بتحريك لسانه اخبره تعالى انه يجمعه له ويوضحه كلا بل
تحبون العاجلة وتذرون الاخرة لما فرغ من خطابه عليه السلام رجع الى حال الانسان
السابق ذكره المنكر البعث وان همه انما هو في تحصيل حطام الدنيا الفاني لا في تحصيل
ثواب الاخرة اذ هو منكر لذلك وقرا الجمهور بل تحبون وتذرون بتا الخطاب لكفار قريش
المنكرين البعث وقال رد عليهم وعلى اقوالهم اي ليس كما زعمتم وانما انتم قوم غلبت عليكم محبة
الله شهوات الدنيا حبا تتركون معه الاخرة والنظر في امرها وقال الزمخشري
كلا ردع وذكر في كتابه ما يوقف عليه فيه وقرا مجاهد والحسن وقتادة والجحدري وابن
كثير وابو عمرو وابن عامر بيا الغيبة فيهما ولما وبخهم بحب العاجلة وترك الاهتمام بالاخرة
تخلص الى احوال الاخرة فقال وجوه يومئذ ناضرة وعبر بالوجه عن الجملة وقرا الجمهور ناضرة
بالف وزيد بن علي نضرة بغير الف وقال ابن عطية وجوه رفع بالابتدا وابتدا
بالنكرة لانها تخصصت بقوله يومئذ وناضرة خبر وجوه وقوله الى ربها ناظرة جملة هي
في موضع خبر بعد خبر انتهى وليس يومئذ تخصيصا للنكرة فيسوغ الابتدا بها لان ظرف الزمان
لا يكون صفة للجثة وانما يومئذ معمول لناضرة وسوغ جواز الابتدا بالنكرة كون الموضع
موضع تفصيل وناظرة الخبر وناضرة صفة وقيل ناضرة نعت لوجوه والى ربها
ناظرة الخبر وسيقولون قبايح ومسالة النظر ورؤية الله مذكورة في علم اصول الدين ولاهل
الزيغ على اهل السنة والاعتزال فيه نظر بين ذكر ذلك هنا ولما كان الزمخشري من
المعتزلة ومن مذهبه ان تقديم المفعول يدل على الاختصاص قال ما معناه انهم ينظرون
الى اشيا لا يحيط بها الحصر فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورا
اليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذي يصح معه ان يكون من قول
الناس انا الى فلان ناظر ما يصنع بي يريد معنى التوقع والرجا ومنه قول القائل

واذا نظرت اليك من ملك ... والبحر دونك زدتني نعما

شي من

وسمعت

وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس ابوابهم ويأوون الى مقائلهم تقول عيينتي
نويظرة الى الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون
ولا يرجون الا اياه انتهى وقال ابن عطية ذهبت المعتزلة الى ان المعنى الى رحمة ربها ناظرة او الى
ثوابه او ملكه فقدروا مضافا محذوفا وهذا وجه سائغ في العربية كما تقول فلان ناظر اليك في
كذا اي الى صنعك في كذا انتهى والظاهر ان الى في قوله الى ربها حرف جر يتعلق بناظرة وقال
بعض المعتزلة الى هنا واحد الالا وهي النعم وهي مفعول به منصوب بناظرة بمعنى منتظرة ووجوه
يومئذ باسرة كوجوه تكون وجوه مبتدا وباسرة خبر وتظن خبر بعد خبر ويجوز ان تكون باسرة
صفة وتظن الخبر والفاقرة قال ابن المسيب قاصمة الظهر وقيل توبقه او يغلب على اعتقادها
وتتوقع ان يفعل بها فعل هو شدة داهية يعظم ولا يوصف وفاقرة من فقرت البعير
اذا وسمت انفه بالنار كلا ردع لهم عن ايثار الدنيا على الاخرة وتذكير لهم بما يؤولون اليه من الموت
الذي تنقطع العاجلة عنده وينتقل منها الى الاجلة والضمير في بلغت عائد على النفس الدال
عليها سياق الكلام كقول حاتم

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى ... اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

ويقول العرب ارسلت يريدون جا المطر ولا تكاد تسمعهم يقولون السما وذكرهم تعالى بصعوبة
الموت وهو اول مراحل الاخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنا زهوقها وقيل مبني للمفعول فاحتمل
ان يكون القائل حاضرو المريض طلبوا له من يرقيه ويطبه ويشفيه وغير ذلك مما يتمناه
له اهله قاله ابن عباس والضحاك وابو قلابة وقتادة وهو استفهام حقيقة وقيل هو
استفهام استبعاد وانكار اي قد بلغ مبلغا لا احد يرقيه كما تقول عند الياس من الذي
يقدر ان يرقي هذا المشرف على الموت قاله عكرمة وابن زيد واحتمل ان يكون القائل الملائكة
اي من يرقى بروحه الى السما املائكة الرحمة ام ملائكة العذاب قاله ابن عباس ايضا وسليمان
التيمي وقيل انما يقول ذلك لكراهيتهم الصعود بروح الكافر لخبثها ونتنها ويدل عليه قوله
بعد فلا صدق ولا صلى الاية ووقف حفص على من وابتدا راق وادغم الجمهور قال ابو علي
لا ادري ما وجه قراءته وكذا قرا بل ران وكانه قصد ان لا يتوهم انها كلمة واحدة فسكت
سكتا لطيفا يشعر بانهما كلمتان وقال سيبويه ان النون تدغم في الرا وكذلك نحو من راشد
والادغام بغنة وبغير غنة ولم يذكر البيان ولعل ذلك مما نقله غيره من الكوفيين وعاصم شيخ

حمص بن كراثه كان عاملاً ما للحجاج أما بعد فإن بعد ذكر سراع الله في البيان سطاو الايعاز مع الرا
حتساب من افرط في سان الله من بل ان صار كالموقف العلك طرق هما على بابه وقيل فراق
الروح الجسد والتفت الساق بالساق قال في عباسية الجسد في الموعد من السر واسمعيل بن ابي
خالد اسعادته كيف لدرب الدنيا في آخر يوم منها واشد كرب الآخرة في أول يوم منها لانه بين الحالتين
تمد اصطف به كما قبل شمرت الحرب عن ساق استعار لشدتها وقال بن المسيب والحسن هو
حقيقة والمراد ساقا الميت عند ما لفتا في الكفن وقال الشعبي وماله وابو مالك التفاتهما بشدة
الموت لانه تعتصم فيبسط ويركب هذه على هذه وقال الضحاك السوق حاصل بينه من الانس والملائكة
يحملون جسده وتلبس روحه إلى السماء وقيل التفتا ماتا موتهما أول ما اذا بهما اول ما تخرج الروح منهما فتبرد لان
مثل سائر الأعضاء وجواب اذا محذوف تقديره وجد ما عمله في الدنيا من خير وشر الى ربك يومئذ
المساق الى موعد ربك المساق المرجع والمصير والمساق مفعل من السوق فهو اسم مصدر اما
إلى جنة واما الى نار فلا صدق ولا صلى الجمهور انها نزلت في ابي جهل وقال الزمخشري يعني الانسان
في قوله أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه الا ترى الى قوله أيحسب الإنسان أن يترك سدى وهو
معطوف على قوله يسأل أيان يوم القيامة اي لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى
ويجوز ان يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاه قيل فلا صدق معطوف على قوله يسأل
فيه بعد فلا هنا نفت الماضي اي لم يصدق ولم يصل وفي تكرارها دليل على انه لا يدخل على الماضي بمعنه
ومثله قول الشاعر

وأي خميس لا أفأنا نهابه ... وأسيافنا يقطرن من كبشه دما

وقال الراجز

إن تغفر اللهم تغفر جما ... وأي عبد لك لا ألما

وصدق معناه برسالة وقيل فيه هو من الصدقة وهذا الذي يظهر بمعنى الزكاة والصلاة وكانت
له التكذيب كقوله قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نكذب بيوم الدين فكان
فلا صدق على بعض التصديق بالرسالة يقتضي ان يكون وكذب حرارا ولم يزل ان يكون لكن استدراك
بعد ولا صلى ولا بعد فلا صدق لانه كان يساوي الحكم في فلا صدق في كذب ولا يحمل ذلك
الا بعيد لكن بين معناه في نولي الاعرض عن رسول الله وكذب بما جاء به ثم ذهب الى أهله يتمطى
يتمطى يتبختر في مشيته روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي ابا جهل يوما في البطحاء وقال له

ان الله يقول لك أولى لك فأولى فنزل القرآن على نحوها
وقالت الخنساء

هممت بنفسي كل الهموم ... فأولى لنفسي أولى لها

وتقدم الكلام على أولى شرحاً وإعراباً في قوله فأولى لهم في سورة القتال وتكرار هنا مرارا مبالغة
في التهديد والوعيد لما ذكر حاله في الموت وما كان من حاله في الدنيا قرر له أحواله في بدايته
ليتأملها فلا ينكر معها جواز البعث من القبور وقرأ الجمهور ألم يك بياء الغيبة والحسن بتاء الخطاب
على سبيل الالتفات وقرأ الجمهور تمنى اي يمنى هو اي المني يخلق الله منه بشراً مركباً من أشياء مختلفة
فسوى اي سواه شخصا مستقلا فجعل منه الزوجين اي النوعين او المزدوجين من البشر وقرأ
زيد بن علي الزوجان بالالف وكأنه على لغة بني الحارث بن كعب ومن وافقهم من العرب من كون
المثنى بالالف في جميع اعرابه وقرأ ايضا يقدر مضارعا والجمهور بقادر اسم فاعل مجرور بالباء
الزائدة المسرف اي الخالق السوي بقادر وهذا موقف وتوبيخ لمنكر البعث وقرأ طلحة
ابن مصرف والفيض بن غزوان يسكن الياء من قوله ان يحيي وهي حركة اعراب لا تحذف
الا في الوقف وكأنه اجرى الوصل مجرى الوقف وقد جاء في الشعر حذفها وقرأ الجمهور بفتحها وجاء
عن بعضهم يحي الموتى بنقل حركة الياء الى الحاء وادغام الياء في الياء قال ابن خالويه لا يجيز اهل
البصرة سيبويه واصحابه ادغام يحيي قالوا لسكون الياء الثانية ولا يعتدون بالفتحة في اليا
لانها حركة اعراب غير لازمة واما الفراء فاحتج بهذا البيت

تمشي بسدة بيتها فتعيي ... يمشي يمشي الأنماح

الأنماح طولا واحدها مشيج معنى ان اي بمسح لعدل او مشيج لتشريف واشراف قال الاعرابي في ذلك

مطرحن كل معجل نساج ... لم يكسر طرائف دم امتساج

قال الهذلي

كان الريشة العوين منها ... حلال المنصل شيط به مشيج

وقال الشماخ

طوت احشاء مرتجة لوقت ... على مشج سلالته مهين

وقال مشيج يمشي مشجا اذا خلط ومشيج خليط ومشيج لمخلوط مزج الشيء بالشيء خلطه وقال

كأن سبيه من بيت رأس ... يكون مزاجها عسل وما

استطار الشيء انتشر وتقول العرب استطار الصدع في القارورة وشبهها واستطال
ومنه قول الشاعر

فبانت وقد أسأرت في الفؤاد صدعاً على نأيها مستطيرا

قال الفراء مستطير مستطيل يقال يوم قمطرير وقماطر والمقمطر منه وهو إذا كان صعبا
شديدا . وقال الراجز

بكرته العقرب من شر يكسو استها لحما وتقمطر

وقال الشاعر

ففروا إذا ما الحرب ثار غبارها ولج بها اليوم الشديد القماطر

وقال الزجاج القمطرير الذي يعبس حتى يجمع ما بين عينيه ويقال اقمطرت الناقة
إذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بأنفها إذا اشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة
قال أسد بن ناعصة

واصطليت الحروب في كل يوم باسل الشر قمطرير الصباح

واختلفت في هذا الوزن وأكثر النحاة لا يثبت افعلل في أوزان الأفعال [illegible]
المبرد وقال ثعلب هو القمطرير طلي وأنشد

ولله تلك بها ثقل عمل قطعها والزمهرير ما يرتعد

القارورة إناء ويقع على موضع فيه الاشربة فعل ويكون من الزجاج الزنجبيل
قال الدينوري ينبت في الارياف عروق تسري في الأرض وليس بشجر يؤكل
رطبا واجود ما يجلب من بلاد الصين كانت العرب تحبه لانه يوجب لذعا في
اللسان إذا مزج به الشراب فيلتذون به قال

كان جنى الزنجبيل بات بفيها واريا مشورا

وقال المسيب بن علس

وكأن طعم الزنجبيل به إذ ذقته وسلافة الخمر

السلسبيل والسلسل والسلسال ما كان من الشراب غاية في السلاسة
قاله الزجاج وقال ابن الأعرابي لم اسمع السلسبيل إلا في القرآن طرف مكان البعد
لـ

بسم الله الرحمن الرحيم هل أتى

على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه
فجعلناه سميعا بصيرا إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا إنا أعتدنا للكافرين سلاسل
وأغلالا وسعيرا إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد
الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام
على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا إنا نخاف من ربنا
يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا
متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها
تذليلا هذه السورة مكية في قول الجمهور وقال مجاهد وقتادة مدنية الآية وقال
ما هو مكية ومنها ولا تطع منهم آثما أو كفورا وقيل مدنية إلا من قوله فاصبر لحكم ربك إلى آخرها
فإنه مكي حكاه الماوردي ومناسبتها لما قبلها ظاهر جدا لا يحتاج إلى شرح هل حرف استفهام
فإن دخل على الجملة الاسمية لم يكن إلا بمعنى بعد أن تقدم من خواص الفعل وإن دخلت على
الفعل فالأكثر أن تأتي للاستفهام المحض وقال ابن عباس وقتادة هي هنا بمعنى قد لأن
الأصل أهل فكأن الهمزة حذفت واجتزئ بها في الاستفهام ويدل على ذلك قوله

سائل فوارس يربوع بشدتنا أهل رأونا بوادي القف ذي الأكم

فالمعنى أقد أتى على المعدية التعريب جميعا أي قد أتى على الإنسان قبل زمان قريب حين
من الدهر ... هنا للاستفهام المحض أي هو ممن يسأل عنه لغرابته أأتى عليه حين من
الدهر لم يكن كذا فإنه يكون الجواب أتى عليه ذلك وهو بالحال المذكور وقال مكي
تقديره كله قيل عن عمر رضي الله عنه أنه قال ليتها تمت أي ليت تلك الحال تمت وهو
كونه شيئا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف والإنسان هنا جنس بني آدم والحين الذي مر
عليه إما حين عدمه وإما حين كونه نطفة وانتقاله من رتبة إلى رتبة حتى حين إمكان خطابه
فإنه في تلك المدة لا ذكر له وسمي إنسانا باعتبار ما صار إليه وقيل آدم عليه السلام والحين
الذي مر عليه المدة الذي بقي فيها إلى أن نفخ فيه الروح وعن ابن عباس بقي طينا أربعين
سنة ثم صلصالا أربعين ثم حمأ مسنونا أربعين فتم خلقه في مائة وعشرين سنة وسمي
إنسانا باعتبار ما آل إليه والجملة من لم يكن في موضع الحال من الإنسان كأنه قيل غير مذكور
وهو الظاهر أو في موضع الصفة لحين فيكون العائد على الموصوف محذوفا أي لم يكن فيه

انا خلقنا الانسان هو جنس بني ادم لان ادم لم يخلق من نطفة امشاج اخلاط وهو وصف
النطفة وقال ابن مسعود واسامة بن زيد عن ابيه هي العروق التي في النطفة وقال ابن
عباس ومجاهد والربيع هو ماء الرجل وماء المراة اختلطا في الرحم فخلق الانسان منهما وقال
الحسن اختلاط النطفة بدم الحيض فاذا احبلت ارتفع الحيض وقال ابن عباس ايضا
وعكرمة وقتادة امشاج منتقلة من نطفة الى علقة الى مضغة الى غير ذلك الى انشائه انسانا
وقال ابن عباس ايضا والكلبي هي الوان النطفة وقيل اخلاط الدم والبلغم
والصفراء والسوداء والنطفة اريد بها الجنس فلذلك وصفت بالجمع كقوله على رفرف
خضر او لتنزيل كل جزء من النطفة نطفة وقال الزمخشري نطفة امشاج كبرمة اعشار
وبرد اكياش وهي الفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للافراد ويقال ايضا
نطفة مشج ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا له بل هما مثلان في الافراد لوصف
المفرد بهما انتهى وقوله مخالف لنص سيبويه والنحويين على ان افعالا لا يكون مفردا قال سيبويه وليس
في الكلام افعال الا ان يكسر عليه اسما للجميع وما ورد من وصف المفرد بافعال تاولوه
نبتليه نختبره بالتكليف في الدنيا وعن ابن عباس نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة
فعلى هذا هو حال مصاحبة وعلى ان المعنى نختبره بالتكليف فهي حال مقدرة لانه تعالى
حين خلقه من نطفة لم يكن مبتليا له بالتكليف في ذلك الوقت وقال الزمخشري ويجوز
ان يراد بالابتلاء التصريف والنقل من حال الى حال على طريق الاستعارة انتهى وهذا معنى
قول ابن عباس وقيل نبتليه بالايجاد والكون في الدنيا فهي حال مقارنة وفي الكلام
تقديم وتاخير الاصل فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه اي جعلناه سميعا بصيرا هولاء تبديل ولا
حاجة الى ادعاء التقديم والتاخير والمعنى يصح بخلافه وامتن تعالى عليه بجعله بهاتين
الصفتين وهما كناية عن التمييز والفهم اذ التهما سبب لذلك وهما اشرف الحواس
تدرك بهما اعظم المدركات ولما جعله بهذه المثابة اخبر تعالى انه هداه الى السبيل
ارشده الى الطريق وعرفه مال الطريق الناجي ومال الطريق الهالك او ارشدناه طريق
الهدى وقال مجاهد سبيل السعادة والشقاوة وقال السدي سبيل
المخرج من الرحم وقال الزمخشري اي مكناه واقدرناه في حالتيه جميعا او اذ دعوناه الى
الاسلام بادلة العقل والسمع كان معلوما منه انه يومن او يكفر لالزام الحجة انتهى

وهو

وهو على طريق الاعتزال وقرا الجمهور اما بكسر الهمزة فيهما وابو السمال وابو العاج وهو كثير بن
عبد الله السلمي شامي ولي البصرة لهشام بن عبد الملك بفتحها فيهما وهي لغة حكاها ابو زيد عن
العرب وهي التي عدها بعض الناس في حروف العطف وانشدوا

يلقحها اما شمال عرية ... واما صبا جنح العشي هبوب

وقال الزمخشري وهي قراءة حسنة والمعنى اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره
انتهى فجعلها اما التفصيلية المتضمنة معنى الشرط ولذلك تلقاها بفاء الجواب فصار كقول
العرب اما صديقا فصديق وانتصب شاكرا وكفورا على الحال من ضمير النصب في
هديناه وقال الزمخشري ويجوز ان يكونا حالين من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا
شاكرا واما كفورا لقوله وهديناه النجدين ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز انتهى
ولما كان الشكر قل من يتصف به قال شاكرا ولما كان الكفر كثيرا من يتصف به ويكثر وقوعه
من الانسان بخلاف الشكر جاء كفورا بصيغة المبالغة ولما ذكر الفريقين اتبعهما الوعيد والوعد
وقرا طلحة وعمرو بن عبيد وابن كثير وابو عمرو وحمزة سلاسل ممنوع الصرف وقفا ووصلا
وقيل عن حمزة وابي عمرو الوقف بالالف وقرا حفص وابن ذكوان بمنع الصرف واختلف
عنهم في الوقف وكذا عن البزي وقرا باقي السبعة بالتنوين وصلا وبالالف المبدلة
منه وقفا وهي قراءة الاعمش قيل وهذا على ما حكاه الاخفش من لغة من
يصرف كل ما لا ينصرف الا افعل من وهي لغة الشعراء ثم كثر حتى جرى في كلامهم وعلل
ذلك بان هذا الجمع لما كان يجمع فقالوا صواحبات يوسف ونواكسي الابصار اشبه
المفرد فجرى فيه الصرف وقال بعض الرجاز

والصرف في الجمع اتى كثيرا ... حتى ادعى قوم به التخييرا

والصرف ثابت في مصاحف المدينة ومكة والكوفة والبصرة وفي مصحف ابي وعبد الله
وكذا قوارير وروى هشام عن ابن عامر سلاسل في الوصل وسلاسلا بالف دون
تنوين في الوقف وروي ان من العرب من يقول رايت عمرا بالالف في الوقف من كاس
من لابتداء الغاية كان مزاجها كافورا قال ابن عباس يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك وقيل
هو على التشبيه اي طيب الرائحة وبرد كالكافور وقال الكلبي كافور اسم عين في الجنة وصرفت
لتوافق الاي وقرا عبد الله قافورا بالقاف بدل الكاف وهما كثيرا ما يتعاقبان في الكلمة كقولهم عربي

في تح وعينا بدل من كافورا او مفعول يشربون اي ماء عين او بدل من محل من كاس على حذف
مضاف اي يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص وقال الكلبي ان نصب ابشرابهم
اي يمزج شرابهم بها والبا الدالة على الالصاق والمعنى يشرب
عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الما بالعسل او يشرب معنى يروى فعدى بالبا وقيل
البا زايدة والمعنى يشربها وقال ــــــــ الهذلي

شربن بما البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج

قيل اي شربن ما البحر وقرا ابن ابي عبلة يشربها وعباد الله يعني بهم المومنون يفجرونها
اي يشقونها بلا معول فتجري حيث شاؤا تفجيرا عند كل احد منهم هكذا ورد الاثر
وقيل هو عين في دار رسول الله صلى الله عليه وسلم تفجر الى دور الانبيا والمومنون يوفون
بالنذر في الدنيا كانوا لا يخافون ذلك انهم ما استعمل صلة لمن وهو لا يخاف وإلى بعد
عشي بالبصائر هم ممن يوفون بالنذر وهو كليك او في شعر والظاهر ان المراد بالنذر ما
نذروا المعهود في الشرع [illegible] انه نذر قال الاصم وتبعه الزمخشري هذا مبالغة في وصفهم بالتوفر
على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه كان لما اوجبه الله عليه اوفى
وقيل النذر هنا تمام لما اوجبه الله وما اوجبه العبد فيدخل فيه الايمان وجميع الطاعات
على حبه اي حب الطعام اذ هو محبوب للفاقة والحاجة قاله ابن عباس ومجاهد او على
حب الله اي لوجهه وابتغا مرضاته قاله الفضيل بن عياض وابو سليمان الداراني
والاول امدح لان فيه الايثار على النفس واما الثاني فقد يفعله الاغنيا اكثر
وقال الحسين بن الفضل على حب الاطعام اي يحبون ان يطعموا ولا رياء فيه ولا تكلف مسكينا
وهو الطواف المتكشف في السوال ويتيما وهو الصبي الذي لا اب له واسيرا والاسير
موثوق وهو من الكفار قاله قتادة وفي ــــــــ المخلص [illegible] كان [illegible] والكعاب
[illegible] وقال [illegible] المسجونين وقال ابو حمزة الثمالي
هي الزوجة [illegible] ابي سعيد الخدري هو المملوك والمسجون وفي الحديث غريمك اسيرك فاحسن
الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله هو على اضمار القول ويجوز ان يكونوا صرحوا به خطابا
للمذكورين منعا منهم عن المجازاة بمثله او المكافاة احسانهم مفعول لوجه الله فلا
معنى لمكافاة الخلق وهذا هو الظاهر وقال مجاهد اما انهم ما تكلموا به ولكن الله تعالى

عمله

عشى

عمله منهم فاثنى عليهم به لا نريد منكم جزاء اي بالافعال ولا شكورا اي ثناء بالاقوال وهذه الاية
قيل نزلت في علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وذكر النقاش في ذلك حكاية طويلة جدا ظاهرة
الاختلاق فيها اشعار للمسكين واليتيم والاسير يخاطبون بها باب النبوة واشعار لفاطمة
عليها السلام تخاطب كل واحد منهم ظاهرة الاختلاق في سفسفة الفاظها وكسر ابياتها وسقاطة
معانيها يوما عبوسا نسبة العبوس الى اليوم مجاز وقال ابن عباس يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل
من بين عينيه عرق كالقطران وقرا الجمهور فوقاهم بخف القاف وابو جعفر بشدها ولقاهم
نضرة بدل عبوس الكافر وسرورا بدله حزنه ولا يكون السرور الا مع انشراح النفس وقرة العين
وقرا الجمهور وجزاهم وعلي وجازاهم على وزن فاعل جنة وحريرا اي بستانا فيه كل ماكل هني
وحريرا فيه ملبس بهي وناسب ذكر الحرير مع الجنة لانهم اوثروا على صبرهم على الجوع والعري
لا يرون فيها اي في الجنة شمسا اي حر شمس ولا شدة برد اي لا شمس فيها يرى حرها فيؤذي
حرها ولا زمهريرا يرى فيؤذي بشدته اي هي معتدلة الهوا وفي الحديث هوا الجنة سجسج
لا حر ولا برد وقيل لا يرون فيها شمسا ولا قمرا والزمهرير لغة طي القمر وقرا الجمهور ودانية قال
الزجاج هو حال عطفا على متكئين وقال ايضا ويجوز ان يكون صفة للجنة فالمعنى جزاهم جنة دانية
وقال الزمخشري ما معناه انها حال معطوفة على حال وهي لا يرون اي غير رائين وقال ودخلت
الواو للدلالة على ان الامرين مجتمعان لهم كانه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد
عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم وقرا ابو حيوة ودانية بالرفع واستدل به الاخفش على جواز
رفع اسم الفاعل من غير ان يعتمد نحو قولك قائم الزيدون ولا حجة فيه لان الاظهر ان يكون ظلالها
مبتدا ودانية خبر له وقرا الاعمش ودانيا عليهم وهو كقوله خاشعا ابصارهم وقرا ابي ودان مفرد
مرفوع فهذا يمكن ان يستدل به الاخفش وذللت قطوفها قال قتادة ومجاهد وسفيان
ان كان الانسان قائما تناوله بيده دون كلفة وان كان قاعدا او مضطجعا فكذلك فهذا
تذليلها لا يرد اليد عنها بعد ولا شوك قال [illegible] على قراة الجمهور ودانية بالنصب كان وذللت
معطوفا على دانية لانها في تقدير المفرد اي ومذللة وعلى قراة الرفع كان من عطف جملة فعلية
على جملة اسمية ويجوز ان يكون في موضع الحال اي وقد ذللت رفعت دانية او نصبت
ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب كانت قوارير قوارير من فضة قدروها
تقديرا ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا ويطوف عليهم

ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا عاليهم ثياب
سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا إن هذا كان
لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما
أو كفورا واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا إن هؤلاء يحبون
العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم
تبديلا إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان
عليما حكيما يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما لما وصف تعالى طعامهم وسقياهم
وصف طوافهم ذكر شرابهم وعدد ذكر الآنية التي يسقون منها والأصح أنا [illegible] سبح الأكواب
وقرأ نافع والكسائي وأبو بكر قواريرا قواريرا بتنوينهما وصلا وبإبداله ألفا وقفا وابن عامر وحمزة
وأبو عمرو وحفص بمنع صرفهما وابن كثير بصرف الأول ومنع الصرف الثاني وقال الزمخشري
وهذا التنوين بدل من ألف الإطلاق لأنه فاصلة وفي الثاني لإتباعه الأول [illegible] كما قال
قراءة [illegible] وسأل [illegible] بالتنوين لأنه بدل من حرف الإطلاق ويجري الفواصل مجرى أبيات الشعر
وكما أنه يدخل التنوين في القوافي المطلقة إشعارا بترك الترنم كما قال

يا صاح ما هاج الدموع الذرفن

فهذه النون بدل من الألف إذ لو لم يترنم لوقف بألف الإطلاق قوارير من فضة أي مخلوقة من فضة ومعنى
كانت أنه أوجدها تعالى بقوله كن فتكونت فهي من تكوين الله تعالى الخلقة العجيبة الجامعة بين صفاء الفضة
ونصوعها وشفيف القوارير وصفائها ومن ذلك قوله كان مزاجها كافورا وقرأ الأعمش
قوارير من فضة بالرفع أي هي قوارير وقرأ الجمهور قدروها مبنيا للفاعل والضمير للملائكة أي
للطواف أو للمنعمين والتقدير على حذف الألف قاله الربيع أو على قدر الري قاله مجاهد وقال
الزمخشري قدروها صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها أنهم قدروها على أنفسهم على مقادير
وأشكال على حسب شهوتهم فجاءت كما قدروها وقيل الضمير للطائفين بها دل عليه قوله ويطاف
عليهم على أنهم قدروا شرابها على قدر الري وهو ألذ الشراب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل
عنها ولا يعجز وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض وقرأ علي وابن عباس والسلمي وابن أبزى [وأبان]
وزيد بن علي والجحدري وعبد الله بن عبيد بن عمير وأبو حيوة وعباس عن أبان والأصمعي عن
أبي عمرو وابن عبد الخالق عن يعقوب قُدِّروها مبنيا للمفعول قال أبو علي كأن اللفظ قدروا

عليها

في المعنى قلب لأن حقيقة المعنى أن يقول قدرت عليهم فهي مثل قوله ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة
ومثل قول العرب إذا ما الغلام [illegible] الجوزاء ألقى العود على الحرباء
انتهى وقال الزمخشري ووجهه أن يكون من قدر منقولا من قدرت الشيء وقدرنيه فلان إذا جعلك قادرا
له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاءوا وأطلق لهم أن يقدروا على حسب ما اشتهوا انتهى وقال
أبو حاتم قدرت الأواني على قدر ريهم انتهى فخرج على حذف على وقدر ريهم ما لم يسم فاعله ثم حذف قدر
فصار ريهم ما لم يسم فاعله ثم حذف الري فصارت الواو مكان الهاء والميم لما حذف المضاف مما
قبلها وصارت الواو مفعول ما لم يسم فاعله واتصل ضمير المفعول الثاني في تقدير النصب بالفعل
بعد الواو التي تحولت من الهاء والميم حتى أقيمت مقام الفاعل انتهى والأقرب في تخريج هذه القراءة الشاذة
أن يكون الأصل قدر ريهم منها تقديرا فحذف المضاف وهو الري وأقيم الضمير مقامه فصار التقدير
قدروا منها ثم اتسع في الفعل فحذفت من ووصل الفعل إلى الضمير بنفسه فصار قدروها فلم يكن
فيه إلا حذف مضاف واتساع في المجرور والظاهر أن الكأس هنا غير الكأس الأولى [illegible] والعرب
يستلذون [illegible] في وصف رضاب أفواه النساء كما أنشدنا لهم في الكلام على المفردات وقال
الزمخشري يسمى [illegible] الزنجبيل [illegible] انتهى وقال قتادة الزنجبيل اسم لعين في الجنة
يشرب منها المقربون صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة وقال الكلبي يسقى بجامين الأول مزاجه الكافور
والثاني مزاجه الزنجبيل وعينا بدل من كأسا على حذف أي كأس عين أو من زنجبيل على
قول من قال [illegible] منصوب على الاختصاص والظاهر أن هذه العين تسمى سلسبيلا
بمعنى توصف بأنها سلسلة في الاتساع سهلة في المذاق ولا يحمل سلسبيل على أنه اسم حقيقة
لأنه إذ ذاك كان يكون ممنوع الصرف للتأنيث والعلمية وقد روي عن طلحة أنه قرأه بغير ألف
جعله علما لها فإن كان علما فوجه قراءة الجمهور بالتنوين المناسبة للفواصل كما قال في قراءة بعضهم
سلاسلا وقواريرا ويحسن ذلك أنه لغة لبعض العرب أعني صرف ما لا ينصرف [illegible] أكثر
العرب وقال الزمخشري [illegible] زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية وكان قد ذكر
يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل فإن كان يعني أنه زيد حقيقة فليس بجيد لأن
الباء ليست من حروف الزيادة المعهودة في علم النحو [illegible] حرف في سبك الكلمة وليس
سلسل ولا سلسال [illegible] ويكون مما اشتق معناه وكان مخففا في المادة وقال بعض المعربين
سلسبيلا أمر للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته بسؤال السبيل إليها وقد نسب هذا القول

القول الذي علي كرم الله وجهه ويجب طرحه من كتب التفسير واعجب من ذلك توجيه الزمخشري
له واستعماله كانه ومتكبر نسبته الى علي كرم الله وجهه وقال قتادة ثم عين تنبع من تحت
العرش من جنة عدن الى الجنان وقال عكرمة عين سلسلة مأخذها وقال مقاتل عين جريه من الجرية
سلسلة سهلة المساغ وقال مقاتل عين سلسبيل عليهم في مجالسهم حيث شاؤا وتقدم شرح مخلدون
وتشبيه الولدان باللؤلؤ المنثور في بياضهم وصفاء الوانهم وانتشارهم في المساكن في خدمة
اهل الجنة يجيئون ويذهبون وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لانه احسن في العين
وابهج للنفس وجواب اذا رايت رايت نعيما ومفعول الشرط محذوف حذف اقتصار والمعنى
واذا رميت ببصرك هناك وثم ظرف والعامل فيه رايت وقيل المعنى واذا رايت ما ثم فحذف
ما كما حذف في قوله لقد تقطع بينكم قاله الزجاج وتبعه الزمخشري فقال ومن قال معناه ما ثم فقد
اخطا لان ثم صلة لما ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة انتهى وليس بخطا مجمع عليه بل قد اجاز
ذلك الكوفيون ولهم شواهد من لسان العرب كقول الشاعر

فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء

اي ومن يمدحه فحذف الموصول وابقى صلته وقال ابن عطية وثم ظرف والعامل فيه رايت او معناه
والتقدير رايت ما ثم حذف ما انتهى وهذا فاسد لانه من حيث جعله معمولا لرايت لا يكون صلة
لما لان العامل فيه اذ ذاك محذوف اي ما استقر ثم وقرا الجمهور بفتح الثاء وحميد الاعرج بضم
الثاء حرف عطف وجواب اذا على هذا محذوف اي واذا رميت ببصرك ثم رميت ببصرك رايت
نعيما وملكا كبيرا قيل النظر الى الله تعالى وقال السدي استئذان الملائكة عليهم وقال اكثر
المفسرين الملك الكبير اتساع مواضعهم وقال الكلبي ... ادناهم منزلة في الجنة في ملكه
ينظر في الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقاله عبد الله بن عمرو وقال ... اهل الجنة من ادنى
الاشعري عليه الشغل كلهم مختلف شغله من شغل اصحابه وقال الترمذي والحكيم
الترمذي الحكيم لا اعني المحدث صاحب الجامع هو ملك التكوين والمشيئة اذا اراد شيئا كان
لقوله تعالى لهم فيها ما يشاؤن وقيل غير هذه الاقوال وقرا عمر وابن عباس والحسن ومجاهد
والجحدري واهل مكة وجمهور السبعة عاليهم بفتح الياء وابن عباس بخلاف عنه والاعرج وابو
جعفر وشيبة وابن محيصن ونافع وحمزة بسكونها وهي رواية ابان عن عاصم بفتح الياء وقرا عليهم
حرف جر ابن سيرين ومجاهد وقتادة وابو حيوة وابن ابي عبلة والزعفراني وابان ايضا

عاليهم

عاليهم عليهم بتاء التانيث فعلا ماضيا فثياب فاعل ومن قرا بالياء ساكنة او بالتاء مضمومة فمبتدا
خبره ثياب ومن قرا عليهم حرف جر فثياب مبتدا ومن قرا بنصب الياء او التاء فعلى الحال
وهو حال من المجرور في ويطوف فذو الحال المطوف عليهم والعامل يطوف وقال الزمخشري
وعاليهم بالنصب على انه حال من الضمير في يطوف عليهم فذو الحال المطوف عليهم والعامل يطوف
وقال الزمخشري وعاليهم بالنصب على انه حال من الضمير في يطوف عليهم او في حسبتهم اي يطوف
عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب او حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ويجوز ان
يراد واذا رايت اهل نعيم وملك عاليهم ثياب انتهى اما ان يكون حالا من الضمير في حسبتهم فانه
يعني الضمير المفعول وهو لا يعود الا على ولدان ولذلك قدر عاليا لهم بقوله عاليا لهم اي للولدان
وهذا لا يصح لان الضمائر الاتية بعد ذلك تدل على انها للمطوف عليهم من قوله
وحلوا وسقاهم وان هذا كان لكم جزاء وفك الضمائر يجعل هذا لذا وذا لذا لا يناسب
مع تقسيم الاختتاح والاضطرابات الى ذلك لا يجوز كما جعله حالا من محذوف وتقديره
اهل نعيم فلا حاجة الى ادعاء الحذف مع صحة الكلام وبراعته دون تقدير ذلك المحذوف
وثياب مرفوع على الفاعلية بالحال وقال ابن عطية ويجوز في النصب في القراءتين ان يكون
على الظرف لانه بمعنى فوقهم انتهى وعالي وعالية اسم فاعل فيحتاج في اثبات كونهما ظرفين
الى ان يكون منقولا من كلام العرب عاليك او عاليتك ثوب وقرا الجمهور ثياب بغير
تنوين على الاضافة الى سندس وقرا ابن ابي عبلة وابو حيوة عليهم ثياب سندس
واستبرق برفع الثلاثة فيرفع سندس بالصفة لانه جنس كما تقول ثوب حرير تريد من
حرير ورفع خضر بالصفة ايضا لان الخضرة لونها ورفع استبرق بالعطف بحذف مضاف اي وهو
صفة اقيمت الصفة مقام الموصوف تقديره وثياب استبرق اي من استبرق وقرا
الحسن وعيسى ونافع وحفص خضر واستبرق برفعهما وقرا العربيان ونافع في رواية
خضر بالرفع صفة لثياب واستبرق جرا عطفا على سندس وقرا ابن كثير وابو بكر
خضر بالجر صفة لسندس ورفع استبرق عطفا على ثياب وقرا الاعمش وطلحة والحسن وابو
عمرو بخلاف عنهما وحمزة والكسائي بجرهما وصفة اسم الجنس الذي بينه وبين
واحده تاء التانيث بالجمع جائز فصيح كقوله تعالى وينشئ السحاب الثقال وقال
والنخل باسقات فجعل الحال جمعا واذا كانوا قد جمعوا صفة اسم الجنس الذي ليس

مثله وبين واحد ما الانثى المحلى بال بالجمع كقولهم اهلك الناس الدينار الصفر والدرهم
البيض فلا يجوز وصفه بهذا اولى وقول ابن عطية وفي هذا قبح لتشتت الدينار
الصفر والدرهم البيض حسن صحيح وصفها ليس بسديد بل هو جائز اورده النحاة
مورد الجواز بلا قبح وقرا ابن محيصن واستبرق وتقدم ذلك والكلام في الكهف
وقال هنا الزمخشري وقرا واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لانه اعجمي وهو غلط
لانه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه قد يجعل
علما لهذا الضرب من الثياب وقرا واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه مسمى باستفعل
من البريق وليس بصحيح ايضا لانه معرب مشهور تعريبه وان اصله استبرك انتهى
ودل قوله الا ان يزعم ابن محيصن وقوله بعد وقرئ واستبرق بوصل الالف
والفتح ان قراءة ابن محيصن هي بقطع الهمزة مع فتح القاف والمنقول عنه في كتب
القراءات انه قرا بوصل الالف وفتح القاف وقال ابو حاتم لا يجوز والصواب انه اسم
جنس لا ينبغي ان يحمل ضميرا ويؤيد ذلك دخول لام التعريف عليه والصواب قطع الالف
واجراؤه على قراءة الجماعة انتهى ونقول ان ابن محيصن قارئ جليل مشهور بمعرفة العربية
وقد اخذ عن اكابر العلماء ويتطلب لقراءته وجه وذلك انه يجعل استفعل من
البريق تقول برق واستبرق كعجب واستعجب ولما كان قوله خضرا يدل على
الخضرة وهي لون ذلك السندس وكانت الخضرة مما يكون فيها لشدتها دهمة
وغبش اخبر ان في ذلك اللون بريقا وحسنا يزيل غبشته فاستبرق فعل
ماض والضمير فيه عائد على السندس او على الاخضرار الدال عليه قوله خضر وهذا
التخريج اولى من تلحين من يعرف العربية وتوهيم ضابط ثقة اساور من فضة وفي
موضع اخر من ذهب اي يحلون منها على التعاقب او على الجمع بينها كما للنسا في الدنيا
قال الزمخشري وما احسن بالمعصم ان يكون فيه سواران سوار من
ذهب وسوار من فضة انتهى فقوله بالمعصم اما ان يكون معمولا لاحسن او
يكون بدلا منه واما ان يكون معمولا احسن وقد فصل بينها بالجار والمجرور فان
كان الاول فلا يجوز لانه لم يعهد ان الباء في معمول افعل التعجب لا تقول ما
احسن بزيد تريد ان تحسن زيدا وان كان الثاني ففي مثل هذا الفصل خلاف والمنقول عن ...

لانه

ثم انه لا يجوز والمولد منا اذا تكلم ينبغي ان يتحرز كلامه مما فيه الخلاف وسقاهم ربهم شرابا
طهورا الطهور صفة مبالغة في الطهارة وهي من فعل لازم وطهارتها بكونها لم تؤمر باجتنابها
وليست كخمر الدنيا التي هي في الشرع رجس وبكونها لم تدس بقدم دنسة ولم تمس بيد قصرة
ولم توضع في اناء لم يعن بتنظيفه ذكر بالبسط من هذا الزمخشري ثم قال او لانه لا تؤول الى
النجاسة لانه يرشح عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك انتهى وهذا الاخير قاله ابو قلابة والنخعي
وابراهيم التيمي قالوا لا تنقلب الى البول بل تكون رشحا من الابدان اطيب من المسك ان هذا اي
هذا النعيم السرمدي كان لكم جزاء على الاعمال الصالحة وكان سعيكم مشكورا اي مقبولا
مثابا قال قتادة لقد شكر الله سعيا قليلا وهذا على اضمار يقال لهم وهذا القول لهم على سبيل
التهنئة والسرور لهم بضد ما يقال للمعاقب ان هذا بعملك الردي فيزداد غما وحزنا ولما ذكر
اولا حال الانسان وقسمه الى العاصي والطائع واتبعه بما اعد للطائع ذكر ما شرف به نبيه
وخصه محمدا صلى الله عليه وسلم فقال انا نحن نزلنا الاية وامره بالصبر لحكمه وجاء التوكيد بنحن
بعد التوكيد بان مبالغة في الحصر ومدلول المخبر عنه واكد الفعل بالمصدر ولا تطع منهم اثما
او كفورا قال مقاتل نزلت في ابي جهل قال لئن رايت محمدا يصلي لاطان على رقبته فانزل الله ولا
الاية والنهي عن طاعة كل واحد منهما ابلغ من النهي عن طاعتهما لانه يستلزم النهي عن احدهما
والنهي عن طاعتهما طاعة احدهما ولو قيل لا تضرب زيدا وعمرا لجاز ان يكون نهيا عن ضربهما
جميعا لا عن ضرب احدهما وقال ابو عبيدة او بمعنى الواو والكفور وان كان اثما فان فيه
مبالغة في الكفر ولما كان وصف الكفور مباينا للموصوف بمجرد الاثم صلح التغاير فحسن العطف
وقيل الاثم عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان ركابا للماثم متعاطيا لانواع الفسوق وكان
الوليد غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو واذكر اسم ربك بكرة واصيلا بكرة صلاة الصبح
واصيلا الظهر والعصر ومن الليل المغرب والعشاء وقال ابن زيد وغيره كان ذلك فرضا ونسخ
فلم يبق فرض الا الخمس وقال قوم هو محكم على وجه الندب ان هؤلاء اشارة الى الكفرة يحبون
العاجلة يؤثرونها على الاخرة ويذرون وراءهم اي امامهم وهو ما يستقبلون من الساعات
الزمان يوما ثقيلا استعير الثقل لليوم لشدته وهوله من ثقل الجرم الذي يتعب
حامله وتقدم شرح الاسر في سورة القتال واذا شئنا بدلنا امثالهم باهلاكهم بدلنا امثالهم
ممن يطيع وقال الزمخشري وحقه ان يجيء بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما

عنكم ان يشا منكم انتهى يعني انهم لو ارادوا اذا اللهم عفو وان لم يكن وهو تعالى لم يشا لكنه
قد يوضع اذ موضع ان وان موضع اذ كقوله اما ان متنا فهم الخالدون ان يعني اى السوء
او ان العباد او جملة المشيئة لسبق حاجتهم للتخيير من مجاز من يشا الله وقال الزمخشري
فمن شا فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة واتخاذ السبيل الى الله عبارة عن التقرب اليه
والتوسل بالطاعة وما تشاون الطاعة الا ان يشا الله بقسرهم عليها ان الله كان عليما باحوالهم
وما يكون منهم حكيما حيث خلقهم مع علمه بهم انتهى وفيه دسيسة الاعتزال وقرا العربيان وابن
كثير وما يشاون بيا الغيبة وباقي السبعة بتا الخطاب ومن بعض اهل السنة انه نفي لقدرتهم
على الاختراع وايجاد المعاني في انفسهم ولا يرد هذا وجود ما لهم من الاكتساب وقال الزمخشري
فان قلت ما محل ان يشا الله قلت النصب على الظرف واصله الا وقت مشيئة الله وكذلك
قرا ابن مسعود الا ما يشا الله لان ما مع الفعل كان معه وقصوا انه لا يقوم مقام الظرف
الا المصدر المصرح به كقولك اجيل صياح الديك ولا يجوزون اجيل ان تصيح الديك ولا ما يصيح
الديك فعلى هذا لا يجوز ما قاله الزمخشري يدخل من يشا في رحمته وهم المؤمنون وقرا الجمهور
والظالمين نصبا باضمار فعل يفسره قوله اعد لهم تقديره ويعذب الظالمين وهو من باب
الاشتغال عطف جملة فعلية على جملة فعلية وقرا ابن الزبير وابان بن عثمان وابن ابي عبلة
والظالمون عطف جملة اسمية على فعلية وهو جائز حسن وقرا عبد الله وللظالمين باللام الجارة وهو
متعلق باعد لهم توكيدا ولا يجوز ان يكون من باب الاشتغال ويقدر فعل يفسره الفعل الذي
بعده فيكون التقدير واعد للظالمين اعد لهم وهذا مذهب الجمهور وفيه خلاف ضعيف منقول
عن النحو يعني لزيد مررت به ويكون التقدير مررت بزيد ويكون من باب الاشتغال والمنصوب
المعروف عن العرب نصب الاسم وبمعنى مررت المناخ وما اشبهه من جهة المعنى نصبا

ومرحت الشي يحمله فامرح   قال

الفارح وباب الاسر المبهم   لغة جم وجع

ومنه قوله عليه السلام واكفتوا صبيانكم ومنه قيل لبقيع الغرقد كفتة وكفتة والكفات
اسم لما يكفت كالضمام والجماع تقول هذا الباب جماع الابواب وقال الحطاية
ابن الطرماح   فانت اليوم في الارض حي   وانت غدا يضمك في كفات

وقال   ابو عبيدة الكفات الوعاء ويجمع الشي وقال النضر بن من الناس مستبدا

في كل حقيقة واحدة شررة ولغة تميم شرار بالالف واحده شرارة القصر الدار الكبيرة المشيدة والقصر
قطع من الخشب قدر الذراع وفوقه ودونه يستعد به للشتا واحده قصرة والقصر بفتح الصاد
اعناق الابل والنخل والناس والجمع قصر وبكسر القاف وفتح الصاد جمع قصرة كحلقة من الحديد وحلق

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات
عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا
انما توعدون لواقع فاذا النجوم طمست واذا السما فرجت واذا الجبال نسفت واذا الرسل
اقتت لاي يوم اجلت ليوم الفصل وما ادراك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين الم نهلك
الاولين ثم نتبعهم الاخرين كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين الم نخلقكم من ما مهين
فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين الم نجعل الارض
كفاتا احيا وامواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ما فراتا ويل يومئذ للمكذبين

هذه السورة مكية وقال ابن عباس وقتادة الا انه منها مدنية اية وهي واذا قيل
لهم اركعوا لا يركعون ومناسبتها لما قبلها ظاهرة جدا وهو انه ذكر تعالى يدخل من يشا ويعذب
الظالمين فعقبه بقسم صادق فاقسم على وقوعه في هذه فقال انما توعدون لواقع وانما كان
القسم به موصوفات قد حذفت واقيمت صفاتها مقامها وقع الخلاف في تعيين تلك
الموصوفات فقال ابن مسعود وابو هريرة وابو صالح ومقاتل الفرا والمرسلات الملائكة
ارسلت بالعرف ضد النكر وهو الوحي والمعاقب على العباد طرفي النهار وقال ابن عباس
وجماعة الانبيا ومعنى عرفا افضالا من الله على عباده ومنه قول الشاعر

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لا يذهب العرف بين الله والناس

وانتصابه على انه مفعول له اي ارسلن للاحسان والمعروف او متتابعة تشبيها بعرف العرب
في تتابع شعره واعراف الجبال ويقول العرب الناس الى فلان عرف واحد اذا توجهوا اليه
متتابعين وهم عليه كعرف الضبع اذا تالبوا عليه وانتصابه على الحال وقال ابن مسعود
ايضا وابن عباس ومجاهد وقتادة الرياح وقال الحسن السحاب وقرا الجمهور عرفا بسكون
الرا وعيسى بضمها فالعاصفات قال ابن مسعود الشديدات الهبوب وقيل الملائكة
تعصف بارواح الكفار اي تشتد كالشي او تعصف في مضيها كما تعصف الرياح تحققا

في المعاني ابن ... وقيل هي الآيات المهلكة كالزلازل والصواعق والخسوف والمباشرات
قال السدي وأبو صالح ومقاتل والملائكة تنشر صحف العباد بالأعمال وقال الربيع الملائكة
تنشر الناس من قبورهم وقال ابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة الرياح تنشر رحمة
الله ومطره وقال أبو صالح الأمطار تحيي الأرض بالنبات وقال الضحاك الصحف تنشر
على الله بأعمال العباد فعلى هذا تكون الناشرات على معنى النسب أي ذات النشر فالفارقات
قال ابن عباس وابن مسعود وأبو صالح ومجاهد والضحاك الملائكة تفرق بين الحق والباطل
والحلال والحرام وقال قتادة والحسن وابن كيسان آيات القرآن فرقت بين الحلال
والحرام وقال مجاهد أيضا الرياح تفرق بين السحاب فتبدده وقيل الرسل حكاه الزجاج
وقيل السحاب الماطر تشبيها بالناقة الفارق وهي الحامل التي تخرج وتند في الأرض حين تضع وقيل
العقول تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام والصحيح والفاسد فالملقيات
ذكرا قال ابن عباس وقتادة والجمهور الملائكة تلقي ما حملت من الوحي إلى الأنبياء وقال
قطرب الرسل تلقي ما أنزل عليها إلى الأمم وقال الربيع آيات القرآن ألقيت على النبي صلى الله
عليه وسلم وأجاز الزمخشري [illegible] الأقوال [illegible] والمرسلات إلى آخر الأوصاف
إما الملائكة وإما الرياح فالملائكة تكون عرفا للمعروف أو نذرا للمخاطبين وللرياح
تكون العرف فالعصف ذكرا إما عذرا للذين يعتذرون إلى الله بتوبتهم واستغفارهم
إذا رأوا نعمة الله في الغيث فيشكرونها وإما إنذارا للذين يغفلون الشكر لله وينسبون
ذلك إلى الأنواء وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا في حصوله إذا شكرت النعمة
فيهن أو كفرت قال الزمخشري والذي [illegible] أن المقسم به شيئان ولذلك
جاء العطف بالواو في والناشرات والعطف بالفاء [illegible]
في لسان العرب [illegible] الفاء إذا جاءت في الصفات تدل على أنها راجعة
لموصوف واحد كقوله والعاديات فالموريات فالمغيرات فإنها راجعة إلى العاديات
وهي الخيل وكقوله

يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب ٤٥

فهي راجعة لموصوف واحد هو الحارث فإذا تقرر هذا فالظاهر أنه أقسم
أولا بالرياح قال تعالى وهو الذي يرسل الرياح [illegible] به تعالى [illegible] ثم عطف

العصف بالعاصفات وإن العصف من صفات الريح في عدة مواضع من القرآن والمقسم
الثاني شرف [illegible] من المقسم به الأول وهي الملائكة وهو ما أنزل الله بحسب
[illegible] المهم وقرأ الجمهور فالملقيات اسم فاعل خفيفا أي تطرحه المهم وابن عباس
مشددة اللام من التلقية وهي إيصال الكلام إلى المخاطب يقال لقيته الذكر
فتلقاه وقرأ ابن عباس فيما ذكر المهدوي بفتح اللام والقاف مشددة اسم مفعول
أي تلقته من قبل الله تعالى وقرأ إبراهيم التيمي والنحويان وحفص عذرا أو نذرا بسكون
الذالين وزيد بن ثابت وابن خارجة وطلحة وأبو جعفر وأبو حيوة وعيسى
والحسن بخلاف عنه والأعمش عن أبي بكر بضمهما وأبو جعفر أيضا وشيبة وزيد بن
علي والحرميان وابن عامر وأبو بكر بسكونها في عذرا وضمها في نذرا فالسكون على
أنهما مصدران مفردان أو مصدران جمعان فعذر جمع عذير ونذر جمع نذير بمعنى
المعذرة ونذر جمع نذير بمعنى الإنذار وانتصابهما على البدل من ذكرا كأنه
قيل فالملقيات عذرا أو نذرا أو على المفعول من أجله أو على أنهما مصدران في موضع
الحال أي عاذرين أو منذرين ويجوز مع الإسكان أن يكونا جمعين على ما قررناه
وقيل يصح انتصاب عذرا أو نذرا على المفعول به بالمصدر الذي هو ذكرا
أي فالملقيات أي تذكر عذرا فيه بعد لأن المصدر [illegible] يراد به العهد إما
يراد به الحقيقة كقوله أو لم يلق عليه الذكر من بيننا والإعذار هو [illegible] الحجة
على الخلق والإنذار هو التخويف بالعقاب إنما توعدون أي من الجزاء بالثواب والعقاب
لواقع وما موصولة وإن كانت قد كتبت موصولة بأن وهذه الجملة هي المقسم
عليها وقرأ الجمهور [illegible] إبراهيم التيمي [illegible] والعطف
فإذا النجوم طمست أي ذهب نورها فاستوت مع جرم السماء أو عبر عن محو
ذواتها بالطمس وهو استئصالها وإذهابها وإذهاب نورها [illegible] النور
وإذا السماء فرجت أي صار فيها فروج بانفطارها وقرأ عمرو بن ميمون طمست
[illegible] والجمهور بخفيهما وإذا الجبال نسفت أي نسفتها الرياح وذلك
بعد التسيير وقيل كونها هباء وقرأ الجمهور أقتت بالهمز وبلال [illegible]
الواو [illegible] والنخعي والحسن وعيسى وخالد وقرأ أبو الأشهب وعمرو بن عبيد

وعيسى أيضا وأبو عمرو بالواو وشد القاف وقال عيسى هي لغة سفلى مضر وعبد الله والحسن
وأبو جعفر بواو واحدة وخف القاف والحسن أيضا ووقتت بواوين على وزن فوعلت
والمعنى جعل لها وقت منتظر فحان وجاء وبلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيامة
والواو في هذا كله أصلية والهمزة بدل وقال الزمخشري ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذي
يحضرون فيه للشهادة على أممهم وجواب إذا محذوف لدلالة ما قبله عليه وتقديره إذا كان
كذا وكذا وقع ما توعدون ثم قال لأي يوم أجلت تعظيم لذلك اليوم وتعجيب مما يقع فيه من الهول
والشدة والتأجيل من الأجل أي ليوم عظيم أخرت ليوم الفصل أي بين الخلق وهو بدل
من لأي الكلام فيه في أول ... يومئذ يوم إذ طمست النجوم
وكان بعد ... وقرأ الجمهور ... ثم ... قال الزمخشري ... الله
قال العجاج ومهمه هالك من تعرجا
انتهى وخرج بعضهم هالك من تعرجا على أن هالكا من هلك المتعدي من موصوله فاستدل
بمقال أن الصفة المشبهة باسم الفاعل قد يكون معمولها موصولا وقرأ الجمهور ثم نتبعهم بضم
العين على الاستئناف وهو وعيد لأهل مكة ويقوي الاستئناف قراءة عبد الله ثم سنتبعهم
بسين الاستقبال والأعرج والعباس عن أبي عمرو بإسكانها فاحتمل أن يكون معطوفا
على الاستئناف ويكون الأولين الأمم التي تقدمت قريشا أجمع ويكون الآخرين
من تأخر من قريش وغيرهم على أن المشركين يكون الأولون قوم نوح وإبراهيم عليهما السلام
ومن كان معهم والآخرين قوم فرعون ومن تأخر وقرب من مدة الرسول والإهلاك
هنا إهلاك عذاب ونكال ولذلك جاء كذلك نفعل بالمجرمين فأتى بالصفة المقتضية
لإهلاك العذاب وهو الإجرام ولما ذكر إفناء الأولين والآخرين ذكر ووقف على
أصل الخلقة التي يقتضي النظر فيها تجويز البعث من ماء مهين أي ضعيف وهو مني الرجل
والمرأة في قرار مكين وهو الرحم إلى قدر معلوم أي عند الله وهو وقت الولادة وقرأ علي
بن أبي طالب ونافع والكسائي فقدرنا بشد الدال فنعم القادرون كما قال من نطفة
خلقه فقدره ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا يقال كفت الشيء
ما ضمه أي لاقته أحياء على ظهرها وأمواتا في بطنها واستدل بهذا من قال إن النباش
تقطع يده لأن بطن الأرض حرز للكفن فإذا نبش وأخذ منه فهو سارق وقال

الزمخشري ويجوز أن يكون المعنى نكفتكم أحياء وأمواتا فينتصبا على الحال من الضمير لأنه قد
علم أنها كفات الإنس ورواسي شامخات ثابتات مرتفعات ومنه شمخ بأنفه ارتفع
شبهة المعنى بالجزم وأسقيناكم ماء فراتا جعلناه سقيا لمزارعكم ومنافعكم انطلقوا إلى ما
كنتم به تكذبون انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا
يغني من اللهب إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين هذا
يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم
والأولين فإن كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين إن المتقين في ظلال وعيون
وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون إنا كذلك نجزي المحسنين ويل
يومئذ للمكذبين وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فبأي حديث بعده يؤمنون
يقال للمكذبين انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون أي من العذاب انطلقوا إلى ظل أمر وأعاده
الجمهور تكرارا وبيانا للمنطلق إليه وقرأ رويس عن يعقوب بفتح اللام على معنى الخبر كأنهم لما
أمروا امتثلوا فانطلقوا إذ لا يمكنهم التأخر إذ صاروا مضطرين إلى الانطلاق في ذي
ثلاث شعب قال عطاء هو دخان جهنم وروي أنه يعلو من ثلاثة مواضع يظن الكفار
أنه يغني من النار فيهرعون إليه فيجدونه أسوأ وصفه وقال ابن عباس يقال ذلك لعبدة
الصليب فالمؤمنون في ظل الله وهم في ظل معبودهم وهو الصليب له ثلاث شعب والشعب
ما تفرق من جسم واحد لا ظليل نفي لمحاسن الظل ولا يغني أي ولا يغني عنهم من حر اللهب شيئا
إنها أي جهنم وقرأ الجمهور بشرر وعيسى بشرار بألف بين الراءين وابن
عباس وابن مقسم كذلك إلا أنه كسر الشين فاحتمل أن يكون جمع شرر أي بشرار من
العذاب وأن يكون صفة أقيمت مقام موصوفها أي بشرار من الخلق كما تقول قوم شرار
يقال للمؤنثة شرة ... كما قال ... إذا كان المنفصل فلها أحكام مذكورة في
النحو وقرأ الجمهور كالقصر وابن عباس وابن جبير ومجاهد والحسن وابن مقسم بفتح
القاف والصاد وابن جبير أيضا والحسن أيضا كالقصر بكسر القاف وفتح الصاد
وبعض القراء بفتح القاف وكسر الصاد وابن مسعود بضمهما كأنه مقصور من القصور
كما قصروا النجم والنمر في النجوم والنمور قال ... أسود ونمر ... شرح أكثر

بعض القراءات في المفردات وقرأ الجمهور ومنهم عمر بن الخطاب جمالات بكسر الجيم وبالالف والتاء
جمع جمال الجمع وهو الابل كقولهم رجالات قريش وابن عباس وقتادة وابن جبير والحسن
وابو رجاء بخلاف عنهم كذلك الا انهم ضموا الجيم وهي حبال السفن الواحد منها جملة لكونها جملة
من الطاقات وقيل القوى جمع جمل جمع جمال جمع جمال بالضم [illegible] صحة والواحد جمالات وقيل الجمالات
قلوس الجسور وقرأ حمزة والكسائي وحفص وابو عمرو في رواية الاصمعي وهرون عنه جمالة
بكسر الجيم لحقت جمال التاء لتأنيث الجمع كحجر وحجارة وقرأ ابن عباس والسلمي والاعمش وابو
حيوة وابو بحرية وابن ابي عبلة ورويس كذلك الا انهم ضموا الجيم قال ابن عباس وابن جبير
الجمالات قلوس السفن وهي حبال العظام اذا جمعت مستديرة بعضها الى بعض
جاء منها اجرام عظام وقال ابن عباس ايضا الجمالات التي من الحجارة كانت تبنى بها
هنا من اسم الجماعة وقرأ الحسن صفر بضم الفاء والجمهور باسكانها شبه الشرر اولا بالقصر
وهو الحصن من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء وثانيا بالجمال لبيان التشبيه الا
تراهم يشبهون الابل بالافدان وهي القصور كما قال

فوقفت فيها ناقتي وكأنها فدن لاقضي حاجة المتلوم

ومن قرأ بضم الجيم فالتشبيه من جهة العظم والطول والصفرة والصفرة الفاقعة
اشبه بلون الشرر من جهة العظم والطول والصفرة الفاقعة اشبه بلون الشرر
قاله الجمهور وقيل صفر سود وقيل سود تضرب الى الصفرة وقال عمران
بن حطان الرقاشي

دعتهم بأعلى صوتها ورمتهم بمثل الجمالات الصفر نزاعة الشوى

وقرأ الاعرج والاعمش وزيد بن علي وعيسى وابو حيوة وعاصم في رواية هذا يوم لا ينطقون
بفتح الميم والجمهور برفعها قال ابن عطية لما اضاف الى غير متمكن بناه فهي فتحة بناء وهي
في موضع رفع وقال صاحب اللوامح قال عيسى هي لغة سفلى مضر يعني بناءه نحو يوم مع لا على
الفتح لانهم جعلوا يوم مع لا كالاسم الواحد فهو في موضع رفع [illegible]
والجملة المصدرية [illegible] او معنى لا [illegible] البصريون في الظرف المضاف الى الجملة البناء
توجيه واما هذا [illegible] قال صاحب اللوامح ويجوز ان يكون نصبا صحيحا على الظرف
فيصير هذا اشارة الى ما تقدم من الكلام دون اشارة الى يوم ويكون العامل نصب

يوم

يوم ما تقدمه من صفة جهنم ورميها بالشرر في يوم لا ينطقون فيكون يوم فيه كلام
معترض لا يمنع من تفريغ العامل للمعمول كما كانت فبأي آلاء ربكما تكذبان كذلك من حيث
انها لم يمنع اتباع الصفة للموصوف في نحو ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان
كذلك من حيث انها لم يمنع اتباع الصفة للموصوف في نحو ولمن خاف مقام ربه جنتان
فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان انتهى وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون ظرفا ويكون الاشارة
بهذا الى رميها بشرر وقال الزمخشري ونصبه الاعمش اي هذا الذي قص عليكم واقع
يومئذ ونفى نطقهم وقد اخبر الله عنهم انهم نطقوا في مواضع من هذا اليوم وذلك باعتبار
طول اليوم فيصح ان ينفى القول فيه في وقت ويثبت في وقت او نفى نطقهم بحجة تنفع
وجعلت نطقهم كلا نطق وقرأ القراء كلهم ولا يؤذن مبنيا للمفعول
وحكى ابو علي الاهوازي ان زيد بن علي قرأ ولا يأذن مبنيا للفاعل اي الله تعالى فيعتذرون
عطف على ولا يؤذن داخل في حيز نفي الاذن اي فلا اذن فاعتذار ولم يجعل الاعتذار
متسببا عن الاذن فينتصب وقال ابن عطية ولم ينصب في جواب النفي لتشابه رؤوس
الآي والوجهان جائزان انتهى فجعل امتناع النصب هو تشابه رؤوس الآي
وقال والوجهان جائزان فظهر من كلامه استواء الرفع والنصب وان معناهما
واحد وليس كذلك لان الرفع كما ذكرنا لا يكون متسببا بل صريح عطف والنصب يكون
فيه متسببا فافترقا وذهب ابو الحجاج الاعلم الى انه قد يرفع الفعل ويكون معناه معنى
المنصوب بعد الفاء وذلك قليل وانما جعل النحويون معنى الرفع غير معنى النصب رعيا
للاصل في كلام العرب وجعل دليله على ذلك هذه الآية وظاهر كلام ابن عطية وقد رد
ذلك عليه ابن عصفور وغيره هذا يوم الفصل جمعناكم خطاب للكفار والاولين
قوم نوح وغيرهم من الكفار الذين تقدم زمانهم على زمان المخاطبين بجمعناكم الفصل
والاستيفاء فان كان لكم كيد اي في هذا اليوم كما كان لكم في الدنيا ما تكيدون به
دين الله واولياءه فكيدون اليوم وهذا تعجيز لهم وتوبيخ ولما كان في سورة الانسان
ذكر نزرا من احوال الكفار في الاخرة وفصل احوال المؤمنين فيها جاء في هذه السورة
الاطناب في وصف الكفار والايجاز في المؤمنين فوقع بذلك الاعتدال بين السورتين
وقرأ الجمهور ظلال جمع ظل والاعمش ظلل جمع ظلة كلوا واشربوا خطاب لهم في الاخرة

عن احمال القعود ويدل عليه ما كثر بتطويل كلوا وتمتعوا خطاب للكفار في الدنيا قليلا اي
ثمنا قليلا اذ قصارى اكلكم وتمتعكم الموت وهو خطاب تهديد لمن اجرم من قريش
وغيرهم واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون قال مقاتل نزلت في ثقيف ومن قال انها نزلت في قريش
قال نزلت يوم الفتح وقال ابن عباس نزلت في ثقيف قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسلموا وصلوا فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا وقيل ان ذلك في الاخرة حين يدعون الى السجود
اركعوا اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه والركوع هنا عبارة عن الصلاة
وخص من افعالها الركوع لان العرب كانوا يانفون من الركوع والسجود وكانت هذه
السورة بعد كل جملة قوله ويل يومئذ للمكذبين لان كل فيها اخبار الله تعالى عن اشياء
من احوال الاخرة وتعداد من احوال الدنيا فناسب ان يذكر الوعيد عقيب كل
جملة منها للمكذب بالويل في يوم الاخرة والتهديد بعدما ذكر على النذارات والمعنى انه قد
تضمن من الايمان والبلاغة والاخبار بالمغيبات وغير ذلك ما احتوى عليه مما لم يتضمنه كتاب
الهي فاذا كانوا لا يؤمنون به فبأي حديث بعده يصدقون به اي لا يمكن تصديقهم
بحديث بعد ان كذبوا بهذا الحديث الذي هو القرآن وقرأ الجمهور يؤمنون بياء
الغيبة وقرأ ابن عامر في رواية بالخطاب التسبيح قال ابن عطية التسبيح السبات
اصله القطع والنوم قطع الاشتغال الشاقة ومنه قول الشاعر

واذا سبتت شفتيه كانه مسك لنا قال ابيض خواتيج ختمها

اي ان سوت شعرها مالت والنفس كالمعاء البشرى ما ... لسحاب الوهاج
المتقد او المعصر قال الفراء السحاب الذي تحلب بالمطر ولا يمتنع مثل الجارية المعصر قد
كادت تحيض ولما تحض قاله لحي بن قتيبة قال ابو النجم العجلي

تمشي الهوينا مائلا خمارها قد اعصرت او قد دنا اعصارها

التسبيح قال ثعلب اصله شدة الانصباب وقال الازهري مطر ثجاج شديد
الانصباب وقال الازهري مطر ثجاج شديد الانصباب الثج والثجيج انا محاذكو
نحو ان نما بمعنى الانصباب وواقعا بمعنى الصب

قال الشاعر في وصف الغيث

اذا رجفت فيها رحا مرجحنة تبعج ثجاجا غزير الحوافل

الفافا جمع لف بكسر اللام قاله جمهور اهل اللغة وقال الفراء اللف الجنة الملتفة بالاغصان
وقال الكسائي جمع لفيف وقال الشاعر

احابيش الفاف تباين فيهم وتحزبهم عن لسنة المتعرف

وقال ابو عبيدة هو جمع الجمع جمع لف على لف ثم جمع لف على الفاف والتكيب جمع لكعب
وهي التي ترى بقدها ومنه لعب الرجل لبرونه ومنه الكعب

قال حسن بن جابر المنعيري

وكم من حصان ... من كاعب لم تدر ما البؤس معصر

الدهاق الملأى ما خوذ من الدهق وهو ضغط الشي وشده باليد كانه امتلأ حتى انضغط
وقيل الدهاق المتتابعة قال

اتانا عامر يبغي قرانا فاترعنا له كأسا دهاقا

وقال اخر

الا فانزل النفراد اخيه ترابا من الصادي الكاس دهاقا

بسم الله الرحمن الرحيم

عم يتساءلون عن النبإ العظيم الذي هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون ألم نجعل الأرض
مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا
وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا
وجنات ألفافا إن يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا وفتحت السماء فكانت
أبوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا عم أصله عن ما التنوين مكسورة وهي لفظة البلاغة
لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل المشركون يتساءلون بينهم فيقولون ما الذي اتى به ويتجادلون فيما بعث به فنزلت
ومناسبتها لما قبلها ظاهرة لما ذكر فبأي حديث بعده يؤمنون اي بعد الحديث الذي هو
القرآن وكانوا يتجادلون ويتساءلون عنه قال عم يتساءلون وقرأ الجمهور عم وعبد الله وابي وعكرمة
وعيسى عما بالالف وهو اصل عم والاكثر حذف الالف من ما الاستفهامية اذا دخل عليها حرف
الجر واضيف اليها ومن اثبات الالف قوله

على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد

وقرأ الضحاك وابن كثير في رواية عمه بهاء السكت اجرى الوصل مجرى الوقف لان الاكثر

في الوقف على ما الاستفهامية منه هو بالحاق ها السكت الا اذا اضيفت اليها فانه يوقف بها
في الوقف نحو مجي مه والاستفهامية عن هو انه مفخم ومهول ومعوض ومتعجب كما تقول اي
رجل زيد وزيد ما زيد كانه لما كان عديم النظر او قليله خفي عليك جنسه فاخذت
تستفهم عنه ثم جرد العبارة عن تفخيم الشي فجا في القران والضمير في يتسالون لاهل مكة ثم
اخبر تعالى انهم يتسالون عن النبا العظيم وهو امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جا به من القران
ومثل الحديث لجميع العالم فيكون الاختلاف تصديق المومن وتكذيب الكافر وقيل التسال فيه التعجب
والاختلاف فيه ثم سعلق يتسالون ومن قراه بالها في الوصل فقد ذكرنا انه يكون
اجري الوصل مجرى الوقف وعن النبا متعلق بمحذوف اي يتسالون عن النبا واجاز الزمخشري
ان يكون وقف على عم ثم ابتدا يتسالون عن النبا على ان يضمر لعم يتسالون وحذفت لدلالة
ما بعدها عليه كشي مبهم ثم يفسر وقال ابن عطية قال اكثر النحاة قوله عن النبا العظيم متعلق
بيتسالون الظاهر كانه قال لم يتسالون عن النبا العظيم وقال الزجاج الكلام تام في قوله
يتسالون ثم كان مقتضى القول ان يجيب مجيب فيقول يتسالون عن النبا العظيم فاقتضى ايجاز
القران وبلاغته ان يبادر المحتج بالجواب الذي تقتضيه الحال والمجاورة اقتضابا للحجة
واسراعا الى موضع قطعهم وقرا عبد الله وابن جبير يتسالون بغير تا وشد السين واصله
يتسالون بتا الخطاب فادغم التا الثانية في السين كلا ردع للمتسائلين وقرا الجمهور سيعلمون
بيا الغيبة فيهما ومالك بن دينار والحسن وابن عامر بخلاف عنه بتا الخطاب
وعن الضحاك الاول بالتا على الخطاب والثاني باليا على الغيبة وهذا التكرار توكيد في الوعيد
وحذف ما يتعلق به العلم على سبيل التهويل اي سيعلمون ما يحل بهم ثم قرر تعالى على النظر
في اياته الباهرة وغرايب مخلوقاته التي ابتدعها من العدم الصرف وان النظر في ذلك يفضي
الى الايمان بما جات به الرسل من البعث والجزا فقال الم نجعل الارض مهادا اي فراشا موطا كما
يفترشونه والمهاد الفراش الموطا وقرا الجمهور مهادا ومجاهد وعيسى وبعض الكوفيين
مهدا بفتح الميم وسكون الها ولم ينسبه ابن عطية الا لعيسى الهمداني وقال ابن خالويه مهدا
على التوحيد مجاهد وعيسى الهمداني وهذا كوفي واحتمل ان يكون قول ابن عطية وبعض
الكوفيين ثابت عن عيسى هذا الهمداني واذا اطلقوا عيسى او قالوا عيسى البصري
فهو عيسى ابن عمر الثقفي وتقدم الكلام في المهاد في سورة البقرة في اول الحزب واذكروا

الله

الله والجبال اوتادا اي ثبتنا الارض بالجبال كما يثبت البيت بالاوتاد كما قال الافوه الاودي

والبيت لا يبتنى الا له عمد ولا عماد اذا لم ترس اوتاد

ازواجا اي انواعا في اللون والصورة وقال الزجاج وغيره مزدوجين ذكرا وانثى سباتا
سكونا وراحة سبت الرجل استراح وترك الشغل والسبات علة معروفة يفرط على
الانسان السكون حتى يصير صاراما بالك والنوم شبيه به الا في الضرر وقال
النائم مسبوت لا يعقل فانه ميت لباسا اي يستترون به عن العيون فيما لا يحبون ان
يظهر عليه وجعلنا النهار عادل النوم بالنهار اذ فيه اليقظة معاشا وقت عيش وهو الحيوة
يتصرفون فيه في حوايجهم سبعا اي سموات شدادا محكمة الخلق قوية لا يوثر فيها مرور الاعصار
الا اذا اراد الله قال الشاعر

فلما حسنته اعلى محل واجلسته على السبع الشداد

سراجا هو الشمس وهاجا حارا مضطرم الاتقاد وقال عبد الله بن عمرو الشمس في السما
الرابعة الينا ظهرها ولهيبها يضطرم علوا من المعصرات قال ابي والحسن وابن
جبير وزيد بن اسلم ومقاتل بن حيان هي السموات وقال ابن عباس وابو العالية والربيع
والضحاك السحاب القاطر ماخوذ من العصر لان السحاب ينعصر فيخرج منه الما
وقيل السحاب التي فيها الما لم تمطر وقال ابن كيسان سميت بذلك من حيث تعصر
من عصر يعصر ومنه يعصرونه والعاصر المغيث فهو ثلاثي وقيل
من اعصر اي دخلت في حين العصر فحان لها ان تعصر وافعل للدخول في الشي وقال
ابن عباس ايضا ومجاهد وقتادة الرياح لانها تعصر السحاب فجعل الانزال منها
لما كانت سببا فيه وقرا ابن الزبير وابن عباس والفضل بن العباس وعكرمة وعبد الله
ابن يزيد وعكرمة وقتادة بالمعصرات بالبا مكان من قال ابن عطية فهذا يقوي انه اراد
الرياح وقال الزمخشري فيه وجهان ان يراد الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب
وان يراد السحاب لانه اذا كان الانزال منها فهو بها كما تقول اعطى من يده
درهما واعطى بيده ثجاجا منصبا بكثرة ومنه افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت
بالتلبية وصب دما الهدي وقرا الاعرج ثجاحا بالحا اخرا ومثاجح الما مصابه
لنخرج به حبا ونباتا بدا بالحب لانه الذي يتقوت به كالحنطة والشعير

وثنى بالنبات فشمل كل ما ينبت من شجر وحشيش ودخل فيه الحب ألفافا ملتفة
قال الزمخشري ولا واحد له كالأوزاع والأخياف وقيل الواحد لف وقال صاحب
الإقليد أنشدني الحسن بن علي الطوسي

جنة لف وعيش مغدق … وندامى كلهم بيض زهر

ولو قيل هو جمع ملتفة بحذف الزوائد لكان قولا وجيها انتهى ولا حاجة الى هذا
القول ولا الى ما جاء بعده بعد ذكره المفردات أن مفردة لف بكسر اللام وأنه قول جمهور
أهل اللغة ان يوم الفصل هو يوم القيامة يفصل فيه بين الحق والباطل كان ميقاتا
أي في تقدير الله وحكمه حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده أو حدا للخلائق ينتهون إليه يوم
ينفخ في الصور بدل من يوم الفصل قال الزمخشري أو عطف بيان وتقدم الكلام في الصور
وقرأ أبو عياض في الصور بفتح الواو أي يرد الله الأرواح الى الأبدان والجمهور بسكون
الواو فتأتون من القبور الى الموقف أمما كل أمة بإمامها وقيل جماعات مختلفة
وذكر الزمخشري حديثا في كيفيات مختلفة لعشرة أصناف يحشرون عليها وسبب
خلقهم من خلق على تلك الكيفية الله أعلم بصحته وقرأ الكوفيون وفتحت خفيفة والجمهور
بالتشديد فكانت أبوابا أي تتشقق حتى يكون فيها فتوح كالأبواب في الجدران
وقيل تتقطع قطعا صغارا حتى تكون كألواح الأبواب المعهودة وقال
الزمخشري فتحت فكانت أبوابا أي كثرت أبوابها لنزول الملائكة كأنها ليست إلا
أبوابا مفتحة كقوله وفجرنا الأرض عيونا كأن كلها عيون تتفجر وقيل الأبواب الطرق
والمسالك أي تنكشف وتنفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء فكانت سرابا
أي تصير شيئا كلا شيء لتفرق أجزائها وانبثاث جواهرها وقال ابن عطية عبارة
عن تلاشيها وفنائها بعد كونها هباء منبثا ولم يرد أن الجبال تشبه الماء على بعد من
الناظر إليها كالسراب الواحد له على حروف يصاف أي ذات أبواب إن
جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها أحقابا لا يذوقون فيها بردا ولا
شرابا إلا حميما وغساقا جزاء وفاقا إنهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا
وكل شيء أحصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا إن للمتقين مفازا حدائق وأعنابا
وكواعب أترابا وكأسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا

رب

رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة
صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه
مآبا إنا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت
ترابا مرصادا مفعال من الرصد ترصد من حقت عليه كلمة العذاب وقال مقاتل
محبسا للكفار وممرا للأولياء ومفعال للمذكر والمؤنث بغير تاء وفيه معنى النسب
أي ذات رصد وقال الأزهري المرصاد المكان الذي يرصد فيه العدو وقال الحسن
ألا إن على النار المرصاد فمن جاء بجواز جاز ومن لم يجئ بجواز احتبس وقرأ أبو عمر والمنقري
وابن يعمر أن جهنم بفتح الهمزة والجمهور بكسرها مآبا مرجعا وقرأ عبد الله وزيد بن علي
وابن وثاب وعمرو بن ميمون وعمرو بن شرحبيل وابن جبير وطلحة والأعمش وحمزة
وقتيبة وسورة وروح لبثين بغير ألف بعد اللام والجمهور بألف ولبث أقوى إذ فاعل
يدل على من وجد منه الفعل وفعل على من شأنه ذلك كحاذر وحذر أحقابا تقدم
الكلام على ذلك في الكهف في قوله أو أمضي حقبا والمعنى هنا حقبا بعد حقب
كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة إلا حيث يراد تتابع
الأزمنة كقول أبي تمام

لقد أخذت من دار ماوية الحقب … أنحل المغاني للبلى هي أم نهب

ويكون أن يتعلق للطاغين بمرصادا ويكون أن يتعلق بمآبا ولابثين حال من الطاغين
وأحقابا نصب على الظرف وقال الزمخشري وفيه وجه آخر وهو أن يكون من حقب
عامنا إذا قل مطره وخيره وحقب فلان إذا أخطأه الرزق فهو حقب وجمعه
أحقاب فينتصب حالا عنهم يعني لابثين فيها حقبين جحدين وقوله لا يذوقون
فيها بردا ولا شرابا تفسير له والاستثناء منقطع يعني لا يذوقون فيها بردا
وروحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها
حميما وغساقا انتهى وكان قد قدم قبل هذا الوجه ما نصه ويجوز أن يراد لابثين
فيها أحقابا غير ذائقين بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الأحقاب
غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب انتهى وهذا الذي قاله هو قول المتقدمين
والذي يظهر أن قوله لا يذوقون كلام مستأنف وليس في موضع الحال وإلا حميما

وغساقا مستثنى متصل من قوله ولا شرابا وإن أحقابا منصوب على الظرف حمله على المشهور
من لغة العرب لا منصوب على الحال على تلك اللغة التي ليست بمشهورة وقول من قال إن الموصوف
باللبث أحقابا هم عصاة المؤمنين أو آخر الآية يدفعه وقول مقاتل إن ذلك منسوخ بقوله
فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا فاسد والظاهر وهو قول الجمهور أن البرد هو مس الهواء القر أي لا يمسهم
منه ما يستلذونه ويكسر شدة الحر وقال أبو عبيدة والكسائي والفضل بن خالد ومعاذ النحوي
البرد هنا النوم والعرب تسميه بذلك لأنه يبرد سورة العطش ومن كلامهم منع البرد البرد
وقال الشاعر

٤٠ فلو شئت حرمت النساء سواكم وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا ٤٠

النقاخ الماء والبرد النوم وفي كتاب اللغات في القرآن البرد هو النوم بلغة هذيل والذوق
على هذين القولين مجاز وقال ابن عباس البرد الشراب البارد المستلذ ومنه قول حسان
ابن ثابت الأنصاري ٤٠ ٤٠ ٤٠

٤٠ يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

ومنه قول الآخر

٤٠ أماني من سعدى حسان كأنما سقتك بها سعدى على ظمأ بردا ٤٠

والذوق على هذا حقيقة والنحويون يقولون بردى بفتح الراء والدال
بعدها ألف التأنيث نهر بدمشق ويبعد شرح الحميم والغساق وطرفه على العراقي
شد الشين وتخفيفها وفاقا أي لأعمالهم وكفرهم ووصف الجزاء بالمصدر لوافق أو وصف
مضاف أي ذا وفاق وقال الفراء هو جمع وفق وقرأ الجمهور بتخفيف الفاء وأبو حيوة وأبو بحرية
وابن أبي عبلة بتشديدها منه وفقه كذا لا يرجون لا يخافون أو لا يأملون والرجا
الإيمان بعبريان والمعنى هنا لا يصدقون بالحساب فهم لا يأملون ولا يخافون كذابا مصدر
الجمهور كذابا بتشديد الذال مصدر كذب وهي لغة لبعض العرب يمانية يقولون في
مصدر فعل فعالا وغيرهم يجعل مصدره على تفعيل نحو تكذيب ومن تلك اللغة قول الشاعر

لقد طال ما ثبطتني عن صحابتي وعن حاجة قضاؤها من شفائيا

ومن كلام أحدهم وهو يستفتي الحلق أحب إليك أم القصار يريد التقصير يعني في الحج وقال
الزمخشري وفعال في باب فعل كله فاش في كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره وسمعني

بعضهم

بعضهم أفسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله وقرأ علي وعوف الأعرابي وأبو رجاء و
الأعمش وعيسى بخلاف عنه بتخفيف الذال وقال صاحب اللوامح علي وعيسى البصري وعوف الأعرابي
كذابا كلاهما بالتخفيف وذلك لغة اليمن بأن يجعلوا مصدر كذب مخففا كذابا بالتخفيف
مثل كتب كتابا فصار المصدر هنا من معنى الفعل دون لفظه مثل أعطيته عطاء انتهى
وقال الأعشى ٤٠ ٤٠

فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه

وقال الزمخشري
هو مثل قوله أنبتكم من الأرض نباتا يعني وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا أو تنصبه بكذبوا لأنه
يتضمن معنى كذبوا لأن كل مكذب بالحق كاذب وإن جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا
بآياتنا فكاذبوا مكاذبة أو كذبوا بها مكاذبين لأنهم إذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان
المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة أو لأنهم يتكلمون بما هو إفراط في الكذب فعل من
يغالب في أمر فيبلغ فيه أقصى جهده انتهى والأظهر الإعراب الأول وما سواه تكلف وفي
ابن عطية وفي كتاب اللوامح وقرأ عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وفي كتاب ابن خالويه
عمر بن عبد العزيز والماجشون ثم اتفقا كذابا بضم الكاف وشد الذال فتخرج على أنه
جمع كاذب وانتصب على الحال المؤكدة وعلى أنه مفرد صفة لمصدر أي تكذيبا كذابا
أي مفرطا في الكذب وقرأ الجمهور وكل شيء بالنصب وأبو السمال بالرفع وانتصب كتابا
على أنه مصدر من معنى أحصيناه أي إحصاء أو يكون أحصيناه في معنى كتبناه والتجوز
إما في المصدر وإما في الفعل وذلك لالتقائهما في معنى الضبط أو على أنه مصدر في موضع
الحال مكتوبا في اللوح وفي صحف الحفظة وكل شيء عام مخصوص أي وكل شيء مما يقع عليه الثواب
والعقاب وهي جملة معترضة وفذوقوا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات
وقال عبد الله بن عمرو ما نزلت في أهل النار آية أشد من هذه ورواه أبو برزة عن النبي
صلى الله عليه وسلم وفي خطابهم بذلك على طريق الالتفات توبيخ وشدة غضب عليهم
ولما ذكر شيئا من أحوال أهل النار ذكر ما لأهل الجنة فقال إن للمتقين مفازا أي موضع
فوز وظفر حيث زحزحوا عن النار وأدخلوا الجنة حدائق بدل من مفازا أو فوزا فيكون
أبدل الجرم من المعنى على حذف أي فوز حدائق أي بها دهاقا قال الجمهور مترعة وقال
مجاهد وابن جبير متتابعة وقرأ الجمهور ولا كذابا بالتشديد أي لا يكذب بعضهم بعضا

وقرأ الكسائي بالتخفيف وبعدهم في كتاب اللوامح ان عليا والسلمي وعوف الاعرابي
قرؤوا بالتخفيف ولا يصح كاللفظ الاولى في قوله وكذبوا باياتنا كذابا والكذاب بمعنى انه
مصدر كذب المخففة في لغة اليمن والمعنى لا يكذب بعضهم بعضا والاكذاب مصدر يبطلان كذابا مصدر
كذب ومصدر كاذب قال الزمخشري جزاء مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين
مفازا كانه قال جازى المتقين بمفاز وعطاء نصب بجزاء نصب المفعول به اي جزاهم عطاء
انتهى وهذا لا يجوز لانه جعله مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة التي هي ان للمتقين مفازا والمصدر المؤكد
لا يعمل لانه ليس ينحل بحرف مصدري والفعل ولا نعلم في ذلك خلافا وقرأ الجمهور حسابا وهو صفة
لعطاء اي كافيا من قولهم احسبني الشيء اي كفاني وقال مجاهد معنى حسابا بما قسط على
الاعمال فدخول الجنة برحمة الله والدرجات فيها على قدر الاعمال فالحسنات تضعيفها موازنة الاعمال
وقرأ ابن قطيب حسابا بفتح الحاء وشد السين قال ابن جني بنى فعالا من افعل كدراك
من ادرك اي معطيا محسبا اي كافيا وقرأ شريح بن يزيد الحمصي وابو البرهسم بكسر
الحاء وشد السين وهو مصدر مثل كذاب اقيم مقام الصفة اي عطاء محسبا اي كافيا
وقرأ ابن عباس وسراج حسنا بالنون من الحسن وحكى عنه المهدوي حسبا بفتح الحاء وسكون
السين والباء نحو قولك حسبك كذا اي كافيك وقرأ عبد الله وابن ابي اسحق والاعمش وابن
محيصن وابن عامر وعاصم رب السموات والرحمن بالجر فيهما والاعرج وابو جعفر وشيبة وابو عمرو والحرميان
برفعهما والاخوان رب بالجر والرحمن بالرفع وهي قراءة الحسن وابن وثاب والاعمش وابن محيصن بخلاف عنهما
فالجر على البدل من ربك والرحمن صفة او بدل من رب او عطف بيان وقيل يكون بدلا من ربك
فيه نظر لان البدل الظاهر انه لا يتكرر فيكون كالصفات والرفع على اضمار هو رب او على
الابتداء وخبره لا يملكون والرحمن صفة او خبران وجر رب على البدل ورفع الرحمن على اضمار
هو او على الابتداء وخبره لا يملكون والضمير في لا يملكون عائد على المشركين قاله عطاء عن
ابن عباس اي لا يخاطب المشركون اما المؤمنون فيشفعون ويقبل الله ذلك منهم وقيل
عائد على المؤمنين اي لا يملكون ان يخاطبوه في امر من الامور لعلمهم ان ما يفعله عدل منه
وقيل عائد على اهل السموات والارض والضمير في منه عائد عليه تعالى والمعنى
انهم لا يملكون من الله ان يخاطبوه في شيء من الثواب والعقاب وخطابا تمييزا اي لا يملكون
شيئا في العفو وقال الزمخشري اي ليس في ايديهم مما يخاطب به الله في امر الثواب

والعقاب

والعقاب خطابا واحدا يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه
والعامل في يوم اما لا يملكون واما لا يتكلمون وتقدم الخلاف في الروح اهو جبريل ام ملك
اكبر الملائكة خلقة او خلق على صورة ادم او حفظة على الملائكة او ارواح بني ادم او القرآن
وقيامه مجاز يعني به ظهور اثاره الكائنة عن تصديقه او تكذيبه والظاهر عود الضمير في لا يتكلمون
على الروح والملائكة وقال ابن عباس عائد على الناس فلا يتكلم الا باذن منه تعالى وينطق بالصواب
وقال عكرمة الصواب لا اله الا الله اي قالها في الدنيا وقال الزمخشري هما شريطتان ان
يكون المتكلم منهم ماذونا له في الكلام وان يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى
ولا يشفعون الا لمن ارتضى ذلك اليوم الحق اي كيانه ووجوده فمن شاء وعيد وتهديد
وتهديد والخطاب في انا انذرناكم لمن حضر النبي صلى الله عليه وسلم واندرج فيه من ياتي بعدهم
عذابا قريبا هو عذاب الاخرة قربه لتحقق وقوعه وكل ات قريب يوم ينظر المرء عام في المؤمن
والكافر ما قدمت يداه من خير او شر لقيام الحجة له وعليه وقال الزمخشري والمرء
هو الكافر لقوله انا انذرناكم عذابا قريبا والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة
الذم ويعني ما قدمت يداه من الشر لقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم
وقوله عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وقال ابن عباس ومقاتل وقتادة والحسن المرء هنا
المؤمن كانه ينظر الى ما قدمه في قوله ويقول الكافر وقرأ الجمهور المرء بفتح الميم وابن ابي
اسحق بضمها وضعفها ابو حاتم ولا ينبغي ان تضعف لانها لغة يتبعون حركة الميم بحركة
الهمزة فيقولون مرء ومرأ ومرء على حسب الاعراب وما منصوبة بينظر ما قدمت يداه
ثم موصولة ويجوز ان تكون من النظر وعلق عن الجملة فهي في موضع نصب على تقدير اسقاط
الخافض وما استفهامية منصوبة بقدمت ويتمنى ذلك اي ترابا في الدنيا لم يخلق او في ذلك
اليوم وقال ابو هريرة وعبد الله بن عمر ان الله تعالى يحضر البهائم يوم القيامة فيقتص من
بعضها لبعض ثم يقول لها بعد ذلك كوني ترابا فيعود جميعها ترابا فاذا راى الكافر ذلك
تمنى مثله وقيل الكافر هنا ابليس اذا راى ما حصل للمؤمنين من الثواب قال يا ليتني كنت
ترابا كادم الذي خلق من تراب واحتقره هو اولا وقيل ليتني كنت ترابا اي
متواضعا لطاعة الله لا جبارا ولا متكبرا اغرق في الشيء بالغ فيه وانهاه واغرق النازع في
القوس بلغ غاية المد حتى ينتهي الى النصل والاستغراق الاستيعاب والعنق يشق

ونهارهم ساهرة ونحن وما فاهوا به لهم مقيم قال ابو كبير الهذلي

يرتدن ساهرة كان جميمها وعميمها اسدان ليل مظلم

والساهور كالغلاف للقمر يدخل فيه اذا اكتسف وقال امية بن ابي الصلت

قمر وساهور يسل ويغمد

وقال آخر في وصف امراه او شقة آخر خرجت من سجف ساهور

يريد شقة القمر وقال الزمخشري الساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك

لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة

وقال الاشعث بن قيس

وساهرة يضحي السراب مجللا لاقطارها قد جبتها متلثما

سمكت الشيء رفعته في الهواء وسمك هو سموكا ارتفع وقيل كل شيء حمل شيئا فهو سماكه وسماك البناء

وعيه فهو سمك وبنا مسموك وسنام تامك سامك اي عال ويقال اسمك في الدرجة

اي اصعد غطش الظلام ونورا ام غطش الليل وسعد بالهمزه اغطشه الله وقال الاعشى

عقرت لهم ناقتي موهنا فليلهم مدلهم غطش

وغطش هو وليله اغطش وليله غطشا وفي كتاب اللغات في القران واغطش ليلها

اظلم بلغة انمار واشعر دحا يدحو ادحوا ودحا يدحي دحيا بسط ويقال لعش النعامه

ادحي وادحوا لانه مبسوط على وجه الارض وقال امية بن ابي الصلت

وبث الخلق فيها اذ دحاها فهم قطانها حتى التنادي

وقال زيد بن عمرو دحاها فلما استوت اسها

واسلمت وجهي لمن اسلمت له الارض تحمل صخرا ثقالا

دحاها فلما استوت شدها بايد وارسى عليها الجبالا

الطامة الداهية التي تطم على الدواهي اي تعلو وتغلب في امثالهم جرى الوادي

فطم على القري يقال طم السيل الركيه اذا دفنها والطم الدفن والعلو

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا

فالمدبرات امرا يوم ترجف الراجفة يتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة ابصارها

السفه ينشط البعير والانسان ربطه وانشطه حله ومنه فكانما انشط من عقال

وينشط اذ هب من قطر الى قطر ولذلك قيل لبقر الوحش النواشط لانهن يذهبن بسرعة

من مكان الى مكان ومنه قول الشاعر وهو همان بن قحافه

ينشط الماء نشطا الشاطي لطورا وطورا واسطا

وكان يقول للقحطه ما جوف من النشاط وقال ابو زيد نشطت الحبل انشطه نشاطا عقدته

انشوطه وانشطته حللته وانشطت الحبل مددته وقال الليث نشطته بانشوطه اي عقدته

وانشطت العقال مددت انشوطته فانحلت ويقال نشط بمعنى انشط والانشوطة عقده

يسهل انحلالها اذا اعودت مثل عقدة التكه وجيف القلب وجفا يضطرب من

من شدة الفزع وكذلك وجب وجيبا وفي كتاب لغات القران المروي عن ابن عباس واجفه

خائفه بلغة همدان الحافره يقال رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها فحفرها

اي اثر فيها بمشيه فيها جعل اثر قدميه حفرا وهو قول العرب على اول امره رجع اليه من اخره ومنه

قول الشاعر

احافرة على صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار

اي ارجع الى الصبا بعد الصلع والشيب الساهره المصوته بالريح المجوفه والنخرة معناه

كالخانع والطمع وحاذر وحذر قاله الفراء وابو عبيدة وابو حاتم وجماعه وقيل النخرة البالية المتعفنة

الناخرة وهي التي تمر فيها الريح فتنخر وقيل لغتان معناهما الناخرة وهو قول الاخفش

وقال ابو عمرو بن العلاء الناخرة التي لم تنخر بعد والنخرة التي قد بليت قال الربيع

لفرسه يوم ذي قار اقدم نجاح انها الاساورة ولا يهولنك رجل نادر

فما افتقرت ترب الساهرة يعود بعدها في الحافر

من بعد ما كانت عظاما ناخره

قال الشاعر

واخليتها من مخها فكانما تواريه احوافها الريح تنخر

وروي نصفير يخرج من النوق شيء بصوتها والنخر ايضا مقدم انف الفرس

والحمار والخنزير يقال هشم نخرته الساهرة وجه الارض والفلاة ووصفت

بما يقع فيها وهو السهر للخوف قال امية بن ابي الصلت

ومنها

خاشعة يقولون ائنا لمردودون في الحافرة ائذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة
فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة هل اتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس
طوى اذهب الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فاراه الاية
الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الاخرة
والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى

فصل السورة مكية ولما ذكرت اخر عم تساءلون الانذار بالعذاب يوم القيامة افتتح
هذه بالقسم على البعث يوم القيامة ولما كانت الموصوفات المقسم بها محذوفة واقيمت صفاتها
مقامها وكان لهذه الصفات تعلقات مختلفة اختلفوا في المراد بها فقال عبد الله وابن عباس
النازعات الملائكة تنزع نفوس بني ادم وغرقا اغراقا وهو المبالغة في الفعل وغرقا في جهنم
يعني نفوس الكفار قاله علي وابن عباس وقال الحسن وقتادة وابو عبيدة وابن كيسان
والاخفش هي النجوم تنزع من افق الى افق وقال السدي وجماعة النفوس تنزع بالموت
الى ربها وغرقا اغراقا في الصدور وقال السدي ايضا النفوس تحن الى اوطانها وتنزع الى
مذاهبها ولها نزع عند الموت وقال عطاء وعكرمة القسي انفسها تنزع بالسهام وقال عطا
ايضا الجماعات النازعات بالقسي وغرقا اغراقا وقال مجاهد المنايا تنزع النفوس وقيل
النازعات الوحش تنزع الى الكلأ حكاه يحيى بن سلام وقيل خيل الغزاة تنزع في اعنتها
نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام الى
دار الحرب قاله في الكشاف والناشطات قال ابن عباس ومجاهد الملائكة تنشط النفوس
عند الموت اي تحلها وتنشط بامر الله الى حيث كان وقال ابن عباس ايضا وقتادة والحسن
والاخفش النجوم تنشط من افق الى افق تذهب وتسير بسرعة وقال مجاهد
ايضا المنايا وقال عطاء البقر الوحشية وما جرى مجراها من الحيوان التي تنشط من قطر الى
قطر وقال ابن عباس ايضا النفوس المؤمنة تنشط عند الموت للخروج وقيل التي تنشط
الاوهاق والسابحات قال علي ومجاهد الملائكة تتصرف في الافاق بامر الله تجيء وتذهب
وقال قتادة والحسن النجوم تسبح في الفلك وكذا قال ابو روق الشمس والقمر والليل والنهار
وقال عطاء وجماعة الخيل يقال للفرس سابح وقيل السحاب لانها كالعائمة في الهوا
وقيل الحيتان دواب البحر فما دونها وذلك من عظم المخلوقات فروي

انه تعالى بث في الدنيا الف نوع من الحيوان منها اربع مائة في البر وستمائة في البحر وقال
عطا السفن وقال مجاهد ايضا المنايا تسبح في نفوس الحيوان فالسابقات قال مجاهد
الملائكة سبقت بني ادم بالخير والعمل الصالح وقاله ابو روق وقال ابن مسعود انفس
المؤمنين تسبق الى الملائكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرور شوقا الى لقاء الله
وقال عطا الخيل وقيل النجوم وقيل المنايا تسبق الامال فالمدبرات قال ابن عطية لا
اختلف في انها الملائكة ومعناه انها التي تدبر الامور التي سخرها الله لها وصرفها
فيه كالرياح والسحاب وسائر المخلوقات انتهى وقيل الملائكة الموكلون بالا حوال
جبريل للوحي وميكائيل للمطر واسرافيل للنفخ في الصور وعزرائيل لقبض الارواح
وقيل تدبير ما يتعلق بها بالحلال والحرام وقال معاذ هي الكواكب السبعة واضافة
التدبير اليها مجاز ان يظهر بعقبها الاحوال تحدث ... وتسديسها ندها
وعن ذلك وتعلق المتخوم في هذه الاقوال فوالا احتارها وارادها او لا على
ثم انه الملائكة اذ الخيل او النجوم ونسق جميع الاوصاف على كل واحد من الملائكة
فقال اقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الارواح من الاجساد وبالطوائف
التي تنشطها اي تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها وبالطوائف التي
تسبح في مضيها اي تسرع فتسبق الى ما امروا به فتدبر امرا من امور العباد مما
يصلحهم في دينهم او دنياهم كما رسم لهم غرقا اغراقا في النزع اي ينزعها من اقاصي الا جساد
من اناملها واظفارها او اقسم بخيل الغزاة التي تنزع في اعنتها الى الحرب ... عنه
تغلغلهم قال من قولهم ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق
الى الغاية فتدبر امر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه او اقسم
بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها في النزع ان تقطع الفلك كله
حتى تنحط من اقصى المغرب والتي تخرج من برج الى برج والتي تسبح في الفلك من
السيارة فتسبق فتدبر امرا من علم الحساب وقيل النازعات ايدي الغزاة
او انفسهم تنزع القسي باغراق السهام والتي تنشط الاوهاق والمعهد الذي
يظهر ان ما عطف بالفا هو من وصف المقسم به قبل الفا وان المعطوف بالواو من
عطف الصفات بعضها على بعض والمختار جواب القسم به قبل الفا وان المعطوف

بالواو وهو مغاير لما قبله كما قررناه في المرسلات على انه يحتمل ان يكون المعطوف
بالواو من عطف الصفات بعضها على بعض والمختار في جواب القسم ان يكون
محذوفا وتقديره لتبعثن لدلالة ما بعده عليه قاله الفراء وقال محمد بن علي
الترمذي الجواب ان في ذلك لعبرة لمن يخشى والمعنى فيما اقتصصت من ذكر
يوم القيامة وذكر موسى وفرعون قال ابن الانباري وهذا قبيح لان الكلام
قد طال ويحتمل ان الكلام الذي يلتقي به القسم محذوف من قوله يوم ترجف الراجفة
اي ليوم كذا تتبعها الرادفة ولم يدخل نون التوكيد لانه قد فصل بين الكلام
المقدر وهو الفعل وقول ابي حاتم هو على التقديم والتأخير كانه قال فاذا هم بالساهرة
والنازعات قال ابن الانباري خطأ لان الفاء لا يفتتح بها الكلام وقيل التقدير يوم
ترجف الراجفة اي ليوم كذا تتبعها الرادفة لم يدخل نون التوكيد لانه قد
فصل بين الكلام المقدر والفعل وقول ابي حاتم هو على التقديم والتأخير ايضا
وليس بشيء وقيل الجواب هل اتاك حديث موسى لانه في تقدير قد اتاك
وليس بشيء وهذا كله اعراب من لم يحكم العربية وحذف الجواب هو الوجه وترجف
العود بحرف الله من يوم ترجف قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد
هما الصيحتان اي النفختان الاولى تميت كل شيء والثانية تحيي وقال مجاهد
ايضا الراجفة الزلزلة والرادفة الصيحة وقال ابن زيد الراجفة الارض والرادفة الساعة
والعامل في يوم اذكر مضمرا او لتبعثن المحذوف وفيه اليوم متسع تقع فيه النفختان
وهم يبعثون في بعض ذلك اليوم المتسع وتتبعها حال قلوب يومئذ واجفة
مضطربة ووجيف القلب يكون من الفزع ويكون من الاشفاق ومنه قول قيس
ابن الخطيم

ان بني جحجبا وقومهم ... اكبادنا من ورائهم تجف

قلوب مبتدأ وواجفة صفته ويجوز ان يكون خبرا ابصارها اي ابصار اصحاب القلوب خاشعة
مبتدأ وخبره في موضع خبر قلوب وقال ابن عطية رفع قلوب بالابتداء وجاز ذلك
وهي نكرة لانها قد تخصصت بقوله واجفة بقوله يومئذ انتهى ولا يتخصص
الاجرام بظروف الزمان وانما تخصصت بقوله واجفة يقولون حكاية حالهم

الدنيا

الدنيا والمعنى يوم القيامة يقولون والحافرة قال مجاهد فاعلة بمعنى مفعولة وقيل على
النسب اي ذات حفر والمراد القبور اي لمردودون احياء في قبورنا وقال
زيد بن اسلم الحافرة النار وقيل الحافرة جمع حافر بمعنى القدم اي احياء نمشي على
اقدامنا ونطأ بها الارض وقال ابن عباس الحافرة الحياة الثانية اي اول الامر وتقول التجار
النقد في الحافرة اي في اول السوم قال الشاعر

آليت لا انساكم فاعلموا ... حتى يرد الناس في الحافرة

وقال ابو حيوة وابو بحرية وابن ابي عبلة في الحفرة بغير الف والجمهور بالالف فقيل
هما بمعنى واحد وقيل هي الارض المنتنة المتغيرة باجساد موتاها من قولهم حفرت
اسنانه اذا تآكلت وتغيرت وقرأ عمر وابي وعبد الله وابن الزبير وابن عباس
ومسروق ومجاهد والاخوان وابو بكر ناخرة بالالف وابو رجاء والحسن والاعرج
وابو جعفر وشيبة والسلمي وابن جبير والنخعي وقتادة وابن وثاب واهل مكة
وشبل وباقي السبعة بغير الف قالوا تلك اي الرجعة الى الحافرة اذا اي ان رددنا
كرة خاسرة اي قالوا لو كان ذلك لكذبهم بالبعث اي لو كان هذا حقا لكانت ردتنا
خاسرة اذ هي الى النار وقال الحسن خاسرة كاذبة اي ليست كائنة وهذا
القول منهم استهزاء وروي انه بعض صناديد قريش قال ذلك فانما هي زجرة واحدة
لما تقدم يقولون ائنا لمردودون مضمن قولهم استبعاد النشأة الثانية واستصعاب
امرها جاء قوله فانما هي زجرة دال على استبعادهم فكانه قال ليس ذلك بصعب بما تقولون
فانما هي نفخة واحدة فاذا هم منشورون احياء على وجه الارض قال ابن عباس
الساهرة ارض من فضة يخلقها الله تعالى وقال وهب بن منبه جبل بالشام
يمده الله يوم القيامة لحشر الناس وقال ابو العالية وسفيان ارض قريبة
من المقدس وقال ابن عباس ايضا ارض مكة وقال قتادة جهنم لانه لا نوم لمن فيها اي
ان السهر قيل لها انما هي يكون فيها نومهم وقيل الارض الساهرة
ياتي بها الله تحاسب عليها الخلائق ولما انكروا البعث وتمردوا وشق ذلك على رسول
الله صلى الله عليه وسلم قص عليه تعالى قصة موسى وتمرد فرعون على الله تعالى
حتى ادعى الربوبية وما آل اليه حال موسى من النجاة وحال فرعون من الهلاك وكان

مسابقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتبشير له بهلاك من يكذب به وبجانه يغون
اذا لم يقال هل لك الى ان تزكى مقاله على جميع المعنى لما بلغته المنيه وبعد الكلام
انواع تميز المعرس والحال في القرائن طوا اذهب الى فرعون نعتبرا
للنداء على اظهار القول فقل هل لك الى ان تزكى لطف في الاستدعا لانه كل
عاقل يحب مثله هذا السؤال سمع من لي بحالي بالفضائل وتطهر من الرذائل
والزكاة هنا شرح فيها الاسلام وتوحيد الله تعالى وذكرنا الخرجبانه وابو عمرو بخلاف
من كي ويصري تشديد الزاي في الصاد وباقي السبعة بحفها ويقول العرب
هل لك في كذا وهل لك الى كذا بحذفون المبتدا الذي يتعلق به الى اي هل
لك رغبة او حاجه الى كذا او سبيل الى كذا

وقال الشاعر ٤٠

٤٠ فهل لكم في ما الى فانني بصير بما اعيى النطاسي حذيما ٤٠

واهديك الى ربك فتخشى تفوا بعيش الترحمه وبعل الهدايه الى توحيد الله ويعرف
فتخشى اي تخافه لان الخشيه لا تكون الا بالمعرفه انما يخشى الله من عباده العلما
وذكر الخشيه لانها ملاك الامر وفي الكلام حذف تقديره فذهب وقال له
ما امر به ربه واتبع ذلك بالمعجزة الداله على صدقه فاراه الايه الكبرى وهي
العصا واليد جعلهما واحده لان اليد كانها من جملة العصا لكونها تابعة لها
او العصا وحدها لانها كانت المقدمة والاصل والثاني تبع لها لانه كان يتقيها
بيده فقيل له ادخل يدك في جيبك فكذب اي موسى وما اتى به من المعجز وجعل
ذلك من باب السحر وعصى الله تعالى بعد ما علم صحة ما اتى به موسى واما اوهم انه
سحر ثم ادبر يسعى في الفساد ادبر جمعه اي عام من مكانه فارا بنفسه
وكانه الجمهور وهو كنايه عن اعراضه عن الايمان يسعى يجتهد في مكايد موسى
اي فجمع السحره وارباب دولته فنادى اي قام فيهم خطيبا او نادى في المقام
الذي اجتمعوا فيه معه فقال انا ربكم الاعلى قال ابن عطيه نهايه في المخرقة ونحوها
باق في ملوك مصر واتباعهم ايضا قال ذلك ابن عطيه لان ملك مصر وزمانه
اسماعيليا وهو مذهب يعتقدون فيه الالهيه لملوكهم وكان اول من

ملكها ثم المعز ثم العزيز ثم المنصور ثم العام ثم المهدي عبيد الله ثم آخرهم العاضد وطهر
الله مصر من هذا المذهب بظهور الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب
ابن شادي رحمه الله وجزاه الله عن الاسلام خيرا فاخذه الله نكال الاخره
والاولى قال ابن عباس الاخره قوله ما علمت لكم من اله غيري والاولى قوله انا ربكم
الاعلى وقيل الغلس وكان بين قوليه اربعين سنه وقال الحسن وابن زيد
نكال الاخره بالحرق والاولى بعض الدنيا بالغرق وقال مجاهد عذاب اخر حياته
واولاها وقال ابن دريد الاولى كفره وعصيانه والاخره قوله انا ربكم الاعلى
وقال مجاهد عبارة عن اول معاصيه واخرها اي نكل بالجميع وانتصب نكال
على المصدر والعامل فيه فاخذه لانه في معناه وعلى راي المبرد باضمار فعل من
لفظه اي نكل به نكال والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وقال
الزمخشري هو مصدر موكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله به
نكال الاخره والاولى انتهى والمصدر الموكد لمضمون الجملة السابقه يضمر له
عامل من معنى الجملة ان في ذلك اي فيما جرى لعبرة واصل النكال الاخره لعبره
لمن يخشى اي لمن يخاف عقوبة الله يوم القيامة في الدنيا

أانتم اشد خلقا ام السما بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها والارض
بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها متاعا لكم ولانعامكم فاذا
جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فاما
من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي الماوى واما من خاف مقام ربه ونهى
النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى يسلونك عن الساعه ايان مرساها فيم
انت من ذكراها الى ربك منتهاها انما انت منذر من يخشاها كانهم يوم يرونها
لم يلبثوا الا عشيه او ضحاها الخطاب الظاهر انه عام والمقصود الكفار منكروا
البعث وقفهم على قدرة الله تعالى اشد خلقا اي اصعب نشا ام السما ثم بين
من غير الجنب ما اري السما المري من ذمومية بعاينها وعرم بامرها ثم بين تعالى
كيفية خلقها رفع سمكها اي جعل مقدار ذهابها في العلو مديدا رفيعا مسيرة خمس مائة عام

ريه
علي
رض
عام

والسمك الارتفاع الذي بين سطح السما الاسفل الذي يلينا وسطحها
الاعلى الذي يلي ما فوقها فسواها اي جعلها ملسا مستوية ليس فيها مرتفع
ولا منخفض او تممها واتقن انشاها بحيث انها محكمة الصنعة واغطش اي اظلم
ليلها واخرج ابرز ضوء شمسها كقوله والشمس وضحاها وقولهم وقت الضحى للوقت
الذي تشرق فيه الشمس واضيف الليل والضحى الى السما لان الليل ظلها والضحى
هو نور سراجها والارض بعد ذلك اي بعد خلق السما او ما فعل فيها دحاها اي
بسطها وخلق الارض ثم السما ثم دحا الارض والجمهور والارض والجبال بنصبهما
والحسن وابو حيوة وعمرو بن عبيد وابن ابي عبلة وابو السمال برفعهما وعيسى
برفع الارض واضيف الما والمرعى الى الارض لانهما يظهران منها والجمهور متاعا
بالنصب اي فعل ذلك تمتيعا لكم وابن ابي عبلة بالرفع اي ذلك متاع وقال الزمخشري
فان قلت فهلا ادخل حرف العطف على اخرج قلت فيه وجهان احدهما
ان يكون معنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تاتي
سكناها من تسوية امر الماكل والمشرب وامكان القرار عليها والثاني ان يكون
اخرج حالا باضمار قد كقوله او جاوكم حصرت صدورهم واضمار قد قول البصريين
ومذهب الكوفيين والاخفش ان الماضي يقع حالا ولا يحتاج الى اضمار قد وهو الصحيح
ففي كلام العرب وقع ذلك كثيرا انتهى والمرعى مفعل من الرعي فيكون مكانا وزمانا
ومصدرا وهو هنا مصدر يراد به اسم المفعول كانه قيل ومرعيها اي النبات الذي
يرعى وقدم الما على المرعى لانه سبب في وجود المرعى وشمل ومرعاها ما يتقوت
به الادمي والحيوان غيره فهو في حق الادمي استعارة ولهذا استدل
ابن قتيبة انه ذكر الما والمرعى على ما به يتقوت ويتمتع مما يخرج من الارض
الملح لانه من الما فاذا جات الطامة قال ابن عباس والضحاك القيامة وقال ابن عباس
ايضا والحسن النفخة الثانية وقال القاسم وقت سوق اهل الجنة اليها واهل النار
اليها وهو معنى قول مجاهد يوم يتذكر الانسان ما سعى اي عمله الذي كان
سعى فيه في الدنيا وقرا الجمهور وبرزت مبنيا للمفعول مشددا لمن يرى بالعين
اي لكل احد فيشكر المومن نعمة الله وتبل لمن يرى هو الكافر وعايشة وزيد

ابن

ابن علي وعكرمة ومالك بن دينار مبنيا للفاعل مخففا ونا فيجوز ان يكون خطابا للرسول اي لمن
يرى من اهلها وان يكون الخطاب اعني الجحيم فمن قرا بالتا قال تعالى اذا راتهم من مكان بعيد
وقرا ابو نهيك وابو السمال وهرون عن ابي عمرو وبرزت مبنيا للفاعل مخففا ويوم يتذكر بدل
من فاذا وجواب فاذا قال الزمخشري فان الامر كذلك وقيل عاينوا او علموا او يحتمل ان يكون
التقدير انقسم الراوون قسمين والاولى ان يكون الجواب فاما وما بعده كما تقول اذا جاك
بنو تميم فاما العاصي فاهنه واما الطايع فاكرمه طغى تجاوز الحد في عصيانه واثر الحياة
الدنيا على الاخرة هي مبتدا او فصل والعايد على من من الخبر محذوف على راي البصريين
اي الماوى له وحسن حذفه وقوع الماوى فاصلة واما الكوفيون فمذهبهم ان ال عوض
من الضمير قال الزمخشري والمعنى فان الجحيم ماواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك
وليس الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم ان الطاغي هو صاحب الماوى وانه
لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخول حرف التعريف في الماوى والطرف
للتعريف لانهما معروفان انتهى وهو كلام لا يتحصل منه الرابط العايد على المبتدا اذ قد
نفى مذهب الكوفيين ولم يقدر ضميرا محذوفا كما قدره البصريون فرام حصول الربط
بلا رابط واما من خاف مقام ربه اي مقاما بين يدي ربه يوم الحساب للجزا وفي
اضافة المقام الى الرب تفخيم للمقام وتهويل عظيم واقع من النفوس موقعا عظيما قال
ابن عباس خافه عند ماليه المعصية فانتهى عنها ونهى النفس عن الهوى اي عن شهوات
النفس واكثر استعمال الهوى في غير المحمود قال سهل لا يسلم من الهوى الا الانبيا
وبعض الصديقين وقال بعض الحكما اذا اردت الصواب فانظر هواك فخالفه وقال
ابو عمران البردلي

فخالف هواها واعصها ان من يطع هوى نفسه تنزع به شر منزع
ومن يطع النفس اللجوجة ترده وترم به في مصرع اي مصرع

وقال الفضيل افضل الاعمال خلاف الهوى وقد ذكر المفسرون انهما نزلتا في اهل النار
واهل الجنة وعن ابن عباس نزلت في ابي جهل وفي مصعب بن عمير العبدري رضي الله عنه
ايضا فاما من طغى فهو اخ لمصعب بن عمير اسر فلم يشدوا وثاقه واكرموه ونهوه
عندهم فلما اصبحوا حدثوا مصعبا فقال ما هو لي باخ شدوا اسيركم فان امه

اكثر اهل البطحا حليا ومالا وبقي وانا من خاف مقام ربه مصعب بن عمير وقى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم احد حين تفرق الناس حتى نفذت المشاقص
في جوفه وهي السهام فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم متشحطا في دمه قال عند الله احتسبك
وقال لاصحابه لقد رايته وعليه بردان ما تعرف قيمتهما وان شراك نعله من ذهب قيل ان
اخيه عامر وفي الكشاف وقيل الآيتان نزلتا في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه
عزيزا يوم احد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه انتهى
يسألونك ايان مرساها ... وكانوا المحجوب في البحث عن وقت الساعة اذ كان سؤالهم ... ولكن
من ذلك فنزلت هذه الآية ايان مرساها متى ارساؤها اي متى يقيمها الله ويثبتها ومثلها
وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها حيث تنتهي اليه فيم انت
من ذكراها قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن
الساعة كثيرا فلما نزلت هذه الآية انتهى والمعنى في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم
اي لست من ذلك في شيء انما انت منذر الى ربك منتهاها اي انتهى علم ذلك الى الله اخر خلقه
وقيل فيم انكار لسؤالهم اي فيم هذا السؤال ثم قال انت من ذكراها اي ارسالك
وانت خاتم الانبيا واخر الرسل في نسم الساعة ذكر من ذكراها وعلامة من علاماتها فكفاهم
بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها انما انت
منذر من يخشاها اي انما بعثت لانذار من يخاف هول الساعة والذي لا فائدة لهم في علمها وانما نفعت
لمن ... يكونه انه ادرك لخطابه في الخشية منها انتهى وهذا القول حكاه
الزمخشري ورجحه بكسرة الفائدة وهو تفكيك للكلام وخروج عن الظاهر المتبادر الى الفهم
ولم يحمل ... الانحدار وقرا الجمهور منذر من بالاضافة وقرا عمر بن عبد العزيز وابو
جعفر وشيبة وطلحة ... بالتنوين وقال الزمخشري وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل
والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي فليس الا الاضافة
كقولك هو منذر زيد امس انتهى اما قوله وهو الاصل يعني التنوين فقول قد قاله
غيره ممن تقدم وقد قررنا في هذا الكتاب وفيما كتبناه في هذا ان الاصل الاضافة لان العمل
انما هو بالشبه والاضافة هي اصل الاسماء واما قوله فاذا اريد الماضي فليس الا الاضافة
فهذا فيه تفصيل وخلاف مذكور في علم النحو وحضر من يخشاها لانه هو المنتفع بالانذار

كانهم

كانهم يوم يرونها يعني يرون ... في الدنيا لم يلبثوا في الدنيا الا عشية يوم
او ضحاه واضاف الضحى الى العشية لكونهما طرفي النهار ... بذكر احدهما فاضاف
الاخر اليه تجوزا واتساعا وحسن الاضافة كون الكلمة فاصلة ... قال الراعي

لو صاح كان حين سرى الرجل الله الا ... ٤٠

واصله ... من الصدد وهو ما استقبلك وصار قبالتك يقال داري صدد دار اي قبالتها
... وقيل من الصدى وهو العطش وقيل من الصدى وهو الصوت الذي تسمعه اذا
تكلمت ... كالحيلة ... السفرة الكتبة الواحد سافر وسفرت
المراة كشفت النقاب وسفرت بين القوم اسفر سفارة اصلحت بينهم وقال الفرا الواحد
سفير والجمع سفرا اي الرسل ... ٤٠

فادع السفير من قومي وما اسعى بغش ... ٤٠

القضب قال الخليل القضب القضبة الرطبة ويقال بالسين فاذا يبست
... والقضب اسم يقع على ما يقع من اغصان الشجر ليتخذ منها سهام او قسي
الغلب جمع غلبا ... حديقة غلبا غليظة الشجر ملتفة واغلولب العشب بلغ
والتف بعضه ببعض ... غليظ الرقبة والاصل في هذا الوصف استعماله في
الرقاب ومنه قول عمرو بن معدي كرب

يسعى بها غلب الرقاب كانهم بزل كسين من الكحيل جلالا

الاب المرعى لانه يؤب اي يؤم وينتجع والاب والام اخوان قال الشاعر

جذمنا قيس ونجد دارنا ولنا الاب به والمكرع

وقيل ما ياكله الآدميون من النبات يسمى الحصيدة وما ياكله غيرهم يسمى الاب
ومنه قول بعض الصحابة يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

له دعوة ميمونة ريحها الصبا بها ينبت الله الحصيدة والابا ٤٠

الصاخة قال الخليل صخه بصخه الاذان صخا اي يصمها ... وقيل ماخوذ
من صخه بالحجر اذا صكه وقال الزمخشري صخ لحديثه مثل اصاخ له الغبرة الغبار
القترة سواد كالدخان ... ابو عبيدة ... والعرب الغبار جمع الغبرة
قال الفرزدق

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت
له تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى كلا إنها تذكرة
فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة قتل الإنسان
ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء
أنشره كلا لما يقض ما أمره فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا
الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا
لكم ولأنعامكم فإذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ
منهم يومئذ شأن يغنيه ووجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها
غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة ن هذه السورة مكية وسبب نزولها
مجيء ابن أم مكتوم إلى رسول الله عليه السلام وقد ذكر أهل الحديث وأهل التفسير قصته ومناسبتها
لما قبلها أنه لما ذكر إنما أنت منذر من يخشاها ذكر هنا من ينفعه الإنذار ومن
لم ينفعه الإنذار وهم الذين كان الرسول عليه السلام يناجيهم في شأن
الإسلام عتبة وشيبة وأبو جهل وأبي وأمية ويدعوهم إليه أن جاءه مفعول من
أجله أي لأن جاءه ويتعلق بتولى على مختار البصريين في الإعمال وبعبس على مختار
أهل الكوفة وقرأ الجمهور عبس مخففا وزيد بن علي بشد الباء وهو
والحسن وأبو عمران الجوني وعيسى أان جاءه بهمزة ومدة بعدها وبعض القراء بهمزتين
محققتين والهمزة في هاتين القراءتين للاستفهام وفيهما يوقف على تولى والمعنى
ألأن جاءه كذا وجاء بضمير الغائب في عبس وتولى إجلالا له عليه السلام ولطفا
به أن يخاطبه لما في المشافهة بتاء الخطاب مما لا يخفى وجاء لفظ الأعمى إشعارا لما
يناسب من الرفق به والصغو لما يقصده ولابن عطية هنا كلام وللإمام أبي عبد الله الرازي
كلام كثير يضرب عنه من يطالع في كتابيهما وقال الزمخشري وما يدريك
أي وأي شيء يجعلك داريا بحال هذا الأعمى لعله يزكى أي يتطهر بما يتلقن من العلم أو يذكر
أو يتعظ فتنفعه ذكراك أي موعظتك والظاهر نصب يدريك على جملة الترجي

فالمعنى

فالمعنى لا يدريك ما هو مترجى منه من تزك أو تذكر وقيل المعنى وما يطلعك على أمره وعقبى
حاله ثم ابتدأ القول لعله يزكى بما يكتسبه وتسطره ... وقال الزمخشري وقيل الضمير في لعله
للكافر يعني إنك طمعت في أن يزكى بالإسلام أو يذكر فتقربه الذكرى إلى قبول الحق
وما يدريك أن ما طمعت فيه كائن انتهى وهذا قول من عنده جملة الغرائب بما ليس وقرأ الجمهور
أو يذكر بشد الذال والكاف وأصله يتذكر فأدغم والأعرج وعاصم في رواية أو يذكر
بشد الذال والكاف فعلا أصله يتذكر فأدغم والأعرج وعاصم في رواية أو يذكر بسكون
الذال وضم الكاف وقرأ الجمهور فتنفعه برفع العين عطفا على أو يذكر وعاصم في المشهور
والأعرج وأبو حيوة وابن أبي عبلة والزعفراني بنصبها قال ابن عطية في جواب التمني
لأن قوله أو يذكر في حكم قوله لعله يزكى انتهى وهذا ليس تمنيا إنما هو ترج وفرق بين التمني
والترجي وقال الزمخشري وبالنصب جوابا للعل كقوله فأطلع إلى إله موسى انتهى
والترجي عند البصريين لا جواب له فينصب بإضمار أن بعد الفاء وأما الكوفيون فيقولون
ينصب في جواب الترجي وقد تقدم لنا الكلام على ذلك في قوله فأطلع إلى إله موسى في قراءة
حفص ووجهنا مذهب البصريين في نصب المضارع أما من استغنى ظاهره من كان
ذا ثروة وغنى وقال الكلبي عن الله وقيل عن الإيمان بالله ... وكونه
بمعنى الثروة لا يلوم ... ويدل على ذلك أنه لو كان بمعنى الثروة لكان المقابل
وأما من جاءك يسعى أحقر وقرأ الحسن وأبو رجاء وقتادة والأعرج وعيسى والأعمش
وجمهور السبعة تصدى بخفة الصاد وأصله يتصدى فحذف والحرميان بشدها
أدغم التاء في الصاد وأبو جعفر تصدى بضم التاء وتخفيف الصاد أي يصدك حرصك
على إسلامه يقال تصدى الرجل وصديته وهذا المستغنى هو الوليد أو العباس
وأمية أو عتبة وشيبة أو أبي أو جميع المذكورين في سبب النزول أقوال خمسة قال
القرطبي وهذا كله غلط من المفسرين لأن أمية والوليد كانا بمكة وابن أم مكتوم بالمدينة
ما حضر معهما وماتا كافرين أحدهما قبل الهجرة والآخر في بدر ولم يقصد قط أمية
المدينة ولا حضر معه مفردا ولا مع أحد انتهى والغلط من القرطبي كيف ينفي حضور ابن
أم مكتوم معهما وهو وهم كلهم من قريش وكان ابن أم مكتوم بها والسورة كلها مكية
بالإجماع وكيف يقول وابن أم مكتوم بالمدينة وهو عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة

الفهري من بني عامر بن لؤي وام مكتوم ام ابيه وهي عاتكة وهو ابن خال خديجة رضي الله عنها
وما عليك الا يزكى تحقير لامر الكافر وحض على الاعراض عنه وترك الاهتمام به اي واي
شي عليك في كونه لا يفلح ولا يتطهر من دنس الكفر وهو يخشى اي يخاف الله او يخاف الكفر
واذا ام او يخاف العقاب والسقوط لكونه اعمى وقد جا بلا قائد فانت عنه تلهى تتشاغل يقال
لهى عن الشي يلهى اذا اشتغل عنه قيل ليس من اللهو الذي هو من ذوات الواو اي
ويمكن ان يكون منه لان ما يشتغل يغفل من ذوات الواو ينقلب واوه بالكسرة ما
قبلها نحو شقي يشقى وان كان مصدره جا بالالف يكون من ... ان عمر قرا تلهى وقرا
الجمهور تلهى والبزي عن ابن كثير عنه تلهى بادغام تا المضارعة في تا يتفعل وابو
جعفر بضمها مبنيا للمفعول اي يشغلك دعا الكافر للاسلام وطلحة بتائين وعنه
بتا واحدة وسكون اللام كلا ردع اي لا تعد لمثله انها اي سور القران او الايات تذكرة عظة ينتفع
بها فمن شاء ذكره اي فمن شاء ان يذكره ذكره اي بالحفظ يذكر
الا ان الله ذكره من التذكرة وهي جملة معترضة بين الوعد والوعيد كقوله فمن شاء
اتخذ الى ربه سبيلا واعترضت بين تذكرة وبين صفته اي تذكرة كائنة في
صحف قيل اللوح المحفوظ وقيل صحف الانبيا المنزلة و في صحف مكرمة
يكونون اخيارا بعيدا اذ لم يكتب القران في صحف زمان كونه عليه السلام بمكة
ينزل عليه القران مكرمة عند الله او مرفوعة في السما السابعة قال يحيى ابن سلام
او مرفوعة عن الشبه والتناقض اي مرفوعة القوادح مطهرة من كل
دنس قاله الحسن وقال ايضا مطهرة من ان ينزل على المشركين وقال الزمخشري
منزهة عن ايدي الشياطين لا يمسها الا ايدي ملائكة مطهرين سفرة كتبة ينسخون
الكتب من اللوح اي بايدي سفرة قال ابن عباس هم الملائكة لانهم كتبة وقال
ايضا لانهم يسفرون بين الله وانبيائه وقال قتادة هم القرا واصل السفر الكشف
وقال وهب هم الصحابة لان بعضهم يسفر الى بعض في الخير والتعليم والتعلم
قتل الانسان ما اكفره قيل نزلت في عتبة بن ابي لهب غاضب اباه فاسلم ثم
استصلحه ابوه واعطاه مالا وجهزه الى الشام فبعث الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه كافر برب النجم اذا هوى فروي انه عليه السلام قال اللهم ابعث عليه كلبك

حتى

حتى ياكله فلما انتهى الى الغاضرة ذكر الدعا فجعل لمن معه الف دينار ان اصبح حيا فجعلوه وسط
الرفقة والمتاع حوله فاقبل الاسد الى الرحال ووثب فاذا هو فوقه فمزقه وكان ابوه يندبه
ويبكي عليه وقال ما قال محمد شيئا قط الا كان والاية ان نزلت في مخصوص فالانسان
يراد به الكافر وقيل في عامة والقتل اعظم شدائد الدنيا ما اكفره الظاهر انه تعجب افراط
كفره والتعجب بالنسبة الى المخلوقين اذ هو مستحيل في حق الله تعالى اي هو ممن يقال
فيه ما اكفره وقيل ما استفهامية يعني اي شي يسوغ له ان يكفر من اي شي خلقه استفهام على معنى التقرير على حقارة
ما خلق منه ثم بين ذلك الشي الذي خلق منه فقال من نطفة خلقه فقدره
اي فهياه لما يصلح له وقال ابن عباس اي في بطن امه وعنه قدر اعضاءه وحسنا ودميما
وقصيرا وطويلا وسعيدا وشقيا ونقل من حال الى حال نطفة ثم علقة الى ان تم خلقه
ثم السبيل يسره ثم يسر السبيل اي سهل قال ابن عباس وقتادة وابو صالح والسدي
سبيل النظر القويم المودي الى الايمان وتيسيره له بنصب العقل قال مجاهد
والحسن وعطا وابن عباس في رواية ابي صالح عنه السبيل عام اسم الجنس في هدى
وضلال اي يسر قوما لهذا وقوما لهذا لقوله انا هديناه السبيل الاية وقوله وهديناه
النجدين وعن ابن عباس يسره للخروج من بطن امه ثم اماته فاقبره اي جعل له قبرا
صيانة لجسده اي لا ياكله الطير والسباع قبره دفنه واقبره صيره بحيث يقبر
وجعل له قبرا والقابر الدافن قال الاعشى

لو اسندت ميتا الى نحرها عاش ولم ينقل الى قابر

ثم اذا شاء انشره اي اذا شاء انشره والمعنى اذا بلغ الوقت الذي قد شاءه الله وهو
يوم القيامة وفي كتاب اللوامح شعيب بن الحبحاب شا نشره بغير همز قبل النون
وهما لغتان في الاحيا وفي كتاب ابن عطية وقرا شعيب بن ابي حمزة شا نشره كلا
ردع للانسان عما هو عليه من الكفر والطغيان لما يقض من اول مدة تكليفه
الى حين اقباره ما امره به الله تعالى فالضمير في يقض للانسان وقال ابن فورك
الله تعالى اي لم يقض الله لهذا الكافر ما امره به من الايمان بل امره بما لم يقض
له ولما عدد تعالى نعمه في نفس الانسان ذكر النعم فيما به قوام حياته وامره
بالنظر الى طعامه وكيفيات الاحوال التي اعتورت على طعامه حتى صار بصدد

ان رطبه والظاهر ان الطعام هو المطعوم وكيف تيسير الله تعالى معظم الوسائط الرزق
من صب الماء وشق الارض والانبات وقرا بعد الجمهور وقال ابي وابن عامر ومجاهد
والحسن وغيره الى طعامه اي اذا اصاب وجعلها الساهل عاقبة الدنيا وعلى اني
شي سعانى الطعام وقرا الجمهور انا بكسر الهمزة والاعرج وابن وثاب والاعمش
والكوفيون ورويس انا بفتح الهمزة والحسين بن علي رضي الله عنهما انى بفتح الهمزة
مهلا اما بالكسر على الاستيناف في ذكر تعداد الوصول الى الطعام والفتح قالوا على
البدلية ورد بوجه ان الثاني ليس الاول وليس كما رد وهو ان المعنى فلينظر الانسان
الى انعامنا في طعامه فترتب البدلية وصح اي كانهم جعلوه بدل كل من كل والدرك
تظهر انه من بدل الاشتمال ومراده فيما لا على معنى فلينظر الانسان كيف
صببنا واسند تعالى الصب والشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب صب
الماء هو المطر والظاهر ان الشق كناية عن شق الفلاح بما جرت العادة ان
تشق به وقيل شق الارض هو بالنبات حبا يشمل ما يسمى حبا من حنطة وشعير ودخن
وسلت وعدس وغير ذلك وقضبا قال الحسن العلف واهل مكة يسمون القت القضب
وقيل الفصفصة وضعفه لانه داخل في الاب وقيل كل ما يقضب لياكله بنو ادم
غضا من النبات كالبقول والهليون وقال ابن عباس هو الرطب لانه يقضب
من النخل ولانه ذكر العنب قبله غلبا قال ابن عباس غلاظا وعنه طوالا وعن وقال
وابن زيد كراما وفاكهة ما ياكله الناس من ثمر الشجر كالخوخ والتين واما ما
ياكله البهائم من العشب وقال الضحاك التبن خاصة وقال الكلبي كل نبات سوى
الفاكهة وقيل الفاكهة رطبها والاب يابسها الصاخة اسم من اسماء القيامة تصم سماعها
الاذان ويقول العرب صختهم الصاخة وباتتهم الباتة اي الداهية وقال الحافظ
ابو بكر بن العربي الصاخة هي التي تورث الصمم وانها لمسمعة وهذا من بديع الفصاحة
كقوله ٤٠ اصم بهم اتاهم من فهل سمعت بشر تورث الصمما
وقول الاخر
اصم بك الناعي وان كان اسمعا ولعمر الله ان صيحة القيامة مسمعة
تصم عن الدنيا وتسمع امور الاخرة اي يوم يفر بدل من اذا وجواب اذا محذوف

تقديره اشتغل كل انسان بنفسه يدل عليه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه وفرار
من شدة الهول يوم القيامة كما جاء من قول الرسل نفسي نفسي وقيل خوف التبعات
لان الملا يسئبه يعضى المطالبة يقول الاخ لم تواسني بمالك والابوان قصرت
في برنا والصاحبة اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا
وقرا الجمهور يغنيه اي عن النظر في شان الاخر من الاهتمام والزهري وابن محيصن
وابن ابي عبلة وحميد وابن السميفع يعنيه بفتح الياء والعين المهملة من قولهم عناني
الامر قصدني مسفرة مضيئة من اسفر الصبح اضاء ترهقها تغشاها قترة اي
غبارة الاولى فهو ما يغشاه من العبوس عند الهم والثانية من غبار الارض وقيل
غبرة اي من تراب الارض وقترة سواد كالدخان وقال زيد بن اسلم الغبرة ما انحطت
الى الارض والقترة ما ارتفع الى السماء وقرا الجمهور قترة بفتح التاء وابن ابي عبلة با
سكونها انكدرت النجوم انتثرت وقال ابو عبيدة انصبت كما تنصب العقاب
اذا كسرت قال العجاج يصف صقرا
ابصر خربان فلاة فانكدر تقضي البازي اذا البازي كسر
العشار جمع عشراء وهي الناقة التي مر لحملها عشرة اشهر وهو اسمها الى ان
تضع لتمام السنة عطلت التعريب والاهمال الوحوش حيوان البر
الذي ليس في طبعه الناس الموؤدة البنت التي تدفن حية واصله من
الثقل كانها تثقل بالتراب حتى تموت منه اسدا اي يوقر واعاله الا يحيى الكشط
التقشير كشطت جلد البعير الشاة سلخته عنها الخنس جمع خانس والخنوس
الانقباض والانقباض والاستخفاء تقول خنس من القوم والخنس الكنس جمع
كانس وكانسة يقال كنس اذا دخل الكناس وهو المكان الذي تاوي اليه
الظباء والخنس تاخر الانف عن الشفة مع ارتفاع قليل في الارنبة عسعس
قال الفراء عسعس الليل وسعسع اذا لم يبق منه الا القليل وقال الخليل عسعس
الليل اقبل او ادبر وقال المبرد هو من الاضداد وقال علقمة بن قرط
حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا
وقال رؤبة يا هند ما اسرع ما تسعسعا من بعد ما كان فتى ترعرعا

السقف خرج البشيم من الجوف واستعير للصبح ومعناه امتداده حتى يصير نهارا
واصحا الظنين المتهم فعيل بمعنى مفعول ظننت الرجل اتهمته والضنين البخيل
قال الشاعر

اجود بمكنون الحديث وانني بسرك عمن سالني لضنين

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت
واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت واذا النفوس زوجت واذا الموءودة سئلت
باي ذنب قتلت واذا الصحف نشرت واذا السماء كشطت واذا الجحيم سعرت واذا
الجنة ازلفت علمت نفس ما احضرت فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس
والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين
وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالافق المبين وما هو على الغيب بظنين وما هو بقول
شيطان رجيم فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وما
تشاءون الا ان يشاء الله رب العالمين تفسير السورة مكية ومناسبتها
لما قبلها في غاية الظهور تكوير الشمس قال ابن عباس ادخالها في العرش وقال مجاهد
وقتادة والحسن ذهاب ضوئها وقال الربيع بن خثيم رمي بها ومنها كورته فتكور وقال
ابو صالح نكست وعن ابن عباس ايضا اظلمت وعن مجاهد اضمحلت وقيل غورت
وقيل تلف بعضها ببعض ويرمى بها في البحر وقال ابو عبيدة كورت مثل
تكوير العمامة وقال القرطبي من دار العمامة على راسه يكورها اي يلوثها
وجمعها فتلوى ثم يمحى ضوؤها ثم يرمى بها وقال الزمخشري فان قلت
ارتفاع الشمس على الابتداء او الفاعلية قلت بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر
يفسره كورت لان اذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط انتهى ومن طريقه
انه يسمي المفعول الذي لم يسم فاعله فاعلا ولا مشاحة في الاصطلاح وليس ما ذكر
من الاعراب مجمعا عليه عند النحاة بل يجوز رفع الشمس على الابتداء عند الاخفش
والكوفيين لانهم يجوزون ان يلي اذا الجملة الاسمية اذا جوابا اذا زيد يكرمك فاكرمه
انكدرت عن ابن عباس تساقطت وعنه ايضا تغيرت فلم يبق لها ضوء لزوالها عن

اماكنها

اماكنها من قولهم ما كدرت اي ... وتسيير الجبال اي عن وجه الارض او سيرت
في الجو تسيير السحاب لقوله وهي تمر مر السحاب وتفاصيل بعضها وذلك في اول احوال
يوم القيامة والعشار جمع عشراء وهي ما عند العرب من المال وتعطيلها تركها مسيبة مهملة او عن
الحلب لاشتغالهم بانفسهم او عن الحمل عليها الفحول والحمل عليها عشار ما عشارها سبق
لها ذلك قال القرطبي وهذا على وجه المثل لانه في القيامة لا تكون عشرا والمعنى انه لو كان
عشر العطلها اهلها واشتغلوا بانفسهم وقيل اذا قامت القيامة وشاهدوا الوحوش
والدواب محشورة وعشارهم فيها التي كانت كرائم اموالهم لم يعبئوا بها لاشتغالهم بانفسهم
وقيل العشار السحاب وتعطيلها انها لا تمطر والعرب تسمي السحاب بالحامل وقيل
العشار الديار تعطل فلا تسكن وقيل العشار الارض التي يعشر زرعها تعطل
فلا تزرع وقرأ الجمهور عطلت بتشديد الطا ومضر عن اليزيدي بتخفيفها
وكذا في كتاب ابن خالويه وفي كتاب اللوامح عن ابن كثير قال في اللوامح وهو غلط
هو وانما هو عطلت بالتخفيف بمعنى تعطلت لان التشديد فيه التعدي يقال منه
عطلت الشيء واعطلته فعطل بنفسه وعطلت المراة فهي عاطل اذا لم يكن عليها
الحلي فلعل هذه القراءة من بني تميم لغة استوى فيها فعلت وافعلت والله اعلم انتهى
وقال امرؤ القيس

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش اذا هي نصته ولا بمعطل

حشرت اي جمعت من كل ناحية وقال ابن عباس جمعت بالموت فلا تبعث ولا تحضر
في القيامة غير الثقلين وعنه وعن قتادة وجماعة تحشر كل شيء حتى الذباب وعنه
تحشر الوحوش حتى يقتص من بعضها لبعض وقيل اذا قضى بينها ردت فلا يبقى
منها الا ما فيه سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاووس ونحوه وقال [illegible] الدنيا في اول
الهول مفرقة الارض وتجيء الى بني آدم تانسا بهم وقرأ الجمهور حشرت بخف الشين والحسن
وعمرو بن ميمون بشدها واذا البحار سجرت تقدم اقوال العلماء في سجر البحر في قوله
والطور والبحر المسجور وفي كتاب لغات القرآن سجرت جمعت بلغة خثعم وقال ابن
عطية ويحتمل ان يكون المعنى ملكت وقيد اضطرابها حتى لا يخرج على الارض من الهول فتكون
اللفظة ماخوذة من ساجور الكلب وقرأ ابن كثير وابو عمرو بخف الجيم وباقي السبعة

تشبيها قال ابن عطية وذهب قوم الى ان هذه الاشيا المذكورة استعارات في كل
ابن ادم واحوال له عند الموت فالشمس نفسه والنجوم عيناه وحواسه وهذا قول
ذاهب الى اثبات الرموز في كتاب الله تعالى وهذا مذهب الباطنية ومن ينتمي
الى الاسلام من غلاة الصوفية وقد اشرنا في خطبة هذا الكتاب وانهم زنادقة
تستروا بالانتما الى ملة الاسلام وكتاب الله تعالى جا بلسان عربي مبين لا رمز فيه ولا
لغز ولا باطن ولا ايما الى شي مما ينتحله الفلاسفة ولا اهل الطبائع ولقد ضمن تفسيره ابو عبد الله
الرازي المعروف بابن خطيب الري اشيا مما قاله الحكما عندهم واصحاب النجوم واصحاب
الهيئة وذلك كله بمعزل عن تفسير كتاب الله تعالى وكذلك ما ذكره صاحب التحرير والتحبير
في اخر ما فسر من الايات من كلام من ينتمي الى الصوفية ويسميه الحقائق وفيها ما لا يحل كتابته
فضلا عن ان يعتقد نسال الله السلامة في ادياننا وعقائدنا وما به قوام دنيانا وديننا
واذا النفوس زوجت اي المومن مع المومن والكافر مع الكافر كقوله وكنتم ازواجا ثلثة
قاله عمر وابن عباس او نفوس المومنين بازواجهم من الحور وغيرهن قاله مقاتل بن سليمان
او الارواح بالاجساد قاله عكرمة والضحاك والشعبي وقرا عاصم في رواية زووجت على
فوعلت والمفاعلة تكون من اثنين والجمهور زوجت مشددة قال الزمخشري واد يئد
مقلوب من اد يود اذا اثقل قال الله تعالى ولا يوده حفظهما لانه اثقال بالتراب انتهى
ولا يدعى ان اد مقلوب من اد لان كلا منهما كامل التصرف في الماضي والامر والمضارع
والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول وليس فيه شي من مسوغات ادعا القلب والذي يعلم
به الاصالة من القلب ان يكون احد النظمين فيه حكم يشهد له بالاصالة والاخر ليس كذلك
او كونه مجردا من حروف الزوائد والاخر فيه مزيد او كونه اكثر تصرفا والاخر ليس كذلك
او كونه مجردا ليس فيه حرف زائد او اكثر استعمالا من الاخر وهذا على ما قرر واحكم في علم
التصريف فالاول كيئس وايس والثاني كطامن واطمان والثالث كشوايع وشواع والرابع كلعمري
ورعملي وقرا الجمهور الموودة بهمزة بين الواوين اسم مفعول وقرا البزي في رواية
الموودة بهمزة مضمومة على الواو واحتمل ان تكون الاصل الموودة كقراءة الجمهور فنقل حركة
الهمزة ثم نقل حركة الهمزة الى الواو بعد حذف الهمزة ثم همز الواو المنقول اليها الحركة واحتمل
ان تكون اسم مفعول من اد فالاصل ماوودة فحذف احدى الواوين على الخلاف في الذي

فيه

فيه المحذوف واو المد او الواو التي هي عين نحو مقوود لتحقيق قولوا مقول وقرئ المودة بضم
الواو الاولى وتسهيل الهمزة اعني التسهيل بالحذف ونقل حركتها الى الواو وقرا الاعمش
الموده بسكون الواو على وزن المفعلة كموزة وضبطه ابن مجاهد وهو قول القرا ووجه
ذلك انه حذف الهمزة اعتباطا فالتقى ساكنان فحذف الثاني قاله ابو الحسن بن الباذش
وقال ابو محمد مكي حقيقة على القياس الموودة فاستثقل الضمة على الواو فحذفت فالتقى
ساكنان فحذف وقرا الجمهور سئلت مبنيا للمفعول باي ذنب قتلت كذلك وتخفيف الياء فيهما
الياء فيهما وهذا السؤال هو لتوبيخ الفاعل للموودة لان سؤالها يؤول الى سؤال
الفاعل وجا قتلت بنا على ان الكلام اخبار عنها ولو حكى ما خوطبت به حين سيلت
لقيل قتلت وقرا الحسن والاعرج سيلت بكسر السين وذلك على لغة من قال سال
نحو خفت وقرا ابو جعفر قتلت بتشديد التا لان الموودة اسم جنس فناسب التكثير باعتبار الاشخاص
وقرا ابن مسعود وعلي وابن عباس وجابر بن زيد وابو الضحى ومجاهد سالت
مبنيا للفاعل قتلت بسكون اللام وضم التا الاخيرة حكاية لكلامها حين سئلت وعن ابي
وابن مسعود ايضا والربيع بن خثيم وابن يعمر سالت مبنيا للفاعل باي ذنب قتلت
مبنيا للفاعل على تا التانيث فيهما اخبارا عنها ولو حكى كلامها لكان قتلت وفي كتاب
الغريب اذا ولد لاحدهم بنت واستحيا فالبسها جبة من صوف او شعر ترعى له الابل
والغنم واذا اراد ان يقتلها تركها حتى اذا كانت سداسية قال لامها طيبيها وزينيها
حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر حفرة او بيرا في الصحرا فيذهب بها اليها ويقول
لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى يستوي بالارض وقيل
كانت الحامل اذا قربت وضعها حفرت حفرة فتمخضت على راس الحفرة فاذا ولدت بنتا
رمت بها في الحفرة وان ولدت ابنا حبسته وقد افتخر الفرزدق وهو ابن فراس
همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بجده صعصعة اذ كان منع واد البنات فقال

ومنا الذي منع الوائدات ¤ واحيا الوئيد فلم يود

وفي الكامل لابي العباس المبرد ان صعصعة احيا مائتي موودة ونيفا وبعدها
من الواد يشتري البنت من ابيها بناقتين عشراوين وجمل وكانت تلك سنة
في الجاهلية واجاز ذلك حين اسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفعل ذلك الا نك

اقسم به وجه الله وان تعلق في انسان مثل عمله صالحا يثاب عليه والصحف المنشورة صحف
الاعمال كانت مطوية على الاعمال فنشرت يوم القيامة ليقرا كل انسان كتابه وقيل
الصحف التي تتطاير بالايمان والشمائل بالجزاء وهي صحف غير صحف الاعمال وقرا ابو رجاء وقتادة
والحسن والاعرج وشيبة وابو جعفر ونافع وابن عامر وعاصم نشرت بتخفيف الشين وباقي
السبعة بتشديدها وكشطت السماء طويت كطي السجل وقيل ازيلت كما يكشط الجلد عن الذبيحة
وقرا عبد الله قشطت بالقاف وهما كثيرا ما يتعاقبان لقولهم عربي قح وكح وسعرت
قرانه قافورا اى كافورا وقرا نافع وابن عامر وحفص سعرت بتشديد العين وباقي السبعة
بتخفيفها وهي قراءة علي قال قتادة سعرها غضب الله تعالى وذنوب بني ادم وجواب اذا وما عطف
عليه علمت نفس ما احضرت ونفس بمعنى يوم في الايات من حيث المعنى ما احضرت من
عمل يدخل به الجنة او من شر يدخل به النار قال ابن عطية وجهه الافراد لتنبه الذهن على
حقارة المرء الواحد وقلة دفاعه عن نفسه انتهى ويروى في ترتيبه هذه السورة عن عبد الله
انه لما بلغ القارى علمت نفس ما احضرت قال عبد الله وانقطاع ظهره بالخنس قال الجمهور
الدراري السبعة الشمس والقمر وزحل وعطارد والمريخ والزهرة والمشتري وقيل على الخمسة
دون الشمس والقمر تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى مع ضوء الشمس فخنوسها
رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس قاله الزمخشري وقال ابن عطية الخنس
في جريها اي تنقبض فهي بين القمر وهي جواري السماء والكنس في ابراجها اى تستتر
وقال علي ايضا والحسن وقتادة هي النجوم كلها لانها تخنس في حين بالنهار حين
تختفي وقال الزمخشري تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اى تطلع في
اماكنها كالوحش في كنسها انتهى وقال ____ عبد الله والنخعي وجابر بن زيد
وجماعة المراد بالخنس الجوار الكنس بقر الوحش لانها تفعل هذه الافعال في كناسها
وقال ابن عباس وابن جبير والضحاك هي الظباء والخنس من صفة الانوف لانها يلزمها
الخنس وكذا بقر الوحش عسعس ادبر بلغة قريش وقال الحسن اقبل ظلامه وترجحه
مقابلته بقوله والصبح اذا تنفس فكانها حالتان وقال المبرد اقسم باقباله وادباره
وتنفسه كونه يجيء معه روح ونسيم فكانه نفس له على المجاز انه اى هذا الضمير عليه
ان القران لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كريم الجمهور على انه جبريل عليه السلام

وقيل

وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وكريم صفة تقتضي نفي المذام كلها واثبات صفات المدح اللائقة
به ذي قوة لقوله شديد القوى عند ذي العرش اي متمكن المكانة عند الله تعالى وهي من شرف
المنزلة وعظم المكانة وقيل عند ذي العرش معناه انه مطاع في ملائكة الله المقربين يصدرون
عن امره وقرا ابو جعفر وابو حيوة وابو البرهسم وابن مقسم ثم بضم الثاء حرف عطف والجمهور
ثم بفتحها ظرف مكان للبعيد قال الزمخشري وقرئ ثم تعظيما للامانة وبيانا لانها افضل
صفاته المعدودة انتهى قال صاحب اللوامح يعني مطاع وامين كانها صارت بمعنى الواو
نعرات مواضع المهملة والراجح عطفها ودليلا ان جبريل عليه السلام كان بالصفتين
معا في حال واحد فلو ذهب ذاهب الى الترتيب والمهلة في هذا العطف بمعنى مطاع
في الملا الاعلى ثم امين عند انفصاله بحال وحيه على الانبياء لجاز ان لو ورد به اثر انتهى
امين مقبول القول مصدق فيما يقوله مؤتمن على ما يرسل به من وحي وامتثال الامر وما
صاحبكم بمجنون نفي عنه ما كانوا ينسبونه اليه ويبهتونه من الجنون ولقد راه اي راى
الرسول جبريل وهذه الرؤية بعد امر غار حرا حين راه على كرسي بين السماء والارض
في صورته له ستمائة جناح وقيل هي الرؤية التي راه فيها عند سدرة المنتهى وسمي ذلك الموضع
افقا مجازا وقد كانت له عليه السلام رؤية ثانية بالمدينة وليست هذه ووصف بالافق
المبين لانه روي انه كان في المشرق من حيث تطلع الشمس قاله قتادة وسفيان
وايضا فكل افق فهو في غاية البيان وقيل في افق السماء الغربي حكاه ابن شجرة وقال
مجاهد راه نحو اجياد وهو مشرق مكة وقرا عبد الله وابن عباس وزيد بن ثابت وابن
عمر وابن الزبير وعائشة وعمر بن عبد العزيز وابن جبير وعروة وهشام بن جندب ومجاهد
وغيرهم ومن السبعة النحويان وابن كثير بظنين بالظاء اي بمتهم وهذا نظير الوصف
السابق بامين وقيل معناه بضعيف القوة على التبليغ من قولهم بئر ظنون اذا كانت
قليلة الماء وكذا هو بالظاء في مصحف عبد الله وقرا عثمان وابن عباس ايضا والحسن وابو
رجاء والاعرج وابو جعفر وشيبة وجماعة غيرهم وباقي السبعة بالضاد اي ببخيل يشح
به ولا يبلغ ما قيل له ويبخل كما يفعل الكاهن حتى يعطى حلوانه قال ____
الطبري وبالضاد خطوط المصاحف كلها وما هو بقول شيطان رجيم اي الذي
يرى له انما هو كلام الله الذي يرى للكاهن وابن رهبون استطحال لهم حيث

فتشعب منه الى الجنوب ومنه الى الكعانه ومنه الى العرب ذلك ما هو مروي منه قال الزمخشري
كانه قال لهم اين تذهبون اغنساتا او ارداها بافي ببنيات الطرق لان تذهب بنا حالهم
بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل ان هو الا ذكر تذكرة وعظة لمن شا بدل من العالمين
دون مشيئة العبد بمشيئة الله قال سيبويه عليهم جعص تعالى لمن شا الاستقامة منكم
من تعاله اذ يكتسب المرء على العموم في استقامته ونجزها انما تكون مع طول الله تعالى بالاحرا
الايمان في صدر المرء قال الزمخشري وانما ابدلوا منهم لان الذين شاؤوا الاستقامة
بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين
جميعا وما تشاؤون الاستقامة يا من يشاؤها الا بتوفيق الله ولطفه وما تشاؤونها انتم
يا من لا يشاؤها الا بقسر الله والجائه انتهى ومعنى كل من ابن عطية والزمخشري المشيئة
على مذهبه وقال الحسن ما شاءت العرب الاسلام حتى شاء الله لها بعدت المناع وليه
لحم الدلفين ويعرف الحوت وكثرته بحرمته وجعلت ايلاه استقلت

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السما انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت
نفس ما قدمت واخرت يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك
في اي صورة ما شا ركبك كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
يعلمون ما تفعلون ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها
بغائبين وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيا
والامر يومئذ لله هذه السورة مكية وانفطارها تقدم الكلام فيه وانتثار
الكواكب سقوطها من مواضعها كالنظام وقرا الجمهور فجرت بتشديد الجيم ومجاهد
والربيع بن خيثم والزعفراني والثوري بتخفيفها وتفجيرها من امتلائها بالاصح بعضها
وبعثرت على ما فيها او من اسفلها يذهب الله ماؤها وعن مجاهد فجرت مبنيا
للفاعل مخففا بمعنى بغت نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان لان البغي والفجور
متقابلان بعثرت قال ابن عباس بحثت وقال السدي اثيرت لبعث الاموات وقال
الفرا اخرج ما في بطنها من الذهب والفضة وقال الزمخشري بعثر وبحثر بمعنى وهما
مركبان من البعث والبحث مع را مضمومة اليهما والمعنى بحثت واخرج موتاها وقيل لبراءة المبعثرة لانها

بعثرت

بعثرت اسرار المنافقين وظاهر قوله انهما مركبان ان مادتهما ما ذكر وان
الرا ليست من حروف الزيادة بل هما مادتان مختلفتان وان اتفقا معنا
من حيث المعنى واما ان احدهما مركب من كذا فلا ونظيره قولهم دمث ودمثر
وسبط وسبطر ما قدمت واخرت تقدم الكلام على شبهه في سورة القيامة وقرا
الجمهور ما غرك فما استفهامية وقرا ابن جبير والاعمش ما اغرك فيحتمل ان تكون
تعجبا واحتمل ان تكون ما استفهامية واغرك بمعنى ادخلك في الغرر وقال الزمخشري
من قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك بيتهم العدو وهم غارون واغره غيره
جعله غارا وروي انه عليه السلام قرا ما غرك بربك الكريم فقال جهله وقاله عمر وقرا انه
كان ظلوما جهولا وهذا يترتب في الكافر والعاصي وقال قتادة عدوه المسلط عليه
وقيل ستر الله عليه وقيل كرم الله ولفظة الكريم تلقن هذا الجواب فهذا اللطف
بالعاصي المؤمن وقيل عفوه عنه ان لم يعاقبه اول مرة قال الفضيل ستره المرخى
وقال ابن السماك

يا كاتم الذنب اما تستحي والله في الخلوة رائيكا
غرك من ربك امهاله وستره طول مساويكا

وقال الزمخشري في جواب الفضيل وهذا على سبيل الاعتراف
بالخطا في الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية
ويروون عن ائمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى
يقول غرني كرم الكريم انتهى على عادته في الطعن على اهل السنة فسواك جعلك سويا
في اعضائك فعدلك صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت وقرا الحسن وعمرو بن
عبيد وطلحة والاعمش وعيسى وابو جعفر والكوفيون بتخفيف الدال وباقي السبعة بشدها
وقراءة التخفيف اما ان تكون كقراءة التشديد اي عدل بعض اعضائك ببعض
حتى اعتدلت واما ان يكون معناه فصرفك يقال عدله عن الطريق اي عدلك عن خلقة غيرك
الى خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق او فعدلك الى بعض الاشكال والهيئات والظاهر
ان قوله في اي صورة يتعلق بركبك اي وضعك في صورة اقتضتها مشيئته من حسن وطول
وذكورة وشبه بعض الاقارب ومقابل ذلك وما زائدة وشا في موضع الصفة لصورة

ثم لا يعطف ركبك بالفا كالذي قبله لانه بيان لعدلك وتكون في اي صورة متعلقا
بركبك وهو قول الجمهور وقيل يتعلق بمحذوف اي ركبك حاصلا في بعض الصور وقال
بعض المتاولين انه يتعلق بقوله فعدلك في صورة اي صورة ولا يعنيني التعجب والتعظم
لم يجعلك في صورة خنزير او حمار وعلى هذا تكون ما منصوبة بشا كانه قال اي
تركيب حسن شاء ركبك والتركيب التاليف وجمع شي الى شي وادغم خارجه عن نافع
في ركبك والتركيب كلا كان عمرو في ادغامه الكسرة على ردع وزجر لما دل عليه ما قبله
من اغترارهم بالله او لما دل عليه ما بعده كلا من تكذيبهم بيوم الجزاء والدين الجزاء و بعد
الاسلام وقرا الجمهور بل تكذبون بالتاء خطابا للكفار والحسن وابو جعفر وشيبة وابو
بشر بيا الغيبة وان عليكم لحافظين استيناف اخبار ان عليهم من يحفظ اعمالهم
ويضبطها ويضمرا بها جملة حالية والواو والحال اي تكذبون بيوم الجزا
والكاتبون الحفظة يضبطون اعمالكم لان تجازوا عليها وفي تعظيم الكتبة بالثنا عليهم
تعظيم لامر الجزا وقرا الجمهور يصلونها مضارع صلى مخففا وابن مقسم مشدد امبنيا
للمفعول يعلمون ما تفعلون يكتبون ما يتعلق به الجزا قال الحسن يعلمون ما ظهر
دون حديث النفس وقال سفيان اذا هم العبد بالحسنة او السيئة وجد الكاتبان
ريحها وقال الحسين بن الفضل حيث قال يعلمون ولم يقل يكتبون دل على انه لا يكتب
الجميع فيخرج عنه السهو والخطا وما لا تبعة فيه وما هم عنها بغائبين اي عن الجحيم اي لا يمكنهم
الغيبة كقوله وما هم بخارجين من النار وقيل انهم مشاهدوها في البرزخ لما اخبر
عن صليهم يوم الدين اخبر بانتفاء غيبتهم عنها قبل الصلي اي يرون مقاعدهم من النار
وما ادراك تعظيم لهول ذلك اليوم وقرا ابن ابي اسحق وعيسى وابن جندب وابن كثير
وابو عمرو يوم لا تملك لرفع الميم اي هو يوم واجاز الزمخشري فيه ان يكون بدلا مما
قبله وقرا محبوب عن ابي عمرو يوم لا تملك على التنكير منونا مرفوعا فكه عن الاضافة
وارتفاعه هو يوم ولا تملك جملة في موضع الصفة والعائد محذوف اي لا تملك فيه وقرا زيد
ابن علي والحسن وابو جعفر وشيبة والاعرج وباقي السبعة يوم بالفتح على الظرف
فعند البصريين هي حركة اعراب وعند الكوفيين يجوز ان تكون حركة بنا وهو على القدر
في موضع رفع خبر المحذوف تقديره الجزا يوم لا تملك او في موضع نصب على الظرف اي يدانون

يوم

يوم لا تملك او في موضع نصب على الظرف اي يدانون يوم لا تملك او على انه مفعول به اي
اذكر يوم لا تملك ويجوز على راي من يجيز بناه ان يكون في موضع رفع خبر المبتدا محذوف
تقديره هو يوم لا تملك نفس لنفس شيئا عام كقوله واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا
هم قال مقاتل لنفس كافرة شيئا من المنفعة والامر يومئذ لله قال قتادة وكذلك
هو اليوم لكنه هناك لا يدعي احد منازعة ولا يمكن هو احد مما كان تمكنه في الدنيا المطففين
القصاب واصله من الطفيف وهو النزر الحقير والطفيف الاخيرة وزن او كيل طفيفا اي
شا حقيرا جدا ران غطى وغشى كالصدى يغشي السيف قال

وكم ران من ذنب على قلب فاجر فتاب من الذنب الذي ران فانجلى

واصل الرين الغلبة يقال رانت الخمر على عقل شاربها وران الغشي على عقل المريض قال

ابو زبيد

ثم لما راه رانت به الخمر وان لا ترينه باتقا

وقال ابو زيد يقال ران به رينا اذا وقع فيما لا يستطيع منه الخروج
الرحيق قال الخليل اجود الخمر وقال الاخفش والزجاج الشراب الذي لا غش فيه وقال حسّان

يردى يصفق بالرحيق السلسل

التنافس في الشي الرغبة فيه والمغالبة عليه بالشي النفيس يتنافس به اذا بخل به على غيره ولم يحب
ان يصير اليه التسنيم اصله الارتفاع ومنه تسنيم القبر وسنام البعير وتسنمه
علوت تسنامه الغمز الاشارة بالعين والحاجب

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون
الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين كلا ان كتاب
الفجار لفي سجين وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين
وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين كلا بل ران على
قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا
الذي كنتم به تكذبون هذه السورة مكية في قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل
ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومقاتل ايضا وقال ابن عباس هي مدنية الا ثمان

الذين اجرموا الى اخرها فهو مكي ثمان ايات وقال البيضاوي كان بالمدينة رجل يكنى ابا جهينة له
مكيالان يأخذ بالاوفى ويعطي بالانقص فنزلت وقيل انها اول سورة نزلت بالمدينة وقال
ابن عباس نزل بعضها بمكة ونزل امر التطفيف بالمدينة لانهم كانوا اشد الناس فسادا في هذا
العمل فاصلحهم الله بهذه السورة وقيل نزلت بين مكة والمدينة ليصلح الله تعالى امرهم قبل ورود
رسول الله عليه السلام اقول المناسبة بين السورتين ظاهرة لما ذكر السعداء والاشقياء ويوم
الجزاء وعظم من شان يومه ذكر ما اعد لبعض العصاة وذكرهم باخس ما يقع من المعصية وهو
التطفيف الذي لا يكاد يجدي شيئا في تثمير المال وتنميته اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا
كالوهم او وزنوهم يخسرون قال الفراء من وعلى يعتقبان هنا اكتلت على الناس واكتلت
من الناس فاذا قال اكتلت منك فكانه قال استوفيت منك واذا قال اكتلت عليك فكانه
قال اخذت ما عليك والظاهر ان على الناس متعلق باكتالوا كما قررناه وقال الزمخشري لما كان
اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز
ان يتعلق على بيستوفون اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها اه
وكال ووزن مما يتعدى بحرف الجر فيقول كلت لك ووزنت لك ويجوز حذف اللام كقولك
نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك والضمير ضمير منصوب اي كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف الجار
واوصل الفعل بنفسه والمفعول محذوف وهو المكيل والموزون وعن عيسى وحمزة المكيل والمكال
له والموزون والموزون له محذوف وهو ضمير مرفوع تأكيد للضمير المرفوع الذي هو الواو
وقال الزمخشري ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان الكلام يخرج به الى نظم فاسد
وذلك ان المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا اعطوهم اخسروا وان جعلت الضمير
للمطففين انقلب الى قولك اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل او الوزن
هم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل لا في المباشر اه
ولا تنافر فيه بوجه ولا فرق بين ان يؤكد الضمير او لا يؤكد والحديث واقع في الفعل لانه
ما في هذا ان متعلق الاستيفاء وهو على الناس مذكور وهو في كالوهم او وزنوهم محذوف
للعلم به لانه معلوم انهم لا يخسرون الكيل والميزان اذا كان لانفسهم انما يخسرون ذلك
لغيرهم وقال الزمخشري فان قلت هلا قيل او اتزنوا كما قيل او وزنوهم قلت
كان المطففون كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم

بالاكتيال

بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون في الملء واذا اعطوا كالوا او
وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا يخسرون ينقصونه ... ويخسرون معرب
بالهمز فقال خسر الرجل واخسره غيره الا يظن ... استفهام تعجيب وانكار عليهم في فعلهم
ذلك اي ليوم عظيم وهو يوم القيامة ويوم ظرف العامل فيه مقدر اي يبعثون يوم يقوم
الناس ويجوز ان يعمل فيه مبعوثون ويكون معنى ليوم اي لحساب يوم وقال الفراء هو
بدل من يوم عظيم لكنه بني وعربه يوم يقوم بالجر وهو بدل من ليوم حكاه ابو معاذ وقرأ
زيد بن علي بالرفع اي ذلك يوم ويظن بمعنى يوقن او هو على بابه من الترجيح وفي
هذا الانكار والتعجب ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس لله خاضعين ووصفه برب
العالمين دليل على عظم هذا الذنب وهو التطفيف كلا ردع لما كانوا عليه من التطفيف
وهذا القيام يلجم العرق للناس واحوالهم فيه مختلفة كما ورد في الحديث والفجار الكفار
وكتابهم هو الذي فيه تحصيل اعمالهم وسجين قال الجمهور فعيل من السجن يتسلسل الى موضع
ساجن فجاء بناء المبالغة فسجين على هذا صفة لموضع المحذوف وقال ابن مقبل

ورفقة يضربون البيض ضاحية ضربا تواصت به الابطال سجينا

وقال الزمخشري فان قلت ما سجين اصفة هو ام اسم قلت بل هو اسم علم منقول
من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف اه وكانه
... انه كتاب جامع هو ديوان الشر دونه الله فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة
والفسقة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا
خير فيه فالمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان اه وقد اجمعوا
ان سجين اذا كان مكانا اي مكان هو ... مضطرب ... ذكره والظاهر
ان سجينا هو كتاب لذلك ابدل منه كتاب مرقوم وقال عكرمة سجين
عبارة عن الخسارة والهوان كما تقول بلغ فلان الحضيض اذا صار في غاية الخمول وقال
بعض اللغويين سجين نونه بدل من لام واذا كانت اصلية فاشتقاقه من السجل
وقيل هو مكان فيقدر كتاب مرقوم خبر مبتدأ محذوف اي هو كتاب ويعني
بالضمير هو ما عاد على كتاب الفجار او على سجين على حذف اي هو محل كتاب مرقوم او كتاب
جامع لديوان الشر فيه اعمال الاشقياء من الثقلين وكتاب مرقوم يعسر له على جهة

الدولة او خبر مبتدا او المحض المفسر الذي هو عائد على سجين او كتابه عن الحسنات والهوا
وقيل هو صفته او هو ما ادراك ما سجين اي لست تدرك ما اثبت علم كتاب هو مرقوم اي
مثبت كالرقم لا يبلى ولا يمحى قال ابن عباس رقم لهم بشر لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم احد
قال ابن عباس والضحاك مرقوم مختوم بلغة حمير واصل الرقم الكتابة ومنه قول الشاعر
سارقم في الماء القراح اليكم على بعدكم ان كان للماء راقم ويستعمل من الاعراب المسائل
اكثرها مرقوم بدل او خبر مبتدا محذوف وكان ابن عطية قال ان سجينا موضع
على قول الجمهور وعبارة عن الخسار على قول عكرمة ثم قال كتاب مرقوم من قال بالقول
الاول فتحسين كتاب مرتفع عنده على خبر ان والظرف الذي هو لفي سجين ملغى
ومن قال في سجين القول الثاني فكتاب مرتفع على خبر ابتدا اضمر المعنى هو كتاب
مرقوم ويكون هذا الكلام مفسرا لمعنى سجين ما هو انتهى مقوله والظرف الذي
هو لفي سجين ملغى قول لا يصح لان اللام التي لفي سجين داخلة على الخبر واذا كانت داخلة
على الخبر فلا الغى في الجار والمجرور بل هو الخبر والاجاز ان تكون تلك اللام دخلت
لفي سجين على فضلة هي معمول للخبر او لصفة الخبر فيكون الجار والمجرور ملغى لا خبرا لان
كتاب موصوف بمرقوم فلا تعمل ولان مرقوما الذي هو صفة لكتاب لا يجوز ان يدخل
اللام في معموله ولا يجوز ان يتقدم معموله على الموصوف فتعين بهذا ان قوله لفي سجين
هو خبر ان الذين يكذبون صفة ذم كل معتد متجاوز الحد اثيم صفة مبالغة وقرا
الجمهور اذا وقرا الحسن ابو السمال الاستفهام والجمهور تتلى وقرا ابو حيوة وابن
مقسم بالياء [illegible] ران قرئ بادغام اللام في الراء وبالاظهار
ووقف حفص على بل وقفا يسيرا ليبين الاظهار وقال [illegible] ابو جعفر بن
الباذش واجمعوا يعني القراء على ادغام اللام في الراء الا ما كان من سكت حفص
على بل ثم يقول ران وهذا الذي ذكره ليس كما ذكر من الاجماع ففي كتاب المنهج
عن قالون من جميع طرقه اظهار اللام عند الراء نحو قوله تعالى بل رفعه الله اليه بل ربكم
وفي كتاب ابن عطية وقرا نافع بل ران غير مدغم وفيه ايضا وقرا نافع ايضا بالادغام
والامالة قال سيبويه اللام مع الراء نحو اشغل رحمه البيان والادغام احسن
وقال الزمخشري وقرئ بادغام اللام في الراء بالاظهار والادغام اجود وامليت الالف

وفخمت

وفخمت انتهى وقال [illegible] فاذا كانت يعني اللام من لام المعرفة كقوله هل وبل فان الادغام
في بعضها احسن وذلك قولك هل رايت فان لم يدغم فقلت هل رايت فهي لغة لاهل الحجاز وهي
عربية جائزة انتهى وقال الحسن والسدي هو الذنب على الذنب قال الحسن حتى يموت
قلبه وقال [illegible] يسود القلب وفي الحديث نحو من هذا وقال الكلبي طبع على قلوبهم
قال [illegible] ما كانوا يكسبون قال ابن عطية وعلق اللوم بهم فيما يكسبونه وان
كان ذلك خلق منه واختراع لان الثواب والعقاب متعلق بما يكسبه العبد
والضمير في قوله انهم للكفار ومن قال بالرؤية وهو قول اهل السنة قال ان هؤلاء لا يرون
ربهم فهم محجوبون عنه واحتج بهذه الاية مالك على مسئلة الرؤية من جهة دليل الخطاب
والا فلو حجب الكل ما اغنى هذا التخصيص وقال الشافعي لما حجب قوم بالسخط دل على ان قوما
يرونه بالرضا ومن قال بانه لا رؤية وهو قول المعتزلة قال انهم محجوبون عن رحمة ربهم وغفرانه
انتهى وقال انس بن مالك لما حجب اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى راوه وقال الزمخشري كلا
ردع عن الكسب الرائن على قلوبهم وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم
لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم قال

اذا اعتروا باب ذي عبية رجبوا والناس من بين مرجوب ومحجوب

وعن ابن عباس وقتادة وابن ابي مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته
ومن ذهب [illegible] محجوبون وهو القائل بالرؤية والتنوين تنوين العوض من الجملة المحذوفة
ولم يتقدم جملة قريبة يكون عوضا منها لكنه تقدم يوم يقوم الناس لرب العالمين فهو عوض
من هذه الجملة كانه قيل يومئذ يقوم الناس لرب العالمين مع الحجاب عن الله هم صالوا
النار وهي ثمرة الحجاب ثم يقال اي يقول لهم خزنة النار هذا اي العذاب وصلي النار
او هذا اليوم الذي كنتم به تكذبون قال ابن عطية وهذا الذي يعني الجملة مفعول لم
يسم فاعله لانه قول نبي له الفعل الذي هو يقال انتهى وتقدم الكلام على نحو هذا في البقرة
قوله واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض

ان كتاب الابرار لفي عليين

وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون
تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ان الذين اجرموا كانوا من الذين

امنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين واذا راوهم قالوا ان هولا لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون لما ذكر تعالى امر دار الفجار عقبه بذكر كتاب ضدهم ليتبين الفرق وعليون جمع واحد على مستحق من العلو وهو للمبالغة قاله يونس وابن جني وقال ابو الفتح وسبيله ان يقال عليه كما قالوا للغرفة علية فلما حذفت التا عوضوا منها الجمع بالواو والنون وقيل هو وصف للملائكة فلذلك جمع بالواو والنون وقال الفرا هو اسم موضوع على صفة الجمع ولا واحد له من لفظه كقوله عشرين وثلثين والعرب اذا جمعت جمعا ولم يكن له بنا من واحد ولا تثنية قالوا في المذكر والمونث بالواو والنون وقال الزجاج اعرب هذا الاسم كاعراب الجمع كما تقول هذه قنسرون ورايت قنسرين وعليون الملايكة او الموضع العلية او علم لديوان الخير الذي دونه فيه كل ما عمله الملايكة وصلحا الثقلين وعليون علو فيها بعد علو الى السما السابعة قاله الزمخشري وقال ابو مسلم كتاب الابرار كتاب اعمالهم لفي عليين ثم وصف عليين بانه كتاب مرقوم فيه جميع اعمال الابرار واذا كان معكانا فاختلفوا في تعيينه اختلافا مضطربا رغبنا عن ذكره واعراب لفي عليين وكتاب مرقوم في هذه الاية خبران والاظرف متعلق بما يتعلق به كان لفي سجين وقد ردونا عليه ذلك وهذا ايضا والمقربون هنا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد الملائكة اعد لهم من الكرامات وقال مقاتل الى اهل النار وقيل ينظر بعضهم الى بعض وقرا الجمهور تعرف بنا الخطاب للرسول عليه السلام او للناظر النعيم نضرة بالنصب وقرا ابو جعفر وابن ابي اسحق وطلحة وشيبة ويعقوب والزعفراني تعرف مبنيا للمفعول نضرة رفعا وزيد بن علي كذلك الا انه قرا يعرف بالبا اذ تانيث نضرة مجازي والنضرة تقدم شرحها في قوله نضرة ونشور واحتواء الطاهر ان الرحيق مختوم عليه تهمما ونظفها بالرايحة المسكية كما فسره ما بعده وقيل يختم اوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة وقرا الجمهور ختامه اي خلطه ومزاجه قاله عبد الله وعلقمة وقال ابن عباس وابن جبير والحسن معناه خاتمته اي يجد الرايحة عند خاتمة الشرب رايحة المسك وقال ابو علي اي لذاته المقطع وذكا الرايحة مع طيب الطعم وقيل يمزج بالكافور ويختم مثاله بالمسك وكذا قال مجاهد واتيه ريح ختمها اي ختم بالمسك بدل الطين وقال

مسعسعا من خمر يجري عليه المسك مشروب الخنا
وقرا علي والنخعي والضحاك وزيد بن علي وابو حيوة وابن ابي عبلة والكسائي خاتمه بالالف بعد الخا وفتح التاو هذه بمعنى انه يراد بها الطبع على الرحيق وعن الضحاك وعيسى واحمد ابن جبير الانطاكي عن الكسائي بكسر التا اي اخره مثل وخاتم النبيين ويتحرر اسحابهم والحتمة المسك اي صار به الذي يختم بعد يعطي من تسنيم قال عبد الله وابن عباس هو اشرف شراب الجنة وهو اسم مذكر لماء عين في الجنة وقال الزمخشري تسنيم علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه وعينا نصب على المدح وقال الزجاج على الحال بهم وقال الاخفش يسقون عينا يشرب بها اي يشرب منها او ضمنها اخص شرب معنى يروى بها المقربون قال ابن مسعود وابن عباس والحسن وابو صالح يشرب بها المقربون صرفا ويمزج للابرار ومذهب الجمهور ان الابرار هم اصحاب اليمين وان المقربين هم السابقون وقال قوم الابرار والمقربون في هذه الاية بمعنى واحد يقع لكل من نعم في الجنة روي ان عليا وجماعة معه من المومنين مروا بجمع من كفار مكة فضحكوا منهم واستخفوا بهم عبثا فنزلت ان الذين اجرموا قبل ان يصل علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفار مكة هؤلا قيل ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والمؤمنون عمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقرا المومنين والظاهر ان الضمير في واذا مروا عايد على الذين اجرموا اذ هي ذلك تناسق الضماير لواحد وقيل للمومنين اي واذا مر المومنون بالكفار يتغامزون اي يشيرون باعينهم فاكهين اي متلذذين بذكرهم وبالضحك منهم وقرا الجمهور فاكهين بالالف اي اصحاب فاكهة ومزح وسرور باستخفافهم باهل الايمان وابو رجا والحسن وعكرمة وابو جعفر وحفص بغير الف والضمير المرفوع في راوهم على المجرمين اي اذا راوا المومنين ينسبونهم الى الضلال وما ارسلوا اي على المومنين حفظة يحفظون عليهم احوالهم وقيل عايد على المومنين اي واذا راى المومنون الكفار ينسبونهم الى الضلال وهم محقون في نسبتهم اليه وما ارسلوا على الكفار حافظين وفي الاشارة اليهم بانهم ضالون اثبات للكلام بينهم وكان في الاية معنى موادعة اي ان المومنين لم يرسلوا حافظين على الكفار وهذا على القول منسوخ باية السيف وقال الزمخشري وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكار لصدهم اياهم

كان

عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وحرصهم في ذلك ولما تقدم ذكر يوم القيامة قيل فاليوم
الذين امنوا اليوم منصوب بيضحكون اي ان كان قد ضحك الكفار من المومنين
في وقت ما في الدنيا فالمومنون يضحكون منهم في الاخرة وينظرون حال من الضمير
في يضحكون اي يضحكون ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والعذاب بعد العزة
والنعيم وقال كعب لاهل الجنة كوى ينظرون منها الى اهل النار وقيل جسر بينهما
يردون منه حالهم هل ثوب اي هل جوزي يقال ثوبه واثابه اذا جازاه ومنه قول الشاعر

سأجزيك او يجزيك عني مثوب وحسبك ان يثنى عليك وتحمدي

وهو استفهام بمعنى التقرير للمومنين اي هل جوزوا بما فعلوا بهم المستهزئين اي قد جوزوا بها
وقيل هو متعلق بينظرون وينظرون معلق والجملة في موضع نصب
بعد اسقاط حرف الجر الذي هو الى وقرا الجمهور هل ثوب باظهار اللام وقرا النحويان وحمزة
وابن محيصن بادغامها في الثاء وفي قوله ما كانوا حذف مضاف اي جزاء او عقاب ما كانوا
يفعلون الكدح جهد النفس في العمل حتى يوثر فيها من كدح جلده اذا خدشه

قال ابن مقبل

وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح

قال اخر

ومضت بشاشة كل عيش صالح وبقيت اكدح للحياة وانصب

حار رجع قال الشاعر

وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

الشفق الحمرة بعد مغيب الشمس حين يأتي وقت العشاء الاخرة قيل اصله من رقة الشي
يقال شي شفق اي لا يتماسك لرقته ومنه اشفق عليه رق قلبه والشفقة الاسم
من الاشفاق وكذلك الشفق قال

تهوى حياتي واهوى موتها شفقا والموت اكرم نزال على الحرم

وسق ضم وجمع ومنه الوسق الاصواع المجموعة وهي ستون صاعا وطعام موسوق
اي مجموع وابل مستوسقة قال

ان لنا قلائصا حقائقا مستوسقات لو يجدن سائقا

لسو

يستوي قال الفراء اتساقه امتلاؤه واستواؤه ليالي البدر وهو افتعال من الوسق
الذي هو الجمع يقال وسقته فاتسق ويقال امر فلان متسق اي مجتمع على الصلاح منتظم
طبقا عن طبق حالا بعد حال والطبق ما طابق غيره واطباق الثرى ما تطابق منه ومنه
قيل للغطاء الطبق وقال الاقرع بن حابس

انى امرؤ قد حلبت الدهر اشطره وساقني طبق منه الى طبق

وقال ابن العيش

ديمة هطلاء فيها وطف طبق الارض تحرى وتدر

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت واذنت لربها وحقت
واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت واذنت لربها وحقت يا ايها الانسان انك
كادح الى ربك كدحا فملاقيه فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا
وينقلب الى اهله مسرورا واما من اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا ويصلى سعيرا
انه كان في اهله مسرورا انه ظن ان لن يحور بلى ان ربه كان به بصيرا فلا اقسم
بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق فما لهم لا يومنون واذا
قرئ عليهم القران لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون والله اعلم بما يوعون فبشرهم
بعذاب اليم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون هذه
السورة مكية ومناسبتها لما قبلها ظاهرة وقال ابن عباس انشقت تتصدع لنزول الملائكة
تتفطر وتنشق عن المجرة وعن ابن عباس ايضا تنشق اي تتصدع بالغمام وقاله الفراء
والزجاج وقيل تنشق لهول يوم القيامة لقوله وانشقت السماء فهي يومئذ واهية وقرا
الجمهور انشقت بالتاء وما بعدها ساكنة وقرا عبيد بن عقيل عن ابي عمرو باشمام
الكسر وقفا بعد ما لم يختلف في الوصل اسكانها قال صاحب اللوامح هذا من التغيرات
التي تلحق الروي في القوافي وفي هذا الاشمام بيان ان هذه التاء من علامة تانيث الفعل للاناث
وليست مما يلحق الاسماء فصار ذلك فارقا بين الاسم والفعل فمن وقف على ما في الاسماء
بالتاء وذلك لغة طي وقد في المصاحف بعض التاءات على ذلك الحق وقال ابو عبد الله
بن خالويه اذا السماء انشقت بكسر التاء عبيد عن ابي عمرو وقال ابن عطية وقرا ابو عمرو انشقت
ووقف على التاء كانه يشمها شي من الجر وكذلك في اخواتها قال ابو حاتم سمعت اعرابيا فصيحا

في بلاد قيس تحسين هذه المثناة ... وذلك ان الفواصل تجري مجرى القوافي
فكما ان حذف الياء يحسن في القوافي يحسن في الفواصل ومثال كسرها في القوافي قول الشاعر
عمرو: وما انا بالباغي لعمرو بالردى ... ولا شامت ان نعل عمرو زلت
وكذلك ياتي الفصيح راجرا الفواصل في الوقف مجرى القوافي في غير موقف كقوله تعالى
الظنونا والرسولا في سورة الاحزاب وحمل الوصل على حالة الوقف ايضا موجود في
الفواصل ومعنى واذنت اي سمعت وسمعت امره ومنه في الحديث ما اذن الله
لشيء اذنه لنبي يتغنى بالقرآن وقال الشاعر

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ... وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا

وقال قعنب بن ام صاحب

ان ياذنوا ريبة طاروا بها فرحا ... وما هم اذنوا من صالح دفنوا

وقال الجحاف بن حكيم

اذنت لكم لما سمعت هريركم ... وحقت اي وحق لها ان تسمع انشقاقها فعل المطيع
اذا ورد عليه امر المطيع انصت واذعن كقوله ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وحقت قال ابن عباس
ومجاهد وابن جبير وحق لها ان تطيع ويفعل ذلك وبني الفعل هنا للمفعول و
الفاعل هو الله اي وحق الله عليها الاستماع ويقال فلان محقوق بكذا وحقيق
بكذا والمعنى انه لم يكن جرم السماء ما يمنع من تاثير القدرة في انشقاقه وتفريق اجزائه
وانعدامه بل كان قابلا لذلك [illegible] لشدة الهول وخوف الهم تعالى
وقال الزمخشري ومعنى حقيقة بان ينقاد ولا يمتنع ونحوه الاخرات بانت الصادق
الزات [illegible] في قوله العازب الداب
الاعجز [illegible] هذا الرجل [illegible]
واذا الارض مدت قال مجاهد سويت وقال الضحاك بسطت باندكاك جبالها
ومنه الحديث [illegible]
وذلك الاديم اذا مد زال ما فيه من ثني وانبسط بقعة الارض اذ ذاك
قال تعالى فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا والقت ما فيها وتخلت قال ابن
جبير وقتادة والجمهور القت ما في بطنها من الاموات وتخلت ممن على ظهرها من الاحياء وقيل

وتخلت

وتخلت مما على ظهرها من جبالها وبحارها وقال الزجاج ومن الكنوز وضعف هذا بان ذلك يكون
وقت خروج الدجال وانما يلقي يوم القيامة الموتى وتخلت عن من كان فيها لم يتمسك منهم بشي
وحاصله انها تخلت اقصى جهدها في الخلو كما تقول تكرم الكريم بلغ جهده في الكرم وتكلف
فوق ما في طبعه وتسنيد ذلك الى الارض تسنيده مجازية والله تعالى هو الذي اخرج تلك الاشيا
من باطنها وجواب اذا محذوف فاما ان يقدر بما صرح به في سورة التكوير والانفطار
او ما دل عليه انك كادح اي لاقى كل انسان كدحه وقال الاخفش والمبرد هو فملاقيه
اي اذا انشقت السماء فانت ملاقيه وقيل يا ايها الانسان على حذف الفا بعد من ما
الانسان وقيل واذنت على زيادة الواو وعن الاخفش اذا السماء انشقت اذنت واذا الا
رض مدت على زيادة الواو والعامل فيها على قول الاكثرين الجواب اما المحذوف الذي قدروه واما الظا
هر الذي قيل انه جواب وقال بعض النحاة العامل انشقت واتى ذلك
كثير من ائمتهم لان اذا مضافة الى انشقت ومن يجوز ذلك يعضض بمنع الاضافة
وتعدي معنى الجزا اليه وهذا القول نحو [illegible] وقد استدل الفا على صحته فيها و
المعرب وقت انشقاق السماوات ومد الارض وقيل لا جواب لها اذ هي منصوبة
باذكر نصب المفعول به فليست شرطا واذ شرطها اي القى ما في بطنها وتخلت
والانسان يراد به الجنس والتقسيم بعد ذلك يدل عليه وقال مقاتل المراد به الاسود
ابن عبد الاسد [illegible] المخزومي جادل اخاه ابا سلمة في امر البعث فقال الاسود فاين
الارض والسما وما حال الناس [illegible] وكان مقاتل [illegible] نزلت في الاسود وقيل في ابي بن خلف الجمحي
وقيل المراد ابي بن خلف كان يكدح في طلب الدنيا واذى الرسول والاصرار على
الكفر والعبر من ذهب الى انه الرسول عليه السلام والمعنى انك تكدح في ابلاغ رسالة
الله وارشاد عباده واحتمال الضر من الكفار فابشر فانك تلقى الله بهذا العمل وهو
غير [illegible] انك كادح اي جاهد مجد في عملك من خير وشر الى
ربك اي طول حياتك الى لقاء ربك وهو اجل موتك فملاقيه اي جزاء عملك من خير او شر من
ثواب وعقاب قال ابن عطية فالفاء على هذا عاطفة جملة الكلام على التي قبلها والتقدير
فانت ملاقيه ولا يتعين ما قاله بل يصح ان يكون معطوفا على كادح عطف
المفردات وقال الجمهور الضمير في ملاقيه عائد على ربك اي فملاق جزاءه فاسم الفاعل

معطوف على اسم الفاعل من حسابا يسيرا قالت عائشة هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه
وقال الحسن يجازى بالحسنة ويتجاوز عن السيئة وفي الحديث من حوسب عذب
فقالت عائشة الم يقل الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال عليه السلام انما
ذلك العرض واما من نوقش الحساب فيهلك وينقلب الى اهله اي الى من اعد الله
له في الجنة من نسا المومنين ومن الحور العين او الى عشيرته المومنين فيخبرهم بخلاصه وسلامته
او الى المومنين لانهم كلهم اهل الايمان وقرا زيد بن علي وينقلب مضارع قلب مبنيا
للمفعول وراء ظهره قال ابن عطية واما الذي تغل عليه اليمنى من عصاتهم
يعني عصاة المومنين فانه يعطى كتابه بعد خروجه من النار وقد جوزوا ان يعطاه
اولا قبل دخوله النار وهذه الاية ترد على نفاة القول بهذا الظاهر من الايمان لا انسان
اسمهم الى يعرفه العصيان ولم يتعرض للعصاة الذين يدخلهم الله النار فسوف يدعو ثبورا
يقول واثبوراه والثبور الهلاك وهو جامع لانواع المكاره وقرا قتادة وابو جعفر وعيسى
وطلحة والاعمش وعاصم وابو عمرو وحمزة ويصلى بفتح اليا مبنيا للفاعل وباقي السبعة وعمر بن
عبد العزيز وابو الشعثا والحسن والاعرج بضم اليا وفتح الصاد واللام مشددة وابو الاشهب
وخارجة عن نافع وابان عن عاصم وعيسى ايضا والعتكي وجماعة عن ابي عمرو بضم اليا ساكن
الصاد مخفف اللام مبنيا للمفعول من المتعدي بالهمزة كما بني ويصلى المشدد للمفعول من المتعدي
بالتضعيف انه كان في اهله في الدنيا مسرورا اي بطرا اشرا لا يعرف الله ولا
يفكر في عاقبته لقوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين بخلاف المومن فانه حزين مكتئب
متفكر في الاخرة انه ظن ان لن يحور اي لن يرجع الى الله وهذا تكذيب بالبعث قال ابن عباس
ما عرفت معناه حتى سمعت اعرابية تقول لبنية لها حوري اي ارجعي بلى يحور
ان ربه كان به بصيرا اي لا يخفى عليه افعاله فلا بد من رجوعه ومجازاته فلا اقسم
بالشفق اقسم تعالى بمخلوقاته تشريفا لها وتعريضا للاعتبار بها والشفق الحمرة
وقال ابو هريرة وعمر بن عبد العزيز وابو حنيفة هو البياض الذي يتلو
الحمرة وروى اسد بن عمرو ان ابا حنيفة رجع عن قوله هذا الى قول الجمهور وقال مجاهد
والضحاك وابن ابي نجيح الشفق هو النهار كله لانه عطف عليه الليل قال ذلك
ابن عطية وهذا قول ضعيف وعن مجاهد هو الشمس وعن عكرمة ما بقي من النهار

وما وسق اي ما ضم من الحيوان وغيره اذ جمع ذلك بظلمته وتستر في ظلمة الليل وقال ابن عباس
وما وسق اي وما غطى عليه من الظلمة وقال مجاهد وما ضم من حيوان وشبهه وقال ابن جبير وما
ساق وجمع وقال ابن جبير وما عمل فيه ومنه قول الشاعر

فيوما ترانا صالحين وتارة تقوم بنا كالواسق المتلبس

وقال ابن الفضل لفه كل امر الى الله اي جمع الخلق اليه ورجع كل الى ما داه لتركبن
طبقا وقرا عمر وعبد الله وابن عباس ومجاهد والاسود بن يزيد ومسروق والشعبي وابو
العالية وابن وثاب وطلحة وعيسى والاخوان وابن كثير لتركبن بتا الخطاب وفتح البا فقيل
خطاب للرسول اي حالا بعد حال من معالجة الكفار وقال ابن عباس سماء بعد سماء في الاسرى
وقيل عبر بالنظر اي لتركبن امر العرب قبلك بعد ومنها بعد ريح كما قال ويجد بعد
ذلك وقال الزمخشري ويجوز ان يكون على خطاب الانسان في يا ايها الانسان وقال ابن
مسعود لتركبن السما في اهوال القيامة حالا بعد حال تكون كالمهل وكالدهان وتنفطر
وتنشق فالتا للتانيث وهو اخبار عن السما بالحرب لها والضمير الفاعل عائد على السما وقرا عمر
وابن عباس ايضا باليا من اسفل وفتح البا على ذكر الغائب قال ابن عباس يعني نبيكم صلى
الله عليه وسلم وقيل المضمر الغائب يعود على القمر لانه يتغير احواله من سرار واستهلال
وابدار وقال الزمخشري لتركبن الانسان وقرا عمر وابن عباس ايضا وابو جعفر والحسن
وابن جبير وقتادة والاعمش وباقي السبعة بتا الخطاب وضم البا اي لتركبن ايها الناس
وقال الزمخشري لتركبن بالضم على خطاب الجنس لان النداء للجنس والمعنى لتركبن
الشدائد والموت والبعث والحساب حالا بعد حال وتكون الاحوال من النطفة
الى الهرم كما تقول طبقة بعد طبقة قال مكحول عشرين سنة بعد عشرين وقيل المعنى
لتركبن هذه الاحوال امة بعد امة ومنه قول العباس بن عبد المطلب في رسول الله صلى الله عليه وسلم

وانت لما ولدت اشرقت الارض وضاءت بنورك الافق
تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق

وقال مكحول وابو عبيدة المعنى لتركبن سنن من قبلكم وقال ابن زيد المعنى لتركبن الاخرة
بعد الاولى وقرا عمر ايضا لتركبن بيا الغيبة وضم البا اراد به الكفار لا بيان توبيخهم بعد
اي يركبون حالا بعد اخرى من المذلة والهوان في الدنيا والاخرة وقرا ابن مسعود وابن

عباس لتركبن بكسر التاء وهي لغة تميم مع حملة الخطاب للرسول وقرئ بالتاء وكسر الباء على خطاب

النفس و طبقا عن طبق طبقا مطابقة لأخرى في الشدة ويجوز ان يكون اسم جنس

واحده طبقة ومن للمرتقين من لهم على طبقات وعن طبق في موضع الصفة لقوله طبقا او في

موضع الحال من الضمير في لتركبن وعن مكحول كل عشرين عاما تحدثون امرا لم تكونوا عليه فما لهم لا يؤمنون

تعجب من انتفاء ايمانهم وقد وضحت لهم الدلائل لا يسجدون لا يستكينون ويخضعون قاله قتادة وقال

عكرمة ما بشرى فسجد فيها فهم المصلي وقال محمد بن كعب لا يصلون وقرأ الجمهور يكذبون مشددا او الضحاك

وابن ابي عبلة مخففا والله اعلم بما يوعون بما يجمعون من الكفر والتكذيب كانهم يجعلونه في اوعية

وعيت العلم واوعيت المتاع قال ابو محمد بن عطية وقال ابن عباس بما يضمرون من عداوة الرسول وقرأ

ابو رجاء بما يعون من وعى الا الذين آمنوا اي سبق لهم في علم الله انهم يؤمنون غير ممنون غير

مقطوع وقال ابن عباس ممنون معدد عليهم محسوب منغص بالمن وتقدم الكلام على ذلك

في فصلت الاخدود الحد في الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الحق والاخفوف

ومنه فساحتيه قوابه في الخاصرة داب

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود

اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز

الحميد الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد ان الذين فتنوا المؤمنين

والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات

لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ

ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد هل اتاك حديث الجنود

فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح

محفوظ ن هذه السورة مكية ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر انه تعالى

اعلم بما يجمعون للرسول وللمؤمنين من المكر والخداع واذاية من اسلم بانواع من الاذى

كالضرب والقتل والصلب والحرق بالشمس واحماء الصخر ووضع اجساد من يريدون ان

يفتنوه عليه ذكر ان هذه الشنشنة كانت فيمن تقدم من الامم يعذبون بالنار

وان اولئك الذين عرضوا على النار كان لهم من الثبات في الايمان ما منعهم ان يرجعوا

عن

عن دينهم ان يحرقوا وان اولئك الذين عذبوا المؤمنين ملعونون فكذلك الذين عذبوا المؤمنين

من كفار قريش ملعونون فهذه السورة عظة لقريش وتثبيت لمن يعذبونه ذات

البروج قال ابن عباس والجمهور هي المنازل التي عرفتها العرب وهي اثنا عشر على ما قسمته

وهي التي تقطعها الشمس في سنة والقمر في ثمانية وعشرين يوما وقال عكرمة والحسن ومجاهد

هي القصور وقال الحسن ومجاهد ايضا هي النجوم وقيل عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها

وقيل ابواب السماء وقد تقدم ذكر البروج في سورة الحجر واليوم الموعود هو يوم القيامة اي الموعود

به وشاهد ومشهود هذان منكران وينبغي حملهما على العموم كقوله علمت نفس ما احضرت

وان كان اللفظ لا يقتضيه لكن المعنى يقتضيه اذ لا يقسم بنكرة ولا يدرى من هي فاذا لوحظ

فيها معنى العموم اندرج فيها المعرف فحسن القسم وكذا ينبغي ان يحمل ما جاء من هذا النوع نكرة كقوله

والطور وكتاب مسطور لانه اذا حمل كتاب مسطور على العموم دخل فيه معظم

الكتب الالهية كالتوراة والقرآن فحسن اذ ذاك القسم به ولما ذكر اليوم الموعود

وهو يوم القيامة ناسب ان ذكر من يشهد في ذلك اليوم على ان يكون المقسم

به من يشهد في ذلك اليوم ومن يشهد عليه فكان ذلك من الشهادة وان كان من الحضور

فالشاهد الخلق الحاضرون للحساب والمشهود اليوم كما قال تعالى ذلك يوم مجموع له

الناس وذلك يوم مشهود فكان موعودا به فصار مشهودا وقد اختلف اهل التفسير

في تعيينها فعن ابن عباس الشاهد الله تعالى وعنه وعن الحسن بن علي وعكرمة الرسول عليه

السلام وعن مجاهد وعكرمة وعطاء بن يسار آدم عليه السلام وذريته وعن ابن عباس

ايضا والحسن الشاهد يوم عرفة ويوم الجمعة وفي كل قول منها المشهود يوم الجمعة وعن

علي وابن عباس وابي هريرة والحسن وابن المسيب وقتادة الشاهد يوم الجمعة وعن

ابن المسيب يوم التروية وعن علي ايضا يوم القيامة وعن النخعي يوم الاضحى ومشهود

في هذه الاقوال يوم عرفة وعن ابن عمر يوم الجمعة ومشهود يوم النحر وعن جابر يوم الجمعة

ومشهود الناس وعن محمد بن كعب ابن آدم ومشهود الله تعالى وعن ابن جبير عكس هذا

وعن ابي مالك عيسى ومشهود امته وعن علي يوم عرفة ومشهود يوم النحر وعن الترمذي

الحفظة ومشهود عليهم الناس وعن عبد العزيز بن يحيى محمد عليه السلام ومشهود عليه امته

وعنه الانبياء ومشهود اممهم وعن الحسين بن الفضل محمد عليه السلام ومشهود قوم

فيه وسائر الأيام وعن ابن جبير ومقاتل الجوارح يوم القيامة ومشهود أصحابها وقيل هما
الاثنين ويوم الجمعة وقيل الملائكة المتعاقبون وقرآن الفجر وقيل النجم والليل والنهار
وقيل الله والملائكة وأولو العلم ومشهود به الوحدانية وأن الدين عند الله الإسلام
وقيل مخلوقاته تعالى ومشهود به وحدانيته وقيل هما الحجر الأسود والحجيج وقيل الليالي
والأيام وبنو آدم وقيل الأنبياء ومحمد عليهم السلام فهذه أقوال سبعة وعشرون ولكل
منها متمسك وللصوفية أقوال غير هذه والظاهر ... وجواب القسم قيل محذوف
فقيل لتبعثن ونحوه وقال الزمخشري يدل عليه قتل أصحاب الأخدود كأنه قيل أقسم بهذه
الأشياء أنهم ملعونون يعني كفار قريش كما لعن أصحاب الأخدود وقيل الجواب
مذكور فقيل إن الذين فتنوا وقال المبرد إن بطش ربك لشديد وقيل قتل وهذا نختار
وحذفت اللام أي لقتل وحسن حذفها كما حسن في قوله والشمس وضحاها ثم قال قد أفلح
من زكاها أي لقد أفلح من زكاها ويكون الجواب دليلا على لعنة من فعل ذلك وطرده من
رحمة الله وتنبيها لكفار قريش الذين يؤذون المؤمنين ليفتنوهم عن دينهم على أنهم ملعونون
بجامع ما اشتركا فيه من تعذيب المؤمنين وإذا كان قتل جوابا للقسم فهي جملة خبرية وقيل
دعاء فيكون الجواب غيرها وقرأ الحسن وابن مقسم بالتشديد والجمهور بالتخفيف وذكر
المفسرون في أصحاب الأخدود أقوالا فوق العشرة ولكل قول منها قصة طويلة تسلنا
عن كتابتها في كتابنا هذا ومضمنها أن ناسا من الكفار خدوا أخدودا في الأرض وسجروه
نارا وعرضوا المؤمنين عليها فمن رجع عن دينه تركوه ومن أصر على الإيمان أحرقوه وأصحاب
الأخدود هم المحرقون للمؤمنين وقال الربيع وأبو العالية وابن إسحاق بعث الله على المؤمنين
ريحا فقبضت أرواحهم أو نحو هذا وخرجت النار فأحرقت الكافرين الذين كانوا على
حافتي الأخدود فعلى هذا يكون القتل حقيقة لا بمعنى اللعن ويكون خبرا عما فعله الله بالكفار
الذين أرادوا أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم وقول هؤلاء مخالف لقول الجمهور ولما دل عليه
القصص الأخدود وقرأ الجمهور النار بالجر وهو بدل اشتمال أو بدل كل من كل على
تقدير محذوف أي أخدود النار وقرأ قوم النار بالرفع قيل على معنى قتلهم ويكون أصحاب
الأخدود إذ ذاك المؤمنين وقيل على حقيقته وقرأ الحسن وأبو رجاء وأبو حيوة وعيسى الوقود بضم الواو
وهو مصدر والجمهور بفتحها وهو ما يوقد به وقد حكى سيبويه أنه بالفتح أيضا مصدر كالضم

والظاهر

والظاهر أن الضمير في أنهم عائد على الذين يحرقون المؤمنين وكذلك في وهم وعن الربيع يعود
على الكافرين ويكون هم عائدا أيضا عليهم ويكون معنى على ما يفعلون ما يريدون من فعلهم بالمؤمنين
وقيل أصحاب الأخدود محرق والمحرق من بني تميم المسائه وتم الكلام عند قوله ذات الوقود ويكون
المراد بقوله وهم ... الذين كانوا يعبسون المؤمنين والمؤمنات وإذ العامل فيه قتل أي لعنوا
أو قعدوا على النار أي على ما يدنو منها من حافات الأخدود كما قال الأعشى

تشب لمقرورين يصطليانها ... وبات على النار الندى والمحلق

شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك أنه لم يفرط فيما أمر به أو يشهدون يوم القيامة على ما فعلوا
بالمؤمنين يوم تشهد عليهم جوارحهم بأعمالهم وقرأ الجمهور نقموا بفتح القاف وزيد بن علي وأبو حيوة
وابن أبي عبلة بكسرها أي ما عابوا ولا أنكروا إلا الإيمان كقوله هل تنقمون منا إلا أن
آمنا وكقول ابن الرقيات

ما نقموا من بني أمية إلا ... أنهم يحلمون إن غضبوا
حلوا ما يعرفون ... الحسن ... يحليه

كما قال الشاعر

ولا عيب فيها غير شكلة عينها ... كذاك عتاق الطير شكلا عيونها

وفي التحبير إنما قال إلا أن يؤمنوا لأن التعذيب إنما كان واقعا على الإيمان في المستقبل
ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوا على ما مضى فكأنه قال إلا أن يدوموا على إيمانهم انتهى
وذكر الأوصاف التي يستحق بها تعالى أن يؤمن به وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى
عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته له ملك السموات والأرض وكل من فيهما يحق عليه
عبادته والخشوع له تقريرا لأن ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه إلا مبطل منهمك في الغي
والله على كل شيء شهيد وعيد لهم أي أنه علم ما فعلوا فهو مجازيهم والظاهر أن الذين فتنوا
عام في كل من ابتلى المؤمنين والمؤمنات بتعذيب أو أذى وأن لهم عذابين
عذابا لكفرهم وعذابا لفتنتهم وقال الزمخشري يجوز أن يريد بالذين فتنوا أصحاب
الأخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين في الأخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار
وأحرقوهم فلهم في الآخرة عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق في الدنيا لما روي أن النار
انقلبت عليهم فأحرقتهم انتهى ولا يتعين ... هذا الذين يحرقون كان في الأخدود لم يتوبوا وأولئك

المحرق ثم لم يقتل البنات اصرارهم ثم تاب بل الظاهر انهم لم يتوبوا الا وقد وافوا على الكفر وقال
ابن عطية ثم لم يتوبوا يقوي ان الآيات في قريش لان هذا اللفظ في قريش احكم منه في اولئك الذين
قد علموا انهم ماتوا على كفرهم واما قريش فكان فيهم وقت نزول الآية من تاب وآمن انتهى وكذلك
قوله ان الذين آمنوا المراد به العموم لا المطروحين في النار والبطش الاخذ بقوة يبدئ ويعيد
قال ابن زيد والضحاك يبدئ الخلق بالانشاء ويعيده بالحشر وقال ابن عباس عام في جميع الاشيا
اي كل ما بدا وكلما عاد وقال الطبري يبدئ العذاب ويعيد وقال ابن زيد والضحاك يبدئ
الخلق بالانشاء ويعيد بالحشر وقال ابن عباس عام في جميع الاشيا اي كل ما يبدو
وكل ما يعاد وقال الطبري يبدئ النار حتى يصيرهم حمما ثم يعيدهم خلقا جديدا وقرئ يبدا من بدا ثلاثيا حكاه
ابو زيد وفي ذلك كله بطشه ذكر كونه غفورا ساترا للذنوب لمن تاب ودودا لطيفا بهم
محسنا اليهم وقال ابن عطية والظاهر ان الودود مبالغة في الواد وهو الذي له ولد

وأركب في الروع عريانة ذلول الجماع لقاحا ودودا

اي انه لا يحتاج الى الولد وقيل الودود فعول بمعنى مفعول كركوب وحلوب اي يوده عباده الصالحون
والعرش هو العرش باضافته لنفسه تشريفا للعرش وتنبيها على
انه اعظم المخلوقات وقرا الجمهور ذو بالواو وابن عامر في رواية ذي بالياء صفة لربك وقال القفال
ذو العرش اي ذو الملك والسلطان فيكون ان يراد بالعرش السرير والعالي خلق سريرا
في سماء في غاية العظم بحيث لا يعرف عظمته الا هو ومن يطلعه عليه انتهى وقرا الحسن وعمرو
ابن عبيد وابن وثاب والاعمش والمفضل عن عاصم والاخوان المجيد بخفض الدال صفة للعرش
ومجادته علوه وعظمته وحسن صورته وتركيبه فانه قيل العرش احسن الاجسام صورة
وتركيبا ومن جوز في العرش بالجار ان يكون المجيد بالخفض صفة لربك والاحسن جعل
هذه المرفوعات اخبارا عن هو فيكون فعال خبرا ويجوز ان يكون الودود والعرش صفتين
للغفور وفعال خبر مبتدأ اي هو فعال لما يريد وفعال صيغة مبالغة لكثرة الجلالة ان
كل ما تعلقت به ارادته فعله لا معترض عليه هل اتاك حديث الجنود تقرير لحال الكفرة
اي قد اتاك حديثهم وما جرى لهم مع انبيائهم وما حل بهم من العقوبات بسبب تكذيبهم فكذلك
يحل بقريش من العذاب مثل ما حل بهم والجنود الجموع المعدة للقتال فرعون وثمود بدل من الجنود
وكانه على حذف مضاف اي جنود فرعون واخص ما جرى لهم اذ هو من حديث عند ما سوا

من

من العذاب وذكر ثمود لشهرة قصتهم في بلاد العرب وهي متقدمة وذكر فرعون لشهرة
قصته عند اهل الكتاب وعند العرب الجاهلية ايضا الا ترى الى زهير بن ابي سلمى في قوله

ألم تر ان الله اهلك تبعا واهلك لقمان بن عاد وعاديا
واهلك ذا القرنين من قبل ما ترى وفرعون جبارا طغى والنجاشيا

وكان فرعون من المتاخرين في الهلاك فدل بقصته وقصة ثمود على امثالهما من قصص الامم
المكذبين واهلاكهم بل الذين كفروا اي من قومك في تكذيب حسدا لك لم يعتبروا بما جرى
من قبلهم حين كذبوا انبياءهم والله من ورائهم محيط اي هو قادر على ان ينزل بهم ما انزل
بفرعون وثمود ومن كان محاطا به فهو محصور في غاية لا يستطيع دفعا والمعنى دنو هلاكهم
ولما ذكر انهم في تكذيب وان التكذيب شيعهم حتى صار كالوعا لهم وكان عليه السلام قد
كذبوه وكذبوا ما جاء به وهو القرآن اخبر تعالى عن الذي جاء به وكذبوا به فقال بل
هو قرآن اي بل الذي كذبوا به قرآن مجيد ومجادته شرفه على سائر الكتب باعجازه في
نظمه وصحة معانيه والاخبار بالمغيبات وغير ذلك من محاسنه وقرا الجمهور قرآن
مجيد موصوف وصفة وقرا ابن السميفع قرآن مجيد بالاضافة قال ابن خالويه سمعت ابن
الانباري يقول معناه بل هو قرآن رب مجيد كما قال الشاعر

ولكن الغنى رب غفور

معناه ولكن الغنى غنى رب غفور انتهى وعلى هذا خرجه
الزمخشري وقال ابن عطية وقرا اليماني قرآن مجيد على الاضافة وان يكون الله تعالى
هو المجيد انتهى ويجوز ان يكون من باب اضافة الموصوف لصفته فيكون مدلوله
ومدلول التنوين ورفع مجيد واحدا وهذا اولى لتوافق القراءتين وقرا الجمهور في لوح بفتح اللام
محفوظ بالخفض صفة للوح واللوح المحفوظ هو الذي فيه جميع الاشيا وقرا ابن يعمر وابن السميفع
بضم اللام وقال ابن خالويه اللوح الهواء وقال الزمخشري يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي
فيه اللوح المحفوظ محفوظ من وصول الشياطين اليه انتهى وقرا الاعرج وزيد بن علي وابن محيصن
ونافع بخلاف عنه محفوظ بالرفع صفة لقرآن كما قال تعالى وانا له لحافظون اي هو محفوظ
في القلوب لا يلحقه خطأ ولا تبديل طرق يطرق طروقا اي جاء ليلا قال

ومثلك حبلى قد طرقت ومرضعا

واصله الضرب ومنه الطارق لطرقه الباب ودق المطرقة ودق السقف والشي فيه تكاثف

بطبل يسمى طارقا وقيل الطرق فاحزن مشتق من الكلام والطرق تعيينه ودمى بها نحو الارض
ودفق الماء يدفعه دفقا صبه وماء دافق على النسب ويقال دفق الله روحه اذا دعي عليه
بالموت التريبة موضع القلادة من الصدر قال امرؤ القيس

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل

جمعها بما حولها قال

والزعفران على ترائبها شرق به اللبات والنحر

وقال ابو عبيدة وجمع ترائبه تريب

قال المثقب

ومن ذهب يسن على تريب كلون العاج ليس بذي غضون

المعزل الضر الخير وقال الكميت

بي ترنا في كل يوم ومنزل امهلت الرجل انظرته والمهل والمهلة
السكينة ومهلته ايضا تمهيلا وتمهل في امره اذا اتأد واسمهله انتظره ويقال مهلا اي رفقا
وسكونا ورويدا مصدرا رود يرود مصغر تصغير الترخيم اذا امر ارواد وقيل هو تصغير
رود ومن قوله قال

يكاد لا يثلم البطحاء وطأته كانه ثمل يمشي على رود

اي مهل وتستعمل مصدرا نحو رويد عمرو بالاضافة اي امهال عمرو كقوله فضرب الرقاب
وبمعنى المصدر نحو ساروا سيرا رويدا او حالا نحو سار القوم رويدا او يكون اسم فعل نحو رويدا
كله موضح في علم النحو

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق
وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ فلينظر الانسان مم خلق خلق
من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا
ناصر والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع انه لقول فصل وما هو بالهزل انهم يكيدون كيدا
واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا هذه السورة مكية ولما ذكر فيما قبلها تكذيب
الكفار للقرآن نبه هنا على حقارة الانسان ثم استطرد منه الى ان هذا القرآن قول فصل جد لا
هزل فيه ولا باطل يأتيه ثم امر نبيه بامهال اولئك الكفرة المكذبين وبعد انه مواعد عقبى خيره

بأيه

والسماء هي السماء المعروفة قاله الجمهور وقيل السماء هنا المطر والطارق هو الآتي
ليلا اي يحضر بالليل وقيل لانه يطرق الجن اي يصكه من طرقت الباب اذا ضربته ليفتح لك
اتى بالطارق مقسما به وهي صفة مشتركة بين النجم الثاقب وغيره ثم فسره بقوله النجم الثاقب
الحكم العجائب مما اقسم به لما علم فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وتنبيها على ذلك كما قال فلا
اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم وقال ابن عطية معنى الآية والسماء وجميع ما يطرق
فيه من الامور والمخلوقات ثم ذكر بعد ذلك على جهة التنبيه احل الطارقات قدرا وهو النجم
الثاقب فكانه قال وما ادراك ما الطارق حق الطارق اي الذي يعلى بقدره وهو النجم الثاقب
تبعا لما دل عليه والطارق اذ هو اسم جنس يراد به جميع الطوارق وعلى قول غيره يراد به واحد
معين فقيل النجم الثاقب والنجم الثاقب عند ابن عباس الجدي وعند ابن زيد زحل وقال هو ايضا
وعند الثريا وهو الذي تطلق عليه العرب اسم النجم وقيل علم نجم في السماء السابعة لا يسكنها
غيره من النجوم فاذا اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط وكان معها ثم رجع الى مكانه من
السماء السابعة فهو طارق حين ينزل وطارق حين يصعد وقال الحسن هو اسم جنس لانها
كلها ثواقب اي ظاهرة الضوء وقيل المراد جنس النجوم التي يرمى بها ويرجم والثاقب قيل
المضيء يقال ثقب يثقب ثقوبا وثقابة اضاء اي يثقب الظلام بضوئه وقيل المرتفع العالي وذلك
تقول ... للمطر انه او ... كان وقال الفراء الثاقب المرتفع ... وقرأ الجمهور ان خففه
كل رفعا لما خففه فهي عند البصريين مخففة من الثقيلة وكل مبتدأ واللام هي الداخلة للفرق
بين ان النافية وان المخففة وما زائدة وحافظ خبر المبتدأ وعليها متعلق به وعند الكوفيين ان
نافية واللام بمعنى الا وما زائدة وكل وحافظ مبتدأ وخبر والترجيح بين المذهبين مذكور
في علم النحو وقرأ الحسن والاعرج وقتادة وعاصم وابن عامر وحمزة وابو عمرو ونافع بخلاف عنهما
لما مشددة وهي بمعنى الا لغة مشهورة في هذيل وغيرهم تقول العرب اقسمت عليك لما
فعلت كذا اي الا فعلت قاله الاخفش فعلى هذه القراءة يتعين ان تكون ان نافية
اي ما كل نفس الا عليها حافظ وحكى هارون انه قرئ ان بالتشديد كل بالنصب
فاللام هي الداخلة في خبر ان وما زائدة وحافظ خبر ان وجواب القسم هو ما دخلت عليه
ان سواء كانت المخففة او المشددة او النافية لان كلا منها يتلقى بها القسم فتلقيه بالمشددة
مشهور وبالمخففة تالله ان كدت لتردين وبالنافية ولئن زالتا ان امسكهما

وقيل جواب القسم انه على رجعه لقادر وما بينهما اعتراض والظاهر عموم كل نفس وقال ابن سيرين
وقتادة وغيرهما الى كل نفس وقال ابن سيرين وقتادة وغيرهما ان كل نفس عليها
حافظ يحصي اعمالها ويعدها لتجازى عليها فيكون في الاية وعيد وزاجر وما بعد ذلك يدل
عليه وقيل حفظة من الله يدفعون عنها ولو وكل المرء بنفسه لاختطفته الغير والشياطين
وقال الكلبي والفراء حافظ من الله يحفظها حتى يسلمها الى المقادير وقيل الحافظ العقل
يرشده الى مصالحه ويكفه عن مضاره وقيل حافظ مهيمن رقيب عليه وهو الله تعالى
ولما ذكر ان كل نفس عليها حافظ اتبع ذلك بوصية الانسان بالنظر في اول نشاته
الاولى حتى يعلم ان من انشاه قادر على اعادته وجزائه فيعمل لذلك ولا يملي على حافظه
الا ما يسره في عاقبته وما خلق استفهام ومن متعلقه بخلق والجملة في موضع نصب
فلينظر وهي معلقة وجواب الاستفهام ما بعده وهو خلق من ماء دافق وهو مني
الرجل والمراة لما امتزجا في الرحم واتحدا عبر عنهما بماء وهو مفرد ودافق قيل هو بمعنى
مدفوق وهي قراءة زيد بن علي وعند الخليل وسيبويه على النسب كلابن وتامر اي ذي
دفق وعن ابن عباس معنى دافق لزج وكانه اطلق عليه وصفه لا انه موضوع في اللغة
لذلك والدفق الصب فعله متعد وقال ابن عطية والدفق دفع الماء بعضه بعضا تدفق
الوادي والسيل اذا جاء يركب بعضه بعضا ويصح ان يكون الماء دافقا لان بعضه يدفع
بعضا فمنه دافق ومنه مدفوق انتهى وركب قوله هذا على تدفق ويدفق لازم دفقته فتدفق
نحو كسرته فتكسر ودفق ليس في اللغة بمعنى ما فسر من قوله والدفق دفع الماء بعضه ببعض
بل المحفوظ انه الصب وقرا الجمهور يخرج مبنيا للفاعل من الصلب بضم الصاد وسكون
اللام وابن ابي عبلة وابن مقسم مبنيا للمفعول فيهما واهل مكة وعيسى بضم الصاد واللام
واليماني بفتحهما قال العجاج

في صلب مثل العنان المؤدم

وتقدمت اللغات في الصلب في سورة النساء وآخرها صالب كما قال

تنقل من صالب الى رحم

قال ابو الحسن معناه من بين صلب
كل واحد من الرجل والمراة وترائبه وقال سفيان وقتادة ايضا من بين صلب الرجل وترائب
المراة وتقدم شرح الترائب في المفردات وقال ابن عباس موضع القلادة وعن ابن عباس

هي اضلاع الرجل التي اسفل الصلب وقيل ما بين المنكبين والصدر وقيل هي التراقي وعن
معمر عينا القلب ومنه يكون الولد ونقل مكي عن ابن عباس ان الترائب اطراف المرء
رجلاه ويداه وعيناه قال ابن عطية وفي هذه الاقوال تحكم على اللغة انتهى انه الضمير
يعود على الخالق الدال عليه خلق على رجعه قال ابن عباس وقتادة الضمير في رجعه عائد على
الانسان اي على رده حيا بعد موته اي ان من انشاه اولا قادر على بعثه يوم القيامة لا
يعجزه شي وقال الضحاك على رده من الكبر الى الشباب وقال عكرمة ومجاهد الضمير عائد
على الماء اي على رد الماء في الاحليل او في الصلب وعلى هذا القول وقول الضحاك يكون العامل
في يوم تبلى مضمر تقديره اذكر وعلى قول ابن عباس ومن قال بقوله الاظهر فقال بعض النحاة العامل
ناصر من قوله ولا ناصر وهذا فاسد لان ما بعد الفا لا يعمل فيما قبلها على المشهور المنصور
وقال المحوجون ومنهم الزمخشري العامل رجعه ورد بانه فيه فصل بين الموصول ومتعلقه وهو من
تمام الصلة ولا يجوز وقال الحذاق العامل فيه مضمر يدل عليه المصدر تقديره يرجعه يوم
تبلى السرائر قال ابن عطية وكل هذه الفرق فرت من ان يكون العامل لقادر لان ذلك يظهر
منه تخصيص القدرة في ذلك اليوم وحده واذا تؤمل المعنى وما يقتضيه فصيح كلام
العرب جاز ان يكون العامل لقادر وذلك انه قال انه على رجعه لقادر اي على الاطلاق
اولا واخرا في كل وقت ثم ذكر تعالى وخصص من الاوقات الوقت الاهم على
الكفار لانه وقت الجزا والوصول الى العذاب ليجمع الناس الى حذره والخوف منه انتهى
تبلى قيل تختبر وقيل تعرف وتصفح وتميز صالحها من فاسدها والسرائر ما اكنته
القلوب من العقائد والنيات وما اخفته الجوارح من الاعمال والظاهر عموم السرائر وقال
الحسن انها التوحيد والزكاة والصلاة والغسل من الجنابة وكان الذكر في الحديث هو
عظم السرائر وسمع الحسن من ينشد ويقول

ستبقى لها في مضمر القلب والحشى سريرة ود يوم تبلى السرائر

فقال ما اغفله عما في والسما والطارق والبيت للاحوص ولما كان الامتناع في الدنيا
اما بقوة في الانسان واما بناصر خارج عن نفسه نفاه تعالى لما يسع به واتى بمن
الدالة على العموم في نفي القوة والناصر والسما اسم بانيا بالسما وهي المطلة ميرد وتخيل ان
السحاب ذات الرجع قال ابن عباس الرجع السحاب فيه المطر وقال الحسن يرجع بالرزق

كل عام وقال ابن زيد المرجع مصدر ورجوع الشمس والقمر والكواكب من حال الى حال ومن منزله
الى منزله يذهب ويرجع وقيل الرجع المطر ومنه قول الهذلي

ابيض كالرجع رسوب اذا ما ساخ في محتفل يختلي

يصف سيفا شبهه بماء المطر في مضائه وصفائه وسمي رجعا كما سمي اوبا قال

ربا شمًّا لا يأوي لقلتها الا السحاب والا الأوب والسبل

تسميه بمصدر رجع وآب ورجع زعم العرب ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى
الارض او ارادوا التفاؤل فسموه رجعا واوبا ليرجع ويؤوب وقيل لان الله يرجعه وقتا فوقتا
قال ... الخنسا

كالرجع في المدجنة السارية

وسمى المرجع الملائكة سموا بذلك لرجوعهم باعمال العباد وقيل السحاب والمشهور عند اهل
اللغة وقول الجمهور ان الرجع هو المطر والصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات ويناسب
قول من قال الرجع المطر وقال ابن زيد ذات الانشقاق بالنبات وقال ايضا ذات الحرث
وقال مجاهد الصدع ما في الارض من شعاب ولصاب وخنادق وتشقق بحرث وغيره
وهي امور فيها معتبر وعنه ايضا ذات الطرق تصدعها المشاة وقيل ذات الاموات
لانصداعها عنهم للنشور والضمير انه يعود على القرآن فصل
اي فاصل ما بين الحق والباطل كما قيل له فرقان والقول والحق ان يعود الضمير انه على
الكلام الذي اخبر فيه ببعث الانسان يوم القيامة وابتلاء سرائره اي ان ذلك القول
جزم مطابق للواقع لا هزل فيه ويكون الضمير قد عاد على مذكور وهو الكلام الذي تضمن الاخبار
عن البعث وليس من الاخبار التي فيها هزل بل هو جد كله انهم اي الكافرين يكيدون اي
ابطال امر الله واطفاء نور الحق واكيد اي اجازيهم على كيدهم فسمى الجزاء كيدا على سبيل المقابلة
نحو قوله ومكروا ومكر الله انما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم ثم امر رسوله فقال فمهل الكافرين
اي انتظر عقوبتهم ولا تستعجل ذلك ثم اكد امره فقال امهلهم رويدا اي امهالا لا يسيرا واستعجل العذاب
بهم كما كان في يوم بدر وعن وقرأ الجمهور امهلهم لما كرر الامر توكيدا خالف بين اللفظين على ان
الاول مطلق وهذا الثاني مقيد بقوله رويدا وقرأ ابن عباس مهلهم بفتح الميم وشد الهاء موافقة
اللفظ للامر الاول الغشا محفف الماء مشرد ما معروف بالسيل على جانب الوادي من الحشيش

والنبات

والنبات والعاشق ... قال

كان طميه المجيمر غدوة من السيل والغثا فلكة مغزل

وروى الفراء الاغثاء على الجمع وهو غريب من حيث جمع فعال على افعال الحوى
سواد يضرب الى الخضرة قال ذو الرمة

لمياء في شفتيها حوة لعس وفي اللثات وفي انيابها شنب

وقيل خضرة عليها سواد والاحوى الظبي الذي في ظهره خطان من سواد وبياض قال

وفي الحي احوى ينفض المرد شادن مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد

وفي الصحاح الحوة سمرة وقال الاعلم لون يضرب الى السواد وقال ايضا السواد الخضرة التي تضرب الى السواد

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى سنقرئك
فلا تنسى الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى ونيسرك لليسرى فذكر ان نفعت الذكرى سيذكر
من يخشى ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى قد افلح من تزكى وذكر
اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم
وموسى هي مكية ولما ذكر فيما قبلها فلينظر الانسان مم خلق كأن قائلا قال من خلقه فقال
فقيل سبح اسم ربك وايضا لما قال انه لقول فصل وما هو بالهزل قال الرد كان القول الفصل
سبح نزه عن النقائص اسم ربك الظاهر ان التسبيح يقع على الاسم اي نزهه عن ان يسمى به صنم
او وثن فيقال له رب او اله واذا كان قد امر بتنزيه اللفظ ان يطلق على غيره فهو ابلغ و
تنزيه الذات وقيل الاسم هنا بمعنى المسمى وقيل معناه نزه اسم الله عن ان تذكره الا وانت خاشع وقال
ابن عباس المعنى صل باسم ربك الاعلى كما تقول ابدأ باسم الله وحذف حرف الجر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم
وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت قالوا الاعلى يصح ان
يكون صفة لربك وان يكون صفة لاسم فيكون منصوبا وهذا الوجه لا يصح على ان يعرب
الذي خلق صفة لربك وان يكون صفة لاسم فيكون في موضع جر لانه قد حالت بينه وبين الموصوف
صفة لغيره لو قلت رأيت غلام هند العاقل الحسنة لم يجز بل لا بد ان تأتي بصفة هند ثم تأتي
صفة الغلام فتقول رأيت غلام هند الحسنة العاقل فان لم يجعل الذي صفة لربك بل يرفعه

على انه خبر مبتدا محذوف او نصب به على المدح جاز ان يكون الاعلى صفة لاسم الرب
خلق اي كل شي فسوى اي لم يات متفاوتا بل متناسبا على احكام واتقان دلالة
على انه صادر عن عالم حكيم وقرا الجمهور قدر بتشديد الدال فاحتمل ان يكون من القدر والقضا
واحتمل ان يكون من التقدير والموازنة بين الاشيا وقال الزمخشري قدر لكل حيوان
ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به وقرا الكسائي قدر بتخفيف الدال من
القدرة او من التقدير والموازنة وهدى اعم من جميع الهدايات وقال الفرا فهدى واضل فاكتفى
بالواحد عن الاخر وقال الكلبي ومقاتل هدى الحيوان الى وطي الذكور للاناث وقال
مجاهد هدى الانسان للخير والشر والبهايم للمراتع وقيل هدى المولود عند وضعه الى مص
الثدي وهذه الاقوال محمولة على التمثيل لا على التخصيص والظاهر ان احوى صفة لغثا
قال ابن عباس المعنى فجعله غثا احوى اي اسود لان الغثا اذا قدم واصابته الامطار
اسود وتعفن فصار احوى وقيل احوى حال من المرعى اي اخرجه احوى قال
اي اسود من شدة خضرته ونضارته لكثرة ريه وحسن تاخير احوى لاجل الفواصل

وغيث من الوسمي حو تلاعه تبطنته بشنظم صلتان

سنقريك فلا تنسى قال الحسن وقتادة ومالك هذا في معنى لا تحرك به لسانك
وعد الله ان يقريه واخبره انه لا ينسى نسيانا لا يكون بعده ذكره فيتاخر ما يحرك
شفتيه مبادرة خوفا من ان ينسى وهذه اية للرسول انه امي وحفظ الله عليه
الوحي وامنه من نسيانه وقيل هذا وعد باقرار السورة امره ان لا ينسى على معنى التثبيت
والتاكيد وقد علم ان النسيان ليس في قدرته فهو نهي عن اغفال التعاهد واثبت
الالف في فلا تنسى وان كان نهيا وما بعد الذي للنهي لتعديل روس الاي الا ما
شا الله الظاهر انه استثنا مقصود قال الحسن وقتادة وغيرهما معناه مما قضى
الله نسخه وان يرتفع تلاوته وحكمه وقال ابن عباس الا ما شا الله ان ينسيك لتسن
به على نحو قوله عليه السلام اني لانسى او انسى لاسن وقيل الا ما شا الله ان يغلبك
النسيان عليه ثم تذكره بعد كما قال عليه السلام حين سمع قراة عباد بن بشر لقد
ذكرني كذا وكذا اية في سورة كذا وكذا وقيل فلا تنسى اي فلا تترك العمل
به الا ما شا الله ان تتركه بنسخه اياه فهذا في نسخ العمل وقال الفرا وجماعة هذا الاستثنا

صله

صلة في الكلام على سنة الله تعالى في الاستثنا وليس ثم شي ابيح استثناوه واخذ المحرور
هذا القول وقال الا ما شا الله والغرض نفي النسيان راسا كما يقول الرجل لصاحبه
انت سهيمي فيما املك الا فيما شا الله ولا يقصد استثنا شي وهو من استعمال القلة في معنى النفي
انتهى وقول الفرا والزمخشري يجعل الاستثنا كلا استثنا وهذا لا ينبغي ان يكون في كلام
الله بل ولا في كلام فصيح وكذلك القول بان لا في فلا تنسى للنهي والالف ثابتة لاجل
الفاصلة هو قول ضعيف ومفهوم الاية في غاية الظهور وقد تعسفوا في فهمها والمعنى انه تعالى
اخبر انه سنقريه وانه لا ينسى الا ما شا الله فانه ينساه اما النسخ واما ان تسن به اما
على ان يتذكره وهو عليه السلام معصوم من النسيان فيما امر بتبليغه فان وقع نسيان
فيكون على وجه من هذه الوجوه الثلاثة ومناسبة سنقريك لما قبله انه لما امره
تعالى بالتسبيح وكان التسبيح لا يتم الا بقراة ما انزل عليه من القران وكان يتذكر
في نفسه مخافة ان ينسى فازال عنه ذلك وبشره بانه تعالى يقريه وانه لا ينسى واستثنى
ما شا ان ينسيه لمصلحة من تلك الوجوه انه يعلم الجهر اي جهرك بالقران اي تعسك مع
خوف التفلت وقد كفاك ذلك بكونه تكفل باقرايك اياه واخبارك انك لا تنسى الا ما شاء نسيانه
ومضمن ذلك احاطة علمه بالاشيا ونيسرك معطوف على سنقريك وما بينهما من الجملة المولية
اعتراض اي نوفقك للطريقة التي هي ايسر واسهل يعني في حفظ الوحي وقيل للشريعة
الحنيفية السهلة وقيل نهون عليك اعمال الحسنة في امر دينك واخرتك من المضر
وعلو المنزلة والرفعة في الجنة ولما اخبر انه يقريه ونيسره امره بالتذكير اذ ثمرة الاقرا
هو استماعه في ذاته واسماع غيره ممن ارسل اليهم والظاهر ان الامر بالتذكير مشروط بنفع الذكرى
وهذا الشرط انما جي به توبيخا لقريش اي ان نفعت الذكرى في هولا الطغاة العتاة
ومعناه استبعاد اسماعهم بالتذكير كما قال الشاعر

لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

كما يقول للرجل قد قلت لك ان واعد له ان سمعت يعوكلك ان سمعت انما هو توبيخ واعلام انه
لن يسمع وقال الفرا والنحاس والزهراوي والجرجاني معناه وان لم تنفع فاقتصر على القسم
الواحد لدلالته على الثاني وقيل ان بمعنى اذ كقوله وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم لانه لم
يخبر بكونهم الاعلين الا بعد ايمانهم سيذكر من يخشى اي سيذكر بتذكيرك من يخاف فان

الخوف حامل على النظر في الذي ينجيه مما يخافه فاذا انتفع بالنظر والتذكر لخوفه وهولا هم
العلما والمومنين كل على قدر ما وفق له ويتجنبها اي الذكرى الاشقى اي البالغ في الشقاوة
لان الكافر بالرسول عليه السلام هو اشقى الكفار كان المومن به وبما جا به افضل ممن امن
برسول قبله ثم وصفه بما يوول اليه حاله في الاخرة وهو صلى النار ووصفها بالكبرى قال الحسن النار
الكبرى نار الاخرة والصغرى نار الدنيا وقال الفرا الكبرى السفلى من اطباق النار وقيل نار
الاخرة يتفاضل فيها شي اكبر من شي ثم لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه وحتى ثم المقتضية
التراخي موذنة بتفاوت مراتب الشدة لان التردد بين الحيوة والموت اشد وافظع من
الصلي قد افلح اي فاز وظفر بالبغية من تزكى من تطهر قال ابن عباس من الشرك وقال
لا اله الا الله وقال الحسن من كان عمله زاكيا وقال ابو الاحوص وقتادة وجماعة من رضخ
من ماله وزكاه وذكر اسم ربه وصف لمن يفرغ بنيته من الانداد فصلى الصلوات
المفروضة وما امكنه من النوافل والمعنى انه لما تذكر امن بالله ثم اخبر عنه تعالى انه قد افلح
من اتى بهاتين العبادتين الصلوة والزكوة واحتج بقوله وذكر اسم ربه على وجوب تكبيرة
الافتتاح وعلى انه جائزة بكل اسم من اسمائه تعالى وانها ليست من الصلوة لان الصلوة
معطوفة على الذكر الذي هو تكبيرة الافتتاح وهو احتجاج ضعيف وقال ابن عباس
وذكر اسم ربه اي معاده وموقفه بين يديه فصلى له وقرا الجمهور بل تؤثرون بالتاء
الكفار ويقال خطاب للبر والفاجر يوثر البر منها الثواب والفاجر لرغبته فيها وقرا
عبد الله وابو رجا والحسن والجحدري وابو حيوة وابن ابي عبلة وابو عمرو والزعفراني وابن
مقسم بالغيبة ان هذا اي الاخبار بافلاح من تزكى وايثار الناس الدنيا قاله ابن زيد
وابن جبير ورجح بقرب المشار اليه بهذا وقال ابن عباس وعكرمة والسدي اي معاني
السورة وقال الضحاك الى القران وقيل اشارة الى قوله والاخرة خير وابقى لفي الصحف
الاولى لم ينسخ افلاح من تزكى والاخرة خير وابقى شرع من الشرائع فهو في الاولى
وفي اخر الشرائع فهو في الاولى وفي اخر الشرائع وقرا الجمهور الصحف بضم الحا والحرف الثاني
والاعمش وهرون وعصمة كلاهما عن ابي عمرو بسكونها وفي كتاب اللوامح العقيلي عن ابي عمرو
والصحف بسكان الحا فيهما لغة تميم وقرا الجمهور ابراهيم بالف ويا والها مكسورة
وابو رجا بحذفهما والها مفتوحة ومكسورة معا وابو موسى الاشعري وابن الزبير ابراهام

بالغين

بالغين كل القران ومالك بن دينار ابراهم بالف وفتح الها وبغير يا وعبد الرحمن بن ابي
بكرة ابراهم بكسر الها وبغير يا في جميع القران قال ابن خالويه وقد جا ابراهم بغير يالف
وحذف الياء وتقدم في والنجم الكلام على صحف ابراهيم وموسى الضريع قال ابو حنيفة والحنفية
صاحب النبات للضريع الشبرق وهو مرعى سوء لا تعقد السائمة عليه شحما ولا لحما ومنه
قول ـــــ بن عيزاره الهذلي

وحبسن في هزم الضريع فكلها حدباء دامية اليدين حرود

وقال ـــــ ابو ذويب

رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى وصار ضريعا بان عنه النحائص

وقال بعض اللغويين الضريع يبيس العرفج اذا تحطم وقال الزجاج نبت كالعوسج
وقال الخليل نبت اخضر منتن الريح يرمي به البحر النمارق الوسائد واحدها نمرقة
بضم النون والرا وبكسرهما وقال زهير

كهولا وشبانا حسانا وجوههم على سرر مصفوفة ونمارق

الزرابي بسط عراض فاخرة وقال الفرا هي الطنافس المخملة وواحدها زربية بالزاي
وفتحها سطحت الارض بسطت ووطئت

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من
عين انية ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية
في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق
مصفوفة وزرابي مبثوثة افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السما كيف رفعت
والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فذكر انما انت مذكر لست عليهم
بمصيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر ان الينا ايابهم ثم ان علينا
حسابهم هي مكية ولما ذكر فيما قبلها فذكر وذكر النار والاخرة قال هل
اتاك حديث الغاشية والغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني القيامة
قاله سفيان والجمهور وقال ابن جبير ومحمد بن كعب النار وقال تعالى وتغشى وجوههم النار
وقال ومن فوقهم غواش فهي تغشى سكانها وهذا الاستفهام توقيف فائدته تحريك

مفتتح للسامع الى تلقي الخبر وقيل المعنى هل كان هذا من علمك لولا ما علمناك وفي هذا
تعديد النعمة وقيل هل بمعنى قد وجوه يومئذ اي يوم اذ غشيت اي الداهية التي غشيت
فالتنوين عوض من تلك الجملة التي احتمل لفظ الغاشية لها والى الموصول الذي هو المحتمل
الخاشعة دليله عاملة ناصبة قال ابن عباس والحسن وابن جبير وقتادة عاملة في
النار ناصبة تعبة فيها لانها تكبرت عن العمل في الدنيا فعملها في النار جر السلاسل
والاغلال لسحوبها في النار كما تحوض الابل في الوحل وارتقاؤها واسعها في صعود نار وهبوط
في حدور منها وقال ابن عباس ايضا وزيد بن اسلم وابن جبير عاملة في الدنيا ناصبة فيها لانها
على غير هدى فلا ثمرة لها الا النصب وخاتمته النار والآية في القسيسين وعباد الاوثان
وكل مجتهد في كفر وقال عكرمة والسدي عاملة في الدنيا ناصبة يوم القيامة وقرأ ابن كثير في
رواية شبل وحميد وابن محيصن عاملة ناصبة بالنصب على الذم والجمهور برفعهما وقرأ
الجمهور تصلى بفتح التاء وابو رجاء وابن محيصن والابوان عنهما وخارجة بضم التاء وفتح الصاد
مشددا اللام وقد حكاها ابو عمرو بن العلاء حامية مستعرة انه قد اشتد حرها كقوله ولدى
حميم آن قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقال ابن زيد حاضرة لهم من قولهم آن
الشي الضريع قال ابن عباس شجر من نار وقال الحسن وجماعة الزقوم وقال ابن جبير
حجارة في النار وقال ابن عباس ايضا وقال عكرمة ومجاهد شبرق النار وقيل العشرق
وقيل رطب العرفج وتقدم ما قيل فيه في المفردات وقيل واد في جهنم والضريع ان كان
العسلبة والزقوم وظاهره لا يتنافى الحصر في الا من غسلين والا من ضريع وان كانا
اعيانا مختلفة والجمع بان الزقوم لطائفة والغسلين لطائفة والضريع لطائفة وقال الزمخشري
لا يسمن مرفوع المحل او مجرور على وصف طعام او ضريع يعني ان طعامهم من شيء ليس
من مطاعم الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتولع به وهذا نوع منه
تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن
في البدن انتهى فقوله مرفوع المحل او مجرور على وصف طعام او ضريع اما جره على وصف لضريع
فيصح لانه مثبت نفي عنه السمن والاغناء من الجوع واما رفعه على وصف للطعام فلا يصح
لان الطعام منفي ولا يسمن منفي فلا يصح تركيبه اذ يصير المعنى ليس لهم طعام لا يسمن
ولا يغني من جوع الا من ضريع فيصير المعنى ان لهم طعاما يسمن ويغني من جوع من غير الضريع

كما تقول ليس لزيد مال لا ينتفع به الا من مال عمرو فمعناه ان له مالا ينتفع به من غير مال عمرو ولو
قيل الجملة في موضع رفع صفة للمحذوف المقدر في الا من ضريع كان صحيحا لانه في موضع رفع على
انه بدل من اسم ليس اي ليس لهم طعام الا كائن من ضريع اذ الا طعام من ضريع غير مسمن ولا مغن
من جوع وهذا تركيب صحيح ومعنى واضح وقال الزمخشري او اريد ان لا طعام لهم اصلا لان الضريع
ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان الطعام ما اشبع او اسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس
لفلان ظل الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد انتهى فعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا
اذ لم يندرج الكائن من الضريع تحت لفظة طعام اذ ليس بطعام والظاهر الاتصال فيه وفي
قوله ولا طعام الا من غسلين لان الطعام هو ما يتطعمه المرء وهذا قدر مشترك بين المستلذ
والمكروه وما لا يستلذ ولا يستكره وجوه يومئذ ناعمة صح الابتداء في هذا وفي قوله وجوه يومئذ
خاشعة بالنكرة لوجود مسوغ ذلك وهو التفصيل ناعمة لحسنها ونضارتها او متنعمة لسعيها
راضية اي لعملها في الدنيا بالطاعة راضية اذ كان ذلك العمل جزاؤه الجنة في جنة عالية اي
مكانا عاليا ومكانة وقرأ الاعرج واهل مكة والمدينة ونافع وابن كثير وابو عمرو بخلاف عنهم لا
تسمع بتاء التأنيث مبنيا للمفعول لاغية رفع اي كلمة لاغية او جماعة لاغية او لغو فتكون
مصدرا كالعافية لانه من اقوال الباقين وابن محيصن وعيسى وابن جبير وابو
عمرو كذلك الا انه نصب لاغية على معنى لا تسمع فيها اي انت وكذلك سمعت زيدا
والحسن وابو رجاء وابو جعفر وقتادة وابن سيرين ونافع في رواية خارجة وابو عمرو
بخلاف عنه وباقي السبعة لا يسمع بياء الخطاب عموما او للرسول اذ الفاعل الوجوه لاغية بالنصب
فيها عين جارية عين اسم جنس اي عيون او مخصوصة ذكرت تشريفا لها فيها سرر مرفوعة
من رفعة المنزلة او رفعة المكان ليرى ما خوله ربه من الملك والنعيم او مخبوءة من رفعت
لك هذا اي خبأته واكواب موضوعة اي باشربتها معدة لا يحتاج الى ملئها او موضوعة
بين ايديهم او موضوعة على حافات العيون ونمارق مصفوفة اي وسائد صف بعضها الى
جنب بعض للاستناد اليها والاتكاء عليها وزرابي مبثوثة هنا وهنا في المجالس
ولما ذكر تعالى امر القيامة وانقسام اهلها الى اشقياء وسعداء وعلم انه لا سبيل الى اثبات
ذلك الا بواسطة الصانع الحكيم اتبع ذلك بذكر هذه الدلائل وذكر ما العرب مشاهدون
وملابسون فقال افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وهي الجمال فانه اجتمع فيها ما

فانه اجتمع ما تفرق من المنافع في غيرها من اكل لحمها وشرب لبنها والحمل عليها والتنقل عليها الى
البلاد الشاسعة وعيشها بأي نبات اكلته وصبرها على العطش حتى ان فيها ما يرد الماء لعشر
وطواعيتها لمن يقودها ونهوضها وهي باركة بالاحمال الثقال وكثرة حنينها وتأثرها بالصوت
الحسن على غلظ اكبادها ولا شيء من الحيوان جمع هذه الخصال غيرها ولذا امتن تعالى بها في قوله
اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما الايات ولكونها افضل ما عند العرب جعلوها
دية القتل ووهبوا المائة منها من يقصدهم ومن ارادوا اكرامه وذكرها الشعراء في مدح من وهبها

كما قال — اعطوا هنيدة تحدوها ثمانية

وقال — الواهب المائة المعكار [غير مقروء] ونبه بالنظر اليها والى ما حوت
من عجائب الصفات ما ذكر معها من السماء والجبال والارض لانتظام هذه الاشياء في نظر العرب
في اوديتهم وبواديهم وليدل على ان الاستدلال على اثبات الصانع ليس مختصا بنوع دون نوع بل هو
عام في كل موجود كما قال —

وفي كل شيء له آية ٥٠ تدل على انه واحد ٥٠

وقال ابو العباس المبرد الابل هنا السحاب لان العرب قد تسميها بذلك اذ تأتي ارسالا كالابل
وتزجى كما تزجى الابل وهي في هيئتها احيانا تشبه الابل والنعام ومنه قول الشاعر —

كأن السحاب دوين السماء ٥٠ نعام تعلق بالارجل

وقال الزمخشري ولم يدع من زعم ان الابل السحاب الى قوله الا طلب المناسبة ولعله
لم يرد ان الابل من اسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم وغير ذلك وانما رأى السحاب
مشبها بالابل كثيرا في اشعارهم فجوز ان يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز انتهى
وقرأ الجمهور الابل بكسر الباء وتخفيف اللام والاصمعي عن ابي عمرو باسكانها وعلي وابن عباس
بشد اللام ورويت عن ابي عمرو وابي جعفر والكسائي وقالوا انها السحاب عن قوم من اهل اللغة
وقال الحسن خص الابل بالذكر لانها تأكل النوى والقت وتخرج اللبن وقيل له الفيل اعظم
في الاعجوبة فقال العرب بعيدة العهد بالفيل ثم هو خنزير لا يؤكل لحمه ولا يركب ظهره ولا
يحلب دره والابل لا واحد له من لفظه وهو مؤنث ولذلك اذا صغر دخلته التاء فقالوا ابيلة
وقالوا في الجمع آبال وقد اشتقوا من لفظه فقالوا تأبل الرجل فجاءوا منه بفعل وتعجبوا
فقالوا ما آبل زيدا وابل اسم جاء على فعل ولم يحفظ سيبويه مما جاء على هذا الوزن غيره وكيف خلقت

جملة

جملة استفهامية في موضع البدل من الابل وينظرون تعدى الى الابل بواسطة الى
والى كيف خلقت على سبيل التعليق وقد تبدل الجملة وفيها الاستفهام من الاسم الذي قبلها
كقولهم عرفت زيدا ابو من هو على اصح الاقوال على ان العرب قد ادخلت الى على كيف
فحكي انهم قالوا انظر الى كيف يصنع وكيف سؤال عن حال والعامل فيها خلقت واذا
علق الفعل عن ما فيه الاستفهام لم يبق الاستفهام على حقيقته وقد بينا ذلك في كتابنا
المسمى بالتذكرة وفي غيره وقرأ الجمهور خلقت رفعت نصبت سطحت مبنيا ب
مبنيا للمفعول وعلي وابو حيوة وابن ابي عبلة مبنيا للمتكلم مبنيا للفاعل والمفعول محذوف
اي خلقتها رفعتها نصبتها سطحتها ورفعت رفعا بعيد المدى بلا عمد ونصبت نصبا
ثابتا لا تميل ولا تزول سطحت سطحا حتى صارت كالمهاد للمتقلب عليها وقرأ الجمهور
سطحت خفيفة الطاء والحسن وهرون الرشيد بشدها ولما حضهم على النظر امر
رسوله بتذكيرهم فقال فذكر ولا يهمنك كونهم لا ينظرون انما انت مذكر كقوله
ان عليك الا البلاغ لست عليهم بمسيطر اي بمسلط كقوله وما انت عليهم بجبار
وقرأ الجمهور بالصاد وكسر الطاء وابن عامر في رواية ونطيع عن قنبل وزرعان ب
عن حفص بالسين وحمزة في رواية باشمام الزاي وهرون بفتح الطاء وهي لغة تميم و
سيطر متعد عندهم ويدل عليه فعل المطاوعة وهو تسيطر وليس في الكلام على
هذا الوزن الا مسيطر ومهيمن ومبيطر ومبيقر وهي اسماء فاعلين من سيطر وهيمن وبيطر
وبيقر وجاء مجيمر اسم واد ومديبر ويمكن ان يكون اصلهما مدبر ومجمر فصغرا وقرأ الجمهور
الا حرف استثناء فقيل متصل اي فانت مسيطر عليه وقيل متصل من فذكر اي
فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما
اعتراض منقطع وهي اية موادعة نسخت بالسيف وقرأ ابن عباس وزيد بن علي
وقتادة وزيد بن اسلم الا حرف تنبيه واستفتاح والعذاب الاكبر هو عذاب جهنم
وقرأ الجمهور ايابهم بتخفيف الياء مصدر آب وابو جعفر وشيبة بشدها مصدر
افيعل من آب على وزن فيعال او مصدر لفوعل كحوقل على وزن فيعال ايضا كحيقال
او مصدر لفعول كجهور على وزن فعوال كجهوار فاصله اوواب فقلبت الواو ياء
وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغم ولم يمنع الادغام من القلب

لان الواو والياء ليستا عينين من الفعل بل الياء في فيعل والواو في فوعل وفي فعول زائدات
وقال صاحب اللوامح وتبعه الزمخشري يكون اصله اوابا مصدر اوّب نحو كذّب كذابا
ثم قيل ايوابا فقلبت الواو الاولى بالانكسار ما قبلها قال الزمخشري كديوان في دوّان ثم
فعل به ما فعل بسيد يعني انه اجتمع ياء وواو وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء
وادغمت الياء في الواو واما كونه مصدر اوّب فانه لا يجوز فانهم نصبوا على ان الواو
الاولى بدل لاجل الكسرة وقالوا اخرّواطا مصدر اخروّط وقالوا ايضا مصدر
اوّب كاوّاب واما فهذه وصفت على الادغام محضا من الابدال وقد ما قبله الكسر
واما تشبيه الزمخشري بديوان فليس كذلك لانهم لم ينطقوا بها في الوضع مدغمة فلم
يقولوا دوّان ولولا الجمع على دواوين لم يعلم ان اصل هذه الياء واو وايضا
فنصوا على شذوذ ديوان فلا يقاس عليه غيره وقال ابن عطية ويصح ان يكون
من اوّب فيجيء ايوابا سهلت الهمزة وكان اللازم في الادغام يردها اوّابا لكن
يصح مع اللازم اذا اعتبر الادغام ان يكون ايابا لانه قد اجتمعت ياء وهي المبدلة
من الهمزة بالتسهيل وواو وهي عين الكلمة واحدها ساكنة فقلبت الواو ياء وادغم
فيها الاقتصار ايابا ولما كان من مذهب الزمخشري ان تقديم المفعول يفيد الحصر
قال معناه ان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس
بواجب الا عليه وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب في الحكمة
الفجر الفعل قال الفراء العرب تقول انه لذو فجر اذا كان قائما بمعيشته
حافظا لها كانه من فجرت على الرجل ارم امه وقيل ارم اسم ابي
عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل جدته وقيل انه اسم قبيلة
قال زهير
محد المدا ساه اهله ادرك عادا وقبله ارما
جابوا خرقوه وقطعوا تقول جبت البلاد اجوبها اذا قطعتها وجبتها
قال الشاعر
وما رأيت قلوصا قبلها حملت ستين وسقا ولا جابت به بلدا
السوط آلة الضرب معروفة قال بعض اللغويين فهو مصدر من ساط يسوط

اذا خلط وقال الليث ساطه اذا خلطه بالسوط ومنه قوله

احارث انا لو تساط دماؤنا تزايلن حتى لا يمس دم دما

وقال ابو زيد فقال اموالهم سويطة بينهم اي مختلطة اللم الجمع واللف قال ابو
عبيد لممت ما على الخوان اذا اكلت جميع ما عليه باسره وقال الحطيئة

اذا كان لما يتبع الذم ربه فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا

ومنه لم الشعث قال النابغة

ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب

الجم الكثير

بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر الم تر كيف فعل
ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد
وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك
سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه
فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا
بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتاكلون التراث اكلا لما
وتحبون المال حبا جما كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا
وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى يقول يا ليتني قدمت لحياتي
فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك
راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي

مكية في قول الجمهور وقال علي بن ابي طلحة مدنية ولما ذكر فيما قبلها وجوه يومئذ
خاشعة ووجوه يومئذ ناعمة اتبعه بذكر الطوائف المكذبين المتجبرين الذين وجوههم
خاشعة واشار الى الصنف الاخر الذين وجوههم ناعمة بقوله يا ايتها النفس المطمئنة ايضا
لما قال الا من تولى وكفر قال هنا ان ربك لبالمرصاد لهم ... وقوله
... والفجر والوتر ... بالسكون في البلاد قال ابن خالويه هذا
كما روي عن بعض العرب انه وقف على اخر القوافي بالسكون وان ... فقال ...

كان فيه الألف ولام قال الشاعر

أقلي اللوم عاذل والعتابا … وقولي إن أصبت لقد أصابا

انتهى وهذا ذكر النحويون أن في القوافي المطلقة إذا لم يترنم الشاعر وهو أحد
الوجهين اللذين للعرب إذا أنشدوا ولم يترنموا والوجه الآخر الوقف فيقولون
العتاب وأصاب بسكونها إذا وقفوا على الكلم في الكلام لا في الشعر وهذا الأعرابي
أجرى الفواصل مجرى القوافي وقرأ الجمهور وليال عشر بالتنوين وابن عباس بالإضافة
فبعضهم وليال بلام دون ياء وبعضهم وليالي عشر بالياء
ويريد ليالي أيام عشر لما حذف الموصوف المعدود وهو مذكر جاء بحذف حرف
التأنيث من عشرة والوتر بفتح الواو وسكون التاء وهي لغة قريش والأعز عن ابن
عباس وأبو رجاء وابن وثاب وقتادة وطلحة والأعمش والحسن بخلاف عنه
والأخوان بكسر الواو وهي لغة تميم واللغتان في الفرد فأما في الذحل فالكسر لا
غير وحكى الأصمعي فيه اللغتين وروى يونس عن أبي عمرو بفتح الواو وكسر التاء والجمهور
يسر بحذف الياء وصلا ووقفا وابن كثير بإثباتها فيهما ونافع وأبو عمرو بخلاف عنه
بها في الوصل وبحذفها في الوقف والظاهر وقول الجمهور منهم علي وابن عباس
وابن الزبير أن الفجر هو المشهور أقسم به كما أقسم بالصبح ويراد به الجنس
لا فجر يوم مخصوص وقال مجاهد وابن عباس هو فجر يوم النحر وعكرمة من يوم الجمعة
والضحاك من ذي الحجة ومقاتل من ليلة جمع وابن عباس ومقاتل أيضا فجر أول
يوم من المحرم وعن ابن عباس أيضا الفجر النهار وعنه أيضا وعن زيد بن أسلم الفجر
صلاة الصبح وقرآنها هو قرآن الفجر وقيل فجر العيون من الصخور وغيرها وقال
ابن الزبير والكلبي ومقاتل ومجاهد والضحاك والسدي وعطية العوفي هي عشر ذي
الحجة وابن عباس والضحاك العشر الأواخر من رمضان وقال يمان العشر الأول منه
ويمان وجماعة الأول من المحرم وفيه يوم عاشوراء ومسروق ومجاهد عشر موسى
التي أتمها الله بها والأظهر قول ابن عباس الحبر لسلموا على صحته قالت عائشة كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله
وقال الطبري أجمعوا على أنه العشر الأواخر يعني من رمضان لم يخالف فيه أحد فقطعه

مناسب

مناسب لتعظيم القسم وقال الزمخشري والمراد بالليالي العشر عشر ذي الحجة فإن قلت
فما بالها منكرة من بين ما أقسم به قلت لأنها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي
العشر بعض منها أو مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها فإن قلت فهلا عرفت
بلام العهد لأنها ليال معلومة معهودة قلت لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة
الذي في التنكير ولأن الأحسن أن تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام أبعد من الإلغاز
والتعمية انتهى أما السؤالان فظاهران وأما الجواب عنهما فمغلط بقول لا يعقل
منه معنى معقول أو يؤدى والشفع والوتر ذكر في كتاب التحرير والتحبير فيهما ستة
وثلاثين قولا محررا من قراءتها عن كتابها في كتابنا هذا وعن عمران بن حصين
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال هي الصلوات منها الشفع ومنها الوتر وروى أبو أيوب
عنه عليه السلام الشفع يوم عرفة ويوم الأضحى والوتر ليلة النحر وروى جابر عنه عليه
السلام الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة في هذا الحديث تفسيره عليه السلام
الفجر بالصبح والليالي العشر بعشر النحر وهو قول ابن عباس وعكرمة واختاره النحاس
وقال حديث أبي الزبير عن جابر هو الذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أصح
إسنادا من حديث عمران بن حصين فيوم عرفة وتر لأنه تاسعها ويوم النحر شفع
لأنه عاشرها وذكر ابن عطية في الشفع والوتر أربعة عشر قولا والزمخشري ثلاثة
أقوال ثم قال وقد أكثروا في الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون أجناس ما يقعان
فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهي عنه انتهى والليل إذا يسر قسم بجنس الليل يسري
يذهب وينقرض كقوله والليل إذا أدبر وقال الأخفش وابن قتيبة يسرى فيه
فيكون من باب ليل نائم وقال مجاهد وعكرمة والكلبي المراد به ليلة جمع لأنه يسرى
فيها وجواب القسم محذوف قال الزمخشري وهو ليعذبن يدل عليه قوله ألم تر إلى
قوله إن ربك لبالمرصاد والمعنى يظهر أن الجواب محذوف يدل عليه ما قبله من آخر
سورة الغاشية وهو قوله إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم وتقديره لإيابهم
إلينا وحسابهم علينا وقول مقاتل هل هنا في موضع إن تقديره إن في ذلك قسما لذي
حجر فهل على هذا في موضع جواب القسم قول لم يصدر عن تأمل لأن المقسم عليه على
تقدير أن يكون التركيب إن في ذلك قسما لذي حجر لم يذكر فيبقى قسم بلا مقسم عليه لأن

الذي قدرنا من ان في ذلك قسما لذي حجر لا يصلح ان يكون مقسما عليه فعلى
ذلك يكون على حذف بعض الاقسام اي هل فيما ذكر من القسم لذي عقل مزدجر
ويتفكر في ايات الله وصف المصانع المخاطب على مصارع الامم الكافرة الماضية
مقصودا لذلك نوع يوبخ وتضرب المثل لكفار مكة وعاد هو عاد بن عوص في الملوك
على عصبهم قبل الاولى منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم وقيل بعدهم عاد
الاخرى وقال مجاهد وقتادة هي قبيلة بعينها وقال ابن اسحق ارم هو ابو عاد كلها
وقال الجمهور ارم مدينة لهم عظيمة كانت على وجه الارض الدهر باليمن وقال محمد بن كعب
هي الاسكندرية وقال ابن المسيب والمقبري هي دمشق وقال مجاهد ايضا ارم
معناه القديمة وقرا الجمهور بعاد مصروفا وارم بكسر الهمزة وفتح الراء والميم ممنوع
الصرف للتانيث والعلمية لانه اسم القبيلة وعاد وان كان اسم القبيلة فقد يلحظ
فيه معنى الحي فيصرف او لا يلحظ لخفة بنائه فصرف وارم عطف بيان
او بدل وقرا الحسن بعاد غير مصروف مضافا الى ارم فجاز ان يكون ارم ابا او جدا
او مدينة وقرا الضحاك بعاد ارم بفتح الدال وما بعدها ممنوعي الصرف وقرا ابن الزبير
بعاد بالاضافة ارم بفتح الهمزة وكسر الراء وهي لغة في المدينة والضحاك بعاد مصروفا
وبعاد غير مصروف ايضا ارم بفتح الهمزة وسكون الراء تخفيف ارم بكسر الراء وابن
عباس والضحاك ارم فعلا ماضيا اي بلي يقال رم العظم وارم هو اي بلي وارمه
غيره معدى بالهمزة من الثلاثي وذات على هذه القراءة مكسور التاء وابن عباس
ايضا ارم فعلا ماضيا ذات بنصب الفاعل المفعول وذات بالكسر صفة لارم سوا
كانت اسم قبيلة ام مدينة وان كان يترجح كونها مدينة بقوله لم يخلق مثلها في البلاد
فاذا كانت قبيلة صح اضافة عاد اليها وفكها منها بدلا او عطف بيان وان كانت
مدينة فالاضافة اليها ظاهر والفك منها يكون على حذف مضاف اي بعاد اهل ارم
ذات العماد وحكي ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات والارم العلم يعني بعاد اعلام
ذات العماد من قرا ارم فعلا ماضيا ذات بالنصب اي جعل الله ذات العماد رميما
ويكون ارم بدلا من فعل ربك وتبيينا للفعل واذا كانت ذات العماد صفة للقبيلة
فقال ابن عباس هي كناية عن طول ابدانهم ومنه قيل رفيع العماد شبهت قدودهم بالاعمدة

ومنه

ومنه قولهم رجل عمد وعمدان اي طويل وقال عكرمة ومقاتل اعمدة بيوتهم التي كانوا
يرحلون بها لانهم كانوا اهل عمود وقال ابن زيد لطول بنائهم واذا كانت صفة
للمدينة فاعمدة الحجارة التي بنيت بها وقيل القصور العالية والابراج يقال لها
عمد وحكي عن مجاهد ارم مصدر ارم يارم اذا هلك والمعنى كهلاك ذات
العماد كان معنى الم تر كيف فعل ربك بعاد كيف اهلك عادا كهلاك ذات العماد
وهذا قول غريب وذكر المفسرون انه ذات العماد مدينة ابتناها شداد بن
عاد لما سمع بذكر الجنة على اوصاف بعيدا ومستحيل عادة ان يبنى في الارض مثلها
تعالى بعث عليه وعلى اهله صيحة قبل ان يدخلها فهلكوا جميعا وهو مختلق في قصصهم
في كتاب التحرير وبين فيها في الكشاف وقرا الجمهور لم يخلق مبنيا للمفعول مثلها
رفع وابن الزبير مبنيا للفاعل مثلها نصبا وعنه نخلق بالنون والضمير في مثلها عائد
على المدينة التي هي ذات العماد في البلاد اي في بلاد الدنيا او عائد على القبيلة اي في
عظم اجسام وقوة وقرا ابن وثاب وثمود بالتنوين والجمهور بمنع الصرف جابوا
الصخر خرقوه وقطعوه واتخذوا في الحجارة منها بيوتا قيل اول من نحت الجبال والصخور
والرخام ثمود فبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها بالحجارة بالواد وادي القرى وقيل
جابوا واديهم وجلبوا ماءهم في صخر شقوه فعل ذوي القوة والامال ذي الاوتاد
تقدم الكلام عليها في سورة ص الذين صفة لعاد وثمود وفرعون او منصوب على الذم او مرفوع
على اضمارهم فصب عليهم ربك سوط عذاب ابهم هنا واوضح في الحاقة وفي غيرها وقال صب
عليه السوط وغشاه وقنعه واستعمل الصب في السوط لاقتضائه السرعة في النزول
على المضروب وقال الشاعر

فصب عليهم محصدات كانها شآبيب ليست من سحاب ولا قطر

يريد المجرودين في صفة الاكل وقال بعض المتاخرين في صفة الخيل

صببنا عليها ظالمين سياطنا فطارت بها ايد سراع وارجل

وخص السوط فاستعير للعذاب لانه يقتضي من التكرار والترداد ما لا يقتضيه السيف
ولا غيره وقال الزمخشري وذكر السوط اشارة الى ان ما احله بهم في الدنيا من العذاب
العظيم بالقياس الى ما اعد لهم في الاخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به وكل صاد

والمرصد المكان الذي يترتب فيه الرصد مفعال من رصده وهذا مثل لارصاده
العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه قال ابن عطية ويحتمل ان يكون المرصاد في الاية
اسم فاعل كانه قال لبالراصد فعبر ببناء المبالغة انتهى ولو كان كما زعم لم تدخل الباء لانها
ليست في مكان دخولها لا زائدة ولا غير زائدة فاما الانسان ذكر تعالى ما
كانت قريش تقوله وتستدل به على اكرام الله تعالى واهانته لعبده فيرى المكرم
من عنده الثروة والاولاد والمهان ضده ولما كان هذا غالبا عليهم وبخوا بذلك
والانسان اسم جنس ويوجد هذا في كثير من اهل الاسلام وقال الزمخشري
فان قلت بم اتصل قوله فاما الانسان قلت بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل ان
الله لا يريد من الانسان الا الطاعة والسعي للعاقبة وهو مرصد بالعقوبة للعاصي
فاما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها انتهى وفيه
التصريح بمذهب الاعتزال في قوله لا يريد من الانسان الا الطاعة واذا العامل فيه
فيقول والنية به التاخير اي فيقول كذا وقت الابتلاء وهذه الفاء لا تمنع ان يعمل
ما بعدها فيما قبلها وان كانت فاء دخلت في خبر المبتدا لاجل اما التي
فيها معنى الشرط وبعد اما الثانية مبتدا محذوف [illegible] تقديره واما
هو اذا ما ابتلاه ويقول يجري على ذلك المبتدا المحذوف وابتلاه معناه اختبره ايشكر
ام يكفر اذا بسط له وايصبر ام يجزع اذا ضيق عليه كقوله تعالى ونبلوكم بالشر
والخير فتنة وقابل ونعمه بقوله فقدر عليه رزقه ولم يقابل فاكرمه بلفظ فاهانه
لانه ليس من ضيق عليه الرزق كان ذلك اهانة له لانه قد ترك كثيرا من
اهل الصلاح مضيقا عليهم الرزق قال ابو سليمان داود بن علي الاصبهاني [illegible] ذم
الله تعالى العبد في حالتين اما في قوله فيقول ربي اكرمن فلانه اخبر منه على انه
يستحق الكرامة ويستوجبها واما في قوله اهانن فلانه سمى ترك التفضل اهانة
وليس باهانة لانه يكون اذا تفضل عليه اثر باحسان الله اليه واذا لم يتفضل عليه
سمى ذلك اهانة فيكون توجه الذم الى قوله فيقول ربي اهانن حيث سمى من لم يتفضل
الله اهانة [illegible] بقوله اكرمن وقرا الحرميان اكرمني واهانني بالياء وصلا
ووقفا ومن غير ياء وقفا وخير الوجهين ابو عمرو وحذفها باقي السبعة فيهما وصلا

ووقفا

ووقفا ومن حذف وقفا وسكن النون فيه وقرا الجمهور فقدر بتخفيف الدال وابو جعفر
وعيسى وخالد والحسن بخلاف عنه وابن عامر بتشديدها قال الجمهور هما بمعنى
واحد ضيق والتضعيف فيه للمبالغة لا للتعدية ولا يقتضي ذلك قول الانسان اهانن
لان اعطاه ما يكفيه لا اهانة فيه كلا رد على قولهم ومعتقدهم اي ليس اكرام الله
وتقدير الرزق سببه ما ذكر بل الاكرام العبد تيسيره لتقواه والاهانة
له تيسيره للمعصية ثم اخبر بما هم عليه من اعمالهم السيئة قال الزمخشري كلا ردع
للانسان عن قوله ثم قال بل هنا شر من هذا القول وهو ان الله يكرمهم بكثرة
المال فلا يؤدون فيه ما يلزمهم من اكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض اهله
على طعام المسكين وياكلونه اكل الانعام ويحبونه فيشحون به انتهى وفي الحديث
احب البيوت الى الله بيت فيه يتيم مكرم وقرا الحسن ومجاهد وابو رجاء وقتادة والجحدري
وابو عمرو يكرمون ويحضون وياكلون ويحبون بياء الغيبة فيها وباقي السبعة
بتاء الخطاب وابو جعفر وشيبة والكوفيون وابن مقسم تحاضون بفتح التاء والالف — لغة
اصله تتحاضون وهي قراءة الاعمش اي يحض بعضكم بعضا وعبد الله وعلقمة وزيد
ابن علي وعبد الله بن المبارك والشيرزي عن الكسائي كذلك الا انهم ضموا التاء اي
تحاضون انفسكم اي يحض بعضكم بعضا وتفاعل وفاعل ياتي بمعنى فعل ايضا وعلى طعام
يجوز ان يكون بمعنى الاطعام كالعطاء بمعنى الاعطاء والاولى ان يكون على حذف
مضاف اي على بذل طعام وتاكلون التراث كانوا لا يورثون النساء ولا صغار
الاولاد فياكلون نصيبهم ويقولون لا ياخذ الميراث الا من يقاتل ويحمي الحوزة
والتراث تاؤه بدل من واو كالتكلة والتخمة من توكل ووخم وقيل كانوا ياكلون — كلون
ما جمعه الميت من الظلمة وهم عالمون بذلك فيجمعون بين الحلال والحرام او يسرفون
في انفاق ما ورثوه لانهم ما تعبوا في تحصيله كما شاهدنا الوراث البطالين كلا ردع
لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ثم اتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه في دار الدنيا
دكا دكا كقوله بابا بابا اي يكرر عليها الدك وجاء ربك قال منذر بن سعيد معناه
ظهوره للخلق هنالك ليس مجيء نقلة وكذلك مجيء الصاخة ومجيء الطامة وقيل وجاء
قدرته وسلطانه وقيل مثلت حاله في ذلك بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من

عسا لن دون زبانيته وخواصه انتهى والملك اسم جنس يشمل الملائكة وروي انه ملائكة كل
سماء تكون صفا حول الارض في يوم القيامة قال الزمخشري صفا صفا تنزل
ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس انتهى وجيء يومئذ
بجهنم كقوله وبرزت الجحيم لمن يرى يومئذ يتذكر بدل من اذا قال الزمخشري وعامل النصب
فيهما يتذكر انتهى ظاهر كلامه ان العامل في البدل هو العامل بنفسه في المبدل منه
وهو قول قد نسب الى سيبويه والمشهور خلافه وهو ان البدل على نية تكرار العامل اي يتذكر
ما فرط فيه وانى له الذكرى اي منفعة الذكرى لانه وقت لا ينفع فيه التذكر لو
اتعظ في الدنيا نفعه ذلك في الاخرة ثم ذكر ما يقوله من تذكر وحاله الذي لحياتي
الحقيقة وهي حياة الاخرة قال الجمهور قال الزمخشري يعني او وقت حياتي في الدنيا كما
تقول جئته لطلوع الشمس ولتاريخ كذا وكذا وقيل لحياتي امر يعتد به يعني الذي
كنت اكذب به قال الزمخشري وهذا ابين دليل على ان الاختيار كان في ايديهم
ومعلقا بقصدهم وارادتهم وانهم لم يكونوا محجوزين عن الطاعات مجبرين على المعاصي
كمذهب اهل الاهواء والبدع والا فما معنى التحسر انتهى على طريقة الاعتزال وقرأ الجمهور لا
يعذب ولا يوثق مبنيين للفاعل والضمير في عذابه عائد على الله تعالى اي لا يكل عذابه
ولا وثاقه الى احد لان الامر لله وحده في ذلك وهو من لشدته في حقه لم يعذب قط
احد في الدنيا مثله والاول اصح لقوله لا يعذب ولا يوثق لا ينطلق على الماضي الا بمجاز
بعيد بل موضع لا اذا دخلت على المضارع ان يكون مستقبلا ويجوز ان يكون
الضمير فيهما عائدا على الكافر اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقيل
اي الله اي لا يعذب احدا في الدنيا عذاب الله للكافر وضعف هذا بان لا يعذب
في يومئذ وهو ظرف مستقبل وقرأ ابن سيرين وابن ابي اسحق وسوار القاضي
وابو حيوة وابن ابي عبلة وابو بحرية وسلام والكسائي ويعقوب وسهل وخارجة
عن ابي عمرو بفتح الذال والثاء مبنيين للمفعول ويجوز ان يكون الضمير فيهما عائدا
للمفعول وهو الاظهر اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال
مثل وثاقه ولا يحمل احد عذاب الانسان لقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى وعذاب
وضع موضع تعذيب وفي انتصاب مثل هذا خلاف [illegible] ان يعمل ما وضع لغير المصدر

على المقصود كالعطاء والثواب والعذاب والكلام واما البصريون فلا يجيزونه وان جاء منه
شيء فاولوه على اضمار فعل يدل عليه هذا اللفظ والكوفيون يجيزونه ويقيسونه
وقرأ ابو جعفر وشيبة ونافع بخلاف عنهم وثاقه بكسر الواو والجمهور بفتحها والمعذب
هو الكافر على العموم وقيل امية بن خلف وقيل ابي بن خلف وقيل المراد به ابليس
وقام الدليل على انه من اشد الناس عذابا ويدفع هذا القول قوله يومئذ يتذكر
الانسان والضمائر كلها مسوقة له ولما ذكر تعالى شيئا من احوال من يعذب
ذكر شيئا من حال المؤمن فقال يا ايتها النفس المطمئنة وهذا النداء الظاهر انه
على لسان ملك وقرأ الجمهور يا ايتها بالتاء وقرأ زيد بن علي يا ايها بغير تاء ولا
اعلم احدا ذكر انها تذكر وان كان المنادى مؤنثا الا صاحب البديع وهذه القراءة
شاهدة بذلك ولذلك وجه من القياس وذلك انه كما لم يفرق بين الجمع وبين المفرد
والمجموع فلذلك لم يؤنثه في بين المؤنث المطمئنة الامنة التي لا يلحقها خوف ولا
حزن او التي كانت مطمئنة الى الحق لم يخالطها شك قال ابن زيد يقال لها
ذلك عند الموت وخروجها من جسد المؤمن في الدنيا وقيل عند البعث وقيل عند دخول
الجنة ارجعي الى ربك اي الى موعد ربك وقيل الرب الانسان بدل النفس اي ادخلي في
الاجساد ذو النفس اسم جنس وقيل والنداء نفوا لان المؤمنين لما ذكر حال
الكفار قال ما سوف ذوقوا وجوزوا حتى يرجعوا راضين مرضيين راضية بما
اوتيته من ثقة مرضية عند الله فادخلي في عبادي اي في جملة عبادي الصالحين وادخلي
جنتي معهم وقيل النفس الروح والمعنى فادخلي في اجساد عبادي وقرأ الجمهور
في عبادي جمعا وابن عباس وعكرمة والضحاك ومجاهد وابو جعفر وابو صالح والكلبي
وابو شيخ الهنائي واليماني في عبدي على الافراد والاظهر انه اريد به اسم الجنس
فمدلوله ومدلول الجمع واحد وقيل هو على حذف خاطب النفس مفردا فقال
فادخلي في عبدي وفي جنتي ما دخل او لا [illegible] بعبدي وذلك انه اذا كان المدخول
فيه غير ظرف حقيقي تعدت اليه في تقول دخلت في الامر ودخلت في غمار الناس
ومنه فادخلي في عبادي واذا كان المدخول فيه ظرفا حقيقيا تعدت اليه في
الغالب بغير واسطة قيل نزلت في عثمان بن عفان وقيل حمزة وقيل خبيب

معنا

بن عدي

الكبد المشقة والمشقة واصله من كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده
وانتفخت فاستعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة قال لبيد

يا عين هلا بكيت اربد اذ قمنا وقام الخصوم في كبد

وقال ذو الاصبع

لي ابن عم لو ان الناس في كبد لظل محتجرا بالنبل يرميني

الشفة معروفة واصلها شفهة حذف منها الهاء ويدل عليه شفيهة وشفاه
وشافهت ونحو ما لا يجوز جمعه بالالف والتاء وان كان مؤنثا الثابت
النجد من العنق وجمعه نجود به سميت نجد لارتفاعها عن انخفاض تهامة والنجد
الطريق العالي قال امرؤ القيس

فريقان منهم جازع بطن نخلة وآخر منهم قاطع نجد كبكب

قال العقبة كصعب الشيء من الشيء قال

وما رب مكروب كررت وراءه وعان فككت الغل عنه ففداني

السغب الجوع العام وقد يقال سغب الرجل اذا جاع ترب
الرجل افتقر ولصق بالتراب واترب اذا استغنى وصار ذا مال كالتراب
وكذلك اثرى اوصدت الباب واصدته اذا اغلقته واطبقته قال
الشاعر

تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء موصدة

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان
في كبد ايحسب ان لن يقدر عليه احد يقول اهلكت مالا لبدا ايحسب ان لم يره
احد الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما
ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا
متربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اولئك اصحاب الميمنة
والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشأمة عليهم نار موصدة
مكية في قول الجمهور وقيل مدنية لما ذكر تعالى ابتلاءه للانسان بحالة التنعيم

وحاله

وحالة التقدير وذكر من صفاته الذميمة ما ذكر وما آل اليه حاله في الاخرة
والانسان بهذا البلد الى مكة وانت حل جملة حالية تفيد تعظيم القسم به اي
وانت مقيم به وهذا هو الظاهر وقال ابن عباس وجماعة معناه وانت حلال
بهذا البلد يحل لك فيه قتل من شئت وكان هذا يوم فتح مكة قال ابن عطية
وهذا يتركب على قول من قال السورة مدنية نزلت عام الفتح ويتركب على بعض التأو
يل من قال لا نافية اي ان هذا البلد لا يقسم الله به وقد جاء اهله باعمال توجب
احلال حرمته وقال شرحبيل بن سعد معنى وانت حل بهذا البلد جعلوك حلالا
مستحل الاذى والقتل والاخراج وهذا القول بدأ به الزمخشري وقال وفيه
بعث على احتمال ما كان يكابد من اهل مكة وتعجيب من حالهم في عداوته او سلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالقسم ببلده على ان الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد
واعترض بانه وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وانت حل في هذا
المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر قال الزمخشري بعد كلام طويل
فان قلت اين نظير قوله وانت حل في معنى الاستقبال قلت قوله عز وجل انك
ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد تقول لمن تعده الاكرام والحبا
انت مكرم محبو وهو في كلام الله اوسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة
المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال
ان السورة بالاتفاق مكية واين الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح انتهى
وحمله ان الجملة اعتراضية لا يتعين وقد ذكرنا اولا انها جملة حالية وبينا
حسن موقعها وهي حال مقارنة لا مقدرة ولا محكية فليست من الاخبار بالمستقبل
واما سؤاله والجواب فهذا لا يسأله من له ادنى تعلق بالنحو لان الاخبار قد تكون
بالمستقبلات وان اسم الفاعل وما جرى مجراه حالة اسناده او الوصف به لا يتعين
حمله على الحال بل يكون للماضي تارة وللحال اخرى وللمستقبل اخرى وهذا من مبادئ
علم النحو واما قوله وكفاك دليلا قاطعا الى آخره فليس بشيء لانا لم نحمله اي حل
على انه يحل لك ما تصنع فيه من الاسر والقتل وقت نزولها بمكة فتنافيا بل
حملناه على انه مقيم بها خاصة وهو وقت النزول كان مقيما بها ضرورة وايضا فما

حكاه من الاتفاق على انها نزلت بمكة ليس بصحيح وقد حكى الخلاف فيها عن
قوم ابن عطية فلا يدل قوله وانت حل بهذا البلد على ما ذكروه من ان
المعنى يستحل اذاك ولا على انه يستحل فيه اشيا بل الظاهر ما ذكرناه لولا
من انه تعالى اقسم بالبلد لما جمعه من الشرف من شرفها باضافتها الى الله تعالى
وشرفها بحضور رسول الله صلى الله عليه وسلم واقامته فيها فصارت اهلا ان
يقسم بها والظاهر ان قوله ووالد وما ولد لا يراد به معين بل ينطلق على
كل والد وولد وقال ابن عباس ذلك قال هو على العموم يدخل فيه جميع الحيوان
وقال مجاهد ادم وجميع ولده وقيل والصالحين من ذريته وقيل نوح وذريته
وقال ابو عمران الجوني ابراهيم وجميع ولده وقيل والد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما ولد ابراهيم عليه السلام وقال الطبري والماوردي يحتمل ان يكون
الوالد النبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره وما ولد امته لقوله عليه السلام
انما انا لكم بمنزلة الوالد ولقراءة عبد الله وازواجه امهاتهم وهو اب لهم فاقسم تعالى
به وبامته بعد ان اقسم ببلده مبالغة في شرفه عليه السلام وقال الزمخشري فان
قلت ما المراد بوالد وما ولد قلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده اقسم
ببلده الذي هو مسقط راسه وحرم ابيه ابراهيم عليه السلام ومنشا ابيه اسمعيل
وبمن ولده وبه فان قلت لم نكرت قلت للابهام المستقل بالمدح والتعجب فان قلت
هلا قيل ومن ولد قلت فيه ما في قوله والله اعلم بما وضعت يعني موضوعا عجيب
الشان انتهى وقال الفرا وصلح ما للناس كقوله ما طاب لكم وما خلق الذكر والانثى
انتهى وقال ابن عباس وعكرمة وابن جبير والمراد بالوالد الذي يولد له وبما ولد العاقر
الذي لا يولد له جعلوا ما نافية فيحتاج الى تقدير موصول يصح به هذا المعنى كانه قال
ووالد والذي ما ولد واضمار الموصول لا يجوز عند البصريين لقد خلقنا الانسان
في كبد هذه الجملة المقسم عليها والجمهور على ان الانسان اسم جنس وفي كبد يكابد مشاق
الدنيا والاخرة ومشاقه لا يكاد يخرج من اول قطع سرته الى ان استقر قراره اما الى
جنة فتزول عنه المشاق جميعها واما في نار فتتضاعف مشقاته وشدائده وقال
ابن عباس وعبد الله بن شداد وابو صالح والضحاك ومجاهد في كبد معناه

منتصب

منتصب القامة واقفا ولم يخلق منكبا على وجهه وهذا امتنان عليه وقال ابن
كيسان منتصبا راسه في بطن امه فاذا اذن له في الخروج قلب راسه الى
قدم امه وعن ابن عمر يكابد الشكر على السرا ويكابد الصبر على الضرا وقال
ابن زيد ادم في كبد في السما سماها كبدا وهذه الاقوال ضعيفة والاول
هو الظاهر والظاهر ان الضمير في ايحسب عائد على الانسان اي هو لشدة
شكيمته وعزته وقوته يحسب انه لا يقاومه احد ولا يقدر عليه لاستصعابه
بعدده وعدده يقول على سبيل الفخر اهلكت مالا لبدا اي في المكارم وما يحصل
به الثنا ايحسب ان اعماله تخفى وانه لا يراه احد ولا يطلع عليه في انفاقه ومقصد
ما يقصده مما ليس لوجه الله منه شي بل عليه حفظة يكتبون ما يصدر منه من
عمل في حياته ويحصونه الى يوم الجزا وهل الضمير في ايحسب لبعض صناديد قريش
فقيل هو ابو الاسد اسيد بن كلدة الجمحي وقيل عمرو بن عبدود وكل منهما
له باس شديد يحكى ان ابا الاشد كان يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه
ويقول من ازالني عنه فله كذا فلا ينزع الا قطعا ويبقى موضع قدميه فيقوم
عليه ويقول وقيل الوليد بن المغيرة وقيل الحارث بن عامر بن نوفل كان اذا
اذنب استفتى الرسول عليه السلام فيامره بالكفارة فقال لقد اهلكت مالا
في الكفارات والتبعات منذ تبعت محمدا وقرا الجمهور لبدا بضم اللام وفتح البا
وابو جعفر بشد البا وعنه وعن زيد بن علي لبدا بسكون البا ومجاهد وابن
ابي الزناد بضمهما ثم عدد الله تعالى نعمه على الانسان فقال الم نجعل له عينين
يبصر بهما ولسانا ينطق عن ما في باطنه وشفتين يطبقهما على فيه ويستعين
بهما على الاكل والشرب والنفخ وغير ذلك وهديناه النجدين قال ابن مسعود
وابن عباس والجمهور طريقي الخير والشر وقال ابن عباس ايضا وعلي وابن المسيب
والضحاك الثديان لانهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه فلا اقتحم العقبة اي
لم يشكر تلك النعم السابقة والعقبة استعارة لهذا العمل الشاق على النفس
من حيث هو بذل مال تشبيه بعقبة الجبل وهو ما صعب منه وكان صعودا
فانه يلحقه مشقة في سلوكها واقتحمها دخلها بسرعة وضغط وشدة والقحمة

المشي والمسنة المشتريين ويقال قحم الامر قحوما وما نفسه فيه من غير رويه والظاهر
ان لا للنفي وهو قول ابي عبيدة والفراء والزجاج كانه قال وهبنا له الجوارح
ودللناه على السبيل ثم لم يفعل خيرا اي فلم يقتحم قال الفرا والزجاج ذكر لا مرة واحدة
والعرب لا تكاد تفردها مع الفعل الماضي حتى تعيدها لقوله فلا صدق ولا صلى انما افردها
لدلالة اخر الكلام على معناه فيجوز ان يكون قوله كان من الذين امنوا قائما مقام
التكرير كانه قال فلا اقتحم العقبة ولا امن وقيل هو جار مجرى الدعا كقوله الا لها
ولا سلم دعا عليه انه لا يفعل خيرا وقيل هو تحضيض بمعنى هلا ولا يعرف ان لا وحدها
تكون للتحضيض وليس معها الهمزة وقيل العقبة جهنم لا ينجي منها الا الاعمال
الحسنة قاله الحسن وقال ابن عباس ومجاهد وكعب جبل في جهنم وقال الزمخشري
بعد ان اجمل فقال الفرا والزجاج معنى لا يتكرر في المعنى لان المعنى فلا اقتحم
العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا الا ترى انه فسر اقتحام العقبة بذلك
ابن ولا يتم له هذا الاجمال الا ان من قرا فك فعلا ماضيا وقرا ابن كثير والنحويان
فك فعلا ماضيا وفيه نصب او اطعم فعلا ماضيا وباقي السبعة فك مرفوعا وفيه
مجرورا او اطعام مصدر منون معطوف على فك وقرا علي وابو رجا كقراءة ابن
كثير الا انهما قرا ذا مسغبة بالالف وقرا الحسن وابو رجا ايضا او اطعام
في يوم ذا بالالف ونصب ذا على المفعول اي انسانا ذا مسغبة ويتيما بدل منه
او صفة وقرا بعض التابعين فك رقبة بالاضافة او اطعم فعلا ماضيا ومن قرا فك
بالرفع فهو تفسير لاقتحام العقبة والتقدير وما ادراك ما اقتحام العقبة ومن قرا
فك فعلا فالاقتحام الى يعد بر مضاف بل يجوز التعظيم للعقبة نفسها وتجي فك بدلا
من اقتحم قاله ابن عطية وفك الرقبة تخليصها من الاسر او الرق ذا مقربة ليجتمع صدقة
وصلة واوصا للتوسع ووصف يوم بذي مسغبة على الاتساع ذا متربة قال
سفيان هم المطروحون على ظهر الطريق قعودا على التراب لا بيوت لهم وقال ابن
عباس هو الذي يخرج من بيته ثم يقلب وجهه اليه مستيقنا انه ليس فيه الا
التراب ثم كان من الذين امنوا هذا معطوف على قوله فلا اقتحم ودخلت على قوله
فلا اقتحم ودخلت ثم لتراخي الايمان في الرتبة والفضيلة لا للتراخي في الزمان

لانه

لانه لا بد ان يسبق تلك الاعمال الحسنة الايمان اذ هو شرط في صحة وقوعها من
الطايع اذ يكون بالمعنى ثم كان في عاقبة امره من المرتبة اي الموت على الايمان
اذ الموافاة عليه شرط في الانتفاع بالطاعات او يكون التراخي في الذكر كانه
قيل ثم اذكر انه كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر اي اوصى بعضهم بعضا
بالصبر على الايمان والطاعات وعن المعاصي وتواصوا بالمرحمة اي بالتعاطف
والتراحم او بما يؤدي الى رحمة الله والميمنة والمشامة تقدم القول فيهما في الواقعة
وقرا ابو عمرو وحمزة وحفص موصدة بالهمز هنا وفي الهمزة فيظهر انه من
اصدت قيل ويجوز ان يكون من اوصدت وهمز على حد من قرا بالسوق مهموزا
وقرا باقي السبعة بغير همز فيظهر انه من اوصدت وقيل يجوز ان يكون من
اصدت وسهل الهمز وقال الشاعر

قوما يعالج قملا ابناوهم وسلاسلا اجلا وبابا موصدا

طحاها بمعنى واحد اي بسط ووطا وما في طحاها بمعنى ذهب قال علقمة

طحا بك قلب في الحسان طروب

ويقال ما ادري اين طحا اي ذهب قاله ابو عمرو وفي ايمان العرب لا والقمر
الطاحي اي المشرف المرتفع ويقال طحا طحوا وطحي طحيا دسيها وقال
الاخفا واصله دسسها فابدل من ثالث المضاعف حرف علة كما قالوا في تقضض

وانت الذي دسست عمرا فاصبحت حلايله منه ارامل ضيعا

وبيت ايضا

ودسست عمرا في التراب ودسيته

دمدم عليهم اطبق عليهم قاله مورج السدوسي الهلاك باستيصال وفي الصحاح
دمدمت الشي الزقته بالارض وطحطحته

بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما
بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من
زكاها وقد خاب من دساها كذبت ثمود بطغواها اذ انبعث اشقاها

فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها
ولا يخاف عقباها مكية ولما تقدم القسم ببعض المواضع الشريفة وما بعدها اقسم هنا
بشيء من العالم العلوي والعالم السفلي بما يقوله المفكر في ذلك وبعض المعيشة وكان اخر
ما قبلها مختصا ببعض من احوال الكفار في الاخرة فاختتم اخرهن بشيء من احوالهم في الدنيا
وفي ذلك ما لهم في الاخرة الى النار وفي الدنيا الى الهلاك الكلي المستاصل وتقدم الكلام على
ضحى في سورة طه في قوله وان يحشر الناس ضحى وقال مجاهد هنا هو ارتفاع الضوء وكماله
وقال مقاتل حرها كقوله ولا تضحى وقال قتادة والمعروف في اللغة ان الضحى هو بعيد
طلوع الشمس بقليل فاذا زاد فهو الضحاء بالمد وفتح الضاد الى الزوال وقول مقاتل
تفسير باللازم وما نقل عن المبرد من ان الضحى مشتق من الضح وهو نور الشمس
والالف مقلوبة من الحاء الثانية وكذلك الواو في ضحوة مقلوبة عن الحاء الثانية لعله يحمل
عليه لان المبرد اجل من ان يذهب الى هذا وهذان مادتان مختلفتان لا تشتق احداهما
من الاخرى والقمر اذا تلاها قال الحسن والفراء تلاها معناه تبعها دائما في كل وقت لانه
يستضيء منها فهو يتلوها كذلك وقال ابن زيد يتلوها في الشهر كله يتلوها في النصف الاول
بالطلوع وفي الاخر بالغروب وقال ابن سلام في النصف الاول من الشهر وذلك لانه يأخذ
موضعها ويسير خلفها اذا غابت يبصرها القمر طالعا وقال قتادة انما ذلك ليلة البدر تغيب
هي فيطلع هو وقال الزجاج وغيره معناه امتلأ واستدار وكان لها تابعا للمنزلة من الضياء
والقدر لانه ليس في الكواكب شيء يتلو الشمس في هذا المعنى غير القمر وقيل من اول الشهر
الى نصفه في الغروب تغرب هي ثم يغرب هو وفي النصف الاخر يتحاوران وهو ان تغرب هي فيطلع هو
وقال الزمخشري تلاها طالعا عند غروبها اخذا من نورها وذلك في النصف الاول من
الشهر والنهار اذا جلاها الظاهر ان مفعول جلاها هو الضمير عائد على الشمس لانه عند
انبساط النهار تتجلى الشمس في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل يعود على الظلمة وقيل يعود على الارض
وقيل على الدنيا والذي تجلي الظلمة هو الشمس اول النهار فانه وان لم تطلع الشمس لا يبقى ظلمة
والفاعل لجلاها ضمير النهار وقيل ويحتمل ان يكون عائدا على الله تعالى كانه قال والنهار
اذا جلى الله الشمس فاقسم بالنهار في اكمل حالاته والليل اذا يغشاها اي يغشى الشمس حوله فيذهب
نورها وتظلم الافاق ونسبة ذلك الى الليل مجاز وقيل الضمير عائد على الارض والذي يغشيه

الفصاحة

الفصاحة ان الضمائر كلها الى يغشاها عائد على الشمس وكان النهار جلاها كان الليل
هو الذي يغشاها ولما كانت الفواصل ترتيب على الف وها المؤنث اتى والليل
اذا يغشاها بالمضارع لانه الذي يرتب فيه ولو اتى بالماضي كالذي قبله وبعده
كان يكون التركيب اذا غشيها فتفوت الفاصلة وهي مقصودة وقال القفال ما ملخصه
هذه الاقسام بالشمس في الحقيقة بحسب اوصاف اربعة ضوؤها عند ارتفاع النهار ووقت انتشار
الحيوان وطلب المعاش وتلو القمر لها باخذه الضوء وتكامل طلوعها وبروزها وغيبوبتها
بمجيء الليل والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها بمعنى الذي قاله الحسن ومجاهد وابو عبيدة
واختاره الطبري قالوا لان ما تقع على اولي العلم وغيرهم وقيل مصدرية قاله قتادة والمبرد
والزجاج وهذا قول من ذهب الى ان ما لا تقع على احاد اولي العلم وقال الزمخشري جعلت
مصدرية وليس بالوجه لقوله فالهمها وما يؤدي اليه من فساد النظم والوجه ان تكون موصولة
وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها
ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وفي كلامهم سبحان من سخركن لنا انتهى اما
قوله وليس بالوجه لقوله فالهمها يعني من عود الضمير في فالهمها على الله فيكون قد عاد على
مذكور وهو ما المراد به الذي ولا يلزم ذلك لانا اذا جعلناها مصدرية عاد الضمير على
ما يفهم من سياق الكلام ففي بناها ضمير عائد على الله اي وبنائها هو اي الله كما اذا رايت
زيدا قد ضرب عمرا فقلت عجبت مما ضرب عمرا تقديره من ضرب عمرو هو كان حسنا فصيحا
جائزا وعود الضمير على ما يفهم من سياق الكلام كثير وقوله وما يؤدي اليه من فساد النظم
ليس كذلك ولا يؤدي جعلها مصدرية الى ما ذكر وقوله وانما اوثرت الى اخره لا يراد بما ولا
من الموصولتين معنى الوصفية لانهما لا يوصف بهما بخلاف الذي فاشتراكهما في انهما لا يؤديان
معنى الوصفية موجود فيهما فلا تنفرد به ما دون من وقوله وفي كلامهم الى اخره تاوله اصحابنا
على ان سبحان علم وما مصدرية ظرفية وقال الزمخشري فان قلت الامر في نصب اذا معضل
لانك لا تخلو اما ان تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر فتقع في العطف على عاملين وفي نحو قولك
مررت امس بزيد واليوم عمرو واما ان تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على
استكراهه قلت الجواب فيه ان واو القسم مطرح معه ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها
شان خلاف شان الباء حيث ابرز معها الفعل واضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء

شأن مسند هما معا او الواوات العواطف نوائب عن هذه فحقهن ان يكن عوامل على
الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها
مقام ضرب الذي هو عاملهما اسهل اما قوله في واوات العطف تنصب بكرا وليس هذا بالمختار
اعنى ان يكون حرف العطف عاملا لقيامه مقام العامل بل المختار ان العمل انما هو للعامل
في المعطوف عليه ثم لا مشاحة في ذلك وقوله يقع في العطف على عاملين ليس ما في الآية
من العطف على عاملين وانما هو من باب عطف اسمين مجرور ومنصوب على اسمين مجرور
ومنصوب بحرف العطف لم ينب مناب عاملين وذلك نحو قولك امرر بزيد قائما وعمرو جالسا
وقد انشد سيبويه في كتابه

فليس بمعروف لنا ان نردها صحاحا ولا مستنكر ان تعقرا

فهذا من عطف مجرور ومرفوع على مجرور ومرفوع والعطف على عاملين فيه اربعة مذاهب
وقد نسب الجواز الى سيبويه وقوله وفي نحو قولك مررت امس بزيد واليوم عمرو وهذا
المثال مخالف لما في الآية بل وزان ما في الآية بزيد امس وعمرو اليوم ونحن نجيز هذا
واما قوله على الاستكراه فليس كما ذكر الكلام الخليل يدل على المنع قال الخليل في قوله
عز وجل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوات الاواخر ليسن
بمنزلة الاولى ولكنها الواوات التي تضم الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو
والاولى بمنزلة الباء والتاء انتهى اما قوله ان واو القسم يطرح معه ابراز الفعل اطراحا كليا فليس
هذا الحكم مجمعا عليه بل قد اجاز ابن كيسان التصريح بفعل القسم مع الواو فتقول اقسم او احلف
والليل اذا يغشى واما قوله الواوات العواطف نوائب عن هذه الى اخرها فمبني على ان حرف
العطف عامل لنيابته مناب العامل وليس هذا بالمختار والذي يقول ان المعطوف هو
معمول للعامل في اذا بعد الاقسام كقوله والنجم اذا هوى والليل اذا ادبر والصبح اذا
اسفر والقمر اذا تلاها والليل اذا يغشى وما اشبهها فاذا ظرف مستقبل لا جائز ان
يكون العامل فيه فعل القسم المحذوف لانه فعل انشائي فهو في الحال فينافي ان يعمل في المستقبل
لامتناع تقدم زمان العامل على زمان المعمول ولا جائز ان يكون ثم مضاف محذوف اقيم المقسم
به مقامه اي وطلوع النجم ومجيء الليل لانه معمول لذلك الفعل فالطلوع حال ولا يعمل
في المستقبل ضرورة ان زمان المعمول زمان العامل ولا جائز ان يعمل فيه نفس المقسم به

لانه

لانه ليس من قبيل ما يعمل لا سيما ان كان جرما ولا جائز ان يقدر محذوف قبل الظرف
ويكون قد عمل فيه ويكون ذلك العامل في موضع الحال وتقديره والنجم كائنا اذا هوى
والليل كائنا اذا يغشى لانه يلزم كائنا ان لا يكون منصوبا بعامل ولا يصح ان يكون معمولا
لشيء مما فرضناه ان يكون عاملا وايضا فقد يكون المقسم به جثة فظروف الزمان لا
تكون احوالا عن الجثة كما لا تكون اخبارا ونفس وما سواها ونفس اسم جنس ويدل
على ذلك ما بعده من قوله فالهمها وما بعده وتسويتها اكمال عقلها ونظرها ولذلك ارتبط
به فالهمها لان الفاء تقتضي الترتيب على ما قبلها من التسوية التي هي لا تكون الا بالعقل
وقال الزمخشري فان قلت لم نكرت النفس قلت فيه وجهان احدهما ان يريد نفسا خاصة
من النفوس وهي نفس آدم كانه قال وواحدة من النفوس الثاني ان يريد كل نفس وتنكيرها بعد الاوصاف
المذكورة بعدها فلا تكون الا للجنس الجاري الى قوله قد افلح من زكاها وقد خاب
من دساها كيف بعض المعارضة الزكي والدسي فالهمها قال ابن جبير والزجاج وقال
ابن عباس فجورها وتقواها وقال ابن زيد بين لها وقال الزجاج وفقها للتقوى والهمها الفجور اي
خذلها قيل عرفها وجعل لها قوة يصح معها اكتساب الفجور واكتساب التقوى
وقال الزمخشري ومعنى الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وان احدهما حسن والآخر
قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما بدليل قوله قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها
فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما والتزكية الانماء والتدسية النقص والاخفاء بالفجور
انتهى وفيه دسيسة الاعتزال قد افلح من زكاها قال الزجاج وغيره هذا جواب القسم
وحذفت اللام لطول الكلام والتقدير لقد افلح وقيل الجواب محذوف تقديره ليبعثن وقال
الزمخشري تقديره ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا واما قد افلح من زكاها فكلام تابع لقوله فالهمها
فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء انتهى وقيل قد افلح من زكاها كما طهرها
ونماها [illegible] الصالح ودساها اخفاها وحقرها بعمل المعاصي والظاهر ان فاعل زكى
ودسى ضمير يعود على من وقاله الحسن وغيره وقيل ان يكون ضمير الله تعالى قاله ابن عباس
وغيره كانه قال قد افلحت النفس التي زكاها الله وعاد الضمير مؤنثا باعتبار المعنى
من مراعاة الناسخة في الحديث ما يشهد لهذا التأويل كان عليه السلام اذا قرأ

معنى الآية قال اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها
وقال الزمخشري وأما قول من زعم أن الضمير في زكى ودسى لله تعالى وأن تأنيث الراجع
إلى من لأنه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يوركون على الله تعالى قدرا هو بريء
منه ومتعال عنه ويحيون لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها إليه انتهى على عادته في سب
أهل السنة وهذا تأويل ذلك هو حبر العلم عبد الله بن عباس ابن عم الرسول عليه السلام
يقول وزكاها الله خير من زكاها وقال بعضهم دساها في أهل الخير بالرياء وليس منهم وحسن
وتقواها أعقبه بقوله قد أفلح من زكاها ولما قال وقد خاب من دساها أعقبه بأهل
المحنة ولما ذكر تعالى من دسى نفسه ذكر فرقة فعلت ذلك ليعتبر بهم وبطغواها
الباء عند الجمهور سببية أي كذبت ثمود نبيها بسبب طغيانها وقال ابن عباس الطغوى
هنا العذاب كذبوا به حتى نزل بهم لقوله وأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وقرأ الجمهور بطغواها
بفتح الطاء وهو مصدر وهو من الطغيان قلبت فيه الياء واوا فصلا بين الاسم و بين
الصفة قالوا امرأة خزيا وصديا وقالوا في الاسم تقوى وشروى وقرأ الحسن ومحمد
ابن كعب وحماد بن سلمة بضم الطاء وهو مصدر كالرجعى وكان قياسها الطغيا بالياء
كالسقيا لكنهم شذوا فيه إذ انبعث أي خرج لعقر الناقة بنشاط وحرص والباعث له
لذلك وأشقاها هو قدار بن سالف وقد يراد به الجماعة لأن أفعل التفضيل إذا
أضيف إلى معرفة جاز إفراده وإن عني به جمع وقال الزمخشري يجوز أن يكونوا جماعة
لتسويتك في أفعل التفضيل إذا أضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وكان
يجوز أن يقال أشقوها انتهى ما أطلق الإضافة وكان ينبغي أن يقول إلى معرفة لأن
أفعل التفضيل إذا أضيف إلى معرفة جاز إفراده وإن عني به جمع وقال الزمخشري
يجوز أن يكونوا جماعة لتسويتك في أفعل التفضيل إذا أضفته بين الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث وكان يجوز أن يقال أشقوها انتهى ما أطلق الإضافة وكان ينبغي
يقول إلى معرفة لأن إضافته إلى نكرة لا يجوز فيه إذ ذاك إلا أن يكون مفردا مذكر الحالة
إذا كان من والظاهر أن الضمير لهم عائد على أقرب مذكور وهو أشقاها إذا
يراد به الجماعة ويجوز أن يعود على ثمود رسول الله هو صالح عليه السلام وقرأ الجمهور
ناقة الله بنصب التاء وهو منصوب على التحذير مما يجب إضمار عامله لأنه قد عطف عليه

فصار

فصار حكمه بالعطف حكم المكرر كقولك الأسد الأسد أي احذروا ناقة الله أي عقرها وعاقبة
أمرها أو ذروا عقرها وسقياها فلا تمنعوها من السقيا وقرأ زيد بن علي ناقة الله بضم التاء
أي هذه ناقة الله وسقياها فلا تعقلوا فكذبوه الجمهور على أنهم كانوا كافرين
قد أسلموا قبل ذلك وتابعوا صالحا مدة ثم كذبوا وعقروا وأسند العقر للجماعة لكونهم
راضين به ومتمالئين عليه وقرأ الجمهور فدمدم عليهم وقرأ ابن الزبير فدهدم وهما
بمعنى أي أطبق عليهم العذاب مكررا ذلك بذنبهم فيه تخويف من عاقبة الذنوب فسواها
قيل فسوى القبيلة في الهلاك عاد عليها بالأرض كما عاد في بطغواها وقيل فسوى الدمدمة
أي سواها بينهم فلم يفلت منهم صغير ولا كبير وقرأ أبي والأعرج ونافع وابن عامر
فلا يخاف بالفاء وهو ربهم أي لا درك عليه تعالى في فعله بهم لا يسأل عما يفعل قاله
ابن عباس والحسن وفيه احتقار لهم وتعفية لآثارهم وقيل يجوز أن يعود على صالح
أي لا يخاف عقبى هذه الفعلة بهم إذ كان قد أنذرهم وحذرهم ومن قرأ ولا فيحتمل
الضمير الوجهين وقال السدي والضحاك ومقاتل والزجاج وأبو علي تكون الواو واو
الحال والضمير في يخاف عائد على أشقاها أي انبعث لعقرها وهو لا يخاف عقبى فعله
لكفره وطغيانه والعقبى خاتمة الشيء وما يجيء من الأمور بعقبه وهذا فيه بعد لطول
الفصل بين الحال وصاحبها

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى إن سعيكم لشتى فأما من أعطى
واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وما يغني عنه ماله إذا تردى إن علينا
للهدى وإن لنا للآخرة والأولى فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب
وتولى وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء
وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى

مكية وقال علي بن أبي طلحة مدنية وقيل فيها مدني ولما ذكر فيما قبلها قد أفلح من زكاها
وقد خاب من دساها ذكر هنا من الأوصاف ما يحصل به الفلاح وما يحصل به الخيبة
ثم حذف الناشر وفي كرمى يعطيها أو من يحبها أو مفعول يغشى محذوف فاحتمل أن يكون
النهار لقوله يغشى الليل النهار وأن يكون الشمس لقوله والليل إذا يغشاها وقيل الأرض

وجميع ما فيها بظلامه وبحال انكسف وظهر اما بزوال ظلمة الليل واما بشروق الشمس اقسم بالليل
الذي يأوي فيه كل حيوان الى مأواه وبالنهار الذي ينتشر فيه وقال

تجلى الشريعي وجبينه عن صفيحة على اليسر مشراق لئن تحكوها

وقرأ الجمهور تجلى فعلا ماضيا فاعله ضمير النهار وقرأ عبد الله بن عبيد بن عمير تتجلى بتاءين يعني
الشمس وقرئ تجلي بضم التاء وسكون الجيم اي الشمس وما خلق ما مصدرية او بمعنى الذي والظاهر
عموم الذكر والانثى من بني آدم وغيرهم او خصوص بني آدم لاختصاصهم بولاية الله وطاعته وقال ابن
عباس والكلبي والحسن هما آدم وحواء والثابت في مصاحف الامصار المتواتر وما خلق
الذكر والانثى وما ثبت في الحديث من قراءة والذكر والانثى نقل آحاد مخالف
للسواد فلا نعده قرآنا وذكر ثعلب ان من السلف من قرأ وما خلق الذكر بجر
الذكر وذكرها الزمخشري عن الكسائي ووجهه على البدل من ما على تقدير والذي
خلق الله ووجه على توهم المصدر اي وخلق الذكر والانثى كما قال

يطوف العفاة بابوابه كما طاف بالبيعة الراهب

بجر الراهب على توهم النطق بالمصدر اي كطواف الراهب ان سعيكم اي
مساعيكم لشتى لمختلفة في جزائها ثم فصل هذا فاما من اعطى الآية روي انها نزلت في ابي بكر
الصديق رضي الله عنه كان يعتق ضعفة العبيد الذين اسلموا وينفق في رضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ماله وكان الكفار بضده وقال عبد الله بن ابي اوفى نزلت
هذه السورة في ابي بكر الصديق وابي سفيان بن حرب وقال السدي نزلت
في ابي الدحداح الانصاري بسبب ما كان يعلق المشترى صدقة وبسبب النخلة التي اشتراها
من المنافق بحائط له وكان الرسول ساوم المنافق شراءها بنخلة في الجنة وذلك بسبب
الايتام الذين كانت النخلة تشرف على بيتهم فيسقط منها الشيء فيأخذه الايتام فيمنعهم
المنافق مما يعلمه المنافق فجاء ابو الدحداح وقال يا رسول الله انا اشتري النخلة التي في
الجنة بهذه وحذف مفعولي اعطى اذ المقصود الثناء على المعطي دون تعيين المعطى
والعطية وظاهره بذل المال في واجب ومندوب وقال عكرمة وقال قتادة اعطى الله وقال
ابن زيد انفق ماله في سبيل الله واتقى قال ابن عباس اتقى الله وقال مجاهد واتقى البخل
وقال قتادة واتقى ما نهي عنه وصدق بالحسنى الحسنى صفة تأنيث الاحسن وقال ابن عباس

وعكرمة

وعكرمة وجماعة هي الخلف في الدنيا الوارد به وعد الله وقال ابن مجاهد والحسن وجماعة
الجنة وقال جماعة الثواب وقال السلمي وغيره لا اله الا الله فسنيسره لليسرى
اي نهيئه للحالة التي هي ايسر عليه واهون وذلك في الدنيا والآخرة وقابل اعطى
ببخل واتقى باستغنى لانه زهد فيما عند الله بقوله واستغنى للعسرى وهي الحالة
السيئة في الدنيا والآخرة وقال الزمخشري فسنيسره فسنهيئه بمعنى الالطاف حتى تكون الطاعة
ايسر شيء عليه واشده من قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء او سمى
طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر بالعسرى لان عاقبتها العسر
او اراد بهما طريقي الجنة والنار ويشهد لهما في الآخرة الطريقين ايهما شئت ولكل منه
دسيسة الاعراب وجاء فسنيسره للعسرى على سبيل المقابلة لقوله فسنيسره
لليسرى والعسرى لا تيسير فيها وقد يراد بالتيسير التهيئة وذلك يكون في اليسرى
والعسرى وما يغني عنه ماله جوز ان تكون ما نافية وان تكون استفهامية اي اي شيء يغني عنه ماله اذا
تردى تفعل من الردى اي هلك قاله مجاهد وقال قتادة وابو صالح تردى في جهنم اي
سقط من حافاتها وقال قوم تردى بأكفانه من الرداء قال مالك بن الريب

وخطا باطراف الاسنة مضجعي وردا على عيني فضل ردائيا

وقال الآخر

نصيبك مما تجمع الدهر كله رداءان تلوى فيهما وحنوط

ان علينا للهدى تعريف بالسبيل ومنحهم الادراك كما قال وعلى الله قصد السبيل وقال
الزمخشري ان الارشاد الى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع وان
لنا للآخرة والاولى اي ثواب الدارين كقوله واتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة
لمن الصالحين وقرأ ابن الزبير وزيد بن علي وطلحة وسفيان بن عيينة وعبيد بن عمير
تلظى بتاءين والبزي بتاء مشددة والجمهور بتاء واحدة وقال الزمخشري الآية واردة
في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما
المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلي كأن النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى
وجعل مختصا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق الا له وقيل هما ابو جهل او امية بن خلف وابو بكر
رضي الله عنه يتزكى من الزكاء اي يطلب ان يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة

او يستغل من الزكاة ابتغي وقرأ الجمهور يتزكى مضارع تزكى وقرأ الحسن بن علي بن ابي
طالب بادغام التاء في الزاي ويتزكى في موضع الحال فموضعه نصب واجاز الزمخشري
ان لا يكون له موضع من الاعراب لانه جعله بدلا من صلة الذي وهو يؤتي ماله وهو
اعراب متكلف وما لاحد عنده من نعمة تجزى يجري مجرى المفعول لكونه فاصلة وكان اصله تجزيه اياها او يجزيه بها
اياه وقرأ الجمهور الا ابتغاء بنصب الهمزة وهو استثناء منقطع لانه ليس داخلا في من
نعمة وقرأ ابن وثاب بالرفع على البدل من موضع نعمة لانه مرفوع وهي لغة تميم وانشد الوجهين
قول بشر بن ابي خازم

اضحت خلاء قفارا لا انيس بها الا الجآذر والظلمان تختلف

وقول الآخر في الرفع

وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس

وقرأ ابن ابي عبلة الا ابتغا مقصورا وقال الزمخشري ويجوز ان يكون ابتغاء وجه الله
مفعولا له على المعنى لان معنى الكلام لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة
انتهى وهذا اخذه من قول الفراء قال الفراء ونصب على تأويل ما اعطيتك ابتغاء جزائك
بل ابتغاء وجه الله ولسوف يرضى وعد بالثواب الذي يرضاه وقرأ الجمهور يرضى
بفتح الياء وقرئ بضمها اي يرضى فعله يرضاه الله تعالى ويجازيه عليه سجا
الليل ادبر وسكن اقبل ومنه قول

يا حبذا القمراء والليل الساج وطرق مثل ملاء النساج

وبحر ساج ساكن قال الاعشى

فما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمكم وبحرك ساج لا يواري الدعامصا

وطرف ساج ساكن غير مضطرب بالنظر وقال الفراء سجا الليل اظلم وركد وقال
ابن الاعرابي اشتد ظلامه

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الاولى
ولسوف يعطيك ربك فترضى الم يجدك يتيما فآوى ووجدك عائلا فاغنى فاما
اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر واما بنعمة ربك فحدث

نكته ولما ذكر فيما قبلها وسيجنبها الاتقى وكان سيد الاتقين رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذكر هنا نعمه تعالى عليه وقرأ الجمهور ما ودعك بشد الدال وعروة بن
الزبير وابنه هاشم وابو حيوة وابو بحرية وابن ابي عبلة بخفها اي ما تركك و
استغنت العرب في فصيح كلامها بترك عن ودع ووذر وعن اسم فاعلهما بتارك
وعن اسم مفعولهما بمتروك وعن مصدرهما بالترك وقد سمع ودع ووذر قال ابو الاسود

ليت شعري عن خليلي ما الذي غاله في الحب حتى ودعه

وقال آخر

وثم ودعنا آل عمرو وعامر فرائس اطراف المثقفة السمر

والتوديع مبالغة في الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك وما قلى وما ابغض
واللغة الشهيرة في مضارع قلى يقلي وطي يقول يقلى يفعل بفتح العين وحذف المفعول
اختصارا في قلى وفي فآوى وفي فهدى وفي فاغنى اذ يعلم انه ضمير المخاطب وهو الرسول
عليه السلام وقال ابن عباس وغيره ابطأ الوحي مرة وهو بمكة حتى شق ذلك عليه
فقالت ام جميل امرأة ابي لهب يا محمد ما ارى شيطانك الا قد تركك فنزلت
وقال زيد بن اسلم انما احتبس عنه جبريل لجرو كلب كان في بيته وللآخرة خير لك
من الاولى قال ابن اسحق وغيره ويحتمل ان يريد حالتيه قبل نزول
السورة وبعدها وعده تعالى بالنصر والظفر قال ابن عطية احتمالا وقال الزمخشري
فان قلت كيف اتصل قوله وللآخرة خير لك من الاولى بما قبله قلت لما كان
في ضمن نفي التوديع والقلى ان الله مواصلك بالوحي اليك وانه حبيب الله ولا ترى
كرامة اعظم من ذلك ولا نعمة اجل منه اخبره ان حاله في الآخرة اعظم من ذلك وهو السبق
والتقدم على جميع انبياء الله ورسله وشهادة امته على سائر الامم ورفع درجات
المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الجمهور ذلك
في الآخرة وقال ابن عباس رضاه ان لا يدخل احد من اهل بيته النار وقال ايضا رضاه
انه وعده بالف قصر في الجنة بما يحتاج اليه من النعم والخدم وقيل في الدنيا فتح مكة
وغيره والاولى ان هذا موعد شامل لما اعطاه في الدنيا من الظفر ولما ادخر له من
الثواب واللام في للآخرة لام ابتداء وكذا مضمون الجملة وقال الزمخشري في ولسوف

علاما ريثما اي ولانت سوف يعطيك وقال خلع من اللام دلالتها على الحال
وقال ابو علي ليست هذه اللام هي التي في قولك ان زيدا لقائم بل هي التي في قولك
ان زيدا لقائم بل هي التي في قولك لاقومن ونابت سوف عن احدى نوني التوكيد
فكانه قال وليعطينك ويكون عندي ان تكون اللام في وللاخرة خير وفي
ولسوف يعطيك اللام التي يتلقى بها القسم عطفها على جواب القسم وهو قوله ما
ودعك فيكون قد اقسم على هذه الثلاثة ولما اوعده بهذا الموعد الجليل ذكر
نعمه عليه في حال نشاته المتقدمة ليعلمك فيما يوفي اليه عليه السلام وهو جنين قد
اتت عليه ستة اشهر وماتت امه عليه السلام وهو ابن ثمان سنين وكفله عمه
ابو طالب واحسن تربيته وسئل جعفر الصادق لم يتم النبي صلى الله عليه
وسلم من ابويه فقال لئلا يكون عليه حق لمخلوق قال الزمخشري ومن بدع التفاسير
انه من قولهم درة يتيمة وان المعنى الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فاواك انتهى
وقرا الجمهور فاوى رباعيا وابو الاشهب العقيلي فاوى ثلاثيا بمعنى رحم تقول اويت لفلان
اي رحمته ومنه قول الشاعر

اراني ولا كفران لله اية لنفسي قد طالبت غير منيل

ووجدك ضالا لا يمكن حمله على الضلال الذي يقابله الهدى لان الانبيا معصومون
من ذلك ثم رده الله الى جده عبد المطلب وقيل ضل له من حليمة مرضعته وقيل ضل
في طريق الشام حين خرج به ابو طالب ولبعض المفسرين فيها اقوال فيها بعض ما
لا يجوز نسبته الى الانبيا ولقد رايت في النوم اني افكر في هذه الجملة فاقول على
الفور ووجدك اي وجد رهطك ضالا فهداه بك ثم اقول على حذف مضاف نحو
واسال القرية وقرا الجمهور عائلا اي فقيرا وقال جرير

الله نزل في الكتاب فريضة لابن السبيل وللفقير العائل

كرر احالا في اللفظ واليماني عيلا كسيد يشر الما المسنون
ومنه قول الشاعر وهو احيحة بن الجلاح

وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل

عال افتقر واعال كثر عياله قال مقاتل فاغناك برضاك بما اعطاك من الرزق وقيل اغناك

بالقناعة

بالقناعة والصبر وقيل بالكفاف ولما عدد عليه هذه النعم الثلاث وصاه بثلاث
كانها مقابلة لها فاما اليتيم فلا تقهر قال مجاهد لا تحتقر وقال ابن سلام لا تستذله وقال
سفيان لا تظلمه بتضييع ماله وقال الفرا لا تمنعه حقه والقهر هو التسلط بما
يوذي وقرا الجمهور تقهر بالقاف وابن مسعود واما السايل الظاهر انه المستعطي
فلا تنهر اي تزجره لكن اعطه او رده ردا جميلا وقال لقمان لا تغلظ عليه وهذا
في مقابلة ووجدك عائلا فاغنى والسايل كما قلنا المستعطي قاله الفرا وجماعة وقال
ابو الدردا والحسن وغيرهما السايل هنا السايل عن العلم والدين لا سايل المال
فيكون بازا ووجدك ضالا فهدى واما بنعمة ربك فحدث قال مجاهد والكلبي معناه
بث القران وبلغ ما ارسلت به وقال محمد بن اسحق هي النبوة وقال اخرون هي عموم في
جميع النعم وقال الزمخشري التحديث بالنعم شكرها واشاعتها يريد ما ذكره من نعمة
الايوا والهداية والاغنا وما عدا ذلك انتهى ويظهر انه لما تقدم ذكر الامتنان
عليه فذكر الثلاثة امتن بدا فذكر اليتم اولا وهي البداية ثانيا وهي العائل
وكان اشرف ما امتن به عليه هي الهداية فترقى من هذين الى الاشرف وجعله
مقطع السورة وانما وسط ذلك عند ذكر الثلاثة لانه بعد اليتم هو زمان
التكليف وهو عليه السلام معصوم من اقتراف ما لا يرضي الله في القول والفعل
والعقد وكان ذكر الامتنان بذلك على حسب الوقايع بعد اليتم وحالة التكليف
وفي الاخر ترقى الى الاشرف فهما مقصدان في الخطاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك فان
مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب
مكية ومناسبتها لما قبلها ظاهرة والشرح تنويره بالحكمة وتوسيعه لتلقي ما يوحى
اليه قاله الجمهور والاولى العموم ولقبول ما يلقى من الدعا الى الله وحده واحتمال المكاره
من اذاية الكفار وقال ابن عباس وجماعة اشار الى شق صدره في وقت صغره
ودخلت همزة الاستفهام على النفي فافاد التقرير على هذه النعمة وصار المعنى قد
شرحنا لك صدرك ولذلك عطف عليه الماضي وهو ووضعنا وهذا نظير قوله تعالى

الم نربك فينا وليدا ولبثت. وقرأ الجمهور نشرح بجزم الحاء لدخول الجازم، وقرأ أبو جعفر المنصور بفتحها، وخرجه ابن عطية في كتابه على أنه ألم نشرحن فأبدل من النون ألفا ثم حذفها تخفيفا فيكون مثل ما أنشده أبو زيد في نوادره

من أي يومي من الموت أفر ... أيوم لم يقدر أم يوم قدر

وقال آخر

اضرب عنك الهموم طارقها ... ضربك بالسوط قونس الفرس

وقال وهذه قراءة مردودة. وقال الزمخشري وقد ذكرها عن أبي جعفر المنصور وقالوا لعله بين الحاء وأشبعها في مخرجها فظن السامع أنه فتحها. انتهى. ولهذه القراءة تخريج أحسن من هذا كله وهو أنه لغة لبعض العرب حكاها اللحياني في نوادره عن بعض العرب أنهم يجزمون بلن وينصبون بلم. قال أبو العباس أحمد بن الحسين بن أحمد الموصلي في كتاب النهاية في النحو من تأليفه وقد ذكر أن ما نقل عن العرب قسمان مطرد ونادر قال والنادر ليس لك القياس عليه نحو نون التوكيد وحذفها وصرف جميع ما لا ينصرف والنصب بلم. انتهى. وقالت عائشة بنت الأعجم تمدح المختار بن أبي عبيد وهو القائم بطلب ثار الحسين بن علي كرم الله وجهه

قد كان سمك الهدى ينهد قائمه ... حتى أتيح له المختار فانعمدا

في كل ما هم أمضى رأيه قدما ... ولم يشاور في إقدامه أحدا

وظاهر قوله أو لم يشاور أنه منصوب بلم ويحتمل أن يكون الحقت الفعل نون التوكيد ثم حذفها كما قاله ابن عطية. ووضعنا عنك وزرك كناية عن عصمته من الذنوب وتطهيره من الأدناس عبر عن ذلك بالحط على سبيل المبالغة في انتفاء ذلك كما يقول القائل رفعت عنك مشقة الزيارة لمن لم يصدر منه زيارة على طريق المبالغة في انتفاء الزيارة منه له. وقال أهل اللغة أنقض الحمل ظهر الناقة إذا سمعت له صريرا من شدة الحمل وسمعت نقيض الرحل أي صريره. وقال عباس بن مرداس

وأنقض ظهري ما تطويت منهم ... وكنت عليهم مشفقا متحننا

وقال جميل

وحتى تداعت بالنقيض حباله ... وهمت بوادي زوره أن تحطما

والنقيض

والنقيض صوت الانتقاض والانفكاك. ورفعنا لك ذكرك هو أن قرنه بذكره تعالى في كلمة الشهادة والأذان والإقامة والتشهد والخطب وفي غير موضع من القرآن وفي تسميته رسول الله ونبي الله وذكره في كتب الأولين والأخذ على الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا به. وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه

أغر عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهود يلوح ويشهد

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وبعد تعداد النعم عليه صلى الله عليه وسلم بعضه تعالى كما أحسن بهذه المراتب فإنه يحسن إليه بظفره بأعدائه وينصره عليهم. وكان الكفار أيضا يعيرون المؤمنين بالفقر فذكر هذه النعم وقوى رجاءه بقوله فإن مع العسر يسرا أي مع الضيق فرجا ثم كرر ذلك مبالغة في حصول اليسر. ولما كان اليسر يعقب العسر من غير تطاول أزمان جعل كأنه معه وفي ذلك تبشير للرسول بحصول اليسر عاجلا. والظاهر أن التكرار للتوكيد كما قلناه وقيل تكرار اليسر باعتبار المحل فيسر في الدنيا ويسر في الآخرة وقيل مع ذلك العسر يسران من حيث إن العسر معرف بالعهد واليسر منكر فالأول عين الثاني. وفي الحديث لن يغلب عسر يسرين. وضم سين العسر واليسر ابن وثاب وأبو جعفر وعيسى وسكنها الجمهور. ولما عدد نعمه السابقة ووعده عليه السلام بالتيسير حثه على ما عسر أمره بأن يدأب في العبادة إذا فرغ من مثلها ولا يفتر. وقال ابن مسعود فإذا فرغت من فرضك فانصب في التنفل عبادة لربك. وقال أيضا فانصب في قيام الليل. وقال مجاهد فإذا فرغت من شغل دنياك فانصب في عبادة ربك. وقال ابن عباس وقتادة فإذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء. وقال الحسن فإذا فرغت من الجهاد فانصب في العبادة. ويعترض قوله بأن الجهاد فرض بالمدينة. وقرأ الجمهور فرغت بفتح الراء وأبو السمال بكسرها وهي لغة. وقال الزمخشري ليست بفصيحة. وقرأ الجمهور فانصب بسكون الباء خفيفة وقوم بشدها مفتوحة من الانصباب. وقرأ آخرون من الإمامية فانصب بكسر الصاد بمعنى إذا فرغت من النبوة فانصب خليفة. وقال ابن عطية وهي قراءة شاذة ضعيفة المعنى لم تثبت عن عالم. انتهى. وقرأ الجمهور فارغب أمر من رغب.

لا اسا الى احرف وجه الرغبات اليه لا الى سواه وقرا زيد بن علي وابن ابي عبلة فرغب امر
من رغب مشدد الغين الذي هو الفاكهة المعروفة واسم جبل وتاتى اقوال المفسرين فيه

بسم الله الرحمن الرحيم والتين
والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم
رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون فما يكذبك
بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين

مكية في قول الجمهور وقال ابن عباس وقتادة مدنية ولما ذكر فيما قبلها من كمله الله خلقا
وخلقا وفضله على سائر العالم ذكر هنا حال من يعاديه وانه يرده اسفل سافلين
في الدنيا والاخرة واقسم تعالى بما اقسم به انه خلق الانسان مهيا لقبول الحق ثم نقله كما
اراد الى الحالة السافلة والظاهر ان التين والزيتون هما المشهوران بهذا الاسم
وفي الحديث مدح التين وانه يقطع البواسير وينفع من النقرس وقال تعالى وشجرة
تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والنخعي
وعطاء بن ابي رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي وقال عكرمة اقسم تعالى بهما
فالتين مسجد دمشق والزيتون بايليا فاقسم بالارضين وقال كعب هما
جبلان عظيمان بالشام على احدهما دمشق وعلى الاخر بيت المقدس اسمه في شعر
النابغة ذكر التين وشرح بانه جبل مستطيل قال النابغة

صهب الظلال اتين التين عن عرض يزجين غيما قليلا ماؤه شبما

وقيل هما مسجدان واضطربوا في مواضعهما اضطرابا كثيرا اضربنا عن
ذكر ذلك صفحا ولم يختلف في طور سينين انه جبل بالشام وهو الذي كلم الله موسى
عليه ومعنى سينين ذو الشجر وقال عكرمة ومجاهد معناه حسن مبارك وقرا الجمهور
سينين وابن ابي اسحق وعمرو بن ميمون وابو رجا بفتح السين وهي لغة بكر وتميم قال
الزمخشري وكما سيبويه يسرون في حركات الاعراب بالواو والياء والاقرار على اليا
وتحريك النون بحركات الاعراب انتهى وقرا عمر بن الخطاب وعبد الله وطلحة والحسن
سينا بكسر السين والمد وعمر ايضا وزيد بن علي بفتحها والمد وهو لفظ سرياني
اختلفت فيه لغات العرب وقال الاخفش سينين شجر واحده سينينة وهذا

البلد

البلد الامين هو مكة والامين للمبالغة اى امن من فيه ومن دخله وما فيه من طير وحيوان
او من امن الرجل بضم الميم امانة فهو امين وامانته حفظه من دخله كما يحفظ الامين
ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون بمعنى مفعول من امنه لانه مأمون الغوائل كما وصف
بالامن في قوله حرما امنا بمعنى ذي امن ومعنى القسم بهذه الاشيا ابانة شرفها
وما ظهر فيها من الخير بسكنى الانبيا والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم
ومولد عيسى ومنشاه والطور هو المكان الذي نودي عليه موسى ومكة مكان مولد
الرسول عليه السلام ومبعثه ومكان البيت الذي هو هدى للعالمين في احسن تقويم
قال النخعي ومجاهد وقتادة حسن صورته وحواسه وقيل انتصاب قامته وقال
ابو بكر بن طاهر عقله وادراكه زيناه بالتمييز وقال عكرمة شبابه وقوته والاولى
العموم في كل ما هو احسن والانسان هنا اسم جنس واحسن صفة لمحذوف
اي في تقويم احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين قال عكرمة وقتادة والضحاك والنخعي
بالهرم وذهول العقل وتغلب الكبر حتى يصير لا يعلم شيئا اما المؤمن فمرفوع عنه
القلم والاستثناء على هذا منقطع وليس المعنى ان كل انسان يعتريه هذا في
الحسن من يعتريه وقال الحسن ومجاهد وابو العالية وابن زيد وقتادة ايضا اسفل
سافلين في النار على كفره ثم استثنى استثناء متصلا وقرا الجمهور سافلين منكرا وعبد الله
السافلين معرفا بالالف واللام واخذ الزمخشري اقوال السلف وحسنها ببلاغته
وانسكاب الفاظه فقال في احسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لاعضائه ثم كان
عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية ان رددناه اسفل
من سفل خلقا وتركيبا يعني اقبح من قبح صورة واشوهه خلقة وهم اصحاب النار
او اسفل من سفل من اهل الدركات او ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين اسفل
من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد
اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان بضا وكل سمعه وبصره
وكانا حديدين وتغير كل شيء منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف
وشهامته خرف انتهى وفيه تكثير وعلى ان ذلك الرد هو الهرم فالمعنى ولكن الصالحين
من الهرمى لهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى بالشيخوخة

والمهرم وفي الحديث اذا بلغ مائة ولم يعمل شيئا كتب له مثل ذلك مما كان يعمل في صحته
ولم يكتب عليه سيئة ومنه انصات المؤمن اذا رد الى ارذل العمر كتب له خير ما كان يعمل
في قوته وذلك اجر غير ممنون وممنون مقطوع او محسوب يمن به عليهم والخطاب في
فما يكذبك للانسان والكافر قال الجمهور اي ما الذي يجعلك مكذبا بالدين تجعل فيه
ندا وتزعم ان لا بعث بعد هذه الدلائل وقال قتادة والاخفش والفراء قال الله لرسوله
فما الذي يكذبك فيما تخبر به من الجزاء والبعث وهو الدين بعد هذه العبر التي توجب
النظر فيها صحة ما قلت اليس الله باحكم الحاكمين وعيد للكفار وانه يحكم بعدله عليهم
السفع قال المبرد الجذب بشدة وسفع بناصيته قال عمرو بن معدي كرب

قوم اذا كثر الصياح رايتهم من بين ملجم مهره او سافع

وقال مورج معناه الاخذ بلغة قريش النادي والندي المجلس ومنه قول الاعرابية

سيد ناديه وثمال عافيه وقال زهير

وفيهم مقامات حسان وجوههم وانديه ينتابها القول والفعل

الزبانية ملائكة العذاب قيل جمع لا واحد له من لفظه كعباديد وقيل واحدهم زبنية
على وزن عفرية قاله ابو عبيدة وقال الكسائي زبني وكانه نسب الى
الزبن ثم غير النسب كقولهم امسي واصله زباني وقال عيسى بن عمر والاخفش
واحدهم زابن والعرب تطلق هذا الاسم على من اشتد بطشه ومنه قول الشاعر

مطاعيم في القصوى مطاعين في الوغى زبانية غلب عظام حلومها

والزبن الدفع قال

ومستعجب مما يرى من اناتنا ولو زبنته الحرب لم يترمرم

وقال عتبة ابن ابي سفيان وقد زبنتنا الحرب وزبناها

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان
ما لم يعلم كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ان الى ربك الرجعى ارايت الذي
ينهى عبدا اذا صلى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت ان كذب وتولى
الم يعلم بان الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة

فليدع

فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب مكية وصدرها اول ما نزل
من القران وذلك في غار حراء على ما ثبت في صحيح البخاري وغيره وقال جابر اول ما نزل
المدثر وقال ابو ميسرة عمرو بن شرحبيل اول ما نزل الفاتحة ولا يصح وقال الزمخشري
عن ابن عباس ومجاهد هي اول سورة نزلت واكثر المفسرين على ان الفاتحة اول
ما نزل ثم سورة القلم انتهى ولما ذكر فيما قبلها خلق الانسان في احسن تقويم ثم ذكر
ما عرض له بعد ذلك ذكر هنا منبها على شيء من اطواره وذكر نعمته عليه ثم ذكر
طغيانه بعد ذلك وما يؤول اليه حاله في الاخرة وقرا الجمهور اقرا بهمزة ساكنة والاعشى
عن ابي بكر عن عاصم بحذفها كانه على قول من يبدل الهمزة بمناسب حركتها فيقول قرا يقرا
كسعى يسعى فلما امر منه قيل اقر بحذف الالف كما تقول اسع والظاهر تعلق الباء باقرا
وتكون للاستعانة ومفعول اقرا محذوف اي اقرا ما يوحى اليك وقيل باسم ربك هو
المفعول وهو المامور بقراءته كما تقول اقرا الحمد لله وقيل المعنى اقرا في اول كل سورة
وقراءة بسم الله الرحمن الرحيم وقال الاخفش الباء بمعنى على اي اقرا على اسم الله كما
قالوا في قوله وقال اركبوا فيها بسم الله اي على اسم الله وقيل المعنى اقرا القران مبتدئا باسم ربك
وقال الزمخشري محل باسم ربك النصب على الحال اي اقرا مفتتحا باسم ربك قل بسم الله ثم اقرا
انتهى وهذا قاله قبله قال قتادة المعنى اقرا ما انزل عليك من القران مفتتحا باسم ربك
وقال ابو عبيدة الباء صلة والمعنى اذكر ربك وقال ايضا الاسم صلة والمعنى اقرا بعون
ربك وتوفيقه وجاء باسم ربك ولم يات بلفظ الجلالة لما في لفظ الرب من معنى الذي
رباك ونظر في مصلحتك وجاء الخطاب ليدل على الاختصاص والتانيس اي ليس لك
رب غيره ثم جاء بصفة الخالق وهو المنشئ للعالم لما كانت العرب تسمي الاصنام
اربابا اتى بالصفة التي لا يمكن شركة الاصنام فيها ولم يذكر متعلق الخلق اولا فالمعنى
انه قصد الى استبداده بالخلق فاقتصر او حذف اذ معناه خلق كل شيء ثم ذكر
خلق الانسان وخصه من بين المخلوقات لكونه هو المنزل اليه وهو اشرف قال
الزمخشري اشرف ما على الارض وفيه دسيسة ان الملك اشرف قال ويجوز ان يراد
الذي خلق الانسان كما قال الرحمن علم القران خلق الانسان فقيل الذي خلق مبهما ثم
فسره بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته انتهى

والانسان هنا اسم جنس والعلق جمع علقة لان الكل من علق وانما ذكر من خلق من علق لانهم مقرون به ولم ينكروا انهم ادم ليس مقررا عند الكفار فبيّن الفرع وترك اصل الخلقة تقريبا لافهامهم ثم جاء الامر ثانيا تاكيدا له كانه قيل امض لما امرت به وربك ليس كهذه الارباب بل هو الاكرم اذ كرمه يزيد على كل كريم ينعم بالنعم التي لا تحصى ويحلم عن الجاني ويقبل التوبة ويتجاوز عن السيئة وليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي ما استقامت امور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل الا امر القلم والخط لكفى به ولبعضهم في صفة القلم

ورواقم رقش كمثل اراقم ... قطف الخطا نيالة اقصى المدى
سود القوائم ما يجد مسيرها ... الا اذا لعبت بها بيض المدى

انتهى من كلام الزمخشري ومن غريب ما راينا تسميه النصارى بهذه الصفة التي هي صفة لله تعالى يسمون الاكرم والرشيد وفخر السعدا وسعد السعدا في ديار مصر ويدعو بها المسلمون ويزيدون عليها على سبيل التعظيم الشيخ الاكرم والشيخ الاسعد والشيخ الرشيد فيا لها مخزية على من يدعوهم بها ويجدون عقباها يوم عرض الاقوال والافعال ومفعولا علم محذوفان اذ المقصود اسناد التعليم الى الله وورد بعضهم الذي علم الخط بالقلم وهي قراءة تعزى لابن الزبير وهي عندي على سبيل التفسير لا على انها قراءة لمخالفتها سواد المصحف والظاهر ان المعلم كل من كتب بالقلم وقال الضحاك ادريس وقيل ادم لانه اول من كتب والانسان في قوله علم الانسان الظاهر انه اسم الجنس عدد عليه اكتساب العلوم بعد الجهل بها وقيل الرسول عليه السلام وكلا ان الانسان ليطغى نزلت بعد مدة في ابي جهل ناصب رسول الله صلى الله عليه وسلم العداوة ونهاه عن الصلوة في المسجد فروي انه قال لئن رايت محمدا يسجد عند الكعبة لاطان على عنقه فروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد عليه

وانتهره

وانتهره وتوعده فقال ابو جهل ايتوعدني محمد والله ما بالوادي اعظم ناديا مني ويروى انه هم ان يمنعه من الصلوة فكفه الله عنه كلا ردع لمن كفر نعمة الله وطغيانه وان لم يتقدم ذكره لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى اي يجاوز الحد ان راه استغنى الفاعل ضمير الانسان وضمير المفعول عائد عليه ايضا وروي هنا من روية القلب يجوز ان يتحد فيها الضميران متصلين فيقول رايتني صديقك وكذلك فقد وعدم بخلاف غيرها فلا يجوز زيد ضربه وهما ضميرا زيد وقرا الجمهور ان راه بالف بعد الهمزة وهي لام الفعل وقيل بخلاف عنه بحذف الالف وهي رواية مجاهد قال هو غلط ولا يجوز وليس كما قال لا يغلطه بل تطلب له وجها وقد حذفت الالف في نحو من هذا قال

وصاح لم يخش العجاج فيمن وصى

يريد وصاحي فحذف الالف وهي لام الفعل وقد حذفت في مضارع رأى في قولهم اصاب الناس جهد ولو تر اهل مكة وهو حذف لا ينقاس لكن اذا صحت الرواية به وجب قبوله والقراآت جاءت على لغة العرب قياسها وشاذها ان الى ربك الرجعى اي المرجوع مصدر على وزن فعلى الالف فيه للتانيث وفيه وعيد للطاغي المستغني وتحقير لما هو فيه حيث ماله الى البعث والحساب والجزاء على طغيانه ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى تقدم انه ابو جهل قال ابن عطية ولم يختلف احد من المفسرين ان الناهي ابو جهل وان العبد المصلي محمد صلى الله عليه وسلم انتهى وفي الكشاف وقال الحسن هو امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة وقال التبريزي المراد بالصلوة هنا صلوة الظهر قيل هي اول جماعة اقيمت في الاسلام كان معه ابو بكر وعلي وجماعة من المسلمين فمر به ابو طالب ومعه ابنه جعفر فقال له صل جناح ابن عمك وانصرف مسرورا وانشا يقول

ان عليا وجعفرا ثقتي ... عند ملم الزمان والكرب
والله لا اخذل النبي ولا ... يخذله من يكون من حسب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما ... اخي لامي من بينهم وابي

ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك والخطاب في ارايت الظاهر انه للرسول

وكذا ارايت الثاني والثالث والتسوية الظاهر الذي يقتضيه النظم وقيل
ارايت الثاني خطاب للكافر التفت الى الكافر فقال ارايت يا كافر ان
كانت صلوته هدى ودعا الى الله وامر بالتقوى اتنهاه مع ذلك والضمير في ان
كان وان كذب عائد على الناهي قال الزمخشري ومعناه اخبرني عمن ينهى
بعض عباد الله عن صلوته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى
عنه من عبادة الله او كان امرا بالمعروف والتقوى فيما يامر به من عبادة
الاوثان كما يعتقد وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين
الصحيح كما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله
فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد انتهى وقال ابن عطية ان كان يعني العبد
المصلي وقوله ان كذب وتولى يعني الانسان الذي ينهى انتهى فجعل ابن عطية
الضمير في ان كان على الهدى عائدا على المصلي وقاله الفرا قال الفرا المعنى ارايت
الذي ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى او امر بالتقوى والناهي مكذب متولي
عن الذكر اي فما اعجب هذا الم يعلم ابو جهل بان الله يراه ويعلم فعله فهذا تقرير
وتوبيخ انتهى وقال من جعل الضمير ان كان عائدا على المصلي انما ضم الى فعل الصلوة
الامر بالتقوى لان ابا جهل كان يشق عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
امران الصلوة والدعا الى الله تعالى ولانه قال عليه السلام لا يوجد الا في
امرين اصلاح نفسه بفعل الصلوة واصلاح غيره بالامر بالتقوى وقال ابن
عطية الم يعلم بان الله يرى اكمال للتوبيخ والوعيد بحسب التوقيفات الثلاثة
يصلح مع كل واحد منها جا بها في نسق ثم جا بالوعيد الكافي لجميعها اختصارا
واقتضابا ومع كل تقرير تكملة مقدرة تتسع العبارات فيها والم يعلم دال عليها مغن
وقال الزمخشري فان قلت ما متعلق ارايت قلت الذي ينهى مع الجملة الشرطية
وهما في موضع المفعولين فان قلت فاين جواب الشرط قلت هو محذوف تقديره
ان كان على الهدى او امر بالتقوى الم يعلم بان الله يرى وانما حذف لدلالة
ذكره في جواب الشرط الثاني فان قلت فكيف صح ان يكون الم يعلم جوابا للشرط
قلت كما صح في قولك ان اكرمتك اتكرمني وان احسن اليك زيد هل تحسن اليه

فان

فان قلت فارايت الثانية وتوسطها بين مفعولي قلت هي زائدة مكررة للتوكيد
انتهى وقد تكلمنا على احكام ارايت بمعنى اخبرني في غير موضع منها التي في سورة الانعام
فاستوعبنا الكلام عليها في شرح التسهيل وما قرره الزمخشري ليس بجار على ما
قررناه فمن ذلك انه ادعى ان جملة الشرط في موضع المفعول الواحد والموصول
هو الاخر وعندنا ان المفعول الثاني لا يكون الا جملة استفهامية كقوله افرايت
الذي تولى واعطى قليلا واكدى اعنده علم الغيب فهو يرى افرايت
الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب افرايتم ما تمنون
انتم تخلقونه وهو كثير في القران فيتخرج هذه الاية على ذلك القانون ويجعل
مفعول ارايت الاول هو الموصول وجا بعده ارايت وهي تطلب مفعولين
والثانية كذلك فمفعول ارايت الثانية والثالثة محذوف يعود على الذي
ينهى فيهما او على عبدا في الثانية وعلى الذي ينهى في الثالثة على الاختلاف السابق
في عود الضمير والجملة الاستفهامية توالى عليها ثلاث طوالب فنقول حذف
المفعول الثاني لارايت وهو جملة الاستفهام الدال عليه الاستفهام المتاخر
لدلالته عليه وحذف مفعول ارايت الاخير لدلالة مفعول ارايت الاول
عليه وحذفا معا لارايت الثانية لدلالة الاول على مفعولها الاول و لدلالة
الاخير لارايت الثالثة على مفعولها الاخر وهولا الطوالب ليس طلبها على
طريق التنازع لان الجمل لا يصح اضمارها وانما ذلك من باب الحذف في غير التنازع
واما تجويز الزمخشري وقوع جملة الاستفهام جوابا للشرط بغير فا فلا اعلم
احدا اجازه بل نصوا على وجوب الفا في كل ما اقتضى طلبا بوجه ما ولا يجوز
حذفها الا ان كان في ضرورة شعر كلا ردع لابي جهل وفي طمعه عن
نهي عباد الله عن عبادة الله لئن لم ينته عما هو فيه وعيد شرط لنسفعا
اي لناخذن بالناصية ولنجرن بها غير مستعجل اي سحبا الى النار كقوله فيؤخذ
بالنواصي والاقدام واكتفي بتعريف العهد عن الاضافة اذ علم انها ناصية الناهي
وقرا الجمهور بالنون الخفيفة وكتبت بالالف باعتبار الوقف اذ الوقف عليها
بابدالها الفا وكثر ذلك حتى صارت روي فكتبت الفا لقوله

ومنها السادسة فشا من بين معا

وقال — يحسبه الجاهل ما لم يعلما

ومحبوبه وقرون كلاهما عن ابي عمرو بالنون المشددة وقيل هو ماخوذ من سفعته النار والشمس اذا غيرت وجهه الى حال تسويد وقال المبرد السفع الاخذ بشدة يقال سفعت بالشيء اذا قبضت عليه وجذبته جذبا شديدا وقيل هو ماخوذ من السفعة وهي السواد وكنى بالناصية عن الوجه لانها في مقدمه وقرا الجمهور ناصية كاذبة خاطئة بجر الثلاثة على ان ناصية بدل نكرة من معرفة قال الزمخشري لانها وصفت فاستقلت بفائدة وليس شرطا في ابدال النكرة من المعرفة ان توصف عند البصريين خلافا لمن شرط ذلك من غيرهم ولا ان يكون من لفظ الاول ايضا خلافا للزاعم وقرا ابو حيوة وابن ابي عبلة وزيد بن علي بنصب الثلاثة على الشتم والكسائي في رواية برفعها اي هي ناصية كاذبة خاطئة وصفها بالكذب والخطا مجازا والحقيقة صاحبها وذلك اجزل من ان يقال ناصية كاذب خاطئ لانها هي المحدث عنها في قوله لنسفعا بالناصية فليدع ناديه اشارة الى قول ابي جهل وما بالوادي اكثر ناديا مني والمراد اهل النادي وقال — جرير

لهم مجلس صهب السبال اذلة

اي اهل مجلس ولذلك وصف بقوله صهب السبال اذلة وهو امر تعجيز اي لا يقدر على ذلك وفي الحديث لو دعا ناديه لاخذته الملائكة عيانا وقرا الجمهور سندع بالنون مبنيا للفاعل وكتب بغير واو لانها تسقط في الوصل لالتقاء الساكنين وقرا ابن ابي عبلة سيدعى مبنيا للمفعول الزبانية رفع كلا ردع لابي جهل ورد عليه اي لا تطعه اي لا تلتفت الى نهيه وكلامه واسجد امر له بالسجود والمعنى دم على صلاتك وعبر عن الصلاة بافضل الاوصاف التي يكون العبد فيها اقرب الى الله واقترب وتقرب الى ربك وثبت في الصحيحين سجود رسول الله صلى الله عليه وسلم في اذا السماء انشقت وفي هذه السورة وهو من العزائم عند علي ابن ابي طالب وكان مالك يسجد فيها في خاصة نفسه

بسم الله الرحمن الرحيم

انا انزلناه في ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام هي حتى مطلع الفجر مدنية — في قول الاكثر وحكى الماوردي مكية وذكر الواحدي انها اول سورة نزلت بالمدينة وفي الحديث ان اربعة عبدوا الله ثمانين عاما لم يعصوه طرفة عين ايوب وزكريا وحزقيل ويوشع فعجب الصحابة من ذلك فقال يا محمد عجبت امتك من ذلك فقد انزل الله تعالى خيرا من ذلك فقرا انا انزلناه السورة فسر ومناسبتها لما قبلها ظاهرة لما قال اقرا باسم ربك فكانه قال اقرا ما انزلناه عليك من كلامنا انا انزلناه في ليلة القدر والضمير عائد على ما دل عليه المعنى وهو ضمير القرآن قال ابن عباس وغيره انزله الله تعالى ليلة القدر الى السماء الدنيا جملة ثم نجمه على محمد صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة وقال الشعبي وغيره انا ابتدانا انزال هذا القرآن اليك في ليلة القدر وروي ان نزول الملك في حراء كان في العشر الاواخر من رمضان وقيل المعنى انا انزلنا هذه السورة في شان ليلة القدر وفضلها ولما كانت السورة من القرآن جاء الضمير للقرآن تفخيما وتحسينا فليست ليلة القدر ظرفا للنزول بل على نحو قول عمر لقد خشيت ان ينزل في قرآن وقال الزمخشري عظم القرآن من اسناد انزاله اليه مختصا به ومن مجيئه بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه وبالرفع من مقدار الوقت الذي انزل فيه انتهى وفيه بعض تلخيص وسميت ليلة القدر لانه تقدر فيها الآجال والارزاق وحوادث العالم كلها وتدفع الى الملائكة لتمتثله قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما وقال الزهري معناه ليلة القدر العظيم والشرف وعظم الشان من قولك رجل له قدر وقال ابو بكر الوراق سميت بذلك لانها تكسب من احياها قدرا عظيما لم يكن له قبل وترد الطاعات فيها عند الله وقيل سميت بذلك لان كل العمل فيها له قدر وخطر وقيل لانه انزل فيها كتابا ذا قدر على رسول ذي قدر لامة ذات قدر وقيل لانه ينزل فيها ملائكة ذات قدر وخطر وقيل لانه قدر فيها الرحمة على المؤمنين وقال الخليل لان الارض تضيق فيها بالملائكة لقوله ومن قدر عليه رزقه اي ضيق وقد اختلف السلف والخلف في تعيينها اختلافا

سعارصا جرا وبعضهم قال رفعت والذي يدل عليه الحديث انها لم ترفع وان
العشر الاخير يكون فيه وانها في اوتار كما قال عليه السلام التمسوها في
الثالثة والخامسة والسابعة والتاسعة وفي الصحيح من قام ليلة القدر ايمانا و
احتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما ادراك ما ليلة القدر تفخيم لشانها اي لم
تبلغ درايتك غاية فضلها ثم بين له ذلك قال سفيان بن عيينة ما كان في القران
وما ادراك فقد اعلمه وما قال وما يدريك فانه لم يعلمه قيل واخفاها الله عن عباده
ليجدوا في العمل ولا يتكلوا على فضلها ويقصروا في غيرها والظاهر ان الف شهر يراد
به حقيقة العدد وهي ثمانون سنة وثلاثة اعوام وثلث عام والعمل في ليلة القدر
افضل من العمل في هذه الشهور والمراد خير من الف شهر عار من ليلة القدر وعلى
هذا اكثر المفسرين وقال ابو العالية خير من الف شهر رمضان لا تكون فيها
ليلة القدر وقيل لمعنى خير من الدهر كله لان العرب تذكر الالف في غاية الاشيا
كلها قال تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة يعني جميع الدهر وعوتب الحسن بن
علي في تسليمه الامر لمعاوية فقال ان الله اري نبيه عليه السلام في المنام بني امية ينزون
على منبره نزو القردة فاهتم لذلك فاعطاه الله ليلة القدر وهي خير من مدة ملوك
بني امية واعلمه انهم يملكون هذا القدر من الزمان قال القسم بن الفضل الحداني
فعددنا ذلك فاذا هي الف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص يوما وخرج قريبا من معناه
الترمذي وقال حديث غريب انتهى وقيل اخر ملوكهم مروان الجعدي في اخر هذا القدر
من الزمان ولا يعارض بهذا تملك بني امية في جزيرة الاندلس مدة غير هذه لانهم
انما كانوا في بعض اطراف الارض واخر عمارة العرب بحيث كان في اقليم العرب
اذ ذاك ملوك كثيرون غيرهم وذكروا ايضا في تخصيص هذه المدة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف
شهر فعجب المومنون من ذلك وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة خيرا من مدة ذلك
الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله الف
شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد
وقال ابو بكر الوراق ملك كل من سليمان وذي القرنين خمسمائة سنة فصار

الف

الف شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما تنزل الملائكة
والروح فيها تقدم الكلام في الروح اهو جبريل ام رحمة ينزل بها ام ملك غيره ام اشراف
الملائكة ام جند من غيرهم ام حفظة على غيرهم من الملائكة والتنزل اما الى الارض
واما الى سماء الدنيا باذن ربهم متعلق بتنزل من كل امر متعلق بتنزل ومن للسبب
اي تتنزل من اجل كل امر قضاه الله لتلك السنة الى قابل وسلام مستانفا خبر
للمبتدا الذي هو هي اي هي سلام الى اول يومها قاله ابو العالية ونافع المقرئ والفرا
وهذا على قول من قال ان تنزلهم لتقدير الامور لهم وقال ابو حاتم من بمعنى الباء اي بكل
امر وقرا الجمهور من كل امر وابن عباس وعكرمة والكلبي من كل امرئ اي من اجل كل
انسان وقيل يراد بكل امرئ الملائكة اي من كل ملك تحية على المومنين العاملين
فيها بالعبادة وانكر هذا القول ابو حاتم سلام هي اي هي سلام جعلها سلاما لكثرة
السلام فيها قيل لا يلقون مومنا ولا مومنة الا سلموا عليه في تلك الليلة وقال منصور
والشعبي سلام بمعنى التحية اي تسلم الملائكة على المومنين ومن قال ان تنزلهم
لتقدير الامور لهم لسنته جعل الكلام تاما عند قوله باذن ربهم وقال من كل
امر متعلق بقوله سلام هي اي من كل امر مخوف ينبغي ان يسلم منه هي سلام
وقال مجاهد لا يصيب احدا فيها داء وقال ———— صاحب اللوامح وقيل معناه هي
سلام من كل امرئ اي سالمة او مسلمة منه ولا يجوز ان يكون سلام بهذه
اللفظة الظاهرة التي هي المصدر عاملا فيما قبله لامتناع تقدم معمول المصدر
على المصدر كما ان الصلة كذلك لا يجوز تقدمها على الموصول انتهى وعن ابن عباس
تم الكلام عند قوله سلام ولفظة هي اشارة الى انها ليلة سبع وعشرين من الشهر
اذ هذه الكلمة هي السابعة والعشرون من كلمات هذه السورة انتهى ولا يصح مثل هذا عن
ابن عباس وانما هذا من باب اللغز المنزه عنه كلام الله وقرا الجمهور مطلع بفتح
اللام وابو رجا والاعمش وابن وثاب وطلحة وابن محيصن والكسائي وابو عمرو بخلاف
عنه بكسرها فقيل هما مصدران في لغة بني تميم وقيل المصدر بالفتح وموضع الطلوع
بالكسر عند اهل الحجاز

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة رسول من الله يتلوا
صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويوتوا الزكوة وذلك
دين القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك
هم شر البرية جزاوهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه مكية في قول الجمهور وقال ابن الزبير
وعطاء بن يسار مدنية قاله ابن عطية وفي كتاب التحرير مدنية هو قول الجمهور وروى
ابو صالح عن ابن عباس انها مكية واختاره يحيى بن سلام ولما ذكر انزال القران ليلة
القدر والسورة التي قبلها امر اقرا باسم ربك ذكر هنا ان الكفار لم يكونوا منفكين عما
هم عليه من الصحف المطهرة التي امر بها اقرا وقسم الكفار هنا الى اهل الكتاب واهل
اشراك وقرا بعض القراء والمشركون رفعا عطفا على الذين كفروا والجمهور بالجر عطفا
على اهل الكتاب واهل الكتاب اليهود والنصارى والمشركون عبدة الاوثان من العرب
وقال ابن عباس اهل الكتاب اليهود الذين كانوا بيثرب وهم قريظة والنضير
وبنو قينقاع والمشركون الذين كانوا بمكة وحولها والمدينة وحولها قال مجاهد وغيره
لم يكونوا منفكين عن الكفر والضلال حتى جاءتهم البينة وقال الفراء وغيره لم يكونوا
منفكين عن معرفة صحة نبوة محمد عليه السلام والتوكف لامره حتى جاءتهم البينة
فتفرقوا عند ذلك وقال الزمخشري كان الكفار من الفريقين يقولون قبل المبعث لا
ننفك مما نحن فيه من ديننا حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة
والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه وقال ابن عطية
وفي معنى الاية قول ثالث بارع المعنى وذلك انه يكون المراد لم يكن هولاء القوم منفكين
من امر الله تعالى وقدرته ونظره لهم حتى يبعث الله اليهم رسولا منذرا تقوم عليهم به
الحجة وتتم على من امن النعمة فكانه قال ما كانوا ليتركوا سدى ولهذا نظائر في كتاب
الله تعالى انتهى وقيل لم يكونوا منفكين عن نعمائهم حتى تاتيهم البينة والظاهر ان
المعنى لم يكونوا منفكين اي منفصلا بعضهم من بعض بل كان كل منهم مقرا الاخر على ما
هو عليه مما اختاره لنفسه هذا من اعتقاده في شريعته وهذا من اعتقاده في اصنامه

والمعنى

والمعنى انه اتصلت مودتهم واجتمعت كلمتهم الى ان اتتهم البينة وقيل معنى منفكين هالكين
من قولهم انفك صلا المراة عند الولادة وهو ان ينفصل فلا يلتئم فالمعنى لم يكونوا معذبين
ولا هالكين الا بعد قيام الحجة عليهم بارسال الرسل وانزال الكتب انتهى ومنفكين اسم فاعل
من انفك وهي التامة وليست الداخلة على المبتدا والخبر وقال بعض النحاة هي الناقصة
ويقدر منفكين عارفين امر محمد ونحو هذا وخبر كان واخواتها لا يجوز حذفه لا اقتصارا
ولا اختصارا نص على ذلك اصحابنا ولهم علة في منع ذلك ذكروها في علم النحو وقالوا في
قوله حين ليس مجير اي في الدنيا فحذف الخبر انه ضرورة البينة الحجة الجلية وقرا الجمهور
رسول بالرفع بدلا من البينة وابي وعبد الله بالنصب حالا من البينة يتلوا صحفا اي يقرا مـ
ـطهرة من الباطل فيها كتب مكتوبات قيمة مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب اي من المشركين وانفصل بعضهم من بعض فقال كل ما يدل عليه على صحة
قوله الا من بعد ما جاءتهم البينة وكان يقتضي مجيء البينة ان يجتمعوا على اتباعها وقال
الزمخشري كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم
عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجيء الرسول وقال ايضا افرد اهل الكتاب يعني في قوله وما
تفرق الذين اوتوا الكتاب بعد جمعهم والمشركين قيل لانهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم
فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له ادخل في هذا الوصف والمراد بتفرقهم
تفرقهم عن الحق او تفرقهم فرقا فمنهم من امن ومنهم من انكر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند
قال ابن عطية ذكر تعالى مذمة من لم يومن من اهل الكتاب من انهم لم يتفرقوا
في امر محمد عليه السلام الا من بعد ما راوا الايات الواضحة وكانوا من قبل متفقين على
نبوته وصفته فلما جاء من العرب حسدوه انتهى وقرا الجمهور مخلصين بكسر اللام والحسن
بفتحها اي يخلصون هم انفسهم في نياتهم وانتصب الدين اما على المصدر ليعبدوا
اي ليدينوا الله بالعبادة الدين واما على اسقاط في اي في الدين والمعنى وما امروا اي
في كتابيهما بما امروا به الا ليعبدوا حنفاء اي مستقيمين الطريقة مائلين عن طريق الضلال
الى طريق الهداية وذلك دين القيمة اي الامة المستقيمة وقال محمد بن الاشعث الطالقاني
القيمة هنا الكتب التي جرى ذكرها كانه لما تقدم لفظ قيمة نكرة كانت الالف
واللام في القيمة للعهد كقوله كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول

وقرأ عبد الله وذلك الدين القيمة فالهاء فيه في هذه القراءة للمبالغة أو أنثه على أن عنى
بالدين الملة كقوله ما هذه الصوت يريد ما هذه الصيحة وذكرنا في مفرد الأسما
وخير البرية جميع الخلق وقرأ الأعرج وابن عامر ونافع البريئة بالهمز من برأ
بمعنى خلق والجمهور بشد اليا فاحتمل أن يكون أصله الهمز ثم سهل بالإبدال وأدغم
واحتمل أن يكون من البرا وهو التراب قال ابن عطية وهذا الاشتقاق يجعل الهمز
خطأ وهو اشتقاق غير مرضي انتهى ولا يجعله خطأ بل قراءة الهمز مشتقة من برأ وغير
الهمز من البرا والقراءتان قد تختلفان في الاشتقاق وتكون بمعناها أو بمعنيها فهو اشتقاق
مرضي وحكم على الكفار من الفريقين بالخلود في النار وبكونهم شر البرية
وبدأ بأهل الكتاب لأنهم كانوا يطعنون في نبوته وجنايتهم أعظم لأنهم أنكروه
مع العلم به وشر البرية ظاهره العموم وقيل شر البرية الذين عاصروا الرسول إذ لا
يبعد أن يكون في كفار الأمم من هو شر من هؤلاء كفرعون وعاقر ناقة صالح وقرأ
الجمهور خير البرية مقابل شر البرية وحميد وعامر بن عبد الواحد خيار البرية
جمع خير كجيد وجياد ونقيضه السوء والضحى وتقدم شرح ذلك أفرادا وتركيبا
السـ... نه صعن حمار ربعه وقال ابن مجير إذا امضى الحاجول
وقال امرؤ القيس

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الإتب منها لأثرا

وقال الزمخشري شعاع الشمس من الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان ما لها
يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ٤٠
مكية في قول ابن عباس ومجاهد وعطا مدنية في قول قتادة ومقاتل لأن آخرها
نزل بسبب رجلين كانا بالمدينة ولما ذكر فيما قبلها كون الكفار يكونون
في النار وجزاء المؤمنين وكأن قائلا قال متى ذلك فقال إذا زلزلت الأرض زلزالها
والعامل فيها مضمر يدل عليه مضمون الجمل الآتية تقديره تحشرون وقيل اذكر

وقال

وقال الزمخشري كذا ... وأضاف الزلزال إلى الأرض إذ المعنى زلزالها
الذي تستحقه ويقتضيه جرمها وعظمها ولو لم يضف لصدق على كل
قدر من الزلزال وإن قل والفرق بين أكرمت زيدا إكراما وكرامة واضح
وقرأ الجمهور زلزالها بكسر الزاي وعيسى والجحدري وعيسى بفتحها قال ابن عطية وهو
مصدر كالوسواس وقال الزمخشري المكسور مصدر والمفتوح اسم فجعله غير
مصدر وأما فعلال بالفتح ثم قد يجي بمعنى اسم الفاعل ومفعول فصلصال في
معنى مصلصل وصلصال في معنى مصلصل وأما قوله وليس في الأبنية إلى
قوله فعدد وجدنا فعلال بالفتح من غير المضاعف قالوا ناقة بها خزعال بمعنى
الظلع وليس بمضاعف وأخرجت الأرض أثقالها جعل ما في بطنها أثقالا لها وقال
النقاش والزجاج ومنذر بن سعيد أثقالها كنوزها وموتاها ورد بأن الكنوز
إنما تخرج وقت الدجال لا يوم القيامة وقيل ذلك يقول هذا الزلزال يكون
في الدنيا وهو من أشراط الساعة وزلزال يوم القيامة لقوله يوم ترجف الراجفة
تتبعها الرادفة فلا يرد عليه بذلك إذ قد أخذ الزلزال عاما باعتبار
وقتيه ففي الأول أخرجت كنوزها وفي الثاني أخرجت موتاها وصدق أنها
زلزلت زلزالها وأخرجت أثقالها وقيل أثقالها كنوزها ومنه تلقي الأرض
أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة وقال ابن عباس
موتاها وهو إشارة إلى البعث وذلك عند النفخة الثانية فهو زلزال يوم القيامة
لا الزلزال الذي هو من أشراط الساعة وقال الإنسان ما لها على معنى التعجب
لما يرى من الهول والظاهر عموم الإنسان يقول ذلك الكافر لأنه يرى ما لم يقع
في ظنه ولا صدقه والمؤمن وإن كان مؤمنا بالبعث فإنه استهول المرأى وفي
الحديث ليس الخبر كالمعاينة وقال الجمهور الإنسان هو الكافر يرى ما لم يظن
يومئذ أي يوم إذ زلزلت وأخرجت تحدث ويومئذ بدل من إذا فيعمل فيه لفظ
العامل في المبدل منه أو المكرر على الخلاف في العامل في البدل تحدث أخبارها الظاهر
أنه تحديث وكلام حقيقة بأن يخلق فيها حياة وإدراكا فتشهد بما عمل عليها من صالح
أو فاسد وهو قول ابن مسعود والثوري وغيرهما ويشهد له ما جاء في الحديث من

قوله فانه لا يسمع مدى صوت المؤذن انس ولا جن ولا شيء الا شهد له يوم القيامة
وما جاء في الترمذي عنه عليه السلام هذه الآية قال اتدرون
ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال ان اخبارها ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل
على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا فهذه اخبارها هذا حديث حسن وقال الطيبي
وقوله التحديث مجاز عن احداث الله فيها من الاحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان
حتى ينظر من يقول ما لها الى تلك الاحوال فيعلم مقام التحديث باللسان حتى
ينظر من يقول ما لها الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الاموات
وان هذا ما كانت الانبياء عليهم السلام ينذرونه ويحذرون منه وقال
يحيى بن سلام تحدث بما اخرجت من اثقالها وهذا قول من زعم ان الزلزلة
هي التي من اشراط الساعة وفي سنن ابن ماجه حديث في اخبر تقول الارض
يوم القيامة يا رب هذا ما استودعتني وعن ابن عباس تحدث بقيام الساعة
اذا قال الانسان ما لها فتخبر ان امر الدنيا قد انقضى وامر الاخرة قد اتى
فيكون ذلك جوابا لهم عند سؤالهم وتحدث هنا يتعدى الى اثنين والاول
محذوف اي تحدث الناس وليس بمعنى اعلم المنقولة من علم المتعدية الى اثنين
فيتعدى الى ثلاثة بان ربك اوحى لها اي بسبب ايحاء الله فالباء متعلقة بتحدث
قال الزمخشري ويجوز ان يكون المعنى يومئذ تحدث ان ربك اوحى لها اخبارها
على ان تحدثها بان ربك اوحى لها تحدث اخبارها كما تقول نصحتني كل نصيحة
بان نصحتني في الدين ثم قال وهو كلام فيه عفش ينزه القرآن عنه وقال ايضا
ويجوز ان يكون بان ربك بدلا من اخبارها كانه قيل يومئذ تحدث باخبارها
بان ربك اوحى لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا انتهى واذا كان الفعل
تارة يتعدى بحرف جر وتارة يتعدى بنفسه وحرف الجر ليس بزائد فلا يجوز في
تابعه الا الموافقة في الاعراب فلا يجوز استغفرت الذنب العظيم بنصب الذنب
وجر العظيم لجواز انك تقول من الذنب ولا اخترت زيدا للرجال الكرام بنصب
الرجال وخفض الكرام وكذلك لا يجوز ان تقول استغفرت من الذنب العظيم
بجر الذنب ونصب العظيم وكذلك في اخترت فلو كان حرف الجر زائدا جاز الاتباع

على موضع الاسم بشروطه المحررة في علم النحو تقول ما رايت من رجل عاقلا
لان من زائدة ومن رجل عاقل على اللفظ ولا يجوز نصب رجل وجر عاقل
على مراعاة جواز دخول من وان ورد شيء من ذلك فبابه الشعر وعدى
اوحى باللام لا بالى وان كان المشهور تعديتها بالى لمراعاة الفواصل وقال
العجاج يصف الارض

٤٠ اوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت

فعداها باللام وقيل الموحى اليه محذوف اي اوحى الى ملائكته المصرفين ان تفعل
في الارض من تلك الافعال واللام في لها للسبب اي من اجلها ومن اجل الافعال
فيها واذا كان الايحاء اليها احتمل ان يكون وحي الهام واحتمل ان يكون برسول
من الملائكة يومئذ يصدر الناس انتصب يومئذ بيصدر ويصدر والمصدر يكون
عن ورود فقال الجمهور هو كونهم في الارض مدفونين والصدر قيامهم للبعث واشتاتا
جمع شت اي فرقا مؤمن وكافر ومؤمن وعاص سائرون الى العرض ليروا اعمالهم
وقال النقاش الصدر قوم الى الجنة وقوم الى النار وورده هو ورود المحشر فعلى
الاول ليروا جزاء عمله وما يعقب عليه وعلى قول النقاش ليروا جزاءه وهو الجنة والنار
والظاهر تعلق ليروا بقوله يصدر وقيل باوحى لها وما بينهما اعتراض وقال ابن عباس
اشتاتا متفرقين على قدر اعمالهم اهل الايمان على حدة واهل كل دين وقال الزمخشري
اشتاتا بيض الوجوه امنين وسود الوجوه فزعين انتهى ويحتمل ان يكون اشتاتا اي
كل واحد وحده لا ناصر له ولا عاصم كقوله ولقد جئتمونا فرادى وقرا الجمهور
ليروا بضم الياء والحسن والاعرج وقتادة وحماد بن سلمة والزهري وابو حيوة وعيسى
ونافع في رواية بفتحها والظاهر تخصيص العامل اي فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من
السعداء لان الكافر لا يرى خيرا في الاخرة وتعميم من يعمل مثقال ذرة شرا من الفريقين
لانه تقسيم جاء بعد قوله يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم وقال ابن عباس هذه
الاعمال في الاخرة خيرا لها نحن ويعجل له في دنياه والمؤمن يعجل له سيئاته
الصغائر في دنياه في المصائب والامراض ونحوها وما عمل من شر او حسن راه ونبه
بقوله مثقال ذرة على ان ما فوق الذرة يراه قليلا كان او كثيرا وهذا يسمى

معنى مفهوم الخطاب وهو ان يكون المذكور المسكوت عنه بالاولى في ذلك الحكم كقوله
ولا تقل لهما اف والظاهر انتصاب خيرا وشرا على التمييز لان مثقال ذرة
مقدار وقيل بدل من مثقال وقرا الجمهور بفتح اليا فيهما اي يرى جزاءه من ثواب
وعقاب وقرا الحسن بن علي وابن عباس وعبد الله بن مسلم وزيد بن علي والكلبي
وابو حيوة وخليد بن نشيط وابان عن عاصم والكسائي في رواية حميد
ابن الربيع عنه بضمها وهشام وابو بكر بسكون الها فيهما وابو عمرو بضمها
مشبعتين وباقي السبعة باشباع الاولى وسكون الثانية والاسكان في الوصل
لغة حكاها الاخفش ولم يحكها سيبويه وحكاها الكسائي ايضا عن بني كلاب
وبني عقيل وفي بعض الروايات يرونه بضم وقال النقاش ليست يرونه بصرا وانما
المعنى يصيبه وينا[illegible] وقرا عكرمة يراه بالالف فيهما وذلك على لغة من يرى
الجزم بحذف الحركة المقدرة في حروف العلة حكاها الاخفش او على توهم ان من موصوله
لا شرطية كما قيل في انه من يتق ويصبر في قراءة من اثبت ياء يتقي وجزم يصبر توهم
ان من شرطية لا موصولة فجزم ويصبر عطفا على التوهم العاديات
الجاريات بسرعة فهو وصف وما في المفسر الخلاف في الموصوف الضبح
تصويت جهير عند العدو الشديد ليس بصهيل ولا رغاء ولا نباح بل هو غير المعتاد
من صوت الحيوان الذي يضبح وعن ابن عباس يضبح من الحيوان غير الخيل والكلاب
ولا يصح عن ابن عباس ان الابل تضبح والاسود من الحيات والبوم والصدى
والارنب والثعلب والقوس كلها استعملت العرب لها الضبح انشد ابو حنيفة
في صفة قوس الثعلب

حنانة من نشم او تالب تضبح في الكف ضباح الثعلب

وقال اهل اللغة اصله للثعلب فاستعير للخيل وهو من ضبحته النار غيرت لونه ولم
تبالغ فيه والضبح لونه يضرب الى السواد وقال ابو عبيدة الضبح والضبع بمعنى
العدو الشديد وكذا قال المبرد الضبح من اصاغها في اسنة القدح الصكك
وقيل الاستخراج منه قدحت العين اخرجت منها الفاسد والقداح والقداحة
والمقدحة ما يورى به النار اغار على العدو فصدت لنهب او قتل او اسار النقع

قال [illegible] يخرجن من مستطار النقع دامية كان اذانها اطراف اقلام
وقال ابن رواحة

عدمت بنيتي ان لم تروها تثير النقع من كنفي كداء

وقال ابو عبيدة النقع رفع الصوت
ومنه قول لبيد

فمتى ينقع صراخ صادق يحلبوها ذات جرس وزجل

الكنود الكفور للنعمة قال

كنود لنعماء الرجال ومن يكن كنودا لنعمى الرجال يبعد

وعن ابن عباس الكنود بلسان كندة وحضرموت العاصي وبلسان ربيعة ومضر الكفور
وبلسان كنانة البخيل والمذكور وحضرموت وقال الكند النعمة كنودا وقال ابو
زيد في البخيل

ان نفسي لم تطب عنك نفسا غير اني امنى بدهر كنود

حصل الشيء جمعه وقيل ميز من غيره ومنه قيل للنخل المنخل وحصل الشيء ظهر واستبان

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فاثرن به نقعا فوسطن به
جمعا ان الانسان لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد افلا يعلم
اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير
مكية في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء مدنية في قول ابن عباس
وانس وقتادة لما ذكر فيما قبلها [illegible] تهديدا ووعيدا بيوم القيامة اتبع ذلك بتعسف
لمن لا يستعد لذلك اليوم ومن اثر امر دنياه على امر اخرته والجمهور من اهل التفسير
واللغة على ان العاديات هنا الخيل تعدو في سبيل الله وتضبح حالة عدوها وقال عنتر

والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا

وقال عبد الله وعلي وابراهيم والسدي ومحمد بن كعب وعبيد بن عمير العاديات
الابل [illegible] تعدو من عرفة ومن المزدلفة اذا دفع الحاج وقال علي [illegible] بدر
لم يكن فيها غير فرسين فرس للزبير وفرس للمقداد وفي [illegible] على ابن عباس [illegible]

ثمارها ورجع ابن عباس الى قول علي وقال لصفية بنت عبد المطلب فلا والعاديات
غداة جمع بايديها اذا سطع الغبار واصبحن ضبحا على اضمار فعل اي يضبحن ضبحا
او على انه في موضع الحال اي ضابحات او على المصدر على قول ابي عبيد ان معناه
العدو الشديد فهو منصوب بالعاديات وقال الزمخشري او بالعاديات كانه قيل والضابحات
لان الضبح يكون مع العدو اي واذا كان الضبح مع العدو فالعاديات تكون في معنى العاديات
معنى الضابحات مثلا فينبغي ان يفسر به فالموريات قدحا والايراء اخراج النار اي
تقدح بحوافرها الحجارة فيتطاير منها النار لصك بعض الحجارة بعضا ويقال قدح
فاورى وقدح فاصلد وتسمى تلك النار التي تقدحها الحوافر من الخيل او الابل
الحباحب قال

تقد السلوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الحباحب

وقيل فالموريات قدحا مجاز واستعارة في الخيل تشعل الحرب قاله قتادة وقال تعالى
كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويقال حمي الوطيس اذا اشتد الحرب وقال
ابن عباس ومجاهد وزيد بن اسلم الموريات الجماعة التي تمكر في الحرب والعرب تقول
اذا اردت المكر بالرجل والله لامكرن بك ثم لاورين لك وعن ابن عباس ايضا
الجماعة التي تورى نارها بالليل لحاجتها وطعامها وعنه ايضا جماعة الغزاة تكثر النار ارهابا
وقال عكرمة السنة الرجال تورى النار من عظيم ما تتكلم به وتظهر من الحجج والدلائل
والمكار واظهار الحق وابطال الباطل فالمغيرات صبحا اي تغير على العدو في الصبح ومن قال هي
الابل قال العرب تقول اغار اذا عدا جريا اي من مزدلفة الى منى او الى بدر وفي
هذا دليل على ان هذه الاوصاف لذات واحدة لعطفها بالفاء التي تقتضي التعقيب
والظاهر انها الخيل التي يجاهد عليها العدو من الكفار ولا يستدل على انها الابل بوقعة
بدر وانه لم يكن فيها الا فرسان لانه لم يذكر ان سبب نزول هذه السورة هو وقعة
بدر ثم من بعد ذلك ما كان يوجد الابل يجاهد عليها في سبيل الله الا الخيل
فاثرن به نقعا وعزبها ما اثرت معطوف على اسم الفاعل الذي هو صلة الا انه
في معنى الفعل اذ تقديره فاللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن وقال الزمخشري
معطوف على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه انتهى وتقول اصحابنا هو معطوف

على الاسم لانه في معنى الفعل وقرا الجمهور فاثرن فوسطن بتخفيف الثاء والسين وابو حيوة
وابن ابي عبلة بتشديدهما وعلي وزيد بن علي وقتادة وابن ابي ليلى بتشديد السين وقال الزمخشري
وقرا ابو حيوة بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار
او قلب ثورن الى وثرن وقلب الواو همزة وقرئ فوسطن بالتشديد للتعدية
والباء مزيدة للتوكيد كقوله واتوا به وهي مبالغة في وسطن انتهى اما قوله او قلب
فيحتاج الى ذلك اما ان التشديد للتعدية فقد نقلوا ان وسط مخففا ومثقلا بمعنى
واحد وانهما لغتان والضمير به عائد في الاول على الصبح مثلا او على النقع اي
وسطن بالنقع الجمع فتكون الباء للتعدية او يكون به في موضع الحال اي وسطن ملتبسا
بالنقع جمعا من الاعداء ويكون وسطه بمعنى توسطه وقال علي وعبد الله فوسطن به
جمعا اي الابل وجمعا اسم للمزدلفة وليس لجمع من الناس وقال بشر بن ابي خازم

فوسطن جمعهم واقلت حاجب تحت العجاجة في الغبار الاقتم

وقيل الضمير به معا يعود على المكان الذي يقتضيه المعنى وان لم يجر له ذكر لدلالة
والعاديات وما بعدها عليه وقيل يعود على العدو الدال عليه والعاديات ايضا وقيل
المراد بالنقع هنا الصياح والظاهر ان المقسم به هو جنس العاديات وليست الالف فيه
للعهد والمقسم عليه ان الانسان لربه لكنود وفي الحديث الكنود الذي ياكل وحده
ويمنع رفده ويضرب عبده وقال ابن عباس والحسن هو الجحود لنعم الله وعن الحسن
ايضا هو اللائم لربه يعد السيئات وينسى الحسنات وقال الفضيل هو الذي
انسته سيئة واحدة حسنات كثيرة ويعامل الله على عوض وقال عطاء هو الذي
لا يعطي في النائبات مع قومه وقيل البخيل وقال ابن عيسى ارض كنود لا تنبت شيئا
والظاهر عود الضمير وانه على ذلك لشهيد اي يشهد على كنوده ولا يقدر ان يجحده
لظهور امره وقاله الحسن ومحمد بن كعب وقال ابن عباس وقتادة هو عائد على
الله تعالى اي وربه شاهد عليه وهو على سبيل الوعيد وقال التبريزي
هو الاصح لان الضمير يجب عوده الى اقرب مذكور ويكون ذلك كالوعيد والزجر
عن المعاصي انتهى ولا ترجيح بالقرب الا اذا تساويا من حيث المعنى والانسان هنا هو
المحدث عنه والمسند اليه الكنود وايضا فتناسق الضماير لواحد مع صحة المعنى

اولاستحلها المخالفين ولا سيما اذا توسط الحصن من جمع بني عابد على واحد وانه اي
وان الانسان لحب الخير اي المال لشديد اي قوي في حبه وقيل لبخيل بماله
ضابط له ويقال للبخيل شديد ومتشدد وقال طرفة

ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد

قال الحسن وعكرمة الخير حيث وقع في القرآن هو المال قال ابن عطية ويحتمل ان يراد
هذا الخير الدنياوي من مال وصحة وجاه عند الملوك لان الكفار والجهال
لا يعرفون غير ذلك فاما المحب في خير الآخرة فممدوح مرجو له الفوز قال الفراء نظم
الآية ان يقال وانه لشديد الحب للخير فلما تقدم الحب قال لشديد وحذف من آخره
ذكر الحب لانه قد جرى ذكره ولرؤوس الآي كقوله تعالى في يوم عاصف الريح اي
وقال غيره ما معناه انه ليس اصله ذلك التركيب بل اللام في لحب لام العلة اي وانه
لاجل حب المال لبخيل او وانه لحب المال وايثاره قوي مطيق وهو لحب عبادة الله
وشكر نعمته ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان
مطيقا له ضابطا قال الزمخشري او اراد وانه لحب الخيرات غير هش منبسط
ولكنه افلا يعلم توقيف على ما يؤول اليه الانسان ومفعول يعلم محذوف وهو
العامل في الظرف اي افلا يعلم ماله اذا بعثر وقاله الحوفي واذا ظرف مضاف الى
بعثر والعامل فيه يعلم اي ... وليس بمتضح لان المعنى افلا يعلم الآن وقرأ الجمهور
بعثر بالعين مبنيا للمفعول وقرأ عبد الله بالحاء وقرأ الاسود بن يزيد وقرأ
نصر بن عاصم بحثر على بنائه للفاعل والجمهور مبنيا للمفعول وقرأ ابن يعمر ايضا ونصر
ابن عاصم وحصل مبنيا للفاعل خفيفة الصاد والمعنى جمع ما في الصحف اي
اظهر محصلا مجموعا وقيل ميز وكشف ليقع الجزاء عليه وقرأ الجمهور ان بكسر الهمزة
وخبرها باللام وهو استئناف اخبار والعامل في بهم وفي يومئذ لخبير وهو
تعالى خبير دائما لكنه ضمن خبير معنى مجاز لهم في ذلك اليوم وقرأ ابو السمال والحجاج
بفتح الهمزة واسقاط اللام ويظهر في هذه القراءة ان يتسلط يعلم على ان لكنه لا يمكن
اعمال خبير في اذا لكونه في صلة ان المصدرية لكنه يمكن ان يقدر له عامل فيه من
معنى الكلام كانه قال خبير بهم اذا بعثر وعلى هذه القراءة يكون ان تكون يعلم معلقة

عن

عن العمل في اذا الجمهور وسدت مسد المفعولين وفي وجودها اللام ظاهرا في موضع نصب
واذا العامل فيها من معنى مضمون الجملة تقديره كما قلنا خبير بهم اذا بعثر الفراش قال الفراء
هو الهمج الطائر من بعوض وغيره ومنه الجراد ويقال هو اطيش من فراشة قال الشاعر

وقد كان اقوام رددت قلوبهم عليهم وكانوا كالفراش من الجهل

وقال

فراشة الحلم فرعون العذاب وان يطلب نداه فكلب دونه كلب

نفشت العطن والصوف فرقت ما كان ملبدا من اجزائه

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون
الجبال كالعهن المنفوش فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت
موازينه فامه هاوية وما ادراك ما هيه نار حامية

مكية ومناسبتها لما قبلها ظاهرة لانه ذكر وقت بعثرة القبور وذلك هو وقت
الساعة وقال الجمهور القارعة القيامة نفسها لانها تقرع القلوب بهولها وقيل صيحة
النفخة في الصور لانه تقرع الاسماع وفي ضمن ذلك القلوب وقال الضحاك هي النار
ذات التغيظ والزفير وقرأ الجمهور القارعة ما القارعة بالرفع فما استفهام فيه معنى
الاستعظام والتعجب وهو مبتدأ والقارعة ... وتقدم تفسير ذلك في الحاقة ما الحاقة
وفي قوله في واصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة وقال الزجاج هو تحذير والعرب
تحذر وتغري بالرفع كالنصب قال الشاعر

لجديرون بالوفاء اذا قال اخو النجدة السلاح السلاح

وقرأ عيسى بالنصب وتخريجه على انه منصوب باضمار فعل اي اذكروا القارعة وما زائدة
للتوكيد والقارعة تاكيد لفظي للاول وقرأ الجمهور يوم بالنصب وهو ظرف العامل
فيه قال ابن عطية القارعة فان كان يعني القارعة اللفظ الاول فلا يجوز الفصل بين
العامل وهو في صلة ال والمعمول بالخبر وهو لا يجوز وكذلك لو صار القارعة علما للقيامة
لا يجوز ايضا وان كان يعني اللفظ الثاني او الثالث فلا يلتئم معنى الظرف معه وقال
الزمخشري الظرف نصب بمضمر دل عليه القارعة اي تقرع يوم يكون وقال الحوفي

يأتي يوم يكون وقيل اذكر يوم ويجوز ان يعمل فيه يكون مرفوع القارعة اي وقعها يوم
يكون الناس كالفراش المبثوث قال ابن عباس هو الطير الذي يتساقط في النار وقال
الفراء غوغاء الجراد وهو صغيره الذي ينتشر في الارض يركب بعضهم بعضا من الهول وقيل
الفراش طير دقيق يقصد النار ولا يزال يتقحم على المصباح ونحوه حتى يحترق شبهوا في
الكثرة والانتشار والضعف والذلة والمجيء والذهاب على غير نظام والتطاير الى
الداعي من كل جهة حين يدعوهم الى ناحية المحشر بالفراش المتطاير الى النار قال جرير

ان الفرزدق ما علمت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلي

وهون من الناس والجبال شبهها على ما سنبين لتفرقها في الحال حين صارت كالعهن
المنفوش فكيف يكون حال الانسان عند سماعها وتقدم الكلام في الموازين ونقلها و
خفتها في الاعراف وعيشة راضية في الحاقة فامه هاوية قيل الهاوية درك من دركات
النار وامه معناه مأواه كما قيل للارض ام الناس لانها تأويهم وكما قال عتبة بن ابي
سفيان في الحرب فنحن بنوها وهي امنا وقال ابن عباس وابو صالح وعكرمة فام راسه هاوية
في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا وقيل هو تفاؤل بشر واذا دعوا بالهلكة قالوا هوت
امه لانه اذا هوى اي سقط وهلك فقد هوت امه لانه اذا هوى اي سقط وهلك
فقد هوت امه ثكلا وحزنا قال

هوت امه ما يبعث الصبح غاديا وماذا يرد الليل حين يؤوب

وقرأ الجمهور فامه بضم الهمزة وطلحة بكسرها قال ابن خالويه وحكى ابن دريد انها لغة واما
النحويون فيقولون لا يجوز كسر الهمزة الا ان يتقدمها كسرة او ياء وما ادراك
ماهيه هي ضمير يعود على هاوية ان كانت كما قيل درك من دركات النار معروفة بهذا
الاسم وان كانت بغير ذلك مما قيل فيها فهي ضمير الداهية التي دل عليها قوله فامه هاوية والهاء
في ماهيه هاء السكت وحذفها في الوصل ابن ابي اسحاق والاعمش وحمزة واثبتها الجمهور
نار حامية خبر مبتدأ محذوف اي هي نار بلغت النهاية في الحرارة على سبيل الزيادة والتكثير

بسم الله الرحمن الرحيم الهاكم التكاثر
حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا
لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم

مكية في قول جميع المفسرين وقال البخاري مدنية ومناسبتها لما قبلها ظاهرة وسبب نزولها
انه فيما روى الكلبي ومقاتل كان بين بني سهم وبني عبد مناف لحاء فتعادوا الاشراف
الاحياء ايهم اكثر فكثرهم بنو عبد مناف ثم تعادوا بالاموات فكثرهم بنو سهم لانهم كانوا
اكثر عددا في الجاهلية وقال ابن عباس نزلت في اليهود قالوا نحن اكثر من بني فلان وبنو فلان
وقال ابن زيد نزلت في بطن من الانصار الهاكم شغلكم فعلى ما روى الكلبي ومقاتل المعنى
انكم تكاثرتم بالاحياء حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر
عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكما بهم وهذا معنى ينبو عنه لفظ زرتم وقيل حتى
زرتم اي متم وزرتم باجسادكم مقابرها اي قطعتم بالتكاثر والتفاخر بالاموال والاولاد
والعدد اعماركم حتى متم وسمع بعض الاعراب حتى زرتم فقال بعث القوم للقيامة ورب الكعبة
فان الزائر منصرف لا مقيم وعن عمر بن عبد العزيز نحو من قول الاعرابي وقيل هذا تانيب
على الاكثار من زيارة القبور تكثرا بمن سلف واشادة بذكره
وكان عليه السلام نهى عن زيارة القبور ثم قال فزوروها امر اباحة للاتعاظ بها لا
لمعنى المباهاة والتفاخر قال ابن عطية كما يصنع الناس في ملازمتها وتسنيمها بالحجارة
والرخام وتلوينها شرفا وبنيان النواويس عليها انتهى وابن عطية لم ير الا قبور اهل
الاندلس فكيف لو رأى ما يتباهى به اهل مصر في مدافنهم بالقرافة الكبرى والقرافة
الصغرى وباب النصر وغير ذلك وما يضيع فيها من الاموال لتعجب من ذلك ولرأى
ما لم يخطر له ببال واما التباهي بالزيارة ففي هؤلاء المنتمين الى الصوف لشيخ يشغل
الان زيارة القبور زرت قبر سيدي فلان بكذا وقبر فلان بكذا وقبر فلان بكذا
والشيخ فلان بكذا فيذكرون اقاليم طافوها على قدم التجريد وقد حفظوا حكايات عن
اصحاب تلك القبور واولئك الشيوخ بحيث لو كتبت لجاءت اسفارا وهم مع ذلك لا يعرفون
فروض الوضوء ولا سننه وقد سخر لهم الملوك وعوام الناس في تحسين الظن بهم وبذل
اموالهم واما من شذا منهم لان يتكلم للعامة فيأتون بعجائب يقولون هذا من
من العلم اللدني علم الخضر حتى ان من ينتمي الى العلم لما رأى رواج هذه الطائفة
سلك مسلكهم ونقل كثيرا من حكاياتهم ومزج ذلك بشيء من العلم طلبا للمال والجاه
ونقل كثير من حكاياتهم ومزج ذلك وتقبيل اليد ونحن نسأل الله تعالى ان يوفقنا

لطاعته وقرأ الجمهور ألهاكم على الخبر وابن عباس وعائشة ومعاوية وأبو عمران الجوني
وأبو صالح ومالك بن دينار وأبو الجوزاء وجماعة بالمد على الاستفهام وقد روي كذلك
عن الكلبي ويعقوب وعن أبي بكر الصديق وابن عباس أيضا والشعبي وأبي العالية وابن
أبي عبلة والكسائي في رواية أألهاكم بهمزتين ومعنى الاستفهام التوبيخ والتقرير على
قبح فعلهم والجمهور على أن الكلام مؤكد قال الزمخشري والتكرير تأكيد للردع والإنذار
وثم دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد كما تقول للمنصوح أقول لك ثم أقول
لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء
الله وقال علي بن أبي طالب كلا سوف تعلمون في القبور ثم كلا سوف تعلمون في البعث
غاير بينهما بحسب التعلق وبقي ثم على بابها من المهلة في الزمان وقال الضحاك الزجر
الأول ووعيد للكافرين والثاني للمؤمنين كلا لو تعلمون أي ما بين أيديكم مما تقدمون
عليه علم اليقين أي كعلم ما تستيقنونه من الأمور لما ألهاكم التكاثر أو العلم اليقين
فأضاف الموصوف إلى صفته وحذف الجواب لدلالة ما قبله عليه وهو ألهاكم التكاثر و
قيل اليقين هنا الموت وقال قتادة البعث لأنه إذا جاء زال الشك ثم قال لترون الجحيم
والظاهر أن هذه الرؤية هي رؤية الورود كما قال وإن منكم إلا واردها ولا تكون
رؤيته عند الدخول فيكون الخطاب للكفار لأنه قال بعد ذلك ثم لتسألن يومئذ عن
النعيم ثم لترونها عين اليقين تأكيدا للجملة التي قبلها وزاد التوكيد بقوله عين اليقين نفيا
لتوهم المجاز في الرؤية الأولى وعن ابن عباس هو خطاب للمشركين فالرؤية رؤية دخول
وقرأ ابن عامر والكسائي لترون بضم التاء وباقي السبعة بالفتح وعلي وابن كثير
في رواية وعاصم في رواية بفتحها في لترون وضمها في لترونها ومجاهد والأشهب وابن
أبي عبلة بضمها وروي عن الحسن وأبي عمرو بخلاف عنهما أنهما همزا الواوين استثقلوا
الضمة على الواو فهمزوا كما همزوا في وقتت وكان القياس أن لا تهمز لأنها حركة عارضة
لالتقاء الساكنين فلا يعتد بها لكنها لما تمكنت من الكلمة بحيث لا تزول أشبهت الحركة الأصلية
فهمزوا وقد همزوا من الحركة العارضة ما يزول في الوقف نحو اشتروا الضلالة فهمز
هذه أولى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم الظاهر العموم في النعيم وهو كل ما يتلذذ به من
مطعم ومشرب ومفرش ومركب فالمؤمن يسأل سؤال إكرام وتشريف والكافر

سؤال

سؤال توبيخ وتقريع وعن ابن مسعود والشعبي وسفيان ومجاهد هو الأمن
والصحة وعن ابن عباس البدن والحواس فيم استعملها وعن ابن جبير كل ما يتلذذ به
وفي الحديث بيت يكنك وخرقة تواري بها سوءتك وكسرة تشد قلبك وما سوى ذلك فهو نعيم

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر
مكية في قول الجمهور ابن عباس وابن الزبير والجمهور ومدنية في قول مجاهد وقتادة ومقاتل
ومناسبتها لما قبلها لما قال فيما قبلها ألهاكم التكاثر ووقع التهديد بتكراره كلا سوف تعلمون بين
حال المؤمن والكافر والعصر قال ابن عباس هو الدهر يقال فيه عصر وعصر وعصر أقسم به
تعالى لما في مروره من أصناف العجائب وقال قتادة العصر العشي أقسم به كما
أقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة وقيل العصر اليوم والعصر الليلة ومنه قول حميد بن ثور
ولن يلبث العصران يوم وليلة إذا طلبا أن يدركا ما تيمما
وقيل العصر بكرة والعصر عشية وهما الأبردان فعلى هذا والقول قبله يكون
المقسم به أحدهما غير معين وقال مقاتل العصر هنا الصلاة الوسطى أقسم بها وبهذا
القول بدأ الزمخشري قال لفضلها بدليل قوله والصلاة الوسطى صلاة العصر في
مصحف حفصة وقوله عليه السلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله ولأن
التكليف في أدائها أشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم
انتهى وقرأ سلام والعصر بكسر الصاد والصبر بكسر الباء قال ابن عطية وهذا لا يجوز
إلا في الوقف على نقل الحركة وروي عن أبي عمرو بالصبر بكسر الباء إشماما وهذا أيضا لا
يكون إلا في الوقف انتهى وفي الكامل للهذلي والعصر والصبر والفجر والوتر بكسر ما
قبل الساكن في هذه كلها هارون وابن موسى عن أبي عمرو والباقون بالإسكان كالجماعة
انتهى وقال ابن خالويه وتواصوا بالصبر بنقل الحركة عن أبي عمرو وقال صاحب اللوامح
عيسى البصرة بالصبر بنقل حركة الراء إلى الباء لئلا يحتاج إلى أن يأتي ببعض الحركة في الوقف
ولا إلى أن تسكن فيجتمع بين ساكنين وذلك لغة شائعة وليست بشاذة بل
مستفيضة وذلك دلالة على الإعراب وانفصال من التقاء الساكنين بإحراز
الموقوف عليه من السكون انتهى وقد أنشدنا في الدلالة على هذا في شرح التسهيل

ايام كقول الشاعر

انا جرير كنيتي ابو عمرو اضرب بالسيف وسعد في القصر

يريد ابو عمرو والقصر والانسان اسم جنس ولذلك صح الاستثنا والخسر الخسران كالكفر
والكفران واي خسران اعظم من خسر الدنيا والاخرة وقرا ابن هرمز وزيد بن علي وهرون عن
ابي بكر عن عاصم خسر بضم السين والجمهور بالسكون ومن باع اخرته بدنياه فهو في غاية
الخسران بخلاف المومن فانه اشترى الاخرة بالدنيا فربح وسعد وتواصوا بالحق اي بالامر
الثابت من الذي عملوا به وتواصوا به ثم تواصوا بالصبر على طاعة الله وعن المعاصي الحطمة
اصله الوصف من قولهم رجل حطمة اي اكول وقال

لقد لفها الليل بسواق حطم

وقال

اما خطبنا بالعصب مصعبا يوم كسرنا انفه ليغضبا

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده كلا لينبذن في
الحطمة وما ادراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة انها عليهم موصدة في عمد
ممددة مكية ولما قال فيما قبلها ان الانسان لفي خسر بين حال الخاسر
فقال ويل لكل همزة ونزلت في الاخنس ابن شريق او العاصي بن وائل او جميل بن معمر
او الوليد بن المغيرة او امية بن خلف اقوال ويمكن ان نزلت في الجميع وهي مع ذلك
عامة فيمن اتصف بهذه الاوصاف وقال السهيلي هو امية بن خلف الجمحي كان يهمز النبي صلى
الله عليه وسلم ويعيبه ذكره ابن اسحق وانما ذكره وان كان اللفظ عاما لان الله سبحانه
بالغ في اوصافه والجرعة حتى فهم انه يشير الى شخص بعينه وكذلك قوله في سورة ن
ولا تطع كل حلاف مهين تابع بالصفات حتى علم انه يريد انسانا بعينه وتقدم الكلام
في الهمزة في ن والقلم وفي اللمزة في سورة براءة وفعلة من ابنية المبالغة كنومة وعيبة وضحكة
وسخرة وقال زياد بن الاعجم

تدلي بودي اذا لاقيتني كذبا وان اغيب فانت الهامز اللمزة

وقرا الجمهور بفتح الميم فيهما والباقر بسكونها وهو المسخرة الذي ياتي بالاضاحيك فيضحك

منه

منه ويشتم ويهمز ويلمز الذي بدل او نصب على الذم وقرا الحسن وابو جعفر وابن عامر
والاخوان جمع مشدد الميم وباقي السبعة بالتخفيف والجمهور وعدده بشد الدال الاولى
اي احصاه وحافظ عليه وقيل جعله عدة لطوارق الدهر والحسن والكلبي بتخفيفها اي جمع المال
وضبط عدده وقيل وعددا من عشيرته وقيل هو على ترك الادغام كقوله

اني اجود لاقوام وان ضننوا

اخلده اي ابقاه حيا اذ به قوام حياته وحفظه مدة عمره قال الزمخشري اي طول المال
امله ومناه الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه
خالدا في الدنيا لا يموت قيل وكان للاخنس اربعة الاف دينار وقيل عشرة الاف دينار
كلا ردع له عن حسبانه وقرا الجمهور لينبذن فيه ضمير الواحد وعلي والحسن بخلاف
عنه وابن محيصن وحميد وهرون عن ابي عمرو لينبذان بالف ضمير اثنين الهمزة واللمزة وعن
الحسن ايضا لينبذن بضم الذال اي هو وامواله وعن ابي عمرو لينبذنه وقرا الجمهور
في الحطمة وما ادراك ما الحطمة وزيد بن علي في الحاطمة وما ادراك ما الحاطمة وهي النار
التي من شانها ان تحطم كل ما يلقى فيها قال الضحاك الحطمة الدرك الرابع من النار وقال
الكلبي الطبقة السادسة من جهنم وحكى عنه القشيري انها الدركة الثانية وعنه ايضا
الباب الثامن وقال الواحدي باب من ابواب جهنم اسمي نار الله الموقدة اي التي
التي تطلع على الافئدة ذكرت الافئدة لانها الطف ما في البدن واشدها الما
باذى شي من الاذى والاطلاع والبلوغ قال انها تعلوها وتشتمل عليها وهي تعلو الكفار
في جميع ابدانهم لكن نبه على الاشرف لانه مقر العقائد وقرا الاخوان وابو بكر عمد بضمتين
جمع عمود وهرون عن ابي عمرو بضم العين وسكون الميم وباقي السبعة بفتحهما وهو اسم
جمع الواحد عمود وقال الفراء جمع عمود كما قالوا اديم وادم وقال ابو عبيدة جمع عماد وقال
ابو صالح هي القيود الثقال اكبر ما رايناه من وحوش البر ويجلب الى ملك مصر
ولم ير بالاندلس بلادنا ويجمع في القلة على افيال وفي الكثرة على فيول ولم يعقد احد
من الشعرا على نظم في الفيل وصفته ولي فيه قصيد هو في ديوان شعري الابابيل
الجماعات يجي شيا بعد شي قال الشاعر

كادت تهد من الاصوات راحلتي اذ سالت الارض بالجرد الابابيل

وقال الاعشى

طريق حادرة والصوله عليه ابابيل من الطير ينعب

قال ابو عبيدة والفراء لا واحد له من لفظه فيكون مثل عباديد وشماطيط وقيل واحده
ابول مثل عجول وقيل ابيل مثل سكين وقيل ابال وذكر الرقاشي وكان ثقة انه سمع في
واحده ابالة وحكى الفراء ابالة مخففا

بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف
فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة
من سجيل فجعلهم كعصف ماكول هذه مكية ولما ذكر فيما قبلها عذاب الكفار في الاخرة
اخبر هنا بعذاب ناس منهم في الدنيا والظاهر ان الخطاب للرسول يذكره نعمته عليه اذ كان
صرف ذلك العدو العظيم عام مولده المسعود عليه السلام وارهاصا بنبوته اذ
مجيء تلك الطيور على الوصف المنقول من خوارق العادات والمعجزات المتقدمة بين
ايدي الانبياء ومعنى الم تر الم تعلم قدره على وجود علمه بذلك اذ هو امر منقول نقل
التواتر فكانه قيل قد علمت فعل الله ربك بهؤلاء الذين قصدوا حرمه ضلل كيدهم واهلكهم
باضعف جنوده وهي الطير التي ليست من عادتها ان تقتل وقصة الفيل ابرهة بن
الصباح الحبشي ومن كان معه من جنوده والظاهر انه فيل واحد وهو قول الاكثرين
وقال الضحاك ثمانية فيلة وقيل اثنا عشر فيلا وقيل الف فيل وهذه اقوال متكاذبة
وكان العسكر ستين الفا لم يرجع احد منهم الا اميرهم في شرذمة قليلة
فلما اخبروا بما راوا هلكوا وكان الفيل يوجهونه نحو مكة لما كان قريبا منها فيبرك
ويوجهونه نحو اليمن والشام فيسرع وقال الواقدي ابرهة جد النجاشي الذي كان في
زمان الرسول صلى الله عليه وسلم وقرا السلمي ترْ بسكون الراء وهو جزم بعد جزم
كقولهم لم ابل ونقل عن صاحب اللوامح ترْأ بهمزة مفتوحة مع سكون الراء على
الاصل وهي لغة تيم اللات وتر معلقة والجملة التي فيها الاستفهام في موضع نصب
بتر وكيف معمول لفعل وفي خطابه تعالى لنبيه بقوله فعل ربك تشريف له
عليه السلام واشادة من ذكره كانه قال ربك معبودك هو الذي فعل
ذلك لا اصنامهم في تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا وقيل

لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك ابيه اي ضيعه وتضليل كيدهم هو
بان احرق الله البيت الذي بنوه قاصدين ان يرجع حج العرب اليه وبان
اهلكهم لما قصدوا هدم بيت الله الكعبة وبان ارسل عليهم طيرا جاءت من جهة
البحر ليست نجدية ولا تهامية ولا حجازية سودا وقيل خضرا على قدر الخطاطيف
وقرا الجمهور ترميهم بالتاء والطير اسم جمع يؤنث كهذه القراءة وقوله

كالطير ينجون من الشؤبوب ذي البرد

ويذكر كقراءة ابي حنيفة وابن يعمر وعيسى وطلحة في رواية السمان عنه يرميهم
بالياء وقيل الضمير عائد على ربك بحجارة كان كل طائر معه ثلاثة حجر في رجليه
حجران كل حجر فوق حبة العدس ودون حبة الحمص مكتوب في كل حجر اسم من
يقع على راسه ويخرج من دبره ومرض ابرهة فتقطع انملة انملة وما مات
حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت ابو يكسوم وزيره وطائر يتبعه
حتى وصل الى النجاشي واخبره بما جرى للقوم فرماه الطائر بحجره فمات بين
يدي الملك وتقدم شرح سجيل في سورة هود والعصف في سورة الرحمن
شبهوا بالعصف ورق الزرع الذي اكل اي وقع فيه الاكال وهو ان
ياكله الدود او التبن الذي اكلته الدواب وراثته وجاء على اداب العرب نحو
قوله كانا ياكلان الطعام او الذي اكل حبه فبقي فارغا فنسبته انه اكل
مجازا والماكول حبه لا هو وقرا الجمهور ماكول بسكون الهمزة وهو الاصل
لانه صيغة مفعول من فعل وقرا ابو الدرداء فيما نقل ابن خالويه بفتح الهمزة
اتباعا لحركة الميم وهو شاذ وهذا كما اتبعوا في قولهم محموم بفتح الحاء لحركة الميم
قال ابن اسحق لما رد الله الحبشة عن مكة عظمت العرب قريشا وقالوا اهل الله قاتل
عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم وكان ذلك نعمة من الله عليهم وقيل هو جواب لدعا
الخليل عليه السلام وقريش علم اسم قبيلة وهم بنو النضر بن كنانة فمن كان من
بني النضر فهو قرشي دون بني كنانة وقيل هم بنو فهر بن مالك بن النضر
فمن لم يلده فهر فليس بقرشي قال القرطبي والقول الاول اصح واثبت
وسموا بذلك لتجمعهم بعد التفرقة والتقرش التجمع والالتئام ومنه قول الشاعر

الخوف شوا الذين يوثب عليها في حرمهم من دونهم وقد
كانوا متفرقين عن الحرم فجمعهم قصي بن كلاب في الحرم حتى اتخذوه مسكنا ومنه
قول الشاعر

ابونا قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

وقال الفرا التقريش التكسب وقد قرش يقرش قرشا اذا كسب وجمع وبه سميت
قريش وقيل كانوا يفتشون عن ذي الخلة من الحاج ليسدوها والقرش التفتيش ومنه
قول الشاعر

ايها الشامت المقرش عنا عند عمرو فهل له ابقا

وسال معويه بن عباس لم سميت قريش قريشا فقال بدابه في البحر من اقوى
دوابه يقال له القرش ياكل ولا يوكل وتعلو ولا تعلى ومنه قول تبع

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
تاكل الغث والسمين ولا تترك فيها لذي جناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش ياكلون البلاد اكلا كميشا
ولهم اخر الزمان نبي يكثر القتل فيهم والخموشا

وفي الكشاف تعنت بالشعر ولا يطلق الا بالمد فان كان قريش من مزيد فيه فهو تصغير
ترخيم وان كان من ثلاثي مجرد على اصل التصغير الشتا والصيف فصلان معروفا
من فصول السنه الاربعه وهمزة الشتا مبدله من واو قالوا شتا يشتو وقالوا
شتوه والشتا مفرد وليس بجمع شتوه

بسم الله الرحمن الرحيم

لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتا والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي
اطعمهم من جوع وامنهم من خوف

مكيه في قول الجمهور ومدنيه في قول الضحاك وابن السايب ومناسبتها لما قبلها ظاهره
ولا سيما ان جعلت اللام متعلقه بنفس فجعلهم وهو قول الاخفش او باضمار
فعلنا ذلك لايلاف قريش وهو مروي عن الاخفش حتى يطمئنوا في بلدها وذكر ذلك
للامتنان عليهم اذ لو تسلط عليهم اصحاب الفيل لتشتتوا في الاقاليم ولم تجتمع لهم

كلمه قال الزمخشري وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي
قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف ابي سورة واحده بلا فصل وعن عمر انه
قراهما في الثانيه من صلوة المغرب وقرا في الاولى والتين والمعنى انه اهلك الحبشه
الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل
احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتهم قال ابو حيان ورد هذا القول جماعه وقالوا
لو كان كذلك لكان لايلاف بعض سورة الم تر وفي اجماع الجميع على الفصل بينهما
ما يدل على غير ما قاله يعني الاخفش وكان اخر السوره غير تام وقال الاخفش والكسائي
والفرا يتعلق بما بعده من اي فليعبدوا لايلاف قريش رحلة الشتا والصيف وتركهم
عباده رب هذا البيت ثم امرهم بالعباده بعد واعلمهم ان الله هو الذي اطعمهم
وامنهم لا سفرهم اي فليعبدوا الذي اطعمهم بدعوة ابيهم حيث قال وارزقهم من الثمرات
وامنهم بدعوته حيث قال رب اجعل هذا البلد امنا ولا يشتغلوا بالاسفار التي
انما هي طلب لكسب وعرض دنيا وقال الخليل اللام متعلقه بقوله فليعبدوا والمعنى لان
فعل الله بقريش هذا ومكنهم من الفهم هذه النعمه فليعبدوا امرهم ان يعبدوه لاجل
ايلافهم الرحله قال الزمخشري فان قلت فلم دخلت الفا قلت لما في الكلام من معنى الشرط
لان المعنى اما لا فليعبدوه لايلافهم على معنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه
لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحده التي هي نعمه ظاهره اسهموا قرا الجمهور لايلاف قريش
مصدر الف بالاسنا يقال الف الرجل الامر الفا والافا والفه غيره ايلافا وقد
ياتي الف متعديا لواحد كالف قال الشاعر

من المولفات الرمل ادماء حره شعاع الضحى في متنها يتوضح

ولم يختلف القرا السبعه في قراة ايلافهم مصدر للرباعي وروي عن ابي بكر عن عاصم
انه قراهما بهمزتين فيهما الثانيه ساكنه وهذا شاذ وان كان الاصل ابدلوا
الهمزة التي هي فا الكلمه لثقل اجتماع همزتين ولم يبدلوا في نحو مولف على جهة اللزوم
لزوال الاستثقال بحذف الهمزة فيه وهذا المروي عن عاصم هو من طريق الشمزي
عن الاعشى عن ابي بكر وروي محمد بن داود النقار عن عاصم ايلافهم بهمزتين مكسورتين
بعدهما يا ساكنه ناشيه عن حركة الهمزة الثانيه لما اشبع كسرتها والصحيح رجوع

عاصم عن الهمزة الساكنة وأنه قرأ كالجماعة وروى أبو جعفر كما حكى الزمخشري لإلف قريش
وقرأ فيما حكى ابن عطية إلفهم وقال الشاعر

زعمتم أن إخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم إلاف

جمع بين مصدري ألف الثلاثي وعن أبي جعفر وابن عامر إلافهم على وزن فعال وعن عكرمة
أبي جعفر وابن كثير إلفهم على وزن فعل وبذلك قرأ عكرمة وعن أبي جعفر أيضا إلفهم ساكنة
بعد اللام واتبع لما أبدل الساكنة باحرف الأولى وحذفوا على عين عياش وعن عكرمة ليألف قريش
وعنه أيضا لتألف على الأمر وعنه وعن هلال بن فتيان بفتح لام الأمر فيه وأجمعوا فيما
على صرف قريش راعوا فيه معنى الحي ويجوز منع صرفه ملحوظا فيه معنى القبيلة للتأنيث والعلمية
قال الشاعر

غلب المساميح الوليد سماحة وكفى قريش المعضلات وسادها

جعله اسما للقبيلة وقال سيبويه في نحو معد وقريش وثقيف وكينونة هذه للأحياء أكثر وإن
جعلتها اسما للقبائل فجائز حسن وقرأ الجمهور رحلة بكسر الراء وأبو السمال بضمها فبالكسر
مصدر وبالضم الجهة التي يرحل إليها والجمهور على أنهما رحلتان رحلة إلى الشام في
التجارة وسبل الأرباح ومنه قول الشاعر

سفرين سنهما له ولقومه سفر الشتاء ورحلة الأصياف

وقال ابن عباس رحلة إلى اليمن ورحلة إلى بصرى وقال أيضا يرحلون في الصيف
إلى الطائف حيث الماء والظل ويرحلون في الشتاء إلى مكة للتجارة وسائر أمرهم وقال
الزمخشري وأراد رحلتي الشتاء والصيف فأفرد لأمن الإلباس كقوله كلوا
في بعض بطنكم تعفوا وهذا عند سيبويه لا يجوز إلا في الضرورة ومثله حمامة
بطن الواديين ترنمي أنشده أصحابنا على الضرورة وقال
النقاش كانت لهم أربع رحلات قال ابن عطية وهذا قول مردود انتهى ولا ينبغي أن يرد
فإن أصحاب الإيلاف كانوا أربعة إخوة وهم بنو عبد مناف هاشم كان يؤلف
ملك الشام أخذ منه حبلا فأمن به في تجارته إلى الشام وعبد شمس يؤلف إلى الحبشة
والمطلب إلى اليمن ونوفل إلى فارس وكان هؤلاء يسمون المجيرين فتختلف قريش إلى الأمصار
بحبل هؤلاء الإخوة فلا يتعرض لهم قال الأزهري الإيلاف شبه الإجارة بالخفارة

فاذا

فإذا كان كذلك جاز أن يكون لهم رحل أربع باعتبار هذه الأماكن التي
كانت التجارة بخفارة هؤلاء الأربعة فيها وفيهم يقول الشاعر يمدحهم

يا أيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بآل عبد مناف
الآخذون العهد من آفاقها والراحلون لرحلة الإيلاف
والرائشون وليس يوجد رائش والقائلون هلم للأضياف
والخالطون غنيهم بفقيرهم حتى يصير فقيرهم كالكافي

فتكون رحلة هنا اسم جنس يصلح للواحد والكثير وإيلافهم بدل من لإيلاف قريش أطلق
المبدل منه وقيد البدل بالمفعول به وهو رحلة أي لأن ألفوا رحلة ليعبدوا لأمر الإيلاف و
وتذكر بعظم النعمة فيه رب هذا البيت هو الكعبة ويمكن هذا اللفظ لتقدم حمايته
في السورة التي قبلها ومن هنا للتعليل أي لأجل الجوع كانوا قطانا ببلد غير ذي زرع
عرضة للجوع والجدب لولا لطف الله بهم وذلك بدعوة إبراهيم قال تعالى يجبى إليه ثمرات
كل شيء وآمنهم من خوف وفضلهم على العرب بكونهم يأمنون حيث ما حلوا فيقال هؤلاء
قطان بيت الله فلا يتعرض لهم أحد وغيرهم خائفون وقال ابن عباس والضحاك وآمنهم
من خوف من الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وما قال الزمخشري والتنكير في جوع وخوف لشدتهما
يعني أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلها وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف
أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقرأ الجمهور من خوف بإظهار النون
عند الخاء والمسيبي عن نافع بإخفائها وكذلك مع العين نحو من علق وهي لغة حكاها سيبويه
وقال ابن الأسلت يخاطب قريشا قال

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا بأركان هذا البيت بين الأخاشب
فعندكم منه بلاء ومصدق غداة أبي يكسوم هادي الكتائب
كتيبته بالسهل تمشي ورجله على القاذفات في رؤوس المناقب
فلما أتاكم نصر ذي العرش ردهم جنود المليك بين ساف وحاصب
فولوا سراعا هاربين ولم يؤب إلى أهله ملجيش غير عصائب

ساهون كبر السهو السهو عن الطاعة وتركه من غفلة الماعون فاعول من المعن وهو الشيء
القليل تقول العرب ماله معنة أي شيء قليل وقال قطرب وقيل أصله معونة والألف عوض

من الماعون انه مفعل من الاصل على وزن مكرم فتكون الميم زائدة ووزنه بعد زيادة
الالف عوضا ما فعل وقيل هو اسم مفعول من اعان يعين جاء على زنة مفعول وقلب
فصار موعون فقلبت الواو الفا كما قالوا في نوبة نابة فصار ماعون فوزنه على هذا
مفعول وقال ابو عبيدة والزجاج والمبرد الماعون في الجاهلية كل ما فيه منفعة من قليل
او كثير وانشدوا بيت الاعشى

باجود منه بماعونه اذا ما سماؤهم لم تغم

وقالوا المراد به في الاسلام الطاعة والزكاة اموال المستحقين ومنه ان شاء الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين
الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون مكية
في قول الجمهور مدنية في قول ابن عباس وقتادة وقال هبة الله المفسر الضرير نزل بعضها
بمكة في العاصي ابن وائل وبعضها بالمدينة في عبد الله بن ابي المنافق ولما عدد نعمه تعالى
على قريش وكانوا لا يؤمنون بالبعث والجزاء اتبع امتنانه عليهم بتهديدهم بالجزاء وتخويفهم
من عذابه ونزلت في ابي جهل او الوليد بن المغيرة او العاصي بن وائل او عمرو بن عائذ
او رجل من المنافقين او ابي سفيان بن حرب كان ينحر في كل اسبوع جزورا فاتاه
يتيم فسأله شيئا فقرعه بعصا قاله ابن جريج والظاهر ان ارايت بمعنى اخبرني
فتعدى لاثنين احدهما الذي والاخر محذوف فقدره الحوفي اليس مستحقا عذاب
الله وقدره الزمخشري من هو ويدل على انها بمعنى اخبرني قراءة عبد الله ارايتك بكاف
الخطاب لان كاف الخطاب لا تلحق البصرية قال الحوفي ويجوز ان تكون من رؤية
البصر فلا يكون في الكلام حذف وهمزة الاستفهام تدل على التقرير والتفهيم ليتذكر
السامع من يعرفه بهذه الصفة والدين الجزاء بالثواب والعقاب وقال الزمخشري
والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه فذلك الذي يكذب بالجزاء هو
الذي يدع اليتيم اي يدفعه دفعا عنيفا بجفوة واذى ولا يحض اي يبعث اهله على بذل طعام
المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف وقرا الجمهور
يدع بضم الدال وشد العين وعلي والحسن وابو رجاء واليماني بفتح الدال وخف العين

اي يتركه بمعنى لا يحسن اليه ويجفوه وقرا الجمهور ولا يحض مضارع حض وزيد بن علي يحاض
مضارع حاضضت قال ابن عباس بالدين بحكم الله وقال مجاهد بالحساب وقيل بالجزاء وقيل
بالقران وقال ابراهيم بن عرفة يدع اليتيم يدفعه عن حقه وقال مجاهد يدفعه ولا يطعمه اذا
قدر وهذا من باب الاولى لانه اذا لم يحض غيره بخلا فلان يترك هو ذلك فعلا اولى وفي اضافة
طعام الى المسكين دليل على انه يستحقه ولما ذكر اولا عمود الكفر وهو التكذيب بالدين
ذكر ما يترتب على التكذيب من الايذاء والمنع من النفع وذلك مما يتعلق بالمخلوق ثم ذكر
ما يترتب عليه مما يتعلق بالخالق وهو عبادته بالصلاة فقال فويل للمصلين والظاهر
ان المصلين هم غير المذكورين وهو داع لليتيم غير الحاض وان كان كل من الاوصاف
الذميمة ناشئا عن التكذيب بالدين فالمصلون هنا والله اعلم هم المنافقون اثبت
لهم الصلاة وهي الهيئات التي يفعلونها ثم قال الذين هم عن صلاتهم ساهون نظرا
انهم لا يوقعونها كما يوقعها المسلم من اعتقاد وجوبها والتقرب بها الى الله تعالى وفي الحرف
عن صلاتهم ساهون يؤخرونها عن وقتها تهاونا بها قال مجاهد بالحر؟ وقال ابراهيم
هو الذي اذا سجد قال برأسه هكذا ملتفتا وقال قتادة هو الترك لها او هم الغافلون
الذين لا يبالون اصلوا ام لم يصلوا وقال قطرب هو الذي لا يقرأ ولا يذكر الله وقال
ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة سرا ويفعلونها علانية واذا قاموا الى الصلاة
قاموا كسالى الاية ويدل على انها في المنافقين قوله تعالى الذين هم يراءون وقاله ابن
وهب عن مالك قال ابن عباس ولو قال في صلاتهم لكانت في المؤمنين وقال عطاء الحمد لله
الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم وقال الزمخشري في موضع رفع قال
وطريقة اخرى ان يكون فذلك عطفا على الذي يكذب اما عطف ذات على ذات او صفة على
صفة ويكون جواب ارايت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كانه قال اخبرني وما تقول
فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين انعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين اي
اذا علم انه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم الا انه وضع صفتهم موضع ضميرهم لانهم كانوا
مع التكذيب وما اضيف اليهم ساهين عن الصلاة مرائين غير مزكين اموالهم فان قلت كيف
جعلت المصلين قائما مقام الضمير الذي يكذب وهو واحد قلت معناه الجمع لان المراد به
الجنس انتهى فجعل فذلك في موضع نصب عطفا على المفعول وهو تركيب غريب كقولك

اكرمت الذي يزورنا فذلك الذي يحسن اليه فالمبتدا دخل الذي هو اذن فذلك مرفوع الا
وعلى تقدير النصب يكون التقدير اكرمت الذي يزورنا فاكرمت ذلك الذي يحسن اليه
فاستتم الاشتغال في هذا التقدير عن حمل الكلام على ما هو فصيح اذ لا حاجة الى ان يسار الى
الذي يزورنا فيحسن اليه واما قوله اما عطف على ارايت فلا يصح لان فذلك الشان
الى الذي يكذب فليسنا مدا هرتان المشار اليه بقوله فذلك هو واحد واما قوله
ويكون جواب ارايت محذوفا فلا يسمى جوابا بل هو في موضع المفعول الثاني
لارايت واما تقديره انعم ما يصنع بمثل الاستفهام لا نعلم دخولها على انعم ولا بيس
لانها انشا والاستفهام لا يدخل الا على الخبر واما وضعه المصلين موضع الضمير
وان المصلين جمع لان ضمير الذي يكذب معناه الجمع فتكلف وسمج ولا ينبغي ان يحمل
القران الا على ما اقتضاه ظاهر التركيب وفصيحه وهكذا اعمال هذا الرجل يتكلف
اشيا في فهم القران ليست بواضحة وتقدم الكلام في الريا في سورة البقرة وقرا
الجمهور يرون مضارع راءى على وزن فاعل وابن ابي اسحق والاشهب يرون
مقصورا مشدد الهمزة وعن ابن ابي اسحق بغير شد في الهمزة فتوجيه الاول
انه ضعف الهمزة تعدية كما عدوا بالهمزة فقالوا في راى راى وقالوا اراى فجا
المضارع يرءى كيصلى وجا الجمع كيصلون وتوجيه الثانية انه استثقل التضعيف
في الهمزة فخففها او حذف الالف من يراءون حذفا لا لسبب ويمنعون الماعون قال
ابن المسيب وابن شهاب الماعون بلغة قريش المال وقال الفرا عن بعض العرب
الماعون الما وقال ابن مسعود وابن عباس وابن الحنفية والحسن والضحاك وابن
زيد ما يتعاطاه الناس بينهم كالفاس والدلو والانية والمقدح والغربال وسئل
عليه السلام عن الشي الذي لا يحل منعه فقال الما والملح والنار وفي بعض الطرق
الابرة والخمير وقال علي وابن عباس ايضا الماعون الزكاة ومنه قول الراعي

اخليفة الرحمن انا معشر حنفا نسجد بكرة واصيلا
عرب نرى لله من اموالنا حق الزكوة منزلا تنزيلا
قوم على الاسلام لما يمنعوا ماعونهم ويضيعوا التهليلا

يعني بالماعون الزكوة وهذا القول يشبه ما ذكره قطرب من ان اصله من المعن

وهو

وهو الشي القليل فسميت الزكوة ماعونا لانها قليل من كثير وكذلك الصدقة وغيرها
وقال ابن عباس هو العارية وقال محمد بن كعب والكلبي هو المعروف كله وقال عبد الله
ابن عمر هو منع الحق وقيل الما والكلا النحر امر من النحر وهو ضرب النحر للابل
بما يعنت الروح من محددا الابتر الذي لا عقب له والبتر القطع بتر الشي وقطعه
وبتر بالكسر فهو ابتر انقطع وخطب زياد خطبته البترا لانه لم يحمد فيها الله ولا
صلى على رسوله ورجل اباتر بتقديم الهمزة الذي يقطع رحمه ومنه قول الشاعر

لئيم بدت في انفه وانه على قطع ذي القربى اجذ اباتر

والبترية قوم من الزيدية نسبوا الى المغيرة بن سعد ولقبه الابتر

بسم الله الرحمن الرحيم

انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر

مكية في المشهور وقول الجمهور مدنية في قول الحسن وعكرمة وقتادة ولما ذكر
فيما قبلها وصف المنافق بالبخل وترك الصلوة والريا ومنع الزكوة قابل في هذه السورة
بانا اعطيناك الكوثر والسهو عن الصلوة بقوله فصل والريا بقوله لربك ومنع الزكوة بقوله
وانحر اراد به التصدق بلحم الاضاحي فقابل اربعا باربع ونزلت في العاص ابن وائل
كان يسمي الرسول عليه السلام بالابتر وكان يقول دعوه انما هو رجل ابتر لا عقب
له لو هلك انقطع ذكره واسترحتم منه وقرا الجمهور اعطيناك بالعين والحسن وطلحة
وابن محيصن والزعفراني انطيناك بالنون وهي قراة مروية عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال التبريزي هي لغة العرب العاربة من اولي قريش ومن كلامه عليه السلام اليد
العليا المنطية واليد السفلى المنطاة ومن كلامه ايضا عليه السلام وانطوا الثبجة
قال الاعشى

جيادك خير جياد الملوك تصان الجلال وتنطى الشعيرا

قال ابو الفضل الرازي وابو زكريا التبريزي ابدل من العين نونا فان عنيا ان النون
في هذه اللغة مكان العين في غيرها فحسن وان عنيا البدل الصناعي فليس كذلك بل هو
واحد من اللغتين اصل بنفسها لوجود تمام التصرف من كل واحدة فلا يقول الاصل
العين ثم ابدلت النون منها وذكر في التحرير في الكوثر ستة وعشرين قولا والصحيح

هو ما فسره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب
ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض
من الثلج قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وفي صحيح مسلم واللفظ منه قال
أتدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله أعلم قال نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض
ترد عليه أمتي آنيته عدد النجوم [illegible] قال عليه السلام عندما نزلت هذه السورة
[illegible] قال ابن عباس الكوثر الخير الكثير وقيل لابن جبير إن ناسا يقولون
هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير وقال الحسن الكوثر القرآن وقال أبو بكر بن عياش
[illegible] كثرة الأصحاب والأشياع وقال هلال بن يساف هو التوحيد
وقال جعفر الصادق نور في قلبه دله على الله وقطعه عما سواه وقال عكرمة النبوة
وقال الحسين بن الفضل تيسير القرآن وتخفيف الشرائع وقال ابن كيسان الإيثار
ويصح حمل هذه الأقوال على التمثيل لأن الكوثر مصدر وأحدها والكوثر فوعل
من الكثرة وهو المفرط الكثرة فلا اعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت
آب بكوثر قال

وأنت كثير يا ابن مروان طيب وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

فصل لربك وانحر الظاهر أن فصل أمر بالصلاة يدخل فيها المكتوبات والنوافل
والنحر نحر الهدي والنسك والضحايا قاله الجمهور ولم يكن في ذلك الوقت جهاد فأمر بها
قال أنس كان ينحر يوم الأضحى قبل الصلاة فأمر أن يصلي ثم ينحر وقاله قتادة وقال ابن
جبير نزلت وقت صلح الحديبية قيل له صل وانحر الهدي فعلى هذا الآية من المدني وفي
قوله لربك تعريض بالكفار حيث صلاتهم مكاء وتصدية ونحرهم للأصنام وعن علي
صل لربك وضع يمينك على شمالك عند نحرك في الصلاة وقيل ارفع يديك في استفتاح
صلاتك عند نحرك في الصلاة وقيل ارفع يديك في استفتاح صلاتك عند نحرك وعن
عطية وعكرمة هي صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى وقال الضحاك استو بين السجدتين جالسا
حتى يبدو نحرك وقال أبو الأحوص استقبل القبلة بنحرك إن شانئك أي مبغضك قيل
إنه العاص بن وائل وقيل أبو جهل وقال ابن عباس لما مات إبراهيم بن رسول الله صلى
الله عليه وسلم خرج أبو جهل إلى أصحابه فقال بتر محمد فأنزل الله إن شانئك هو

الأبتر

الأبتر وقال شمر بن عطية هو عقبة بن أبي معيط وقال قتادة الأبتر هنا يراد به الحقير
الذليل وقرأ الجمهور شانئك بالألف وابن عباس شنئك بغير ألف فقيل مقصور
من شانئ كما قالوا برد وبرد في بارد [illegible] ويجوز أن يكون بناء على فعل وهو مضاف للمفعول
إن كان بمعنى الحال والاستقبال وإن كان بمعنى الماضي فتكون إضافته لا من نصب
على مذهب البصريين [illegible] فلا يستوحش من كونه مضافا
للمفعول وهو مبتدأ والأحسن الأعرف في المعنى أن يكون فصلا أي هو المنفرد بالبتر المخصوص
به لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل هذا الوصف هو لسانه المنسي ذكره وإن ذكر
[illegible] وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فجميع المؤمنين أولاده وذكره مرفوع
على المنابر والمآذن ومسرود على كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى
بذكره وله في الآخرة ما يدخل تحت الوصف وقال بعض العلماء سورة الكوثر أقصر
سورة وتضمنت من المعاني البديعة ما [illegible] به أن تكون معجزة وذلك أنواع
أحدها أن قوله إنا أعطيناك الكوثر يدل على أنها عطية كثير من معط كبير الثاني إسناد
ذلك إلى ضمير المتكلم الذي يستعمل للجمع الثالث تقديم الاسم على الفعل وبناء الفعل عليه
وذلك يدل على الخصوصية الرابع توكيده بحرف التوكيد هو إن وهي تشعر بالقسم
الخامس إيراد الفعل بصيغة الماضي دلالة على أن الموعود من الكريم بمنزلة الواقع
السادس مجيئه بالكوثر محذوف الموصوف لأن في المحذوف من فرط الإبهام والشياع
ما ليس في المثبت السابع اختيار الصفة الدالة على الكثرة الثامن مجيء الصفة معرفة
بلام الجنس الدالة على الاستغراق التاسع فاء التعقيب الدالة على معنى السببية إذ
الإنعام سبب للشكر والعبادة العاشر التعريض بمن كانت عبادته ونحره لغير الله
الحادي عشر أن الأمر بالصلاة إشارة إلى الأعمال البدنية التي الصلاة قوامها وأفضلها
والأمر بالنحر إشارة إلى الأعمال المالية التي النحر للبدن أسناها الثاني عشر حذف اللام الأخرى لدلالة
الأولى عليها وهو في قوله وانحر له الثالث عشر مراعاة السجع الذي هو من صناعة
البديع المطبوع العاري عن التكلف الرابع عشر الالتفات من ضمير المتكلم المعظم نفسه
إلى الاسم الظاهر في قوله لربك ولم يقل لنا الخامس عشر قوله لربك فيه إظهار لشأن
الربوبية وعزة السلطان وأنه الذي يلتمس الإنعام منه وهو السيد الناظر في مصالح

عنده السا وشرعنه بطلبه الامر بترك الاتصال بشانيه على سبيل الاستيناف وجعله
خاتمه الاعراض عن الشاني وهو العاص ابن وايل والاسم هذا الشاني الذي نزلت فيه
نسبه كل شاني ممن هو في مثل حاله السابع عشر التنبيه على انه ليس له من الماثر
من شي عن ما هو عليه من البغضا الذي نشا عن الحسد والغيظ الثامن
عشر التاكيد بمضمون الجمله بان الداله على القسم التاسع عشر الاتيان بهو المشعر
بالاختصاص العشرون الحوالة في الامر وهي تشعر بالاختصاص الحادي والعشرون
الاتيان بصيغة افعل الداله على الالتئام في الثاني والعشرون
امتنانه تعالى على رسوله بالخطاب في قوله انا اعطيناك ولربك وشانيك

بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما
عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين

مكيه في قول الجمهور وروي عن ابن عباس انها مدنيه وذكروا من اسباب نزولها انهم
قالوا له عليه السلام دع ما انت فيه ونحن نمولك ونزوجك من شئت من كرائمنا
ونملكك علينا وان لم تفعل هذا فلتعبد الهتنا ونعبد الهك حتى نشترك فحيث
كان الخير نلناه جميعا ولما اكثرت قريش وطلبوا منه ان يعبد الهتهم
سنه ويعبدوا الهه سنه انزل الله هذه السورة تبريا منهم واخبارا لا شك
فيه ان ذلك لا يكون وفي قوله قل دليل على انه مامور بذلك من عند الله تعالى
لهم والكافرون ناس مخصوصون وهم الذين قالوا له تلك المقاله الوليد بن المغيره
والعاص بن وايل والاسود بن المطلب وامية بن خلف وابو جهل
وابنا الحجاج ونظراوهم ممن لم يسلم ووافى على الكفر تصديقا للاخبار في قوله ولا
انتم عابدون ما اعبد للمفسرين في هذه الجمل اقوال احدها انها للتوكيد فقوله
ولا انا عابد ما عبدتم توكيد لقوله لا اعبد ما تعبدون وقوله ولا انتم عابدون
ما اعبد ثانيا توكيد في لسان العرب كثير جدا وحكوا من ذلك نثرا ونظما ما لا
يكاد يحصر وفائدة هذا التوكيد قطع اطماع الكفار وتحقيق الاخبار بموافاتهم على الكفار
وانهم لا يسلمون ابدا والثاني انه ليس للتوكيد واختلفوا فقال الاخفش المعنى لا اعبد

الساعة ما تعبدون ولا انتم عابدون السنه ما اعبد ولا انا عابد في المستقبل ما
عبدتم ولا انتم عابدون في المستقبل ما اعبد فزال التوكيد اذ تقيدت كل جملة بزمان
مغاير وقال ابو مسلم ما في الاولين بمعنى الذي والمقصود المعبود وما في الاخريين
مصدريه اي لا اعبد عبادتكم المبنيه على الشك وترك النظر ولا انتم تعبدون مثل
عبادتي المبنيه على اليقين وقال ابن عطيه لما كان قوله لا اعبد محتملا ان يراد
به الان وبقي المستانف منتظرا ما يكون فيه جاء البيان بقوله ولا انا عابد ما
عبدتم اي ابدا وما حييت ثم جاء قوله ولا انتم عابدون ما اعبد الثاني حتما عليهم انهم
لا يؤمنون به ابدا كالذي كشف الغيب فهذا كما قيل لنوح عليه السلام لن يؤمن من
قومك الا من قد امن ان هذا معينين وقوم نوح عموا بذلك فهذا معنى الترديد الذي
في السوره وهو بارع الفصاحه وليس بتكرار فقط بل فيه ما ذكرته انتهى وقال
الزمخشري لا اعبد اريد به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع في
معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال والمعنى لا افعل
في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من
عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه
يعني لم تعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون
ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا على عبادته فان قلت فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم
قلت لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك
الوقت انتهى اما حصره في قوله لان لا لا تدخل وفي قوله ما لا تدخل فليس بصحيح بل ذلك
غالب فيهما لا متحتم وقد ذكر النحاة دخول لا على المضارع يراد به الحال ودخول ما
على المضارع يراد به الاستقبال وذلك مذكور في المبسوطات من كتب النحو ولذلك
لم يورد سيبويه ذلك باداة الحصر انما قال وتكون لا نفيا لقوله يفعل ولم يقع الفعل وقال
واما ما فهي نفي لقوله هو يفعل اذا كان في حال الفعل فذكر الغالب فيهما اما قوله
في قوله ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه فلا يستقيم
لان عابدا اسم فاعل قد عمل فيما عبدتم فلا يفسر بالماضي انما يفسر بالحال او الاستقبال
وليس مذهبه في اسم الفاعل مذهب الكسائي وهشام من جواز اعماله ماضيا

وأما قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد أي وما عبدتم في وقت ما أنا على عبادته فعابدون
بذا عائد فيما أعبد ولا يعتني بالماضي وأما قوله وهو لم يكن إلى الآن منشوا دب
على منصب النبوة وعن صحيح لأنه عليه السلام لم يزل موحدا لله منزها له عن كل
ما لا يليق بجلاله مجتنبا للأصنام بحج بيت الله ويعتمر بشريعة إبراهيم عليه السلام
وهذه عبادة وأي عبادة أعظم من توحيد الله واجتناب الأصنام والمعرفة بالله أعظم
العبادات قال تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون قال المفسرون معناه
ليعرفون فسمى الله تعالى المعرفة عبادة والذي حسن في هذه الجملة أنه لو لم يأت
بها وبقي المستقبل إلا الغالب أنها معنى المستقبل ثم عطف عليه ولا
أنتم عابدون ما أعبد يعني المستقبل على سبيل المقابلة ثم قال ولا أنا عابد ما عبدتم
يعني للحال لأن اسم الفاعل الحقيقة فيه دلالة على الحال ثم عطف عليه ولا أنتم عابدون
ما أعبد يعني للحال على سبيل المقابلة ثم قال ولا أنا عابد ما عبدتم فانتظم المعنى أنه عليه
السلام لا يعبد ما تعبدون لا حالا ولا مستقبلا وهم كذلك إذ قد حتم الله موافاتهم
على الكفر ولما قال لا أعبد ما تعبدون فأطلق ما على الأصنام قابل الكلام بما في قوله
ما أعبد وإن كانت يراد به الله تعالى لأن المقابلة يسوغ فيها ما لا يسوغ مع الانفراد
وهذا على مذهب من يقول إن ما لا تقع على آحاد من يعلم أما من جوز ذلك وهو منسوب
إلى سيبويه فلا يحتاج إلى الاستعذار بالمقابلة وقيل ما مصدرية في قوله ما أعبد
وقيل فيها جميعا وقال الزمخشري المراد الصفة كأنه قال لا أعبد الباطل ولا
تعبدون الحق لكم دينكم ولي دين أي لكم شرككم ولي توحيدي وهذا غاية في
التبري ولما كان الأهم انتفاؤه عليه السلام من دينهم بدأ بالمنفي في الجمل السابقة
بالمنسوب إليه ولما تحقق النفي رجع إلى خطابهم في قوله لكم دينكم على سبيل المهادنة
وهي منسوخة بآية السيف وقرأ سلام ويعقوب ديني بياء وصلا ووقفا
وحذفها القراء السبعة

٤٠ ٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك
واستغفره إنه كان توابا

مدنية

مدنية نزلت منصرفه عليه السلام من غزوة حنين وعاش بعد نزولها سنتين
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه نزلت في أوسط أيام التشريق بمنى في حجة الوداع
وعاش بعدها ثمانين يوما أو نحوها صلى الله عليه ولما كان في قوله لكم دينكم موادعة
جاء في هذه ما يدل على تخويلهم وتهديدهم وأنه أتى نصر الله وفتح مكة واضمحلال
ملة الأصنام وإظهار دين الله قال الزمخشري إذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل
والإعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة انتهى وكذا قال الحوفي ولا يصح إعمال
فسبح في إذا لأجل الفاء لأن الفاء في جواب الشرط لا يتسلط الفعل الذي بعدها
على اسم الشرط فلا تعمل فيه بل العامل في إذا الفعل الذي بعدها على الصحيح المنصوص
في علم العربية وقد استدللنا على ذلك في شرح التسهيل وغيره وإن كان المشهور غيره
والنصر الإعانة والإظهار على العدو والفتح فتح البلاد ومتعلق النصر والفتح محذوف
فالظاهر أنه نصر رسوله والمؤمنين على أعدائهم وفتح مكة وغيرها عليهم كالطائف ومدن
الحجاز وكثير من اليمن وقيل نصره عليه السلام على قريش وفتح مكة وكان فتحها
لعشر مضين من رمضان سنة ثمان ومعه عليه السلام عشرة آلاف من المهاجرين
والأنصار وقرأ الجمهور يدخلون مبنيا للفاعل وابن كثير في رواية مبنيا للمفعول
في دين الله في ملة الإسلام التي لا دين له يضاف غيرها أفواجا أي جماعات
كثيرة كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا
واحدا واثنين واثنين قال الحسن لما فتح عليه السلام مكة أقبلت العرب بعضها
على بعض فقالوا أما إذ ظفر بأهل الحرم فليس به يدان وقد كان الله
أجارهم من أصحاب الفيل وقال أبو عمرو بن عبد البر لم يمت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي العرب رجل كافر بل دخل الكل في الإسلام بعد حنين منهم من قدم
ومنهم من قدم وافده قال ابن عطية والمراد والله أعلم العرب عبدة الأوثان
وأما نصارى بني تغلب فما أراهم أسلموا قط في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكن أعطوا الجزية وقال عكرمة ومقاتل المراد بالناس أهل اليمن وفد منهم سبعمائة
رجل وقال الجمهور وفود العرب وكان دخولهم من فتح مكة وموته عليه السلام وأفواجا
جمع فوج قال الحوفي وقياس جمعه أفوج ولكن استثقلت الضمة على الواو فعدل إلى

افواج كانه يعني انه كان ينبغي ان يكون معتل العين كالصحيح فكان ان قياس
فعل صحيحها ان يجمع على افعل لا على افعال فنحو كلب وازند والامر في هذا المعتل جا
بالعكس القياس فيه افعال كحوض واحواض وشذ فيه افعل كثوب واثوب حال
ويدخلون حال او مفعول ثان ان كان رايت بمعنى ابصرت او عرفت اسم مفعول ثان
جاء بمعنى عرفت فيحتاج في ذلك الى السببات فسبح بحمد ربك اي ملتبسا بحمده على
هذه النعم التي خولكها من نصرك على الاعداء وفتحك البلاد ودخول الناس واي نعمة
اعظم من هذه اذ كل حسنة يعملها المسلمون فهي في ميزانه وعن عائشة رضي الله عنها
كان عليه السلام يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب
اليك قال الزمخشري والامر بالاستغفار مع التسبيح تكميل الامر بما هو قوام امر
الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية وليكون امره بذلك مع عصمته
لطفا لامته ولان الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة في نفسه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وروي انه قد علم
هو عليه السلام من هذه السورة دنو اجله وحين قراها عليه السلام استبشر
الصحابة به وبكى العباس فقال وما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك فقال انها
لكما تقول فعاش بعدها سنتين انه كان توابا فيه ترجية عظيمة للمستغفرين
الحطب معروف ويقال فلان يحطب على فلان اذا وشى عليه الحبل العتيق
المسد حبل من ليف وقال ابو الفتح كيف المثل وقال ابن زيد هو شجر باليمن
يسمى المسد اي وقد يكون من جلود الابل او من اوبارها

قال الراجز

ومسد امر من ايانق

ورجل ممسود الخلق اي مجدول شديد

بسم الله الرحمن الرحيم

تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامراته
حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد
ولما ذكر فيما قبلها دخول الناس في دين الله افواجا ذكر من لم يدخل في

الدين

الدين وخسر ولم يدخل فيما دخل اهل مكة من الايمان وتقدم التباب في سورة غافر
وتبا قال ابن عباس خابت وقال حسرت وابن جبير هلكت وعطا ضلت ويمان
ابن رئاب صفرت من كل خير وهذه اقوال متقاربة في المعنى وقالوا فيما حكى
اسناده الى اليدين اي جملته من الهرم والتجوز واسند الهلاك الى اليدين لان العمل
اكثر ما يكون بهما وهو في الحقيقة للنفس كقوله ذلك بما قدمت يداك وقيل اخذ بيده
حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسند التب اليهما والظاهر ان تبت دعا
وتب اخبار بحصول ذلك كما قال

جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ويدل عليه قراءة عبد الله وقد تب وروي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين قال يا صفية
بنت عبد المطلب يا فاطمة بنت محمد لا اغني لكما من الله شيئا سلاني من مالي ما شئتما
ثم صعد الصفا فنادى بطون قريش يا بني فلان وروي انه صاح باعلى صوته يا صباحاه
فاجتمعوا اليه من كل وجه فقال لهم ارايتم لو قلت لكم اني منذركم خيلا تصعد هذا الجبل
اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب
تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا فافترقوا عنه ونزلت هذه السورة وابو لهب
اسمه عبد العزى بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا ابن محيصن
وابن كثير ابي لهب بسكون الهاء وفتحها باقي السبعة ولم يختلفوا في ذات لهب
انها فاصلة والسكون يزيلها عن حسن الفاصلة قال الزمخشري وهو من تغيير
الاعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم يعني بسكون الهاء في لهب وضم الشين
في شمس ويعني قول الشاعر

اني لمهد من ثنائي فقاصد به لابن عم الصدق شمس بن مالك

فاما في ابي لهب فالمشهور في كنيته فتح الهاء واما شمس بن مالك فلا يتعين
ان يكون من تغيير الاعلام بل يمكن ان يكون مسمى بشمس المنقول من شمس الجمع كما
جاء اذا ناب خيل شمس فلعله كني بابي لهب لحسنه واشراق وجهه ولم يذكر
تعالى باسمه لان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى الكنية او لان الكنية كانت
اغلب عليه من الاسم او اشرف من الكنية فعدل الى الانقص ولذلك ذكر الله الانبيا

باسمائهم ولم يكن احدا سبهم والظاهر ان ما في ما اغنى عنه ماله نفي اي لم يغن عنه
ماله الموروث عن ابيه وما كسبه هو بنفسه او ماشيته وما كسب من نسلها
ومنافعها او ما كسب من ارباح ماله الذي يتجر به ويجوز ان تكون ما استفهاما في
موضع نصبه اي اي شي يغني عنه ماله على وجه التقريع والانكار والمعنى اين الغنا
الذي لماله ولكسبه والظاهر ان ما في قوله وما كسب موصوله واجيز ان تكون مصدريه
واذا كانت ما في ما يغني استفهاما ايضا اي واي شي كسب اي لم يكسب شيئا
وعن ابن عباس ولده وفي الحديث ولد الرجل من كسبه وعن الضحاك وما كسب
هو عمله الخبيث في عداوة الرسول وعن قتادة وعمله الذي ظن انه منه على شي وروي
عنه انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افدي منه نفسي بمالي
وولدي وقرا عبد الله وما اكتسب بالافتعال وقرا ابن حيوة وابن مقسم وعباس عن
ابي عمرو ايضا سيصلى بضم اليا وفتح الصاد وتشديد اللام ومن سه احسان و
وعنه ايضا ومريسه على التصغير فيهما بالهمز وبابدالها وادغامها بالتصغير فيهما وقرا ايضا
حماله الحطب بالتنوين في حماله ونصب الحطب وقرا الحسن وابن ابي اسحق سيصلى
بضم اليا وسكون الصاد وابو قلابه حامله الحطب على وزن فاعله مضافا وا[illegible]
حركه الها وامراته ابو عمرو في روايه الحسن وزيد بن علي والاعرج وابو حيوة وابن
ابي عبله وابن محيصن وعاصم حماله بالنصب وقرا الجمهور سيصلى بفتح اليا وسكون
الصاد وامراته على التكبير حماله على وزن فعاله للمبالغه مضافا الى الحطب مرفوعا والسين
للاستقبال وان تراخا الزمان وهو وعيد كائن انجازه لا محاله وارتفع وامراته
عطفا على الضمير المستكن في سيصلى وحسنه وجود الفصل بالمفعول وصفته وحماله
في قراءة الجمهور خبر مبتدا محذوف او صفة لامراته لانه مثال ماض فيعرف بالاضافه
وفعال احد الامثله السته وعملها كاسم الفاعل وفي قراءة النصب نصب على الذم و
اجازوا في قراءة الرفع ان تكون وامراته مبتدا وحماله الحطب خبر وفي جيدها خبر ثان
او في موضع الحال من الضمير المستكن في حماله وامراته ام جميل بنت حرب اخت
ابي سفيان وكانت عورا والظاهر انها كانت تحمل الحطب اي ما فيه شوك لتلقيه
بالليل في طريق الرسول عليه السلام واصحابه لتعقرهم فذمت بذلك وسميت حماله

الحطب

الحطب قاله ابن عباس فحماله معروف فان كان صار لقبا لها جاز في حماله الرفع ان
يكون عطف بيان وان يكون بدلا وقيل كانت تحمل حزمه من الشوك والحسك والسعدان
فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس ايضا ومجاهد
وقتاده والسدي كانت تمشي بالنميمه ويقال للمشا بالنمائم يحمل الحطب بين الناس اي يوقد
بينهم النائره ويورث الشر قال الشاعر

من البيض لم تصطد على ظهر لامه ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب

جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر وقال الراجز

ان بني الادرم حمالو الحطب هم الوشاة في الرضا والغضب

وقال ابن جبير حماله الخطايا والذنوب من قولهم فلان يحطب على ظهره قال تعالى وهم
يحملون اوزارهم على ظهورهم وقيل الحطب جمع حاطب كحارس وحرس اي تحمل الجناه على
الجنايات والظاهر ان الحبل من مسد وقال عروه بن الزبير ومجاهد وسفيان [illegible]
والمراد سلسله من حديد في جهنم وقال قتاده قلاده من ودع وقال ابن المسيب كانت لها قلاده
فاخره من جوهر فقالت واللات والعزى لانفقنها على عداوه محمد وقال ابن عطيه فانما
عبر عن قلادتها بحبل من مسد على جهة التفاؤل لها وذكر تبرجها في هذا السعي الخبيث
انتهى وقال الحسن انما كانت خرزا وقال الزمخشري والمعنى في جيدها حبل مما مسد من
الحبال وانها تحمل تلك الحزمه من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا
لحالها وتحقيرا لها وتصويرا لها بصوره بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك
ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجده ولقد عير
بعض الناس الفضل بن العباس بن عتبه بن ابي لهب بحماله الحطب فقال

ماذا اردت الى شتمي ومنقصتي ام ما تعير من حماله الحطب

غراء سائلة في المجد غرتها كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب

ويحتمل ان يكون المعنى ان حالها تكون في نار جهنم على الصوره التي كانت عليها حين كانت
تحمل حزمه الشوك فلا تزال على ظهرها حزمه من حطب النار من شجر الزقوم او من الضريع
وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه
انتهى ولما سمعت ام جميل هذه السوره اتت ابا بكر وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

في المسجد وبيدها فهر فقال بلغني أن صاحبك هجاني ولأفعلن ولأفعلن وأعمى الله بصرها
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فروي أن أبا بكر قال لها هل ترين معي أحدا فقالت أتهزأ بي
لا أرى غيرك وإن كان شاعرا فأنا مثله أقول   مذمما أبينا   ودينه قلينا   وأمره عصينا
فسكت أبو بكر رضي الله عنه ومضت هي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حجبني عنها ملائكة
فما رأتني وكفى الله شرها ورُدّت بما أتت مخوّفة بحبلها وأبو لهب رماه الله بالعدسة بعد
وقعة بدر بسبع ليال الصمد فعل بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده وهو السيد المصمود (المقصود)
إليه في الحوائج ويستعمل بها قال   ألا بكّر الناعي بخير بني أسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد
وقال الآخر   علوته بحسام ثم قلت له خذها حذيف فأنت السيد الصمد
بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد
مكية في قول عبد الله والحسن وعكرمة وعطاء ومجاهد ومدنية في قول ابن عباس والحسن
وعكرمة وعطاء ومجاهد ومدنية في قول ابن عباس ومحمد بن كعب وأبو العالية والضحاك
ولما تقدم فيما قبلها عداوة أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عمه أبو لهب وما
كان يقاسي من عباد الأصنام الذين اتخذوا مع الله آلهة جاءت هذه السورة مصرحة بالتوحيد
رادّة على عباد الأوثان والقائلين بالثنوية والتثليث وبغير ذلك من المذاهب المخالفة للتوحيد
عن ابن عباس أن اليهود قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فنزلت وعن أبي العالية قال
قال الأحزاب انسب لنا ربك فنزلت فإن صح هذا السبب كان هو ضميرا عائدا على الذي
قالوا هو الله تعالى أي ربي الله ويكون مبتدأ وخبرا وأحد خبر ثان وقال الزمخشري
وأحد بدل من قوله الله أو على هو أحد انتهى وإن لم يصح السبب فهو ضمير الأمر والشأن
مبتدأ والجملة بعده مبتدأ وخبر في موضع خبر هو وأحد بمعنى واحد أي فرد من جميع
جهات الوحدانية أي في ذاته وفي صفاته لا يتجزأ وهمزة أحد هذا بدل من واو وإبدال
الهمزة أولى مفتوحة من الواو قليل من ذلك امرأة أناة يريدون وناة لأنه من الوني
وهو الفتور كما أن أحدا من الوحدة وقال ثعلب بين واحد وبين أحد فرق الواحد يدخله العدد
والجمع والاثنان والأحد لا يدخله يقال الله أحد ولا يقال زيد أحد لأن الله خصوصية
له الأحد وزيد يكون منه حالات انتهى وما ذكر من أن أحدا لا يدخله ما ذكر منقوض
بالعدد المعطوف تقول أحد وعشرون واثنان وعشرون وثلاثة وعشرون فقد دخله

وقرأ

وقرأ أبان بن عثمان وزيد بن علي ونصر بن عاصم وابن سيرين والحسن وابن أبي إسحق
وأبو السمال وأبو عمرو في رواية يونس ومحبوب والأصمعي واللؤلؤي وعبيد وهرون عنه
أحد الله بحذف التنوين لالتقائه مع لام التعريف وهو كثير يوجد في الشعر نحو قوله
ولا ذاكر الله إلا قليلا   ونحو قوله   عمرو الذي هشم الثريد لضيفه   الله الصمد مبتدأ
وخبر والأفصح أن تكون هذه جملة مستقلة بالإخبار على سبيل الاستئناف كما تقول زيد
العالم زيد الشجاع وقيل الصمد صفة والخبر الجملة بعده وقد تقدم شرح الصمد في المفردات وقال
الشعبي ويمان بن رئاب هو الذي لا يأكل ولا يشرب وقال أبي بن كعب يفسره
ما بعده وهو قوله لم يلد ولم يولد وقال الحسن الصمد المصمت الذي لا جوف له ومنه قول الشاعر
شهاب حروب لا تزال جياده عوابس يعلكن الشكيم المصمدا   وفي كتاب التحرير أقوال
عن هذه لا تساعد عليها اللغة وقال ابن الأنباري لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد هو السيد
الذي ليس فوقه أحد الذي يصمد إليه الناس في أمورهم وحوائجهم وقال الزمخشري لم يلد لأنه
لم يجانس حتى لا يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله أنى يكون
له ولد ولم تكن له صاحبة ولم يولد لأن كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا أول لوجوده
وليس بجسم ولم يكافئه أحد أي لم يماثله ولم يشاكله ويجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح
نفيا للصاحبة ولم يكن له كفوا أحد بضم الكاف والفاء وكسرها وفتحها مع سكون
الفاء وبضم الكاف مع ضم الفاء وقرأ حمزة وحفص بضم الكاف وإسكان الفاء وهمز حمزة
وأبدلها حفص واوا وباقي السبعة بضمهما والهمز وسهل الهمز الأعرج وأبو جعفر
وشيبة ونافع في رواية وعن نافع أيضا كفى بكسر الكاف من غير همز نقل حركة الهمزة
إلى الفاء وحذف الهمزة وقرأ سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس كفاء بكسر الكاف
وفتح الفاء والمد كما قال النابغة   لا تقذفني بركن لا كفاء له   كما قال الأعلم لا كفاء له
أي لا مثل له وقال مكي سيبويه يختار أن يكون الظرف خبرا إذا قدمه وقد خطأه المبرد بهذه الآية
لأنه قدم الظرف ولم يجعله خبرا والجواب أن سيبويه لم يمنع إلغاء الظرف إذا تقدم إنما أجاز
أن يكون خبرا وأن لا يكون خبرا ويجوز أن يكون كفوا حالا من النكرة وهي أحد لما
تقدم نعتها عليها نصب على الحال فيكون له الخبر على مذهب سيبويه واختياره ولا يكون
للمبرد حجة على هذا القول انتهى وخرجه ابن عطية أيضا على الحال وقال الزمخشري فإن قلت

الكلام العربي الفصيح ان يوخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص
سيبويه على ذلك في كتابه فما باله مقدما في افصح كلام واعربه قلت هذا الكلام انما
سيق لنفي المكافاة عن ذات الباري سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هذا هو الظرف
فكان لذلك اهم شي واعناه واحقه بالتقديم واخراه وبهذه الجملة ليستغني عنها الباب
وذلك ان قوله ولم يكن له كفوا احد ليس الجار والمجرور فيه تاما انما هو ناقص لا يصلح ان
يكون خبر الكان بل هو متعلق بكفوا وقدم عليه فالتقدير ولم يكن احد كفوا له اي
مكافيه فهو في معنى المفعول متعلق بكفوا وتقدم على كفوا الاهتمام به اذ فيه ضمير الباري
تعالى وتوسط الخبر وان كان الاصل التاخير لان تاخير الاسم هو فاصله فحسن ذلك
وعلى هذا الذي قررناه يبطل اعراب مكي وغيره ان له الخبر وكفوا حال من احد لانه
ظرف ناقص لا يصلح ان يكون خبرا وبذلك يبطل سوال الزمخشري وجوابه
وسيبويه انما تكلم في الظرف الذي يصلح ان يكون خبرا ويصلح ان يكون غير خبر
قال سيبويه وتقول ما كان فيها احد خير منك وما كان احد مثلك فيها وليس احد فيها
خير منك اذا جعلت فيها مستقرا ولم تجعله على قولك فيها زيد قائم نصبت تقول ما كان
فيها احد خيرا منك فيها الا انك اذا اردت الالغا فكلما اخرته كان احسن والتقديم
والتاخير والالغا عربي جيد كثير قال تعالى ولم يكن له كفوا احد وقال ما دام فيهن فصيل
حيا اهل العربية يقولون هو بالقاط سيبويه وما نريد علامه ويمثله بالظرف
الذي يصلح ان يكون خبرا ومعنى قوله مستقر اي خبرا للمبتدا او لكان فان قلت فقد مثل
بالاية الكريمة قلت هذا الذي اوقع مكيا والزمخشري وغيرهما فيما وقعوا فيه وانما اراد
سيبويه الظرف التام وهو في قوله ما دام فيهن فصيل حيا اجرى فضلة لا خبرا كما
ان له في الاية اجرى فضلة فجعل الظرفين والقابل لان يكون خبرا كالظرف الناقص في كونه
لم يستعمل خبرا ولا يشك من له ذهن صحيح انه لا ينعقد كلام من قوله ولم يكن له احد
بل لو تاخر كفوا وارتفع على الصفة وجعل له خبرا لم ينعقد منه كلام بل انت ترى ان
النفي لم يتسلط الا على الخبر الذي هو لغو له متعلق به والمعنى ولم يكن احد مكافيه
وقد جا في فضل هذه السورة احاديث كثيرة منها انها تعدل ثلث القران وقد تكلم العلما
على ذلك وليس هذا موضعه الفلق فعل بمعنى مفعول ونا في اقوال اهل التفسير

فيه

فيه ان شا الله وقت الليل اظلم والشمس غابت والغراب جاء قال وقيل الغراب
عليهم فكانهم لحقهم نار السموم فاحصدوا النفث شبه النفخ دون تفل قريبه قاله
ابن عطيه وقيل نفخ بريق معه قاله الزمخشري وقال صاحب اللوامح شبه النفخ من الفم
في الرقية ولا ريق معه فاذا كان بريق فهو التفل قال فان تبرا اقلم اسمه علمه واب بعقد
بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر
غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد مكيه في قول
الحسن وعطا وعكرمه وجابر ورواية كريب عن ابن عباس مدنيه في قول ابن عباس في رواية
ابي صالح وقتاده وجماعة قيل وهو الصحيح وسبب نزول المعوذتين قصة سحر لبيد
ابن الاعصم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه اخرج ما سحر به وهو جف والجف
قشر الطلع فيه امشاطه وما شطه عليه السلام واسنان مشطه ووتر معقود فيه
احدى عشرة عقده مغروز بالابر فانزلت عليه المعوذتان فجعل كلما قرا اية انحلت
عقده ووجد عليه السلام في نفسه خفة حين انحلت العقدة الاخيرة فقام
كانما نشط من عقال ولما شرح امر الالهية في السورة قبلها شرح ما يستعاذ
منه بالله من الشر الذي في العالم ومراتب مخلوقاته والفلق الصبح قاله ابن عباس
وجابر بن عبد الله ومجاهد وقتاده وابن جبير والقرطبي وابن زيد وفي المثل هو
ابين من فلق الصبح ومن فرق الصبح وقال الشاعر يا ليلة لم انمها بت
وقال ذو الرمة يصف الثور الوحشي حتى اذا ما انجلى عن وجهه فلق هاديه
في اخريات الليل منتصب وقيل الفلق كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات والجبال
عن العيون والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والحب والنوى وغير ذلك وقال
ابن عباس ايضا وجماعة من الصحابة والتابعين الفلق جب في جهنم ورواه ابو هريرة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لما اطمان من الارض الفلق وجمعه فلقان وقيل واد
في جهنم وقال بعض الصحابة بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره
وقرا الجمهور من شر ما خلق باضافة شر الى ما وما عام يدخل فيه جميع من يوجد منه الشر
من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد كالاحراق بالنار والاغراق بالبحر والقتل بالسم وقرا
عمرو بن فايد من شر بالتنوين وقال ابن عطيه وقرا عمرو بن عبيد وبعض المعتزلة القائلين

جمع الفلق عمود

الفلق ... في ... الليل

بان الله تعالى لم يخلق الشر من شر بالتنوين ما خلق على النفي وهي قراءة مردودة
مبنية على مذهب باطل الله خالق كل شيء اي ولهذه القراءة وجه غير النفي فلا
يتعين ان ترد وهو ان يكون ما خلق بدلا من شر على تقدير محذوف اي من شر شر
ما خلق فحذف شر لدلالة شر الاول عليه اطلق اولا ثم عمم بما بعده والغاسق الليل
ووقب اظلم ودخل على الناس قاله ابن عباس والحسن ومجاهد ونقله الزمخشري
على عادته وقالت الغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل
ومنه غسقت العين امتلات دمعا وغسقت الجراحة امتلات دما ووقوبه دخول
ظلامه في كل شيء اي وقال الزجاج هو الليل لانه ابرد من النهار والغاسق البارد
من شر لانه فيه تنبث الشياطين والهوام والحشرات واهل الفتك قال
يا طيف هند لقد ابقيت لي ارقا اذ جئتنا طارقا والليل قد غسقا
وقال محمد بن كعب دخل الليل وقال ابن شهاب المراد بالغاسق الشمس اذا غربت
وقال القتبي وغيره هو القمر اذا دخل في ساهوره فخسف وفي الحديث نظر عليه السلام
الى القمر فقال يا عائشة تعوذي بالله من هذا فانه الغاسق اذا وقب وعنه عليه السلام
الغاسق النجم وقال ابن زيد عن العرب الغاسق الثريا اذا سقطت وكانت الاسقام والطاعون
تهيج عند ذلك وقيل الحية اذا لدغت والغاسق سم نابها لانه يسيل منه والنفاثات
النساء او النفوس او الجماعات السواحر يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين وقرا
الجمهور النفاثات والحسن بضم النون وابن عمر والحسن ايضا وعبد الله بن القاسم ويعقوب في
رواية النافثات والحسن ايضا وابو الربيع النفثات بغير الف نحو الحذرات والاستعاذة
من شرهن هو ما يصيب به الله من الشر عند فعلهن ذلك وسبب نزولها ان المعوذتين
يعني ما تاوله الزمخشري من قوله ويجوز ان يراد بهن النساء الكيادات من قوله ان كيدكن
عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد او اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم
وعرضهن محاسنهن كانهم يسحرونهم بذلك انتهى قال ابن عطية وهذا النفث هو على عقد تعقد
في خيوط ونحوها على اسم المسحور فيؤذى بذلك وهذا الشان في زماننا موجود شائع في صحراء
المغرب وحدثني ثقة انه راى عند بعضهم خيطا احمر قد عقدت فيه عقد على فصلان
فمنعت بذلك رضاع امهاتها فكان اذا حل عقدة رجع ذلك الفصيل الى امه في الحين فرضع

اي

اي وقصد الغاسق والحاسد بالطرف لانه اذا لم يدخل الليل لا يكون منه شر منسوب اليه
وكذلك ما فسر به الغاسق وكذلك الحاسد لا يؤثر حسده الا اذا اظهر بان يحتال للمحسود
فيما يؤذيه اما اذا لم يظهر الحسد فانما يتاذى به هو لا المحسود لاغتمامه بنعمة غيره قال
قال الزمخشري ويجوز ان يراد بشر الحاسد اثمه وسماجة حاله في وقت حسده واظهاره
اثره اي ثم عم اولا ثم خص من شر ما خلق ثم خص هذه لخفاء شرها اذ يجيء من حيث لا يعلم كما قالوا
شر العداة المداجي يكيد لك من حيث لا تشعر به ونكر غاسق وحاسد وعرف النفاثات
لان كل نفاثة شريرة وكل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض
وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ومنه لا حسد الا
في اثنتين وقال ابو تمام وما حاسد في المكرمات بحاسد وقال ان العلا حسن في مثلها
وقول المنظور اليه للحاسد اذا نظر الحسن على عينك يعني به هذه السورة لانها خمس آيات
وعين الحاسد في الغالب لا تضر نعوذ بالله من شرها بسم الله الرحمن الرحيم
قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في
صدور الناس من الجنة والناس لما امر ان يستعيذ مما قبلها والخالق وابعد مدنية ام مكية
واضيف الرب الى الناس لان الاستعاذة من شر الوسواس في صدورهم فهم استعاذوا
بربهم مالكهم والههم كما يستعيذ العبد بمولاه اذا دهمه امر والظاهر ان ملك الناس
اله الناس صفتان وقال الزمخشري هما عطفا بيان من رب الناس كقولك سيرة زيد بيانا باله
الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله وقد يقال ملك الناس واما اله الناس فخاص لا شريك له فيه فجعل غاية للبيان اي وعطف
البيان المشهور انه يكون بالجوامد وظاهر قوله انهما عطفا بيان لواحد ولا نعلم عن النحاة
نصا في عطف البيان هل يجوز ان يتكرر لمعطوف عليه واحد ام لا يجوز وقال الزمخشري
فان قلت فهلا اكتفى باظهار المضاف اليه الذي هو الناس مرة واحدة قلت لان
عطف البيان للبيان وكان مظنة للاظهار دون الاضمار انتهى والوسواس قيل اسم
من اسماء الشيطان والوسواس ايضا ما يوسوس به شهوات النفس وهو الهوى المنهي عنه
الراجع على عقبه المستتر احيانا وذلك في الشيطان فمعناه اذا ذكر العبد الله خنس واما
الشهوات فيحبس بالايمان وبلمة الملك وبالحياء فهذان المعنيان مندرجان في الوسواس

٤٣٦

ويكون معنى من الجنة والناس من الشياطين ومن الناس او يكون الوسواس اريد
به الشيطان والمعنى المراد من عرفنا السوء يكون من الجنة والناس مثاله الوسواس
وقال تعالى عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقال
قتادة ان من الانس شياطين ومن الجن شياطين فنعوذ بالله منهم وقال ابو ذر رضي الله عنه
لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس وقال الزمخشري الوسواس اسم بمعنى
الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد
به الشيطان سمي بالمصدر كانه وسوسة في نفسه لانها صنعته وشغله الذي
هو عاكف عليه او اريد ذو الوسواس انتهى ونظر فيما معه في دعواه ان الزلزال بالفتح
اسم وبالكسر المصدر اذ الزلزال ويجوز في الذي الجر على الصفة والرفع والنصب
على الشتم ومن في من الجنة والناس للتبعيض اي كائنا من الجنة والناس فهي في موضع
الحال اي ذلك الموسوس هو بعض الجنة وبعض الناس وقال الزمخشري ويجوز ان يكون
من متعلقا بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية اي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة ومن
جهة الناس انتهى ولما كان مضرة الدين وهي آفة الوسواس اعظم من مضرة الدنيا
وان عظمت جاء البناء في الاستعاذة منها بصفات ثلاث الرب والملك والاله وان اتحد
المطلوب وفي الاستعاذة من ثلاث الغاسق والنفاثات والحاسد بصفة واحدة
وهي الرب وان تكرر الذي يستعاذ منه كان عليه السلام اذا اوى الى فراشه
جمع كفيه وقرا قل هو الله احد والمعوذتين ثم مسح ما استطاع من جسده يبدا براسه
ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاثا صلى الله عليه وسلم

وامر الفراغ منه ليلة سبع عشري شهر ذي القعدة الحرام

سنة [illegible] على يد محمد [illegible] العريف المولفة

رايت على ... فالحمد لله المعبود بوحدانيته   وافاض على ...
... فتحية الى الله تعالى وادبن   ... اللهم بحق
اسمك العظيم وبنبيك الكريم   ادم له العز والتمكين   واجعل عدوه في اسفل السافلين
اعنى ... وسلط عليه ... وعن محبته فلا الولي
ونستغفر الله ... وحسبنا الله ونعم الوكيل

لوقتا ...
... ٤٢٥